الأنوار المحمدية

من المواهب اللدنية

للعلامة

الشيخ يوسف النبهاني

المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ

حققه وعلق عليه

ماجد الحموي

دار ابن حزم

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الأولى

١٤٣٣هـ - ٢٠١٢م

9 786144 162361

ISBN 978-614-416-236-1

الكتب والدراسات التي تصدرها الدار
تعبر عن آراء واجتهادات أصحابها

دار ابن حزم

بيروت - لبنان - ص.ب : 14/6366

هاتف وفاكس : 701974 - 300227 (009611)

البريد الإلكتروني : ibnhazim@cyberia.net.lb

الموقع الإلكتروني : www.daribnhazm.com

الأنوار المحمدية

من المواهب اللدنية

للعلامة

الشيخ يوسف النبهاني

المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ

حققه وعلق عليه

ماجد الحموي

دار ابن حزم

الأنوار المحمدية

من المواهب اللدنية

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المحقق

الحمد للّه الذي أرسل رسوله بالهدىٰ ودين الحق ليُظهره علىٰ الدين كله ولو كره المشركون، والصلاة والسلام الكاملَين الأتمَّين علىٰ سيدنا محمد سيد المرسلين، النبي الأمي المبعوث رحمةً للعالمين، الذي بلّغ الرسالة، وأدّىٰ الأمانة، ونصح الأمة، وجاهد في الله حق جهاده، حتىٰ ترك الأمة علىٰ المحجة البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك، ورضي الله عن أصحابه الغُر الميامين، وعن أتباعه الطيبين الطاهرين، وتابعيهم بإحسان إلىٰ يوم الدين.

أما بعد:

فبعد أن حققت كتاب (نور اليقين في سيرة سيد المرسلين) لمحمد بن عفيفي الباجوري (المعروف بالخضري) المتوفىٰ سنة ١٣٤٥هـ، أحببت أن أشفعه بـ(الأنوار المحمدية) نظراً لتوسُّعه في الشمائل، إذ كانت سيرة الخضري توسّعت في السيرة، وقد قمت بمقابلته علىٰ أصله (المواهب اللدنيّة بالمنح المحمدية) وأتممت ما نقص من السيرة من (نور اليقين) فكان عملي في التحقيق علىٰ النحو الآتي:

١ ـ صحّحت الألفاظ والجمل التي لحقها الخطأ بالمقارنة مع (المواهب اللدنيّة).

٢ ـ اعتنيت بعلامات الترقيم، وقسمت الكلام إلىٰ فِقْرات.

٣ ـ وضعت بعض العناوين الهامة والكلمات الناقصة أو اللازمة، وجعلتها بين معقوفتين هكذا [ ].

٤ ـ شرحت ما يحتاج إلىٰ شرح من الكلمات والمعاني الغامضة.

٥ ـ بيَّنت مواضع الآيات من المصحف الشريف، وفسَّرت ما يحتاج منها إلىٰ تفسير، وأثبتُّ الآيات بالرسم العثماني الذي لا تجوز الكتابة بغيره.

٦ ـ خرَّجت الأحاديث النبوية الواردة فيه، وبيَّنت درجتها.

٧ ـ أكملت بعض مباحث السيرة الناقصة من الكتاب، وأتيت بالزيادات والتتمات التي فيها عبرة أو فائدة أو حل إشكال.

٨ ـ قدّرت المسافات الواردة بالكيلومترات، وبيَّنت مواقع القبائل والأماكن المذكورة في الكتاب.

٩ ـ ألحقت الصلاة بالسلام فقلت: (عليه الصلاة والسلام) إن اقتصر المؤلف علىٰ (عليه السلام) لأنه يكره إفراد السلام عن الصلاة وبالعكس عند ذكر النبي ﷺ.

وقد قام بالتعليق علىٰ الكتاب والتقديم له الشيخ خالد عبدالرحمٰن العك (طبعة دار البشائر) بدمشق، لكنه لم يَفِ بالغرض، بل كان علىٰ النحو التالي:

١ ـ انتقد الكتاب في مقدمته، مما زهّد فيه بل نفّر منه، ولو جعل النقد في موضعه من الكتاب لكان أوْلىٰ.

٢ ـ بلغت تعليقاته في جميع الكتاب **٢٢٢** تعليقاً (أي: تعليق واحد لكل ثلاث صفحات) كان نصفها نفياً للأخبار وتكذيباً لها من غير دليل، (ومن المعروف أن المثْبِت مقدَّم كلامه علىٰ النافي).

٣ ـ لم يكلّف نفسه مراجعة الأصل (المواهب) أو (شرحه للزرقاني) ولو فعل ذلك لكفاه عناء المجازفة والحكمَ علىٰ كثير من الآثار بعدم ثبوتها، أو أنها من وضع القُصَّاص.

٤ ـ لم يخرّج الآيات الواردة، ولا الأحاديث المستشهد بها.

٥ ـ أكثَرَ من الفواصل فمزّق العبارات وشوّه المراد منها، كما ملأ الكتاب بإشارات التعجُّب والاستفهام.

٦ ـ هناك تعليقات غريبة (كالتعليق الثاني ص٢٧٩)، أو متناقضة (كما في ص٣٠٤)، أو عجيبة (كالتعليق ص٣٢٣ وص٤٠٢)، أو ممجوجة (كما في ص٤٤٣).

٧ ـ قد يحذف من عبارة المؤلف ما يحقق اعتقاده، كما فعل في خاتمة المؤلف للكتاب، إذ حذف من دعاء المؤلف (بجاه سيدنا محمد خاتم النبيين) وكان الأوْلىٰ أن يترك عبارة المؤلف كما هي، ويعلّق عليها في الحاشية.

٨ ـ هناك سقط لكثير من العبارات لم ينتبه لها المحقق.

في الختام أرجو أن يكون تحقيقي للكتاب وتعليقي عليه مقبولاً عند الله وعند الناس، وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين.

ماجد الحموي

دُبَي في ١٧ جمادىٰ الأولىٰ ١٤٢٩

التعريف بالمؤلّف(١)

هو الأديب الشاعر القاضي يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن محمد ناصر الدين النَّبْهانيّ (نسبة لبني نبهان من عرب البادية بفلسطين، توطّنوا قرية إجزِم التابعة لحيفا في شمال فلسطين)، وُلد في القرية المذكورة سنة ١٢٦٥هـ ـ ١٨٤٩م.

نشأته وتعلُّمه:

قرأ القرآن علىٰ والده الشيخ الحافظ المتقن إسماعيل النبهاني، ثم أرسله إلىٰ مصر لطلب العلم، فدخل الجامع الأزهر غرة شهر المحرم سنة ١٢٨٣، وأقام فيه إلىٰ رجب سنة ١٢٨٩، وفي هذه المدّة أخذ العلوم الشرعية ووسائلها عن جهابذة العلماء المحققين، منهم:

١ ـ الشيخ إبراهيم السقا الشافعي المتوفىٰ سنة ١٢٩٨هـ. وقد لازم دروسه ثلاث سنين، وقرأ عليه شرحَيْ (التحرير) و(المنهج) لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، بحاشيتيهما للشّرقاوي والبجيرمي، وقد أجازه بإجازة فائقة.

٢ ـ الشيخ السيد محمد الدمنهوري الشافعي المتوفىٰ سنة ١٢٨٦هـ.

---

(١) ترجم المؤلف نفسه في آخر كتابه (الشرف المؤبّد لآل محمد) وقد استقيت الترجمة منه.

٣ ـ الشيخ إبراهيم الزرو الخليلي الشافعي المتوفىٰ سنة ١٢٨٧هـ.

٤ ـ الشيخ أحمد الأجهوري الضرير الشافعي المتوفىٰ سنة ١٢٩٣هـ.

٥ ـ الشيخ حسن العَدَوي المالكي المتوفىٰ سنة ١٢٩٨هـ.

٦ ـ الشيخ السيد عبدالهادي نجا الأبياري المتوفىٰ سنة ١٣٠٥هـ.

٧ ـ الشيخ شمس الدين محمد الأنبابي الشافعي (شيخ الجامع الأزهر) المتوفىٰ سنة ١٣١٣هـ.

٨ ـ الشيخ عبدالقادر الرافعي الحنفي الطرابلسي (شيخ رواق الشوام بالجامع الأزهر) المتوفىٰ سنة ١٣٢٣هـ.

٩ ـ الشيخ عبدالرحمٰن الشِّربيني الشافعي (شيخ الجامع الأزهر) المتوفىٰ سنة ١٣٢٦هـ.

١٠ ـ الشيخ يوسف البرقاوي الحنبلي (شيخ رواق الحنابلة بالجامع الأزهر).

وبعد أن تخرّج ورجع إلىٰ قريته إجزِم صار يقرِّىء بعض الدروس الدينية، ثم سافر مراراً إلىٰ بيروت، ثم إلىٰ دمشق، واجتمع بعلمائها الأعلام، منهم:

١١ ـ العلامة الفقيه السيد الشريف محمود أفندي حمزة، وقرأ عليه أول صحيح البخاري، وأجازه بباقيه وبجميع مرويّاته ومؤلَّفاته.

ثم توجّه إلىٰ القسطنطينية مرتين، واشتغل فيها عدة سنوات بتحرير جريدة (الجوائب) وتصحيح ما يُطبع في مطبعتها من الكتب العربية، ثم سافر منها في المرة الأولىٰ إلىٰ العراق، ثم رجع وسافر منها في المرة الثانية سنة ١٣٠٠هـ إلىٰ بلاد الشام، وتنقّل في أعمال القضاء فترأَس محكمة الجزاء في

اللاذقية خمس سنوات، ثم محكمة القدس أقل من سنة، ثم محكمة الحقوق ببيروت أكثر من عشرين سنة.

ولما بلغ سن التقاعد أُحيل علىٰ المعاش، فانقطع إلىٰ العبادة والتأليف، ثم سافر إلىٰ المدينة المنورة، وجاور هناك مدّة، ولما نشبت الحرب العالمية الأولىٰ عاد إلىٰ قريته وتوفي فيها في رمضان سنة ١٣٥٠هـ ـ ١٩٣٢م.

مؤلفاته (مرتَّبة علىٰ حروف المعجم)(١):

١ ـ (إتحاف المسلم بأحاديث الترغيب والترهيب من البخاري ومسلم) مطبوع.

٢ ـ كتاب (الأحاديث الأربعين من أمثال أفصح العالمين ﷺ) مطبوع.

٣ ـ كتاب (الأحاديث الأربعين في فضائل سيد المرسلين ﷺ) مطبوع.

٤ ـ كتاب (الأحاديث الأربعين في فضل الجهاد والمجاهدين) مطبوع.

٥ ـ كتاب (الأحاديث الأربعين في وجوب طاعة أمير المؤمنين) مطبوع.

٦ ـ (أحسن الوسائل في نظم أسماء النبي الكامل ﷺ) مزدوجة نحو ٣٠٠ بيت، مطبوعة.

٧ ـ كتاب (الأربعين أربعين من أحاديث سيد المرسلين) مطبوع.

٨ ـ (أربعون حديثاً في فضائل أهل البيت).

٩ ـ (أربعون حديثاً في فضل أربعين صحابياً).

---

(١) أخذتها من طبعة الأخ بسام الجابي لكتاب (علامات قيام الساعة) للنبهاني.

١٠ ـ (أربعون حديثاً في أربعين صيغة في الصلاة على النبي ﷺ).

١١ ـ (أربعون حديثاً في فضل أبي بكر).

١٢ ـ (أربعون حديثاً في فضل أبي بكر وعمر).

١٣ ـ (أربعون حديثاً في فضل عثمان).

١٤ ـ (أربعون حديثاً في فضل علي).

١٥ ـ (أربعون حديثاً في فضل عمر).

١٦ ـ (أربعون حديثاً في فضل لا إله إلا الله).

١٧ ـ (إرشاد الحيارى في تحذير المسلمين من مدارس النصارى) مطبوع، وله (مختصر إرشاد الحيارى) مطبوع.

١٨ ـ (الأساليب البديعة في فضل الصحابة وإقناع الشيعة) مطبوع على هامش (شواهد الحق).

١٩ ـ (أسباب التأليف من العاجز الضعيف) مطبوع عقب (جامع كرامات الأولياء).

٢٠ ـ (الاستغاثة الكبرى بأسماء الله الحسنى) مطبوع مع (رياض أهل الجنة).

٢١ ـ (الأسمى فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسما) مطبوع.

٢٢ ـ (أفضل الصلوات على سيد السادات) مطبوع.

٢٣ ـ (الأنوار المحمدية).

٢٤ ـ (البرهان المسدّد في إثبات نبوّة سيّدنا محمد ﷺ) مطبوع.

٢٥ ـ (البشائر الإيمانية في المبشّرات المناميّة) مطبوع.

٢٦ ـ (التحذير من اتخاذ الصور والتصوير) مطبوع.

٢٧ ـ (تنبيه الأفكار إلىٰ حكمة إقبال الدنيا علىٰ الكفار) مطبوع.

٢٨ ـ (تهذيب النفوس في ترتيب الدروس) وهو مختصر (رياض الصالحين للنووي) مطبوع.

٢٩ ـ (جامع الثناء علىٰ الله) مطبوع.

٣٠ ـ (جامع الصلوات) مطبوع.

٣١ ـ (جامع كرامات الأولياء) جزءان، مطبوع.

٣٢ ـ (جواهر البحار في فضائل النبي المختار) ٤ أجزاء، مطبوع.

٣٣ ـ (حجة الله علىٰ العالمين في معجزات سيد المرسلين) مطبوع.

٣٤ ـ (حزب الأولياء الأربعين المستغيثين بسيّد المرسلين) وهو (حزب استغاثات بسيّد السادات) مطبوع.

٣٥ ـ (حسن الشرعة في مشروعية صلاة الظهر إذا تعدّدت الجمعة) مطبوع.

٣٦ ـ (خلاصة الكلام في ترجيح دين الإسلام) مطبوع.

٣٧ ـ (الخلاصة الوفيّة في رجال المجموعة النبهانية) مطبوع.

٣٨ ـ (الدلالات الواضحات شرح دلائل الخيرات) مطبوع.

٣٩ ـ (دليل التجّار إلىٰ أخلاق الأخيار) مطبوع.

٤٠ ـ (الرحمة المهداة في فضل الصلاة) مطبوع.

٤١ ـ (رفع الاشتباه في استحالة الجهة علىٰ الله) رسالة ضمن (شواهد الحق) مطبوعة.

٤٢ ـ (رياض أهل الجنة في أذكار الكتاب والسنّة) مطبوع.

٤٣ ـ (السابقات الجياد في مدح سيد العباد ﷺ) مطبوع.

٤٤ ـ (سبيل النجاة في الحُبّ في الله والبغض في الله) مطبوع.

٤٥ ـ (سعادة الأنام باتباع دين الإسلام) مطبوع.

٤٦ ـ (سعادة الدارين في الصلاة علىٰ سيد الكونين ﷺ) مطبوع.

٤٧ ـ (سعادة المعاد في موازنة بانت سعاد) مطبوع.

٤٨ ـ (السهام الصائبة لأصحاب الدعاوىٰ الكاذبة) مطبوع ضمن (شواهد الحق).

٤٩ ـ (الشرف المؤبّد لآل محمد ﷺ) مطبوع.

٥٠ ـ (شواهد الحق في الاستغاثة بسيّد الخلق ﷺ) مطبوع.

٥١ ـ (صلوات الأخيار علىٰ النبي المختار ﷺ).

٥٢ ـ (الصلوات الأربعين للأولياء الأربعين).

٥٣ ـ (الصلوات الألفية في الكمالات المحمدية).

٥٤ ـ (صلوات الثناء علىٰ سيد الأنبياء ﷺ) مطبوع.

٥٥ ـ (طيبة الغرّاء في مدح سيد الأنبياء) مطبوع.

٥٦ ـ (العقود اللؤلؤية في المدائح النبوية) مطبوع.

٥٧ ـ (الفتح الكبير في ضم الزيادة إلىٰ الجامع الصغير) للسيوطي، مطبوع.

٥٨ ـ (الفضائل المحمدية) مطبوع.

٥٩ ـ (قرة العين من البيضاوي والجلالين) تفسير، مطبوع.

٦٠ ـ (القصيدة الرائية الصغرىٰ في ذم البدعة وأهلها، ومدح السنّة الغرّا) خَصَّت بالذم من مبتدعة العصر: جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده المصري، ورشيد رضا. مطبوعة.

٦١ ـ (القصيدة الرائية الكبرىٰ في وصف الملّة الإسلامية والملل الأخرىٰ) مطبوع.

٦٢ ـ (القول الحق في مدح سيد الخلق ﷺ) مطبوع.

٦٣ ـ (مثال النعل الشريف) مطبوع.

٦٤ ـ (المجموعة النبهانية في المدائح النبوية) مطبوع.

٦٥ ـ (المزدوجة الغرّا في الاستغاثة بأسماء الله الحسنىٰ).

٦٦ ـ (مفرّج الكروب ومفرح القلوب) مطبوع.

٦٧ ـ (منتخب الصحيحين) يشمل نحو ٣٠٠٠ حديث، مطبوع.

٦٨ ـ (نجوم المهتدين ورجوم المعتدين في إثبات نبوة سيدنا محمد سيد المرسلين، والرد علىٰ أعدائه إخوان الشياطين) مطبوع.

٦٩ ـ (النظم البديع في مولد الشفيع) مطبوع.

٧٠ ـ (هادي المريد إلىٰ طرق الأسانيد) مطبوع.

٧١ ـ (الورد الشافي) مختصر (الحصن الحصين) مطبوع.

٧٢ ـ (وسائل الوصول إلىٰ شمائل الرسول ﷺ) مطبوع.

التعريف بكتاب
(الأنوار المحمدية) من (المواهب اللدنيّة)

(الأنوار المحمدية) من الكتب الشهيرة النافعة، جمع فيه مؤلفه بين السيرة والشمائل، فكانت السيرة فيه نحو الربع، والباقي للشمائل، وقد اختصره من كتاب (المواهب اللدنيّة بالمنح المحمدية) للعلامة القارىء المحدّث أحمد بن محمد القسطلاّني المصري المتوفىٰ سنة ٩٢٣هـ، صاحب المؤلفات النافعة، ومنها شرحه علىٰ البخاري (إرشاد الساري)، وقد أخذ القسطلاّني عن الحافظ ابن حجر العسقلاني، ويقع كتاب (المواهب) في مجلدين كبيرين، قام بتحقيقه الشيخ صالح أحمد الشامي في أربعة أجزاء، وطبعه في المكتب الإسلامي. ويعد (المواهب) أحد الكتب المعتمدة في هذا الشأن، وهي:

١ ـ (السيرة النبوية) لعبدالملك بن هشام [النحوي]، إمام السير والمغازي بلا منازع، والمتوفىٰ سنة ٢١٨هـ.

٢ ـ (الشفا بتعريف حقوق المصطفىٰ) للقاضي عياض بن موسىٰ اليحصبي الأندلسي المتوفىٰ سنة ٥٤٤هـ.

٣ ـ (عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسِّيَر) لمحمد بن محمد بن سيد الناس المتوفىٰ سنة ٧٣٤هـ.

٤ ـ (المواهب اللدنيّة بالمنح المحمدية) لأحمد بن محمد القسطلاّني المتوفىٰ سنة ٩٢٣هـ.

٥ ـ (سبل الهدىٰ والرشاد في سيرة خير العباد) المشهور بـ(السيرة الشامية) لمحمد بن يوسف بن علي الصالحي المتوفىٰ سنة ٩٤٢هـ، وقد جمعه من ألف كتاب.

٦ ـ (إنسان العيون في سيرة الأمين المأمون) المعروف بـ(السيرة الحلبية) لعلي بن برهان الدين الحلبي المتوفىٰ سنة ١٠٤٤هـ.

كما ذكر ذلك أحمد بن زيني بن أحمد دحلان في مقدمة كتابه (السيرة النبوية والآثار المحمدية) فقال: «لَمّا منَّ الله تعالىٰ عليَّ بقراءة (الشفا في حقوق المصطفىٰ) يسَّر الله لي مطالعة جملة من شروحه، مع مراجعة (المواهب) وشرحها للعلامة الزُّرقاني، ومع مراجعة شيء من كتب السِّيَر كـ(سيرة ابن سيد الناس) و(سيرة ابن هشام) و(السيرة الشامية) و(السيرة الحلبية)، وهذه الكتب هي أصح الكتب المؤلفة في هذا الشأن، فأحببت أن ألخّص ما احتوت عليه من سيرته ومن المعجزات. . .» اهـ.

وقد قام بشرح (المواهب اللدنيّة) العلامة محمد بن عبدالباقي بن يوسف الزُّرقاني المصري المالكي المتوفىٰ سنة ١١٢٢ في ثمانية مجلدات.

❁ ❁ ❁

الأنوار المحمدية

من المواهب اللدنية

للعلامة

الشيخ يوسف النبهاني

المتوفى سنة ١٣٥٠ هـ

حققه وعلق عليه

ماجد الحموي

[مقدمة المؤلف]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

أَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي اصْطَفَى آدَمَ وَنُوحاً وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ، وَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْعَرَبَ، وَمِنْهُمْ قُرَيْشاً، وَمِنْهُمْ بَنِي هَاشِمٍ، وَمِنْهُمْ حَبِيبَهُ مُحَمَّداً سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ؛ فَهُوَ ﷺ صَفْوَةُ الْمُصْطَفَيْنَ الأَخْيَارِ، وَنُخْبَةُ النُّخَبِ وَخِيَارُ الْخِيَارِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ صَلاَةً كَامِلَةً دَائِمَةً يُشَارِكُ فِيهَا الأَزَلَ الأَبَدُ، وَلا يُشَارِكُهُ فِيهَا مِنْ خَلْقِ اللَّهِ أَحَدٌ، صَلاَةً لاَ تُخْبَرُ فَتُحَدَّ، وَلاَ تُحْصَرُ فَتُعَدَّ، صَلاَةً نِهَايَةُ أَعْلَى دَرَجَاتِ الْمُقَرَّبِينَ، لاَ تَصِلُ إِلَى بِدَايَتِهَا فِي الأَزَلِ وَلاَ بِدَايَةَ، وَلَمْ تَزَلْ دَائِمَةَ التَّرَقِّي فِي كُلِّ لَمْحَةٍ، وَلَنْ تَزَالِ كَذَٰلِكَ فَلَيْسَ لَهَا نِهَايَةٌ، وَعَلَى آلِهِ الأَقْرَبِينَ، وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَصَحْبِهِ نُجُومِ الْمُهْتَدِينَ، وَرُجُومِ الْمُعْتَدِينَ، وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَقُولُ الْفَقِيرُ الْمُذْنِبُ يُوسُفُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ النَّبْهَانِيُّ، غَفَرَ اللَّهُ زَلَلَهُ، وَقَبِلَ عَمَلَهُ، وَبَلَّغَهُ مِنْ كُلِّ خَيْرٍ فِي الدَّارَيْنِ أَمَلَهُ: لاَ يَخْفَى أَنَّ سَيِّدَنَا وَمَوْلاَنَا وَنَبِيَّنَا أَبَا الْقَاسِمِ مُحَمَّداً ﷺ، هُوَ فِي كُلِّ وَصْفٍ جَمِيلٍ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَالْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، وَجَمِيعِ عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ، وَكَافَّةِ الْخَلْقِ أَجْمَعِينَ، إِفْرَاداً وَإِجْمَالاً ـ أَيْ: أَنَّهُ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ عَلَى حِدَتِهِ، وَأَفْضَلُ مِنْ مَجْمُوعِهِمْ لَوِ اجْتَمَعُوا ـ بِمَعْنَى أَنَّ جَمِيعَ فَضَائِلِهِمْ لَوِ

اجْتَمَعَتْ فِي كَفَّةِ مِيزَانٍ، وَفَضَائِلَهُ ﷺ فِي الْكَفَّةِ الْأُخْرَى؛ لَرَجَحَتْ فَضَائِلُهُ ﷺ عَلَى فَضَائِلِهِمْ وَمَا أَحْسَنَ مَا قُلْتُهُ فِي مَطْلَعِ الْقَصِيدَةِ الثَّانِيَةِ إِحْدَى الْقَصَائِدِ السَّبْعِ الَّتِي خَتَمْتُ بِهَا كِتَابِي «أَفْضَلَ الصَّلَوَاتِ عَلَى سَيِّدِ السَّادَاتِ» وَكُلُّهَا تَخَامِيسُ عَلَى نَحْوِ هٰذا الأُسْلُوبِ الْحَسَنِ:

سَيِّدُ الرُّسْلِ قَدْرُهُ مَعْلُومُ ... أَيْنَ مِنْهُ الْمَسِيحُ؟ أَيْنَ الْكَلِيمُ؟
أَيْنَ نُوحٌ؟ وَأَيْنَ إِبْرَاهِيمُ؟ ... كُلُّهُمْ عَنْ مَقَامِهِ مَفْطُومُ
فَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالتَّسْلِيمُ

أَيْنَ جِبْرِيلُ؟ أَيْنَ إِسْرَافِيلُ؟ ... أَيْنَ مِيكَالُ أَيْنَ عِزْرَائِيلُ؟
فَعَلَيْهِمْ طُرًّا لَهُ التَّفْضِيلُ ... وَبِمِعْرَاجِهِ دَلِيلٌ قَوِيمُ
فَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالتَّسْلِيمُ

أَيْنَ كُلُّ الْعَوَالِمِ الْعُلْوِيَّهْ؟ ... أَيْنَ كُلُّ الْعَوَالِمِ السُّفْلِيَّهْ؟
أَيْنَ كُلُّ الْوَرَى بِكُلِّ مَزِيَّهْ؟ ... إِنَّمَا فَوْقَهُ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ
فَعَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالتَّسْلِيمُ

إِذَا عَلِمْتَ ذٰلِكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لاَ سَبِيلَ إِلَى فَضَائِلِهِ ﷺ وَمَزَايَاهُ، مَعْرِفَةً تُحِيطُ بِهَا مِنْ كُلِّ الْوُجُوهِ، وَلَوِ اجْتَمَعَ لِذٰلِكَ كُلُّ مَنْ عَدَاهُ، إِذْ لاَ يَعْرِفُ حَقِيقَتَهُ، وَلاَ يُحِيطُ بِفَضَائِلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلاَّ اللّٰهُ، وَمَا زَالَ مَهَرَةُ الْعُلَمَاءِ يَغُوصُونَ فِي لُجَجِ بحُورِهَا الزَّوَاخِرِ، فَيَسْتَخْرِجُونَ مِنْهَا رَوَائِعَ اللآلِي وَبَدَائِعَ الْجَوَاهِرِ، فَمِنْهُمْ مَنْ نَظَمَهَا عُقُوداً زَيَّنَ بِهَا جِيدَ الزَّمَانِ، وَمِنْهُمْ مَنْ نَثَرَهَا عَلَى بِسَاطِ الْبَسِيطَةِ فَاسْتَغْنَى بِهَا أَهْلُ الْمَعْرِفَةِ وَالإِيمَانِ، أَلَّفُوا فِيهَا الْكُتُبَ وَدَوَّنُوا الدَّوَاوِينَ، وَرَوَوْا أَخْبَارَهَا عَنْ كُلِّ صَادِقٍ أَمِينٍ، فَمِنْهُمْ مَنْ اخْتَصَرَ فِي تَأْلِيفِهِ فَأَجَادَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أَطَالَ فَأَطَابَ وَأَفَادَ، وَمِنْهُمْ مَنْ تَوَسَّطَ وَكَانَ مَذْهَبُهُ حُسْنَ الاقْتِصَادِ.

فَمِنَ الْمُخْتَصِرِينَ: الإِمَامُ الْبَارِعُ «الْقَاضِي عِيَاضٌ» وَحَسْبُكَ بِكِتَابِهِ الشِّفَاءِ الَّذِي سَارَ فِي الآفَاقِ، وَوَقَعَ عَلَى قَبُولِهِ الاتِّفَاقُ.

وَمِنَ الْمُطَوِّلِينَ الإِمَامُ الْهُمَامُ «الْحَسَنُ بْنُ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الأَنْصَارِيُّ» لَمْ أَطَّلِعْ عَلَى كِتَابِهِ، وَإِنَّمَا رَأَيْتُ فِي آخِرِ «نَفح الطِّيبِ» بَعْدَ أَنْ نَقَلَ مِنْهُ شَيْئاً مِنَ الْمَدَائِحِ النَّبَوِيَّةِ مَا نَصُّهُ: نَقَلْتُهُ مِنَ الْمُجَلَّدِ الْخَامِسِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ كِتَابِ مُنْتَهى السُّولِ فِي مَدْحِ الرَّسُولِ، لِلْحَسَنِ بْنِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ عُذرَةَ الْمغْرِبيِّ الأَنْصَارِيِّ، رَحِمَهُ اللّهُ تَعَالَى وَرَضِيَ عَنْهُ، انتهى.

وَمِنَ الْمُتَوَسِّطِينَ: الإِمَامُ الْعَلاَّمَةُ الشَّيْخُ أَحْمَدُ شِهَابُ الدِّينِ الْقَسْطَلاَّنِيُّ فِي كِتَابِهِ «الْمَوَاهِبَ اللَّدُنِيَّةِ بِالْمِنَحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ» وَهُوَ مُجَلَّدَانِ ضَخْمَانِ، سَارَتْ بِهِ الرُّكْبَانُ، فِي سَائِرِ الْبُلْدَانِ، وَلَمْ يَشْتَهِرْ أَنْفَعُ مِنْهُ مِنْ مُؤلَّفَاتِ هٰذَا الشَّانِ، إلاَّ أَنَّ مُؤلِّفَهُ رَحِمَهُ اللّهُ وَنَفَعَنَا بِهِ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الاسْتِطْرَادِ إِلَى دَلاَئِلَ أُصُولِيَّةٍ، وَمَسَائِلَ فُرُوعِيَّةٍ، وَمُنَاقَشَاتٍ مَذْهَبِيَّةٍ، وَمَبَاحِثَ خِلاَفِيَّةٍ، وَشَحَنَهُ بِفَرَائِدَ بَهِيَّةٍ وُجِدَتْ فِي غَيْرِ مَكَانِهَا، وَفَوَاكِهَ شَهِيَّةٍ أَتَتْ فِي غَيْرِ زَمَانِهَا، وَهُوَ رَحِمَهُ اللّهُ صَرَّحَ بِذٰلِكَ فِي الْفَصْلِ الثَّالِثِ مِنَ الْمَقْصِدِ السَّابِعِ عِنْدَ الْكَلاَمِ عَلَى أَهْلِ بَيْتِهِ ﷺ فَقَالَ: وَقَدْ أَطَلْتُ الْمَقَالَ، وَإِنَّمَا جَرَّنِي إِلَى ذٰلِكَ ذِكْرُ حَمْلِ الصِّدِّيقِ لِلْحَسَنِ عَلَى عَاتِقِهِ، ثُمَّ قَالَ بَعْدَ أَسْطُرٍ: وَهٰذَا وَقَعَ لِي كَثِيراً فِي هٰذَا الْمَجْمُوعِ، بَلْ فِي غَالِبِهِ، لٰكِنَّهُ لاَ يَخْلُو مِنْ فَرَائِدِ الْفَوَائِدِ، انتهى.

فَكَانَ كِتَابُهُ رَحِمَهُ اللّهُ بِذٰلِكَ كَثِيرَ الْعِلْمِ، كَبِيرَ الْحَجْمِ، وَصَارَ عَزِيزَ الْحُصُولِ، مَقْصُورَ النَّفْعِ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ، وَمَعْ كَثْرَةِ تَدَاوُلِهِ بَيْنَ الْعُلَمَاءِ الأَعْلاَمِ، وَظُهُورِ وُجُوبِ اخْتِصَارِهِ لِيَنْتَفِعَ بِهِ الْخَاصُّ وَالْعَامُّ؛ لَمْ أَرَ لَهُ مُخْتَصَراً، وَلَمْ أَسْمَعْ لَهُ خَبَراً، مَعَ اطِّلاَعِي مِنْ أَسْمَاءِ الْكُتُبِ عَلَى مَا لاَ أَكَادُ أُحْصِيهِ، نَعَمْ رَأَيْتُ بَعْدَ شُرُوعِي بِاخْتِصَارِهِ فِي خُلاَصَةِ الأَثَرِ فِي تَرْجَمَةِ الْعَلاَّمَةِ الشَّيْخِ أَحْمَدَ الْوَارِثِيِّ: أَنَّهُ شَرَعَ فِي اخْتِصَارِهِ وَمَاتَ قَبْلَ إِكْمَالِهِ رَحِمَهُ اللّهُ. وَقَدْ وَفَّقَنِي اللّهُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَالْمِنَّةُ لاخْتِصَارِهِ بِحَذْفِ مَا ذَكَرْتُهُ مِنَ

الْمَبَاحِثِ الزَّوَائِدِ، مَعَ اسْتِيفَاءِ مَا يَتَعَلَّقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَخْبَارِ والْفَوَائِدِ، اخْتَصَرْتُهُ أَحْسَنَ الاخْتِصَارِ، اقْتَصَرْتُ بِهِ مِنْهُ عَلَى لُبَابِهِ، وَجَرَّدْتُ سَيْفَهُ الصَّقِيلَ مِنْ قِرَابِهِ، وَأَمَطْتُ عَنْ وَجْهِهِ الْجَمِيلِ سِتَارَ نِقَابِهِ، وَأَزَلْتُ عَنْ بَدْرِهِ الْمُنِيرِ حِجَابَ سَحَابِهِ، فَكَانَ مُسْتَوْفِياً لِكَافَّةِ شُرُوطِ الْحُسْنِ وَجَمِيعِ أَسْبَابِهِ، وَقَدْ جَاءَ بِحَمْدِ اللهِ أَقَلَّ مِنْ نِصْفِ حَجْمِهِ، مَعْ بَقَاءِ كُلِّ الْمَقْصُودِ مِنْ عِلْمِهِ، وَصَارَ سَهْلَ الْحُصُولِ مَعْ سُهُولَةِ فَهْمِهِ، إِذْ جَمَعْتُ أَشْتَاتَ مَعَانِيهِ، وَضَمَمْتُ كُلَّ شَكْلٍ إِلَىٰ شَكْلِهِ، وَجَعَلْتُهُ بِحَالَةٍ مَأْلُوفَةٍ لاَ عُذْرَ مَعَهَا لِمُؤْمِنٍ فِي جَهْلِهِ، مَعَ الْحِرْصِ عَلَى بَقَاءِ عَبَارَاتِ مُصَنِّفِهِ الْعَلاَّمَةِ النِّحْرِيرِ، وَرُبَّمَا تَصَرَّفْتُ بِهَا فِي النَّزْرِ النَّادِرِ بِتَقْدِيمٍ وَتَأْخِيرٍ، أَوْ إِكْمَالِ حَدِيثٍ أَوْ تَبْدِيلٍ يَسِيرٍ، أَوْ زِيَادَةِ تَفْسِيرٍ مِنَ الشَّارِحِ أَوْ نِهَايَةِ ابْنِ الأَثِيرِ، عَقِبَ بَعْضِ الأَلْفَاظِ الْغَرِيبَةِ الَّتِي تَرَكَهَا بِلاَ تَفْسِيرٍ.

وَلَمَّا تَمَّ اخْتِصَارُهُ، وَأَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ سَمَّيْتُهُ «**الأَنْوَارَ الْمُحَمَّدِيَّةَ مِنَ الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِيَّةِ**» فَدُونَكَهُ مُخْتَصَراً طَابَ أَصْلُهُ فَطَابَ، وَتَجَلَّتْ شُمُوسُ مَعَانِيهِ مِنْ تَحْتِ سَحَابِ الإِسْهَابِ، جَمَعَ مِنْ فَضَائِلِهِ وَشُؤُونِهِ ﷺ مَا لَمْ يَجْمَعْهُ فِي حَجْمِهِ كِتَابٌ، وَاشْتَرَكَ فِي سُهُولَةِ فَهْمِهِ وَالانْتِفَاعِ بِعِلْمِهِ الْعَامَّةُ وَالْعُلَمَاءُ وَالطُّلاَّبُ، فَأَسْأَلُ اللهَ الْعَظِيمَ، رَبَّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ، أَنْ يَجْعَلَهُ سَبَباً لِمَحَبَّتِهِ وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ الرَّؤُوفِ الرَّحِيمِ، وَأَنْ يَنْفَعَنِي وَالْمُسْلِمِينَ بِهِ كَمَا نَفَعَ بِأَصْلِهِ الأَصِيلِ، وَأَنْ يَتَقَبَّلَهُ مِنِّي وَيَعْفُوَ بِهِ عَنِّي وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ الْوَكِيل. وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ لاَ يُغْنِي عَنِ اقْتِنَاءِ أَصْلِهِ الْمَوَاهِبِ اللَّدُنِيَّةِ، فَقَدْ جَمَعَتْ أَشْتَاتَ الْعُلُومِ الدِّينِيَّةِ زِيَادَةً عَلَى الْمِنَحِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، فَلاَ يَسْتَغْنِي عَنْهَا أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ الأَعْلاَمِ، فَضْلاً عَمَّنْ دُونَهُمْ مِنْ أَفَاضِلِ الإِسْلاَمِ، وَإِنِّي أَرْوِيهَا بِالإِجَازَةِ مِنْ جُمْلَةِ طُرُقٍ، مِنْهَا طَرِيقُ أُسْتَاذِي الْعَلاَّمَةِ الإِمَامِ الشَّيْخِ إِبْرَاهِيمَ السَّقَّا الْمِصْرِيِّ رَحِمَهُ اللّهُ، وَهُوَ عَنْ عِدَّةِ أَشْيَاخٍ مِنْهُمُ الشَّيْخُ ثُعَيْلِبٌ عَنْ شَيْخَيْهِ الأَحْمَدَيْنِ

الْمُلَّوِيّ وَالْجَوْهَرِيّ، وَهُمَا عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ سَالِم الْبَصْرِيّ، عَنِ الشَّيْخِ مَنْصُورِ الطُّوخِيِّ، عَنِ الشَّيْخِ سُلْطَانِ الْمَزَّاحِيِّ، عَنِ الشَّيْخِ نُورِ الدِّينِ الزِّيَّادِيِّ، عَنْ قُطْبِ الْوُجُودِ أَبِي الْحَسَنِ الْبَكْرِيِّ، عَنْ مُؤَلِّفِهَا الشَّيْخِ شِهَابِ الدِّينِ الْقَسْطَلاَّنِيِّ، وَكُلُّهُمْ أَئِمَّةٌ شَافِعِيُّونَ، وَجَمِيعُهُمْ مِصْرِيُّونَ، مَا عَدَا عَبْدَاللّهِ بْنَ سَالِمٍ، رَحِمَهُمُ اللّهُ وَنَفَعَنَا بِهِمْ.

وَجَعَلْتُ تَرْتِيبَ هٰذَا الْمُخْتَصَرِ كَأَصْلِهِ الْمَوَاهِبِ اللَّدُنيَّةِ **عَلَى عَشَرَةِ مَقَاصِدَ:**

الْمَقْصِدُ الأَوَّلُ: فِي تَشْرِيفِ اللّهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلاَمُ، بِسَبْقِ نُبُوَّتِهِ فِي الأَزَلِ، وَطَهَارَةِ نَسَبِهِ، وَآيَاتِ حَمْلِهِ وَوِلاَدَتِهِ، وَرَضَاعِهِ وَحَضَانَتِهِ، وَأَخْبَارِ بِعْثَتِهِ وَهِجْرَتِهِ، وَمَغَازِيهِ وَسَرَايَاهُ، وَبُعُوثِهِ وَسِيرَتِهِ، مُرَتَّباً عَلَى السِّنِينَ مِنْ حِينِ نَشْأَتِهِ إِلَى وَقْتِ وَفَاتِهِ ﷺ.

الْمَقْصِدُ الثَّانِي: فِي ذِكْرِ أَسْمَائِهِ الشَّرِيفَةِ، وَأَوْلاَدِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ، وَإِخْوَتِهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَجَدَّاتِهِ، وَخَدَمِهِ وَمَوَالِيهِ وَحَرَسِهِ، وَكُتَّابِهِ وَكُتُبِهِ إِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ، وَمُؤَذِّنِيهِ وَخُطَبَائِهِ، وَحُدَاتِهِ وَشُعَرَائِهِ، وَآلاَتِ حُرُوبِهِ وَدَوَابِّهِ، وَالْوَافِدِينَ إِلَيْهِ ﷺ، وَفِيهِ عَشَرَةُ فُصُولٍ.

الْمَقْصِدُ الثَّالِثُ: فِيمَا فَضَّلَهُ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ مِنْ كَمَالِ خِلْقَتِهِ، وَجَمَالِ صُورَتِهِ، وَأَخْلاَقِهِ الزَّكِيَّةِ، وَأَوْصَافِهِ الْمَرْضِيَّةِ، وَمَا تَدْعُو ضَرُورَةُ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ ﷺ، وَهٰذَا الْمَقْصِدُ جَامِعٌ لِشَمَائِلِهِ الشَّرِيفَةِ، عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ.

الْمَقْصِدُ الرَّابِعُ: فِي مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، الدَّالَّةِ عَلَى ثُبُوتِ نُبُوَّتِهِ، وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ، وَمَا خَصَّهُ اللّهُ بِهِ مِنْ خَصَائِصِ آيَاتِهِ، وَبَدَائِعِ كَرَامَاتِهِ ﷺ، وَفِيهِ فَصْلاَنِ.

الْمَقْصِدُ الْخَامِسُ: فِي تَخْصِيصِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِخَصَائِصِ الْمِعْرَاجِ وَالإِسْرَاءِ، وَتَعْمِيمِهِ بِعُمُومِ لَطَائِفِ التَّكْرِيمِ فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ بِالْمُكَالَمَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ الْكُبْرَى(١).

الْمَقْصِدُ السَّادِسُ: فِيمَا وَرَدَ فِي آيِ التَّنْزِيلِ مِنْ تَعْظِيمِ قَدْرِهِ، وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ، وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى لَهُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ، وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَأَخْذِهِ تَعَالَى لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ؛ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ، وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وَالتَّنْوِيهِ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ، كَالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ، وَفِيهِ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ.

الْمَقْصِدُ السَّابِعُ: فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَالاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ، وَفَرْضِ مَحَبَّةِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَحُكْمِ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ﷺ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ.

الْمَقْصِدُ الثَّامِنُ: فِي طِبِّهِ ﷺ لِذَوِي الأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ، وَتَعْبِيرِهِ الرُّؤْيَا، وَإِنْبَائِهِ بِالأَنْبَاءِ الْمُغَيَّبَاتِ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ.

الْمَقْصِدُ التَّاسِعُ: فِي لَطِيفَةٍ مِنْ حَقَائِقِ عِبَادَاتِهِ ﷺ، وَفِيهِ سَبْعَةُ أَنْوَاعٍ.

الْمَقْصِدُ الْعَاشِرُ: فِي إِتْمَامِ اللّهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ، بِوَفَاتِهِ ﷺ وَنُقْلَتِهِ إِلَيْهِ، وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ، وَمَسْجِدِهِ الْمُنِيفِ، وَتَفْضِيلِهِ فِي الآخِرَةِ بِفَضَائِلِ الأَوَّلِيَّاتِ، وَتَشْرِيفِهِ بِخَصَائِصِ الزُّلْفَى، فِي مَشْهَدِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَتَخْصِيصِهِ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فِي مَجْمَعِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَتَرَقِّيهِ ﷺ فِي الْجَنَّاتِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ.

---

(١) وهو أجمع المؤلفات المتداولة كما ذكر في الفهرس.

المقصِد الأول

فِي تَشْرِيفِ اللّهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِسَبْقِ نُبُوَّتِهِ فِي الأَزَلِ، وَطَهَارَةِ نَسَبِهِ، وَآيَاتِ حَمْلِهِ وَوِلاَدَتِهِ وَرَضَاعِهِ وَحَضَانَتِهِ، وَأَخْبَارِ بِعْثَتِهِ وَهِجْرَتِهِ وَمَغَازِيهِ وَسَرَايَاهُ وَبُعُوثِهِ وَسِيرَتِهِ؛ مُرَتَّباً عَلَى السِّنِينَ، مِنْ حِينِ نَشْأَتِهِ، إِلَى وَقْتِ وَفَاتِهِ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّهُ لَمَّا تَعَلَّقَتْ إِرَادَةُ الْحَقِّ تَعَالَى بِإِيجَادِ خَلْقِهِ أَبْرَزَ الْحَقِيقَةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ مِنْ أَنْوَارِهِ، ثُمَّ سَلَخَ مِنْهَا الْعَوَالِمَ كُلَّهَا عُلْوَهَا وَسُفْلَهَا، ثُمَّ أَعْلَمَهُ بِنُبُوَّتِهِ، وَآدَمُ لَمْ يَكُن إِلاَّ كَمَا قَالَ ﷺ: «**بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**»(١) ثُمَّ انْبَجَسَتْ مِنْهُ ﷺ عُيُونُ الأَرْوَاحِ، فَهُوَ الْجِنْسُ الْعَالِي عَلَى جَمِيعِ الأَجْنَاسِ، وَالأَبُ الأَكْبَرُ لِجَمِيعِ الْمَوْجُودَاتِ.

وَلَمَّا انْتَهَى الزَّمَانُ بِاسْمِ الْبَاطِنِ فِي حَقِّهِ ﷺ إِلَى وُجُودِ جِسْمِهِ، وَارْتِبَاطِ الرُّوحِ بِهِ؛ انْتَقَل حُكْمُ الزَّمَانِ إِلَى الاسْمِ الظَّاهِرِ، وَظَهَرَ مُحَمَّدٌ ﷺ بِكُلِّيَّتِهِ جِسْماً وَرُوحاً، فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ كَتَبَ مَقَادِيرَ الْخَلْقِ قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ بِخَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ**».

وَمِنْ جُمْلَةِ مَا كَتَبَ فِي الذِّكْرِ (وَهُوَ أُمُّ الْكِتَابِ): إِنَّ مُحَمَّداً خَاتِمُ النَّبِيِّينَ.

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ لَخَاتِمُ**

---

(١) سيأتي تخريجه بعد قليل.

النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ»[١] أَيْ طَرِيحٌ مُلْقًى قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ فِيهِ.

وَعَنْ مَيْسَرَةَ الضَّبِّيِّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَتَى كُنْتَ نَبِيًّا؟ قَالَ: **«وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ»**[٢].

وَعَنْ سُهَيْلِ[٣] بْنِ صَالِحٍ الْهَمْدَانِيِّ قَالَ: سَأَلْتُ أَبَا جَعْفَرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَلِيٍّ كَيْفَ صَارَ مُحَمَّدٌ ﷺ يَتَقَدَّمُ الأَنْبِيَاءَ وَهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ؟ قَالَ: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمَّا أَخَذَ مِنْ بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّاتِهِمْ وأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؛ كَانَ مُحَمَّدٌ ﷺ أَوَّلَ مَنْ قَالَ: بَلَى، وَلِذٰلِكَ صَارَ يَتَقَدَّمُ الأَنْبِيَاءَ وَهُوَ آخِرُ مَنْ بُعِثَ[٤].

وَعَنِ الشَّيْخِ تَقِيِّ الدِّينِ السُّبْكِيِّ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ[٥]: أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ الأَرْوَاحَ قَبْلَ الأَجْسَادِ، فَالإِشَارَةُ بِقَوْلِهِ ﷺ: **«كُنْتُ نَبِيًّا»** إِلَى رُوحِهِ الشَّرِيفَةِ أَوْ إِلَى حَقِيقَتِهِ، وَالْحَقَائِقُ تَقْصُرُ عُقُولُنَا عَنْ مَعْرِفَتِهَا، وَإِنَّمَا يَعْلَمُهَا خَالِقُهَا وَمَنْ أَمَدَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِنُورٍ إِلٰهِيٍّ، فَحَقِيقَةُ النَّبِيِّ ﷺ قَدْ آتَاهَا اللَّهُ وَصْفَ النُّبُوَّةِ مِنْ قَبْلِ خَلْقِ آدَمَ، إِذْ خَلَقَهَا مُتَهَيِّئَةً لِذٰلِكَ، وَأَفَاضَهُ عَلَيْهَا مِنْ ذٰلِكَ الْوَقْتِ فَصَارَ نَبِيًّا، وَكَتَبَ اسْمَهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَأَخْبَرَ عَنْهُ بِالرِّسَالَةِ لِيُعْلِمَ مَلائِكَتَهُ وَغَيْرَهُمْ كَرَامَتَهُ عِنْدَهُ، فَحَقِيقَتُهُ مَوْجُودَةٌ مِنْ ذٰلِكَ الْوَقْتِ وَإِنْ تَأَخَّرَ جَسَدُهُ الشَّرِيفُ الْمُتَّصِفُ بِهَا.

وَعَنِ الشَّعْبِيِّ: قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهُ مَتَى اسْتُنْبِئْتَ؟ قَالَ: **«وَآدَمُ**

---

(١) رواه أحمد والبيهقي والحاكم وقال: صحيح الإسناد.
(٢) رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، والحاكم وصححه، وأقرّه الذهبي.
(٣) في المواهب اللدنية وشرحها سهل.
(٤) رواه ابن أبي شيبة، وابن مردويه، وأبو نعيم في الدلائل، والديلمي، وابن عساكر.
(٥) عند الطبراني في الأوسط والصغير.

بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ حِينَ أُخِذَ مِنِّي الْمِيثَاقُ»[١]، فَهُوَ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلْقاً وَآخِرُهُمْ بَعْثاً.

وَعَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُ ﷺ خُصَّ بِاسْتِخْرَاجِهِ مِنْ ظَهْرِ آدَمَ قَبْلَ نَفْخِ الرُّوحِ لأَنَّهُ ﷺ هُوَ الْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِ النَّوْعِ الإِنْسَانِيِّ، وَهُوَ عَيْنُهُ وَخُلاَصَتُهُ وَوَاسِطَةُ عِقْدِهِ.

وَرُوِيَ عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْعَثِ اللّٰهُ نَبِيًّا مِنْ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ إِلاَّ أَخَذَ عَلَيْهِ الْعَهْدَ فِي مُحَمَّدٍ ﷺ؛ لَئِنْ بُعِثَ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ، وَيَأْخُذُ بِذٰلِكَ الْعَهْدَ عَلَى قَوْمِهِ، وَهُوَ يُرْوَى عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَيْضاً.

وَقِيلَ: إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَمَّا خَلَقَ نُورَ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ أَمَرَهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى أَنْوَارِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَغَشِيَهُمْ مِنْهُ مَا أَنْطَقَهُمُ اللّٰهُ بِهِ فَقَالُوا: يَا رَبَّنَا مَنْ غَشِيَنَا نُورُهُ؟ فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: هٰذَا نُورُ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللّٰهِ، إِنْ آمَنْتُمْ بِهِ جَعَلْتُكُمْ أَنْبِيَاءَ، قَالُوا: آمَنَّا بِهِ وَبِنُبُوَّتِهِ، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: أَشْهَدُ عَلَيْكُمْ؟ قَالُوا: نَعَمْ، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾[٢].

قَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ السُّبْكِيُّ[٣]: (فِي هٰذِهِ الآيَةِ الشَّرِيفَةِ مِنَ التَّنْوِيهِ بِالنَّبِيِّ ﷺ وَتَعْظِيمِ قَدْرِهِ الْعَلِيِّ مَا لاَ يَخْفَى، وَفِيهَا مَعَ ذَلِكَ أَنَّهُ عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِ فِي زَمَانِهِمْ يَكُونُ مُرْسَلاً إِلَيْهِمْ، فَتَكُونُ نُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَكُونُ الأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ،

---

(١) رواه ابن سعد.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) في رسالته: (التعظيم والمنة في لتؤمنن به ولتنصرنه).

وَيَكُونُ قَوْلُهُ ﷺ: «وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»(١) لاَ يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَلْ يَتَنَاوَلُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضاً. وَيَتَبَيَّنُ بِهٰذَا مَعْنَى قَوْلِهِ ﷺ: «كُنْتُ نَبِيًا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ» فَإِذَا عُرِفَ هٰذَا فَالنَّبِيُّ ﷺ نَبِيُّ الأَنْبِيَاءِ، وَلِهٰذَا ظَهَرَ ذٰلِكَ فِي الآخِرَةِ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لِوَائِهِ، وَفِي الدُّنْيَا كَذٰلِكَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ صَلَّى بِهِمْ، وَلَو اتَّفَقَ مَجِيئُهُ فِي زَمَنِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمْ لَوَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَمِهِمْ الإِيمَانُ بِهِ وَنُصْرَتُهُ، وَبِذَلِكَ أَخَذَ اللّهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ).

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ قَالَ: لَمَّا أَرَادَ اللّهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ مُحَمَّداً ﷺ، أَمَرَ جِبْرِيلَ أَنْ يَأْتِيَهُ بِالطِّينَةِ الَّتِي هِيَ قَلْبُ الأَرْضِ وبَهَاؤُهَا وَنُورُهَا، قَالَ: فَهَبَطَ جِبْرِيلُ فِي مَلاَئِكَةِ الْفِرْدَوْسِ وَمَلاَئِكَةِ الرَّفِيقِ الأَعْلَى، فَقَبَضَ قَبْضَةَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ مَوْضِعِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ، وَهِيَ بَيْضَاءُ مُنِيرَةٌ؛ فَعُجِنَتْ بِمَاءِ التَّسْنِيمِ فِي مَعِينِ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ؛ حَتَّى صَارَتْ كَالدُّرَّةِ الْبَيْضَاءِ لَهَا شُعَاعٌ عَظِيمٌ، ثُمَّ طَافَتْ بِهَا الْمَلاَئِكَةُ حَوْلَ الْعَرْشِ وَالْكُرْسِيِّ، وَفِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ وَالْبِحَارِ، فَعَرَفَتِ الْمَلاَئِكَةُ وَجَمِيعُ الْخَلْقِ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً وَفَضْلَهُ قَبْلَ أَنْ تَعْرِفَ آدَمَ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَصْلُ طِينَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ سُرَّةِ الأَرْضِ بِمَكَّةَ، وَمِنْ مَوْضِعِ الْكَعْبَةِ دُحِيَتِ الأَرْضُ؛ فَصَارَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ هُوَ الأَصْلُ فِي التَّكْوِينِ وَالْكَائِنَاتُ تَبَعٌ لَهُ.

وَعَنْ صَاحِبِ عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ(٢): أَنَّ الْمَاءَ ـ يَعْنِي فِي الطُّوفَانِ ـ لَمَّا تَمَوَّجَ رَمَى بِالزَّبَدِ إِلَى النَّوَاحِي فَوَقَعَتْ جَوْهَرَةُ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى مَا يُحَاذِي تُرْبَتَهُ بِالْمَدِينَةِ فَكَانَ ﷺ مَكِّيًا مَدَنِيًا.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) وهو عمر السهروردي.

وَيُرْوَى: أَنَّهُ لَمَّا خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالَى آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَلْهَمَهُ أَنْ قَالَ: يَا رَبِّ لِمَ كَنَّيْتَنِي أَبَا مُحَمَّدٍ؟ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: يَا آدَمُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَرَأَى نُورَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي سُرَادِقِ الْعَرْشِ، فَقَالَ: يَا رَبِّ مَا هٰذَا النُّورُ؟ قَالَ: هٰذَا نُورُ نَبِيٍّ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ، اسْمُهُ فِي السَّمَاءِ أَحْمَدُ وَفِي الأَرْضِ مُحَمَّدٌ، لَوْلاَهُ مَا خَلَقْتُكَ وَلاَ خَلَقْتُ سَمَاءً وَلاَ أَرْضاً.

وَرَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ بِسَنَدِهِ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللّٰهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ بِأَبِي أَنْتَ وأُمِّي أَخْبِرْنِي عَنْ أَوَّلِ شَيْءٍ خَلَقَهُ اللّٰهُ تَعَالَى قَبْلَ الأَشْيَاءِ؟ قَالَ: «**يَا جَابِرُ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى خَلَقَ نُورَ نَبِيِّكَ مِنْ نُورِهِ، فَجَعَلَ ذٰلِكَ النُّورُ يَدُورُ بِالْقُدْرَةِ حَيْثُ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى، وَلَمْ يَكُنْ فِي ذٰلِكَ الْوَقْتِ لَوْحٌ وَلاَ قَلَمٌ، وَلاَ جَنَّةٌ وَلاَ نَارٌ، وَلاَ مَلَكٌ، وَلاَ سَمَاءٌ وَلاَ أَرْضٌ، وَلاَ شَمْسٌ وَلاَ قَمَرٌ، وَلاَ جِنِّيٌّ وَلاَ إِنسِيٌّ، فَلَمَّا أَرَادَ اللّٰهُ تَعَالَى أَنْ يَخْلُقَ الْخَلْقَ قَسَمَ ذٰلِكَ النُّورَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ: فَخَلَقَ مِنَ الْجُزْءِ الأَوَّلِ الْقَلَمَ، وَمِنَ الثَّانِي اللَّوْحَ، وَمِنَ الثَّالِثِ الْعَرْشَ، ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَجْزَاءٍ: فَخَلَقَ مِنَ الْجُزْءِ الأَوَّلِ حَمَلَةَ الْعَرْشِ، وَمِنَ الثَّانِي الْكُرْسِيَّ، وَمِنَ الثَّالِثِ بَاقِيَ الْمَلاَئِكَةِ، ثُمَّ قَسَمَ الْجُزْءَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ: فَخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ السَّمٰوَاتِ، وَمِنَ الثَّانِي الأَرَضِينَ، وَمِنَ الثَّالِثِ الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، ثُمَّ الْقِسْمَ الرَّابِعَ أَرْبَعَةَ أَجْزَاءٍ: فَخَلَقَ مِنَ الأَوَّلِ نُورَ أَبْصَارِ الْمُؤْمِنِينَ، وَمِنَ الثَّانِي نُورَ قُلُوبِهِم، (وَهِيَ الْمَعْرِفَةُ بِاللّٰهِ تَعَالَى)، وَمِنَ الثَّالِثِ نُورَ أُنْسِهِمْ، وَهُو التَّوْحِيدُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ. . .**»[1].

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ الْحُسَيْنِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) قال الشيخ عبدالعزيز الخالدي في تعليقه علىٰ هذا الحديث في طبعته لشرح الزرقاني: حديث جابر هذا المنسوب إلىٰ عبدالرزاق خطأ، فهو غير موجود في مصنفه ولا جامعه ولا تفسيره، وقد حكم الشيخ عبدالله بن الصدّيق في رسالة (مرشد الحائر لبيان حديث جابر) علىٰ هذا الحديث بالوضع.

قَالَ: «كُنتُ نُوراً بَيْنَ يَدَيْ رَبِّي قَبْلَ خَلْقِ آدَمَ بِأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفَ عَامٍ»[1].

وَفِي الْخَبَرِ: لَمَّا خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالَى آدَمَ جَعَلَ ذٰلِكَ النُّورَ فِي ظَهْرِهِ، فَكَانَ يَلْمَعُ فِي جَبِينِهِ فَيَغْلِبُ عَلَى سَائِرِ نُورِهِ، ثُمَّ رَفَعَهُ اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى سَرِيرِ مَمْلَكَتِهِ وَحَمَلَهُ عَلَى أَكْتَافِ مَلائِكَتِهِ، وأَمَرَهُمْ فَطَافُوا بِهِ فِي السَّمٰوَاتِ لِيرَى عَجَائِبَ مَلَكُوتِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ خَلْقُهُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي[2] وَقْتِ الزَّوَالِ إِلَى الْعَصْرِ، ثُمَّ خَلَقَ اللّٰهُ تَعَالَى لَهُ حَوَّاءَ زَوْجَتَهُ مِنْ ضِلَعٍ مِنْ أَضْلاَعِهِ الْيُسْرَى وَهُوَ نَائِمٌ، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ وَرَآهَا سَكَنَ إِلَيْهَا، وَمَدَّ يَدَهُ لَهَا فَقَالَتْ لَهُ الْمَلائِكَةُ: مَهْ يَا آدَمُ، قَالَ: وَلِمَ وَقَدْ خَلَقَهَا اللّٰهُ لِي؟ فَقَالُوا: حَتَّى تُؤَدِّيَ مَهْرَهَا، قَالَ: وَمَا مَهْرُهَا؟ قَالُوا: تُصَلِّي عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَفِي رِوَايَةٍ عِشْرِينَ مَرَّةً.

وَرُوِيَ: أَنَّهُ لَمَّا خَرَجَ آدَمُ مِنَ الْجَنَّةِ رَأَى مَكْتُوباً عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ وَعَلَى كُلِّ مَوْضِعٍ فِي الْجَنَّةِ اسْمَ مُحَمَّدٍ ﷺ مَقْرُوناً بِاسْمِ اللّٰهِ تَعَالَى، فَقَالَ: يَا رَبِّ هٰذَا مُحَمَّدٌ مَنْ هُوَ؟ فَقَالَ: هٰذَا وَلَدُكَ الَّذِي لَوْلاَهُ مَا خَلَقْتُكَ، فَقَالَ: يَا رَبِّ بِحُرْمَةِ هٰذَا الْوَلَدِ ارْحَمْ هٰذَا الْوَالِدَ. فَنُودِيَ: يَا آدَمُ لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«لَمَّا اقْتَرَفَ آدَمُ الْخَطِيئَةَ قَالَ: يَا رَبِّ أَسْأَلُكَ بِحَقِّ مُحَمَّدٍ لَمَّا غَفَرْتَ لِي، فَقَالَ اللّٰهُ: يَا آدَمُ وَكَيْفَ عَرَفْتَ مُحَمَّداً وَلَمْ أَخْلُقْهُ؟ قَالَ: لأَنَّكَ يَا رَبِّ لَمَّا**

---

(١) هو في كتاب (الوهم والإيهام على الأحكام الكبرى لعبد الحق) لابن القطان مما ذكره ابن مرزوق عن علي...

(٢) الصواب: مِن، كما في المواهب.

خَلَقْتَنِي بِيَدِكَ وَنَفَخْتَ فِيَّ مِنْ رُوحِكَ رَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ عَلَى قَوَائِمِ الْعَرْشِ مَكْتُوباً: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ، فَعَلِمْتُ أَنَّكَ لَمْ تُضِفْ إِلَى اسْمِكَ إِلاَّ أَحَبَّ الْخَلْقِ إِلَيْكَ، فَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: صَدَقْتَ يَا آدَمُ إِنَّهُ لأَحَبُّ الْخَلْقِ إِلَيَّ، وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ، وَلَوْلاَ مُحَمَّدٌ مَا خَلَقْتُكَ وَهُوَ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ ذُرِّيَّتِكَ»(١).

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: هَبَطَ جِبْرِيلُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يَقُولُ: إِنْ كُنْتُ اتَّخَذْتُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً فَقَدِ اتَّخَذْتُكَ حَبِيباً، وَمَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْكَ، وَلَقَدْ خَلَقْتُ الدُّنْيَا وَأَهْلَهَا لأُعَرِّفَهُمْ كَرَامَتَكَ وَمَنْزِلَتَكَ عِنْدِي، وَلَوْلاَكَ مَا خَلَقْتُ الدُّنْيَا(٢).

❋ ❋ ❋

[النَّسب الشريف]

وَقَدْ وَلَدَتْ حَوَّاءُ مِنْ آدَمَ أَرْبَعِينَ وَلَداً فِي عِشْرِينَ بَطْناً، وَوَضَعَتْ شِيْثاً وَحْدَهُ كَرَامَةً لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَإِنَّ نُورَهُ انْتَقَلَ مِنْ آدَمَ إِلَى شِيثٍ، وَقَبْلَ وَفَاتِهِ جَعَلَهُ وَصِيًّا عَلَى وَلَدِهِ، ثُمَّ أَوْصَى شِيثٌ وَلَدَهُ بِوَصِيَّةِ آدَمَ أَنْ لاَ يَضَعَ هٰذَا النُّورَ إِلاَّ فِي الْمُطَهَّرَاتِ مِنَ النِّسَاءِ، وَلَمْ تَزَلْ هٰذِهِ الْوَصِيَّةُ جَارِيَةً تُنْقَلُ مِنْ قَرْنٍ إِلَى قَرْنٍ إِلَى أَنْ أَدَّى اللّٰهُ النُّورَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَوَلَدِهِ عَبْدِاللّٰهِ، وَطَهَّرَ اللّٰهُ هٰذَا النَّسَبَ الشَّرِيفَ مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ كَمَا وَرَدَ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الأَحَادِيثِ الْمَرْضِيَّةِ.

---

(١) رواه الحاكم وصححه، والبيهقي في (دلائل النبوة)، والطبراني.

(٢) رواه ابن عساكر.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا وَلَدَنِي مِنْ سِفَاحِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ، مَا وَلَدَنِي إِلاَّ نِكَاحُ الإِسْلاَمِ»**[١].

وَرَوَى هِشَامُ بْنُ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: كَتَبْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خَمْسَ مِئَةِ أُمٍّ[٢] فَمَا وَجَدْتُ فِيهِنَّ سِفَاحاً وَلاَ شَيْئاً مِمَّا كَانَ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«خَرَجْتُ مِنْ نِكَاحٍ وَلَمْ أَخْرُجْ مِنْ سِفَاحٍ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنْ وَلَدَنِي أَبِي وَأُمِّي، وَلَمْ يُصِبْنِي مِنْ سِفَاحِ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ شَيْءٌ»**[٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«لَمْ يَلْتَقِ أَبَوَايَ قَطُّ عَلَى سِفَاحٍ، لَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَنْقُلُنِي مِنَ الأَصْلاَبِ الطَّيِّبَةِ إِلَى الأَرْحَامِ الطَّاهِرَةِ مُصَفًّى مُهَذَّباً، لاَ تَتَشَعَّبُ شُعْبَتَانِ إِلاَّ كُنْتُ فِي خَيْرِهِمَا»**[٤].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَرَأَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿**لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفَسِكُمْ**﴾ بِفَتْحِ الْفَاءِ[٥] وَقَالَ: **«أَنَا أَنْفَسُكُمْ نَسَباً وَصِهْراً وَحَسَباً، لَيْسَ فِي آبَائِي مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ»**[٦].

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عَنِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ

---

(١) حديث غريب أورده الحافظ ابن عساكر، ثم أسنده من حديث أبي هريرة، وفي إسناده ضعف، ورواه البيهقي أيضاً.

(٢) أي: جَدَّة.

(٣) رواه عبدالرزاق في المصنف، وابن جرير، وابن أبي حاتم، والبيهقي، وأبو الشيخ، والطبراني في الأوسط، وأبو نعيم في الدلائل، وابن عساكر.

(٤) رواه أبو نعيم في الدلائل، ومالك بسند غريب جداً، فهو ضعيف.

(٥) سورة التوبة، الآية: ١٢٨، وهي قراءة شاذّة قرأ بها عبدالله بن قُسيط المكي، ورويت عن النبي ﷺ وعن فاطمة رضي الله عنها.

(٦) رواه ابن مردويه.

الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: قَلَّبْتُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا فَلَمْ أَرَ رَجُلاً أَفْضَلَ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَلَمْ أَرَ بَنِي أَبٍ أَفْضَلَ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ(١).

وَفِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**بُعِثْتُ مِنْ خَيْرِ قُرُونِ بَنِي آدَمَ قَرْناً فَقَرْناً حَتَّى كُنْتُ مِنَ الْقَرْنِ الَّذِي كُنْتُ مِنْهُ**».

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى كِنَانَةَ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَى قُرَيْشاً مِنْ كِنَانَةَ، وَاصْطَفَى مِنْ قُرَيْشٍ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ**».

وَعَنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ الْخَلْقَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ فِرْقَتِهِمْ**(٢) **وَخَيْرِ الْفَرِيقَيْنِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْقَبَائِلَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ الْقَبِيلَةِ، ثُمَّ تَخَيَّرَ الْبُيُوتَ فَجَعَلَنِي فِي خَيْرِ بُيُوتِهِمْ، فَأَنَا خَيْرُهُمْ نَفْساً وَخَيْرُهُمْ بَيْتاً**»(٣) أَيْ: خَيْرُهُمْ رُوحاً وَذَاتاً وَخَيْرُهُمْ أَصْلاً.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ اخْتَارَ خَلْقَهُ فَاخْتَارَ مِنْهُمْ بَنِي آدَمَ، ثُمَّ اخْتَارَ بَنِي آدَمَ، فَاخْتَارَ مِنْهُمُ الْعَرَبَ، ثُمَّ اخْتَارَنِي مِنَ الْعَرَبِ، فَلَمْ أَزَلْ خِيَاراً مِنْ خِيَارٍ، أَلاَ مَنْ أَحَبَّ الْعَرَبَ فَبِحُبِّي أَحَبَّهُمْ، وَمَنْ أَبْغَضَ الْعَرَبَ فَبِبُغْضِي أَبْغَضَهُمْ**»(٤).

وَاعْلَمْ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَمْ يَشْرَكْهُ فِي وِلاَدَتِهِ مِنْ أَبَوَيْهِ أَخٌ وَلاَ أُخْتٌ، لانْتِهَاءِ صَفْوَتِهِمَا إِلَيْهِ، وَقُصُورِ نَسَبِهِمَا عَلَيْهِ، لِيَكُونَ مُخْتَصًّا بِنَسَبٍ

---

(١) رواه أحمد، وأبو نعيم في الدلائل، والطبراني في الأوسط، والبيهقي وقال: هذه الأحاديث وإن كان في رواتها مَن لا يحتج به فبعضها يؤكد بعضاً. وقال في المواهب: قال الحافظ ابن حجر: لوائح الصحة ظاهر علىٰ صفحات هذا المتن.

(٢) في المواهب: فِرَقهم.

(٣) رواه أحمد والترمذي وحسّنه.

(٤) رواه الحاكم والبيهقي بسند غريب.

جَعَلَهُ اللّهُ تَعَالَى لِلنُّبُوَّةِ غَايَةً، وَلِتَمَام الشَّرَفِ نِهَايَةً، وَأَنْتَ إِذَا اخْتَبَرْتَ حَالَ نَسَبِهِ، وَعَلِمْتَ طَهَارَةَ مَوْلِدِهِ؛ تَيَقَّنْتَ أَنَّهُ سُلاَلَةُ آبَاءٍ كِرَامٍ.

فَهُوَ ﷺ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ الأَبْطَحِيُّ[١] الْحَرَمِيُّ الْهَاشِمِيُّ الْقُرَشِيُّ نُخْبَةُ بَنِي هَاشِمٍ، الْمُخْتَارُ الْمُنتَخَبُ مِنْ خَيْرِ بُطُونِ الْعَرَبِ وَأَعْرَقِهَا فِي النَّسَبِ وَأَشْرَفِهَا فِي الْحَسَبِ، وَأَنْضَرِهَا عُوداً وَأَطْوَلِهَا عَمُوداً، وَأَطْيَبِهَا أَرُومَةً وَأَعَزِّهَا جُرْثُومَةً[٢]، وَأَفْصَحِهَا لِسَاناً، وَأَوْضَحِهَا بَيَاناً، وَأَرْجَحِهَا مِيزَاناً، وَأَصَحِّهَا إِيمَاناً، وَأَعَزِّهَا نَفَراً، وَأَكْرَمِهَا مَعْشَراً مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ، وَمِنْ أَكْرَمِ بِلاَدِ اللّهِ عَلَى اللّهِ.

فَهُوَ سَيِّدُنَا وَمَوْلاَنَا مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللّهِ الذَّبِيحِ ابْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ[٣] (وَاسْمُهُ شَيْبَةُ الْحَمْدِ)[٤] بْنِ هَاشِمٍ[٥] (وَاسْمُهُ عَمْرٌو) بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ (وَاسْمُهُ الْمُغِيرَةُ) بْنِ قُصَيٍّ (وَاسْمُهُ مُجَمِّعٌ)[٦] بْنِ كِلاَبٍ[٧] (وَاسْمُهُ حَكِيمٌ) بْنِ مُرَّةَ بْنِ كَعْبٍ (وَكَانَتْ تَجْتَمِعُ إِلَيْهِ قُرَيْشٌ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَيَخْطُبُهُمْ وَيُذَكِّرُهُمْ بِمَبْعَثِ النَّبِيِّ ﷺ، وَيُعْلِمُهُمْ بِأَنَّهُ مِنْ وَلَدِهِ، وَيَأْمُرُهُمْ بِاتِّبَاعِهِ وَالإِيمَانِ بِهِ) ابْنِ لُؤَيٍّ[٨] بْنِ غَالِبِ بْنِ فِهْرٍ (وَاسْمُهُ قُرَيْشٌ)[٩] بْنِ مَالِكِ بْنِ النَّضْرِ[١٠] (وَاسْمُهُ

---

(١) نسبة إلىٰ أبطح مكة (وهو مسيل واديها).
(٢) أي: أصلاً.
(٣) وإنما قيل له عبدالمطلب لأن عمّه المطلب أردفه خلفه وكان بهيئة رثّة لفقره فقيل له: مَن هذا؟ فقال: عبدي، حياءً ممن سأله.
(٤) لأنه ولد وله شيبة مع رجاء حمد الناس له.
(٥) لقب بهاشم لكثرة ما هشم من الخبز لإطعام الناس.
(٦) بل زَيد، ولقب بمجمّع لأنه جمع قريشاً من متفرقات مواضعهم من جزيرة العرب.
(٧) سمّي بكلاب لأنه كان يكثر الصيد بها.
(٨) تصغير لأي (وهو الثور الوحشي).
(٩) تصغير قِرش السمك المعروف، سميت بذلك لقوّتها.
(١٠) اسم للذهب، لقّب به لنضارة كانت في وجهه.

قَيْسٌ) بْنِ كِنَانَةَ بْنِ خُزَيْمَةَ بْنِ مُدْرِكَةَ بْنِ الْيَاسِ[1] (وَيُذْكَرُ أَنَّهُ كَانَ يَسْمَعُ فِي صُلْبِهِ تَلْبِيَةَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْحَجِّ) ابْنِ مُضَرَ[2] بْنِ نِزَارِ (سُمِّيَ بِذٰلِكَ قِيلَ: لأَنَّهُ لَمَّا وُلِدَ وَنَظَرَ أَبُوهُ إِلَى نُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ بَيْنَ عَيْنَيْهِ فَرِحَ فَرَحاً شَدِيداً، وأَطْعَمَ وَقَالَ: إِنَّ هٰذَا كُلَّهُ نَزْرٌ ـ أَيْ قَلِيلٌ ـ بِحَقِّ هٰذَا الْمَوْلُودِ، فَسُمِّيَ نِزَاراً)[3] ابْنِ مَعَدِّ[4] بْنِ عَدْنَانَ.

قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ: أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ (وَالإِجْمَاعُ حُجَّةٌ)، عَلَى أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ إِنَّمَا انْتَسَبَ إِلَى عَدْنَانَ وَلَمْ يَتَجَاوَزْهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا انْتَسَبَ لَمْ يُجَاوِزْ مَعَدَّ بْنَ عَدْنَانَ، ثُمَّ يُمْسِكُ وَيَقُولُ: «**كَذَبَ النَّسَّابُونَ**» مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً[5].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: بَيْنَ عَدْنَانَ وَإِسْمَاعِيلَ ثَلاَثُونَ أَباً لاَ يُعْرَفُونَ.

❋ ❋ ❋

[زواج عبد المطلب]

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: أَنَّ نُورَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَمَّا صَارَ إِلَى عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَدْرَكَ نَامَ يَوْماً فِي الْحِجْرِ فَانْتَبَهَ مَكْحُولاً مَدْهُوناً، قَدْ كُسِيَ حُلَّةَ الْبَهَاءِ وَالْجَمَالِ، فَبَقِيَ مُتَحَيِّراً لاَ يَدْرِي مَنْ فَعَلَ بِهِ ذٰلِكَ، فَأَخَذَ أَبُوهُ بِيَدِهِ ثُمَّ انْطَلَقَ

---

(١) مصدر يئس، سمي بذلك لأنه وُلد بعد كبر سن أبيه.
(٢) وهو الأبيض، مشتق من اللبن الماضر (الحامض)، وسمي به لأنه كان يحب شربه، وقيل: اسمه عمرو.
(٣) والنزارة: القِلّة.
(٤) مِن تمعْدَدَ إذا اشتد.
(٥) رواه ابن سعد في الطبقات، وابن عساكر في التاريخ، والديلمي في مسند الفردوس. قال السهيلي: الأصح في هذا الحديث أنه من قول ابن مسعود.

بِهِ إِلَى كَهَنَةِ قُرَيْشٍ، فَأَشَارُوا عَلَيْهِ بِتَزْوِيجِهِ، فَزَوَّجَهُ، وَكَانَتْ تَفُوحُ مِنْهُ رَائِحَةُ الْمِسْكِ الأَذْفَرِ، وَنُورُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُضِيءُ فِي غُرَّتِهِ، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ إِذَا أَصَابَهَا قَحْطٌ شَدِيدٌ تَأْخُذُ بِيَدِهِ، فَتَخْرُجُ بِهِ إِلَى جَبَلِ ثَبِيرٍ فَيَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَيَسْأَلُونَهُ أَنْ يَسْقِيَهُمُ الْغَيْثَ، فَكَانَ يُغِيثُهُمْ وَيَسْقِيهِمْ بِبَرَكَةِ نُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

❊ ❊ ❊

[قدوم أبرهة لهدم الكعبة]

وَلَمَّا قَدِمَ أُبْرَهَةُ مَلِكُ الْيَمَنِ لِهَدْمِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ وَبَلَغَ ذٰلِكَ قُرَيْشاً قَالَ لَهُمْ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ: لاَ يَصِلُوا إِلَى هٰذَا الْبَيْتِ لأَنَّ لَهُ رَبًّا يَحْمِيهِ، ثُمَّ اسْتَاقَ أَبْرَهَةُ إِبِلَ قُرَيْشٍ وَغَنَمَهَا، وَكَانَ لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ فِيهَا أَرْبَعُ مِئَةِ نَاقَةٍ(١)، فَرَكِبَ فِي قُرَيْشٍ حَتَّى طَلَعَ جَبَلَ ثَبِيرٍ، فَاسْتَدَارَ نُورُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَبِينِهِ كَالْهِلاَلِ، وَانْعَكَسَ شُعَاعُهُ عَلَى الْبَيْتِ الْحَرَامِ، فَلَمَّا نَظَرَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ إِلَى ذٰلِكَ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ ارْجِعُوا فَقَدْ كُفِيتُمْ هٰذَ الأَمْرَ، فَوَاللَّهِ مَا اسْتَدَارَ هٰذَا النُّورُ مِنِّي إِلاَّ أَنْ يَكُونَ الظَّفَرُ لَنَا، فَرَجَعُوا مُتَفَرِّقِينَ.

ثُمَّ إِنَّ أَبْرَهَةَ أَرْسَلَ رَجُلاً مِنْ قَوْمِهِ(٢)، فَلَمَّا دَخَلَ مَكَّةَ وَنَظَرَ إِلَى وَجْهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَضَعَ وَتَلَجْلَجَ لِسَانُهُ وَخَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَكَانَ يَخُورُ كَمَا يَخُورُ الثَّوْرُ عِنْدَ ذَبْحِهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ خَرَّ سَاجِداً لِعَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ سَيِّدُ قُرَيْشٍ حَقًّا.

وَرُوِيَ أَنَّ عَبْدَ الْمُطَّلِبِ لَمَّا حَضَرَ عِنْدَ أَبْرَهَةَ نَظَرَ الْفِيلُ الأَبْيَضُ الْعَظِيمُ

---

(١) بل مئتان، كما في سيرة ابن هشام، والسيرة الشامية.

(٢) هو حناطة الحِميري.

إِلَى وَجْهِهِ فَبَرَكَ كَمَا يَبْرُكُ الْبَعِيرُ، وَخَرَّ سَاجِداً، وَأَنْطَقَ اللَّهُ تَعَالَى الْفِيلَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَى النُّورِ الَّذِي فِي ظَهْرِكَ يَا عَبْدَ الْمُطَّلِب.

وَلَمَّا دَخَلَ جَيْشُ أَبْرَهَةَ لِهَدْمِ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ بَرَكَ الْفِيلُ، فَضَرَبُوهُ فِي رَأْسِهِ ضَرْباً شَدِيداً لِيَقُومَ فَأَبَى، فَوَجَّهُوهُ رَاجِعاً إِلَى الْيَمَنِ فَقَامَ، ثُمَّ أَرْسَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ طَيْراً أَبَابِيلَ مِنَ الْبَحْرِ مَعَ كُلِّ طَائِرٍ مِنْهَا ثَلاَثَةُ أَحْجَارٍ: حَجَرٌ فِي مِنْقَارِهِ وَحَجَرَانِ فِي رِجْلَيْهِ، كَأَمْثَالِ الْعَدَسِ لاَ تُصِيبُ أَحَداً مِنْهُمْ إِلاَّ أَهْلَكَتْهُ، فَخَرَجُوا هَارِبِينَ يَتَسَاقَطُونَ بِكُلِّ طَرِيقٍ، وَأُصِيبَ أَبْرَهَةُ فِي جَسَدِهِ بِدَاءٍ فَتَسَاقَطَتْ أَنَامِلُهُ أَنْمَلَةً أَنْمَلَةً، وَسَالَ مِنْهُ الصَّدِيدُ وَالْقَيْحُ وَالدَّمُ، وَمَا مَاتَ حَتَّى انْصَدَعَ قَلْبُهُ.

وَإِلَى هٰذِهِ الْقِصَّةِ أَشَارَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِقَوْلِهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[1].

وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْقِصَّةُ دَالَّةً عَلَى شَرَفِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِرْهَاصاً لِنُبُوَّتِهِ (أَيْ تَأْسِيساً لَهَا)، وَإِعْزَازاً لِقَوْمِهِ بِمَا ظَهَرَ عَلَيْهِمْ مِنَ الاعْتِنَاءِ حَتَّى دَانَتِ الْعَرَبُ، وَاعْتَقَدَتْ شَرَفَهُمْ وَفَضْلَهُمْ عَلَى سَائِرِ النَّاسِ بِحِمَايَةِ اللَّهِ تَعَالَى لَهُمْ، وَدَفْعِهِ عَنْهُمْ مَكْرَ أَبْرَهَةَ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِسَائِرِ الْعَرَبِ قُدْرَةٌ عَلَى قِتَالِهِ.

❋ ❋ ❋

[رؤيا عبد المطلب]

وَلَمَّا فَرَّجَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْ عَبْدِ الْمُطَّلِب، وَرَجَعَ أَبْرَهَةُ خَائِباً، فَبَيْنَمَا هُوَ[2] نَائِمٌ فِي الْحِجْرِ إِذْ رَأَى مَنَاماً عَظِيماً فَانْتَبَهَ فَزِعاً مَرْعُوباً، وَأَتَى كَهَنَةَ

---

(١) سورة الفيل.

(٢) أي: عبد المطلب.

قُرَيْشٍ وَقَصَّ عَلَيْهِمْ رُؤْيَاهُ فَقَالُوا لَهُ: إِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكَ لَيَخْرُجَنَّ مِنْ ظَهْرِكَ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ أَهْلُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، وَلَيَكُونَنَّ فِي النَّاسِ عَلَماً مُبِيناً، فَتَزَوَّجَ فَاطِمَةَ[1] وَحَمَلَتْ بِعَبْدِاللّٰهِ الذَّبِيحِ وَقِصَّتُهُ فِي ذٰلِكَ مَشْهُورَةٌ.

وَلَمَّا انْصَرَفَ عَبْدُاللّٰهِ مَعَ أَبِيهِ بَعْدَ أَنْ فَدَاهُ بِنَحْرِ مِئَةٍ مِنَ الإِبِلِ لِرُؤْيَا رَآهَا؛ مَرَّ عَلَى امْرَأَةٍ كَاهِنَةٍ مُتَهَوِّدَةٍ قَدْ قَرَأَتِ الْكُتُبَ، يُقَالُ لَهَا: فَاطِمَةُ، فَقَالَتْ لَهُ[2] حِينَ نَظَرَتْ إِلَى وَجْهِهِ وَكَانَ أَحْسَنَ رَجُلٍ فِي قُرَيْشٍ: لَكَ مِثْلُ الإِبِلِ الَّتِي نُحِرَتْ عَنْكَ وَقَعْ عَلَيَّ الآنَ؛ لِمَا رَأَتْ فِي وَجْهِهِ مِنْ نُورِ النُّبُوَّةِ، وَرَجَتْ أَنْ تَحْمِلَ بِهٰذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ ﷺ، فَأَجَابَهَا بِقَوْلِهِ:

أَمَّا الْحَرَامُ فَالْمَمَاتُ دُونَهُ ... وَالْحِلُّ لاَ حِلَّ فَأَسْتَبِينَهُ
فَكَيْفَ بِالأَمْرِ الَّذِي تَبْغِينَهُ ... يَحْمِي الْكَرِيمُ عِرْضَهُ وَدِينَهُ[3]

❋ ❋ ❋

[زواج عبدالله بآمنة وحملها]

ثُمَّ خَرَجَ بِهِ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى بِهِ وَهْبَ بْنَ عَبْدِ مَنَافِ بْنِ زُهْرَةَ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ سَيِّدُ بَنِي زُهْرَةَ نَسَباً وَشَرَفاً، فَزَوَّجَهُ ابْنَتَهُ آمِنَةَ[4] وَهِيَ يَوْمَئِذٍ أَفْضَلُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ نَسَباً وَمَوْضِعاً، فَوَقَعَ عَلَيْهَا يَوْمَ الاثْنَيْنِ مِنْ أَيَّامِ مِنَى فِي شِعْبِ أَبِي طَالِبٍ، فَحَمَلَتْ بِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ عِنْدِهَا، فَمَرَّ بِالْمَرْأَةِ الَّتِي عَرَضَتْ عَلَيْهِ مَا عَرَضَتْ، فَقَالَ لَهَا: مَا لَكِ لاَ تَعْرِضِينَ عَلَيَّ

---

(١) بنت عمرو بن عائذ.
(٢) أي: لعبدالله.
(٣) رواه أبو نعيم، والخرائطي، وابن عساكر.
(٤) وكان عمره ١٨ سنة.

الْيَوْمَ مَا عَرَضْتِ بِالأَمْسِ؟ فَقَالَتْ: فَارَقَكَ النُّورُ الَّذِي كَانَ مَعَكَ بِالأَمْسِ فَلَيْسَ لِي بِكَ الْيَوْمَ حَاجَةٌ إِنَّمَا أَرَدْتُ أَنْ يَكُونَ النُّورُ فِيَّ، فَأَبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يَجْعَلَهُ حَيْثُ شَاءَ.

وَلَمَّا حَمَلَتْ آمِنَةُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ ظَهَرَ لِحَمْلِهِ عَجَائِبُ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ التُّسترِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا أَرَادَ اللَّهُ تَعَالَى خَلْقَ مُحَمَّدٍ ﷺ فِي بَطْنِ أُمِّهِ آمِنَةَ لَيْلَةَ رَجَبٍ، وَكَانَتْ لَيْلَةَ جُمُعَةٍ؛ أَمَرَ رِضْوانَ خَازِنَ الْجِنَانِ أَنْ يَفْتَحَ الْفِرْدَوْسَ، وَنَادَى مُنَادٍ فِي السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ: أَلاَ إِنَّ النُّورَ الْمَخْزُونَ الْمَكْنُونَ الَّذِي يَكُونُ مِنْهُ النَّبِيُّ الْهَادِي يَسْتَقِرُّ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ فِي بَطْنِ أُمِّهِ الَّذِي فِيهِ يَتِمُّ خَلْقُهُ، وَيَخْرُجُ إِلَى النَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً(١).

وَفِي رِوَايَةِ كَعْبِ الأَحْبَارِ أَنَّهُ نُودِيَ تِلْكَ اللَّيْلَةَ فِي السَّمَاءِ وَصِفَاحِهَا وَالأَرْضِ وَبِقَاعِهَا: أَنَّ النُّورَ الْمَكْنُون الَّذِي مِنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسْتَقِرُّ اللَّيْلَةَ فِي بَطْنِ آمِنَةَ، فَيَا طُوبَى لَهَا ثُمَّ يَا طُوبَى.

وَأَصْبَحَتْ يَوْمَئِذٍ أَصْنامُ الدُّنْيَا مَنْكُوسَةً، وَكَانَتْ قُرَيْشٌ فِي جَدْبٍ شَدِيدٍ وَضِيقٍ عَظِيمٍ، فَاخْضَرَّتِ الأَرْضُ، وَحَمَلَتِ الأَشْجَارُ، وَأَتَاهُمُ الرِّفْدُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، فَسُمِّيَتْ تِلْكَ السَّنَةُ الَّتِي حُمِلَ فِيهَا بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ الْفَتْحِ وَالابْتِهَاجِ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ إِسْحَاقَ: أَنَّ آمِنَةَ كَانَتْ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أُتِيَتْ حِينَ حَمَلَتْ بِهِ ﷺ فَقِيلَ لَهَا: إِنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هٰذِهِ الأُمَّةِ. وَقَالَتْ: مَا شَعَرْتُ بِأَنِّي حَمَلْتُ بِهِ وَلاَ وَجَدْتُ لَهُ ثِقَلاً وَلاَ وَحَماً كَمَا تَجِدُ النِّسَاءُ، إِلاَّ أَنِّي أَنْكَرْتُ

---

(١) رواه الخطيب البغدادي الحافظ.

رَفْعَ حَيْضَتِي، وَأَتَانِي آتٍ وَأَنَا بَيْنَ النَّائِمَةِ وَالْيَقْظَانَةِ، فَقَالَ: هَلْ شَعَرْتِ بِأَنَّكِ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ الأَنَامِ؟ ثُمَّ أَمْهَلَنِي حَتَّى إِذَا دَنَتْ وِلاَدَتِي أَتَانِي فَقَالَ قُولِي:

أُعِيذُهُ بِالْوَاحِدِ مِنْ شَرِّ كُلِّ حَاسِدِ

ثُمَّ سَمِّيهِ مُحَمَّداً.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ مِنْ دَلاَلَةِ حَمْلِ آمِنَةَ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ أَنَّ كُلَّ دَابَّةٍ لِقُرَيْشٍ نَطَقَتْ تِلْكَ اللَّيْلَةَ وَقَالَتْ: حُمِلَ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ وَرَبِّ الْكَعْبَةِ، وَهُوَ إِمَامُ الدُّنْيَا وَسِرَاجُ أَهْلِهَا، وَلَمْ يَبْقَ سَرِيرٌ لِمَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا إِلاَّ أَصْبَحَ مَنْكُوساً، وَفَرَّتْ وُحُوشُ الْمَشْرِقِ إِلَى وُحُوشِ الْمَغْرِبِ بِالْبِشَارَاتِ، وَكَذٰلِكَ أَهْلُ الْبِحَارِ يُبَشِّرُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَلَهُ فِي كُلِّ شَهْرٍ مِنْ شُهُورِ حَمْلِهِ نِدَاءٌ فِي الأَرْضِ وَنِدَاءٌ فِي السَّمَاءِ: أَنْ أَبْشِرُوا فَقَدْ آنَ أَنْ يَظْهَرَ أَبُو الْقَاسِمِ ﷺ مَيْمُوناً مُبَارَكاً[١].

وَعَنْ غَيْرِهِ: لَمْ يَبْقَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ دَارٌ إِلاَّ أَشْرَقَتْ، وَلاَ مَكَانٌ إِلاَّ دَخَلَهُ النُّورُ، وَلاَ دَابَّةٌ إِلاَّ نَطَقَتْ.

وَعَنْ أَبِي زَكَرِيَّا يَحْيَى بْنِ عَائِذٍ: بَقِيَ ﷺ فِي بَطْنِ أُمِّهِ تِسْعَةَ أَشْهُرٍ كُمَّلاً لاَ تَشْكُو وَجَعاً وَلاَ مَغْصاً وَلاَ رِيحاً، وَلاَ مَا يَعْرِضُ لِذَوَاتِ الْحَمْلِ مِنَ النِّسَاءِ، وَكَانَتْ تَقُولُ: وَاللّهِ مَا رَأَيْتُ مِنْ حَمْلٍ هُوَ أَخَفُّ وَلاَ أَعْظَمُ بَرَكَةً مِنْهُ.

***

(١) رواه أبو نعيم بسند شديد الضعف.

[وفاة عبدالله]

وَلَمَّا تَمَّ لَهَا مِنْ حَمْلِهَا شَهْرَانِ تُوُفِّيَ عَبْدُاللَّهِ فِي الْمَدِينَةِ عِنْدَ أَخْوَالِهِ بَنِي النَّجَّارِ(١)، وَدُفِنَ بِالأَبْوَاءِ(٢).

وَيُذْكَرُ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ لَمَّا تُوُفِّيَ عَبْدُاللَّهِ قَالَتِ الْمَلائِكَةُ: إِلٰهَنَا وَسَيِّدَنَا بَقِيَ نَبِيُّكَ يَتِيماً؟ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا لَهُ حَافِظٌ وَنَصِيرٌ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ قُتَيْبَةَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبِي (وَكَانَ مِنْ أَوْعِيَةِ الْعِلْمِ) قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ وِلادَةُ آمِنَةَ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمَلائِكَةِ: افْتَحُوا أَبْوَابَ السَّمَاءِ كُلَّهَا وَأَبْوَابَ الْجِنَانِ، وَأُلْبِسَتِ الشَّمْسُ يَوْمَئِذٍ نُوراً عَظِيماً، وَكَانَ قَدْ أَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى تِلْكَ السَّنَةَ لِنِسَاءِ الدُّنْيَا أَنْ يَحْمِلْنَ ذُكُوراً كَرَامَةً لِمُحَمَّدٍ ﷺ(٣).

❊ ❊ ❊

[ولادته ﷺ]

وعَنِ ابْنِ عَبّاسٍ كَانَتْ آمِنَةُ تُحَدِّثُ وَتَقُولُ: أَتَانِي آتٍ حِينَ مَرَّ مِنْ حَمْلِي سِتَّةُ أَشْهُرٍ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لِي: يَا آمِنَةُ إِنَّكِ حَمَلْتِ بِخَيْرِ الْعَالَمِينَ، فَإِذَا وَلَدْتِهِ فَسَمِّيهِ مُحَمَّداً وَاكْتُمِي شَأْنَكِ، قَالَتْ: ثُمَّ لَمَّا أَخَذَنِي مَا يَأْخُذُ النِّسَاءَ وَلَمْ يَعْلَمْ بِي أَحَدٌ لاَ ذَكَرٌ وَلاَ أُنْثَى، وَإِنِّي لَوَحِيدَةٌ فِي الْمَنْزِلِ، وَعَبْدُ الْمُطَّلِبِ فِي طَوَافِهِ، فَسَمِعْتُ وَجْبَةً عَظِيمَةً وَأَمْراً عَظِيماً هَالَنِي، ثُمَّ

---

(١) أي: أخوال أبيه، أما أخواله فهم بنو مخزوم.

(٢) قرية قريبة من المدينة.

(٣) رواه أبو نعيم، والحديث مطعون فيه.

رَأَيْتُ كَأَنَّ جَنَاحَ طَيْرٍ أَبْيَضَ قَدْ مَسَحَ عَلَى فُؤَادِي، فَذَهَبَ عَنِّي الرُّعْبُ، وَكُلُّ وَجَعٍ أَجِدُهُ، ثُمَّ الْتَفَتُّ، فَإِذَا أَنَا بِشَرْبَةٍ بَيْضَاءَ، فَتَنَاوَلْتُهَا، فَأَصَابَنِي نُورٌ عَالٍ، ثُمَّ رَأَيْتُ نِسْوَةً كَالنَّخْلِ طِوَالاً، كَأَنَّهُنَّ مِنْ بَنَاتِ عَبْدِ مَنَافٍ يُحْدِقْنَ بِي، فَبَيْنَا أَنَا أَتَعَجَّبُ وَأَقُولُ: وَاغَوْثَاهُ! مِنْ أَيْنَ عَلِمْنَ بِي؟ فَقُلْنَ لِي: نَحْنُ آسِيَةُ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ، وَمَرْيَمُ ابْنَةُ عِمْرَانَ، وَهٰؤُلاَءِ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ، وَاشْتَدَّ بِي الأَمْرُ وَأَنَا أَسْمَعُ الْوَجْبَةَ فِي كُلِّ سَاعَةٍ أَعْظَمَ وَأَهْوَلَ مِمَّا تَقَدَّمَ، فَبَيْنَمَا أَنَا كَذٰلِكَ إِذَا بِدِيبَاجٍ أَبْيَضَ قَدْ مُدَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، وَإِذَا بِقَائِلٍ يَقُولُ: خُذُوهُ عَنْ أَعْيُنِ النَّاسِ، قَالَتْ: وَرَأَيْتُ رِجَالاً قَدْ وَقَفُوا فِي الْهَوَاءِ بِأَيْدِيهِمْ أَبَارِيقُ مِنْ فِضَّةٍ، ثُمَّ نَظَرْتُ فَإِذَا أَنَا بِقِطْعَةٍ مِنَ الطَّيْرِ قَدْ غَطَّتْ حُجْرَتِي، مَنَاقِيرُهَا مِنَ الزُّمُرُّدِ، وَأَجْنِحَتُهَا مِنَ الْيَاقُوتِ، فَكَشَفَ اللّٰهُ عَنْ بَصَرِي، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَرَأَيْتُ ثَلاثَةَ أَعْلامٍ مَضْرُوبَاتٍ: عَلَماً بِالْمَشْرِقِ، وَعَلَماً بِالْمَغْرِبِ، وَعَلَماً عَلَى ظَهْرِ الْكَعْبَةِ، فَأَخَذَنِي الْمَخَاضُ، فَوَضَعْتُ مُحَمَّداً ﷺ، فَنَظَرْتُ إِلَيْهِ، فَإِذَا هُوَ سَاجِدٌ قَدْ رَفَعَ إِصْبَعَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ كَالْمُتَضَرِّعِ الْمُبْتَهِلِ، ثُمَّ رَأَيْتُ سَحَابَةً بَيْضَاءَ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ السَّمَاءِ حَتَّى غَشِيَتْهُ، فَغَيَّبَتْهُ عَنِّي، فَسَمِعْتُ مُنَادِياً يُنَادِي: طُوفُوا بِهِ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا، وَأَدْخِلُوهُ الْبِحَارَ لِيَعْرِفُوهُ بِاسْمِهِ وَنَعْتِهِ وَصُورَتِهِ، ثُمَّ تَجَلَّتْ عَنْهُ فِي أَسْرَعِ وَقْتٍ(١).

وَرَوَى الْخَطِيبُ الْبَغْدَادِيُّ(٢) أَنَّ آمِنَةَ قَالَتْ: لَمَّا وَضَعْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَأَيْتُ سَحَابَةً عَظِيمَةً لَهَا نُورٌ أَسْمَعُ فِيهَا صَهِيلَ الْخَيْلِ، وَخَفَقَانَ الأَجْنِحَةِ، وَكَلاَمَ الرِّجَالِ، حَتَّى غَشِيَتْهُ وَغُيِّبَ عَنِّي، فَسَمِعْتُ مُنَادِياً يُنَادِي: طُوفُوا بِمُحَمَّدٍ ﷺ فِي جَمِيعِ الأَرْضِ، وَاعْرِضُوهُ عَلَى كُلِّ رُوحَانِيٍّ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالطُّيُورِ وَالْوُحُوشِ، وَأَعْطُوهُ خَلْقَ آدَمَ، وَمَعْرِفَةَ شِيثٍ،

---

(١) رواه أبو نعيم، والحديث تُكُلّم فيه، وإنما ذكره صاحب المواهب لينبّه عليه لشهرته.

(٢) رواه أبو نعيم، والحديث فيه نكارة.

وَشَجَاعَةَ نُوحٍ، وَخُلَّةَ إِبْرَاهِيمَ، وَلِسَانَ إِسْمَاعِيلَ، وَرِضَا إِسْحَاقَ، وَفَصَاحَةَ صَالِحٍ، وَحِكْمَةَ لُوطٍ، وَبُشْرَى يَعْقُوبَ، وَشِدَّةَ مُوسى، وصَبْرَ أَيُّوبَ، وَطَاعَةَ يُونُسَ، وَجِهَادَ يُوشَعَ، وصَوْتَ دَاوُدَ، وَحُبَّ دَانِيَالَ، وَوَقَارَ إِلْيَاسَ، وَعِصْمَةَ يَحْيَى، وَزُهْدَ عِيسَى، وَاغْمِسُوهُ فِي أَخْلاَقِ النَّبِيِّينَ. قَالَتْ: ثُمَّ انْجَلَتْ عَنْهُ؛ فَإِذَا بِهِ قَدْ قَبَضَ عَلَى حَرِيرَةٍ خَضْرَاءَ مَطْوِيَّةٍ طَيًّا شَدِيداً يَنْبَعُ مِنْهَا مَاءٌ، وَإِذَا قَائِلٌ يَقُولُ: بَخٍ بَخٍ، قَبَضَ مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى الدُّنْيَا كُلِّهَا، لَمْ يَبْقَ خَلْقٌ مِنْ أَهْلِهَا إِلاَّ دَخَلَ فِي قَبْضَتِهِ، قَالَتْ: ثُمَّ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَإِذَا بِهِ كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَرِيحُهُ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ الأَذْفَرِ، وَإِذَا بِثَلاَثَةِ نَفَرٍ فِي يَدِ أَحَدِهِمْ إِبْرِيقٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَفِي يَدِ الثَّانِي طَسْتٌ مِنْ زُمُرُّدٍ، وَفِي يَدِ الثَّالِثِ حَرِيرَةٌ بَيْضَاءُ، فَنَشَرَهَا، فَأَخْرَجَ مِنْهَا خَاتَماً تَحَارُ أَبْصَارُ النَّاظِرِينَ دُونَهُ، فَغَسَلَهُ مِنْ ذٰلِكَ الإِبْرِيقِ سَبْعَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ خَتَمَ بَيْنَ كَتِفَيْهِ بِالْخَاتَمِ، وَلَفَّهُ بِالْحَرِيرَةِ، ثُمَّ احْتَمَلَهُ فَأَدْخَلَهُ بَيْنَ أَجْنِحَتِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَدَّهُ إِلَيَّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا وُلِدَ ﷺ قَالَ فِي أُذُنِهِ رِضْوانُ خَازِنُ الْجِنَانِ: أَبْشِرْ يَا مُحَمَّدُ، فَمَا بَقِيَ لِنَبِيٍّ عِلْمٌ إِلاَّ وَقَدْ أُعْطِيتَهُ، فَأَنْتَ أَكْثَرُهُمْ عِلْماً، وَأَشْجَعُهُمْ قَلْباً(١).

وعَنْهُ أَيْضاً: أَنَّ آمِنَةَ قَالَتْ: لَمَّا فُصِلَ مِنِّي - تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَ لَهُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، ثُمَّ وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ مُعْتَمِداً عَلَى يَدَيْهِ، ثُمَّ أَخَذَ قَبْضَةً مِنَ التُّرَابِ، فَقَبَضَهَا وَرَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ(٢).

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ: أَنَّهُ لَمَّا وَقَعَ إِلَى الأَرْضِ وَقَعَ مَقْبُوضَةً أَصَابِعُ يَدَيْهِ مُشِيراً بِالسَّبَّابَةِ كَالْمُسَبِّحِ بِهَا.

---

(١) رواه الحافظ أبو بكر بن عائذ في كتابه (المولد) كما نقله عنه الشيخ بدر الدين الزركشي في شرح بردة المديح.

(٢) رواه محمد بن سعد.

وَرُوِيَ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ عَنْ أُمِّهِ فَاطِمَةَ قَالَتْ: لَمَّا حَضَرَتْ وِلاَدَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأَيْتُ الْبَيْتَ حِينَ وَقَعَ قَدْ امْتَلأَ نُوراً، وَرَأَيْتُ النُّجُومَ تَدْنُو حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهَا سَتَقَعُ عَلَيَّ[١].

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طِينَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ عَنْ ذٰلِكَ: إِنِّي دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ، وَكَذٰلِكَ أُمَّهَاتُ النَّبِيِّينَ يَرَيْنَ»** وَإِنَّ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأَتْ حِينَ وَضَعَتْهُ نُوراً أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ[٢].

وَإِلَى هٰذَا أَشَارَ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ بِقَوْلِهِ:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذٰلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو ... رِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

وَرَوَى ابْنُ سَعْدٍ: أَنَّهَا وَلَدَتْهُ نَظِيفاً مَا بِهِ قَذَرٌ.

وَفِي إِضَاءَةِ قُصُورِ الشَّامِ بِذٰلِكَ النُّورِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا خَصَّ الشَّامَ مِنْ نُورِ نُبُوَّتِهِ، فَإِنَّهَا دَارُ مُلْكِهِ كَمَا ذَكَرَ كَعْبٌ أَنَّ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ بِيَثْرِبَ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ. وَلِهٰذَا أُسْرِيَ بِهِ ﷺ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، كَمَا هَاجَرَ قَبْلَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى الشَّامِ، وَبِهَا يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَهِيَ أَرْضُ الْمَحْشَرِ وَالْمَنْشَرِ[٣].

وَرَوَى عَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ عَنْ أُمِّهِ الشَّفَّاءِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَتْ:

---

(١) رواه البيهقي.

(٢) رواه أحمد والبزار والطبراني والبيهقي، وصححه ابن حبان والحاكم.

(٣) ذكره ابن رجب الحنبلي في كتابه (لطائف المعارف).

لمَّا وَلَدَتْ آمِنَةُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَقَعَ عَلَى يَدَيَّ، فَاسْتَهَلَّ[1]، فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: رَحِمَكَ اللّهُ، وَأَضَاءَ لِي مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى بَعْضِ قُصُورِ الرُّومِ. قَالَتْ: ثُمَّ أَلْبَسْتُهُ وَأَضْجَعْتُهُ، فَلَمْ أَنْشَبْ أَنْ غَشِيَتْنِي ظُلْمَةٌ وَرُعْبٌ وَقَشْعَرِيرَةٌ، ثُمَّ غُيِّبَ عَنِّي، فَسَمِعْتُ قَائِلاً يَقُولُ: أَيْنَ ذَهَبْتَ بِهِ؟ قَالَ: إِلَى الْمَشْرِقِ. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلِ الْحَدِيثُ مِنِّي عَلَى بَالٍ حَتَّى ابْتَعَثَهُ اللّهُ، فَكُنْتُ فِي أَوَّلِ النَّاسِ إِسْلاماً[2].

وَعَنْ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنِّي لَغُلاَمٌ ابْنُ سَبْعِ سِنِينَ أَوْ ثَمَانٍ أَعْقِلُ مَا رَأَيْتُ وَسَمِعْتُ، إِذَا يَهُودِيٌّ يَصْرُخُ ذَاتَ غَدَاةٍ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ! فَاجْتَمَعُوا إِلَيْهِ، وَأَنَا أَسْمَعُ، قَالُوا: وَيْلَكَ مَا لَكَ؟ قَالَ: طَلَعَ نَجْمُ أَحْمَدَ الَّذِي وُلِدَ بِهِ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ[3].

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ يَهُودِيٌّ قَدْ سَكَنَ بِمَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ هَلْ وُلِدَ فِيكُمُ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ قَالُوا: لاَ نَعْلَمُ، قَالَ: انْظُرُوا فَإِنَّهُ وُلِدَ فِي هٰذِهِ اللَّيْلَةِ نَبِيُّ هٰذِهِ الأُمَّةِ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلاَمَةٌ، فانْصَرَفُوا فَسَأَلُوا فَقِيلَ لَهُمْ: قَدْ وُلِدَ لِعَبْدِاللّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ غُلاَمٌ، فَذَهَبَ الْيَهُودِيُّ مَعَهُمْ إِلَى أُمِّهِ، فَأَخْرَجَتْهُ لَهُمْ، فَلَمَّا رَأَى الْيَهُودِيُّ الْعَلاَمَةَ خَرَّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، وَقَالَ: ذَهَبَتِ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، أَمَا وَاللّهِ لَيَسْطُوَنَّ بِكُمْ سَطْوَةً يَخْرُجُ خَبَرُهَا مِنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ. رَوَاهُ يَعْقُوبُ بْنُ سُفْيَانَ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ كَمَا فِي فَتْحِ الْبَارِي.

وَمِنْ عَجَائِبِ وِلاَدَتِهِ ﷺ: مَا رُوِيَ مِنَ ارْتِجَاجِ إِيوَانِ كِسْرَى، وَسُقُوطِ

---

(١) صاح.

(٢) رواه أبو نعيم في الدلائل.

(٣) رواه البيهقي وأبو نعيم.

أَرْبَعَ عَشْرَةَ شُرْفَةً مِنْ شُرُفَاتِهِ، وَغَيْضِ بُحَيْرَةِ طَبَرِيَّةَ، وَخُمُودِ نَارِ فَارِسٍ، وَكَانَ لَهَا أَلْفُ عَامٍ لَمْ تَخْمَدْ. كَمَا رَوَاهُ كَثِيرُون[1].

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا وَقَعَ مِنْ زِيَادَةِ حِرَاسَةِ السَّمَاءِ فِي الشُّهُبِ، وَقَطْعِ رَصدِ الشَّيَاطِينِ، وَمَنْعِهِمْ مِنَ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ.

وَوُلِدَ ﷺ مَخْتُوناً مَسْرُوراً ـ أَيْ: مَقْطُوعَ السُّرَّةِ ـ كَمَا رُوِيَ عَنِ ابْنِ عُمَرَ وَغَيْرِهِ[2].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«مِنْ كَرَامَتِي عَلَى رَبِّي أَنِّي وُلِدْتُ مَخْتُوناً وَلَمْ يَرَ أَحَدٌ سَوْأَتِي»**[3].

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي عَامِ وِلاَدَتِهِ ﷺ، وَالأَكْثَرُونَ أَنَّهُ وُلِدَ عَامَ الْفِيلِ، وَأَنَّهُ بَعْدَ الْفِيلِ بِخَمْسِينَ يَوْماً، وَأَنَّهُ فِي شَهْرِ رَبِيعِ الأَوَّلِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: وُلِدَ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَاسْتُنْبِىءَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَخَرَجَ مُهَاجِراً مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ يَوْمَ الاثْنَيْنَ، وَرَفَعَ الْحَجَرَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَكَذَا فَتْحُ مَكَّةَ وَنُزُولُ سُورَةِ الْمَائِدَةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ.

---

(١) كالبيهقي وأبي نعيم والخرائطي في (الهواتف) وابن عساكر. قال الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في تحقيقه علىٰ كتاب (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع) للقاري صفحة ١٨: ما روي أن ليلة مولده ﷺ ارتجس (اهتزّ وأحدث صوتاً) إيوان كسرىٰ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، وغاضت بحيرة ساوة... فهذا الحديث ليس بصحيح، ولا يجوز قوله.

(٢) رواه ابن عساكر.

(٣) رواه الحافظ ابن عساكر، وفي صحته نظر كما قال ابن كثير في (البداية والنهاية) لكن له عدة طرق، وصححه الضياء في المختارة.

وَعَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ رَاهِبٌ يُسَمَّى عِيصًا مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، وَكَانَ يَقُولُ: يُوشِكُ أَنْ يُولَدَ فِيكُمْ يَا أَهْلَ مَكَّةَ مَوْلُودٌ تَدِينُ لَهُ الْعَرَبُ، وَيَمْلِكُ الْعَجَمَ، هٰذَا زَمَانُهُ، فَكَانَ لاَ يُولَدُ بِمَكَّةَ مَوْلُودٌ إلاَّ وَيَسْأَلُ عَنْهُ، فَلَمَّا كَانَ صَبِيحَةُ الْيَوْمِ الَّذِي وُلِدَ فِيهِ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ؛ خَرَجَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَتَى عِيصاً، فَنَادَاهُ، فَأَشْرَفَ عَلَيْهِ، فَقَالَ عِيصَا: كُنْ أَبَاهُ، فَقَدْ وُلِدَ ذٰلِكَ الْمَوْلُودُ الَّذِي كُنْتُ أُحَدِّثُكُمْ عَنْهُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيُبْعَثُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَيَمُوتُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، قَالَ: وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ مَعَ الصُّبْحِ مَوْلُودٌ، قَالَ: فَمَا سَمَّيْتَهُ؟ قَالَ: مُحَمَّداً، قَالَ: وَاللّٰهِ لَقَدْ كُنْتُ أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ هٰذَا الْمَوْلُودُ فِيكُمْ أَهْلَ هٰذَا الْبَيْتِ بِثَلاثَةِ خِصَالٍ: أَنَّهُ طَلَعَ نَجْمُهُ الْبَارِحَةَ، وَأَنَّهُ وُلِدَ الْيَوْمَ، وَأَنَّ اسْمَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ(١).

وَوَافَقَ ذٰلِكَ مِنَ الشُّهُورِ الشَّمْسِيَّةِ نِيسَانَ(٢) وَكَانَ لِعِشْرِينَ مَضَتْ مِنْهُ.

وَقِيلَ: وُلِدَ لَيْلاً، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ بِمَكَّةَ يَهُودِيٌّ يَتَّجِرُ فِيهَا، فَلَمَّا كَانَتِ اللَّيْلَةُ الَّتِي وُلِدَ فِيهَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! هَلْ وُلِدَ فِيكُمُ اللَّيْلَةَ مَوْلُودٌ؟ قَالُوا: لاَ نَعْلَمُهُ، قَالَ: وُلِدَ اللَّيْلَةَ نَبِيُّ هٰذِهِ الأُمَّةِ الأَخِيرَةِ، بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلاَمَةٌ فِيهَا شَعَرَاتٌ مُتَوَاتِرَاتٌ، كَأَنَّهُنَّ عُرْفُ فَرَسٍ(٣)، فَخَرَجُوا بِالْيَهُودِيِّ حَتَّى أَدْخَلُوهُ عَلَى أُمِّهِ، فَقَالُوا: أَخْرِجِي لَنَا ابْنَكِ، فَأَخْرَجَتْهُ، وَكَشَفُوا عَنْ ظَهْرِهِ، فَرَأَى تِلْكَ الشَّامَةَ، فَوَقَعَ الْيَهُودِيُّ مَغْشِيًّا عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالُوا: مَا لَكَ وَيْلَكَ؟ قَالَ: ذَهَبَتْ وَاللّٰهِ النُّبُوَّةُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

---

(١) رواه أبو نعيم في الدلائل بسند فيه ضعف.

(٢) عام ٥٧١م.

(٣) لكنّ خاتم النبوة تكوّن على الأصح بعد حادثة شَق البطن، وهو قطعة لحم ناتئة عليها شعر، عند كتفه الأيسر، كأنه بيضة حمَام.

وَلَيْلَةُ مَوْلِدِهِ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ لَيْلَةِ الْقَدْرِ.

وَوُلِدَ ﷺ فِي مَكَّةَ فِي الدَّارِ الَّتِي كَانَتْ لِمُحَمَّدِ بْنِ يُوسُفَ(١).

❋ ❋ ❋

[رضاعه ﷺ]

وَأَرْضَعَتْهُ ﷺ ثُوَيْبَةُ(٢) عَتِيقَةُ أَبِي لَهَبٍ، أَعْتَقَهَا حِينَ بَشَّرَتْهُ بِولاَدَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. وَقَدْ رُؤِيَ أَبُو لَهَبٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ، فَقِيلَ لَهُ: مَا حَالُكَ؟ فَقَالَ: فِي النَّارِ، إِلاَّ أَنَّهُ خُفِّفَ عَنِّي فِي كُلِّ لَيْلَةِ اثْنَيْنِ، وَأَمَصُّ مِنْ بَيْنِ إِصْبَعَيَّ هَاتَيْنِ مَاءً(٣)، وَأَشَارَ بِرَأْسِ إِصْبَعَيْهِ، وَإِنَّ ذٰلِكَ بِإِعْتَاقِي لِثُوَيْبَةَ عِنْدَمَا بَشَّرَتْنِي بِوِلاَدَةِ النَّبِيِّ ﷺ، وَبِإِرْضَاعِهَا لَهُ(٤).

قَالَ ابْنُ الْجَزَرِيِّ: فَإِذَا كَانَ هٰذَا أَبُو لَهَبٍ الْكَافِرُ الَّذِي نَزَلَ الْقُرْآنُ بِذَمِّهِ؛ جُوزِيَ بِفَرَحِهِ لَيْلَةَ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا حَالُ الْمُسْلِمِ الْمُوَحِّدِ مِنْ أُمَّتِهِ ﷺ يُسَرُّ بِمَوْلِدِهِ، وَيَبْذُلُ مَا تَصِلُ إِلَيْهِ قُدْرَتُهُ فِي مَحَبَّتِهِ ﷺ، لَعَمْرِي إِنَّمَا يَكُونُ جَزَاؤُهُ مِنَ اللهِ الْكَرِيمِ أَنْ يُدْخِلَهُ بِفَضْلِهِ الْعَمِيمِ جَنَّاتِ النَّعِيمِ.

وَلاَ زَالَ أَهْلُ الإِسْلاَمِ يَحْتَفِلُونَ بِشَهْرِ مَوْلِدِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَيَعْمَلُونَ الوَلاَئِمَ، وَيَتَصَدَّقُونَ فِي لَيَالِيهِ بِأَنْوَاعِ الصَّدَقَاتِ، وَيُظْهِرُونَ السُّرُورَ، وَيَزِيدُونَ فِي الْمَبَرَّاتِ، وَيَعْتَنُونَ بِقِرَاءَةِ مَوْلِدِهِ الْكَرِيمِ، وَيَظْهَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ بَرَكَاتِهِ كُلُّ فَضْلٍ عَمِيمٍ.

---

(١) أخي الحجاج.

(٢) الأسلمية، وقد اختلف في إسلامها.

(٣) رواه البخاري بلفظ قريب برقم ٥١٠١.

(٤) وقد أرضعته عدة أيام بعد أن أرضعته أمه ثلاثة أيام. هذا وقد أرضعته ﷺ من النساء ثمانٌ.

وَمِمَّا جُرِّبَ مِنْ خَوَاصِّهِ: أَنَّهُ أَمَانٌ فِي ذٰلِكَ الْعَامِ، وَبُشْرَى عَاجِلَةٌ بِنَيْلِ الْبُغْيَةِ وَالْمَرَامِ، فَرَحِمَ اللَّهُ امْرَأً اتَّخَذَ لَيَالِيَ شَهْرِ مَوْلِدِهِ الْمُبَارَكَةَ أَعْيَاداً.

قَالَتْ حَلِيمَةُ: قَدِمْتُ مَكَّةَ فِي نِسْوَةٍ مِنْ بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ نَلْتَمِسُ الرُّضَعَاءَ[١] فِي سَنَةٍ شَهْبَاءَ[٢]، فَقَدِمْتُ عَلَى أَتَانٍ لِي، وَمَعِيَ صَبِيٌّ لَنَا وَشَارِفٌ[٣] لَنَا، وَاللَّهِ مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةٍ، وَمَا نَنَامُ لَيْلَنَا ذٰلِكَ أَجْمَعَ مَعَ صَبِيِّنَا، وَلاَ نَجِدُ فِي ثَدْيَيَّ مَا يُغَذِّيهِ، وَلاَ فِي شَارِفِنَا مَا يُغَذِّيهِ، فَقَدِمْنَا مَكَّةَ، فَوَاللَّهِ مَا عَلِمْتُ مِنَّا امْرَأَةً إِلاَّ وَقَدْ عُرِضَ عَلَيْها رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَتَأْبَاهُ إِذْ قِيلَ: إِنَّهُ يَتِيمٌ مِنَ الأَبِ، فَوَاللَّهِ مَا بَقِيَ مِنْ صَوَاحِبِي امْرَأَةٌ إِلاَّ أَخَذَتْ رَضِيعاً غَيْرَهُ، فَلَمَّا لَمْ أَجِدْ غَيْرَهُ قُلْتُ لِزَوْجِي[٤]: إِنِّي لأَكْرَهُ أَنْ أَرْجِعَ مِنْ بَيْنِ صَوَاحِبَاتِي وَلَيْسَ مَعِيَ رَضِيعٌ، لأَنْطَلِقَنَّ إِلَى ذٰلِكَ الْيَتِيمِ فَلآخُذَنَّهُ، فَذَهَبْتُ فَإِذَا بِهِ مُدْرَجٌ فِي ثَوْبِ صُوفٍ أَبْيَضَ مِنَ اللَّبَنِ، يَفُوحُ مِنْهُ الْمِسْكُ، وَتَحْتَهُ حَرِيرَةٌ خَضْرَاءُ رَاقِداً عَلَى قَفَاهُ يَغُطُّ، فَأَشْفَقْتُ أَنْ أُوقِظَهُ مِنْ نَوْمِهِ لِحُسْنِهِ وَجَمَالِهِ، فَدَنَوْتُ مِنْهُ رُوَيْداً، فَوَضَعْتُ يَدِي عَلَى صَدْرِهِ، فَتَبَسَّمَ ضَاحِكاً، فَفَتَحَ عَيْنَيْهِ يَنْظُرُ إِلَيَّ، فَخَرَجَ مِنْ عَيْنَيْهِ نُورٌ حَتَّى دَخَلَ خِلاَلَ السَّمَاءِ، وَأَنَا أَنْظُرُ، فَقَبَّلْتُهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَأَعْطَيْتُهُ ثَدْيِي الأَيْمَنَ، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ بِمَا شَاءَ مِنْ لَبَنٍ، فَحَوَّلْتُهُ إِلَى الأَيْسَرِ فَأَبَى، وَكَانَتْ تِلْكَ حَالَهُ بَعْدُ[٥]، قَالَتْ: فَرَوِيَ وَرَوِيَ أَخُوهُ، ثُمَّ أَخَذْتُهُ فَمَا هُوَ إِلاَّ أَن جِئْتُ بِهِ إِلَى رَحْلِي، فَأَقْبَلَ عَلَيْهِ ثَدْيَايَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ لَبَنٍ، فَشَرِبَ حَتَّى رَوِيَ، وَشَرِبَ أَخُوهُ حَتَّى رَوِيَ، فَقَامَ صَاحِبِي ـ تَعْنِي زَوْجَهَا ـ

---

(١) وكان من عادة العرب أن يلتمسوا المراضع لمواليدهم في البوادي ليكون أنجب للولد، وكانوا يقولون: إن المربىٰ في المدن يكون كَلِيلَ الذهن، فاتر العزيمة.

(٢) قاحلة.

(٣) ناقة مُسِنة.

(٤) الحارث بن عبدالعزىٰ السعدي (أبو كبشة).

(٥) فقد ألهمه الله أنّ له شريكاً في اللبن، فأبىٰ أن يتناول نصيبه.

إِلَى شَارِفِنَا تِلْكَ فَإِذَا بِهَا لَحَافِلٌ، فَحَلَبَ مَا شَرِبَ وَشَرِبْتُ حَتَّى رَوِينَا، وَبِتْنَا بِخَيْرِ لَيْلَةٍ، فَقَالَ صَاحِبِي: يَا حَلِيمَةُ، وَاللَّهِ إِنِّي لأَرَاكِ قَدْ أَخَذْتِ نَسَمَةً مُبَارَكَةً، أَلَمْ تَرَيْ مَا بِتْنَا بِهِ اللَّيْلَةَ مِنَ الْخَيْرِ وَالْبَرَكَةِ حِينَ أَخَذْنَاهُ؟ فَلَمْ يَزَلِ اللَّهُ يَزِيدُنَا خَيْراً[(١)].

قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَوَدَّعْتُ أُمَّ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ رَكِبْتُ أَتَانِي، وَأَخَذْتُهُ بَيْنَ يَدَيَّ، فَسَبَقَتْ دَوَابَّ النَّاسِ الَّذِينَ كَانُوا مَعِي، وَهُمْ يَتَعَجَّبُونَ مِنْهَا، ثُمَّ قَدِمْنَا مَنَازِلَ بَنِي سَعْدٍ، وَلاَ أَعْلَمُ أَرْضاً مِنْ أَرْضِ اللَّهِ أَجْدَبَ مِنْهَا، وَكَانَتْ غَنَمِي تَرُوحُ[(٢)] عَلَيَّ حِينَ قَدِمْنَا بِهِ شِبَاعاً لُبَّناً، فَنَحْلِبُ وَنَشْرَبُ، وَمَا يَحْلِبُ إِنْسَانٌ قَطْرَةَ لَبَنٍ، وَلاَ يَجِدُهَا فِي ضَرْعٍ، حَتَّى كَانَ الْحَاضِرُ مِنْ قَوْمِنَا يَقُولُونَ لِرُعْيَانِهِم: اسْرَحُوا حَيْثُ يَسْرَحُ رَاعِي غَنَمِ بِنْتِ أَبِي ذُؤَيْبٍ، فَتَرُوحُ أَغْنَامُهُمْ جِيَاعاً مَا تَبِضُّ بِقَطْرَةِ لَبَنٍ، وَتَرُوحُ أَغْنَامِي شِبَاعاً لُبَّناً.

وَعَنْ عَمِّهِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعَانِي إِلَى الدُّخُولِ فِي دِينِكَ أَمَارَةٌ[(٣)] لِنُبُوَّتِكَ، رَأَيْتُكَ فِي الْمَهْدِ تُنَاغِي الْقَمَرَ، وَتُشِيرُ إِلَيْهِ بِإِصْبَعِكَ، فَحَيْثُ أَشَرْتَ إِلَيْهِ مَالَ، قَالَ: «**إِنِّي كُنْتُ أُحَدِّثُهُ وَيُحَدِّثُنِي، وَيُلْهِينِي مِنَ الْبُكَاءِ، وَأَسْمَعُ وَجْبَتَهُ[(٤)] حِينَ يَسْجُدُ تَحْتَ الْعَرْشِ**»[(٥)].

وَفِي فَتْحِ الْبَارِي: أَنَّهُ ﷺ تَكَلَّمَ فِي أَوَائِلِ مَا وُلِدَ.

وَذَكَرَ ابْنُ سَبُعٍ: أَنَّ مَهْدَهُ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلاَئِكَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَتْ حَلِيمَةُ تُحَدِّثُ أَنَّهَا أَوَّلَ

---

(١) رواه ابن إسحاق، وابن راهويه، وأبو يعلىٰ، والطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم.
(٢) ترجع.
(٣) علامة.
(٤) صوته.
(٥) رواه البيهقي في الدلائل، والخطيب، وابن عساكر، كما في كنز العمال ٣١٨٢٨.

مَا فَطَمَتْ رَسُولَ اللهِ ﷺ تكلَّمَ، فَقَالَ: «**اللهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً**»، فَلَمَّا تَرَعْرَعَ كَانَ يَخْرُجُ فَيَنْظُرُ إِلَى الصِّبْيَانِ يَلْعَبُونَ فَيَجْتَنِبُهُم[1].

وَعَنْهُ أَيْضاً: أَنَّ الشَّيْمَاءَ أُخْتَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الرَّضَاعَةِ رَأَتْ غَمَامَةً تُظِلُّهُ، إِذَا وَقَفَ وَقَفَتْ، وَإِذَا سَارَ سَارَتْ، أَيَّامَ كَانَ عِنْدَ حَلِيمَةَ[2].

وَكَانَ ﷺ يَشِبُّ شَبَاباً لاَ يَشِبُّهُ الْغِلْمَانُ.

❊ ❊ ❊

[حادثة شق البطن]

قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَلَمَّا فَصَلْتُهُ[3] قَدِمْنَا بِهِ عَلَى أُمِّهِ وَنَحْنُ أَحْرَصُ شَيْءٍ عَلَى مُكْثِهِ فِينَا، لِمَا نَرَى مِنْ بَرَكَتِهِ، فَكَلَّمْنَا أُمَّهُ وَقُلْنَا: لَوْ تَرَكْتِيهِ عِنْدَنَا حَتَّى يَغْلُظَ، فَإِنَّا نَخْشَى عَلَيْهِ وَبَاءَ مَكَّةَ، وَلَمْ نَزَلْ حَتَّى رَدَّتْهُ مَعَنَا، فَرَجَعْنَا بِهِ، فَوَاللّهِ إِنَّهُ لَبَعْدَ مَقْدَمِنَا بِشَهْرَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ مَعَ أَخِيهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ لَفِي بَهْمٍ[4] لَنَا خَلْفَ بُيُوتِنَا، جَاءَ أَخُوهُ[5] يَشْتَدُّ فَقَالَ: ذَاكَ أَخِي الْقُرَشِيُّ قَدْ جَاءَهُ رَجُلاَنِ[6] عَلَيْهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ، فَأَضْجَعَاهُ، وَشَقَّا بَطْنَهُ، قَالَتْ حَلِيمَةُ: فَخَرَجْتُ أَنَا وَأَبُوهُ نَشْتَدُّ نَحْوَهُ، فَنَجِدُهُ قَائِماً مُنْتَقِعاً لَوْنُهُ[7]، فَاعْتَنَقَهُ أَبُوهُ فَقَالَ لَهُ: أَيْ بُنَيَّ مَا

---

(١) رواه البيهقي وابن عساكر.

(٢) رواه أبو نعيم، وابن عساكر.

(٣) فَطَمْته.

(٤) وهو ولد الضأن.

(٥) واسمه عبدالله.

(٦) هما: جبريل وميكائيل.

(٧) أي: لونه كلَوْن التراب.

شَأْنُكَ؟ قَالَ: «**جَاءَنِي رَجُلانِ عَلَيهِمَا ثِيَابٌ بِيضٌ فَأَضْجَعَانِي، فَشَقَّا بَطْنِي، ثُمَّ اسْتَخْرَجَا مِنْهُ شَيْئاً**[١] **فَطَرَحَاهُ، ثُمَّ رَدَّاهُ كَمَا كَانَ**»[٢]، فَرَجَعْنَاهُ مَعَنَا. فَقَالَ أَبُوهُ: يَا حَلِيمَةُ لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ يَكُونَ ابْنِي قَدْ أُصِيبَ، فَانْطَلِقِي بِنَا نَرُدُّهُ إِلَى أَهْلِهِ قَبْلَ أَنْ يَظْهَرَ بِهِ مَا نَتَخَوَّفُ، فَاحْتَمَلْنَاهُ حَتَّى قَدِمْنَا بِهِ مَكَّةَ عَلَى أُمِّهِ، فَقَالَتْ: مَا رَدَّكُمَا بِهِ فَقَدْ كُنْتُمَا حَرِيصَيْنِ عَلَيْهِ؟ قُلْنَا: نَخْشَى عَلَيْهِ الأَتْلافَ وَالأَحْدَاثَ، فَقَالَتْ: مَا ذَاكِ بِكُمَا، فَاصْدُقَانِي شَأْنَكُمَا، فَلَمْ تَدَعْنَا حَتَّى أَخْبَرْنَاهَا خَبَرَهُ، قَالَتْ: أَخَشِيتُمَا عَلَيْهِ الشَّيْطَانَ؟ كَلاَّ وَاللَّهِ، مَا لِلشَّيْطَانِ عَلَيْهِ سَبِيلٌ، وَإِنَّهُ لَكَائِنٌ لابْنِي هٰذَا شَأْنٌ، فَدَعَاهُ عَنْكُمَا[٣].

وَفِي حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**كُنْتُ مُسْتَرْضَعاً فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ، فَبَيْنَمَا أَنَا ذَاتَ يَوْمٍ فِي بَطْنِ وَادٍ مَعَ أَتْرَابٍ لِي مِنَ الصِّبْيَانِ، إِذْ أَنَا بِرَهْطٍ ثَلاثَةٍ مَعَهُمْ طَسْتٌ مِنْ ذَهَبٍ مَلِيءٍ ثَلْجاً، فَأَخَذُونِي مِنْ بَيْنِ أَصْحَابِي، وَانْطَلَقَ الصِّبْيَانُ هِرَاباً مُسْرِعِينَ إِلَى الْحَيِّ، فَعَمِدَ أَحَدُهُمْ فَأَضْجَعَنِي عَلَى الأَرْضِ إِضْجَاعاً لَطِيفاً، ثُمَّ شَقَّ مَا بَيْنَ مَفْرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي، وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيهِ لَمْ أَجِدْ لِذٰلِكَ مَسًّا، ثُمَّ أَخْرَجَ أَحْشَاءَ بَطْنِي، ثُمَّ غَسَلَهَا بِذٰلِكَ الثَّلْجِ، فَأَنْعَمَ غَسْلَهَا**[٤] **ثُمَّ أَعَادَهَا مَكَانَهَا، ثُمَّ قَامَ الثَّانِي فَقَالَ لِصَاحِبِهِ: تَنَحَّ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فِي جَوْفِي، وَأَخْرَجَ قَلْبِي وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، وَصَدَعَهُ**[٥] **ثُمَّ أَخْرَجَ مِنْهُ مُضْغَةً سَوْدَاءَ فَرَمَى بِهَا، ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ يَمْنَةً وَيَسْرَةً**

---

(١) هو حظُّ الشيطان، كما في رواية مسلم.

(٢) قال أنس: وقد كنت أرىٰ أثر ذلك المِخْيَط في صدره (رواه مسلم) ومكانه كما سيأتي ما بين مَفرِق صدره إلىٰ منتهىٰ عانته.

(٣) وقد مكث النبي ﷺ عندها ما يزيد علىٰ أربع سنين. هذا وقد أسلمت حليمة وزوجها وبنوها.

(٤) زاد فيه وبالغ.

(٥) شقه.

كَأَنَّهُ يَتَنَاوَلُ شَيْئاً، فَإِذَا بِخَاتَمٍ فِي يَدِهِ مِنْ نُورٍ يَحَارُ النَّاظِرُ دُونَهُ، فَخَتَمَ بِهِ قَلْبِي، فَامْتَلأَ نُوراً، وَذٰلِكَ نُورُ النُّبُوَّةِ وَالْحِكْمَةِ، ثُمَّ أَعَادَهُ مَكَانَهُ، فَوَجَدْتُ بَرْدَ ذٰلِكَ الْخَاتَمِ فِي قَلْبِي دَهراً، ثُمَّ قَالَ الثَّالِثُ لِصَاحِبِهِ: تَنحَّ، فَأَمَرَّ يَدَهُ بَيْنَ مَفرِقِ صَدْرِي إِلَى مُنْتَهَى عَانَتِي، فَالْتَأَمَ ذٰلِكَ الشَّقُّ[1] بِإِذْنِ اللّهِ تَعَالَى، ثُمَّ أَخَذَ بِيدِي فَأَنْهَضَنِي مِنْ مَكَانِي إِنْهَاضاً لَطِيفاً، ثُمَّ قَالَ لِلأَوَّلِ: زِنْهُ بِعَشَرَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَوَزَنَنِي بِهِمْ، فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِمِئَةٍ مِنْ أُمَّتِهِ، فَرَجَحْتُهُمْ، ثُمَّ قَالَ: زِنْهُ بِأَلْفٍ، فَرَجَحْتُهُمْ، فَقَالَ: دَعُوهُ فَلَوْ وَزَنْتُمُوهُ بِأُمَّتِهِ كُلِّهَا لَرَجَحَهُمْ، ثُمَّ ضَمُّونِي إِلَى صُدُورِهِمْ، وَقَبَّلُوا رَأْسِي وَمَا بَيْنَ عَيْنَيَّ، ثُمَّ قَالُوا: يَا حَبِيبُ لَمْ تُرَعْ[2]، إِنَّكَ لَوْ تَدْرِي مَا يُرَادُ بِكَ مِنَ الْخَيْرِ لَقَرَّتْ عَيْنَاكَ»[3].

وَالْمُرَادُ بِالْوَزْنِ فِي قَوْلِهِ: «زِنْهُ بِعَشَرَةٍ... إِلَى آخِرِهِ» الْوَزْنُ الاعْتِبَارِيُّ، فَيَكُونُ الْمُرَادُ بِالرُّجْحَانِ: الرُّجْحَانَ فِي الْفَضْلِ.

وَقَدْ وَقَعَ شَقُّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ مَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ مَجِيءِ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَهُ بِالْوَحْيِ فِي غَارِ حِرَاءٍ، وَمَرَّةً أُخْرَى عِنْدَ الإِسْرَاءِ بِهِ ﷺ.

وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ فِي الدَّلَائِلِ الشَّقَّ أَيْضاً وَهُوَ ابْنُ عِشْرِينَ[4].

وَالْحِكْمَةُ فِي شَقِّ صَدْرِهِ الشَّرِيفِ فِي حَالِ صِبَاهُ، وَاسْتِخْرَاجِ الْعَلَقَةِ مِنْهُ: تَطْهِيرُهُ عَنْ حَالَاتِ الصِّبَا، حَتَّى يَتَّصِفَ فِي سِنِّ الصِّبَا بِأَوْصَافِ الرُّجُولِيَّةِ، وَلِذٰلِكَ نَشَأَ عَلَى أَكْمَلِ الأَحْوَالِ مِنَ الْعِصْمَةِ ﷺ.

❋ ❋ ❋

---

(١) بالفتح مصدر، وبالكسر اسم.

(٢) لم يصبك الفزع.

(٣) رواه أبو يعلىٰ، وأبو نعيم، وابن عساكر.

(٤) في المواهب وشرحها: وهو ابن عشر أو نحوها.

[خاتم النبوة]

وَقَدْ خُتِمَ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ ﷺ(١)، وَكَانَ يَنُمُّ(٢) مِسْكاً، وَإِنَّهُ مِثْلُ زِرِّ الْحَجَلَةِ. ذَكَرَهُ الْبُخَارِيُّ(٣). قَالَ النَّوَوِيُّ: الْحَجَلَةُ: وَاحِدَةُ الْحِجَالِ، وَهِيَ بَيْتٌ كَالْقُبَّةِ لَهَا أَزْرَارٌ وَعُرًى، هٰذَا هُوَ الصَّوَابُ. وَقَالَ بَعْضُهُمْ: الْمُرَادُ بِالْحَجَلَةِ: الطَّائِرُ الْمَعْرُوفُ، وَزِرُّهَا: بَيْضُهَا(٤).

❋ ❋ ❋

[وفاة آمنة]

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ(٥) وَغَيْرِهِ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ لَمَّا بَلَغَ سِتَّ سِنِينَ خَرَجَتْ بِهِ أُمُّهُ إِلَى أَخْوَالِهِ(٦) بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ بِالْمَدِينَةِ تَزُورُهُمْ، وَمَعَهُ أُمُّ أَيْمَنَ(٧)، فَنَزَلَتْ بِهِ دَارَ التَّابِعَةِ(٨)، فَأَقَامَتْ بِهِ عِنْدَهُمْ شَهْراً، فَكَانَ ﷺ يَذْكُرُ أُمُوراً كَانَتْ فِي مُقَامِهِ ذٰلِكَ، وَنَظَرَ إِلَى الدَّارِ وَقَالَ: «**هَاهُنَا نَزَلَتْ بِي أُمِّي، وَأَحْسَنْتُ الْعَوْمَ فِي بِئْرِ بَنِي عَدِيِّ بْنِ النَّجَّارِ، وَكَانَ قَوْمٌ مِنَ الْيَهُودِ يَخْتَلِفُونَ(٩) يَنْظُرُونَ إِلَيَّ**»، قَالَتْ أُمُّ أَيْمَنَ: فَسَمِعْتُ أَحَدَهُمْ يَقُولُ: هُوَ نَبِيُّ

---

(١) بعد شَق بطنه علىٰ الأصح.

(٢) يسطع.

(٣) ومسلم.

(٤) وخاتم النبوة: قطعة لحم ناتئة، عليها شعر، عند كتفه الأيسر، كأنه بيضة حمَام.

(٥) فيما رواه ابن سعد.

(٦) أي: أخوال جدِّه، أما أخواله: فهم بنو مخزوم.

(٧) بركة الحبشية، وقد أسلمت، وهاجرت الهجرتين، وماتت بعده ﷺ بخمسة أشهر.

(٨) وهو رجل من بني عدي بن النجار.

(٩) يأتون.

هٰذِهِ الأُمَّة، وَهٰذِهِ دَارُ هِجْرَتِهِ، فَوَعَيْتُ ذٰلِكَ كُلَّهُ مِنْ كَلامِهِمْ، ثُمَّ رَجَعَتْ بِهِ أُمُّهِ إِلَى مَكَّةَ، فَلَمَّا كَانَتْ بِالأَبْوَاءِ[1] تُوُفِّيَتْ.

وَرَوَى الزُّهْرِيُّ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ رَهْمٍ عَنْ أُمِّهَا قَالَتْ: شَهِدْتُ آمِنَةَ أُمَّ النَّبِيِّ ﷺ فِي عَلَّتِهَا الَّتِي مَاتَتْ بِهَا، وَمُحَمَّدٌ ﷺ غُلامٌ يَفَعٌ (لَهُ خَمْسُ سِنِينَ) عِنْدَ رَأْسِهَا، فَنَظَرَتْ إِلَى وَجْهِهِ وَقَالَتْ[2] أَبْيَاتَ شِعْرٍ، ثُمَّ قَالَتْ: كُلُّ حَيٍّ مَيِّتٌ، وَكُلُّ جَدِيدٍ بَالٍ، وَكُلُّ كَثِيرٍ يَفْنَى، وَأَنَا مَيِّتَةٌ وَذِكْرِي بَاقٍ، وَقَدْ تَرَكْتُ خَيْراً، وَوَلَدْتُ طُهْراً، ثُمَّ مَاتَتْ، فَكُنَّا نَسْمَعُ نَوْحَ الْجِنِّ عَلَيْهَا[3].

❋ ❋ ❋

[قضية نجاة والديه ﷺ]

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ آمِنَةَ آمَنَتْ بِهِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهَا، رَوَى الطَّبَرَانِيُّ[4] بِسَنَدِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ الْحَجُونَ[5] كَئِيباً حَزِيناً، فَأَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ اللّٰهُ، ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُوراً، قَالَ: «**سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَحْيَى لِي أُمِّي، فَآمَنَتْ بِي، ثُمَّ رَدَّهَا**».

وَكَذَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضاً إِحْيَاءُ أَبَوَيْهِ ﷺ حَتَّى آمَنَا بِهِ. أَوْرَدَهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْخَطِيبُ.

---

(١) وهي قرية قريبة من المدينة.

(٢) أي: آمنة.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) بل الطبري، كما في المواهب.

(٥) جبل مشرف بمكة.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذْكَرَةِ[1]: إِنَّ فَضَائِلَهُ ﷺ وَخَصَائِصَهُ لَمْ تَزَلْ تَتَوَالَى وتَتَتَابَعُ إِلَى حِينِ مَمَاتِهِ، فَيَكُونُ هٰذَا مِمَّا فَضَّلَهُ اللّٰهُ بِهِ وَأَكْرَمَهُ، قَالَ: وَلَيْسَ إِحْيَاؤُهُمَا وَإِيمَانُهُمَا مُمْتَنِعاً عَقْلاً وَلاَ شَرْعاً، فَقَدْ وَرَدَ فِي الْكِتَابِ الْعَزِيزِ إِحْيَاءُ قَتِيلِ بَنِي إِسْرَائِيلَ، وَأَخْبَرَ بِقَاتِلِهِ، وَكَانَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُحْيِي الْمَوْتَى، وَكَذٰلِكَ نَبِيُّنَا ﷺ أَحْيَى اللّٰهُ عَلَى يَدَيْهِ جَمَاعَةً مِنَ الْمَوْتَى[2]، وَإِذَا ثَبَتَ هٰذَا فَمَا يَمْتَنِعُ إِيمَانُهُمَا بَعْدَ إِحْيَائِهِمَا، وَيَكُونُ ذٰلِكَ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ وَفَضِيلَتِهِ ﷺ.

وَقَالَ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ[3]: إِنَّ جَمِيعَ آبَاءِ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانُوا مُسْلِمِينَ، وَمِمَّا يَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ قَوْلُهُ ﷺ: «**لَمْ أَزَلْ أُنْقَلُ مِنْ أَصْلاَبِ الطَّاهِرِينَ إِلَى أَرْحَامِ الطَّاهِرَاتِ**» وَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ﴾[4] فَوَجَبَ أَنْ لاَ يَكُونَ أَحَدٌ مِنْ أَجْدَادِهِ مُشْرِكاً.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْحَافِظُ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ نَاصِرِ الدِّينِ الدِّمَشْقِيُّ حَيْثُ قَالَ:

حَبَا اللّٰهُ النَّبِيَّ مَزِيدَ فَضْلٍ ... عَلَى فَضْلٍ وَكَانَ بِهِ رَؤُوفَا
فَأَحْيَى أُمَّهُ وَكَذَا أَبَاهُ ... لإِيمَانٍ بِهِ فَضْلاً لَطِيفَا
فَسَلِّمْ فَالْقَدِيمُ بِذَا قَدِيرٌ ... وَإِنْ كَانَ الْحَدِيثُ بِهِ ضَعِيفَا

وَقَدْ كَانَتْ أُمُّ أَيْمَنَ[5] دَايَتَهُ وَحَاضِنَتَهُ بَعْدَ مَوْتِ أُمِّهِ[6]، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ لَهَا: «**أَنْتِ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي**».

❋ ❋ ❋

(١) في أحوال الموتىٰ وأمور الآخرة.
(٢) كما سيأتي ص٤١٧.
(٣) في كتابه: أسرار التنزيل.
(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٨.
(٥) بركة الحبشية.
(٦) وكان عمره ست سنوات.

[وفاة عبد المطلب، وكفالة أبي طالب]

وَمَاتَ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ كَافِلُهُ وَلَهُ ثَمَانُ سِنِينَ، عَنْ عَشْرٍ وَمِئَةِ سَنَةٍ، وَقِيلَ: عَنْ مِئَةٍ وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

وَكَفَلَهُ أَبُو طَالِبٍ، وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ، وَكَانَ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ قَدْ أَوْصَاهُ بِذٰلِكَ، لِكَوْنِهِ شَقِيقَ عَبْدِاللّهِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ جَلْهَمَةَ بْنِ عُرْفُطَةَ قَالَ: قَدِمْتُ مَكَّةَ وَهُمْ فِي قَحْطٍ، فَقَالَتْ قُرَيْشٌ: يَا أَبَا طَالِبٍ أَقْحَطَ الْوَادِي وَأَجْدَبَ الْعِيَالُ[1]، فَهَلُمَّ فَاسْتَسْقِ، فَخَرَجَ أَبُو طَالِبٍ وَمَعَهُ غُلاَمٌ كَأَنَّهُ شَمْسٌ تَجَلَّتْ عَنْهَا سَحَابَةٌ، وَحَوْلَهُ أُغَيْلِمَةٌ، فَأَخَذَهُ أَبُو طَالِبٍ فَأَلْصَقَ ظَهْرَهُ بِالْكَعْبَةِ، وَلاَذَ الْغُلاَمُ بِإِصْبَعِهِ وَمَا فِي السَّمَاءِ قَزَعَةٌ[2]، فَأَقْبَلَ السَّحَابُ مِنْ هَاهُنَا وَهَاهُنَا، وَأَغْدَقَ وَاغْدَوْدَقَ وَانْفَجَرَ لَهُ الْوَادِي، وَأَخْصَبَ النَّادِي وَالْبَادِي، وَفِي ذٰلِكَ يَقُولُ أَبُو طَالِبٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ... ثِمَالُ الْيَتَامَى عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

(وَالثِّمَالُ بِالْكَسْرِ: الْمَلْجَأُ. وَعِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ: يَمْنَعُهُمْ مِنَ الضَّيَاعِ. وَالأَرَامِلُ: الْمَسَاكِينُ مِنْ رِجَالٍ وَنِسَاءٍ، وَاسْتِعْمَالُهُ بِالنِّسَاءِ أَكْثَرُ).

❊ ❊ ❊

[السفر إلى الشام]

وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ سَنَةً خَرَجَ مَعَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ إِلَى

(١) أصابهم المحْل (وهو انقطاع المطر).

(٢) سحابة.

الشَّامِ، حَتَّى بَلَغَ بُصْرَى، فَرَآهُ بَحِيرَا الرَّاهِبُ ـ وَاسْمُهُ جِرْجِيسُ ـ فَعَرَفَهُ بِصِفَتِهِ، فَقَالَ وَهُوَ آخِذٌ بِيَدِهِ: هٰذَا سَيِّدُ الْعَالَمِينَ، هٰذَا يَبْعَثُهُ اللّٰهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، فَقِيلَ لَهُ: وَمَا عِلْمُكَ بِذٰلِكَ؟ فَقَالَ: إِنَّكُمْ حِينَ أَشْرَفْتُمْ بِهِ مِنَ الْعَقَبَةِ[1] لَمْ يَبْقَ شَجَرٌ وَلاَ حَجَرٌ إِلاَّ خَرَّ سَاجِداً، وَلاَ يَسْجُدَانِ إِلاَّ لِنَبِيٍّ، وَإِنِّي أَعْرِفُهُ بِخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فِي أَسْفَلَ مِنْ غُضْرُوفِ كَتِفِهِ، مِثْلَ التُّفَّاحَةِ[2]، وَإِنَّا نَجِدُهُ فِي كُتُبِنَا، وَسَأَلَ أَبَا طَالِبٍ أَنْ يَرُدَّهُ خَوْفاً عَلَيْهِ مِنَ الْيَهُودِ[3].

وَأَقْبَلَ سَبْعَةٌ مِنَ الرُّومِ يَقْصِدُونَ قَتْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَاسْتَقْبَلَهُمْ بَحِيرَا فَقَالَ: مَا جَاءَ بِكُمْ؟ قَالُوا: إِنَّ هٰذَا النَّبِيَّ خَارِجٌ فِي هٰذَا الشَّهْرِ فَلَمْ يَبْقَ طَرِيقٌ إِلاَّ بُعِثَ إِلَيْهَا بِأُنَاسٍ، فَقَالَ: أَفَرَأَيْتُمْ أَمْراً أَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَقْضِيَهُ، هَلْ يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ رَدَّهُ؟ قَالُوا: لاَ. قَالَ: فَبَايَعُوهُ، فَأَقَامُوا مَعَهُ، وَرَدَّهُ أَبُو طَالِبٍ[4].

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ: أَنَّ بَحِيرَا رَآهُ وَهُوَ فِي صَوْمَعَتِهِ فِي الرَّكْبِ حِينَ أَقْبَلُوا وَغَمَامَةٌ بَيْضَاءُ تُظِلُّهُ مِنْ بَيْنِ الْقَوْمِ، ثُمَّ أَقْبَلُوا حَتَّى نَزَلُوا بِظِلِّ شَجَرَةٍ قَرِيباً مِنْهُ، فَنَظَرَ إِلَى الْغَمَامَةِ حِينَ أَظَلَّتِ الشَّجَرَةَ، وَتَهَصَّرَتْ[5] أَغْصَانُ الشَّجَرَةِ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ حَتَّى اسْتَظَلَّ تَحْتَهَا، وَأَنَّ بَحِيرَا قَامَ فَاحْتَضَنَهُ، وَجَعَلَ يَسْأَلُهُ عَنْ أَشْيَاءَ مِنْ حَالِهِ مِنْ نَوْمِهِ وَهَيْئَتِهِ وَأُمُورِهِ، وَيُخْبِرُهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ، فَيُوَافِقُ ذٰلِكَ مَا عِنْدَ بَحِيرَا مِنْ صِفَتِهِ، وَرَأَى خَاتَمَ النُّبُوَّةِ بَيْنَ كَتِفَيْهِ عَلَى مَوْضِعِهِ مِنْ صِفَتِهِ الَّتِي عِنْدَهُ.

---

(١) وهي المرقىٰ الصعب من الجبل.

(٢) الصغيرة.

(٣) رواه ابن أبي شيبة.

(٤) رواه الترمذي وحسّنه، والحاكم وصححه.

(٥) مالت وعطفت.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ ابْنُ ثَمَانَ عَشْرَةَ، والنَّبِيُّ ﷺ ابْنُ عِشْرِينَ سَنَةً، وَهُمْ يُرِيدُونَ الشَّامَ فِي تِجَارَةٍ؛ حَتَّى نَزَلاَ مَنْزِلاً فِيهِ سِدْرَةٌ[1] قَعَدَ فِي ظِلِّهَا، وَمَضَى أَبُو بَكْرٍ إِلَى رَاهِبٍ يُقَالُ لَهُ بَحِيرَا يَسْأَلُهُ عَنْ شَيْءٍ، فَقَالَ لَهُ: مَنِ الرَّجُلُ الَّذِي فِي ظِلِّ الشَّجَرَةِ؟ قَالَ: مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، قَالَ: هٰذَا وَاللَّهِ نَبِيٌّ، مَا اسْتَظَلَّ تَحْتَ ظِلِّهَا بَعْدَ عِيسَى إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَوَقَعَ فِي قَلْبِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَلَمَّا بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ اتَّبَعَهُ[2].

❋ ❋ ❋

[رحلته الثانية إلىٰ الشام]

ثُمَّ خَرَجَ ﷺ أَيْضاً وَمَعَهُ مَيْسَرَةُ[3] غُلاَمُ خَدِيجَةَ ابْنَةِ خُوَيْلِدِ بْنِ أَسَدٍ فِي تِجَارَةٍ لَهَا؛ حَتَّى بَلَغَ سُوقَ بُصْرَى، وَلَهُ إِذْ ذَاكَ خَمْسٌ وَعِشْرُونَ سَنَةً لأَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً بَقِيَتْ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، فَنَزَلَ تَحْتَ ظِلِّ شَجَرَةٍ، فَقَالَ نَسْطُورَا الرَّاهِبُ: مَا نَزَلَ تَحْتَ ظِلِّ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ بَعْدَ عِيسَى إِلاَّ نَبِيٌّ، وَكَانَ مَيْسَرَةُ يَرَى فِي الْهَاجِرَةِ[4] مَلَكَيْنِ يُظِلاَّنِهِ مِنَ الشَّمْسِ، وَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى مَكَّةَ فِي وَقْتِ الظَّهِيرَةِ وَخَدِيجَةُ فِي عِلِّيَّةٍ لَهَا؛ فَرَأَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى بَعِيرِهِ، وَمَلَكَانِ يُظِلاَّنِ عَلَيْهِ[5].

❋ ❋ ❋

---

(١) شجرة السدر.

(٢) رواه ابن منده بسند ضعيف.

(٣) قال ابن حجر في الإصابة: لم أقف علىٰ رواية صحيحة صريحة في أنه بقي إلىٰ البعثة.

(٤) نصف النهار عند اشتداد الحرّ.

(٥) رواه أبو نعيم.

[زواجه بخديجة رضي الله عنها]

وَتَزَوَّجَهَا ﷺ بَعْدَ ذٰلِكَ بِشَهْرَيْنِ وَخَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ يَوْماً، وَسِنُّهُ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً[١]، وَقِيلَ: ثَلاثُونَ. وَكَانَتْ تُدْعَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ بِالطَّاهِرَةِ، وَكَانَتْ تَحْتَ أَبِي هَالَةَ بْنِ زُرَارَةَ[٢] التَّمِيمِيِّ[٣]، فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْداً وَهَالَةَ - وَهُمَا ذَكَرَانِ[٤] - ثُمَّ تَزَوَّجَهَا عَتِيقُ بْنِ عَائِذٍ[٥] الْمَخْزُومِيُّ، فَوَلَدَتْ لَهُ هِنْداً[٦]، وَكَانَ لَهَا حِينَ تَزَوَّجَهَا النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْعُمُرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً وَبَعْضُ أُخْرَى، وَكَانَتْ عَرَضَتْ نَفْسَهَا عَلَيْهِ، فَذَكَرَ ذٰلِكَ لأَعْمَامِهِ، فَخَرَجَ مَعَهُ مِنْهُمْ حَمْزَةُ، حَتَّى دَخَلَ عَلَى خُوَيْلِدَ بْنِ أَسَدٍ، فَخَطَبَهَا إِلَيْهِ، فَتَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَحَضَرَ أَبُو طَالِبٍ وَرُؤَسَاءُ مُضَرَ، فَخَطَبَ أَبُو طَالِبٍ فَقَالَ:

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنَا مِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ، وَزَرْعِ إِسْمَاعِيلَ، وَضِئْضِيءِ[٧] مَعَدٍّ، وَعُنْصُرِ مُضَرَ، وَجَعَلَنَا حَضَنَةَ بَيْتِهِ، وَسُوَّاسَ حَرَمِهِ، وَجَعَلَ لَنَا بَيْتاً مَحْجُوجاً، وَحَرَماً آمِناً، وَجَعَلَنَا الْحُكَّامَ عَلَى النَّاسِ، ثُمَّ إِنَّ ابْنَ أَخِي هٰذَا مُحَمَّدَ بْنَ عَبْدِاللّهِ لاَ يُوزَنُ بِرَجُلٍ إِلاَّ رَجَحَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ فِي الْمَالِ قُلٌّ فَإِنَّ الْمَالَ ظِلٌّ زَائِلٌ، وَأَمْرٌ حَائِلٌ، وَمُحَمَّدٌ مَنْ قَدْ عَرَفْتُمْ قَرَابَتَهُ، وَقَدْ خَطَبَ خَدِيجَةَ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَبَذَلَ لَهَا مِنَ الصَّدَاقِ مَا آجِلُهُ وَعَاجِلُهُ مِنْ مَالِي كَذَا، وَهُوَ وَاللّهِ بَعْدَ هٰذَا لَهُ نَبَأٌ عَظِيمٌ وَخَطَرٌ جَلِيلٌ. فَزَوَّجَهُ إِيَّاهَا أَبُوهَا

---

(١) بل خمس وعشرون كما تقدم.
(٢) والزُّرارة: ما رَميت به في حائط فلزِق به.
(٣) وقد مات أبو هالة في الجاهلية.
(٤) وقد أسلما وحسن إسلامهما.
(٥) بل عابد، كما في الإصابة، والبداية والنهاية، وسيرة ابن هشام، وتاريخ الأصم للطبري.
(٦) وهي أنثى، وقد أسلمت.
(٧) أصل، كما سيأتي.

خُوَيْلِدٌ[١] ـ وَكَانَ الصَّدَاقُ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً ذَهَباً وَنَشّاً ـ.

(وَالأُوقِيَّةُ: أَرْبَعُونَ دِرْهماً. وَالنَّشُّ: نِصْفُ أُوقِيَّةٍ[٢]. وَالضِّئْضِىءُ: الأَصْلُ، وَكَذَا الْعُنْصُرُ).

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ خَمْساً وَثَلاَثِينَ سَنَةً بَنَتْ قُرَيْشٌ الْكَعْبَةَ، وَكَانَ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ الْحِجَارَةَ، وَكَانُوا يَضَعُونَ أُزُرَهُمْ عَلَى عَوَاتِقِهِمْ وَيَحْمِلُونَ الْحِجَارَةَ، فَفَعَلَ ذٰلِكَ ﷺ فَسَقَطَ مِنْ قِيَامٍ، وَنُودِيَ: عَوْرَتَكَ! فَكَانَ ذٰلِكَ أَوَّلَ مَا نُودِيَ[٣]، فَقَالَ لَهُ أَبُو طَالِبٍ أَوِ الْعَبَّاسُ: يَا ابْنَ أَخِي اجْعَلْ إِزَارَكَ عَلَى رَأْسِكَ، فَقَالَ: «**مَا أَصَابَنِي مَا أَصَابَنِي إِلاَّ مِنَ التَّعَرِّي**»[٤].

❊ ❊ ❊

[بدء الوحي]

وَلَمَّا بَلَغَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَرْبَعِينَ سَنَةً بَعَثَهُ اللّهُ تَعَالَى رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَرَسُولاً إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ[٥] أَجْمَعِينَ، وَكَانَ ذٰلِكَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ[٦] مِنْ رَمَضَانَ[٧].

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي التَّعْبِيرِ حَدِيثَ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى

---

(١) بل عمها عمرو بن أسد، كما رجّحه السهيلي شارح السيرة النبوية لابن هشام.

(٢) فالكل: خمس مئة درهم، وهي تعادل ١٤٠٠ غراماً من الفضة.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) **تتمة**: فلما أرادوا أن يضعوا الحَجَر الأسود اختصموا فيه، فقالوا: نُحكّم بيننا أول مَن يخرج من هذه السِّكَّة، فكان ﷺ أولَ مَن خرج، فحكمَ بينهم أن يجعله في ثوب، ثم يرفعه من كل قبيلة رَجُل، فرفعوه، ثم أخذه ﷺ فوضعه بيده.

(٥) الإنس والجن.

(٦) مضت.

(٧) سنة ١٣ قبل الهجرة.

عَنهَا: أَوَّلُ مَا بُدِئَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ[١]، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، وَكَانَ يَأْتِي حِرَاءَ[٢] فَيَتَحَنَّثُ فِيهِ ـ وَهُوَ التَّعَبُّدُ ـ اللَّيَالِيَ ذَوَاتِ الْعَدَدِ[٣]، وَيَتَزَوَّدُ لِذٰلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ فَتُزَوِّدُهُ لِمِثْلِهَا حَتَّى فَجَأَهُ الْحَقُّ وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ فِيهِ[٤]، فَقَالَ: اقْرَأْ! «**فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ[٥]، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ! فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ! فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِئٍ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّالِثَةَ، حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدَ[٦]، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ **حَتَّى بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ:** ﴿مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾[٧]» فَرَجَعَ بِهَا[٨] تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ[٩] حَتَّى دَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ فَقَالَ: «**زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي**»[١٠]، فَزَمَّلُوهُ حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ[١١]، فَقَالَ: «**يَا خَدِيجَةُ مَا لِي!**»

---

(١) وكانت مدة تلك الرؤىٰ ستة أشهر.

(٢) وهو جبل في أعلىٰ مكة علىٰ بُعد ٥ كيلومتر منها، علىٰ يسار المارّ إلىٰ منىٰ.

(٣) من عشرة أيام إلىٰ شهر، وكانت عبادته علىٰ دين سيدنا إبراهيم عليه الصلاة والسلام، قيل: كان تعبُّده التفكُّر، وقيل: الذِّكْر.

(٤) في صورته التي خلقه الله عليها، ولم يره علىٰ صورته الحقيقية إلا مرتين، هذه الأولىٰ، وأما الثانية: فرآه في السماء ليلة الإسراء والمعراج، أما في باقي الحالات فكان يراه في صورة رَجُل، وكان يأتي غالباً في صورة رجل من الصحابة جميلِ الصورة، هو دِحية الكلبي، ويراه الحاضرون، ويسمعون قوله، ولا يعرفون حقيقته، أو كان يأتيه ولا يراه، لكن يصحب مجيئُه صوت كصوت الجرَس، أو كدويّ النحل، وهي أشد الحالات علىٰ النبي ﷺ.

(٥) المشقة.

(٦) وإنما فعل به ذلك ليختبر صبره، وليرتاض لاحتمال ما كُلِّف به من أعباء النبوة.

(٧) سورة العلق، الآيات: ١ ـ ٥.

(٨) بالآيات.

(٩) سيأتي بيانها.

(١٠) غطّوني.

(١١) الخوف.

وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ، وَقَالَ: «قَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»(١)، فَقَالَتْ لَهُ: كَلاَّ أَبْشِرْ، فَوَاللَّهِ لاَ يُخْزِيكَ اللَّهُ أَبَداً، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَصْدُقُ الْحَدِيثَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ(٢)، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ(٣)، ثُمَّ انْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِالْعُزَّى بْنِ قُصَيٍّ، وَهُوَ ابْنُ عَمِّ خَدِيجَةَ أَخِي أَبِيهَا، وَكَانَ امْرَأً تَنَصَّرَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ(٤)، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعَرَبِيَّ، فَيَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ مِنَ الإِنْجِيلِ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكْتُبَ(٥)، وَكَانَ شَيْخاً كَبِيراً قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: أَيِ ابْنَ عَمِّ! اسْمَعْ مِنَ ابْنِ أَخِيكَ، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا ابْنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ النَّبِيُّ ﷺ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هٰذَا النَّامُوسُ(٦) الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً(٧)، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا حِينَ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوَمُخْرِجِيَّ هُمْ؟» فَقَالَ وَرَقَةُ: نَعَمْ، لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمَا جِئْتَ بِهِ إِلاَّ عُودِيَ، وَإِنْ يُدْرِكْنِي يَوْمُكَ أَنْصُرْكَ نَصْراً مُؤَزَّراً.

ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ(٨) وَرَقَةُ أَنْ تُوُفِّيَ(٩)، وَفَتَرَ الْوَحْيُ فَتْرَةً(١٠) حَتَّى حَزِنَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا بَلَغَنَا حُزْناً غَدَا مِنْهُ مِرَاراً كَيْ يَتَرَدَّى مِنْ رُؤُوسِ شَوَاهِقِ

---

(١) لأن الملَك غطّه حتىٰ كاد يموت.
(٢) الضعيف.
(٣) نوازل الزمان.
(٤) وكان ممن يعبد الله ويوحّده.
(٥) رواية البخاري: (يكتب الكتاب العربي، فيكتب بالعربية)، ورواية مسلم: (يكتب الكتاب العِبري، فيكتب بالعبرانية)، قال النووي في شرح مسلم: العبارتان صحيحتان، فإنه تمكّن حتىٰ صار يكتب من الإنجيل بالعربية وبالعبرانية.
(٦) صاحب الوحي.
(٧) شابًا.
(٨) لم يلبث.
(٩) قبل الدعوة إلىٰ الإسلام.
(١٠) هي أربعون يوماً علىٰ الراجح، حتىٰ نزل قوله تعالىٰ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١﴾.

الْجِبَالِ، فَكُلَّمَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ لِكَيْ يُلْقِيَ نَفْسَهُ مِنْهُ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللّهِ حَقًّا، فَيَسْكُنُ لِذٰلِكَ جَأْشُهُ وَتَقِرُّ نَفْسُهُ، فَيَرْجِعُ، فَإِذَا طَالَتْ عَلَيْهِ فَتْرَةُ الْوَحْيِ غَدَا لِمِثْلِ ذٰلِكَ، فَإِذَا أَوْفَى بِذِرْوَةِ جَبَلٍ تَبَدَّى لَهُ جِبْرِيلُ، فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ[١].

[قَوْلُهُ: «**مَا أَنَا بِقَارِئٍ**» أَيْ: إِنِّي أُمِّيٌّ فَلاَ أَقْرَأُ الْكُتُبَ[٢]. وَقَوْلُهُ: تَرْجُفُ بَوَادِرُهُ: هِيَ جَمْعُ بَادِرَةٍ، وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي بَيْنَ الْعُنُقِ وَالْمَنْكِبِ. وَقَوْلُ وَرَقَةَ: لَيْتَنِي فِيهَا جَذَعاً: الضَّمِيرُ لِلنُّبُوَّةِ، أَيْ: لَيْتَنِي كُنْتُ شَابًّا عِنْدَ ظُهُورِهَا، حَتَّى أُبَالِغَ فِي نُصْرَتِهَا].

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ[٣]: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ حِينَ أَرَادَ اللّهُ كَرَامَتَهُ وَابْتَدَأَهُ بِالنُّبُوَّةِ كَانَ لاَ يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلاَ شَجَرٍ إِلاَّ سَلَّمَ عَلَيْهِ، وَسَمِعَ مِنْهُ، فَيَلْتَفِتُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ خَلْفَهُ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ فَلاَ يَرَى إِلاَّ الشَّجَرَ وَمَا حَوْلَهُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَهِيَ تُحَيِّيهِ بِتَحِيَّةِ النُّبُوَّةِ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ.

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**جَاوَرْتُ بِحِرَاءٍ شَهْراً، فَلَمَّا قَضَيْتُ جِوَارِي هَبَطْتُ، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ عَنْ شِمَالِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَنَظَرْتُ خَلْفِي فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ**

---

(١) قصة عزمه ﷺ علىٰ أن يرمي نفسه من ذرا الجبال وردت في البخاري، إلا أنها ليست علىٰ شرط الصحيح، لأنها من البلاغات (إذ رواها بلفظ: فيما بلغنا)، وهي من قبيل المنقطع، والمنقطع من أنواع الضعيف، ولعل البخاري ذكرها لينبّهنا إلىٰ مخالفتها لما صحّ عنده من حديث بدء الوحي الذي لم تُذكر في هذه الزيادة. اهـ ملخصاً من السيرة النبوية لمحمد أبو شهبة ج١ ص٢٦٥.

(٢) ومعنىٰ أمّيّ: أي علىٰ ما ولدَتْني أمي من عدم الكتابة.

(٣) وهو في صحيح مسلم.

شَيئاً[١]، فَلَمْ أَثْبُتْ لَهُ، فَأَتَيتُ خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي، وَصُبُّوا عَلَيَّ مَاءً بَارِداً[٢] فَنَزَلَتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣﴾ الآيَةَ[٣]، وَذٰلِكَ قَبْلَ أَنْ تُفْرَضَ الصَّلاَةُ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَرَوَى أَبُو نُعَيْم أَنَّ وَرَقَةَ قَالَ لَهُ: أَبْشِرْ فَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّكَ الَّذِي بَشَّرَ بِهِ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ، وَأَنَّكَ عَلَى مِثْلِ نَامُوسِ مُوسَى، وَأَنَّكَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ.

وَقَدْ ذَكَرَ ابْنُ عَادِلٍ فِي تَفْسِيرِهِ: أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ نَزَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ مَرَّةٍ، وَنَزَلَ عَلَى آدَمَ اثْنَتَيْ عَشْرَةَ مَرَّةٍ، وَعَلَى إِدْرِيسَ أَرْبَعَ مَرَّاتٍ، وَعَلَى نُوحٍ خَمْسِينَ مَرَّةٍ، وَعَلَى إِبْرَاهِيمَ اثْنَتَيْنِ وَأَرْبَعِينَ مَرَّةٍ، وَعَلَى مُوسَى أَرْبَعِ مِئَةِ مَرَّةٍ، وَعَلَى عِيسَى عَشْرَ مَرَّاتٍ، عَلَى نَبِيِّنَا وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جِبْرِيلَ تَبَدَّى لَهُ ﷺ فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ وَأَطْيَبِ رَائِحَةٍ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّٰهَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ وَيَقُولُ لَكَ: أَنْتَ رَسُولِي إِلَى الْجِنِّ وَالإِنْسِ، فَادْعُهُمْ إِلَى قَوْلِ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ، ثُمَّ ضَرَبَ بِرِجْلِهِ الأَرْضَ، فَنَبَعَتْ عَيْنُ مَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ثُمَّ أَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ، وَقَامَ جِبْرِيلُ يُصَلِّي، وَأَمَرَهُ أَنْ يُصَلِّيَ مَعَهُ، فَعَلَّمَهُ الْوُضُوءَ وَالصَّلاَةَ، ثُمَّ عَرَجَ إِلَى السَّمَاءِ، وَرَجَعَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لاَ يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلاَ مَدَرٍ وَلاَ شَجَرٍ إِلاَّ وَهُوَ يَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ، حَتَّى أَتَى خَدِيجَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا،

---

(١) وهو جبريل عليه الصلاة والسلام جالساً علىٰ كرسيّ بين السماء والأرض، لكن ثبت في مسلم أن النبي ﷺ لم يرَ جبريل علىٰ صورته الحقيقية إلا مرتين، فيحتمل أن لا يكون رآه هذه المرة علىٰ تمام صورته، كما قال ابن حجر في فتح الباري.

(٢) والحكمة في الصب بَعد التدثُّر أن الرِّعدة تعْقُبها الحمّىٰ علىٰ العادة، ومعالجتها تكون بالماء البارد.

(٣) سورة المدثر، الآيات: ١ ـ ٧.

فَأَخْبَرَهَا، فَغُشِيَ عَلَيْهَا مِنَ الْفَرَحِ، ثُمَّ أَمَرَهَا فَتَوَضَّأَتْ، وَصَلَّى بِهَا كَمَا صَلَّى بِهِ جِبْرِيلُ، فَكَانَ ذٰلِكَ أَوَّلَ فَرْضِهَا رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى أَقَرَّهَا فِي السَّفَرِ كَذٰلِكَ، وَأَتَمَّهَا فِي الْحَضَرِ.

وَعَنِ الإِمَامِ الشَّعْبِيِّ: أُنْزِلَتْ عَلَيْهِ ﷺ النُّبُوَّةُ وَهُوَ ابْنُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، فَقُرِنَ بِنُبُوَّتِهِ إِسْرَافِيلُ ثَلاثَ سِنِينَ، فَكَانَ يُعَلِّمُهُ الْكَلِمَةَ وَالشَّيْءَ، وَلَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ، فَلَمَّا مَضَتْ ثَلاثُ سِنِينَ قُرِنَ بِنُبُوَّتِهِ جِبْرِيلُ، فَنَزَلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ عَلَى لِسَانِهِ عِشْرِينَ سَنَةً. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[1].

فَقَدْ تَبَيَّنَ - أَيْ مِنْ جُمْلَةِ مَا سَاقَهُ - أَنَّ نُبُوَّتَهُ ﷺ كَانَتْ مُتَقَدِّمَةً عَلَى رِسَالَتِهِ، فَكَانَ فِي نُزُولِ سُورَةِ ﴿اقْرَأْ﴾ نُبُوَّتُهُ، وَفِي نُزُولِ سُورَةِ الْمُدَّثِّرِ إِرْسَالُهُ بِالنِّذَارَةِ وَالْبِشَارَةِ وَالتَّشْرِيعِ، وَهٰذَا قَطْعاً مُتَأَخِّرٌ عَنِ الأَوَّلِ.

❊ ❊ ❊

[أول من آمن]

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ آمَنَ بِاللّٰهِ وَصَدَّقَ صِدِّيقَةُ النِّسَاءِ خَدِيجَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا[2]، فَقَامَتْ بِأَعْبَاءِ الصِّدِّيقِيَّةِ، قَالَ لَهَا ﷺ: **«خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»** فَقَالَتْ لَهُ: أَبْشِرْ فَوَاللّٰهِ لاَ يُخْزِيكَ اللّٰهُ أَبَداً، ثُمَّ اسْتَدَلَّتْ بِمَا فِيهِ مِنَ الصِّفَاتِ وَالأَخْلاَقِ وَالشِّيَمِ عَلَى أَنَّ مَنْ كَانَ كَذٰلِكَ لاَ يُخْزَى أَبَداً.

وَكَانَ أَوَّلَ رَجُلٍ آمَنَ بَعْدَهَا أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ[3] رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، فَآزَرَهُ فِي اللّٰهِ.

---

(١) كابن سعد بسند ضعيف.

(٢) وبناتها.

(٣) واسمه عبدالله بن عثمان.

وَأَوَّلَ صَبِيٍّ آمَنَ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ وَسِنُّهُ عَشْرُ سِنِينَ.

وَأَوَّلَ مَنْ آمَنَ مِنَ الْمَوَالِي[1]: زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ[2]، وَمِنَ الْعَبِيدِ: بِلَالٌ.

ثُمَّ أَسْلَمَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَعَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنُ عَوْفٍ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِاللّٰهِ بِدُعَاءِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، فَجَاءَ بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ حِينَ اسْتَجَابُوا لَهُ، فَأَسْلَمُوا وَصَلَّوا، ثُمَّ أَسْلَمَ أَبُو عُبَيْدَةَ عَامِرُ بْنُ عُبَيْدِاللّٰهِ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَأَبُو سَلَمَةَ[3] بَعْدَ تِسْعَةِ أَنْفُسٍ، وَالأَرْقَمُ بْنُ أَبِي الأَرْقَمِ الْمَخْزُومِيُّ، وَعُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ الْجُمَحِيُّ، وَأَخَوَاهُ قُدَامَةُ وَعَبْدُاللّٰهِ، وَعُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ وَامْرَأَتُهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ الْخَطَّابِ.

وَأَوَّلُ امْرَأَةٍ أَسْلَمَتْ بَعْدَ خَدِيجَةَ: أُمُّ الْفَضْلِ زَوْجُ الْعَبَّاسِ، وَأَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَدَخَلَ النَّاسُ فِي الإِسْلَامِ أَرْسَالاً[4] مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ.

❋ ❋ ❋

[الجهر بالدعوة]

ثُمَّ إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى أَمَرَ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنْ يَصْدَعَ بِمَا جَاءَ بِهِ؛ أَيْ: يُوَاجِهَ بِهِ الْمُشْرِكِينَ، فَمَا زَالَ النَّبِيُّ ﷺ مُسْتَخْفِياً حَتَّى نَزَلَتْ ﴿فَٱصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾[5]

---

(١) المولىٰ: هو المملوك الذي أُعتق.

(٢) وزوجُه أم أيمن بركة الحبشية (حاضنة النبي ﷺ) قبل زينب ابنة عمة الرسول ﷺ.

(٣) ابن عمة رسول الله ﷺ برّة بنت عبدالمطلب، وزوجُه أم سلمة.

(٤) جماعات بعضهم في إثر بعض.

(٥) سورة الحِجر، الآية: ٩٤.

فَجهَرَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، قَالُوا: وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ ثَلاَثِ سِنِينَ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَهِيَ الْمُدَّةُ الَّتِي أَخْفَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَمْرَهُ فِيهَا إِلَى أَنْ أَمَرَهُ اللّهُ تَعَالَى بِإِظْهَارِهِ، فَنَادَى قَوْمَهُ بِالإِسْلاَمِ، وَصَدَعَ بِهِ كَمَا أَمَرَهُ اللّهُ تَعَالَى، وَلَمْ يَبْعُدْ مِنْهُ قَوْمُهُ، وَلَمْ يَرُدُّوا عَلَيْهِ حَتَّى ذَكَرَ آلِهَتَهُمْ وَعَابَهَا، فَأَجْمَعُوا عَلَى خِلاَفِهِ وَعَدَاوَتِهِ، إِلاَّ مَنْ عَصَمَ اللّهُ مِنْهُمْ بِالإِسْلاَمِ، وَحَدِبَ[١] عَلَيْهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَمَنَعَهُ مِنْهُمْ، وَقَامَ دُونَهُ، فَاشْتَدَّ الأَمْرُ وَتَضَارَبَ الْقَوْمُ، وَأَظْهَرَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ الْعَدَاوَةَ، وَتَذَامَرَتْ قُرَيْشٌ[٢] عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ يُعَذِّبُونَهُمْ وَيَفْتِنُونَهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَمَنَعَ اللّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ مِنْهُمْ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَبَنِي هَاشِمٍ وَالْمُطَّلِبِ، غَيْرَ أَبِي لَهَبٍ.

❋ ❋ ❋

[ما لقيه ﷺ من أذىٰ قومه]

وَكَانَ ﷺ يَطُوفُ عَلَى النَّاسِ فِي مَنَازِلِهِمْ يَقُولُ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً**» وَأَبُو لَهَبٍ وَرَاءَهُ يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ هٰذَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتْرُكُوا دِينَ آبَائِكُمْ.

وَرَمَاهُ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ بِالسِّحْرِ، وَتَبِعَهُ قَوْمُهُ عَلَى ذٰلِكَ، وَآذَتْهُ قُرَيْشٌ وَرَمَوْهُ بِالشِّعْرِ وَالْكَهَانَةِ وَالْجُنُونِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يَحْثُو التُّرَابَ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَجْعَلُ الدَّمَ عَلَى بَابِهِ ﷺ.

وَوَطِىءَ عُقْبَةُ بنُ أَبِي مُعَيْطٍ عَلَى رَقَبَتِهِ الشَّرِيفَةِ وَهُوَ سَاجِدٌ عِنْدَ الْكَعْبَةِ

(١) عَطَفَ.

(٢) حضّ بعضهم بعضاً.

حَتَّى كَادَتْ عَيْنَاهُ تَبْرُزَانِ، وَخَنَقُوهُ[١] خَنْقاً شَدِيداً، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ دُونَهُ، فَجَذَبُوا رَأْسَهُ وَلِحْيَتَهُ حَتَّى سَقَطَ أَكْثَرُ شَعَرِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللّهُ؟ وَدَفَعَ عَنْهُ عُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ بَعْدَ أَنْ أَخَذَ بِمَنْكِبِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَلَفَّ ثَوْبَهُ فِي عُنُقِهِ وَخَنَقَهُ خَنْقاً شَدِيداً[٢].

وفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، وَجَمْعٌ مِنْ قُرَيْشٍ فِي مَجَالِسِهِمْ إِذْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ[٣]: أَلاَ تَنْظُرُونَ إِلَى هٰذَا الْمُرَائِي، أَيُّكُمْ يَقُومُ إِلَى جَزُورِ[٤] آلِ فُلاَنٍ، فَيَعْمَدُ إِلَى فَرْثِهَا[٥] وَدَمِهَا وَسَلاَهَا[٦]، فَيَجِيءُ بِهِ، ثُمَّ يُمْهِلُهُ حَتَّى إِذَا سَجَدَ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ؟ فَانْبَعَثَ أَشْقَاهُمْ[٧]، فَلَمَّا سَجَدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَضَعَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً، فَضَحِكُوا حَتَّى مَالَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنَ الْضِّحْكِ، فَانْطَلَقَ مُنْطَلِقٌ إِلَى فَاطِمَةَ وَهِيَ جُوَيْرِيَةٌ[٨]، فَأَقْبَلَتْ تَسْعَى، وَثَبَتَ النَّبِيُّ ﷺ سَاجِداً حَتَّى أَلْقَتْهُ عَنْهُ، وَأَقْبَلَتْ عَلَيْهِمْ تَسُبُّهُمْ، فَلَمَّا قَضَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ الصَّلاَةَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِقُرَيْشٍ**» ثُمَّ سَمَّى فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ عَلَيْكَ بِعَمْرِو بْنِ هِشَامٍ، وَعُتْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَشَيْبَةَ بْنِ رَبِيعَةَ، وَالْوَلِيدِ بْنِ عُتْبَةَ، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ، وَعُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ، وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ**». قَالَ عَبْدُاللّهِ بْنُ مَسْعُودٍ: فَوَاللّهِ لَقَدْ رَأَيْتُهُمْ صَرْعَى يَوْمَ بَدْرٍ، ثُمَّ سُحِبُوا إِلَى الْقَلِيبِ قَلِيبِ بَدْرٍ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**وَأُتْبِعَ أَصْحَابُ**

---

(١) الفاعل هو عقبة بن أبي مُعَيط.

(٢) حادثة الخنق رواها البخاري. وذكر ابن هشام أنه تفل في وجهه، وذكر السهيلي أنه وطىء عنقه.

(٣) هو أبو جهل.

(٤) ناقة.

(٥) الفرث: السرجين ما دام في الكرش.

(٦) وهي المشيمة التي يخرج منها ولد الناقة.

(٧) عُقْبة بن أبي مُعَيط.

(٨) صغيرة.

الْقَلِيبِ لَعْنَةً»، وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى أَكْثَرِهِم، لأَنَّ عُقْبَةَ بْنِ أَبِي مُعَيْطٍ لَمْ يُصْرَعْ فِي بَدْرٍ، وَإِنَّمَا قُتِلَ صَبْراً[١] بَعْدَ أَنْ رَحَلُوا عَنْ بَدْرٍ مَرْحَلَةً، وَأُمَيَّةَ بْنِ خَلَفٍ لَمْ يُطْرَحْ فِي الْقَلِيبِ، وَعُمَارَةَ بْنِ الْوَلِيدِ هَلَكَ فِي أَرْضِ الْحَبَشَةِ.

❋ ❋ ❋

[إسلام حمزة رضي الله عنه]

ثُمَّ أَسْلَمَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (وَكَانَ أَعزَّ فَتًى فِي قُرَيْشٍ، وَأَشدَّهُ شَكِيمَةً[٢]) سَنَةَ سِتٍّ[٣]، فَعَزَّ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، وَكَفَّتْ عَنْهُ قُرَيْشٌ قَلِيلاً.

وَقَالَتْ قُرَيْشٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كُنْتَ تَطْلُبُ الشَّرَفَ فِينَا فَنَحْنُ نُسَوِّدُكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ مُلْكاً مَلَّكْنَاكَ عَلَيْنَا، وَإِنْ كَانَ هٰذَا الَّذِي يَأْتِيكَ رَئِيًّا (أَي: جِنِّيًّا) قَدْ غَلَبَ عَلَيْكَ بَذَلْنَا أَمْوَالَنَا فِي طَلَبِ الطِّبِّ لَكَ حَتَّى نُبْرِئكَ مِنْهُ أَوْ نُعْذَرَ فِيكَ. فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«مَا بِي مَا تَقُولُونَ، وَلٰكِنَّ اللّهَ بَعَثَنِي رَسُولاً، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ كِتَاباً، وَأَمَرَنِي أَنْ أَكُونَ لَكُمْ بَشِيراً وَنَذِيراً، فَبَلَّغْتُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي، وَنَصَحْتُ لَكُمْ، فَإِنْ تَقْبَلُوا مِنِّي مَا جِئْتُكُمْ بِهِ فَهُوَ حَظُّكُمْ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَإِنْ تَرُدُّوهُ عَلَيَّ أَصْبِرْ لأَمْرِ اللّهِ حَتَّى يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ»**.

ثُمَّ إِنَّ النَّضرَ بْنَ الْحَارِثِ وَعُقْبَةَ بْنَ أَبِي مُعَيْطٍ ذَهَبَا إِلَى أَحْبَارِ الْيَهُودِ فَسَأَلاَهُمْ عَنْهُ ﷺ، فَقَالُوا لهُمَا: سَلُوهُ عَنْ ثَلاثَةٍ، فَإِنْ أَخْبَرَكُمْ بِهِنَّ فَهُوَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَإِنْ لَمْ يُجِبْ فَهُوَ مُتَقَوِّلٌ، سَلُوهُ عَنْ فِتْيَةٍ ذَهَبُوا فِي الدَّهْرِ الأَوَّلِ، وَعَنْ رَجُلٍ طَوَّافٍ، وَعَنِ الرُّوحِ مَا هُوَ؟ فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى ذِكْرَ الْفِتْيَةِ الَّذِينَ ذَهَبُوا وَهُمْ أَصْحَابُ الْكَهْفِ، وَذِكْرَ الرَّجُلِ الطَّوَّافِ وَهُوَ ذُو الْقَرْنَيْنِ، وَقَالَ

---

(١) أي: حُبس حتىٰ مات.

(٢) قوة قلب.

(٣) من البعثة.

فِي الرُّوحِ: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾[1] وَقَالَ بَعْضُهُمْ: لَيْسَ فِي الآيَةِ دَلالَةٌ عَلَى أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يُطْلِعْ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى حَقِيقَةِ الرُّوحِ، بَلْ يَحْتَمِلِ أَنْ يَكُونَ أَطْلَعَهُ وَلَمْ يَأْمُرْهُ أَنْ يُطْلِعَهُمْ. وَقَدْ قَالُوا فِي عِلْمِ السَّاعَةِ نَحْوَ هٰذَا، فَاللّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ.

❋ ❋ ❋

[الإيذاء]

وَلَمَّا كَثُرَ الْمُسْلِمُونَ وَظَهَرَ الإِيمَانُ، أَقْبَلَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ عَلَى مَنْ آمَنَ يُعَذِّبُونَهُمْ لِيَرُدُّوهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، حَتَّى أَنَّهُ مَرَّ عَدُوُّ اللّهِ أَبُو جَهْلٍ بِسُمَيَّةَ أُمِّ عَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ وَهِيَ تُعَذَّبُ، فَطَعَنَهَا بِحَرْبَةٍ فَقَتَلَهَا.

وَكَانَ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ إِذَا مَرَّ بِأَحَدٍ مِنَ الْعَبِيدِ يُعَذَّبُ اشْتَرَاهُ وَأَعْتَقَهُ، مِنْهُمْ بِلاَلٌ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: كَانَ أَوَّلَ مَنْ أَظْهَرَ الإِسْلاَمَ سَبْعَةٌ: رَسُولُ اللّهِ ﷺ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعَمَّارٌ، وَأُمُّهُ سُمَيَّةُ، وَصُهَيْبٌ، وَبِلاَلٌ، وَالْمِقْدَادُ. فَأَمَّا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَمَنَعَهُ اللّهُ بِعَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، وَأَمَّا أَبُو بَكْرٍ فَمَنَعَهُ اللّهُ بِقَوْمِهِ، وَأَمَّا سَائِرُهُمْ فَأَخَذَهُمُ الْمُشْرِكُونَ يُعَذِّبُونَهُمْ، فَأَلْبَسُوهُمْ أَدْرَاعَ الْحَدِيدِ، وَصَهَرُوهُمْ فِي الشَّمْسِ، وَإِنَّ بِلاَلاً هَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِي اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَهَانَ عَلَى قَوْمِهِ، فَأَخَذُوهُ فَأَعْطَوْهُ الْوِلْدَانَ، فَجَعَلُوا يَطُوفُونَ بِهِ فِي شِعَابِ[2] مَكَّةَ وَهُوَ يَقُولُ: أَحَدٌ أَحَدٌ[3].

❋ ❋ ❋

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨٥.
(٢) الشِّعْب: الطريق بين الجبلين.
(٣) رواه أحمد.

[الهجرة الأولى إلى الحبشة]

ثُمَّ أَذِنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْحَبَشَةِ، وَذٰلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَهَاجَرَ إِلَيْهَا نَاسٌ ذَوُو عَدَدٍ، مِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ هَاجَرَ بِنَفْسِهِ، وَكَانُوا أَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً وَأَرْبَعَ نِسْوَةٍ(١)، وَأَمِيرُهُمْ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ خَرَجَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ مَعَ امْرَأَتِهِ رُقَيَّةَ بِنْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَبْطَأَ عَلَيْهِ خَبَرُهُمَا، فَقَدِمَتِ امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: رَأَيْتُهُمَا وَقَدْ حَمَلَ عُثْمَانُ امْرَأَتَهُ عَلَى حِمَارٍ فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ عُثْمَانَ لأَوَّلُ مَنْ هَاجَرَ بِأَهْلِهِ بَعْدَ لُوطٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ**».

فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ اسْتِقْرَارَهُمْ فِي الْحَبَشَةِ وَأَمْنَهُمْ(٢) أَرْسَلُوا عَمْرَو بْنَ الْعَاصِ وَعَبْدَاللَّهِ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ بِهَدَايَا وَتُحَفٍ مِنْ بِلاَدِهِمْ إِلَى النَّجَاشِيِّ (وَاسْمُهُ أَصْحَمَةُ)، وَكَانَ مَعَهُمَا عُمَارَةُ بْنُ الْوَلِيدِ لِيَرُدُّوهُمْ إِلَى قَوْمِهِمْ، فَأَبَى ذٰلِكَ وَرَدَّهُمَا خَائِبَيْنِ بِهَدِيَّتِهِمَا.

❋ ❋ ❋

[إسلام عمر رضي الله عنه]

وَأَسْلَمَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ بَعْدَ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بِثَلاَثَةِ أَيَّام (فِيمَا قَالَهُ أَبُو نُعَيْمٍ، بِدَعْوَتِهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَعِزَّ الإِسْلاَمَ بِأَبِي جَهْلٍ، أَوْ بِعُمَرَ بْنِ**

---

(١) بل اثنا عشر رجلاً وخمس نسوة وهم: عثمان بن عفان وزوجه رقية بنت رسول الله ﷺ، وأبو سلمة وزوجه أم سلمة، وأخوه لأمه أبو سبرة بن أبي رُهْم وزوجه أم كلثوم، وعامر بن ربيعة وزوجه ليلى، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وزوجه سهلة بنت سهيل، وعبدالرحمٰن بن عوف، وعثمان بن مظعون، ومصعب بن عمير، وسهيل بن بيضاء، والزبير بن العوّام، وأبو حاطب بن عمرو، وعبدالله بن مسعود.

(٢) وذلك بعد الهجرة الثانية إلى الحبشة.

الْخَطَّابِ»[1]، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ إذ ذَاكَ بِضْعَةً وَأَرْبَعِينَ رَجُلاً، وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا أَسْلَمَ عُمَرُ قَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا مُحَمَّدُ لَقَدِ اسْتَبْشَرَ أَهْلُ السَّمَاءِ بِإِسْلاَمِ عُمَرَ[2].

❋ ❋ ❋

[دخول الشِّعْب، وكتابة الصحيفة]

وَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ عِزَّةَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَنْ مَعَهُ، وَإِسْلاَمَ عُمَرَ وَعِزَّةَ أَصْحَابِهِ بِالْحَبَشَةِ، وَفُشُوَّ الإِسْلاَمِ فِي الْقَبَائِلِ؛ أَجْمَعُوا عَلَى أَنْ يَقْتُلُوا النَّبِيَّ ﷺ، فَبَلَغَ ذٰلِكَ أَبَا طَالِبٍ، فَجَمَعَ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ، فَأَدْخَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ شِعْبَهُمْ، وَمَنَعُوهُ مِمَّنْ أَرَادَ قَتْلَهُ، وَأَجَابَهُ لِذٰلِكَ حَتَّى كُفَّارُهُمْ، فَعَلُوا ذٰلِكَ حَمِيَّةً.

فَلَمَّا رَأَتْ قُرَيْشٌ ذٰلِكَ اجْتَمَعُوا وَائتَمَرُوا أَنْ يَكْتُبُوا كِتَاباً يَتَعَاقَدُونَ فِيهِ عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي الْمُطَّلِبِ أَنْ لاَ يَنْكِحُوا إِلَيْهِمْ وَلاَ يُنْكِحُوهُمْ، وَلاَ يَبِيعُوا مِنْهُمْ شَيْئاً وَلاَ يَبْتَاعُوا مِنْهُمْ، وَلاَ يَقْبَلُوا مِنْهُمْ صُلْحاً أَبَداً حَتَّى يُسْلِمُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لِلْقَتْلِ، وَكَتَبُوهُ فِي صَحِيفَةٍ بِخَطِّ بَغِيضِ بْنِ عَامِرٍ، فَشُلَّتْ يَدُهُ[3]، وَعُلِّقَتِ الصَّحِيفَةُ فِي جَوْفِ الْكَعْبَةِ هِلاَلَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ النُّبُوَّةِ، فَانْحَازَ بَنُو هَاشِمٍ وَبَنُو الْمُطَّلِبِ[4] إِلَى أَبِي طَالِبٍ، فَدَخَلُوا مَعَهُ فِي

---

(١) رواه أحمد والترمذي وقال: حسن صحيح. قال في الدر: اشتهر هذا الحديث على الألسنة بلفظ (بأحب العمرين) ولا أصل له في شيء من طرق الحديث بعد الفحص البالغ.

(٢) رواه ابن ماجه.

(٣) بدعوة النبي ﷺ عليه.

(٤) ولدا عبد مناف.

شِعْبِهِ، إِلاَّ أَبَا لَهَبٍ فَكَانَ مَعَ قُرَيْشٍ[1]، فَأَقَامُوا عَلَى ذٰلِكَ سَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثًا، حَتَّى جُهِدُوا، وَكَانَ لاَ يَصِلُ إِلَيْهِمْ شَيْءٌ إِلاَّ سِرًّا.

❋ ❋ ❋

[رجوع مهاجري الحبشة]

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ فِي صَحِيحِهِ: أَنَّهُ ﷺ قَرَأَ سُورَةَ النَّجْمِ، وَسَجَدَ مَعَهُ الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ[2] وَالإِنْسُ وَالْجِنُّ، وَلَمَّا سَمِعَ بِذٰلِكَ مَنْ فِي الْحَبَشَةِ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَدِمَ نَفَرٌ مِنْهُمْ[3] لِظَنِّهِمْ أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ قَدْ أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ، وَصَلَّوْا مَعَهُ ﷺ، وَقَدْ أَمِنَ الْمُسْلِمُونَ بِمَكَّةَ، فَأَقْبَلُوا سِرَاعاً مِنَ الْحَبَشَةِ.

❋ ❋ ❋

[الهجرة الثانية إلى الحبشة]

ثُمَّ هَاجَرَ الْمُسْلِمُونَ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَعِدَّتُهُمْ ثَلاَثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلاً وَثَمَانِيَ عَشْرَةَ امْرَأَةً، وَكَانَ مَعَهُمْ عُبَيْدُاللّهِ بْنُ جَحْشٍ مَعَ امْرَأَتِهِ أُمِّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ، فَتَنَصَّرَ هُنَاكَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ عَلَى دِينِ النَّصْرَانِيَّةِ.

❋ ❋ ❋

(١) وانخزل عنهم بنو عمِّهم: عبد شمس ونوفل ابنَي عبد مناف.

(٢) وكان سجود المشركين من أجل بلاغة القرآن وفصاحته.

(٣) بعد ثلاثة أشهر من خروجهم. وفي نور اليقين للخضري: رجع جميعهم، وكان رجوعهم قبل كتابة الصحيفة.

[زواج رسول الله ﷺ بأم حبيبة]

وَتَزَوَّجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتِ أَبِي سُفْيَانَ(١) سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ [حِينَ قَدِمَتْ] إِلَى الْمَدِينَةِ، وَهِيَ بِالْحَبَشَةِ.

❋ ❋ ❋

[نقض الصحيفة]

ثُمَّ قَامَ رِجَالٌ فِي نَقْضِ الصَّحِيفَةِ، فَأَطْلَعَ اللّهُ نَبِيَّهُ ﷺ عَلَى أَنَّ الأَرَضَةَ أَكَلَتْ جَمِيعَ مَا فِيهَا مِنَ الْقَطِيعَةِ وَالظُّلْمِ، فَلَمْ تَدَعْ إِلاَّ أَسْمَاءَ اللّهِ تَعَالَى فَقَطْ، فَلَمَّا أُنْزِلَتْ لِتُمَزَّقَ وُجِدَتْ كَمَا قَالَ ﷺ، وَذٰلِكَ فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ(٢).

❋ ❋ ❋

[وفاة أبي طالب]

وَلَمَّا أَتَتْ عَلَيْهِ ﷺ تِسْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَنَةً وَثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ وَأَحَدَ عَشَرَ يَوْماً مَاتَ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ، وَلَهُ سَبْعٌ وَثَمَانُونَ سَنَةً، فِي السَّنَةِ الْعَاشِرَةِ قَبْلَ هِجْرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِثَلاَثِ سِنِينَ.

وَحُكِيَ عَنْ هِشَامِ بْنِ السَّائِبِ الْكَلْبِيِّ عَنْ أَبِيهِ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا حَضَرَتْ أَبَا طَالِبٍ الْوَفَاةُ، جَمَعَ إِلَيْهِ وُجُوهَ قُرَيْشٍ، فَأَوْصَاهُمْ فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَنْتُمْ صَفْوَةُ اللّهِ مِنْ خَلْقِهِ، إِلَى أَنْ قَالَ: وَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِمُحَمَّدٍ خَيْراً، فَإِنَّهُ

(١) وكان قد عقد له عليها النجاشي، وبقيت في الحبشة حتىٰ سنة سبع فقدمت المدينة فيمن قدم.

(٢) من البعثة.

الأَمِينُ فِي قُرَيْشٍ، وَالصِّدِّيقُ فِي الْعَرَبِ، وَهُوَ الْجَامِعُ لِكُلِّ مَا أُوصِيكُمْ بِهِ، وَقَدْ جَاءَ بِأَمْرٍ قَبِلَهُ الْجَنَانُ(١) وَأَنْكَرَهُ اللِّسَانُ مَخَافَةَ الشَّنَآنِ(٢)، وَأَيْمُ اللهِ كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى صَعَالِيكِ الْعَرَبِ(٣)، وَأَهْلِ الْوَبَرِ(٤) وَالأَطْرَافِ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ النَّاسِ؛ قَدْ أَجَابُوا دَعْوَتَهُ، وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ، وَعَظَّمُوا أَمْرَهُ، فَخَاضَ بِهِمْ غَمَرَاتِ الْمَوْتِ، فَصَارَتْ رُؤَسَاءُ قُرَيْشٍ وَصَنَادِيدُهَا أَذْنَاباً، وَدُورُهَا خَرَاباً، وَضُعَفَاؤُهَا أَرْبَاباً، وَإِذَا أَعْظَمُهُمْ عَلَيْهِ أَحْوَجُهُمْ إِلَيْهِ، وَأَبْعَدُهُمْ مِنْهُ أَحْظَاهُمْ عِنْدَهُ، قَدْ مَحَضَتْهُ الْعَرَبُ(٥) وِدَادَهَا، وَأَصْفَتْ لَهُ فُؤَادَهَا(٦)، وَأَعْطَتْهُ قِيَادَهَا، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! كُونُوا لَهُ وُلاَةً، وَلِحِزْبِهِ حُمَاةً، وَاللهِ لاَ يَسْلُكُ أَحَدٌ سَبِيلَهُ إِلاَّ رَشَدَ، وَلاَ يَأْخُذُ بِهَدْيِهِ إِلاَّ سَعِدَ، وَلَوْ كَانَ لِنَفْسِي مُدَّةٌ وَلِأَجَلِي تَأْخِيرٌ لَكَفَفْتُ عَنْهُ الْهَزَاهِزَ(٧)، وَلَدَفَعْتُ عَنْهُ الدَّوَاهِيَ(٨)، ثُمَّ هَلَكَ.

❋ ❋ ❋

[وفاة خديجة رضي الله عنها]

ثُمَّ بَعْدَ ذٰلِكَ بِثَلاَثَةِ أَيَّامٍ (وَقِيلَ بِخَمْسَةٍ) فِي رَمَضَانَ بَعْدَ الْبَعْثِ بِعَشْرِ سِنِينَ عَلَى الصَّحِيحِ مَاتَتْ خَدِيجَةُ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا(٩)، وَكَانَ ﷺ

---

(١) القلب.
(٢) البغض.
(٣) فقرائها وفتاكها.
(٤) أهل البادية.
(٥) أخلصتْ له.
(٦) قلبها.
(٧) الشدائد.
(٨) المصائب.
(٩) ولها خمس وستون سنة.

يُسَمِّي ذَلِكَ الْعَامَ عَامَ الْحُزْنِ، وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهَا مَعَهُ ﷺ خَمْساً وَعِشْرِينَ سَنَةً عَلَى الصَّحِيحِ، ثُمَّ بَعْدَ أَيَّام مِنْ مَوْتِ خَدِيجَةَ تَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا[١].

❊ ❊ ❊

[الخروج إلى الطائف]

ثُمَّ خَرَجَ ﷺ إِلَى الطَّائِفِ[٢] لِمَا نَالَهُ مِنْ قُرَيْشٍ بَعْدَ مَوْتِ أَبِي طَالِبٍ، وَكَانَ مَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَأَقَامَ بِهِ شَهْراً[٣] يَدْعُو أَشْرَافَ ثَقِيفٍ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، فَلَمْ يُجِيبُوهُ، وَأَغْرَوْا بِهِ سُفَهَاءَهُمْ وَعَبِيدَهُمْ يَسُبُّونَهُ، وَرَمَوْا عَرَاقِيبَهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى اخْتَضَبَتْ نَعْلاهُ بِالدِّمَاءِ، وَكَانَ إِذَا أَزْلَقَتْهُ الْحِجَارَةُ[٤] قَعَدَ إِلَى الأَرْضِ، فَيَأْخُذُونَ بِعَضُدَيْهِ[٥] ﷺ فَيُقِيمُونَهُ، فَإِذَا مَشَى رَجَمُوهُ وَهُمْ يَضْحَكُونَ، وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ يَقِيهِ بِنَفْسِهِ حَتَّى لَقَدْ شُجَّ فِي رَأْسِهِ شِجَاجاً.

وَفِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ أَتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ أَشَدُّ مِنْ يَوْم أُحُدٍ؟ قَالَ: «**لَقَدْ لَقِيتُ مِنْ قَوْمِكِ، وَكَانَ أَشَدَّ مَا لَقِيتُ مِنْهُمْ يَوْمُ الْعَقَبَةِ**[٦]**، إِذْ عَرَضْتُ نَفْسِي عَلَى ابْنِ عَبْدِ يَالِيلَ بْنِ عَبْدِكُلالَ، فَلَمْ يُجِبْنِي إِلَى مَا أَرَدْتُ، فَانْطَلَقْتُ وَأَنَا مَهْمُومٌ عَلَى**

---

(١) بعد أن توفي عنها زوجها السكران بن عمرو عقب عودته معها من الحبشة في المرة الثانية، وبعد ذلك بشهر عقد عليه الصلاة والسلام على عائشة رضي الله عنها.

(٢) في شوال في السنة العاشرة من البعثة.

(٣) بل عشرة أيام كما سيأتي.

(٤) أسرعت إليه.

(٥) العَضُد: ما بين المِرفَق (المَرْفِق) إلى الكتف.

(٦) في الطائف، والعَقَبة: المرقى الصعب من الجبال.

وَجْهِي، فَلَمْ أَسْتَفِقْ إلاَّ وَأَنَا بِقَرْنِ الثَّعَالِبِ[1]، فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَإِذَا بِسَحَابَةٍ قَدْ أَظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فَإِذَا فِيهَا جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَنَادَانِي فَقَالَ: إِنَّ اللّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ، وَمَا رَدُّوا بِهِ عَلَيْكَ، وَقَدْ بَعَثَ إِلَيْكَ مَلَكَ الْجِبَالِ لِتَأْمُرَهُ بِمَا شِئْتَ، فَنَادَانِي مَلَكُ الْجِبَالِ، فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّهَ قَدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ وَمَا رَدُّوا عَلَيْكَ، وَأَنَا مَلَكُ الْجِبَالِ، وَقَدْ بَعَثَنِي رَبُّكَ إِلَيْكَ لِتَأْمُرَنِي بِأَمْرِكَ، إِنْ شِئْتَ أَنْ أُطْبِقَ عَلَيْهِمُ[2] الأَخْشَبَيْنِ» ـ وَهُمَا جَبَلاَنِ ـ[3]، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «بَلْ أَرْجُو أَنْ يُخْرِجَ اللّهُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ مَنْ يَعْبُدُ اللّهَ وَحْدَهُ، لاَ يُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً». وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ ﷺ بِالطَّائِفِ عَشَرَةَ أَيَّامٍ[4].

وَلَمَّا انْصَرَفَ ﷺ عَنْ أَهْلِ الطَّائِفِ مَرَّ فِي طَرِيقِهِ بِعُتْبَةَ وَشَيْبَةَ ابْنَيْ رَبِيعَةَ، وَهُمَا فِي حَائِطٍ[5] لَهُمَا، فَلَمَّا رَأَيَا مَا لَقِيَ تَحَرَّكَتْ لَهُ رَحِمُهُمَا، فَبَعَثَا لَهُ مَعَ عَدَّاسٍ النَّصْرَانِيِّ غُلاَمِهِمَا قِطْفَ عِنَبٍ، فَلَمَّا وُضِعَ بَيْنَ يَدَيْهِ وَوَضَعَ ﷺ يَدَهُ فِي الْقِطْفِ قَالَ: «بِسْمِ اللّهِ»، ثُمَّ أَكَلَ، فَنَظَرَ عَدَّاسٌ إِلَى وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: وَاللّهِ إِنَّ هٰذَا الْكَلاَمَ مَا يَقُولُهُ أَهْلُ هٰذِهِ الْبَلْدَةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «مِنْ أَيِّ الْبِلاَدِ أَنْتَ؟ وَمَا دِينُكَ؟» قَالَ: نَصْرَانِيٌّ مِنْ نِينَوَى[6]. فَقَالَ ﷺ: «مِنْ قَرْيَةِ الرَّجُلِ الصَّالِحِ يُونُسَ بْنِ مَتَّى؟» فَقَالَ: وَمَا يُدْرِيكَ؟ قَالَ: «ذَاكَ أَخِي، وَهُوَ نَبِيٌّ مِثْلِي»، فَأَكَبَّ عَدَّاسٌ عَلَى يَدَيْهِ وَرَأْسِهِ وَرِجْلَيْهِ يُقَبِّلُهَا، وَأَسْلَمَ[7].

---

(١) ويقال له: قرن المنازل أيضاً، وهو ميقات أهل نجد. والقَرْن: هو الجبل الصغير المنقطع من الجبل الكبير.

(٢) علىٰ أهل مكة.

(٣) في مكة هما: أبو قُبيس، والذي يقابله وهو قُعَيْقِعان.

(٤) كما أفاد ابن سعد.

(٥) بستان.

(٦) وهي بلدة علىٰ شاطىء دجلة قرب الموصل.

(٧) رواه ابن إسحاق وغيرُه.

وَلَمَّا نَزَلَ نَخْلَةَ[1] (وَهُوَ مَوْضِعٌ عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ) صُرِفَ إِلَيْهِ سَبْعَةٌ مِنْ جِنِّ نَصِيبِينَ[2]، وَكَانَ ﷺ قَدْ قَامَ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ يُصَلِّي، فَاسْتَمَعُوا لَهُ وَهُوَ يَقْرَأُ سُورَةَ الْجِنِّ[3]، وَالَّذِي آذَنَهُ بِهِم شَجَرَةٌ.

وَفِي طَرِيقِهِ هٰذِهِ دَعَا ﷺ بِالدُّعَاءِ الْمَشْهُورِ[4]: «**اللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَشْكُو ضَعْفَ قُوَّتِي، وَقِلَّةَ حِيلَتِي، وَهَوَانِي عَلَى النَّاسِ، يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ، أَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، وَأَنْتَ رَبُّ الْمُسْتَضْعَفِينَ، إِلَى مَنْ تَكِلُنِي؟ إِلَى عَدُوٍّ بَعِيدٍ يَتَجَهَّمُنِي[5]؟ أَمْ إِلَى صَدِيقٍ قَرِيبٍ مَلَّكْتَهُ أَمْرِي؟ إِنْ لَمْ تَكُنْ غَضْبَانَ عَلَيَّ فَلاَ أُبَالِي، غَيْرَ أَنَّ عَافِيَتَكَ أَوْسَعُ لِي، أَعُوذُ بِنُورِ وَجْهِكَ الَّذِي أَضَاءَتْ لَهُ السَّمٰوَاتُ، وَأَشْرَقَتْ لَهُ الظُّلُمَاتُ، وَصَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، أَنْ يَنْزِلَ بِي غَضَبُكَ، أَوْ يَحِلَّ بِي سَخَطُكَ، وَلَكَ الْعُتْبَىٰ[6] حَتَّى تَرْضَى، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِكَ**».

ثُمَّ دَخَلَ ﷺ مَكَّةَ فِي جِوَارِ الْمُطْعِمِ بْنِ عَدِيٍّ[7].

❋ ❋ ❋

---

(١) وهي أحد واديين على بعد ٤٠ كيلومتراً من مكة، يقال لأحدهما: نخلة الشامية، وللآخر: نخلة اليمانية.

(٢) وهي من أرض الجزيرة بين العراق والشام.

(٣) وفي كون استماع الجن للقرآن تلك الليلة نظر! فإن استماعهم كان في ابتداء المبعث قبل خروجه ﷺ إلى الطائف بسنتين. نبّه على ذلك الحافظ ابن كثير في تفسيره، ورواه البخاري. راجع ما كتبه الحافظ في الفتح ٨/٥١٤.

(٤) الذي رواه الطبراني.

(٥) يلقاني بالغلظة.

(٦) الرجوع عن الإساءة إلى ما يرضي العاتب.

(٧) وقد مات كافراً بعد هجرة الرسول ﷺ إلى المدينة.

[الإسراء والمعراج]

وَلَمَّا كَانَ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ أُسْرِيَ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ ﷺ يَقَظَةً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى، ثُمَّ عُرِجَ بِهِ مِنَ الْمَسْجِدِ الأَقْصَى إِلَى فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ، وَرَأَى رَبَّهُ بِعَيْنَيْ رَأْسِهِ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ مَا أَوْحَى، وَفَرَضَ عَلَيْهِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسَ، ثُمَّ انْصَرَفَ فِي لَيْلَتِهِ إِلَى مَكَّةَ، فَأَخْبَرَ بِذٰلِكَ، فَصَدَّقَهُ الصِّدِّيقُ وَكُلُّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ، وَكَذَّبَهُ الْكُفَّارُ وَاسْتَوْصَفُوهُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَمَثَّلَهُ اللّهُ لَهُ، فَجَعَلَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ وَيَصِفُهُ، وَكَانَ ذٰلِكَ بَعْدَ الْبَعْثِ بِخَمْسِ سِنِينَ[1]، وَقِيلَ: كَانَ لَيْلَةَ السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ، وَاخْتَارَهُ الْحَافِظُ عَبْدُالْغَنِيِّ الْمَقْدِسِيُّ. وَقِيلَ: لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ، وَقِيلَ: لَيْلَةَ السَّبْتِ[2].

❋ ❋ ❋

[عرضه ﷺ نفسه على القبائل، وبدء إسلام الأنصار]

وَلَمَّا أَرَادَ اللّهُ تَعَالَى إِظْهَارَ دِينِهِ وَإِعْزَازَ نَبِيِّهِ، وَإِنْجَازَ مَوْعِدِهِ لَهُ، خَرَجَ ﷺ فِي الْمَوْسِمِ[3] الَّذِي لَقِيَ فِيهِ الأَنْصَارَ (الأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ)، فَعَرَضَ نَفْسَهُ عَلَى قَبَائِلِ الْعَرَبِ كَمَا كَانَ يَصْنَعُ فِي كُلِّ مَوْسِمٍ.

❋ ❋ ❋

---

(١) بل قبل الهجرة بعام، كما قال السهيلي وابن كثير.

(٢) وسيأتي تفصيل حادثة الإسراء والمعراج في مقصد مستقل، وهو المقصد الخامس ص٤٦٣، وهو أجمع المؤلفات المتداولة في ذلك.

(٣) في السنة الحادية عشرة من النبوة.

[بيعة العقبة الأولى]

فَبَيْنَمَا هُوَ عِنْدَ الْعَقَبَةِ[1] لَقِيَ رَهْطاً مِنَ الْخَزْرَجِ أَرَادَ اللَّهُ بِهِمْ خَيْراً، فَقَالَ لَهُمْ: «**مَنْ أَنْتُمْ؟**» قَالُوا: نَفَرٌ مِنَ الْخَزْرَجِ، قَالَ: «**أَفَلاَ تَجْلِسُونَ أُكَلِّمُكُمْ؟**» قَالُوا: بَلَى، فَجَلَسُوا مَعَهُ، فَدَعَاهُمْ إِلَى اللَّهِ، وَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ، وَتَلاَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، وَكَانَ مِنْ صُنْعِ اللَّهِ أَنَّ الْيَهُودَ كَانُوا مَعَهُمْ فِي بِلاَدِهِمْ، وَكَانُوا أَهْلَ كِتَابٍ، وَكَانَ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ أَكْثَرَ مِنْهُمْ، فَكَانُوا إِذَا كَانَ بَيْنَهُمْ شَيْءٌ قَالُوا: إِنَّ نَبِيًّا سَيُبْعَثُ فَقَدْ أَطَلَّ زَمَانُهُ، نَتَّبِعُهُ فَنَقْتُلُكُمْ مَعَهُ، فَلَمَّا كَلَّمَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ عَرَفُوا النَّعْتَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: لاَ تَسْبِقُنَا الْيَهُودُ إِلَيْهِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى مَا دَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَصَدَّقُوهُ، وَقَبِلُوا مِنْهُ مَا عَرَضَ عَلَيْهِمْ مِنَ الإِسْلاَمِ، فَأَسْلَمَ مِنْهُمْ سِتَّةُ نَفَرٍ، وَهُمْ: أَبُو أُمَامَةَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، وَعَوْفُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ ـ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ ـ، وَرَافِعُ بْنُ مَالِكِ بْنِ الْعَجْلاَنِ، وَقُطْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ حُدَيْدَةَ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرِ بْنِ نَابِي، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ رِيَابٍ[2]، فَقَالَ لَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ: «**تَمْنَعُونَ ظَهْرِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي؟**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّمَا كَانَتْ بُعَاثُ عَامَ أَوَّلَ يَوْمٌ مِنْ أَيَّامِنَا[3] اقْتَتَلْنَا بِهِ، فَإِنْ تَقْدَمْ وَنَحْنُ كَذٰلِكَ لاَ يَكُونُ لَنَا عَلَيْكَ اجْتِمَاعٌ، فَدَعْنَا حَتَّى نَرْجِعَ إِلَى عَشَائِرِنَا لَعَلَّ اللَّهَ يُصْلِحُ ذَاتَ بَيْنِنَا، وَنَدْعُوهُمْ إِلَى مَا دَعَوْتَنَا، فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْمَعَهُمْ عَلَيْكَ، فَإِنِ اجْتَمَعَتْ كَلِمَتُهُمْ عَلَيْكَ وَاتَّبَعُوكَ، فَلاَ أَحَدٌ أَعَزَّ مِنْكَ، وَمَوْعِدُكَ الْمَوْسِمُ الْعَامَ الْقَابِلَ.

وَانْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يَبْقَ دَارٌ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ إِلاَّ وَفِيهَا ذِكْرُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

❋ ❋ ❋

---

(١) التي فيها جمرة العقبة.

(٢) وهو غير جابر بن عبدالله بن عمرو بن حرام.

(٣) حروبنا.

[بيعة العقبة الثانية]

فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ لَقِيَهُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، وَهِيَ الْعَقَبَةُ الثَّانِيَةُ، فَأَسْلَمُوا، فِيهِمْ خَمْسَةٌ مِنَ السِّتَّةِ الْمَذْكُورِينَ[1]، وَلَمْ يَكُنْ فِيهِمْ جَابِرُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ رِيَابٍ، وَالسَّبْعَةُ تَتِمَّةُ الاِثْنَيْ عَشَرَ هُمْ: مُعَاذُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ رِفَاعَةَ ـ وَهُوَ ابْنُ عَفْرَاءَ أَخُو عَوْفٍ الْمَذْكُورِ قَبْلاً ـ، وَذَكْوَانُ بْنُ عَبْدِ قَيْسٍ الزُّرَقِيُّ، وَعُبَادَةُ بْنُ الصَّامِتِ، وَيَزِيدُ بْنُ ثَعْلَبَةَ الْبَلَوِيُّ، وَالْعَبَّاسُ بْنُ عُبَادَةَ بْنِ نَضْلَةَ، وَهَؤُلاَءِ مِنَ الْخَزْرَجِ. وَمِنَ الأَوْسِ رَجُلاَنِ: أَبُو الْهَيْثَمِ ابْنُ التَّيِّهَانِ مِنْ بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ، وَعُوَيْمُ بْنُ سَاعِدَةَ، فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا عَلَى بِيعَةِ النِّسَاءِ، أَيْ: وَفْق بِيعَتِهِنَّ الَّتِي أُنْزِلَتْ بَعْدَ ذٰلِكَ عِنْدَ فَتْحِ مَكَّةَ[2]، وَهِيَ: أَنْ لاَ نُشْرِكَ بِاللَّهِ شَيْئاً، وَلاَ نَسْرِقَ، وَلاَ نَزْنِيَ، وَلاَ نَقْتُلَ أَوْلاَدَنَا، وَلاَ نَأْتِيَ بِبُهْتَانٍ نَفْتَرِيهِ بَيْنَ أَيْدِينَا وَأَرْجُلِنَا، وَلاَ نَعْصِيَهُ فِي مَعْرُوفٍ، وَالسَّمْعِ وَالطَّاعَةِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ وَالْمَنْشَطِ وَالْمَكْرَهِ، وَأَثَرَتِهِ عَلَيْنَا، وَأَنْ لاَ نُنَازِعَ الأَمْرَ أَهْلَهُ، وَأَنْ نَقُولَ الْحَقَّ حَيْثُ كُنَّا لاَ نَخَافُ فِي اللَّهِ لَوْمَةَ لاَئِمٍ، قَالَ ﷺ: «**فَإِنْ وَفَّيْتُمْ فَلَكُمُ الْجَنَّةُ، وَمَنْ غَشِيَ مِنْ ذٰلِكَ شَيْئاً كَانَ أَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ، إِنْ شَاءَ عَذَّبَهُ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُ**» وَلَمْ يُفْرَضْ يَوْمَئِذٍ الْقِتَالُ.

ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، فَأَظْهَرَ اللَّهُ الإِسْلاَمَ، وَكَانَ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ يُجَمِّعُ[3] بِالْمَدِينَةِ بِمَنْ أَسْلَمَ، وَكَتَبَ الأَوْسُ وَالْخَزْرَجُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: ابْعَثْ إِلَيْنَا مَنْ يُقْرِئُنَا الْقُرْآنَ، فَبَعَثَ إِلَيْهِمْ مُصْعَبَ بْنَ عُمَيْرٍ، فَأَسْلَمَ عَلَى يَدِهِ خَلْقٌ كَثِيرٌ مِنَ الأَنْصَارِ، مِنْهُمْ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ[4]، وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ، وَأَسْلَمَ

---

(١) في بيعة العقبة الأولىٰ.

(٢) أي: لم يبايعوه فيها علىٰ القتال.

(٣) يصلّي الجمعة.

(٤) رئيس قبيلة الأوس.

بِإِسْلاَمِهِمَا جَمِيعُ بَنِي عَبْدِالأَشْهَلِ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ الرِّجَالُ وَالنِّسَاءُ، حَاشَا الأُصَيْرِمَ ـ وَهُوَ عَمْرُو بْنُ ثَابِتِ بْنِ وَقْشٍ ـ فَإِنَّهُ تَأَخَّرَ إِسْلاَمُهُ إِلَى يَوْمِ أُحُدٍ، فَأَسْلَمَ وَاسْتُشْهِدَ وَلَمْ يَسْجُدْ لِلَّهِ سَجْدَةً وَاحِدَةً، وَأَخْبَرَ ﷺ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ فِي بَنِي عَبْدِ الأَشْهَلِ مُنَافِقٌ وَلاَ مُنَافِقَةٌ، بَلْ كَانُوا كُلُّهُمْ حُنَفَاءَ مُخْلِصِينَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

❋ ❋ ❋

[بيعة العقبة الثالثة]

ثُمَّ قَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي الْعَقَبَةِ الثَّالِثَةِ فِي الْعَامِ الْمُقْبِلِ فِي ذِي الْحِجَّةِ أَوْسَطَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ مِنْهُمْ(١) سَبْعُونَ رَجُلاً وَامْرَأَتَانِ. وَقَالَ الْحَاكِمُ: خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ نَفْساً(٢). فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ ضَرَبَ عَلَى يَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِلْمُبَايَعَةِ الْبَرَاءُ بْنُ مَعْرُورٍ، وَيُقَالُ أَسْعَدُ بْنُ زُرَارَةَ، عَلَى أَنَّهُمْ يَمْنَعُونَهُ مِمَّا يَمْنَعُونَ مِنْهُ نِسَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، وَعَلَى حَرْبِ الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ، فَنَقَّبَ عَلَيْهِمْ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيباً(٣).

وَمَكَثَ ﷺ عَشْرَ سِنِينَ يَتَّبِعُ النَّاسَ فِي مَنَازِلِهِمْ فِي الْمَوَاسِمِ بِمِنًى وَغَيْرِهَا، يَقُولُ: «**مَنْ يُؤْوِينِي مَنْ يَنْصُرُنِي حَتَّى أُبَلِّغَ رِسَالَةَ رَبِّي فَلَهُ الْجَنَّةُ**» حَتَّى بَعَثَ اللَّهُ لَهُ الأَنْصَارَ.

❋ ❋ ❋

---

(١) من أهل المدينة.

(٢) ثلاثة وسبعون رجلاً وامرأتان.

(٣) تسعة من الخزرج هم: أسعد بن زُرارة، وعبدالله بن رواحة، وسعد بن الربيع، ورافع بن مالك، وأبو جابر عبدالله بن عمرو، والبراء بن معرور، وسعد بن عبادة، والمنذر بن عمرو، وعبادة بن الصامت.
وثلاثة من الأوس هم: أُسيد بن حُضَير، وسعد بن خيثمة، ورفاعة بن عبدالمنذر.

[هجرة المسلمين إلى المدينة]

وَلَمَّا تَمَّتْ هٰذِهِ الْبَيْعَةُ أَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَنْ كَانَ مَعَهُ بِالْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَخَرَجُوا أَرْسَالاً[1]، وَأَقَامَ بِمَكَّةَ يَنْتَظِرُ أَنْ يُؤْذَنَ لَهُ فِي الْخُرُوجِ.

❋ ❋ ❋

[مؤامرة في دار الندوة]

ثُمَّ اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ فِي دَارِ النَّدْوَةِ يَتَشَاوَرُونَ فِيمَا يَصْنَعُونَ فِي أَمْرِهِ ﷺ، فَأَجْمَعَ رَأْيُهُمْ عَلَى قَتْلِهِ، وَتَفَرَّقُوا عَلَى ذٰلِكَ، فَأَتَى جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: لاَ تَبِتْ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ عَلَى فِرَاشِكَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ اجْتَمَعُوا عَلَى بَابِهِ يَرْصُدُونَهُ حَتَّى يَنَامَ فَيَثِبُوا عَلَيْهِ، فَأَمَرَ ﷺ عَلِيًّا فَنَامَ مَكَانَهُ، وَغُطِّيَ بِبُرْدٍ أَخْضَرَ، فَكَانَ أَوَّلَ مَنْ شَرَى[2] نَفْسَهُ فِي اللّهِ، ثُمَّ خَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَدْ أَخَذَ اللّهُ عَلَى أَبْصَارِهِمْ، فَلَمْ يَرَهُ أَحَدٌ مِنْهُمْ، وَنَثَرَ عَلَى رُؤُوسِهِمْ كُلِّهِمْ تُرَاباً كَانَ فِي يَدِهِ، وَهُوَ يَتْلُو قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿يسٓ ۝١﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ﴾ ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ حَيْثُ أَرَادَ، فَأَتَاهُمْ آتٍ مِمَّنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُمْ فَقَالَ: مَا تَنْتَظِرُونَ هٰهُنَا؟ قَالُوا: مُحَمَّداً، قَالَ: قَدْ خَيَّبَكُمُ اللّهُ، قَدْ وَاللّهِ خَرَجَ مُحَمَّدٌ عَلَيْكُمْ، ثُمَّ مَا تَرَكَ مِنْكُمْ رَجُلاً إِلاَّ وَضَعَ عَلَى رَأْسِهِ تُرَاباً، وَانْطَلَقَ لِحَاجَتِهِ، أَفَمَا تَرَوْنَ مَا بِكُمْ؟ فَوَضَعَ كُلُّ رَجُلٍ يَدَهُ عَلَى رَأْسِهِ فَإِذَا عَلَيْهِ تُرَابٌ، فَمَا أَصَابَ رَجُلاً مِنْهُمْ حَصَاةٌ إِلاَّ قُتِلَ يَوْمَ بَدْرٍ

---

(١) جماعات بعضهم إثر بعض.

(٢) أي: باع.

كَافِراً، وَفِي هٰذِهِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِيُثْبِتُوكَ[1] أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ﴾ الآيَةَ[2].

***

[هجرة المصطفى ﷺ إلى المدينة]

ثُمَّ أَذِنَ اللّهُ تَعَالَى لِنَبِيِّهِ فِي الْهِجْرَةِ إِلَى الْمَدِينَةِ، لِيَتَشَرَّفَ بِهِ الْمَكَانُ كَمَا تَشَرَّفَ بِهِ الزَّمَانُ، وَلَمَّا هَاجَرَ ﷺ إِلَيْهَا شَرُفَتْ بِهِ، حَتَّى وَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَ الْبِقَاعِ الْمَوْضِعُ الَّذِي ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الْكَرِيمَةَ ﷺ.

وَخَرَجَ مِنْ مَكَّةَ لِهِلاَلِ رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْهُ.

وَأَمَرَهُ جِبْرِيلُ أَنْ يَسْتَصْحِبَ أَبَا بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلِيًّا بِمَخْرَجِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَتَخَلَّفَ بَعْدَهُ حَتَّى يُؤَدِّيَ عَنْهُ الْوَدَائِعَ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ، وَأَتَى دَارَ أَبِي بَكْرٍ مُسْتَخْفِياً، فَاسْتَصْحَبَهُ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَأْخُذَ إِحْدَى رَاحِلَتَيْهِ، فَأَبَى ﷺ إِلاَّ بِالثَّمَنِ لِيَسْتَكْمِلَ فَضْلَ الْهِجْرَةِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: وَجَهَّزْنَاهُمَا أَحَبَّ الْجِهَازِ، ثُمَّ لَحِقَ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ بِغَارِ ثَوْرٍ ـ وَهُوَ جَبَلٌ بِأَسْفَلِ مَكَّةَ ـ وَنَظَرَ ﷺ حِينَ خُرُوجِهِ إِلَى الْبَيْتِ فَقَالَ: **«وَاللّهِ إِنَّكَ لأَحَبُّ أَرْضِ اللّهِ إِلَيَّ، وَإِنَّكَ لأَحَبُّ أَرْضِ اللّهِ إِلَى اللّهِ، وَلَوْلاَ أَنَّ أَهْلَكَ أَخْرَجُونِي مِنْكَ، مَا خَرَجْتُ»**[3]، وَلَمَّا فَقَدَتْ قُرَيْشٌ رَسُولَ اللّهِ ﷺ طَلَبُوهُ بِمَكَّةَ أَعْلاَهَا وَأَسْفَلِهَا، وَبَعَثُوا الْقَافَةَ أَثَرَهُ فِي كُلِّ وِجْهَةٍ، وَجَعَلُوا مِئَةَ

(١) ليجرحوك جراحة لا تقوم معها.
(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٠.
(٣) رواه الترمذي وصححه.

نَاقَةٍ لِمَنْ رَدَّهُ، فَلَمْ يَظْفَرُوا بِهِ، وَأَنْبَتَ اللّٰهُ عَلَى بَابِ الْغَارِ شَجَرَةَ أُمِّ غَيْلاَنٍ، وَأَمَرَ الْعَنْكَبُوتَ فَنَسَجَتْ عَلَى وَجْهِ الْغَارِ[1]، وَأَرْسَلَ حَمَامَتَيْنِ وَحْشِيَّتَيْنِ، فَوَقَفَتَا عَلَى وَجْهِ الْغَارِ[2]، وَحَمَامُ الْحَرَمِ مِنْ نَسْلِ تَيْنِكَ الْحَمَامَتَيْنِ، وَأَقْبَلَ فِتْيَانُ قُرَيْشٍ مِنْ كُلِّ بَطْنٍ، حَتَّى وَصَلَ بَعْضُهُمُ الْغَارَ، وَصَدَّهُمْ وُجُودُ الْحَمَامَتَيْنِ، وَقَالَ أَحَدُهُمْ: ادْخُلُوا الغَارَ، فَقَالَ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ: إِنَّ فِيهِ لَعَنْكَبُوتاً أَقْدَمَ مِنْ مِيلاَدِ مُحَمَّدٍ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ الْحَمَامَتَيْنِ بَاضَتَا فِي أَسْفَلِ النَّقْبِ[3]، وَنَسَجَ الْعَنْكَبُوتُ، فَقَالُوا: لَوْ دَخَلاَ لَتَكَسَّرَ الْبَيْضُ وَتَفَسَّخَ نَسْجُ الْعَنْكَبُوتِ، وَهٰذَا أَبْلَغُ فِي الإِعْجَازِ مِنْ مُقَاوَمَةِ الْقَوْمِ بِالْجُنُودِ، وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**اللّٰهُمَّ أَعْمِ أَبْصَارَهُمْ**» فَعَمِيَتْ عَنْ دُخُولِ الْغَارِ، وَجَعَلُوا يَضْرِبُونَ حَوْلَهُ يَمِيناً وَشِمَالاً.

وَفِي الصَّحِيحِ[4] عَنْ أَنَسٍ قَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ إِلَى قَدَمَيْهِ لَرَآنَا! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللّٰهُ ثَالِثُهُمَا**»؟!!

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ قَالَ: نَظَرْتُ إِلَى قَدَمَيْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فِي الْغَارِ وَقَدْ تَقَطَّرَتَا دَماً، فَاسْتَبْكَيْتُ، وَعَلِمْتُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ لَمْ يَكُنْ تَعَوَّدَ الْحَفَاءَ وَالْجَفْوَةَ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ دَخَلَ الْغَارَ قَبْلَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ لِيَقِيَهُ بِنَفْسِهِ، وَأَنَّهُ رَأَى جُحْراً فِيهِ فَأَلْقَمَهُ عَقِبَهُ لِئَلاَّ يَخْرُجَ مِنْهُ مَا يُؤْذِي رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ

---

(١) رواه أحمد ٣٤٨/١.

(٢) رواه ابن سعد، والبزار، والطبراني، والبيهقي، وأبو نعيم.

(٣) النَّقْب: شَقّ في الجبل.

(٤) عند الشيخين.

وَوَضَعَ رَأْسَهُ فِي حِجْرِ أَبِي بَكْرٍ، وَنَامَ فَلُدِغَ أَبُو بَكْرٍ فِي رِجْلِهِ مِنَ الْجُحْرِ، وَلَمْ يَتَحَرَّكْ، فَسَقَطَتْ دُمُوعُهُ عَلَى وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا لَكَ يَا أَبَا بَكْرٍ؟**» فَقَالَ: لُدِغْتُ فِدَاكَ أَبِي وَأُمِّي، فَتَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى مَكَانِ اللَّدْغِ فَذَهَبَ مَا يَجِدُهُ[1].

وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا رَأَى الْقَافَةَ اشْتَدَّ حُزْنُهُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ: إِنْ قُتِلْتُ فَإِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَإِنْ قُتِلْتَ أَنْتَ هَلَكَتِ الأُمَّةُ، فَعِنْدَهَا قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ يَعْنِي بِالْمَعُونَةِ وَالنَّصْرِ ﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾ وَهِيَ أَمَنَةٌ تَسْكُنُ عِنْدَهَا الْقُلُوبُ، عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لأَنَّهُ كَانَ مُنْزَعِجاً ﴿وَأَيَّدَهُۥ﴾ يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ ﴿بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ يَعْنِي الْمَلائِكَةَ، لِيَحْرُسُوهُ فِي الْغَارِ، وَلِيَصْرِفُوا وُجُوهَ الْكُفَّارِ وَأَبْصَارَهُمْ عَنْ رُؤْيَتِهِ ﷺ.

وَمَكَثَ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ فِي الْغَارِ ثَلاثَ لَيَالٍ، وَكَانَ يَبِيتُ عِنْدَهُمَا عَبْدُاللَّهِ بْنُ أَبِي بَكْرٍ ـ وَهُوَ غُلامٌ ـ فَيَدَّلِجُ[2] مِنْ عِنْدِهِمَا بِسَحَرٍ، فَيُصْبِحُ بِمَكَّةَ، فَحِينَ يَخْتَلِطُ الظَّلامُ يَأْتِيهِمَا بِخَبَرِ ذٰلِكَ الْيَوْمِ، وَيَرُوحُ عَلَيْهِمَا بَعْدَ الْعِشَاءِ عَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ[3] مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ بِغَنَمٍ، فَيَكْتَفِيَانِ مِنْ لَبَنِهَا[4]، وَاسْتَأْجَرَا عَبْدَاللَّهِ بْنَ الأُرَيْقِطِ دَلِيلاً، وَهُوَ كَافِرٌ وَلَمْ يُعْرَفْ لَهُ إِسْلامٌ، فَأَتَاهُمَا بِرَاحِلَتَيْهِمَا بَعْدَ ثَلاثِ لَيَالٍ، وَانْطَلَقَ مَعَهُمَا هُوَ وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ عَلَى طَرِيقِ السَّوَاحِلِ، فَمَرُّوا بِقُدَيْدٍ عَلَى أُمِّ مَعْبَدٍ عَاتِكَةَ بِنْتِ خَالِدٍ الْخُزَاعِيَّةِ، فَطَلَبُوا لَبَناً أَوْ لَحْماً يَشْتَرُونَهُ مِنْهَا، فَلَمْ يَجِدُوا عِنْدَهَا شَيْئاً، فَنَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى

---

(١) رواه رزين بن معاوية.

(٢) ادَّلَج: خرج آخر الليل، أما أَدْلَج: فقد سار الليل كله.

(٣) كان أميناً مؤتمناً حسن الإسلام.

(٤) فإذا خرج من عندهما عبدالله بن أبي بكر تبع أثره عامر بالغنم كي لا يظهر لقدميه أثر.

شَاةٍ فِي كِسْرِ الْخَيْمَةِ[1]، خَلَّفَهَا الْجَهْدُ عَنِ الْغَنَمِ، فَسَأَلَهَا: **«هَلْ بِهَا مِنْ لَبَنٍ؟»** فَقَالَتْ: هِيَ أَجْهَدُ مِنْ ذٰلِكَ، فَقَالَ: **«أَتَأْذَنِينَ لِي أَنْ أَحْلُبَهَا؟»** فَقَالَتْ: نَعَمْ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنْ رَأَيتَ بِهَا حَلَباً فَاحْلُبْهَا. فَدَعَا بِالشَّاةِ فَاعْتَقَلَهَا، وَمَسَحَ ضَرْعَهَا فَدَرَّتْ، وَدَعَا بِإِنَاءٍ يُشْبِعُ الْجَمَاعَةَ، فَحَلَبَ فِيهِ، وَسَقَى الْقَوْمَ حَتَّى رَوَوْا، ثُمَّ شَرِبَ آخِرَهُمْ، ثُمَّ حَلَبَ فِيهِ مَرَّةً أُخْرَى عَلَلاً بَعْدَ نَهَلٍ، ثُمَّ غَادَرَهُ عِنْدَهَا، وَذَهَبُوا، فَمَا لَبِثَ حَتَّى جَاءَ زَوْجُهَا أَبُو مَعْبَدٍ يَسُوقُ أَعْنُزاً عِجَافاً، فَلَمَّا رَأَى اللَّبَنَ عَجِبَ وَقَالَ: مَا هٰذَا يَا أُمَّ مَعْبَدٍ؟ قَالَتْ: إِنَّهُ مَرَّ بِنَا رَجُلٌ مُبَارَكٌ، مِنْ حَالِهِ كَذَا وَكَذَا، فَقَالَ: صِفيهِ، فَوَصَفَتْهُ بِأَحْسَنِ الأَوْصَافِ، فَقَالَ: هٰذَا وَاللّهِ صَاحِبُ قُرَيْشٍ، لَوْ رَأَيْتُهُ لاتَّبَعْتُهُ[2]، وَبَقِيَتْ هٰذِهِ الشَّاةُ إِلَى خِلاَفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ تُحْلَبُ صَبَاحاً وَمَسَاءً.

ثُمَّ تَعَرَّضَ لَهُمَا بِقُدَيْدٍ سُرَاقَةُ بْنُ مَالِكٍ الْمُدْلِجيُّ، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أُتِينَا، قَالَ: **«كَلاَّ»**، وَدَعَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِدَعَوَاتٍ، فَسَاخَتْ قَوَائِمُ فَرَسِهِ، وَطَلَبَ الأَمَانَ، فَقَالَ: أَعْلَمُ أَنْ قَدْ دَعَوْتُمَا عَلَيَّ، فَادْعُوَا لِي، وَلَكُمَا أَنْ أَرُدَّ النَّاسَ عَنْكُمَا وَلاَ أَضُرَّكُمَا، قَالَ: فَوَقَفَا لِي، فَرَكِبْتُ فَرِسِي حَتَّى جِئْتُهُمَا، فَأَخْبَرْتُهُمَا خَبَرَ مَا يُرِيدُهُ بِهِمَا النَّاسُ، وَعَرَضْتُ عَلَيْهِمَا الزَّادَ وَالْمَتَاعَ، فَلَمْ يَرْزَآنِي[3]، وَوَقَعَ فِي نَفْسِي حِينَ لَقِيتُ مَا لَقِيتُ أَنْ سَيَظْهَرُ أَمْرُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ.

وَاجْتَازَ ﷺ هُوَ وَأَبُو بَكْرٍ بِعَبْدٍ يَرْعَى غَنَماً، فَاسْتَسْقَيَاهُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: مَا عِنْدِي شَاةٌ تَحْلُبُ، غَيْرَ أَنَّ هٰهُنَا عَنَاقاً[4] حَمَلَتْ عَامَ أَوَّلَ، وَمَا بَقِيَ بِهَا

---

(١) جانبها.

(٢) وكانت زوجه قد بايعت النبي ﷺ علىٰ الإسلام.

(٣) لم يأخذا مني شيئاً.

(٤) وهي أنثىٰ المعز.

لَبَنٌ، فَقَالَ: «ادْعُ بِهَا»، فَأَتَى بِهَا، وَحَلَبَهَا ﷺ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، فَشَرِبُوا مِنْهَا، وَأَسْلَمَ الرَّاعِي.

وَلَمَّا بَلَغَ الْمُسْلِمِينَ بِالْمَدِينَةِ خُرُوجُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ، وَكَانُوا يَغْدُونَ كُلَّ غَدَاةٍ(1) إِلَى الْحَرَّةِ(2) يَنْتَظِرُونَهُ، حَتَّى يَرُدَّهُمْ حَرُّ الظَّهِيرَةِ، فَانْقَلَبُوا يَوْماً بَعْدَمَا أَطَالُوا انْتِظَارَهُمْ، فَلَمَّا أَوَوْا إِلَى بُيُوتِهِمْ أَوْفَى رَجُلٌ مِنَ الْيَهُودِ عَلَى أُطُمٍ(3) مِنْ آطَامِهِمْ لأَمْرٍ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَبَصُرَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ مُبَيِّضِينَ(4) يَزُولُ بِهِمُ السَّرَابُ(5)، فَلَمْ يَمْلِكِ الْيَهُودِيُّ نَفْسَهُ فَنَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ: يَا بَنِي قَيْلَةَ (يَعْنِي الأَوْسَ وَالْخَزْرَجَ) هٰذَا جَدُّكُمْ (أَيْ: حَظُّكُمْ وَمَطْلُوبُكُمْ) قَدْ أَقْبَلَ، فَخَرَجُوا إِلَيْهِ سِرَاعاً بِسِلَاحِهِمْ، فَتَلَقَّوْهُ.

❋ ❋ ❋

[الوصول إلى قُباء]

فَنَزَلَ بِقُبَاءَ عَلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ، وَأَقَامَ عِنْدَهُمُ اثْنَتَيْنِ وَعِشْرِينَ لَيْلَةً(6).

❋ ❋ ❋

---

(1) صباح.
(2) وهي الأرض ذات الحجارة السود، والمدينة المنورة محاطة بِحَرّتين: شرقية وغربية.
(3) حِصن.
(4) عليهم ثياب بيض.
(5) يُظهرهم. والسراب: ما تراه نصف النهار كأنه ماء.
(6) بل أربعة عشرة ليلة، كما في البداية والنهاية لابن كثير، وتاريخ الأمم والملوك للطبري.

[أول جمعة]

ثُمَّ خَرَجَ ﷺ مِنْ قُبَاءَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ حِينَ ارْتَفَعَ النَّهَارُ، فَأَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمِ بْنِ عَوْفٍ، فَصَلاَّهَا بِمَنْ كَانَ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ مِئَةٌ.

❁ ❁ ❁

[النزول على أبي أيوب رضي الله عنه]

وَرَكِبَ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ بَعْدَ الْجُمُعَةِ مُتَوَجِّهاً إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَ ﷺ كُلَّمَا مَرَّ عَلَى دَارٍ مِنْ دُورِ الأَنْصَارِ يَدْعُونَهُ إِلَى الْمُقَامِ عِنْدَهُمْ قَائِلِينَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هَلُمَّ إِلَى الْقُوَّةِ وَالْمَنَعَةِ، فَيَقُولُ: «**خَلُّوا سَبِيلَهَا**» يَعْنِي: نَاقَتَهُ «**فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ**»، وَقَدْ أَرْخَى زِمَامَهَا وَمَا يُحَرِّكُهَا، وَهِيَ تَنْظُرُ يَمِيناً وشِمَالاً، حَتَّى إِذَا أَتَتْ دَارَ مَالِكِ بْنِ النَّجَّارِ بَرَكَتْ عَلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، وَهُوَ يَوْمَئِذٍ مِرْبَدُ تَمْرٍ[١] لِسَهْلٍ وَسُهَيْلٍ ابْنَيْ رَافِعِ بْنِ عَمْرٍو، وَهُمَا يَتِيمَانِ فِي حِجْرِ أَسْعَدَ بْنِ زُرَارَةَ، ثُمَّ سَارَتْ وَهُوَ ﷺ عَلَيْهَا حَتَّى بَرَكَتْ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ الأَنْصَارِيِّ[٢]، ثُمَّ سَارَتْ فِيهِ، وَبَرَكَتْ فِي مَبْرَكِهَا الأَوَّلِ، وَأَلْقَتْ جِرَانَها (أَيْ: بَاطِنَ عُنُقِهَا بِالأَرْضِ) وَأَرْزَمَتْ (أَيْ: صَوَّتَتْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَفْتَحَ فَاهَا) وَنَزَلَ عَنْهَا ﷺ وَقَالَ: «**هٰذَا الْمَنْزِلُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**».

وَاحْتَمَلَ أَبُو أَيُّوبَ رَحْلَهُ، وَأَدْخَلَهُ بَيْتَهُ، وَمَعَهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، وَكَانَتْ دَارُ بَنِي النَّجَّارِ أَوْسَطَ دُورِ الأَنْصَارِ وَأَفْضَلَهَا، وَهُمْ أَخْوَالُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ جَدِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

---

(١) موضع يجفف فيه التمر.

(٢) واسمه: خالد بن زيد.

قَالَ أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَصَعِدَتْ ذَوَاتُ الْخُدُورِ[1] عَلَى الأَجَاجِيرِ[2] عِنْدَ قُدُومِهِ يَقُلْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعْ
وَجَبَ الشُّكْرُ عَلَيْنَا مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعْ[3]

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً: لَمَّا بَرَكَتِ النَّاقَةُ عَلَى بَابِ أَبِي أَيُّوبَ خَرَجَ جَوَارٍ[4] مِنْ بَنِي النَّجَّارِ بِالدُّفُوفِ يَقُلْنَ:

نَحْنُ جَوَارٍ مِنْ بَنِي النَّجَّارِ يَا حَبَّذَا مُحَمَّدٌ مِنْ جَارِ

فَقَالَ ﷺ: «**أَتُحِبِبْنَنِي؟**» قُلْنَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُ يَعْلَمُ أَنَّ قَلْبِي يُحِبُّكُمْ**»[5].

قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَتَفَرَّقَ الغِلْمَانُ وَالْخَدَمُ فِي الطُّرُقِ يُنَادُونَ: جَاءَ مُحَمَّدٌ، جَاءَ رَسُولُ اللَّهِ.

وَأَقَامَ ﷺ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ سَبْعَةَ أَشْهُرٍ.

❋ ❋ ❋

---

(١) النساء. والخِدْر: الاستتار.
(٢) السطوح، مفردها: إجّار.
(٣) خالف في هذا المحققون، كالحافظ ابن حجر، والحافظ العراقي، وابن القيّم، وقالوا: إن ذلك كان مرجعَه من تبوك، وذلك لأن ثنيّة الوداع من جهة الشام، لا من جهة مكة، والصواب أن ما قالوه هو:
نحن جَوارٍ من بني النجار يا حبّذا محمدٌ من جار
كما في شرح المواهب ١/٤٣٤.
(٤) الجارية: الفتيّة من النساء.
(٥) أي: يا معشر الأنصار.

[السنة الأولى]
[بناء المسجد النبوي]

وَلَمَّا أَرَادَ بِنَاءَ الْمَسْجِدِ قَالَ: «**يَا بَنِي النَّجَّارِ! ثَامِنُونِي بِحَائِطِكُمْ**»[١]، قَالُوا: لاَ نَطْلُبُ ثَمَنَهُ إلاَّ إِلَى اللهِ، فَأَبَىٰ ذٰلِكَ، وَابْتَاعَهَا بِعَشَرَةِ دَنَانِيرَ، أَدَّاهَا مِنْ مَالِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَكَانَ قَدْ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ بِمَالِهِ كُلِّهِ.

وَأَمَرَ ﷺ بِاتِّخَاذِ اللَّبِنِ، فَاتُّخِذَ، وَبُنِيَ الْمَسْجِدُ، وَسُقِفَ بِالْجَرِيدِ[٢]، وَجُعِلَتْ عُمُدُهُ خَشَبَ النَّخْلِ، وَعَمِلَ فِيهِ الْمُسْلِمُونَ، وَكَانَ ﷺ يَنْقُلُ مَعَهُمُ اللَّبِنَ فِي بِنَائِهِ، وَيَقُولُ (وَهُمَا[٣] لِعَبْدِاللّهِ بْنِ رَوَاحَةَ):

هٰذَا الْحِمَالُ لاَ حِمَالَ خَيْبَرْ[٤] ... هٰــذَا أَبَــرُّ رَبَّــنَــا[٥] وَأَطْــهَــرْ
الــلــهُــمَّ إِنَّ الأَجْــرَ أَجْــرُ الآخِــرَهْ ... فَــارْحَــمِ الأَنْــصَــارَ وَالْــمُــهَــاجِــرَهْ

وَجُعِلَتْ قِبْلَةُ الْمَسْجِدِ لِلْقُدْسِ، وَجُعِلَ لَهُ ثَلاَثَةُ أَبْوَابٍ: بَابٌ فِي مُؤَخَّرِهِ، وَبَابٌ يُقَالُ لَهُ: بَابُ الرَّحْمَةِ، وَالْبَابُ الَّذِي يُدْخَلُ مِنْهُ. وَجُعِلَ طُولُهُ مِمَّا يَلِي الْقِبْلَةَ إِلَى مُؤَخَّرِهِ مِئَةَ ذِرَاعٍ، وَفِي الْجَانِبَيْنِ مِثْلَ ذٰلِكَ أَوْ دُونَهُ، وَجُعِلَ أَسَاسُهُ قَرِيباً مِنْ ثَلاَثَةِ أَذْرُعٍ، وَبَنَى بُيُوتاً إِلَى جَنْبِهِ بِاللَّبِنِ، وَسَقَفَهَا بِجُذُوعِ النَّخْلِ وَالْجَرِيدِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنَ الْبِنَاءِ بَنَى لِعَائِشَةَ فِي الْبَيْتِ الَّذِي يَلِيهِ شَارِعاً إِلَى الْمَسْجِدِ، وَجَعَلَ سَوْدَةَ بِنْتَ زَمْعَةَ فِي الْبَيْتِ الآخَرِ الَّذِي يَلِيهِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ دَارِ أَبِي أَيُّوبَ إِلَى مَسَاكِنِهِ الَّتِي بَنَاهَا.

---

(١) ساوموني ببستانكم.
(٢) الجريد: سعف النخيل إذا جُرِّد من ورقه.
(٣) أي: البيتان.
(٤) والذي يحمل من خيبر هو التمر، أي: هذا في الآخرة أفضل من ذاك وأحمدُ عاقبة.
(٥) أي: يا ربَّنا.

[هجرة أهل البيت]

وَكَانَ قَدْ أَرْسَلَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ وَأَبَا رَافِعٍ مَوْلاَهُ فَقَدِمَا بِفَاطِمَةَ، وَأُمِّ كُلْثُومٍ، وَسَوْدَةَ بِنْتِ زَمْعَةَ، وَأُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، وَأُمِّ أَيْمَنَ[1]، وَخَرَجَ عَبْدُاللَّهِ ابْنُ أَبِي بَكْرٍ مَعَهُمْ بِعِيَالِ أَبِيهِ[2].

وَكَانَ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَى جِذْعٍ فِي الْمَسْجِدِ قَائِماً، فَقَالَ: «**إِنَّ الْقِيَامَ قَدْ شَقَّ عَلَيَّ**» فَصُنِعَ لَهُ الْمِنْبَرُ، وَسَتَأْتِي قِصَّةُ حَنِينِ الْجِذْعِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى فِي مَقْصِدِ الْمُعْجِزَاتِ.

❋ ❋ ❋

[المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار]

وَلَمَّا كَانَ بَعْدَ قُدُومِهِ ﷺ بِخَمْسَةِ أَشْهُرٍ آخَى بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَبَنَى بِعَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا فِي شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ شَهْراً.

❋ ❋ ❋

[ظهور عداوة اليهود والمنافقين]

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ: وَنَصَبَتْ أَحْبَارُ الْيَهُودِ الْعَدَاوَةَ لِلنَّبِيِّ ﷺ بَغْياً وَحَسَداً، وَانْضَافَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةٌ مِنَ الأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ مُنَافِقُونَ عَلَى دِينِ آبَائِهِمْ مِنَ الشِّرْكِ، مِنْهُمْ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أُبَيِّ ابْنُ سَلُولٍ رَأْسُ الْمُنَافِقِينَ، وَقَهَرَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِظُهُورِ الإِسْلاَمِ.

❋ ❋ ❋

(١) زوج زيد.

(٢) وهم أم رومان زوج أبيه، وعائشة، وأسماء.

[الإذن بالقتال]

وَأَذِنَ اللَّهُ تَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِالْقِتَالِ، قَالَ الزُّهْرِيُّ: أَوَّلُ آيَةٍ نَزَلَتْ فِي الإِذْنِ بِالْقِتَالِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾(١) فَبَعَثَ ﷺ الْبُعُوثَ وَالسَّرَايَا، وَغَزَا وَقَاتَلَ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، حَتَّى دَخَلَ النَّاسُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجاً أَفْوَاجاً.

وَكَانَ عَدَدُ مَغَازِيهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الَّتِي خَرَجَ فِيهَا بِنَفْسِهِ سَبْعاً وَعِشْرِينَ، قَاتَلَ فِي تِسْعٍ مِنْهَا بِنَفْسِهِ: بَدْرٍ، وَأُحُدٍ، وَالْمُرَيْسِيعِ، وَالْخَنْدَقِ، وَقُرَيْظَةَ، وَخَيْبَرَ، وَفَتْحِ مَكَّةَ، وَحُنَيْنٍ، وَالطَّائِفِ، وَسَرَايَاهُ الَّتِي بَعَثَ فِيهَا سَبْعٌ وَأَرْبَعُونَ سَرِيَّةً(٢).

❋ ❋ ❋

[سرية حمزة بن عبدالمطلب إلى العِيص]

أَوَّلُهَا: سَرِيَّةُ عَمِّهِ حَمْزَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي ثَلاَثِينَ رَجُلاً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجُوا يَعْتَرِضُونَ عِيراً لِقُرَيْشٍ(٣)، فَلَمْ يَقَعْ حَرْبٌ.

❋ ❋ ❋

[سرية عبيدة إلى رابغ]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عُبَيْدَةَ بْنِ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ إِلَى بَطْنِ رَابِغٍ(٤) فِي سِتِّينَ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٣٩.
(٢) بل هي فوق الستين.
(٣) العِير: هي الإبل التي تحمل الطعام.
(٤) وهو واد بين مكة والمدينة قرب البحر.

رَجُلاً[1] يَلْقَى أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ، وَكَانَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ فِي مِئَتَيْنِ، فَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ.

❋ ❋ ❋

[سرية سعد بن أبي وقاص]

ثُمَّ سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ إِلَى الْخَرَّارِ (وَادٍ بِالْحِجَازِ[2]) فِي عِشْرِينَ رَجُلاً يَعْتَرِضُ عِيراً لِقُرَيْشٍ، فَوَجَدُوهَا قَدْ مَرَّتْ بِالأَمْسِ.

❋ ❋ ❋

[السنة الثانية]

غَزْوَةُ وَدَّانَ[3]

ثُمَّ غَزْوَةُ وَدَّانَ (وَهِيَ الأَبْوَاءُ)، وَهِيَ أَوَّلُ مَغَازِيهِ ﷺ، خَرَجَ مِنَ الْمَدِينَةِ فِي صَفَر عَلَى رَأْسِ اثْنَيْ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ، يُرِيدُ قُرَيْشاً[4] فِي سِتِّينَ رَجُلاً، وَحَمَلَ اللِّوَاءَ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِب، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ[5].

فَكَانَتِ[6] الْمُوَادَعَةُ (أَي: الْمُصَالَحَةُ) عَلَى أَنَّ بَنِي ضَمْرَةَ لاَ يَغْزُونَهُ، وَلاَ يُكْثِرُونَ عَلَيْهِ جَمْعاً، وَلاَ يُعِينُونَ عَدُوًّا[7].

---

(١) بل ثمانين.

(٢) قرب الجحفة.

(٣) وهي قرية بين مكة والمدينة قرب الأبواء، بينها وبين الجحفة ٧٠ كيْلاً.

(٤) بل يريد عِيراً لقريش. والعير: هي الإبل التي تحمل الطعام.

(٥) سيد الخزرج.

(٦) أي: في هذه الغزوة.

(٧) وأن عليهم نُصرة المسلمين إذا دُعوا.

غَزْوَةُ بَوَاطٍ[1]

ثُمَّ غَزْوَةُ بَوَاطٍ (وَهِيَ الثَّانِيَةُ) غَزَاهَا ﷺ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ عَلَى رَأْسِ ثَلاثَةَ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ فِي مِئَتَيْنِ مِنْ أَصْحَابِهِ[2]، يَعْتَرِضُ عِيراً لِقُرَيْشٍ، فِيهِمْ أُمَيَّةُ بْنُ خَلَفٍ الْجُمَحِيُّ[3]، فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً ـ أَيْ: حَرْباً ـ.

❊ ❊ ❊

غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ

ثُمَّ غَزْوَةُ الْعُشَيْرَةِ (وَهِيَ مَوْضِعٌ لِبَنِي مُدْلِجٍ بِيَنْبُعَ)، خَرَجَ إِلَيْهَا ﷺ فِي جُمَادَى الأُولَى (وَقِيلَ: الآخِرَةِ) عَلَى رَأْسِ سِتَّةَ عَشَرَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ فِي خَمْسِينَ وَمِئَةِ رَجُلٍ (وَقِيلَ: مِئَتَيْنِ) وَمَعَهُمْ ثَلاثُونَ بَعِيراً، وَحَمَلَ اللِّوَاءَ ـ وَكَانَ أَبْيَضَ ـ حَمْزَةُ، يُرِيدُ عِيرَ قُرَيْشٍ الَّتِي صَدَرَتْ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الشَّامِ بِالتِّجَارَةِ[4]، فَخَرَجَ إِلَيْهَا لِيَغْنَمَهَا، فَوَجَدَهَا قَدْ مَضَتْ، وَوَادَعَ بَنِي مُدْلِجٍ مِنْ كِنَانَةَ عَلَى أَنْ يَنْصُرَهُمْ وَيَنْصُرُوهُ ﷺ.

❊ ❊ ❊

---

(١) وهو جبل جهة ينبع، بينه وبين المدينة ٤٥ كيلاً.

(٢) بعد أن استخلف علىٰ المدينة سعد بن معاذ سيد الأوس.

(٣) فوجد العِير قد فاتته.

(٤) وكانت أعظم عِير لقريش، فقد جمعوا فيها أموالهم حتىٰ لم يبقَ بمكة قرشي أو قرشية لها مثقال فصاعداً إلا بعث به في تلك العِير.

غَزْوَةُ بَدْرِ الأُولَىٰ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الأُولَى، أَغَارَ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ عَلَى سَرْحِ[1] الْمَدِينَةِ بَعْدَ غَزْوَةِ الْعُشَيْرَةِ بِعَشَرَةِ أَيَّامٍ، فَخَرَجَ ﷺ فِي طَلَبِهِ، حَتَّى بَلَغَ سَفَوَانَ (مَوْضِعٌ مِنْ نَاحِيَةِ بَدْرٍ)، فَفَاتَهُ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ، وَتُسَمَّى بَدْراً الأُولَى، وَحَمَلَ اللِّوَاءَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

❋ ❋ ❋

سَرِيَّةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَحْشٍ [إِلَىٰ نخلة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، وَكَانَ مَعَهُ ثَمَانِيَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى نَخْلَةَ[2] عَلَى لَيْلَةٍ مِنْ مَكَّةَ فِي رَجَبٍ، يَتَرَصَّدُ عِيرَ قُرَيْشٍ، فَمَرَّتْ بِهِ تَحْمِلُ زَبِيباً وَتَمْراً وَأَدَماً مِنَ الطَّائِفِ، فِيهَا عَمْرُو بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، فَقَتَلُوهُ، وَأَسَرُوا عُثْمَانَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ وَالْحَكَمَ بْنَ كَيْسَانَ[3]، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ، وَاسْتَاقُوا الْعِيرَ. فَكَانَتْ أَوَّلَ غَنِيمَةٍ فِي الإِسْلاَمِ.

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَىٰ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَدْرِ الْكُبْرَى، وَهُوَ يَوْمُ الْفُرْقَانِ الَّذِي أَعَزَّ اللَّهُ فِيهِ الإِسْلاَمَ

---

(١) ماشية.

(٢) وهي بين مكة والطائف.

(٣) وعرضت قريش فداء أسيريها، فأما الحكم فأسلم وبقي مع المسلمين، وأما عثمان فلحق بمكة ومات بها كافراً.

وَأَهْلَهُ، وَأَذَلَّ فِيهِ الشِّرْكَ وَأَهْلَهُ، مَعَ قِلَّةِ عَدَدِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَثْرَةِ الْمُشْرِكِينَ، مَعَ مَا كَانُوا فِيهِ مِنْ سَوَابِغَ الْحَدِيدِ، وَالْعُدَّةِ الْكَامِلَةِ، وَالْخُيُولِ الْمُسَوَّمَةِ[1]، وَالْخُيَلاءِ الزَّائِدَةِ، وَلِذٰلِكَ امْتَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرٍ وَأَنتُمْ أَذِلَّةٌ﴾[2]. وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ الْغَزْوَةُ أَعْظَمَ غَزَوَاتِ الإِسْلاَمِ، إِذْ مِنْهَا كَانَ ظُهُورُهُ، وَبَعْدَ وُقُوعِهَا أَشْرَقَ عَلَى الآفَاقِ نُورُهُ.

وَكَانَ خُرُوجُهُمْ يَوْمَ السَّبْتِ لِثِنْتَيْ عَشْرَةَ خَلَتْ[3] مِنْ رَمَضَانَ[4] عَلَى رَأْسِ تِسْعَةَ عَشَرَ شَهْراً، وَخَرَجَ مَعَهُ الأَنْصَارُ، وَلَمْ يَخْرُجُوا مَعَهُ قَبْلَ ذٰلِكَ، وَكَانَ عِدَّةُ مَنْ خَرَجَ مَعَهُ ثَلاثَ مِئَةٍ وَخَمْسَةً، وَثَمَانِيَةٌ لَمْ يَحْضُرُوهَا، وَإِنَّمَا ضَرَبَ لَهُمْ بِسَهْمِهِمْ وَأَجْرِهِمْ[5]، فَكَانُوا كَمَنْ حَضَرَهَا، وَكَانَ مَعَهُمْ ثَلاثَةُ أَفْرَاسٍ: لِلْمِقْدَادِ، وَالزُّبَيْرِ، وَمَرْثَدِ الْغَنَوِيِّ، وَكَانَ مَعَهُمْ سَبْعُونَ بَعِيراً. أَمَّا الْمُشْرِكُونَ فَكَانُوا أَلْفاً، وَمَعَهُمْ مِئَةُ فَرَسٍ وَسَبْعُ مِئَةِ بَعِيرٍ، وَكَانَ قِتَالُهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ، وَكَانَ خُرُوجُهُ ﷺ بِقَصْدِ التَّعَرُّضِ لِعِيرِ قُرَيْشٍ الْقَادِمَةِ مِنَ الشَّامِ فِي قَافِلَةٍ عَظِيمَةٍ فِيهَا أَمْوَالُ قُرَيْشٍ، وَعَلَيْهَا أَبُو سُفْيَانَ فِي ثَلاثِينَ رَاكِباً.

فَلَمَّا بَلَغَ ﷺ بِأَصْحَابِهِ الرَّوْحَاءَ[6] أَتَاهُ الْخَبَرُ بِمَسِيرِ قُرَيْشٍ لِيَمْنَعُوا عَنْ عِيرِهِمْ[7]، فَاسْتَشَارَ النَّبِيُّ ﷺ أَصْحَابَهُ، وَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ إِحْدَى**

---

(١) التي جُعل لها علامات تُعرف بها.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٣.

(٣) مضت.

(٤) وفي نور اليقين للخضري: لثلاث ليال خلون.

(٥) لأمور كُلِّفوا بها.

(٦) وهي قرية على مسافة ٣٠٠ كَيْلاً جنوب غرب المدينة.

(٧) التي خرج لها عليه الصلاة والسلام وهي متوجهة إلى الشام فلم يدركها، وذلك في غزوة العشيرة ولم يزل مترقباً رجوعها، فلما سمع برجوعها ندب إليها أصحابه، ولما علم أبو سفيان بخروج الرسول ﷺ أرسل إلى قريش فنفروا سراعاً ليمنعوا عن عيرهم.

الطَّائِفَتَيْنِ: إِمَّا الْعِيرُ، وَإِمَّا قُرَيْشٌ»، فَقَامَ أَبُو بَكْرٍ فَقَالَ فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ عُمَرُ فَقَالَ فَأَحْسَنَ، ثُمَّ قَامَ الْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ امْضِ لِمَا أَمَرَكَ اللّهُ، لاَ نَقُولُ لَكَ كَمَا قَالَتْ بَنُو إِسْرَائِيلَ لِمُوسَى: اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ، ولٰكِنِ اذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلاَ إِنَّا مَعَكُمَا مُقَاتِلُونَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوْ سِرْتَ بِنَا إِلَى بَرْكِ الْغِمَادِ ـ يَعْنِي مَدِينَةَ الْحَبَشِ[١] ـ لَجَالَدْنَا مَعَكَ مِنْ دُونِهِ حَتَّى تَبْلُغَهُ. فَقَالَ ﷺ خَيْراً وَدَعَا لَهُ بِخَيْرٍ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«أَيُّهَا النَّاسُ»**[٢] ـ وَإِنَّمَا يُرِيدُ الأَنْصَارَ ـ فَقَالَ لَهُ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ: وَاللّهِ لَكَأَنَّكَ تُرِيدُنَا يَا رَسُولَ اللّهِ؟ قَالَ: **«أَجَلْ»**، قَالَ سَعْدٌ: قَدْ آمَنَّا بِكَ وَصَدَّقْنَاكَ، وَشَهِدْنَا أَنَّ مَا جِئْتَ بِهِ هُوَ الْحَقُّ، وَأَعْطَيْنَاكَ عَلَى ذٰلِكَ عُهُودَنَا وَمَوَاثِيقَنَا عَلَى السَّمْعِ وَالطَّاعَةِ، فَامْضِ يَا رَسُولَ اللّهِ لِمَا أَرَدْتَ، فَوَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَوِ اسْتَعْرَضْتَ بِنَا هٰذَا الْبَحْرَ فَخُضْتَهُ لَخُضْنَاهُ مَعَكَ، مَا تَخَلَّفَ مِنَّا رَجُلٌ وَاحِدٌ، وَمَا نَكْرَهُ أَنْ نَلْقَى عَدُوَّنَا، وَإِنَّا لَصُبُرٌ عِنْدَ الْحَرْبِ، صُدُقٌ عِنْدَ اللِّقَاءِ، وَلَعَلَّ اللّهَ يُرِيكَ مِنَّا مَا تَقَرُّ بِهِ عَيْنُكَ، فَسِرْ بِنَا عَلَى بَرَكَةِ اللّهِ تَعَالَى. فَسُرَّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِقَوْلِ سَعْدٍ، وَنَشَّطَهُ ذٰلِكَ، ثُمَّ قَالَ: **«سِيرُوا عَلَى بَرَكَةِ اللّهِ تَعَالَى، وَأَبْشِرُوا، فَإِنَّ اللّهَ قَدْ وَعَدَنِي إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ، وَاللّهِ لَكَأَنِّي أَنْظُرُ الآنَ إِلَى مَصَارِعِ الْقَوْمِ»**. وَعَيَّنَ مَصَارِعَهُمْ، فَمَا تَعَدَّوْهَا.

ثُمَّ ارْتَحَلَ ﷺ قَرِيباً مِنْ بَدْرٍ، وَتَرَكَ قُرَيْشاً بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَىٰ[٣]، وَبُنِيَ لَهُ ﷺ عَرِيشٌ[٤] فَكَانَ فِيهِ.

ثُمَّ خَرَجَ عُتْبَةُ بْنُ رَبِيعَةَ وَأَخُوهُ شَيْبَةُ وَابْنُهُ الْوَلِيدُ وَدَعَوْا إِلَى

---

(١) أو موضع باليمن، أو هو أقصىٰ معمور الأرض.

(٢) عبارة نور اليقين: أشيروا عليّ أيها الناس.

(٣) جانب الوادي الأبعد عن المدينة.

(٤) خيمة من خشب وثمام (وهو نبت يشبه ورق النخل).

الْمُبَارَزَةِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ فِتْيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَقَالُوا: مَا لَنَا بِكُمْ حَاجَةٌ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَيْهِمْ بِأَمْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ الْمُطَّلِبِ، وَحَمْزَةُ، وَعَلِيٌّ، فَبَارَزَ حَمْزَةُ شَيْبَةَ فَقَتَلَهُ، وبَارَزَ عَلِيٌّ الْوَلِيدَ فَقَتَلَهُ، وَاخْتَلَفَ بَيْنَ عُبَيْدَةَ وَعُتْبَةَ ضَرْبَتَانِ، فَأَثْخَنَ كُلٌّ مِنْهُمَا صَاحِبَهُ، فَمَالَ حَمْزَةُ وَعَلِيٌّ عَلَى عُتْبَةَ فَقَتَلاَهُ، وَاحْتَمَلاَ عُبَيْدَةَ، وَاسْتُشْهِدَ بَعْدَ ذٰلِكَ مِنْ تِلْكَ الْجِرَاحَاتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

ثُمَّ تَزَاحَفَ النَّاسُ، وَدَنَا بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي الْعَرِيشِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ فَقَطْ[1] وَهُوَ يُنَاشِدُ رَبَّهُ مَا وَعَدَهُ مِنَ النَّصْرِ، وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنْ تُهْلِكْ هٰذِهِ الْعِصَابَةَ مِنْ أَهْلِ الإِيمَانِ الْيَوْمَ فَلاَ تُعْبَدُ فِي الأَرْضِ أَبَداً**». وَلَمَّا نَظَرَ ﷺ كَثْرَةَ الْمُشْرِكِينَ وَقِلَّةَ الْمُسْلِمِينَ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ، وَقَالَ وَهُوَ فِي صَلاَتِهِ: «**اللَّهُمَّ لاَ تَخْذُلْنِي، اللَّهُمَّ أَنْشُدُكَ**[2] **مَا وَعَدْتَنِي**». وَلَمَّا كَانَ فِي الْعَرِيشِ وَمَعَهُ الصِّدِّيقُ أَخَذَتْهُ ﷺ سِنَةٌ مِنَ النَّوْمِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظَ مُتَبَسِّماً، فَقَالَ: «**أَبْشِرْ يَا أَبَا بَكْرٍ! هٰذَا جِبْرِيلُ عَلَى ثَنَايَاهُ**[3] **النَّقْعُ**» - أَيْ: الْغُبَارُ -، ثُمَّ خَرَجَ مِنْ بَابِ الْعَرِيشِ وَهُوَ يَتْلُو: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[4]، وَأَمَدَّ اللَّهُ الْمُسْلِمِينَ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، ثُمَّ صَارُوا ثَلاَثَةَ آلاَفٍ، ثُمَّ صَارُوا خَمْسَةَ آلاَفٍ، وَكَانَتِ الْمَلاَئِكَةُ لاَ تَعْرِفُ كَيْفَ تَقْتُلُ الآدَمِيُّونَ، فَعَلَّمَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ﴾[5] أَيْ: كُلَّ

---

(١) بيده السيف يذبُّ عن النبي ﷺ، وكان قد طلب من النبي ﷺ أن يكون في مقدمة الجيش فلم يأذن له.

(٢) أطلب منك.

(٣) وهي الأسنان الأربع التي في مقدم الفم، ثنتان من فوق، وثنتان من أسفل.

(٤) سورة القمر، الآية: ٤٥. وقد شارك ﷺ في القتال كما روىٰ ذلك أحمد بن علي رضي الله عنه قال: (لقد رأيتُنا يوم بدر ونحن نلوذ برسول الله ﷺ، وهو أقربنا من العدوّ، وكان من أشد الناس يومئذ بأساً).

(٥) سورة الأنفال، الآية: ١٢.

مَفْصِلٍ[1]، وَكَانُوا يَعْرِفُونَ قَتْلَى الْمَلائِكَةِ مِنْ قَتْلاَهُمْ بِآثَارٍ سُودٍ فِي الأَعْنَاقِ وَالْبَنَانِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمْ تُقَاتِلِ الْمَلائِكَةُ إِلاَّ يَوْمَ بَدْرٍ، وَفِيمَا سِوَاهُ كَانَتْ عُدَداً وَمَدَداً، وَكَانَتْ سِيمَاهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ عَمَائِمُ بِيضٌ، وَيَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمُ خُضْرُ.

وَعَنْ سُهَيْلِ[2] بْنِ حُنَيْفٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُنَا يَوْمَ بَدْرٍ وَإِنَّ أَحَدَنَا يُشِيرُ بِسَيْفِهِ إِلَى الْمُشْرِكِ فَتَقَعُ رَأْسُهُ عَنْ جَسَدِهِ قَبْلَ أَنْ يَصِلَ إِلَيْهِ السَّيْفُ.

وَلَمَّا الْتَقَى الْجَمْعَانِ تَنَاوَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَفًّا مِنَ الْحَصْبَاءِ، فَرَمَى بِهِ فِي وُجُوهِهِمْ، وَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»، فَلَمْ يَبْقَ مُشْرِكٌ إِلاَّ دَخَلَ فِي عَيْنَيْهِ وَمِنْخَرَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ، فَانْهَزَمُوا، وَقَتَلَ اللَّهُ مَنْ قَتَلَ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ، وَأُسِرَ مَنْ أُسِرَ مِنْ أَشْرَافِهِمْ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَقَاتَلَ عُكَاشَةُ بْنُ مِحْصَنٍ الأَسَدِيُّ يَوْمَ بَدْرٍ بِسَيْفِهِ حَتَّى انْقَطَعَ فِي يَدِهِ، فَأَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَأَعْطَاهُ جِزْلاً مِنْ حَطَبٍ[3]، فَقَالَ لَهُ: «**قَاتِلْ بِهِ**»، فَهَزَّهُ فَعَادَ فِي يَدِهِ سَيْفاً طَوِيلَ الْقَامَةِ، شَدِيدَ الْمَتْنِ، أَبْيَضَ الْحَدِيدَةِ، فَقَاتَلَ بِهِ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ. وَكَانَ ذٰلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعَوْنَ. ثُمَّ لَمْ يَزَلْ عِنْدَهُ يَشْهَدُ بِهِ الْمَشَاهِدَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ وَهُوَ عِنْدَهُ[4]. وَجَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَوْمَئِذٍ مُعَاذُ بْنُ عَمْرٍو ويَحْملُ يَدَهُ ضَرَبَهُ عِكْرِمَةُ عَلَيْهَا، فَتَعَلَّقَتْ بِجِلْدَة، فَبَصَقَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْهَا فَلَصَقَتْ. ثُمَّ عَاشَ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَى زَمَنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) للأصابع، لأن البنانَ الأصابعُ أو أطرافُها، كما في القاموس المحيط.
(٢) بل سهل.
(٣) وهو الحطب اليابس.
(٤) وذلك في حروب الردة أيام أبي بكر رضي الله عنهما.

وَأَمَرَ ﷺ بِقَتْلَى الْمُشْرِكِينَ أَنْ يُطْرَحُوا فِي الْقَلِيبِ[1]، فَطُرِحُوا فِيهِ، وَنَادَاهُمْ ﷺ: «**يَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ! وَيَا فُلاَنُ بْنَ فُلاَنٍ! هَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ حَقًّا؟ فَإِنِّي وَجَدْتُ مَا وَعَدَنِي اللَّهُ حَقًّا**». وَقَالَ ﷺ: «**يَا أَهْلَ الْقَلِيبِ! بِئْسَ الْعَشِيرَةِ كُنْتُمْ، كَذَّبْتُمُونِي وَصَدَّقَنِي النَّاسُ**»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ تُكَلِّمُ أَجْسَاداً لاَ أَرْوَاحَ فِيهَا؟ فَقَالَ: «**مَا أَنْتُمْ بِأَسْمَعَ لِمَا أَقُولُ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ لاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَرُدُّوا شَيْئاً**».

قَالَ قَتَادَةُ: أَحْيَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى تَوْبِيخاً وَتَصْغِيراً وَنِقْمَةً وَحَسْرَةً.

وَقَالَ ابْنُ مَرْزُوقٍ: وَمِنْ آيَاتِ بَدْرٍ الْبَاقِيَةِ مَا كُنْتُ أَسْمَعُهُ مِنْ غَيْرِ وَاحِدٍ مِنَ الْحُجَّاجِ، أَنَّهُمْ إِذَا اجْتَازُوا بِذٰلِكَ الْمَوْضِعِ يَسْمَعُونَ كَهَيْئَةِ طَبْلِ مُلُوكِ الْوَقْتِ، وَيَرَوْنَ أَنَّ ذٰلِكَ لِنَصْرِ أَهْلِ الإِيمَانِ، وَكُنْتُ رُبَّمَا أُنْكِرُ ذٰلِكَ وَرُبَّمَا أَتَأَوَّلُهُ حَتَّى مَنَّ اللَّهُ عَلَيَّ بِالْوُصُولِ إِلَى ذٰلِكَ الْمَوْضِعِ الشَّرِيفِ، فَسَمِعْتُ صَوْتَ الطَّبْلِ سَمَاعاً مُحَقَّقاً، الْمَرَّةَ بَعْدَ الْمَرَّةِ يَوْمِي أَجْمَعَ.

وَقَدِ اسْتُشْهِدَ يَوْمَ بَدْرٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً: سِتَّةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ[2]، وَثَمَانِيَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ[3]. وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ سَبْعُونَ، وَأُسِرَ سَبْعُونَ.

وَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ بَدْرٍ فِي آخِرِ رَمَضَانَ وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنْ شَوَّالٍ، بَعَثَ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ بَشِيراً، فَوَصَلَ الْمَدِينَةَ ضُحَى وَقَدْ نَفَضُوا أَيْدِيَهُمْ مِنْ تُرَابِ

---

(١) وهي بئر لم تُبْنَ جوانبها فانهارت.

(٢) هم: عبيدة بن الحارث، ومهجع مولىٰ عمر، وعمير بن أبي وقّاص أخو سعد، وعاقل بن البكير الليثي، وصفوان بن بيضاء الفِهري، وذو الشمالين عمير بن عبد عمرو بن نضلة الخزاعي.

(٣) ستة من الخزرج وهم: عوف بن عفراء، وشقيقه معوذ بن عفراء، وحارثة بن سراقة، ويزيد بن الحارث، ورافع بن المعلّىٰ، وعمير بن الحُمام، واثنان من الأوس هما: سعد بن خيثمة، ومبشّر بن عبدالمنذر.

رُقَيَّةَ بِنْتِ النَّبِي ﷺ، وَكَانَ عُثْمَانُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَدْ تَخَلَّفَ عَنْ بَدْرٍ لِتَمْرِيضِهَا، فَضَرَبَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِسَهْمِهِ وَأَجْرِهِ.

❋ ❋ ❋

[سرية عمير بن عدي رَضِيَ اللّهُ عَنهُ]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عُمَيْرِ بْنِ عَدِيٍّ الْخَطْمِيِّ[1] إِلَى عَصْمَاءَ بِنْتِ مَرْوَانَ[2]، وَكَانَتْ تَعِيبُ الإِسْلاَمَ وَتُؤْذِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَجَاءَهَا عُمَيْرٌ لَيْلاً فَقَتَلَهَا، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِالْمَدِينَةِ، وَأَخْبَرَهُ بِذَلِكَ[3]، فَقَالَ: «**لاَ يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ**».

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ قَرْقَرَةِ الْكُدْرِ[4]

ثُمَّ غَزْوَةُ قَرْقَرَةِ الْكُدْرِ، خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعْدَ بَدْرٍ بِسَبْعَةِ أَيَّامٍ يُرِيدُ بَنِي سُلَيْمٍ، فَبَلَغَ مَاءً يُقَالُ لَهُ: الْكُدْرُ، فَأَقَامَ ثَلاَثاً (وَقِيلَ: عَشْراً)، فَلَمْ يَلْقَ أَحَداً، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

❋ ❋ ❋

(١) وذلك في رمضان من السنة الثانية.

(٢) من بني أمية.

(٣) وقال: هل عليَّ في ذلك من شيء؟.

(٤) القرقرة: الأرض الملساء. والكُدْر: طير في ألوانها كُدْرة عرف بها ذلك الموضع.

[سرية سالم بن عمير]

ثُمَّ سَرِيَّةُ سَالِمِ بْنِ عُمَيْرٍ إِلَى أَبِي عَفَكٍ الْيَهُودِيِّ، وَكَانَ يُحَرِّضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيَقُولُ فِيهِ الشِّعْرَ. فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ سَالِمٌ فَقَتَلَهُ[1].

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي قَيْنُقَاعٍ، بَطْنٌ مِنْ يَهُودِ الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ يَوْمَ السَّبْتِ نِصْفَ شَوَّالٍ عَلَى رَأْسِ عِشْرِينَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ، وَقَدْ كَانَتْ الْكُفَّارُ بَعْدَ الْهِجْرَةِ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ عَلَى ثَلاثَةِ أَقْسَامٍ:

قِسْمٌ وَادَعَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى أَنْ لاَ يُحَارِبُوهُ، وَلاَ يُؤَلِّبُوا عَلَيْهِ عَدُوَّهُ (وَهُمْ طَوَائِفُ الْيَهُودِ الثَّلاَثَةُ: قُرَيْظَةُ، وَالنَّضِيرُ، وَبَنُو قَيْنُقَاعٍ).

وَقِسْمٌ حَارَبُوهُ وَنَصَبُوا لَهُ الْعَدَاوَةَ كَقُرَيْشٍ.

وَقِسْمٌ تَرَكُوهُ وَانْتَظَرُوا مَا يَؤُولُ إِلَيْهِ أَمْرُهُ كَطَوَائِفَ مِنَ الْعَرَبِ، (فَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ يُحِبُّ ظُهُورَهُ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَانَ مَعَهُ ظَاهِراً وَمَعَ عَدُوِّهِ بَاطِناً وَهُمُ الْمُنَافِقُونَ).

---

(١) وعمره ١٢٠ سنة، وكان ذلك في شوال من السنة الثانية.

[سرية غالب الليثي]:

ولما رجع النبي ﷺ من غزوة الكُدْر بعث غالب بن عبدالله في شوال إلى بني سُلَيم وغطَفان فقتلوا فيهم، وأخذوا النَّعم، واستُشهد من المسلمين ثلاثة.

وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ نَقَضَ الْعَهْدَ مِنَ الْيَهُودِ بَنُو قَيْنُقَاعَ[1]، فَحَارَبَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي شَوَّالٍ بَعْدَ وَقْعَةِ بَدْرٍ[2]، فَحَاصَرَهُمْ أَشَدَّ الْحِصَارِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً[3]، وَكَانَ اللِّوَاءُ بِيَدِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَكَانَ أَبْيَضَ، فَقَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، وَنَزَلُوا عَلَى حُكْمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنَّ لَهُ أَمْوَالَهُمْ[4]، وَأَنَّ لَهُمُ النِّسَاءَ وَالذُّرِّيَّةَ، وَأَمَرَ أَنْ يُجْلَوْا مِنَ الْمَدِينَةِ، فَلَحِقُوا بِأَذْرِعَاتٍ[5]، وَأَخَذَ مِنْ حِصْنِهِمْ سِلاَحاً وَآلَةً كَثِيرَةً.

***

غَزْوَةُ السَّوِيقِ

ثُمَّ غَزْوَةُ السَّوِيقِ فِي ذِي الْحِجَّةِ يَوْمَ الأَحَدِ لِخَمْسٍ خَلَوْنَ[6] مِنْهَا، عَلَى رَأْسِ اثْنَيْنِ وَعِشْرِينَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ، وَسُمِّيَتْ بِذٰلِكَ لأَنَّهُ كَانَ أَكْثَرَ زَادِ الْمُشْرِكِينَ السَّوِيقُ[7]، وَغَنِمَهُ الْمُسْلِمُونَ.

وَكَانَ سَبَبُ هٰذِهِ الْغَزْوَةِ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ حِينَ رَجَعَ بِالْعِيرِ مِنْ بَدْرٍ إِلَى مَكَّةَ نَذَرَ أَنْ لاَ يَمَسَّ النِّسَاءَ وَالدُّهْنَ حَتَّى يَغْزُوَ مُحَمَّداً عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَخَرَجَ فِي مِئَتَيْ رَاكِبٍ مِنْ قُرَيْشٍ لِيَبَرَّ يَمِينَهُ، حَتَّى أَتَوْا الْعُرَيْضَ عَلَى ثَلاَثَةِ

---

(١) عندما انتهكوا حرمة سيدة من نساء الأنصار كانت تجلس عند صائغ منهم، فطلبوا منها كشف وجهها فأبت، فعقد الصائغ طرف ثوبها إلىٰ ظهرها وهي لا تشعر، فلما قامت انكشفت سوأتها، فضحكوا، فاستغاثت، فوثب مسلم إلىٰ الصائغ فقتله، فتجمّع اليهود علىٰ المسلم فقتلوه، وقامت فتنة بين الطرفين.

(٢) بل في أوائل سنة ثلاث، كما قال أبو شهبة في سيرته.

(٣) وكانوا أشجع يهود.

(٤) وكانوا صاغةً وتجّاراً.

(٥) في بلاد الشام، ولم يَحُل عليهم الحَوْل حتىٰ هلكوا.

(٦) مَضَيْن.

(٧) وهو قمح أو شعير يُقلىٰ ثم يُطحن.

أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ، فَحَرَقُوا نَخْلاً، وَقَتَلُوا رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي طَلَبِهِمْ فِي مِئَتَيْنِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَجَعَلَ أَبُو سُفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ يُلْقُونَ جُرُبَ السَّوِيقِ، (وَهِيَ عَامَّةُ أَزْوَادِهِمْ)، يَتَخَفَّفُونَ لِلْهَرَبِ، فَيَأْخُذُهَا الْمُسْلِمُونَ، وَلَمْ يَلْحَقْهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَرَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَةَ أَيَّامٍ.

❋ ❋ ❋

[حوادث]

وَفِي هٰذِهِ السَّنَةِ تَزَوَّجَ عَلِيٌّ[1] بِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا[2]، وَخَطَبَهَا قَبْلَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَلَمْ يُجِبْهُمَا ﷺ، ثُمَّ دَعَاهُمَا وَجَمَاعَةً مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا وَكَانَ عَلِيٌّ غَائِباً خَطَبَ ﷺ خُطْبَةً بَلِيغَةً، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَ فَاطِمَةَ مِنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَاشْهَدُوا أَنِّي قَدْ زَوَّجْتُهُ عَلَى أَرْبَعِ مِئَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ، إِنْ رَضِيَ بِذٰلِكَ عَلِيٌّ»** ثُمَّ دَعَا ﷺ بِطَبَقٍ مِنْ بُسْرٍ وَقَالَ: **«انْتَهِبُوا»** فَانْتَهَبُوا، وَدَخَلَ عَلِيٌّ، فَتَبَسَّمَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ، ثُمَّ قَالَ: **«إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَمَرَنِي أَنْ أُزَوِّجَكَ فَاطِمَةَ عَلَى أَرْبَعِ مِئَةِ مِثْقَالِ فِضَّةٍ، أَرَضِيتَ بِذٰلِكَ؟»** فَقَالَ: قَدْ رَضِيتُ بِذٰلِكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«جَمَعَ اللَّهُ شَمْلَكُمَا، وَأَعَزَّ جَدَّكُمَا[3]، وَبَارَكَ عَلَيْكُمَا، وَأَخْرَجَ مِنْكُمَا كَثِيراً طَيِّباً»**. قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللَّهِ لَقَدْ أَخْرَجَ اللَّهُ مِنْهُمَا الْكَثِيرَ الطَّيِّبَ[4].

---

(١) وعمره إحدىٰ وعشرون سنة.

(٢) وسنُّها خمس عشرة سنة.

(٣) حظّكما.

(٤) وهم: الحسن والحسين وزينب وأم كلثوم ومحسن، وقد مات محسن صغيراً.
وفي هذا العام دخل عليه الصلاة والسلام بعائشة بنت أبي بكر رضي الله عنهما وسنُّها إذ ذاك تسع سنوات، وفي هذا العام أيضاً شرعت صلاة العيد.

[السنة الثالثة]
[سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب]

ثُمَّ سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ وَأَرْبَعَةٍ مَعَهُ إِلَى كَعْبِ بْنِ الأَشْرَفِ الْيَهُودِيِّ[(١)]، وَكَانَ شَاعِراً يَهْجُو رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَيُحَرِّضُ عَلَيْهِ كُفَّارَ قُرَيْشٍ، فَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ وَقَتَلُوهُ.

* * *

غَزْوَةُ غَطَفَانَ

ثُمَّ غَزْوَةُ غَطَفَانَ[(٢)]، بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ، عَلَى رَأْسِ خَمْسَةٍ وَعِشْرِينَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ[(٣)].

وَسَبَبُهَا: أَنَّ جَمْعَاً مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ وَمُحَارِبٍ تَجَمَّعُوا يُرِيدُونَ الإِغَارَةَ، جَمَعَهُمْ دُعْثُورُ بْنُ الْحَارِثِ الْمُحَارِبِيُّ، وَكَانَ شُجَاعاً، فَنَدَب ﷺ الْمُسْلِمِينَ، وَخَرَجَ فِي أَرْبَعِ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ فَارِساً، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِمَهْبَطِهِ ﷺ هَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَأَصَابُوا رَجُلاً مِنْهُمْ مِنْ بَنِي ثَعْلَبَةَ يُقَالُ لَهُ: حِبَّانُ، فَأُدْخِلَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَاهُ إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمَ.

وَأَصَابَهُ ﷺ مَطَرٌ، فَنَزَعَ ثَوْبَيْهِ، وَنَشَرَهُمَا عَلَى شَجَرَةٍ لِيَجِفَّا، وَاضْطَجَعَ تَحْتَهَا وَهُمْ يَنْظُرُونَهُ، فَقَالُوا لِدُعْثُورٍ: قَدِ انْفَرَدَ مُحَمَّدٌ، فَعَلَيْكَ بِهِ، فَأَقْبَلَ وَمَعَهُ سَيْفٌ، حَتَّى قَامَ عَلَى رَأْسِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَقَالَ: مَنْ يَمْنَعُكَ

---

(١) كان الأشرف عربياً، لكن حالف بني النضير، وشَرُف فيهم، وتزوج منهم فصار ينسب إليهم.

(٢) وهم حلفاء قريش.

(٣) وذلك في ١٢ ربيع الأول.

مِنِّي الْيَوْمَ؟ فَقَالَ ﷺ: «اللّٰهُ»، فَدَفَعَهُ جِبْرِيلُ فِي صَدْرِهِ فَوَقَعَ السَّيْفُ مِنْ يَدِهِ، فَأَخَذَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «مَنْ يَمْنَعُكَ مِنِّي الْيَوْمَ؟» فَقَالَ: لاَ أَحَد، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللّٰهِ. ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَنْزَلَ اللّٰهُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هَمَّ قَوْمٌ أَن يَبْسُطُوٓا۟ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ﴾ الآيَةَ[1]، ثُمَّ رَجَعَ ﷺ وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً.

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ بُحْرَانَ

ثُمَّ غَزْوَةُ بُحْرَانَ[2] (وَتُسَمَّى غَزْوَةُ بَنِي سُلَيْمٍ[3]).

وَسَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنَّ بِهَا جَمْعاً كَثِيراً مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، فَخَرَجَ فِي ثَلاَثِ مِئَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ[4]، فَوَجَدَهُمْ قَدْ تَفَرَّقُوا فِي مِيَاهِهِمْ، فَرَجَعَ وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً[5]، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ عَشْرَ لَيَالٍ.

❋ ❋ ❋

[سرية زيد بن حارثة إلى القَرَدة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ إِلَى الْقَرْدَةِ (اسْمُ مَاءٍ مِنْ مِيَاهِ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١١.

(٢) وهو موضع قريب من مكة.

(٣) حلفاء قريش.

(٤) في ٦ جمادىٰ الأولىٰ.

(٥) وغنم خمس مئة بعير.

نَجْدٍ(١) فِي مِئَةِ رَاكِبٍ يَعْتَرِضُ عِيراً(٢) لِقُرَيْشٍ(٣)، فِيهَا صَفْوَانُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَمَعَهُمْ مَالٌ كَثِيرٌ، فَأَصَابُوهَا، وَقَدِمُوا بِهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ أُحُدٍ

ثُمَّ غَزْوَةُ أُحُدٍ كَانَتْ فِي شَوَّالٍ، سَنَةَ ثَلاَثٍ بِالاتِّفَاقِ، يَوْمَ السَّبْتِ لإِحْدَى عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْهُ، اجْتَمَعَتْ قُرَيْشٌ لِحَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لِيُدْرِكُوا ثَأْرَهُمْ يَوْمَ بَدْرٍ(٤)، وَكَتَبَ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ كِتَاباً يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِخَبَرِهِمْ(٥)، وَسَارَ بِهِمْ أَبُو سُفْيَانَ حَتَّى نَزَلُوا بِبَطْنِ الْوَادِي مِنْ قِبَلِ أُحُدٍ مُقَابِلَ الْمَدِينَةِ(٦)، وَكَانَ رِجَالٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَسِفُوا عَلَى مَا فَاتَهُمْ مِنْ مَشْهَدِ بَدْرٍ، وَأُرِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رُؤْيَا أَحَبَّ لأَجْلِهَا الْمُكْثَ فِي الْمَدِينَةِ، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ: «**امْكُثُوا، فَإِنْ دَخَلَ الْقَوْمُ الأَزِقَّةَ قَاتَلْنَاهُمْ، وَرُمُوا مِنْ فَوْقِ الْبُيُوتِ**» فَقَالَ أُولَئِكَ الْقَوْمُ(٧): يَا رَسُولَ اللَّهِ كُنَّا نَتَمَنَّى هٰذَا الْيَوْمَ، اخْرُجْ بِنَا إِلَى أَعْدَائِنَا لاَ يَرَوْنَ أَنَّا جَبُنَّا عَنْهُمْ، فَصَلَّى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالنَّاسِ الْجُمُعَةَ، ثُمَّ وَعَظَهُمْ، وَأَمَرَهُمْ بِالْجِدِّ وَالاجْتِهَادِ، وَأَخْبَرَهُمْ أَنَّ لَهُمُ النَّصْرَ مَا صَبَرُوا،

---

(١) وذلك في جمادىٰ الآخرة.

(٢) إبلاً.

(٣) ذاهبة إلىٰ الشام عن طريق العراق، وذلك لأن النبي ﷺ حالف معظم القبائل التي تسكن غربي المدينة حتىٰ ساحل البحر.

(٤) وكانوا قد جعلوا ربح قافلتهم (التي قادها أبو سفيان) استعداداً لحرب الرسول ﷺ.

(٥) ولم يخرج معهم محتجًا بما أصابه يوم بدر.

(٦) في ذي الحليفة.

(٧) وهم الشبّان وخصوصاً مَن لم يشهد بدراً منهم، أما شيوخ المهاجرين والأنصار فقد كانوا يرون رأي الرسول ﷺ.

وَأَمَرَهُمْ بِالتَّهَيُّؤِ لِعَدُوِّهِمْ، فَفَرِحَ النَّاسُ بِذٰلِكَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَيْتَهُ، ثُمَّ خَرَجَ وَقَدْ لَبِسَ لأْمَتَهُ[١]، وَتَقَلَّدَ سَيْفَهُ، فَنَدِمُوا عَلَى مَا صَنَعُوا، وَقَالُوا: مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُخَالِفَكَ، فَاصْنَعْ مَا شِئْتَ، فَقَالَ: **«مَا يَنْبَغِي لِنَبِيٍّ إِذَا لَبِسَ لأْمَتَهُ أَنْ يَضَعَهَا حَتَّى يَحْكُمَ اللّٰهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ»**.

وَعَقَدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ثَلاَثَةَ أَلْوِيَةٍ: لِوَاءً لِلْمُهَاجِرِينَ بِيَدِ عَلِيِّ بنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ، وَلِوَاءً لِلْخَزْرَجِ بِيَدِ الْحُبَابِ بْنِ الْمُنْذِرِ، وَلِوَاءً لِلأَوْسِ بِيَدِ أُسَيْدِ بْنِ حُضَيْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا. وَفِي الْمُسْلِمِينَ مِئَةُ دَارِعٍ[٢]. وَخَرَجَ السَّعْدَانِ أَمَامَهُ يَعْدُوَانِ: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ وَسَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا دَارِعَيْنِ. وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، وَعَلَى الْحَرَسِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، وَادَّلَجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي السَّحَرِ[٣]، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ أَلْفَ رَجُلٍ، وَالْمُشْرِكُونَ ثَلاَثَةَ آلاَفِ رَجُلٍ، فِيهِمْ سَبْعُ مِئَةِ دَارِعٍ، وَمِئَتَا فَرَسٍ، وَثَلاَثَةُ آلاَفِ بَعِيرٍ، وَخَمْسَ عَشْرَةَ امْرَأَةً.

وَنَزَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِأُحُدٍ، وَرَجَعَ عَنْهُ عَبْدُاللّٰهِ بْنُ أُبَيٍّ فِي ثَلاَثِ مِئَةٍ مِمَّنْ تَبِعَهُ مِنْ أَهْلِ النِّفَاقِ، وَيُقَالُ: إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَمَرَهُمْ بِالانْصِرَافِ لِكُفْرِهِمْ[٤]، ثُمَّ صَفَّ الْمُسْلِمُونَ بِأَصْلِ أُحُدٍ[٥]، وَصَفَّ الْمُشْرِكُونَ بِالسَّبْخَةِ[٦]، وَكَانَ عَلَى مَيْمَنَةِ خَيْلِ الْمُشْرِكِينَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَلَى مَيْسَرَتِهَا عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، وَجَعَلَ ﷺ عَلَى الرُّمَاةِ وَهُمْ خَمْسُونَ رَجُلاً عَبْدَاللّٰهِ بْنَ

---

(١) درعه.

(٢) يلبسون الدروع. وردّ ﷺ كتيبة كبيرة من اليهود، وهم حلفاء عبدالله بن أُبيّ وقال: **«لا نستعين بكافر علىٰ مشرك»**.

(٣) أما أَدْلَج: فمعناها سار الليل كله.

(٤) ولما فعل ذلك عبدالله بن أبيّ همّت طائفتان من المؤمنين أن تفشلا: بنو حارثة من الأوس، وبنو سَلِمَة من الخزرج، فعصمهما الله.

(٥) فجعلوا ظهورهم للجبل، ووجوههم إلىٰ المدينة.

(٦) ببطن الوادي من أحد.

جُبَيْرٍ، وَقَالَ: «**لاَ تَبْرَحُوا مَكَانَكُمْ هٰذَا حَتَّى أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ، وَاحْمُوا ظُهُورَنَا، فَإِنْ رَأَيْتُمُونَا نُقْتَلُ فَلاَ تَنْصُرُونَا، وَإِنْ رَأَيْتُمُونَا قَدْ غَنِمْنَا فَلاَ تَشْرَكُونَا**».

وَوَقَعَتِ الْحَرْبُ، وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ جَمَاعَةٌ، وَأَنْزَلَ اللّٰهُ نَصْرَهُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَحَسُّوا الْكُفَّارَ بِالسُّيُوفِ حَتَّى كَشَفُوهُمْ عَنِ الْعَسْكَرِ، وَكَانَتِ الْهَزِيمَةُ، فَوَلَّى الْكُفَّارُ لاَ يَلْوُونَ عَلَى شَيْءٍ، وَنِسَاؤُهُمْ يَدْعُونَ بِالْوَيْلِ، وَتَبِعَهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى أَجْهَضُوهُمْ، وَوَقَعُوا يَنْهَبُونَ الْعَسْكَرَ وَيَأْخُذُونَ مَا فِيهِ مِنَ الْغَنَائِمِ، فَقَالَ أَصْحَابُ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ جُبَيْرٍ: أَيْ قَوْمُ! الْغَنِيمَةَ، ظَهَرَ أَصْحَابُكُمْ، فَمَا تَنْتَظِرُونَ؟ فَقَالَ عَبْدُاللّٰهِ بْنُ جُبَيْرٍ: أَنَسِيتُمْ مَا قَالَ لَكُمْ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ؟ قَالُوا: وَاللّٰهِ لَنَأْتِيَنَّ النَّاسَ فَلَنُصِيبَنَّ مِنَ الْغَنِيمَةِ، فَلَمَّا أَتَوْهُمْ صُرِفَتْ وُجُوهُهُمْ، فَأَقْبَلُوا مُنْهَزِمِينَ، وَنَظَرَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ إِلَى خَلاءِ الْجَبَلِ وَقِلَّةِ أَهْلِهِ، فَكَرَّ بِالْخَيْلِ، وَتَبِعَهُ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَحَمَلُوا عَلَى مَنْ بَقِيَ مِنَ النَّفَرِ الرُّمَاةِ(١)، فَقَتَلُوهُمْ وَأَمِيرَهُمْ عَبْدَاللّٰهِ بْنَ جُبَيْرٍ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: أَنَّهُمْ لَمَّا اصْطَفُّوا لِلْقِتَالِ خَرَجَ سِبَاعٌ فَقَالَ: هَلْ مِنْ مُبَارِزٍ؟ فَخَرَجَ إِلَيْهِ حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَشَدَّ عَلَيْهِ فَكَانَ كَأَمْسِ الذَّاهِبِ، وَكَانَ وَحْشِيٌّ(٢) كَامِناً تَحْتَ صَخْرَةٍ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ رَمَاهُ بِحَرْبَتِهِ، حَتَّى خَرَجَتْ مِنْ بَيْنِ وِرْكَيْهِ، فَكَانَ آخِرَ الْعَهْدِ بِهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ.

وَكَانَ مُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ قَاتَلَ دُونَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ حَتَّى قُتِلَ، وَكَانَ الَّذِي قَتَلَهُ ابْنُ قَمِئَةَ، وَهُوَ يَظُنُّهُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ، فَصَاحَ: إِنَّ مُحَمَّداً قَدْ قُتِلَ. وَقَالَ قَائِلٌ: أَيْ عِبَادَ اللّٰهِ! أُخْرَاكُمْ (أَيْ: احْتَرِزُوا مِنْ جِهَةِ أُخْرَاكُمْ)، فَعَطَفَ الْمُسْلِمُونَ يَقْتُلُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ، وَانْهَزَمَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ إِلَى

---

(١) وكانوا عشرة.

(٢) وهو غلام حبشي لجبير بن مطعم، وقد قال له: إن أنت قَتلتَ حمزة بعمِّي طعيمة فأنت حرّ.

جِهَةِ الْمَدِينَةِ، وَتَفَرَّقَ سَائِرُهُمْ[1]، وَوَقَعَ فِيهِمُ الْقَتْلُ، وَثَبَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى انكَشَفُوا عَنْهُ، وَثَبَتَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ أَرْبَعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، سَبْعَةٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، مِنْهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ[2]، وَسَبْعَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَأُصِيبَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ سَبْعُونَ رَجُلاً، وَكَانَ ﷺ وَأَصْحَابُهُ أَصَابُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ أَرْبَعِينَ وَمِئَةً وَسَبْعِينَ أَسِيراً، وَسَبْعِينَ قَتِيلاً، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَفِي الْقَوْمِ مُحَمَّدٌ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، فَنَهَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يُجِيبُوهُ، ثُمَّ قَالَ: أَفِي الْقَوْمِ ابْنُ الْخَطَّابِ؟ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَمَّا هٰؤُلاَءِ فَقَدْ قُتِلُوا، فَمَا مَلَكَ عُمَرُ نَفْسَهُ، فَقَالَ: كَذَبْتَ يَا عَدُوَّ اللَّهِ! إِنَّ الَّذِينَ عَدَدْتَ لأَحْيَاءٌ كُلُّهُمْ، وَقَدْ بَقِيَ لَكَ مَا يَسُوؤُكَ، قَالَ: يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، وَالْحَرْبُ سِجَالٌ[3].

وَرُمِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ فَكُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ الْيُمْنَى السُّفْلَىٰ[4]، وَجُرِحَتْ شَفَتُهُ السُّفْلَى، وَشُجَّ فِي جَبْهَتِهِ[5]، وَجُرِحَتْ وَجْنَتُهُ[6]، وَهَشَمُوا الْبَيْضَةَ عَلَى رَأْسِهِ (أَيْ: كَسَرُوا الْخُوذَةَ) وَرَمَوْهُ بِالْحِجَارَةِ حَتَّى سَقَطَ لِشِقِّهِ فِي حُفْرَةٍ[7]، فَأَخَذَ عَلِيٌّ بِيَدِهِ، وَاحْتَضَنَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِاللَّهِ حَتَّى اسْتَوَى قَائِماً، وَنَشِبَتْ حَلْقَتَانِ مِنَ الْمِغْفَرِ[8] بِوَجْهِهِ، فَانْتَزَعَهُمَا أَبُو عُبَيْدَةَ بْنُ الْجَرَّاحِ، وَعَضَّ عَلَيْهِمَا حَتَّى سَقَطَتْ ثَنِيَّتَاهُ مِنْ شِدَّةِ غَوْصِهِمَا فِي وَجْهِهِ الشَّرِيفِ،

---

(١) باقيهم.
(٢) وعمر، وعلي، وطلحة، والزبير، وعبدالرحمٰن بن عوف، وأبو عبيدة الجراح.
(٣) مرّة لك، ومرّة عليك.
(٤) وهي التي بين الثنيّة والناب، كسَرها عتبة بن أبي وقاص أخو سعد.
(٥) الذي شجّه عبدالله بن هشام الزهري.
(٦) الذي جرح وجهه عبدالله بن قَمِئة.
(٧) حفرها أبو عامر الفاسق.
(٨) وهو زَرَد ينسج علىٰ قدر الرأس، يُلبس تحت القَلَنْسُوَة.

وَامْتَصَّ مَالِكُ بْنُ سِنَانٍ وَالِدُ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ الدَّمَ مِنْ وَجْنَتِهِ، ثُمَّ ازْدَرَدَهُ[1]، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**مَنْ مَسَّ دَمِي دَمَهُ لَمْ تُصِبْهُ النَّارُ**».

وَعَنْ أَبِي أُمَامَةَ قَالَ: رَمَى عَبْدُاللَّهِ بْنُ قَمِئَةَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ، فَشَجَّ وَجْهَهُ وَكَسَرَ رَبَاعِيَتَهُ، فَقَالَ: خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ قَمِئَةَ. فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَمْسَحُ الدَّمَ عَنْ وَجْهِهِ: «**أَقْمَأَكَ اللَّهُ**»، فَسَلَّطَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَيْسَ جَبَلٍ[2]، فَلَمْ يَزَلْ يَنْطَحُهُ حَتَّى قَطَّعَهُ قِطْعَةً قِطْعَةً.

وَعَنِ الإِمَامِ الأَوْزَاعِيِّ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّهُ لَمَّا جُرِحَ ﷺ يَوْمَ أُحُدٍ أَخَذَ شَيْئاً فَجَعَلَ يُنَشِّفُ دَمَهُ، وَيَقُولُ: «**لَوْ وَقَعَ مِنْهُ شَيْءٌ عَلَى الأَرْضِ لَنَزَلَ عَلَيْهِمُ الْعَذَابُ مِنَ السَّمَاءِ**» ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**».

وَعَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: ضُرِبَ وَجْهُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَئِذٍ بِالسَّيْفِ سَبْعِينَ ضَرْبَةً، وَقَاهُ اللَّهُ شَرَّهَا كُلَّهَا.

وَأُصِيبَتْ يَوْمَئِذٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ[3]، فَأَتَى بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَهَا بِيَدِهِ وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اكْسُهُ جَمَالاً**»، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَّهُمَا.

وَرُمِيَ أَبُو رُهْمٍ الْغِفَارِيُّ كُلْثُومُ بْنُ الْحُصَيْنِ بِسَهْمٍ فَوَقَعَ فِي نَحْرِهِ، فَبَصَقَ عَلَيْهِ ﷺ فَبَرَأَ.

وَانْقَطَعَ سَيْفُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، فَأَعْطَاهُ ﷺ عُرْجُوناً[4]، فَعَادَ فِي يَدِهِ

---

(١) ابتلعه، وقد طلب النبي منه أن يَمُجّه فقال: والله لا أَمُجُّه أبداً.

(٢) وهو ذَكَر الظِّباء، فإن لم يُضَف للجبل فذَكَر المعز.

(٣) خدّه.

(٤) وهو أصل العِذق الذي يَعْوَجّ وتقطع منه العيدان التي تحمل الرُّطَب. والعِذق من النخل كالعنقود من العنب.

سَيْفاً، فَقَاتَلَ بِهِ. وَكَانَ ذٰلِكَ السَّيْفُ يُسَمَّى الْعُرْجُونَ، وَلَمْ يَزَلْ يُتَوَارَثُ حَتَّى بِيعَ مِنْ بَغَا التُّرْكِيِّ مِنْ أُمَرَاءِ الْمُعْتَصِمِ بِاللّٰهِ فِي بَغْدَادَ بِمِئَتَيْ دِينَارٍ.

وَاشْتَغَلَ الْمُشْرِكُونَ بِقَتْلَى الْمُسْلِمِينَ يُمَثِّلُونَ بِهِمْ، يُقَطِّعُونَ الآذَانَ وَالأُنُوفَ وَالْفُرُوجَ، وَيَبْقُرُونَ الْبُطُونَ.

وَقُتِلَ مِنَ الْكُفَّارِ ثَلاَثَةٌ وَعِشْرُونَ، وَقَتَلَ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ أُبَيَّ بْنَ خَلَفٍ[1].

وَلَمَّا أَرَادَ أَبُو سُفْيَانَ الانْصِرَافَ أَشْرَفَ عَلَى الْجَبَلِ، ثُمَّ صَرَخَ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: إِنَّ الْحَرْبَ سِجَالٌ، يَوْمٌ بِيَوْمِ بَدْرٍ، اعْلُ هُبَلُ. فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لِعُمَرَ: **«أَجِبْهُ»** فَقَالَ: اللّٰهُ أَعْلَى وَأَجَلُّ[2]، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: أَنْعَمَتْ (أَيْ: الأَزْلاَمُ[3])، فَقَالَ عُمَرُ: لاَ سَوَاءٌ، قَتْلاَنَا فِي الْجَنَّةِ، وَقَتْلاَكُمْ فِي النَّارِ، فَقَالَ: إِنَّ لَنَا الْعُزَّىٰ وَلاَ عُزَّىٰ لَكُمْ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«قُولُوا: اللّٰهُ مَوْلاَنَا وَلاَ مَوْلَى لَكُمْ»**، فَلَمَّا انْصَرَفَ نَادَى: مَوْعِدُكُمْ بَدْرٌ الْعَامَ الْقَابِلَ. فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ: **«قُلْ: نَعَمْ، هُوَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ مَوْعِدٌ»**.

وَنَظَرَ ﷺ إِلَى حَمْزَةَ وَقَدْ بُقِرَ بَطْنُهُ عَنْ كَبِدِهِ، وَجُدِعَ أَنْفُهُ وَأُذُنَاهُ[4]،

---

(١) ضربه بحربة عندما أقبل يريد قتل الرسول ﷺ، فأصابت الضربة تَرْقُوَتَه فوقع عن فرسه، فاحتمله أصحابه وهو يخور خُوار الثّور فقالوا له: والله ما بك من بأس، إنما هو خدْش، فقال: والله لو كان ما بي بأهل ذي المجاز لماتوا أجمعون. وكان أبيٌّ يعلف فرسه بمكة ويقول: أقتل عليه محمداً، فبلغ ذلك رسولَ الله ﷺ فقال: **«بل أنا أقتله إن شاء الله»**، فلما ضربه الرسول ﷺ تذكّر أبيٌّ قولَ الرسول ﷺ فأيقن أنه مقتول من ذلك الجُرح. ولم يقتل الرسول غيرَه، لا في هذه الغزوة ولا في غيرها.

(٢) وأرسل النبي ﷺ إليهم عمر بن الخطاب في جماعة فأنزلوهم، وقال: لا ينبغي لهم أن يعلونا.

(٣) أي: أجابت بنَعَمْ، وكان استقسم بها حين خرج إلىٰ أُحُد. ثم قال: إن الحرب سِجال، يوم بيوم بدر.

(٤) الذي فعل ذلك هند زوجُ أبي سفيان، كما صنعت من آذان القتلىٰ وأنوفهم خلاخيلَ وأقرطاً وقلائد، لكنها أسلمت يوم فتح مكة، وحسن إسلامها.

فَلَمْ يَنْظُرْ إِلَى شَيْءٍ أَوْجَعَ لِقَلْبِهِ مِنْهُ، فَقَالَ: «**رَحْمَةُ اللّهِ عَلَيْكَ، فَقَدْ كُنْتَ فَعُولاً لِلْخَيْرِ، وَصُولاً لِلرَّحِمِ**».

وَمِمَّنْ مُثِّلَ بِهِ كَمَا مُثِّلَ بِحَمْزَةَ: ابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُاللّهِ بْنُ جَحْشٍ، وَدُفِنَ مَعَهُ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

وَلَمَّا أَشْرَفَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى قَتْلَى الْمُسْلِمِينَ قَالَ: «**أَنَا شَهِيدٌ عَلَى هٰؤُلاَءِ، وَمَا مِنْ جَرِيحٍ يُجْرَحُ فِي اللّهِ إِلاَّ وَاللّهُ يَبْعَثُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَدْمَى جُرْحُهُ، اللَّوْنُ لَوْنُ الدَّمِ، وَالرِّيحُ رِيحُ الْمِسْكِ**».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لَمَّا أُصِيبَتْ إِخْوَانُكُمْ بِأُحُدٍ جَعَلَ اللّهُ أَرْوَاحَهُمْ فِي أَجْوَافِ طَيْرٍ خُضْرٍ تَرِدُ أَنْهَارَ الْجَنَّةِ، وَتَأْكُلُ مِنْ ثِمَارِهَا، وَتَأْوِي إِلَى قَنَادِيلَ مِنْ ذَهَبٍ فِي ظِلِّ الْعَرْشِ، فَلَمَّا وَجَدُوا طِيبَ مَأْكَلِهِمْ وَمَشْرَبِهِمْ وَحُسْنَ مَقِيلِهِمْ قَالُوا: يَا لَيْتَ إِخْوَانَنَا يَعْلَمُونَ مَا صَنَعَ اللّهُ بِنَا لِئَلاَّ يَزْهَدُوا فِي الْجِهَادِ، وَيَنْكُلُوا عَنِ الْحَرْبِ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: أَنَا أُبَلِّغُهُمْ عَنْكُمْ، فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى نَبِيِّهِ** ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1] الآيَاتِ».

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ

ثُمَّ غَزْوَةُ حَمْرَاءِ الأَسَدِ، وَهِيَ عَلَى ثَمَانِيَةِ أَمْيَالٍ[2] مِنَ الْمَدِينَةِ[3]،

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

(٢) ثمانين كَيْلاً.

(٣) بطريق مكة.

وَكَانَتْ صَبِيحَةَ يَوْمِ الأَحَدِ[١]، خَرَجَ ﷺ بِأَصْحَابِهِ لِطَلَبِ عَدُوِّهِمْ بِالأَمْسِ[٢]، وَنَادَى مُؤَذِّنُهُ ﷺ أَنْ لاَ يَخْرُجَ مَعَنَا أَحَدٌ إِلاَّ مَنْ حَضَرَ يَوْمَنَا بِالأَمْسِ (أَيْ: مَنْ شَهِدَ أُحُداً)، وَإِنَّمَا خَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُرْهِباً لِلْعَدُوِّ، وَلِيَبْلُغَهُمْ أَنَّهُ خَرَجَ فِي طَلَبِهِمْ لِيَظُنُّوا بِهِم قُوَّةً، وَأَنَّ الَّذِي أَصَابَهُمْ لَمْ يُوهِنْهُمْ عَنْ عَدُوِّهِمْ.

وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِهَا ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَقَدْ غَابَ خَمْساً، وَظَفِرَ ﷺ فِي مَخْرَجِهِ ذٰلِكَ بِمُعَاوِيَةَ بْنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ أَبِي الْعَاصِ، فَأَمَرَ بِضَرْبِ عُنُقِهِ صَبْراً[٣].

❋ ❋ ❋

[السنة الرابعة]
[سرية أبي سلمة إلىٰ قَطَن]

ثُمَّ سَرِيَّةُ أَبِي سَلَمَةَ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ عَبْدِالأَسَدِ إِلَى قَطَنٍ جَبَلٌ بِنَاحِيَةِ فَيْدٍ[٤]،

---

(١) في السادس عشر من شوال.

(٢) حذراً من رجوع المشركين إلىٰ المدينة ليتمّموا انتصارهم، وقد كان ما ظنه الرسول ﷺ حقًّا، فإن المشركين أرادوا الرجوع، ولكنْ لما بلغهم خروج الرسول ﷺ في أثرهم ظنُّوا أنه قد حضر معه مَن لم يحضر بالأمس، وألقى الله الرعب في قلوبهم، فرجعوا إلىٰ مكة.

(٣) أي: بعد الأسر.

وفي هذه السنة زوّج عليه الصلاة والسلام بنته أمَّ كلثوم لعثمان بن عفان بعد أن ماتت رقية عنده.

وفيها تزوّج عليه الصلاة والسلام حفصة بنت عمر بن الخطاب بعد أن توفي زوجها خُنيس بن حذافة بجراحة أصابته ببدر.

وفيها ولد الحسن بن علي رضي الله عنهما.

(٤) شرقي المدينة قِبَل نجد، وكان ذلك في محرّم.

وَمَعَهُ مِئَةٌ وَخَمْسُونَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ وَالْمُهَاجِرِينَ، لِطَلَبِ طُلَيْحَة وَسَلَمَةَ ابْنَي خُوَيْلِدٍ[1]، فَلَمْ يَجِدْهُمَا، وَوَجَدَ إِبلاً وَشَاءً، فَأَغَارَ عَلَيْهَا، وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً.

❋ ❋ ❋

[سرية عبدالله بن أنيس إلى عُرَنة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبْدِاللّهِ بْنِ أُنَيْسٍ وَحْدَهُ إِلَى سُفْيَانَ بْنِ خَالِدٍ الْهُذَلِيِّ بِعُرَنَةَ[2]؛ لأَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّهُ جَمَعَ الْجُمُوعَ لِحَرْبِهِ، فَقَتَلَهُ عَبْدُاللّهِ[3]، وَأَخَذَ رَأْسَهُ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ.

❋ ❋ ❋

[سرية عاصم بن ثابت إلى الرجيع]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ إِلَى الرَّجِيعِ - اسْمُ مَاءٍ لِهُذَيْلٍ - بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ[4]، قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ بَعْدَ أُحُدٍ رَهْطٌ مِنْ عَضَلٍ وَالْقَارَةِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ فِينَا إِسْلاَماً، فَابْعَثْ مَعَنَا نَفَراً مِنْ أَصْحَابِكَ يُفَقِّهُونَنَا، فَبعثَ مَعَهُمْ سِتَّةً مِنْ أَصْحَابِهِ[5]، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ عَاصِمَ بْنَ ثَابِتٍ، فَخَرَجُوا مَعَ الْقَوْمِ حَتَّى أَتَوْا عَلَى الرَّجِيعِ غَدَرُوا بِهِمْ، فَاسْتَصْرَخُوا عَلَيْهِمْ

---

(١) لأنهما كانا يدعوان قومهما لحرب الرسول ﷺ.

(٢) قرب عرفات، وذلك في شهر محرّم.

(٣) بعد أنه قال له: سمعت بجمعك لمحمد فجئت لأكون معك، فاستحلىٰ سفيان كلامه، فمشىٰ عبدالله معه إلىٰ خبائه، ولما تفرّق الناس عنه ونام سفيان قام فقتله.

(٤) في صفر.

(٥) أو عشرة، يفقّهونهم ويكونوا عيوناً علىٰ قريش.

هُذَيْلاً[١]، فَنَفَرُوا بِقَرِيبٍ مِنْ مِئَتَيْ رَجُلٍ، فَلَمْ يَرُعِ الْقَوْمَ وَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ إِلاَّ الرِّجَالُ بِأَيْدِيهِمُ السُّيُوفُ، وَقَدْ غَشَوْهُمْ، فَقَاتَلَهُمْ مَرْثَدٌ وَخَالِدٌ وَعَاصِمٌ حَتَّى قُتِلُوا، وَنَزَلَ إِلَيْهِمْ عَلَى الْعَهْدِ وَالْمِيثَاقِ خُبَيْبُ بْنُ عَدِيٍّ وَزَيْدُ بْنُ الدَّثِنَةِ وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ طَارِقٍ، ثُمَّ امْتَنَعَ مِنْهُمْ عَبْدُاللَّهِ[٢]، فَقَتَلُوهُ، وَانْطَلَقُوا بِخُبَيْبٍ وَزَيْدٍ حَتَّى بَاعُوهُمَا لأَهْلِ مَكَّةَ، فَقَتَلُوهُمَا. وَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ لِزَيْدٍ: أُنْشِدُكَ بِاللَّهِ أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ عِنْدَنَا مَكَانَكَ نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ فَقَالَ: وَاللَّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ تُؤْذِيهِ وَأَنِّي لَجَالِسٌ فِي أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ مِنَ النَّاسِ أَحَداً يُحِبُّ أَحَداً كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّداً، ثُمَّ قَتَلُوهُ.

❁ ❁ ❁

[سرية المنذر بن عمرو إلى بئر معونة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ الْمُنْذِرِ بْنِ عَمْرٍو[٣] إِلَى بِئْرِ مَعُونَةَ، وَهُوَ مَوْضِعٌ بَيْنَ مَكَّةَ وَعُسْفَانَ[٤]، بَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي سَبْعِينَ مِنَ الْقُرَّاءِ لِيَدْعُوا أَهْلَ نَجْدٍ إِلَى الإِسْلاَمِ بِطَلَبِ أَبِي بَرَاءٍ مُلاعِبِ الأَسِنَّةِ وَجِوَارِهِ، فَسَارُوا حَتَّى نَزَلُوا بِئْرَ مَعُونَةَ، فَاسْتَصْرَخَ عَلَيْهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ[٥] قَبَائِلَ بَنِي سُلَيْمٍ: عُصَيَّةَ وَرِعْلاً[٦]، فَخَرَجُوا حَتَّى غَشَوا الْقَوْمَ فَأَحَاطُوا بِهِمْ فِي رِحَالِهِمْ، فَلَمَّا رَأَوْهُمْ

(١) قومَ سفيان بن خالد الذي قتله عبدالله بن أُنيس.
(٢) لمّار رأىٰ غدرهم إذ أوثقوهم.
(٣) في صفر.
(٤) بل جهة نجد كما سيأتي.
(٥) العامري الذي مات كافراً، وليس هو عامر بن الطفيل الأسلمي الصحابي.
(٦) وذكوان.

أَخَذُوا سُيُوفَهُمْ وَقَاتَلُوهُمْ حَتَّى قُتِلُوا إِلَى آخِرِهِمْ إِلاَّ كَعْبَ بْنَ زَيْدٍ[١] وَعَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ[٢]، فَلَمَّا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ خَبَرُهُمْ قَالَ: «**هٰذَا عَمَلُ أَبِي بَرَاءٍ، قَدْ كُنْتُ لِهٰذَا كَارِهاً مُتَخَوِّفاً**»، فَبَلَغَ ذٰلِكَ أَبَا بَرَاءٍ فَمَاتَ أَسَفاً[٣].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ وَجَدَ (أَيْ: حَزِنَ عَلَى أَحَدٍ) مَا وَجَدَ عَلَى أَهْلِ بِئْرِ مَعُونَةَ، وَدَعَا عَلَى مَنْ قَتَلَهُمْ ثَلاَثِينَ صَبَاحاً.

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ

ثُمَّ غَزْوَةُ بَنِي النَّضِيرِ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ مِنَ الْيَهُودِ، وَكَانَتْ فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ أَرْبَعٍ، خَرَجَ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعَلِيٌّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ، يَسْتَعِينُهُمْ فِي دِيَةِ رَجُلَيْنِ قَتَلَهُمَا عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ[٤]، فَقَالُوا: يَا أَبَا الْقَاسِمِ! نُعِينُكَ عَلَى مَا أَحْبَبْتَ، ثُمَّ هَمُّوا بِإِلْقَاءِ صَخْرَةٍ عَلَيْهِ لِيَقْتُلُوهُ ﷺ، وَنَهَاهُمْ سَلاَّمُ بْنُ مِشْكَمٍ، فَلَمْ يَنْتَهُوا، فَقَالَ لَهُمْ: لاَ تَفْعَلُوا، وَاللّٰهِ لَيُخْبَرَنَّ بِمَا هَمَمْتُمْ، وَإِنَّهُ لَنَقْضٌ لِلْعَهْدِ، فَأَتَاهُ الْخَبَرُ مِنَ السَّمَاءِ بِمَا أَرَادَ الْقَوْمُ، فَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُظْهِراً أَنَّهُ يَقْضِي حَاجَةً، وَرَجَعَ مُسْرِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ وَتَبِعَهُ أَصْحَابُهُ، فَأَخْبَرَهُمْ بِمَا أَرَادَتْ يَهُودُ مِنَ الْغَدْرِ بِهِ، وَأَمَرَ ﷺ بِالتَّهَيُّؤِ لِحَرْبِهِمْ وَالمَسِيرِ إِلَيْهِمْ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، ثُمَّ سَارَ

---

(١) الذي وقع بين القتلىٰ فظُنّ أنه منهم.

(٢) الذي كان يرعىٰ الدوابّ، فلم ينبئه بمقتل أصحابه إلا الطير تحوم حول العسكر، فأقبل فأُخذ أسيراً، ثم أطلقوه، فخرج قاصداً المدينة، وفي طريقه صادف رَجُلين من بني عامر فقتلهما ثأراً، ولم يدرِ أنهما في عهد مع الرسول ﷺ.

(٣) ولم يُسْلِم.

(٤) كما تقدّم في سرية المنذر بن عمرو إلىٰ بئر معونة.

بِالنَّاسِ حَتَّى نَزَلَ بِهِمْ، فَحَاصَرَهُمْ سِتَّ لَيَالٍ، فَتَحَصَّنُوا مِنْهُ فِي الْحُصُونِ، ثُمَّ قَذَفَ اللَّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَسَأَلُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُجْلِيَهُمْ عَنْ أَرْضِهِمْ وَيَكُفَّ عَنْ دِمَائِهِمْ، فَأَجْلاَهُمْ ﷺ، وَوَلَّى إِخْرَاجَهُمْ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ، فَكَانُوا يُخَرِّبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ، وَحَمَلُوا النِّسَاءَ وَالصِّبْيَانَ، وَتَحَمَّلُوا عَلَى سِتِّ مِئَةِ بَعِيرٍ، فَلَحِقُوا بِخَيْبَرَ(١)، وَقَسَّمَ ﷺ مَنَازِلَهُمْ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ، لِيَرْفَعَ بِذٰلِكَ مُؤْنَتَهُمْ عَنِ الأَنْصَارِ.

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ

ثُمَّ غَزْوَةُ ذَاتِ الرِّقَاعِ(٢) ـ سُمِّيَتْ بِذٰلِكَ لأَنَّهُمْ رَقَعُوا فِيهَا رَايَاتِهِمْ(٣) ـ، وَكَانَ مِنْ خَبَرِهَا أَنَّهُ ﷺ غَزَا نَجْداً يُرِيدُ بَنِي مُحَارِبٍ وَبَنِي ثَعْلَبَةَ؛ لأَنَّهُ بَلَغَهُ أَنَّهُمْ جَمَّعُوا الْجُمُوعَ، فَخَرَجَ فِي أَرْبَعِ مِئَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَقِيلَ: سَبْعِ مِئَةٍ، وَاسْتَعْمَلَ عَلَى الْمَدِينَةِ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٤)، وَخَرَجَ حَتَّى نَزَلَ نَخْلاً ـ وَهُوَ مَوْضِعٌ مِنْ نَجْدٍ مِنْ أَرْضِ غَطَفَانَ ـ فَتَقَارَبَ النَّاسُ وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ حَرْبٌ، وَقَدْ أَخَافَ النَّاسُ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، حَتَّى صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالنَّاسِ صَلاَةَ الْخَوْفِ، ثُمَّ انْصَرَفُوا، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ ﷺ فِي هٰذِهِ الْغَزْوَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً(٥).

❋ ❋ ❋

(١) ومنهم مَنْ سار إلىٰ أذرِعات بالشام.

(٢) في جمادىٰ الأولىٰ.

(٣) أو لأنهم كانوا يَلُفُّون علىٰ أرجلهم الخِرَق لمّا حفيت أقدامهم.

(٤) أو أبا ذرّ الغِفاري.

(٥) مال البخاري إلىٰ أن هذه الغزوة كانت في السنة السابعة بعد خيبر، وأجمع أهل السِّيَر علىٰ خلافه، وقال ابن حجر: الأولىٰ الاعتماد علىٰ ما جاء في البخاري، ويرىٰ البيهقي أن الغزوة تكررت مرتين، وعلىٰ هذا يمكن الجمع بين ما في الصحيح وبين ما في كتب السِّيَر.

غَزْوَةُ بَدْرِ الآخِيرَةُ

وَهِيَ الصُّغْرَى، لَمَّا قَدِمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ مِنْ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ، أَقَامَ بِهَا جُمَادَى الأُولَى إِلَى آخِرِ رَجَبٍ، ثُمَّ خَرَجَ فِي شَعْبَانَ إِلَى بَدْرٍ لِمِيعَادِ أَبِي سُفْيَانَ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَمَعَهُ أَلْفٌ وَخَمْسُ مِئَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ وَعَشَرَةُ أَفْرَاسٍ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَاللَّهِ بْنَ رَوَاحَةَ، فَأَقَامُوا عَلَى بَدْرٍ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ يَنْتَظِرُونَ أَبَا سُفْيَانَ(١)، وَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ(٢) حَتَّى نَزَلَ عُسْفَانَ(٣)، ثُمَّ بَدَا لَهُ الرُّجُوعُ(٤)، فَرَجَعَ بِالنَّاسِ(٥).

❋ ❋ ❋

[السنة الخامسة]
غَزْوَةُ دُومَةِ الْجَنْدَلِ

وَهِيَ مَدِينَةٌ بَيْنَهَا وَبَيْنَ دِمَشْقَ خَمْسُ لَيَالٍ، وَبُعْدُهَا مِنَ الْمَدِينَةِ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً(٦)، وَكَانَتْ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ، عَلَى رَأْسِ تِسْعَةٍ وَأَرْبَعِينَ شَهْراً مِنَ الْهِجْرَةِ.

---

(١) وكان بدر محل سوق تعقد كل عام للتجارة في شعبان، يقيم التجّار فيه ثمانياً.

(٢) على نيّة الرجوع بعد مسير ليلة أو ليلتين بعد أن أرسل إلىٰ المدينة نُعيم بن مسعود الأشجعي ليخيف المسلمين من جموع أبي سفيان علّهم لا يخرجون، فلا يوصف بخلف الوعد.

(٣) وهي سوق معروفة.

(٤) لِما حلّ بقريش من الجذب.

(٥) **تتمّة**: وفي هذا العام ولد الحسين بن علي، وفيه توفيت زينب بنت خزيمة زوجُ النبي ﷺ، ولم تلبث عنده إلا شهرين أو ثلاثة، وفيه تزوّج عليه الصلاة والسلام أمَّ سلمة هنداً بعد وفاة زوجها.

(٦) تسمّىٰ الآن: الجوف.

وَكَانَ سَبَبُهَا أَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ بِهَا جَمْعاً كَثِيراً يَظْلِمُونَ مَنْ مَرَّ بِهِمْ، فَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعٍ فِي أَلْفٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ سِبَاعَ بْنَ عُرْفُطَةَ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُمْ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ النَّعَمَ وَالشَّاءَ[1]، فَهَجَمَ عَلَى مَاشِيَتِهِمْ وَرُعَاتِهِمْ فَأَصَابَ مَنْ أَصَابَ، وَهَرَبَ مَنْ هَرَبَ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَجَاءَ الْخَبَرُ أَهْلَ دُومَةَ، فَتَفَرَّقُوا، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِسَاحَتِهِمْ فَلَمْ يَلْقَ أَحَداً، فَأَقَامَ بِهَا أَيَّاماً وَبَثَّ السَّرَايَا ثُمَّ رَجَعَ، وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ فِي عِشْرِي رَبِيعٍ الآخِرِ[2].

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ الْمُرَيْسِيعِ

وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي خُزَاعَةَ[3]، وَتُسَمَّى غَزْوَةَ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَكَانَتْ يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ.

وَسَبَبُهَا: أَنَّهُ بَلَغَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنَّ رَئِيسَهُمُ الْحَارِثَ بْنَ أَبِي ضِرَارٍ سَارَ فِي قَوْمِهِ وَمَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ مِنَ الْعَرَبِ، فَدَعَاهُمْ إِلَى حَرْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَجَابُوهُ وَتَهَيَّئُوا لِلْمَسِيرِ مَعَهُمْ[4]، فَبَعَثَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بُرَيْدَةَ بْنَ الْخَصِيبِ الأَسْلَمِيَّ يَعْلَمُ عِلْمَ ذٰلِكَ، فَأَتَاهُمْ، وَلَقِيَ الْحَارِثَ وَكَلَّمَهُ، وَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، وَخَرَجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُسْرِعاً[5]، وَبَلَغَ الْحَارِثَ وَمَنْ مَعَهُ مَسِيرُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَسِيئُوا بِذٰلِكَ، وَخَافُوا خَوْفاً شَدِيداً، وَتَفَرَّقَ عَنْهُم مَنْ كَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْعَرَبِ.

---

(١) لأنهم تفرّقوا.

(٢) الصواب: في العشرين من ربيع الآخر، كما في المواهب وشرحها.

(٣) علىٰ بُعد ٢٣٠ كَيْلاً جنوب المدينة.

(٤) في المواهب وشرحها: للمسير معه إليه.

(٥) في سبع مئة من أصحابه.

وَبَلَغَ ﷺ الْمُرَيْسِيعَ، وَصَفَّ أَصْحَابَهُ، وَدَفَعَ رَايَةَ الْمُهَاجِرِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ، وَرَايَةَ الأَنْصَارِ إِلَى سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فتَرَامَوْا بِالنَّبْلِ سَاعَةً، ثُمَّ أَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَصْحَابَهُ فَحَمَلُوا حَمْلَةَ رَجُلٍ وَاحِدٍ، وَقَتَلُوا عَشَرَةً وَأَسَرُوا سَائِرَهُمْ(١)، وَسَبَوا النِّسَاءَ وَالرِّجَالَ وَالذُّرِّيَّةَ وَالنَّعَمَ وَالشَّاءَ(٢)، وَلَمْ يُقْتَلْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلاَّ رَجُلٌ وَاحِدٌ(٣)، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ ﷺ ثَمَانِيَةً وَعِشْرِينَ يَوْماً(٤).

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ الْخَنْدَقِ(٥)

وَهِيَ الأَحْزَابُ، سُمِّيَتْ بِالْخَنْدَقِ الَّذِي حُفِرَ حَوْلَ الْمَدِينَةِ(٦) بِأَمْرِهِ ﷺ، وَالَّذِي أَشَارَ بِهِ سَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَعَمِلَ فِيهِ ﷺ بِنَفْسِهِ تَرْغِيباً لِلْمُسْلِمِينَ(٧).

---

(١) باقيهم.

(٢) وكانت الإبل ألفي بعير، والشياه خمسةُ آلاف.

(٣) قتله أحد الأنصار خطأً.

(٤) وكان في نساء المشركين برّةُ بنت الحارث سيد القوم، وهنا يظهر حسن السياسة ومنتهىٰ الكرم، فإن بني المصطلق من أعز العرب داراً، فأسْر نسائهم صعب جداً، فأراد عليه الصلاة والسلام أن يجعل المسلمين يمنُّون علىٰ النساء بالحريّة من تلقاء أنفسهم، فتزوّج برّةَ بنت الحارث، وكانت قد وقعت في سهم ثابت بن قيس، فكاتبته وأتت النبي ﷺ تستعينه علىٰ الفكاك، فعرض عليها أن يقضي عنها كتابتها ويتزوّجها، فرضيت وأسلمت، فسمّاها جويرية، فقال المسلمون: أصهار رسول الله ﷺ لا ينبغي أسرُهم، فمنُّوا عليهم بالعتق، فأسلموا جميعاً.

(٥) وكانت في شوال.

(٦) من الشّمال بين الحرّة الشرقية والحرة الغربية. والحَرَّة: هي الأرض ذات الحجارة السود، أما بقية الجهات فمشتبكة بالبيوت والنخيل، فلا يتمكن العدو من الحرب جهتها.

(٧) واستغرق حفره ستة أيام، وقد جعل الرسول ﷺ لكل عشرة أربعين ذراعاً، وقد عمل فيه ١٥٠٠ من الصحابة، وكان طوله ٢٧٢٥ متراً.

وَأَمَّا تَسْمِيَتُهَا بِالأَحْزَابِ: فَلاجْتِمَاعِ طَوَائِفَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ عَلَى حَرْبِ الْمُسْلِمِينَ، وَهُمْ قُرَيْشٌ وَغَطَفَانُ وَالْيَهُودُ وَمَنْ مَعَهُمْ.

وَكَانَ مِنْ حَدِيثِ هٰذِهِ الْغَزْوَةِ أَنَّ نَفَراً مِنْ يَهُودَ خَرَجُوا حَتَّى قَدِمُوا عَلَى قُرَيْشٍ مَكَّةَ، وَقَالُوا: إِنَّا سَنَكُونُ مَعَكُمْ عَلَيْهِ حَتَّى نَسْتَأْصِلَهُ، فَاجْتَمَعُوا لِذٰلِكَ وَاتَّعَدُوا لَهُ، ثُمَّ خَرَجَ أُولٰئِكَ الْيَهُودُ حَتَّى جَاؤوا غَطَفَانَ، فَدَعَوْهُمْ إِلَى حَرْبِهِ ﷺ، وَأَخْبَرُوهُم أَنَّهُمْ سَيَكُونونَ مَعَهُمْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ قُرَيْشاً قَدْ بَايَعُوهُمْ عَلَى ذَلِكَ، وَاجْتَمَعُوا مَعَهُمْ، فَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ وَقَائِدُهَا أَبُو سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ، وَخَرَجَتْ غَطَفَانُ وَقَائِدُهَا عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي فَزَارَةَ، وَالْحَارِثُ بْنُ عَوْفٍ فِي بَنِي مُرَّةَ، وَكَانَ عِدَّتُهُمْ عَشَرَةَ آلاَفٍ، وَالْمُسْلِمُونَ ثَلاَثَةَ آلاَفٍ، وَلَمَّا سَمِعَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بِالأَحْزَابِ، وَبِمَا أَجْمَعُوا عَلَيْهِ مِنَ الأَمْرِ، ضَرَبَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْخَنْدَقَ.

وَقَدْ وَقَعَ فِي حَفْرِ الْخَنْدَقِ آيَاتٌ[1] مِنْ أَعْلاَمِ نُبُوَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: لَمَّا كَانَ حِينَ أَمَرَنَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ بِحَفْرِ الْخَنْدَقِ عَرَضَتْ لَنَا صَخْرَةٌ لاَ تَأْخُذُ مِنْهَا[2] الْمَعَاوِلُ، فَاشْتَكَيْنَا ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَجَاءَ فَأَخَذَ الْمِعْوَلَ فَقَالَ: «**بِسْمِ اللّٰهِ**»، ثُمَّ ضَرَبَ ضَرْبَةً فَنَشَرَ ثُلُثَهَا، وَقَالَ: «**اللّٰهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الشَّامِ، وَاللّٰهِ إِنِّي لأُبْصِرُ قُصُورَهَا الْحُمْرَ السَّاعَةَ**»، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّانِيَةَ فَقَطَعَ ثُلُثاً آخَرَ فَقَالَ: «**اللّٰهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ فَارِسَ، وَإِنِّي وَاللّٰهِ لأُبْصِرُ قَصْرَ الْمَدَائِنِ الأَبْيَضَ الآنَ**»، ثُمَّ ضَرَبَ الثَّالِثَةَ فَقَالَ: «**بِسْمِ اللّٰهِ**» فَقَطَعَ بَقِيَّةَ الْحَجَرِ فَقَالَ: «**اللّٰهُ أَكْبَرُ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الْيَمَنِ، وَاللّٰهِ إِنِّي لأُبْصِرُ أَبْوَابَ صَنْعَاءَ فِي مَكَانِي السَّاعَةَ**».

---

(١) معجزات.

(٢) في المواهب: فيها.

وَمِنْهَا: تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ بِحَدِيثِ جَابِرٍ، وَسَيَأْتِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى مُسْتَوْفًى فِي مَقْصِدِ الْمُعْجِزَاتِ.

وَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنَ الْخَنْدَقِ أَقْبَلَتْ قُرَيْشٌ، حَتَّى نَزَلَتْ بِمُجْتَمَعِ السُّيُولِ، فِي عَشَرَةِ آلَافٍ مِنْ أَحَابِيشِهِمْ(١)، وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ وَأَهْلِ تِهَامَةَ، وَنَزَلَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ فِي غَطَفَانَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ إِلَى جَانِبِ أُحُدٍ، وَخَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَالْمُسْلِمُونَ حَتَّى جَعَلُوا ظُهُورَهُمْ إِلَى سَلْعٍ، وَكَانُوا ثَلَاثَةَ آلَافِ رَجُلٍ، فَضَرَبَ هُنَاكَ مُعَسْكَرَهُ، وَالْخَنْدَقُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقَوْمِ، وَكَانَ لِوَاءُ الْمُهَاجِرِينَ بِيَدِ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَلِوَاءُ الْأَنْصَارِ بِيَدِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ(٢).

وَكَانَ بَنُو قُرَيْظَةَ عَلَى عَهْدٍ وَعَقْدٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمْ يَزَلْ حُيَيُّ بْنُ أَخْطَبَ(٣) بِرَئِيسِهِمْ كَعْبِ بْنِ أَسَدٍ، حَتَّى نَقَضَ هُوَ وَقَوْمُهُ الْعَهْدَ، فَلَمَّا انْتَهَى الْخَبَرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعَثَ بَعْضَ أَصْحَابِهِ إِلَيْهِمْ(٤)، فَوَجَدَهُمْ عَلَى أَخْبَثِ مَا بَلَغَهُ عَنْهُمْ، فَعَظُمَ عِنْدَ ذَلِكَ الْبَلَاءُ، وَاشْتَدَّ الْخَوْفُ، وَأَتَاهُمْ عَدُوُّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْهُمْ، حَتَّى ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ كُلَّ ظَنٍّ(٥)، وَنَجَمَ النِّفَاقُ فِي بَعْضِ الْمُنَافِقِينَ(٦)، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم

---

(١) نسبة إلىٰ جبل حُبْشي بأسفل مكة، لأنهم تحالفوا بالله أنهم لَيَد علىٰ غيرهم ما سجا ليل، ووضح نهار، وما رسا حُبْشي.

(٢) وكان شعار المسلمين يومئذ حٰمٓ لا ينصرون.

(٣) سيد بني النضير.

(٤) وقال لهم: إن كان حقاً فالحنوا لي لحناً أعرفه، ولا تفتُّوا في أعضاء المسلمين، وإن كانوا علىٰ الوفاء فاجهروا به للناس، فلما علموا الغدر قالوا للرسول ﷺ: عَضَل والقارة (أي: غدر كغَدْرهم).

(٥) وفكّر الرسول في مصالحة عُيَيْنَةَ بن حِصن سيدِ غطَفان علىٰ ثلث ثمار المدينة لينسحب بغطفان، فقال الأنصار: إنهم لم يكونوا ينالون منا قليلاً من ثمارنا ونحن كفار، أفبَعْدَ الإسلام يشاركوننا فيها؟ وأرسل ﷺ مَسلَمة بن أسلم في مئتين، وزَيد بن حارثة في ثلاث مئة لحراسة المدينة خوفاً علىٰ النساء والذراري.

(٦) فانسحبوا قائلين: إن بيوتَنا عورةٌ، نخاف أن يُغِير عليها العدو.

﴿مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢﴾﴾[1] وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَالْمُسْلِمُونَ، وَعَدُوُّهُمْ يُحَاصِرُهُمْ، وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ قِتَالٌ إلاَّ مُرَامَاةٌ بِالنَّبْلِ، لٰكِنْ كَانَ عَمْرُو بْنِ وُدٍّ الْعَامِرِيُّ[2] اقْتَحَمَ هُوَ وَنَفَرٌ مَعَهُ خُيُولَهُمْ مِنْ نَاحِيَةٍ ضَيِّقَةٍ مِنَ الْخَنْدَقِ، فَبَارَزَهُ عَلِيٌّ فَقَتَلَهُ، وَبَرَزَ نَوْفَلُ بْنُ عَبْدِاللّهِ بْنِ الْمُغِيرَةِ فَقَتَلَهُ الزُّبَيْرُ، وَرَجَعَتْ بَقِيَّةُ الْخُيُولِ مُنْهَزِمَةً[3]، وَرُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ بِسَهْمٍ فَقَطَعَ مِنْهُ الأَكْحَلَ (وَهُوَ عِرْقُ الْحَيَاةِ، وَفِي كُلِّ عُضْوٍ مِنْهُ شُعْبَةٌ) فَلَمْ يَرْقَأ الدَّمُ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: دَعَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى الأَحْزَابِ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ مُنْزِلَ الْكِتَابِ، سَرِيعَ الْحِسَابِ، اهْزِمْ الأَحْزَابَ، اللَّهُمَّ اهْزِمْهُمْ وَزَلْزِلْهُمْ**»[4].

وَفِي يَنْبُوعِ الْحَيَاةِ[5] لابْنِ ظَفَرٍ قيلَ: إِنَّهُ ﷺ دَعَا فَقَالَ: «**يَا صَرِيخَ الْمَكْرُوبِينَ، يَا مُجِيبَ الْمُضْطَرِّينَ، اكْشِفْ هَمِّي وَغَمِّي وَكَرْبِي، فَإِنَّكَ تَرَى مَا نَزَلَ بِي وَبِأَصْحَابِي**»؛ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَبَشَّرَهُ بِأَنَّ اللّهَ سُبْحَانَهُ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ١٢.

(٢) الذي بلغ ٩٠ عاماً، أو جاوز المئة.

(٣) وهوىٰ في الخندق نوفل بن عبدالله فاندقّت عنقه، فأرسل أبو سفيان يعرض مئة من الإبل لأخذ جثّته، فرفض عليه الصلاة والسلام وقال: «**خذوه فإنه خبيث، نحن لا نأكل ثمن الموتىٰ**».

(٤) وجاء نُعيم بن مسعود (صديق قريش واليهود) من غطَفان مسلماً دون علم قومه، وعرض علىٰ الرسول المساعدة فقال: خذِّل عنا ما استطعت، فإن الحربَ خَدْعة، فأتىٰ بني قريظة وقال: لقد رأيتم ما وقع ببني قينقاع والنضير، وإن قريشاً وغطفان إذا رأوا فرصة انتهزوها، وإلا انصرفوا لبلادهم، فأرىٰ ألاّ تدخلوا في هذه الحرب حتىٰ تأخذوا منهم رهائن، سبعين شريفاً منهم، فاستحسنوا رأيه، ثم توجّه إلىٰ قريش وغطفان فقال لهم: إن بني قريظة ندموا واسترضَوا الرسول ﷺ بإعطائه سبعين منكم، فاحذروهم، فأرسل أبو سفيان إليهم يدعوهم للقتال، فطلبوا الرهائن، وخاف بعضهم بعضاً.

(٥) وهو كتاب في التفسير.

يُرْسِلُ عَلَيْهِمْ رِيحاً وَجُنُوداً، فَأَعْلَمَ أَصْحَابَهُ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ قَائِلاً: «**شُكْراً شُكْراً**».

وَهَبَّت رِيحُ الصَّبَا لَيْلاً فَقَلَعَتِ الأَوْتَادِ، وَأَلْقَتْ عَلَيْهِمُ الأَبْنِيَةَ، وَكَفَأَتِ الْقُدُورَ، وَسَفَّتْ عَلَيْهِمُ التُّرَابَ، وَرَمَتْهُمْ بِالْحَصْبَاءِ، وَسَمِعُوا فِي أَرْجَاءِ مُعَسْكَرِهِمُ التَّكْبِيرَ وَقَعْقَعَةَ السِّلاَحِ، فَارْتَحَلُوا هُرَّاباً فِي لَيْلَتِهِمْ، وَتَرَكُوا مَا اسْتَثْقَلُوهُ مِنْ مَتَاعِهِمْ[١]، قَالَ: فَذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا﴾[٢].

وَانْصَرَفَ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ الْخنْدَقِ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ لِسَبْعِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقِعْدَةِ، وَكَانَ قَدْ أَقَامَ بِالْخَنْدَقِ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لَنْ تَغزُوكُمْ قُرَيشٌ بَعْدَ عَامِكُمْ هٰذَا**»[٣]، وَفِي ذٰلِكَ عَلَمٌ مِنْ أَعْلاَمِ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّهُ ﷺ اعْتَمَرَ فِي السَّنَةِ فَصَدَّتْهُ قُرَيْشٌ عَنِ الْبَيْتِ، وَوَقَعَتِ الْهُدْنَةُ بَيْنَهُمْ إِلَى أَنْ نَقَضُوهَا، فَكَانَ ذٰلِكَ سَبَبَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَوَقَعَ الأَمْرُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ بَنِي قُرَيظَةَ

لَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَوَضَعَ السِّلاَحَ وَاغْتَسَلَ أَتَاهُ جِبْرِيلُ فَقَالَ: قَدْ وَضَعْتَ السِّلاَحَ؟ وَاللَّهِ مَا وَضَعْنَاهُ، اخْرُجْ إِلَيْهِمْ، (وَأَشَارَ إِلَى بَنِي قُرَيْظَةَ)،

---

(١) ولما سمع عليه الصلاة والسلام الضوضاء في جيش العدوّ أرسل حذيفة بن اليمان ليستطلع خبرهم في ليلة شديدة البرد، فلما خرج لم يجد من البرد الذي كان يجده الناس، ودخل في صفوفهم، وطلب أبو سفيان من قومه أن يتعرّف كلُّ واحد صاحبه حذَراً من أن يدخل بينهم عدوّ، فأخذ حذيفة بيد الرجل الذي كان جنبه وقال: مَن أنت؟ قال: فلان.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٩.

(٣) رواه البخاري.

فَإِنِّي عَامِدٌ إِلَيْهِمْ فَمُزَلْزِلٌ بِهِمْ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مُؤَذِّناً فَأَذَّنَ فِي النَّاسِ: مَنْ كَانَ سَامِعاً مُطِيعاً فَلاَ يُصَلِّيَنَّ الْعَصْرَ إِلاَّ فِي بَنِي قُرَيْظَةَ(١). وَبَعَثَ مُنَادِياً يُنَادِي: يَا خَيْلَ اللّهِ ارْكَبِي، وَبَعَثَ عَلِيًا رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَلَى الْمُقَدِّمَةِ(٢)، ثُمَّ سَارَ فِي الْمُسْلِمِينَ (وَهُمْ ثَلاَثَةُ آلاَفٍ، وَالْخَيْلُ سِتَّةٌ وَثَلاَثُونَ فَرَساً)، وَحَاصَرَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خَمْساً وَعِشْرِينَ لَيْلَةً، حَتَّى أَجْهَدَهُمُ الْحِصَارُ، وَقَذَفَ اللّهُ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمْ رَئِيسُهُمْ كَعْبُ بْنُ أَسَدٍ أَنْ يُؤْمِنُوا، فَقَالَ لَهُمْ: يَا مَعْشَرَ يَهُودَ قَدْ نَزَلَ بِكُمْ مِنَ الأَمْرِ مَا تَرَوْنَ، وَإِنِّي أَعْرِضُ عَلَيْكُمْ خِلاَلاً ثَلاَثاً، فَخُذُوا أَيَّهَا شِئْتُمْ، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: نُبَايِعُ(٣) هٰذَا الرَّجُلَ وَنُصَدِّقُهُ، فَوَاللّهِ إِنَّهُ(٤) لَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّهُ لَنَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَأَنَّهُ الَّذِي تَجِدُونَهُ فِي كِتَابِكُمْ، فَتَأْمَنُونَ عَلَى دِمَائِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَأَبْنَائِكُمْ وَنِسَائِكُمْ، فَأَبَوْا، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِقَتْلِ أَوْلاَدِهِمْ وَنِسَائِهِمْ وَالْخُرُوجِ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَأَبَوْا، فَأَشَارَ عَلَيْهِمْ بِالْهُجُومِ لَيْلَةَ السَّبْتِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَأَصْحَابِهِ(٥)، فَأَبَوْا(٦).

---

(١) فمنهم مَن أخّرها حتىٰ خرج وقتها، ومنهم مَن صلاّها في الطريق حاملاً أمر الرسول ﷺ علىٰ السرعة، فلم يعنّف فريقاً منهم.

(٢) يحمل اللواء.

(٣) في المواهب وشرحها: نتابع.

(٤) هذه اللفظة غير موجودة في المواهب.

(٥) عسىٰ أن يكون الرسول ﷺ أمّنهم فيها لعلمه أنهم لا يقاتلون يوم السبت فيصيبوا من المسلمين غِرّة.

(٦) ثم عرضوا علىٰ النبي ﷺ الجلاء بالأموال وترك السلاح فرفض، فطلبوا أن يجلوا من غير مال ولا سلاح فرفض، فقالوا: أرسل لنا أبا لبابة نستشيره، وكان حليفاً لهم، فاستشاروه في النزول علىٰ حكم الرسول ﷺ فقال لهم: انزلوا، وأومأ بيده إلىٰ حلقه (يريد أن الحكم الذبح)، فلم يبرح موقفه حتىٰ علم أنه خان الله ورسوله، فقصد المدينة خجلاً من الرسول ﷺ، وربط نفسه في سارية من سواري المسجد حتىٰ يقضي الله فيه أمره، وأقام علىٰ هذه الحال ست ليال يُحَل وقت الصلاة فقط.

ثُمَّ لَمَّا اشْتَدَّ الْحِصَارُ بِهِمْ أَذْعَنُوا أَنْ يَنْزِلُوا عَلَى حُكْمِ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ سَيِّدِ الأَنْصَارِ[١]، فَحَكَمَ فِيهِمْ بِأَنْ تُقْتَلَ الرِّجَالُ، وَتُقْسَمَ الأَمْوَالُ، وَتُسْبَى الذَّرَارِي وَالنِّسَاءُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لَقَدْ حَكَمْتَ الْيَوْمَ فِيهِمْ بِحُكْمِ اللهِ الَّذِي حَكَمَ بِهِ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ**»[٢].

وَانْصَرَفَ ﷺ يَوْمَ الْخَمِيسِ لِسَبْعِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَأَمَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِبَنِي قُرَيْظَةَ فَأُدْخِلُوا الْمَدِينَةَ، وَحُفِرَ لَهُمْ أُخْدُودٌ فِي السُّوقِ، وَجَلَسَ ﷺ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، وَأُخْرِجُوا إِلَيْهِ فَضُرِبَتْ أَعْنَاقُهُمْ، وَكَانُوا مَا بَيْنَ سِتِّ مِئَةٍ إِلَى سَبْعِ مِئَةٍ.

وَاصْطَفَى ﷺ لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ رَيْحَانَةَ فَتَزَوَّجَهَا[٣]، وَأَمَرَ بِالْغَنَائِمِ فَجُمِعَتْ، وَأَخْرَجَ الْخُمُسَ، وَقَسَمَ الْبَاقِي بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ.

وَانْفَجَرَ جُرْحُ سَعْدِ بْنِ مُعَاذٍ[٤] فَمَاتَ شَهِيداً، وَحَضَرَ جَنَازَتَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، وَاهْتَزَّ لِمَوْتِهِ عَرْشُ الرَّحْمٰنِ[٥]، وَاهْتِزَازُهُ تَحَرُّكُهُ فَرَحاً بِقُدُومِ رُوحِ سَعْدٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ. وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: كُنْتُ مِمَّنْ حَفَرَ لِسَعْدٍ قَبْرَهُ، فَكَانَ يَفُوحُ عَلَيْنَا الْمِسْكُ كُلَّمَا حَفَرْنَا[٦].

❃ ❃ ❃

---

(١) وكان موالياً لهم.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) بعد أن أسلمت وعرض عليها أن يعتقها، فاختارت الرقّ. وقد ماتت في حياة النبي ﷺ.

(٤) من السهم الذي أصابه في الخندق.

(٥) كما رواه الشيخان.

(٦) وفي هذا العام تزوّج عليه الصلاة والسلام زينب بنت جحش بعد أن طلّقها مولاه زيد، وعقد علىٰ أم حبيبة رملةَ بنت أبي سفيان بعد أن تنصّر زوجها عبيدالله بن جحش في الحبشة ومات، وتولّىٰ النجاشي العقد عليها، وبقيت في الحبشة حتىٰ قدمت المدينة سنة سبع.
وفي هذا العام نزلت آية الحجاب، وفُرض الحج.

[السنة السادسة]

[سرية محمد بن مسلمة إلى ضَرِيّة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مُسْلَمَةَ[١] إِلَى الْقُرْطَاءِ (بَطْنٌ مِنْ بَنِي بَكْرِ بْنِ كِلاَبٍ، وَهُمْ يَنْزِلُونَ بِالْبَكْرَاتِ) وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَبْعُ لَيَالٍ[٢]، بَعَثَهُ ﷺ فِي ثَلاثِينَ رَاكِباً، فَلَمَّا أَغَارَ عَلَيْهِمْ قَتَلَ نَفَراً مِنْهُمْ، وَهَرَبَ سَائِرُهُمْ[٣]، وَاسْتَاقَ نَعَماً وَشَاءً، وَقَدِمَ الْمَدِينَةَ وَمَعَهُ ثُمَامَةُ بْنُ أُثَالٍ الْحَنَفِيُّ أَسِيراً[٤]، فَرُبِطَ بِأَمْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أُطْلِقَ بِأَمْرِهِ ﷺ، فَاغْتَسَلَ وَأَسْلَمَ[٥]، وَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! وَاللّهِ مَا كَانَ عَلَى الأَرْضِ وَجْهٌ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهُكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينُكَ أَحَبَّ الأَدْيَانِ كُلِّهَا إِلَيَّ، وَاللّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضَ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلاَدِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذَتْنِي وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ النَّبِيُّ ﷺ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ؟ قَالَ: لاَ، وَلٰكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَلاَ وَاللّهِ لاَ تَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةُ حِنْطَةٍ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ ﷺ[٦].

❋ ❋ ❋

---

(١) في العاشر من المحرَّم.

(٢) على بُعد ٢٩٠ كَيْلاً في طريق البصرة.

(٣) باقيهم.

(٤) وهو من عظماء بني حنيفة، التقى به وهو عائد فأسره وهو لا يعرفه.

(٥) وكان ﷺ يأتيه كل يوم فيقول له: ماذا عندك يا ثُمامة؟ فيقول: عندي خير يا محمد، إن تقتل تقتل ذا دم (صاحب رياسة وفضل)، وإن تُنعِم تُنعِم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسَل تُعْطَ منه ما شئت.

(٦) ولما منعهم منها استغاثوا برسول الله ﷺ، فأرسل لثُمامة في إعادتها إليهم. وكان ثمامة ينهى قومه عن اتباع مسيلمة أيام الردّة، فثبت معه كثير من قومه رضي الله عنه.

غَزوَةُ بَنِي لَحيَانَ[1]

فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ، قَالُوا: وَجِدَ[2] رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَاصِمِ بْنِ ثَابِتٍ وَأَصْحَابِهِ وَجْداً شَدِيداً، فَأَظْهَرَ أَنَّهُ يُرِيدُ الشَّامَ[3]، وَعَسْكَرَ فِي مِئَتَيْ رَجُلٍ، وَمَعَهُمْ عِشْرُونَ فَرَساً، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ عَبْدَاللَّهِ بْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ، ثُمَّ أَسْرَعَ السَّيْرَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى حَيْثُ كَانَ مُصَابُ أَصْحَابِهِ أَهْلِ الرَّجِيعِ، فَتَرَحَّمَ عَلَيْهِمْ، وَدَعَا لَهُمْ، فَسَمِعَتْ بِهِ بَنُو لِحْيَانَ فَهَرَبُوا فِي رُؤُوسِ الْجِبَالِ، فَلَمْ يَقْدِرْ مِنْهُمْ عَلَى أَحَدٍ، فَأَقَامَ يَوْماً أَوْ يَوْمَيْنِ يَبْعَثُ السَّرَايَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ، ثُمَّ خَرَجَ حَتَّى أَتَى عُسْفَانَ[4]، فَبَعَثَ أَبَا بَكْرٍ فِي عَشَرَةِ فَوَارِسَ لِتَسْمَعَ بِهِمْ قُرَيْشٌ فَيَذْعَرَهُمْ، فَأَتَوْا كُرَاعَ[5]، ثُمَّ رَجَعُوا وَلَمْ يَلْقَوْا أَحداً، وَانْصَرَفَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً وَهُوَ يَقُولُ: «**آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**» وَغَابَ عَنِ الْمَدِينَةِ أَرْبَعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

❋ ❋ ❋

غَزوَةُ الغَابَةِ

وَسَبَبُهَا: أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عِشْرُونَ لَقْحَةً[6] (وَهِيَ ذَوَاتُ اللَّبَنِ،

---

(١) وهم الذين قَتلوا عاصم بن ثابت وإخوانَه أصحاب سرية الرجيع.

(٢) حَزِنَ.

(٣) وسلك طريقها مع أنه يريد الرجيع جنوب المدينة، وهذه عادته ﷺ في غالب غزواته لا يُظهِر مقصِدَه لتعمىٰ الأخبار عن الأعداء.

(٤) قرب مكة.

(٥) علىٰ بُعد ١٤ كيلو متراً جنوب عسفان.

(٦) ناقة.

الْقَرِيبَةُ الْعَهْدِ بِالْوِلاَدَةِ[١] تَرْعَى بِالْغَابَةِ[٢]، وَكَانَ أَبُو ذَرٍّ فِيهَا، فَأَغَارَ عَلَيْهِمْ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ فِي أَرْبَعِينَ فَارِساً، فَاسْتَاقُوهَا، وَقَتَلُوا ابْنَ أَبِي ذَرٍّ[٣]، فَلَمَّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ الْخَبَرُ نَادَى: **«يَا خَيْلَ اللّٰهِ ارْكَبِي»** وَرَكِبَ ﷺ فِي خَمْسِ مِئَةٍ، وَعَقَدَ لِلْمِقْدَادِ بْنِ عَمْرٍو لِوَاءً فِي رُمْحِهِ، وَقَالَ لَهُ: **«امْضِ حَتَّى تَلْحَقَكَ الْخُيُولُ، وَأَنَا عَلَى أَثَرِكَ»**، فَأَدْرَكَ أُخْرَيَاتِ الْعَدُوِّ، وَقَتَلَ أَبُو قَتَادَةَ فَارِساً، وَعُكَاشَةُ آخَرَ، وَأَدْرَكَ سَلَمَةُ بْنُ الأَكْوَعِ الْقَوْمَ وَهُوَ عَلَى رِجْلَيْهِ[٤]، وَلَحِقَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عِشَاءً، وَاسْتَنْقَذُوا عَشْرَ لِقَاحٍ، وَأَفْلَتَ الْقَوْمُ بِمَا بَقِيَ - وَهِيَ عَشْرٌ - وَرَجَعَ وَقَدْ غَابَ خَمْسَ لَيَالٍ[٥].

❋ ❋ ❋

[سرية عكاشة بن مِحصَن إلىٰ بني أَسَد]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عُكَّاشَةَ[٦] بْنِ مِحْصَنٍ الأَسَدِيِّ[٧] إِلَى غَمْرِ مَرْزُوقٍ (وَهُوَ مَاءٌ لِبَنِي أَسَدٍ) فِي أَرْبَعِينَ رَجُلاً، فَخَرَجَ سَرِيعاً فَنَذِرَ[٨] بِهِ الْقَوْمُ، فَهَرَبُوا، فَاسْتَاقَ مِئَتَيْ بَعِيرٍ، وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً.

❋ ❋ ❋

---

(١) أي: التي ولدت حديثاً.
(٢) على بُعد ٢٠ كَيْلاً من المدينة جهة غطَفان.
(٣) وأخذوا زوجته.
(٤) وكان يشغلهم بالنَّبْل حتىٰ يدركهم المسلمون.
(٥) وغافلت امرأة الغفاري المشركين، وركبت ناقة من إبل النبي ﷺ حتىٰ قدمت المدينة.
(٦) وقد تُخفَّف.
(٧) في ربيع الأول.
(٨) عَلِم.

[سرية محمد بن مَسْلَمة إلىٰ بني ثَعلبة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ مُحَمَّدِ بْنِ مَسْلَمَةَ[١] إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ[٢]، وَمَعَهُ عَشَرَةٌ، فَوَرَدَ عَلَيْهِمْ لَيْلاً، فَأَحْدَقَ بِهِمُ الْقَوْمُ، وَهُمْ مِئَةُ رَجُلٍ، فَتَرَامَوْا سَاعَةً مِنَ اللَّيْلِ، ثُمَّ حَمَلَتِ الأَعْرَابُ عَلَيْهِمْ بِالرِّمَاحِ، فَقَتَلُوهُمْ إِلاَّ مُحَمَّدَ بْنَ مَسْلَمَةَ فَوَقَعَ جَرِيحاً[٣]، وَاحْتُمِلَ إِلَى الْمَدِينَةِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ فِي أَرْبَعِينَ رَجُلاً إِلَى مَصَارِعِهِمْ، فَهَرَبُوا، فَاسْتَاقَ نَعَماً مِنْ نَعَمِهِمْ، وَرِثَّةً[٤] مِنْ مَتَاعِهِمْ، وَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ، فَخَمَّسَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَقَسَمَ مَا بَقِيَ عَلَيْهِمْ.

❋ ❋ ❋

[سرية زيد بن حارثة إلىٰ بني سُلَيم]

ثُمَّ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ[٥] إِلَى بَنِي سُلَيْمٍ[٦]، فَأَصَابُوا امْرَأَةً مِنْ مُزَيْنَةَ يُقَالُ لَهَا: حَلِيمَةُ، فَدَلَّتْهُمْ عَلَى مَحَلَّةٍ مِنْ مَحَالِّ بَنِي سُلَيْمٍ، فَأَصَابُوا نَعَماً[٧] وَشَاءً وَأَسْرَى، فَكَانَ فِيهِمْ زَوْجُ حَلِيمَةَ الْمُزَنِيَّةِ، فَلَمَّا قَفَلَ زَيْدٌ بِمَا أَصَابَ وَهَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لِلْمُزَنِيَّةِ نَفْسَهَا وَزَوْجَهَا.

❋ ❋ ❋

---

(١) في ربيع الأول.

(٢) وكان قد بلغه عليه الصلاة والسلام أنهم يريدون الإغارة علىٰ مواشي المسلمين التي ترعىٰ بالهيفاء علىٰ بُعد ١٢ كَيْلاً من المدينة.

(٣) وظنوه قُتل.

(٤) سَقَطاً.

(٥) في ربيع الآخر.

(٦) وكانوا يعاكسون المسلمين في سَيرهم.

(٧) إبلاً.

[سرية زيد بن حارثة إلىٰ العِيص]

ثُمَّ سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضاً[1] فِي سَبْعِينَ رَاكِباً[2] يَعْتَرِضُ عِيراً[3] لِقُرَيْشٍ قَدْ أَقْبَلَتْ مِنَ الشَّامِ، فَأَخَذُوهَا وَمَا فِيهَا[4].

❋ ❋ ❋

[سرية زيد بن حارثة إلىٰ بني ثعلبة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضاً[5] إِلَى بَنِي ثَعْلَبَةَ[6] فِي خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَأَصَابَ نَعَماً وَشَاءً، وَهَرَبَتِ الأَعْرَابُ.

❋ ❋ ❋

[سرية زيد بن حارثة إلىٰ جُذام]

ثُمَّ سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضاً فِي خَمْسِ مِئَةِ رَجُلٍ إِلَى جُذَامٍ، لأَنَّهُمْ قَطَعُوا الطَّرِيقَ عَلَى دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ[7]، فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ مِنَ[8] الصُّبْحِ، فَقَتَلُوا فِيهِمْ

---

(١) في جمادىٰ الأولىٰ.

(٢) بل مئة وسبعين، كما في نور اليقين للخضري، والإصابة.

(٣) إبلاً.

(٤) وكان رئيسَ القافلة أبو العاص بنُ الربيع زوجُ زينبَ بنتِ النبي ﷺ، فاستجار بزوجه زينب فأجارته، واستشار النبيُّ ﷺ أصحابه في رد ما أخذوه منه ففعلوا، فذهب إلىٰ مكة فأدىٰ الحقوق، ثم أسلم عام الفتح سنة ثمان.

(٥) في جمادىٰ الآخرة.

(٦) الذين قَتلوا أصحاب محمد بن مسلمة.

(٧) أثناء عودته من عند قيصر بعد أن أجازه بمال وكسوة، فأخذوها منه، لكن كان ذلك في المحرم من السنة السابعة.

(٨) في المواهب وشرحها: مع.

فَأَوْجَعُوا، وَأَخَذُوا مِنَ النَّعَمِ أَلْفَ شَاةٍ وَمِئَةً مِنَ النِّسَاءِ وَالصِّبْيَانِ، فَجَاءَ زَيْدُ بْنُ رِفَاعَةَ الْجُذَامِيُّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ وَأَسْلَمَ، فَبَعَثَ ﷺ عَلِيًّا إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ يَأْمُرُهُ أَنْ يُخَلِّيَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ حُرَمِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ فَفَعَلَ.

❋ ❋ ❋

[سرية زيد بن حارثة إلىٰ وادي القُرىٰ]

ثُمَّ سَرِيَّةُ زَيْدٍ أَيْضاً إِلَى وَادِي الْقُرَىٰ(١)، فَقُتِلَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَتْلَى، وَحُمِلَ زَيْدٌ مِنَ الْمَعْرَكَةِ جَرِيحاً.

❋ ❋ ❋

[سرية عبدالرحمٰن بن عوف إلىٰ دُومة الجندل]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبْدِالرَّحمٰنِ بْنِ عَوْفٍ إِلَى دُومَةِ الْجَنْدَلِ(٢) فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سِتٍّ، قَالُوا: دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَبْدَالرَّحمٰنِ بْنَ عَوْفٍ، فَأَقْعَدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ، وَقَالَ: «**اغْزُ بِسْمِ اللَّهِ، وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ، فَقَاتِلْ مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ، وَلاَ تَغْدِرْ وَلاَ تَقْتُلْ وَلِيداً**»، وَبَعَثَهُ إِلَى (كَلْبٍ) بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَقَالَ: «**إِنِ اسْتَجَابُوا لَكَ فَتَزَوَّجِ ابْنَةَ مَلِكِهِمْ**» فَسَارَ عَبْدُالرَّحمٰنِ(٣) حَتَّى قَدِمَ دُومَةَ الْجَنْدَلِ، فَمَكَثَ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَأَسْلَمَ الأَصْبَغُ بْنُ عَمْرٍو

---

(١) في رجب إلىٰ بني فزارة.

(٢) وهي بين المدينة ودمشق، على بُعد ٦٠٠ كيلومتراً من المدينة، وتسمىٰ الآن: الجوف.

(٣) في سبع مئة من الصحابة.

الْكَلْبِيُّ، وَكَانَ نَصْرَانِيًّا، وَكَانَ رَئِيسَهُمْ، وَأَسْلَمَ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَقَامَ مَنْ أَقَامَ عَلَى إِعْطَاءِ الْجِزْيَةِ، وَتَزَوَّجَ عَبْدُالرَّحْمٰنِ تُمَاضِرَ بِنْتَ الأَصْبَغِ، وَقَدِمَ بِهَا الْمَدِينَةَ، فَوَلَدَتْ لَهُ أَبَا سَلَمَةَ.

❋ ❋ ❋

[سرية علي بن أبي طالب إلىٰ بني سعد]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَمَعَهُ مِئَةُ رَجُلٍ إِلَى بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ(١)، لَمَّا بَلَغَهُ ﷺ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ أَنْ يُمِدُّوا يَهُودَ خَيْبَرَ(٢)، فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ، فَأَخَذُوا خَمْسَ مِئَةِ بَعِيرٍ، وَأَلْفَيْ شَاةٍ، وَهَرَبَتْ بَنُو سَعْدٍ.

❋ ❋ ❋

[سرية زيد بن حارثة إلىٰ بني فزارة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ إِلَى أُمِّ قِرْفَةَ الْفَزَارِيَّةِ(٣)، وَسَبَبُهَا: أَنَّ زَيْداً خَرَجَ فِي تِجَارَةٍ إِلَى الشَّامِ، فَلَقِيَهُ نَاسٌ مِنْ فَزَارَةَ، فَضَرَبُوهُ وَضَرَبُوا أَصْحَابَهُ، وَأَخَذُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ، وَقَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَبَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَصَبَّحَهُمْ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَكَبَّرُوا وَأَحَاطُوا بِالْحَاضِرِ، وَأَخَذُوا أُمَّ قِرْفَةَ وَكَانَتْ مَلِكَةً رَئِيسَةً، وَأَخَذُوا ابْنَتَهَا جَارِيَةً بِنْتَ مَالِكِ بْنِ حُذَيْفَةَ بْنِ بَدْرٍ.

❋ ❋ ❋

---

(١) في شعبان.
(٢) علىٰ حرب المسلمين.
(٣) في رمضان.

[سرية عبدالله بن عَتيك لقتل أبي رافع]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَتِيكٍ لأَبِي رَافِعٍ الْيَهُودِيِّ، وَكَانَ يُؤْذِي رَسُولَ اللَّهِ ﷺ(١)، فَخَرَجَ إِلَيْهِ وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ(٢)، فَوَضَعَهُمْ خَارِجَ الْحِصْنِ(٣)، وَدَخَلَ هُوَ وَاحْتَالَ عَلَيْهِ(٤) وَقَتَلَهُ، وَفِي انْصِرَافِهِ كُسِرَتْ سَاقُهُ(٥). فَلَمَّا رَجَعَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: فَحَدَّثْتُهُ فَقَالَ: «**ابْسُطْ رِجْلَكَ**»، فَمَسَحَهَا، فَكَأَنَّمَا لَمْ أَشْتَكِهَا قَطُّ، وَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ.

❊ ❊ ❊

[سرية عبدالله بن رواحة لقتل أُسَير بن رزام]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ(٦) إِلَى أُسَيْرِ بْنِ رِزَامٍ الْيَهُودِيِّ بِخَيْبَرَ الَّذِي أَمَّرَتْهُ الْيَهُودُ عَلَيْهَا بَعْدَ قَتْلِ أَبِي رَافِعٍ، فَسَارَ فِي غَطَفَانَ وَغَيْرِهِمْ يَجْمَعُهُمْ

---

(١) بتحزيب الأحزاب علىٰ رسول الله ﷺ.

(٢) من الخزرج ليكون لهم مثلُ أجر إخوانهم من الأوس الذين قَتلوا كعب بن الأشرف.

(٣) واحتال علىٰ البواب بأنه كان يقضي حاجته وقد دخل الناس، فدخل معهم، وكَمَنَ حتىٰ نام البواب فأخذ المفاتيح وفتح ليسهل له الهرب.

(٤) لمّا دخل بيته، وكان مظلماً فناداه، فقال: مَن؟ فأهوىٰ بالسيف نحو الصوت فلم يُغن شيئاً، فقالت امرأته: هذا صوت ابن عتيك، فلم يصدّقها، فغيّر ابنُ عتيك صوته وقال: ما هذا الصوت الذي نسمعه؟ فقال: إن رجلاً في البيت ضربني، فأهوىٰ إليه ثانية فلم يصبه، فتوارىٰ ثم أتاه كالمغيث وغيّر صوته، فلما أجابه قتله.

(٥) عندما وقع من فوق السُّلَّم، وكان نظره ضعيفاً.

(٦) في رمضان، وذَكر ابن كثير في البداية والنهاية أنّ هذه السرية كانت في السنة السابعة بعد خيبر.

لِحَرْبِهِ ﷺ، وَبَلَغَهُ ذٰلِكَ، فَوَجَّهَ إِلَيْهِ عَبْدَاللّهِ بْنَ رَوَاحَةَ فِي ثَلاَثِينَ رَجُلاً[1]، فَضَرَبَهُ عَبْدُاللّهِ بْنُ أُنَيْسٍ[2] بِالسَّيْفِ، وَمَالُوا عَلَى أَصْحَابِهِ وَهُمْ ثَلاَثُونَ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ، فَقَتَلُوهُمْ غَيْرَ رَجُلٍ[3]، وَلَمْ يُصَبْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَحَدٌ.

❋ ❋ ❋

[سرية كُرز بن جابر إلىٰ العُرَنيّين]

ثُمَّ سَرِيَّةُ كُرْزِ بْنِ جَابِرٍ الْفِهْرِيِّ[4] إِلَى الْعُرَنِيِّينَ.

فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ نَاساً مِنْ عُكْلٍ وَعُرَيْنَةَ قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَتَكَلَّمُوا بِالإِسْلاَمِ، فَقَالُوا: يَا نَبِيَّ اللّهِ إِنَّا كُنَّا أَهْلَ ضَرْعٍ وَلَمْ نَكُنْ أَهْلَ رِيفٍ، وَاسْتَوْخَمُوا الْمَدِينَةَ[5]، فَأَمَرَ لَهُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِذَوْدٍ[6] وَرَاعٍ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا فِيهِ، فَيَشْرَبُوا مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا، فَانْطَلَقُوا، حَتَّى إِذَا كَانُوا نَاحِيَةَ الْحَرَّةِ[7] كَفَرُوا بَعْدَ إِسْلاَمِهِمْ، وَقَتَلُوا رَاعِيَ النَّبِيِّ ﷺ، وَاسْتَاقُوا الذَّوْدَ، فَبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِيَّ ﷺ، فَبَعَثَ الطَّلَبَ فِي آثَارِهِمْ، فَأَمَرَ بِهِمْ فَسَمَلُوا أَعْيُنَهُمْ[8]، وَقَطَعُوا أَيْدِيَهُمْ، وَتُرِكُوا فِي نَاحِيَةِ الْحَرَّةِ حَتَّى مَاتُوا عَلَى حَالَتِهِمْ.

---

(١) لاستمالته، وعرض عليه أن يقدَم علىٰ رسول الله ﷺ فيولّيه علىٰ خيبر، فأجاب إلىٰ ذلك، وخرج في ثلاثين يهودياً، كل يهودي رديف لمسلم، وفي الطريق ندم أُسَير، وأراد الغدر، فأهوىٰ بيده إلىٰ سيف عبدالله بن رواحة، فقال له: أغدراً يا عدوّ الله...

(٢) الصواب: عبدالله بن رواحة.

(٣) فقد هرب.

(٤) في شوال.

(٥) لم يوافقهم هواؤها.

(٦) ما بين الثنتين إلىٰ التسع من الإبل.

(٧) الأرض ذات الحجارة السوداء، والمدينة تقع بين حرّتين: شرقية، وغربية.

(٨) فقؤوها.

قَالَ أَنَسٌ: إِنَّمَا سَمَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْيُنَهُمْ؛ لأَنَّهُمْ سَمَلُوا أَعْيُنَ الرِّعَاءِ، فَيَكُونُ مَا فُعِلَ بِهِمْ قِصَاصاً.

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ فِي آثَارِهِمْ خَيْلاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، أَمِيرُهُمْ كُرْزُ بْنُ جَابِرٍ الْفِهْرِيُّ.

❊ ❊ ❊

[سرية عمرو بن أمية إلى أبي سفيان]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ بْنِ حَرْبٍ بِمَكَّةَ؛ لأَنَّهُ أَرْسَلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مَنْ يَقْتُلُهُ غَدْراً، فَأَقْبَلَ الرَّجُلُ وَمَعَهُ خَنْجَرٌ لِيَغْتَالَهُ، فَلَمَّا رَآهُ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ هٰذَا لَيُرِيدُ غَدْراً**»، فَجَذَبَهُ أُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ بِدَاخِلَةِ إِزَارِهِ، فَإِذَا بِالْخَنْجَرِ، فَقَالَ ﷺ: «**اصْدُقْنِي مَا أَنْتَ؟**» قَالَ: وَأَنَا آمِنٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَأَخْبَرَهُ بِخَبَرِهِ، فَخَلَّى عَنْهُ النَّبِيُّ ﷺ(١)، وَبَعَثَ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ، وَمَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ أَسْلَمَ إِلَى أَبِي سُفْيَانَ(٢)، وَقَالَ: «**إِنْ أَصَبْتُمَا مِنْهُ غِرَّةً فَاقْتُلاهُ**»، وَمَضَى عَمْرٌو يَطُوفُ بِالْبَيْتِ لَيْلاً، فَرَآهُ مُعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ، فَأَخْبَرَ قُرَيْشاً بِمَكَانِهِ، فَخَافُوهُ وَطَلَبُوهُ، وَكَانَ فَاتِكاً فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَحَشَدَ لَهُ أَهْلُ مَكَّةَ، وَتَجَمَّعُوا، فَهَرَبَ عَمْرٌو وَسَلَمَةُ، فَلَقِيَ عَمْرٌو عُبَيْدَاللَّهِ بْنَ مَالِكٍ التَّيْمِيَّ، فَقَتَلَهُ وَقَتَلَ آخَرَ، وَلَقِيَ رَسُولَيْنِ لِقُرَيْشٍ بَعَثَتْهُمَا يَتَجَسَّسَانِ الْخَبَرَ، فَقَتَلَ أَحَدَهُمَا، وَأَسَرَ الآخَرَ فَقَدِمَ بِهِ الْمَدِينَةَ، فَجَعَلَ عَمْرٌو يُخْبِرُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَبَرَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَضْحَكُ.

❊ ❊ ❊

---

(١) فأسلم.

(٢) وذلك في شوال.

أَمْرُ الحُدَيْبِيَةِ

وَهِيَ قَرْيَةٌ عَلَى تِسْعَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ(١)، خَرَجَ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ هِلاَلَ ذِي الْقَعْدَةِ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ لِلْعُمْرَةِ، وَخَرَجَ مَعَهُ زَوْجَتُهُ(٢) أُمُّ سَلَمَةَ، فِي أَلْفٍ وَأَرْبَعِ مِئَةٍ بِلاَ سِلاَحٍ إِلاَّ سِلاَحَ الْمُسَافِرِ السُّيُوفُ فِي الْقُرُبِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ(٣).

فَلَمَّا كَانَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ قَلَّدَ الْهَدْيَ(٤)، وَأَشْعَرَ(٥)، وَأَحْرَمَ مِنْهَا بِعُمْرَةٍ، وَبَعَثَ عَيْناً لَهُ(٦) مِنْ خُزَاعَةَ، وَسَارَ حَتَّى كَانَ بِغَدِيرِ الأَشْطَاطِ أَتَاهُ عَيْنُهُ فَقَالَ: إِنَّ قُرَيْشاً جَمَعُوا لَكَ جُمُوعاً، وَهُمْ مُقَاتِلوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ وَمَانِعُوكَ، فَقَالَ: «**أَشِيرُوا عَلَيَّ أَيُّهَا النَّاسُ، أَتَرَوْنَ أَنْ أَمِيلَ إِلَى عِيَالِهِمْ وَذَرَارِي هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَصُدُّونَا عَنِ الْبَيْتِ؟**» فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ خَرَجْتَ عَامِداً لِهٰذَا الْبَيْتِ لاَ تُرِيدُ قَتْلَ أَحَدٍ، وَلاَ حَرْبَ أَحَدٍ، فَتَوَجَّهْ لَهُ، فَمَنْ صَدَّنَا عَنْهُ قَاتَلْنَاهُ، قَالَ: «**امْضُوا عَلَى اسْمِ اللَّهِ**». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً قَطُّ كَانَ أَكْثَرَ مُشَاوَرَةً لأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَسَارَ النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى إِذَا كَانَ بِالثَّنِيَّةِ(٧) الَّتِي يُهْبَطُ عَلَيْهِمْ مِنْهَا(٨)،

---

(١) ١٥ كيْلاً.

(٢) الأفصح: زوجه.

(٣) بل نُمَيْلة بن عبدالله الليثي، كما في سيرة ابن هشام، وسيرة أبي شهبة، والبداية والنهاية لابن كثير.

(٤) جعل في عنقه شيئاً يُعلَم به أنه هدي لفقراء الحرَم.

(٥) شقّ جلد الهدي، وأظهر دمه حتىٰ يُعلَم أنه هدي.

(٦) جاسوساً.

(٧) بالمنعطف.

(٨) من جهة الحديبية.

بَرَكَتْ رَاحِلَتُهُ، فَقَالَ النَّاسُ: حَلْ حَلْ[1]، فَأَلَحَّتْ (يَعْنِي: تَمَادَتْ عَلَى عَدَمِ الْقِيَامِ)، فَقَالُوا: خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ (أَيْ: حَرَنَتْ)، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«مَا خَلأَتِ الْقَصْوَاءُ، وَمَا ذَاكَ لَهَا بِخُلُقٍ، وَلٰكِنْ حَبَسَهَا حَابِسُ الْفِيلِ»** (أَيْ: حَبَسَهَا اللّٰهُ عَنْ دُخُولِ مَكَّةَ، كَمَا حَبَسَ الْفِيلَ عَنْ دُخُولِهَا)، لأَنَّ الصَّحَابَةَ لَوْ دَخَلُوهَا وَصَدَّتْهُمْ قُرَيْشٌ لَوَقَعَ بَيْنَهُمُ الْقِتَالُ وَسَفْكُ الدِّمَاءِ، وَلٰكِنْ سَبَقَ فِي عِلْمِ اللّٰهِ أَنَّهُ سَيَدْخُلُ فِي الإِسْلاَمِ مِنْهُمْ خَلْقٌ كَثِيرٌ، وَيُسْتَخْرَجُ مِنْ أَصْلاَبِهِمْ نَاسٌ يُسْلِمُونَ وَيُجَاهِدُونَ، ثُمَّ قَالَ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَسْأَلُونِي خُطَّةً يُعَظِّمُونَ فِيهَا حُرُمَاتِ اللّٰهِ إِلاَّ أَعْطَيْتُهُمْ إِيَّاهَا»**، ثُمَّ زَجَرَهَا فَوَثَبَتْ، فَعَدَلَ عَنْهُمْ، حَتَّى نَزَلَ بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ عَلَى ثَمَدٍ ـ أَيْ: قَلِيلٍ مِنَ الْمَاءِ ـ فَنَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ: فَوَاللّٰهِ مَا زَالَ يَجِيشُ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ[2].

فَبَيْنَمَا هُمْ كَذٰلِكَ إِذْ جَاءَ بُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ الْخُزَاعِيُّ فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِهِ، وَكَانُوا عَيْبَةَ نُصْحٍ[3] لِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، فَقَالَ: إِنِّي تَرَكْتُ كَعْبَ بْنَ لُؤَيٍّ وَعَامِرَ بْنَ لُؤَيٍّ نَزَلُوا أَعْدَادَ مِيَاهِ الْحُدَيْبِيَةِ[4]، وَهُمْ مُقَاتِلُوكَ وَصَادُّوكَ عَنِ الْبَيْتِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«إِنَّا لَمْ نَجِئْ لِقِتَالِ أَحَدٍ، وَلٰكِنَّا جِئْنَا مُعْتَمِرِينَ، وَإِنَّ قُرَيْشاً قَدْ نَهَكَتْهُمُ الْحَرْبُ وَأَضَرَّتْ بِهِمْ، فَإِنْ شَاؤُوا مَادَدْتُهُمْ مُدَّةً، وَيُخَلُّوا بَيْنِي وَبَيْنَ النَّاسِ، فَإِنْ أَظْهَرْ فَإِنْ شَاؤُوا أَنْ يَدْخُلُوا فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ فَعَلُوا، وَإِلاَّ فَقَدْ جَمُّوا** ـ يَعْنِي: اسْتَرَحُوا ـ، **وَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَوَالَّذِي**

---

(١) كلمة تقال للناقة إذا تَركت السير.

(٢) تركوه.

(٣) موضع سِرّ.

(٤) ماؤها الكثير الجاري.

نَفسِي بِيَدِهِ لأُقَاتِلَنَّهُمْ عَلَى أَمْرِي هٰذَا حَتَّى تَنفَرِدَ سَالِفَتِي[١]، وَلَيُنفِذَنَّ اللّهُ أَمْرَهُ» فَقَالَ بُدَيْلٌ: سَأُبَلِّغُهُمْ مَا تَقُولُ.

فَانطَلَقَ حَتَّى أَتَى قُرَيْشاً فَحَدَّثَهُمْ بِمَا قَالَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ[٢]: قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ، اقْبَلُوهَا وَدَعُونِي آتِهِ، فَأَتَاهُ، فَجَعَلَ يُكَلِّمُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ نَحْواً مِنْ قَوْلِهِ لِبُدَيْلٍ، وَجَعَلَ عُرْوَةُ يَرْمُقُ أَصْحَابَ النَّبِيِّ ﷺ بِعَيْنِهِ، فَقَالَ: وَاللّهِ مَا تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ أَمْراً ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيماً لَهُ، فَرَجَعَ عُرْوَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ: أَيْ قَوْمِ! وَاللّهِ لَقَدْ وَفَدْتُ عَلَى الْمُلُوكِ، وَوَفَدْتُ عَلَى كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَالنَّجَاشِيِّ، وَاللّهِ مَا رَأَيْتُ مَلِكاً قَطُّ يُعَظِّمُهُ أَصْحَابُهُ مَا يُعَظِّمُ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ مُحَمَّداً، وَاللّهِ مَا تَنَخَّمَ نُخَامَةً إِلاَّ وَقَعَتْ فِي كَفِّ رَجُلٍ مِنْهُمْ فَدَلَكَ بِهَا وَجْهَهُ وَجِلْدَهُ، وَإِذَا أَمَرَهُمْ أَمْراً ابْتَدَرُوا أَمْرَهُ، وَإِذَا تَوَضَّأَ كَادُوا يَقْتَتِلُونَ عَلَى وَضُوئِهِ، وَإِذَا تَكَلَّمَ خَفَضُوا أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَهُ، وَمَا يُحِدُّونَ النَّظَرَ إِلَيْهِ تَعْظِيماً لَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ عَرَضَ عَلَيْكُمْ خُطَّةَ رُشْدٍ فَاقْبَلُوهَا.

ثُمَّ دَعَتْ قُرَيْشٌ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو، فَقَالُوا: اذْهَبْ إِلَى هٰذَا الرَّجُلِ فَصَالِحْهُ، فَقَالَ ﷺ: **«قَدْ أَرَادَتْ قُرَيْشٌ الصُّلْحَ حِينَ بَعَثَتْ هٰذَا»**، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ جَرَى بَيْنَهُمَا الْقَوْلُ، حَتَّى وَقَعَ بَيْنَهُمَا الصُّلْحُ عَلَى أَنْ يُوضَعَ الْحَرْبُ بَيْنَهُمْ عَشْرَ سِنِينَ، وَأَنْ يَأْمَنَ بَعْضُهُمْ بَعْضاً، وَأَنْ يَرْجِعَ عَنْهُمْ عَامَهُمْ هٰذَا، وَعَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيهِ مِنْهُمْ رَجُلٌ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِهِ إِلاَّ رَدَّهُ إِلَيْهِمْ[٣].

وَكَتَبَ فِي ذٰلِكَ كِتَاباً.

---

(١) السالفة: جانب العنق، وهما سالفتان.

(٢) الثقفي سيدُ أهل الطائف.

(٣) ورابع الشروط: مَن أراد أن يدخل في عهد محمد ﷺ من غير قريش دخل فيه، ومَن أراد أن يدخل في عهد قريش دخل فيه.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الحِكْمَةُ فِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَافَقَ سُهَيْلاً عَلَى أَنَّهُ لاَ يَأْتِيهِ رَجُلٌ مِنْهُمْ وَإِنْ كَانَ عَلَى دِينِ الإِسْلاَمِ إِلاَّ وَيَرُدُّهُ إِلَى الْمُشْرِكِينَ؟

فَالْجَوَابُ: أَنَّ الْمَصْلَحَةَ الْمُرَتَّبَةَ عَلَى إِتْمَامِ هٰذَا الصُّلْحِ مَا ظَهَرَ مِنْ ثَمَرَاتِهِ الْبَاهِرَةِ، وَفَوَائِدِهِ الْمُتَظَاهِرَةِ الَّتِي كَانَتْ عَاقِبَتُهَا فَتْحَ مَكَّةَ، وَإِسْلاَمَ أَهْلِهَا كُلِّهِمْ، وَدُخُولَ النَّاسِ فِي دِينِ اللّٰهِ أَفْوَاجاً، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَبْلَ الصُّلْحِ لَمْ يَكُونُوا يَخْتَلِطُونَ بِالْمُسْلِمِينَ، وَلاَ تَظْهَرُ عِنْدَهُمْ أُمُورُ النَّبِيِّ ﷺ كَمَا هِيَ، وَلاَ يَخْلُونَ بِمَنْ يُعْلِمُهُمْ بِهَا مُفَصَّلَةً، فَلَمَّا حَصَلَ صُلْحُ الْحُدَيْبِيَةِ اخْتَلَطُوا بِالْمُسْلِمِينَ، وَجَاؤُوا إِلَى الْمَدِينَةِ، وَذَهَبَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى مَكَّةَ، وَخَلَوْا بِأَهْلِيهِمْ وَأَصْدِقَائِهِمْ وَغَيْرِهِمْ، وَسَمِعُوا مِنْهُمْ أَحْوَالَ النَّبِيِّ ﷺ وَمُعْجِزَاتِهِ الظَّاهِرَةَ، وَأَعْلاَمَ نُبُوَّتِهِ الْمُتَظَاهِرَةَ، وَحُسْنَ سِيرَتِهِ، وَجَمِيلَ طَرِيقَتِهِ، وَعَايَنُوا بِأَنْفُسِهِمْ كَثِيراً مِنْ ذٰلِكَ، فَمَالَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَى الإِيمَانِ حَتَّى بَادَرَ خَلْقٌ مِنْهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ قَبْلَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَأَسْلَمُوا بَيْنَ صُلْحِ الْحُدَيْبِيَةِ وَفَتْحِ مَكَّةَ، وَازْدَادَ الآخَرُونَ مَيْلاً إِلَى الإِسْلاَمِ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ أَسْلَمُوا كُلُّهُمْ، لِمَا كَانَ قَدْ تَمَهَّدَ لَهُمْ مِنَ الْمَيْلِ، وَكَانَتِ الْعَرَبُ مِنْ غَيْرِ قُرَيْشٍ يَنْتَظِرُونَ بِإِسْلاَمِهِمْ إِسْلاَمَ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا أَسْلَمَتْ أَسْلَمُوا، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١ وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا ۝٢﴾[1]، فَاللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ.

وَبَعَثَ ﷺ بِالْكِتَابِ إِلَيْهِمْ مَعَ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، وَأَمْسَكَ سُهَيْلَ بْنَ عَمْرٍو عِنْدَهُ، فَأَمْسَكَ الْمُشْرِكُونَ عُثْمَانَ، فَغَضِبَ الْمُسْلِمُونَ، وَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّ عُثْمَانَ قَدْ قُتِلَ، فَدَعَا النَّاسَ إِلَى بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ تَحْتَ الشَّجَرَةِ عَلَى الْمَوْتِ، وَقِيلَ: عَلَى أَنْ لاَ يَفِرُّوا، وَوَضَعَ ﷺ شِمَالَهُ فِي يَمِينِهِ وَقَالَ: «**هٰذِهِ عَنْ عُثْمَانَ**»، وَلَمَّا سَمِعَ بِهٰذِهِ الْبَيْعَةِ الْمُشْرِكُونَ خَافُوا، وَبَعَثُوا بِعُثْمَانَ وَجَمَاعَةٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ. وَفِي هٰذِهِ الْبَيْعَةِ نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ

---

(١) سورة النصر.

﴿يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾(١) وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

وَحلَقَ النَّاسُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَنَحَرُوا هَدَايَاهُمْ بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَأَقَامَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالْحُدَيْبِيَةِ بِضْعَةَ عَشَرَ يَوْماً، وَقِيلَ: عِشْرِينَ، ثُمَّ قَفَلَ وَفِي نُفُوسِ بَعْضِهِمْ شَيْءٌ، فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى سُورَةَ الْفَتْحِ يُسَلِّيهِمْ بِهَا وَيُذَكِّرُهُمْ نِعَمَهُ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَأَنَسٌ وَالْبَرَاءُ بْنُ عَازِبٍ: الْفَتْحُ هُنَا فَتْحُ الْحُدَيْبِيَةِ وَوُقُوعُ الصُّلْحِ(٣).

ثُمَّ رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ.

❊ ❊ ❊

[السنة السابعة]
غَزْوَةُ خَيْبَرَ

وَهِيَ مَدِينَةٌ كَبِيرَةٌ ذَاتُ حُصُونٍ(٤) وَمَزَارِعَ(٥)، عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرُدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ(٦) إِلَى جِهَةِ الشَّامِ.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ١٠.
(٢) سورة الفتح، الآية: ١٨.
(٣) أما مكاسب المسلمين من الصلح فهي:
١ ـ اعتراف قريش بالمسلمين.
٢ ـ تفرُّغ المسلمين إلىٰ تبليغ دعوتهم.
٣ ـ أكسَبَ الصلح المسلمين الحق في زيارة البيت الحرام.
(٤) ثمانية.
(٥) لليهود، وفيهم مَن نزح من يهود بني النضير، وهم من أشد الطوائف اليهودية بأساً وأكثرها مالاً، وأوفرها سلاحاً، وكان عددهم عشرة آلاف، وكانوا أعظم مهيّج للأحزاب في غزوة الخندق.
(٦) وهي تعادل ١٦٥ كيلو متراً.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: خَرَجَ ﷺ فِي بَقِيَّةِ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ سَبْعٍ، فَأَقَامَ يُحَاصِرُهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً إِلَى أَنْ فَتَحَهَا، وَكَانَ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَلْفٌ وَأَرْبَعُ مِئَةِ رَاجِلٍ وَمِئَتَا فَارِسٍ، وَمَعَهُ أُمُّ سَلَمَةَ زَوْجَتُهُ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّهُ ﷺ أَتَى خَيْبَرَ لَيْلاً، وَكَانَ إِذَا أَتَى قَوْماً بِلَيْلٍ لَمْ يَغْزُهُمْ(١) حَتَّى يُصْبِحَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ خَرَجَتِ الْيَهُودُ بِمَسَاحِيهِمْ(٢) وَمَكَاتِلِهِمْ(٣)، فَلَمَّا رَأَوْهُ ﷺ قَالُوا: مُحَمَّدٌ وَاللّهِ، مُحَمَّدٌ وَالخَمِيسُ ـ أَيْ: الْجَيْشُ ـ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«خَرِبَتْ خَيْبَرُ، إِنَّا إِذَا نَزَلْنَا بِسَاحَةِ قَوْمٍ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ»**، وَفِي رِوَايَةٍ فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ: **«اللّهُ أَكْبَرُ، خَرِبَتْ خَيْبَرٌ»**، وَفَرَّقَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الرَّايَاتِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: وَكَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ تَخَلَّفَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَ رَمِداً، فَلَحِقَ، قَالَ رَاوِيهِ: فَلَمَّا بِتْنَا اللَّيْلَةَ الَّتِي فُتِحَتْ قَالَ: **«لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ، يَفْتَحُ اللّهُ عَلَى يَدَيْهِ»**، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا، فَقَالَ: **«أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»** فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: **«فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ»**، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ، فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ، فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا؟ فَقَالَ: **«انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ** ـ أَيْ: هِينَتِكَ ـ **حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّهِ فِيهِ، فَوَاللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ»**.

---

(١) في المواهب والبخاري: لم يقْرَبْهم.

(٢) المسحاة: أداةٌ لجرف التراب.

(٣) المِكتل: وعاء يُعمل من ورَق النخيل.

وَفِي رِوَايَةٍ[1]: أَنَّ عَلِيًّا قَلَعَ بَابَ خَيْبَرَ، وَلَمْ يُحَرِّكْهُ سَبْعُونَ رَجُلاً إِلاَّ بَعْدَ الْجُهْدِ.

وَقَاتَلَ ﷺ أَهلَ خَيْبَرَ، وَقَاتَلُوهُ أَشَدَّ الْقِتَالِ، وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَمْسَةَ عَشَرَ، وَقُتِلَ مِنَ الْيَهُودِ ثَلاَثَةٌ وَتِسْعُونَ، وَفَتَحَهَا اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ حِصْناً حِصْناً[2]، وَأَخَذَ كَنْزَ آلِ أَبِي الْحُقَيْقِ الَّذِي كَانَ فِي مَسْكِ الْحِمَارِ ـ أَيْ: جِلْدِهِ ـ وَكَانُوا قَدْ غَيَّبُوهُ فِي خَرِبَةٍ، فَدَلَّ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ عَلَيْهِ فَاسْتَخْرَجَهُ.

وَتَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِصَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيِّ بْنِ أَخْطَبَ[3]، وَكَانَ قَدْ قُتِلَ زَوْجُهَا كِنَانَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَكَانَتْ عَرُوساً، فَذُكِرَ لَهُ جَمَالُهَا[4]، فَاصْطَفَاهَا لِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ بَعْدَ أَنْ أَعْتَقَهَا، فَصَارَتْ مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَكَانَتْ قَدْ رَأَتْ أَنَّ الْقَمَرَ سَقَطَ فِي حِجْرِهَا، فَتُؤُوِّلَ بِذٰلِكَ[5].

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي عُبَيْدٍ قَالَ: رَأَيْتُ أَثَرَ ضَرْبَةٍ بِسَاقِ سَلَمَةَ، فَقُلْتُ: مَا هٰذِهِ الضَّرْبَةُ؟ قَالَ: هٰذِهِ ضَرْبَةٌ أَصَابَتْهَا يَوْمَ خَيْبَرَ، فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَنَفَثَ فِيهَا ثَلاَثَ نَفَثَاتٍ فَمَا اشْتَكَيْتُهَا حَتَّى السَّاعَةِ.

وَفِي هٰذِهِ الْغَزْوَةُ سَمَّتِ الْيَهُودِيَّةُ زَيْنَبُ بِنْتُ الْحَارِثِ شَاةً مَصْلِيَّةً ـ أَيْ: مَشْوِيَّةً ـ ثُمَّ أَهْدَتْهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَكَلَ مِنْهَا، وَأَكَلَ رَهْطٌ مِنْ أَصْحَابِهِ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«ارْفَعُوا أَيْدِيَكُمْ»**، وَأَرْسَلَ إِلَى الْيَهُودِيَّةِ، فَقَالَ:

---

(١) واهية كما ذكر ذلك السخاوي في كتابه: المقاصد الحسنة.

(٢) حتىٰ استسلموا طالبين حَقْن دمائهم، وأن يخرجوا بذراريهم، فأجابهم الرسول ﷺ إلىٰ ذلك، فلما أراد إجلاءهم سألوه أن يقرّهم علىٰ أن يعملوا في الأرض ولهم نصف الثمر فقال لهم: **«نقرُّكم علىٰ ذلك ما شئنا»** رواه البخاري.

(٣) سيد بني النضير.

(٤) وأنها سيدةُ قومها، وقالوا: ما تصلح إلا لك.

(٥) وقد ذَكرت ذلك لأمها فلطمتْ وجهها وقالت: إنك لتمدّين عنقك إلىٰ أن تكوني عند مَلِك العرب.

«سَمَمْتِ هٰذِهِ الشَّاةِ؟» فَقَالَتْ: مَنْ أَخْبَرَكَ؟ قَالَ: «أَخْبَرَتْنِي هٰذِهِ فِي يَدِي» لِلذِّرَاعِ، فَقَالَتْ: نَعَمْ، قُلْتُ: إِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلَنْ يَضُرَّهُ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا اسْتَرَحْنَا مِنْهُ، فَعَفَا عَنْهَا ﷺ، وَلَمْ يُعَاقِبْهَا. وَتُوُفِّيَ أَصْحَابُهُ الَّذِينَ أَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ وَفِيهِمْ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، فَدَفَعَ ﷺ الْيَهُودِيَّةَ إِلَى أَوْلِيَائِهِ، فَقَتَلُوهَا بِهِ قِصَاصاً، وَاحْتَجَمَ ﷺ عَلَى كَاهِلِهِ(١).

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ وَادِي الْقُرَىٰ(٢)

فِي جُمَادَى الآخِرَةِ بَعْدَمَا أَقَامَ بِهَا ﷺ أَرْبَعاً يُحَاصِرُهُمْ(٣).

❋ ❋ ❋

[صلح تيماء]

وَصَالَحَهُ أَهْلُ تَيْمَاءَ(٤) عَلَى الْجِزْيَةِ.

❋ ❋ ❋

---

(١) بين كتفيه، ولم يزَل أثر هذا السُّمّ يعاود النبي ﷺ كل عام حتىٰ اختاره الله لجِواره شهيداً، ففي البخاري: **«ما زالت أكلة خيبر تعاودني حتىٰ قطعت أبهري»** [والأبهر: عِرْق متصل بالقلب].

[فتح فدَك]

وبعد تمام الفتح أرسل ﷺ مَن يطلب من يهود فدَك (وهو حصن قريب من خيبر) الانقياد والطاعة، فصالحوا رسول الله ﷺ أن يحفظ دماءهم ويتركوا الأموال، ثم عامَلَهم علىٰ الأرض بنصف ما يخرج منها.

(٢) شمال المدينة، كان يسكنه يهود.

(٣) فأبَوا الاستسلام وقاتلوا، فقاتلهم المسلمون، وأصابوا منهم أحد عشر رجلاً، وغنموا منهم مغانم كثيرة، وترك النبي ﷺ الأرض في أيديهم يزرعونها بشطر ما يُخرِجون منها.

(٤) وهي قرية علىٰ بُعد ٤٠٠ كَيْلاً شمال المدينة، كان يسكنها يهود.

[سرية عمر بن الخطاب إلىٰ تُربة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى تُرْبَةَ[(١)] فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ، وَمَعَهُ ثَلاثُونَ رَجُلاً، فَخَرَجَ مَعَهُ دَلِيلٌ مِنْ بَنِي هِلاَلٍ، فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ، فَأَتَى الْخَبَرُ إِلَى هَوَازِنَ فَهَرَبُوا، وَجَاءَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى مَحَالِّهِمْ، فَلَمْ يَلْقَ مِنْهُمْ أَحَداً، فَانْصَرَفَ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ.

❋ ❋ ❋

[سرية أبي بكر الصدّيق إلىٰ فَزارة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى فَزَارَةَ نَاحِيَةَ ضَرِيَّةِ[(٢)] فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ، فَسَبَى مِنْهُمْ جَمَاعَةً، وَقَتَلَ آخَرِينَ.

❋ ❋ ❋

[سرية بشير بن سعد إلىٰ بني مُرّة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ الأَنْصَارِيِّ إِلَى بَنِي مُرَّةَ بِفَدَكٍ[(٣)] فِي شَعْبَانَ سَنَةَ سَبْعٍ، وَمَعَهُ ثَلاثُونَ رَجُلاً[(٤)]، فَقُتِلُوا، وَقَاتَلَ بَشِيرٌ حَتَّى ارْتُثَّ[(٥)]، وَقَدِمَ ابْنُ زَيْدٍ الْحَارِثِيُّ بِخَبَرِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَدِمَ بَعْدَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ.

❋ ❋ ❋

---

(١) وهو واد علىٰ بُعد ٢٠٠ كَيْلاً شرق مكة تجمّع فيه جمع من هوازن، وأظهروا العداوة للمسلمين.

(٢) قِبَل نجد.

(٣) شمال المدينة علىٰ بُعد ١٠٠كم.

(٤) فلما ورد بلادهم لم يرَ منهم أحداً، فأخذ إبلهم، فأدركوه وهو راجع.

(٥) حمل جريحاً وبه رمَق.

[سرية غالب بن عبدالله إلى المَيفعة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِاللّهِ اللَّيْثِيِّ إِلَى الْمَيْفَعَةِ بِنَاحِيَةِ نَجْدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى ثَمَانِيَةِ بُرُدٍ[1] فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، فِي مِئَتَيْنِ وَثَلاَثِينَ رَاجِلاً، فَهَجَمُوا عَلَيْهِمْ فِي وَسْطِ مَحَالِّهِمْ، فَقَتَلُوا مَنْ أَشْرَفَ لَهُمْ، وَاسْتَاقُوا نَعَماً وَشَاءً[2] إِلَى الْمَدِينَةِ.

قَالُوا: وَفِي هٰذِهِ السَّرِيَّةِ قَتَلَ أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ نَهِيكَ بْنَ مِرْدَاسٍ[3] بَعْدَ أَنْ قَالَ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَلاَ شَقَقْتَ عَنْ قَلْبِهِ فَتَعْلَمَ أَصَادِقٌ أَمْ كَاذِبٌ؟**» فَقَالَ أُسَامَةُ: لاَ أُقَاتِلُ أَحَداً يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي ظَبْيَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ يَقُولُ: بَعَثَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِلَى الْحُرَقَةِ، فَصَبَّحْنَا الْقَوْمَ، فَهَزَمْنَاهُمْ، وَلَحِقْتُ أَنَا وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ رَجُلاً مِنْهُمْ، فَلَمَّا غَشِينَاهُ قَالَ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، فَكَفَّ الأَنْصَارِيُّ عَنْهُ، وَطَعَنْتُهُ بِرُمْحِي حَتَّى قَتَلْتُهُ، فَلَمَّا قَدِمْنَا بَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**يَا أُسَامَةُ! أَقَتَلْتَهُ بَعْدَمَا قَالَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ؟**»، قُلْتُ: كَانَ مُتَعَوِّذاً، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنِّي لَمْ أَكُنْ أَسْلَمْتُ قَبْلَ ذٰلِكَ الْيَوْمِ.

❋ ❋ ❋

[سرية بشير بن سعد إلَى يُمْن وَجَبَار]

ثُمَّ سَرِيَّةُ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ الأَنْصَارِيِّ أَيْضاً إِلَى يُمْنٍ وَجَبَارٍ، (وَهِيَ أَرْضٌ لِغَطَفَانَ)، فِي شَوَّالٍ سَنَةَ سَبْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَبَعَثَ ﷺ مَعَهُ ثَلاثَ مِئَةِ رَجُلٍ،

---

(١) ١٦٥كم.

(٢) إبلاً وغنماً.

(٣) بل مرداس بن نَهيك، كما في فتح الباري.

لِجَمْعٍ تَجَمَّعُوا لِلإِغَارَةِ عَلَى الْمَدِينَةِ[1]، فَسَارُوا اللَّيْلَ، وَكَمَنُوا النَّهَارَ، فَلَمَّا بَلَغَهُمْ مَسِيرُ بَشِيرٍ هَرَبُوا، وَأَصَابَ لَهُمْ نَعَماً كَثِيرَةً، فَغَنِمَهَا وَأَسَرَ رَجُلَيْنِ، وَقَدِمَ بِهِمَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَأَسْلَمَا.

❋ ❋ ❋

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ[2]

قَالَ الْحَاكِمُ فِي الإِكْلِيلِ: تَوَاتَرَتِ الأَخْبَارُ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا هَلَّ ذُو الْقَعْدَةِ (يَعْنِي: سَنَةَ سَبْعٍ)، أَمَرَ أَصْحَابَهُ أَنْ يَعْتَمِرُوا قَضَاءً لِعُمْرَتِهِمُ الَّتِي صَدَّهُمُ الْمُشْرِكُونَ عَنْهَا بِالْحُدَيْبِيَةِ، وَأَنْ لاَ يَتَخَلَّفَ أَحَدٌ مِمَّنْ شَهِدَ الْحُدَيْبِيَةَ، فَلَمْ يَتَخَلَّفْ مِنْهُمْ إِلاَّ رِجَالٌ اسْتُشْهِدُوا بِخَيْبَرَ، وَرِجَالٌ مَاتُوا.

وَخَرَجَ مَعَهُ ﷺ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَلْفَانِ، وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ أَبا رُهْم الْغِفَارِيَّ، وَسَاقَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ سِتِّينَ بَدَنَةً، وَحَمَلَ السِّلاَحَ وَالْبَيْضَ[3] وَالدُّرُوعَ وَالرِّمَاحَ[4]، وَقَادَ مِئَةَ فَرَسٍ، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى ذِي الْحُلَيْفَةِ قَدَّمَ الْخَيْلَ أَمَامَهُ عَلَيْهَا مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَقَدَّمَ السِّلاَحَ وَاسْتَعْمَلَ عَلَيْهِ بَشِيرَ بْنَ سَعْدٍ.

وَأَحْرَمَ ﷺ وَلَبَّىٰ، وَالْمُسْلِمُونَ يُلَبُّونَ مَعَهُ، وَمَضَى مُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ فِي الْخَيْلِ إِلَى مَرِّ الظَّهْرَانِ، فَوَجَدَ نَفَراً مِنْ قُرَيْشٍ، فَسَأَلُوهُ، فَقَالَ: هٰذَا

---

(١) بقيادة عُيينة بنِ حصين.
(٢) سُمّيت بذلك لأن الرسول ﷺ قاضىٰ فيها قريشاً ـ أي: صالحهم ـ وليست قضاء عن العمرة التي صُدَّ عنها، لأنها لم تلزم في الذمة، فلا يجب قضاؤها، والمحصَر يرجع أمره كما كان قبل الإحرام، فإن أُحصِر في حجة الإسلام بقيت في ذمّته، وإن أُحصر في تطوع لم يلزمه شيء.
(٣) بفتح الباء، جمع بَيضة (وهي الخُوذة)، أما البِيض بكسر الباء فجمع أبيض (وهو السيف).
(٤) حذراً من غدر قريش.

رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصَبِّحُ هٰذَا الْمَنْزِلَ غَداً إِنْ شَاءَ اللّهُ، فَأَتَوْا قُرَيْشاً فَأَخْبَرُوهُمْ، فَفَزِعُوا[١].

وَنَزَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمَرِّ الظَّهْرَانِ، وَقَدَّمَ السِّلاَحَ إِلَى بَطْنِ يَاجِجِ ـ مَوْضِعٌ بِقُرْبِ مَكَّةَ ـ وَخَلَّفَ عَلَيْهِ أَوْسَ بْنَ خَوَلِّي الأَنْصَارِيَّ فِي مِئَتَيْ رَجُلٍ.

وَخَرَجَتْ قُرَيْشٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى رُؤُوسِ الْجِبَالِ[٢].

وَقَدَّمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْهَدْيَ أَمَامَهُ، فَحُبِسَ[٣] بِذِي طُوَى، وَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى رَاحِلَتِهِ الْقَصْوَاءِ، وَالْمُسْلِمُونَ مُتَوَشِّحُونَ السُّيُوفَ مُحْدِقُونَ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ يُلَبُّونَ، فَدَخَلَ مِنَ الثَّنِيَّةِ[٤] الَّتِي تُطْلِعُهُ عَلَى الْحَجُونِ[٥] وَابْنُ رَوَاحَةَ آخِذٌ بِزِمَامِ رَاحِلَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ ... الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
ضَرْباً يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ ... وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ! بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ تَقُولُ شِعْراً؟ فَقَالَ ﷺ: «**خَلِّ عَنْهُ يَا عُمَرُ، فَلَهِيَ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ النَّبْلِ**».

وَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى اسْتَلَمَ الرُّكْنَ بِمِحْجَنِهِ[٦] مُضْطَبِعاً

---

(١) وجاءه فِتيان منهم وقالوا: والله يا محمد ما عُرِفْتَ بالغدر صغيراً ولا كبيراً، وإنا لم نُحدِث حَدَثاً، فقال: «**إنا لا ندخل الحرم بالسلاح**».
(٢) كارهة رؤية المسلمين يطوفون بالبيت.
(٣) تُرِك.
(٤) المنعطف.
(٥) وهو جبل بأعلىٰ مكة، بالقرب من مقبرتها.
(٦) المِحجن: عصا معوجّة الرأس.

بِثَوْبِهِ، وَطَافَ عَلَى رَاحِلَتِهِ[١] وَالْمُسْلِمُونَ يَطُوفُونَ مَعَهُ وَقَدِ اضْطَبَعُوا بِثِيَابِهِمْ (وَالاضْطِبَاعُ: أَنْ يُدْخِلَ الرِّدَاءَ تَحْتَ إِبْطِهِ الأَيْمَنِ، وَيَرُدُّ طَرَفَهُ عَلَى يَسَارِهِ، وَيُبْدِي مَنْكِبَهُ الأَيْمَنَ، وَيُغَطِّي الأَيْسَرَ).

وَفِي الْبُخَارِيِّ: قَالَ الْمُشْرِكُونَ: إِنَّهُ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَفْدٌ وَهَنَتْهُمْ حُمَّىٰ يَثْرِبَ[٢]، فَأَمَرَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ أَنْ يَرْمُلُوا الأَشْوَاطَ الثَّلاثَةَ[٣]، وَأَنْ يَمْشُوا مَا بَيْنَ الرُّكْنَيْنِ. وَفِي رِوَايَةٍ: قَالَ: «**ارْمُلُوا**»، لِيُرِيَ الْمُشْرِكِينَ قُوَّتَهُمْ.

ثُمَّ طَافَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ عَلَى رَاحِلَتِهِ، فَلَمَّا كَانَ الطَّوَافُ السَّابِعُ عِنْدَ فَرَاغِهِ وَقَدْ وَقَفَ الْهَدْيَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ قَالَ: «**هٰذَا الْمَنْحَرُ، وَكُلُّ فِجَاجِ مَكَّةَ مَنْحَرٌ**»، فَنَحَرَ عِنْدَ الْمَرْوَةِ، وَحَلَقَ هُنَاكَ، وَكَذٰلِكَ فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ.

وَأَمَرَ ﷺ نَاساً مِنْهُمْ أَنْ يَذْهَبُوا إِلَى أَصْحَابِهِ بِبَطْنِ يَاجِجٍ فَيُقِيمُوا عَلَى السِّلاحِ، وَيَأْتِي الآخَرُونَ فَيَقْضُوا نُسُكَهُمْ، فَفَعَلُوا، وَأَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ ثَلاثاً، فَلَمَّا مَضَى الأَجَلُ أَتَى الْمُشْرِكُونَ عَلِيًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالُوا: قُلْ لِصَاحِبِكَ: اخْرُجْ عَنَّا فَقَدْ مَضَى الأَجَلُ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ[٤].

❊ ❊ ❊

(١) وهذا ليس بصحيح كما قال أبو شهبة في السيرة النبوية، وإنما كان ذلك في حِجّة الوداع، أما في عمرة القضية فطاف مهرولاً، كما ثبت ذلك في الأحاديث الصحاح.

(٢) المدينة.

(٣) تتمة الرواية: ولم يمنعه أن يرملوا الأشواط كلها إلا الإبقاء عليهم ـ أي: الرفق بهم ـ.

(٤) وعقد ﷺ وهو بمكة علىٰ ميمونة بنت الحارث الهلالية أختِ أم الفضل لبابة الكبرىٰ زوجِ عمه العباس، وكانت جعلت أمرها إلىٰ أختها أم الفضل بعد أن مات عنها زوجها، فجعلت أُمُّ الفضل أمرها إلىٰ زوجها العباس، فعرضها العباس علىٰ رسول الله ﷺ فقبِلها ليأتلف قلبه فيُسلِم.

[سرية ابن أبي العَوجاء إلىٰ بني سُلَيم]

ثُمَّ سَرِيَّةُ ابْنِ أَبِي الْعَوْجَاءِ السُّلَمِيِّ إِلَى بَنِي سُلَيْم فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ سَبْعٍ فِي خَمْسِينَ رَجُلاً، فَأَحْدَقَ بِهِمُ الْكُفَّارُ مِنْ كُلِّ نَاحِيَةٍ، وَقَاتَلَ الْقَوْمُ قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى قُتِلَ عَامَّتُهُمْ، وَأُصِيبَ ابْنُ أَبِي الْعَوْجَاءِ جَرِيحاً مَعَ الْقَتْلَى، ثُمَّ تَحَامَلَ حَتَّى بَلَغَ رَسُولَ اللهِ ﷺ.

❋ ❋ ❋

[السنة الثامنة]

[سرية غالب بن عبدالله الليثي إلىٰ بني الملوِّح]

ثُمَّ سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِاللّهِ اللَّيْثِيِّ إِلَى بَنِي الْمُلَوِّحِ بِالْكَدِيدِ(١) فِي صَفَرَ سَنَةَ ثَمَانٍ، فَغَنِمَ(٢).

وَفِي هٰذَا الشَّهْرِ قَدِمَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَعُثْمَانُ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ(٣) وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ الْمَدِينَةَ فَأَسْلَمُوا(٤).

❋ ❋ ❋

(١) بين المدينة ومكة.

(٢) فلحقه القوم، لكن الله حال بينه وبينهم بسيل شديد.

(٣) الصواب: عثمان بن طلحة بن أبي طلحة.

(٤) [سرية خالد بن الوليد إلىٰ قريش]
ولما أسلم خالد أرسله الرسول ﷺ إلىٰ حَيٍّ من قريش (أو قيس)، حتىٰ إذا دنَوا من القوم جاءهم النذير، فهربوا.

[سرية غالب أيضاً إلى فدك]

ثُمَّ سَرِيَّةُ غَالِبٍ أَيْضاً إِلَى مُصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ بِفَدَكٍ فِي صَفَرَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَمَعَهُ مِئَتَا رَجُلٍ، فَأَغَارُوا عَلَيْهِمْ مَعَ الصُّبْحِ، وَقَتَلُوا مِنْهُمْ قَتْلَى[1] وَأَصَابُوا نَعَماً[2].

❋ ❋ ❋

[سرية شجاع بن وهب إلى بني عامر]

ثُمَّ سَرِيَّةُ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ الأَسَدِيِّ إِلَى بَنِي عَامِرٍ فِي شَهْرِ رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَمَعَهُ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ رَجُلاً إِلَى جَمْعٍ مِنْ هَوَازِنَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُغِيرَ عَلَيْهِمْ، فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ، حَتَّى صَبَّحَهُمْ، فَأَصَابُوا نَعَماً وَشَاءً، وَاسْتَاقُوا ذٰلِكَ حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ[3].

❋ ❋ ❋

[سرية كعب بن عمير إلى ذات أطلاح]

ثُمَّ سَرِيَّةُ كَعْبِ بْنِ عُمَيْرٍ الغِفَارِيِّ إِلَى ذَاتِ أَطْلاَحٍ[4] فِي رَبِيعٍ الأَوَّلِ سَنَةَ ثَمَانٍ فِي خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَسَارُوا حَتَّى انْتَهَوْا إِلَى ذَاتِ أَطْلاَحٍ،

---

(١) ولم يُفلِت منهم أحد.

(٢) إبلاً.

(٣) كما أصابوا منهم نسوة، ثم قدم وفدهم مسلمين، فكلّم الرسولُ ﷺ شجاعاً وأصحابَه في ردّهن فردُّوهنّ.

(٤) من أرض الشام.

فَوَجَدُوا جَمْعاً كَثِيراً، فَقَاتَلَهُمُ الصَّحَابَةُ أَشَدَّ الْقِتَالِ حَتَّى قُتِلُوا، وَأَفْلَتَ مِنْهُمْ رَجُلٌ جَرِيحٌ فِي الْقَتْلَى، قِيلَ: هُوَ الأَمِيرُ، فَلَمَّا بَرَدَ اللَّيْلُ عَلَيْهِ تَحَامَلَ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ الْخَبَرَ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِ، وَهَمَّ بِالْبَعْثِ إِلَيْهِمْ، فَبَلَغَهُ أَنَّهُمْ سَارُوا إِلَى مَوْضِعٍ آخَرَ فَتَرَكَهُمْ.

❋ ❋ ❋

[سرية مؤتة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ مُؤتَةَ وَهِيَ مِنْ عَمَلِ الْبَلْقَاءِ بِالشَّامِ[١]، كَانَتْ فِي جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ثَمَانٍ.

وَذٰلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَرْسَلَ الْحَارِثَ بْنَ عُمَيْرٍ الأَزْدِيَّ بِكِتَابٍ إِلَى مَلِكِ[٢] بُصْرَىٰ، فَلَمَّا نَزَلَ مُؤْتَةَ عَرَضَ لَهُ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو الْغَسَّانِيُّ فَقَتَلَهُ، وَلَمْ يُقْتَلْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَسُولٌ غَيْرُهُ، فَأَمَّرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ عَلَى ثَلاثَةِ آلافٍ، وَقَالَ: «**إِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ قُتِلَ فَأَمِيرُكُمْ عَبْدُاللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَإِنْ قُتِلَ فَلْيَرْتَضِ الْمُسْلِمُونَ بِرَجُلٍ مِنْ بَيْنِهِمْ يَجْعَلُونَهُ عَلَيْهِمْ**»، وَعَقَدَ لَهُمْ ﷺ لِوَاءً أَبْيَضَ، وَدَفَعَهُ إِلَى زَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ، وَأَوْصَاهُمْ أَنْ يَأْتُوا مَقْتَلَ الْحَارِثِ بْنِ عُمَيْرٍ، وَأَنْ يَدْعُوا مَنْ هُنَاكَ إِلَى الإِسْلامِ، فَإِنْ أَجَابُوا وَإِلاَّ اسْتَعِينُوا عَلَيْهِمْ بِاللَّهِ، وَقَاتِلُوهُمْ، وَخَرَجَ مُشَيِّعاً[٣] لَهُمْ حَتَّى بَلَغَ ثَنِيَّةَ الْوَدَاعِ، فَلَمَّا سَارُوا نَادَى الْمُسْلِمُونَ: دَفَعَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَرَدَّكُمْ صَالِحِينَ غَانِمِينَ. فَلَمَّا فَصَلُوا مِنَ الْمَدِينَةِ سَمِعَ الْعَدُوُّ بِمَسِيرِهِمْ،

(١) قرب الكرَك في الأردن.

(٢) أمير.

(٣) مودّعاً.

فَجَمَعُوا لَهُمْ، وَقَامَ شُرَحْبِيلُ بْنُ عَمْرٍو فَجَمَعَ أَكْثَرَ مِنْ مِئَةِ أَلْفٍ، وَقَدَّمَ الطَّلاَئِعَ أَمَامَهُ، وَقَدْ نَزَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَانَ ـ مَوْضِعٌ مِنْ أَرْضِ الشَّامِ ـ، وبَلَغَ النَّاسَ كَثْرَةُ الْعَدُوِّ وَتَجَمُّعُهُمْ، وَأَنَّ هِرَقْلَ نَزَلَ بِأَرْضِ الْبَلْقَاءِ فِي مِئَةِ[1] أَلْفٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ، فَأَقَامُوا لَيْلَتَيْنِ لِيَنْظُرُوا فِي أَمْرِهِمْ، وَقَالُوا: نَكْتُبُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَنُخْبِرُهُ الْخَبَرَ، فَشَجَّعَهُمْ عَبْدُاللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ عَلَى الْمُضِيِّ، فَمَضَوْا إِلَى مُؤْتَةَ، وَوَافَاهُمُ الْمُشْرِكُونَ، فَجَاءَ مِنْهُمْ مَا لاَ قِبَلَ لأَحَدٍ بِهِ مِنَ الْعَدَدِ وَالسِّلاَحِ وَالْكُرَاعِ[2] وَالدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ وَالذَّهَبِ، وَالْتَقَى الْمُسْلِمُونَ وَالْمُشْرِكُونَ، فَقَاتَلَ الأُمَرَاءُ يَوْمَئِذٍ عَلَى أَرْجُلِهِمْ، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَقَاتَلَ، وَقَاتَلَ الْمُسْلِمُونَ مَعَهُ عَلَى صُفُوفِهِمْ حَتَّى قُتِلَ طَعْناً بِالرِّمَاحِ، ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَنَزَلَ عَنْ فَرَسٍ لَهُ شَقْرَاءَ فَعَقَرَهَا، ثُمَّ تَقَدَّمَ فَقَاتَلَ حَتَّى قُطِعَتْ يَدَاهُ جَمِيعاً: أَخَذَ اللِّوَاءَ بِيَمِينِهِ فَقُطِعَتْ، ثُمَّ أَخَذَهُ بِشِمَالِهِ فَقُطِعَتْ، ثُمَّ احْتَضَنَهُ فَقُتِلَ. قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللّهَ أَبْدَلَهُ بِيَدَيْهِ جَنَاحَيْنِ يَطِيرُ بِهِمَا فِي الْجَنَّةِ**»، وَوُجِدَ فِيمَا أَقْبَلَ مِنْ بَدَنِهِ اثْنَتَانِ وَسَبْعُونَ ضَرْبَةً بِسَيْفٍ وَطَعْنَةً بِرُمْحٍ.

ثُمَّ أَخَذَ اللِّوَاءَ عَبْدُاللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، فَقَاتَلَ حَتَّى قُتِلَ، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ ابْنُ أَقْرَمَ الْعَجْلاَنِيُّ إِلَى أَنِ اصْطَلَحَ النَّاسُ عَلَى خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ، فَأَخَذَ اللِّوَاءَ وَقَاتَلَهُمْ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ مَقْتَلَةً عَظِيمَةً، وَأَصَابَ غَنِيمَةً، ثُمَّ انْحَازَتْ كُلُّ طَائِفَةٍ[3]، وَرُفِعَتِ الأَرْضُ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرَكِ الْقَوْمِ.

---

(١) بل مئتي.

(٢) اسم لمستدقّ الساق من الغنم أو البقر أو الخيل.

(٣) وفي اليوم التالي غيّر خالد ترتيب العسكر فظنّ الروم أن المدَد جاء للمسلمين فرُعبوا، ثم صار يرجع خالد بالجيش إلىٰ الوراء حتىٰ وصل مؤتة، وناوش الأعداء سبعة أيام، وخاف الكفار من استدراج المسلمين لهم إلىٰ الصحراء فلم يتبعوهم. وكان عدد مَن استشهد من المسلمين ثمانية.

وَذَكَرَ مُوسَى بْنُ عُقْبَةَ فِي الْمَغَازِي: أَنَّ يَعْلَى ابْنَ أُمَيَّةَ[1] قَدِمَ بِخَبَرِ أَهْلِ مُؤْتَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنْ شِئْتَ فَأَخْبِرْنِي، وَإِنْ شِئْتَ أَخْبَرْتُكَ**»؟ قَالَ: أَخْبِرْنِي، فَأَخْبَرَهُ خَبَرَهُمْ، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا تَرَكْتَ مِنْ حَدِيثِهِمْ حَرْفاً لَمْ تَذْكُرْهُ.

❋ ❋ ❋

[سرية عمرو بن العاص إلى ذات السلاسل]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَى ذَاتِ السَّلَاسِلِ[2]، وَهِيَ مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ[3]، وَكَانَتْ فِي جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ ثَمَانٍ.

وَسَبَبُهَا: أَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ أَنَّ جَمْعاً مِنْ قُضَاعَةَ قَدْ تَجَمَّعُوا لِلإِغَارَةِ، فَبَعَثَ عَمْراً، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً أَبْيَضَ، وَجَعَلَ مَعَهُ رَايَةً سَوْدَاءَ، وَبَعَثَهُ فِي ثَلَاثِ مِئَةٍ مِنْ سَرَاةِ[4] الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، وَمَعَهُمْ ثَلَاثُونَ فَرَساً.

فَسَارَ اللَّيْلَ، وَكَمَنَ النَّهَارَ، فَلَمَّا قَرُبَ مِنْهُمْ بَلَغَهُ أَنَّ لَهُمْ جَمْعاً كَثِيراً، فَبَعَثَ رَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ الْجُهَنِيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَسْتَمِدُّهُ، فَبَعَثَ إِلَيْهِ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً، وَبَعَثَ مَعَهُ مِئَتَيْنِ مِنْ سَرَاةِ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَلْحَقَ بِعَمْرٍو،

---

(١) الذي يقال له: يعلىٰ بن مُنْيَةَ (وهي أمه أو جدّته).

(٢) وهي ماء بأرض جُذام يقال له: سلسل، وقيل: لأن المشركين ارتبط بعضهم إلىٰ بعض مخافة أن يفرّوا.

(٣) وهي ٤٠٠كم شمال غرب المدينة.

(٤) خيار.

وَأَنْ يَكُونَا جَمِيعاً وَلاَ يَخْتَلِفَا[1]، فَأَرَادَ أَبُو عُبَيْدَةَ أَنْ يَؤُمَّ النَّاسَ، فَقَالَ عَمْروٌ: إِنَّمَا قَدِمْتَ عَلَيَّ مَدَداً، وَأَنَا الأَمِيرُ، فَأَطَاعَ لَهُ بِذٰلِكَ أَبُو عُبَيْدَةَ، فَكَانَ عَمْروٌ يُصَلِّي بِالنَّاسِ[2]، وَسَارَ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْعَدُوِّ (بَلِيٍّ وَعُذْرَةَ)، فَحَمَلَ عَلَيْهِمُ الْمُسْلِمُونَ، فَهَرَبُوا بِالْبِلاَدِ وَتَفَرَّقُوا[3].

❋ ❋ ❋

[سرية عامر بن الجراح إلىٰ جهينة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ أَبِي عُبَيْدَةَ بْنِ الْجَرَّاحِ، وَسَمَّاهَا الْبُخَارِيُّ: غَزْوَةَ سِيفِ الْبَحْرِ، وَتُسَمَّى بِسَرِيَّةِ الْخَبَطِ، وَكَانَتْ فِي رَجَبٍ سَنَةَ ثَمَانٍ، إِلَى حَيٍّ مِنْ جُهَيْنَةَ[4] بِالْقَبَلِيَّةِ مِمَّا يَلِي سَاحِلَ الْبَحْرِ، وَبَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ خَمْسُ لَيَالٍ. رَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ قَالَ: خَرَجْنَا وَنَحْنُ ثَلاَثُ مِئَةٍ نَحْمِلُ زَادَنَا عَلَى رِقَابِنَا، فَفَنِيَ زَادُنَا[5] حَتَّى كَانَ الرَّجُلُ يَأْكُلُ تَمْرَةً تَمْرَةً[6]، وَابْتَاعَ قَيْسُ بْنُ سَعْدٍ جَزُوراً وَنَحَرَهَا لَهُمْ[7]، وَأَخْرَجَ اللّٰهُ لَهُمْ مِنَ الْبَحْرِ دَابَّةً تُسَمَّى الْعَنْبَرَ،

---

(١) فلحقه قبل أن يَصِلَ إلىٰ القوم.

(٢) وأصابته جنابة في ليلة باردة، فتيمّم وصلّى بأصحابه إماماً، ولما أرادوا إيقاد نار في الليل منعهم لئلا يرىٰ العدو قلّتهم.

(٣) وأراد المسلمون اتّباع أثرهم فمنعهم لئلا يكون لهم كمين.

(٤) لتأديبهم، ولتلقّي قافلة لقريش، كما في البخاري ومسلم. وعلىٰ هذا فإن هذه السرية كانت قبل صلح الحديبية، فإنه ﷺ من حين صالح أهلَ مكة لم يكن يرصد لهم قافلة، كما ذكر ذلك ابن القيم في زاد المعاد.

(٥) إذ أقاموا نحو نصف شهر ينتظرون القافلة.

(٦) ثم أكلوا ورق الشجر حتىٰ تقرّحت أشداقهم.

(٧) وكذلك فعل في اليوم الثاني والثالث، وفي اليوم الرابع أراد أن ينحر فنهاه رئيسه أبو عبيدة، لأن قيساً كان أخذ تلك الجُزُر بِدَيْنٍ علىٰ أبيه سعد بن عبادة، فخاف أبو عبيدة ألاّ يفيَ أبوه بما استدان.

فَأَكَلُوا مِنْهَا[١] وَتَزَوَّدُوا، وَرَجَعُوا وَلَمْ يَلْقَوْا كَيْداً.

زَادَ فِي رِوَايَةٍ[٢]: فَلَمَّا قَدِمْنَا الْمَدِينَةَ أَتَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرْنَا ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: «**هُوَ رِزْقٌ أَخْرَجَهُ اللَّهُ لَكُمْ، فَهَلْ مَعَكُمْ شَيْءٌ مِنْ لَحْمِهِ فَتُطْعِمُونَا؟**» قَالَ: فَأَرْسَلْنَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْهُ فَأَكَلَ.

❋ ❋ ❋

[سرية أبي قتادة الحارث بن ربعي إلىٰ خَضِرة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ الأَنْصَارِيِّ إِلَى خَضِرَةَ ـ وَهِيَ أَرْضُ مُحَارِبٍ ـ بِنَجْدٍ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ ﷺ خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً إِلَى غَطَفَانَ، فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ مِنْهُمْ، وَسَبَى سَبْياً كَثِيراً، وَاسْتَاقَ النَّعَمَ، فَكَانَتِ الإِبِلُ مِئَتَيْ بَعِيرٍ، وَالْغَنَمُ أَلْفَيْ شَاةٍ، وَكَانَتْ غَيْبَتُهُ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً.

❋ ❋ ❋

[سرية أبي قتادة أيضاً إلىٰ إِضَم]

ثُمَّ سَرِيَّةُ أَبِي قَتَادَةَ أَيْضاً إِلَى بَطْنِ إِضَمٍ، عَلَى ثَلَاثَةِ بُرُدٍ مِنَ الْمَدِينَةِ[٣]، فِي أَوَّلِ شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ.

وَذَلِكَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا هَمَّ أَنْ يَغْزُوَ أَهْلَ مَكَّةَ بَعَثَهُ[٤] لِيَظُنَّ ظَانٌّ أَنَّهُ ﷺ

---

(١) شهراً.

(٢) للشيخين.

(٣) ٦٠كم شمال المدينة.

(٤) في ثمانية نفر.

تَوَجَّهَ إِلَى تِلْكَ النَّاحِيَةِ، وَلأَنْ تَذْهَبَ بِذٰلِكَ الأَخْبَارُ، فَلَقُوا عَامِرَ بْنَ الأَضْبَطِ، فَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ بِتَحِيَّةِ الإِسْلاَمِ، فَقَتَلَهُ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ الآيَةَ[1]. فَجَاءَ مُحَلِّمُ بْنُ جَثَّامَةَ فِي بُرْدَيْنِ، فَجَلَسَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ لِيَسْتَغْفِرَ لَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**لاَ غَفَرَ اللّٰهُ لَكَ**»، فَقَامَ وَهُوَ يَتَلَقَّى دُمُوعَهُ بِبُرْدَيْهِ، فَمَا مَضَتْ لَهُ سَابِعَةٌ حَتَّى مَاتَ، فَلَفَظَتْهُ الأَرْضُ، ثُمَّ عَادُوا بِهِ فَلَفَظَتْهُ الأَرْضُ، فَلَمَّا غَلَبَ قَوْمَهُ عَمَدُوا إِلَى صُدَّيْنِ ـ أَيْ: جَبَلَيْنِ ـ فَسَطَحُوهُ، ثُمَّ رَضَمُوا عَلَيْهِ الْحِجَارَةَ، حَتَّى وَارَوْهُ. فَذَكَرُوا ذٰلِكَ لِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّ الأَرْضَ تَقْبَلُ مَنْ هُوَ شَرٌّ مِنْ صَاحِبِكُمْ، وَلٰكِنْ يُرِيدُ اللّٰهُ أَنْ يَعِظَكُمْ**».

❋ ❋ ❋

فَتْحُ مَكَّةَ الْمُشَرَّفَةِ
زَادَهَا اللّٰهُ شَرَفاً وَكَرَماً

وَهُوَ الْفَتْحُ الأَعْظَمُ الَّذِي أَعَزَّ اللّٰهُ بِهِ دِينَهُ وَرَسُولَهُ وَجُنْدَهُ وَحَرَمَهُ الأَمِينَ، وَاسْتَنْقَذَ بِهِ بَلَدَهُ وَبَيْتَهُ الَّذِي جَعَلَهُ هُدًى لِلْعَالَمِينَ مِنْ أَيْدِي الْكُفَّارِ وَالْمُشْرِكِينَ.

خَرَجَ لَهُ ﷺ بِكَتَائِبِ الإِسْلاَمِ وَجُنُودِ الرَّحْمٰنِ، لِنَقْضِ قُرَيْشٍ الْعَهْدَ الَّذِي وَقَعَ بِالْحُدَيْبِيَةِ[2]، وَقَدِمَ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ يَسْأَلُهُ أَنْ يُجَدِّدَ الْعَهْدَ، وَيَزِيدَ فِي الْمُدَّةِ، فَأَبَى عَلَيْهِ، فَانْصَرَفَ إِلَى مَكَّةَ.

فَتَجَهَّزَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ مِنْ غَيْرِ إِعْلاَمِ أَحَدٍ، فَكَتَبَ حَاطِبٌ كِتَاباً،

---

(١) سورة النساء، الآية: ٩٤.

(٢) وذلك لما وقف رجل من بكر (حليفة قريش) يتغنىٰ بهجاء رسول الله ﷺ علىٰ مسمع من رجل خزاعي (وكانت خزاعة في حلف رسول الله ﷺ)، فقام هذا وضربه، فقامت بكر واستعانت بقريش، فتوجهوا إلىٰ خزاعة فقتلوا منهم أكثر من عشرين، فأخبرت خزاعة النبي ﷺ بذلك، فقال: «**والله لأمنعنكم مما أمنع نفسي منه**».

وَأَرْسَلَهُ إِلَى مَكَّةَ يُخْبِرُهُمْ بِذٰلِكَ، فَأَطْلَعَ اللّٰهُ نَبِيَّهُ عَلَى ذٰلِكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِعَلِيٍّ وَالزُّبَيْرِ وَالْمِقْدَادِ: «**انْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُوا رَوْضَةَ خَاخٍ، فَإِنَّ بِهَا ظَعِينَةً**[1] **مَعَهَا كِتَابٌ، فَخُذُوهُ مِنْهَا**» قَالَ: فَانْطَلَقْنَا حَتَّى أَتَيْنَا الرَّوْضَةَ، فَإِذَا نَحْنُ بِالظَّعِينَةِ، قُلْنَا: أَخْرِجِي الْكِتَابَ، قَالَتْ: مَا مَعِي كِتَابٌ، قُلْنَا: لَتُخْرِجِنَّ الْكِتَابَ أَوْ لَنُلْقِيَنَّ الثِّيَابَ، قَالَ: فَأَخْرَجَتْهُ مِنْ عِقَاصِهَا[2]، فَأَتَيْنَا بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَإِذَا فِيهِ: مِنْ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْمُشْرِكِينَ بِمَكَّةَ، يُخْبِرُهُمْ بِأُمُورِ النَّبِيِّ ﷺ. فَقَالَ: «**يَا حَاطِبُ مَا هٰذَا؟**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! لاَ تَعْجَلْ عَلَيَّ، إِنِّي كُنْتُ امْرَأً مُلْصَقاً فِي قُرَيْشٍ ـ أَيْ حَلِيفاً ـ وَلَمْ أَكُنْ مِنْ أَنْفُسِهَا، وَكَانَ مَنْ مَعَكَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ لَهُمْ قَرَابَاتٌ يَحْمُونَ أَهْلِيهِمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَأَحْبَبْتُ إِذْ فَاتَنِي ذٰلِكَ مِنَ النَّسَبِ فِيهِمْ أَنْ أَتَّخِذَ عِنْدَهُمْ يَداً يَحْمُونَ قَرَابَتِي، وَلَمْ أَفْعَلْهُ ارْتِدَاداً عَنْ دِينِي، وَلاَ رِضًى بِالْكُفْرِ بَعْدَ الإِسْلاَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**أَمَا إِنَّهُ قَدْ صَدَقَكُمْ**»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَ هٰذَا الْمُنَافِقِ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ قَدْ شَهِدَ بَدْراً، وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ اللّٰهُ اطَّلَعَ عَلَى مَنْ شَهِدَ بَدْراً فَقَالَ: اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ، فَقَدْ غَفَرْتُ لَكُمْ**»؟ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾[3] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَحَكَى السُّهَيْلِيُّ: أَنَّ لَفْظَ الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ حَاطِبٌ: أَمَّا بَعْدُ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! فَإِنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ جَاءَكُمْ بِجَيْشٍ عَظِيمٍ، يَسِيلُ كَالسَّيْلِ، فَوَاللّٰهِ لَوْ جَاءَكُمْ وَحْدَهُ لَنَصَرَهُ اللّٰهُ وَأَنْجَزَ لَهُ، فَانْظُرُوا لأَنْفُسِكُمْ وَالسَّلاَمُ.

وَبَعَثَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ إِلَى مَنْ حَوْلَهُ مِنَ الْعَرَبِ: أَسْلَمَ وَغِفَارَ وَمُزَيْنَةَ

---

(١) امرأة في هودجها، واسمها سارة.

(٢) ضفيرتها.

(٣) سورة الممتحنة، الآية: ١.

وَجُهَيْنَةَ وَأَشْجَعَ وَسُلَيْمَ، فَجَلَبَهُمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ وَافَاهُ بِالْمَدِينَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ لَحِقَهُ بِالطَّرِيقِ.

وَاسْتَخْلَفَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ ابْنَ أُمِّ مَكْتُومٍ[1]، وَخَرَجَ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ لِلَيْلَتَيْنِ خَلَتَا مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ (وَقِيلَ: لِعَشْرٍ، وَقِيلَ: لأَكْثَرَ)، بَعْدَ الْعَصْرِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ الْمُسْلِمُونَ عَشَرَةَ آلافٍ. وَقِيلَ: اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً.

وَكَانَ الْعَبَّاسُ قَدْ خَرَجَ بِأَهْلِهِ وَعِيَالِهِ مُسْلِماً مُهَاجِراً، فَلَقِيَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بِالْجُحْفَةِ[2]، وَكَانَ قَبْلَ ذٰلِكَ مُقِيماً بِمَكَّةَ عَلَى سِقَايَتِهِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْهُ رَاضٍ.

وَكَانَ مِمَّنْ لَقِيَهُ فِي الطَّرِيقِ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ ابْنُ عَمِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَأَخُوهُ مِنْ رَضَاعِ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ، وَمَعَهُ وَلَدُهُ جَعْفَرٌ، وَكَانَ أَبُو سُفْيَانَ يَأْلَفُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا بُعِثَ عَادَاهُ وَهَجَاهُ، وَكَانَ لِقَاؤُهُمَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالأَبْوَاءِ[3]، وَأَسْلَمَا قَبْلَ دُخُولِ مَكَّةَ.

ثُمَّ سَارَ ﷺ، فَلَمَّا كَانَ بِقُدَيْدٍ عَقَدَ الأَلْوِيَةَ وَالرَّايَاتِ، وَدَفَعَهَا إِلَى الْقَبَائِلِ.

ثُمَّ نَزَلَ مَرَّ الظَّهْرَانِ[4] عِشَاءً، فَأَمَرَ أَصْحَابَهُ فَأَوْقَدُوا عَشَرَةَ آلاَفِ نَارٍ، وَلَمْ يَبْلُغْ قُرَيْشاً مَسِيرُهُ، وَهُمْ مُغْتَمُّونَ لِمَا يَخَافُونَ مِنْ غَزْوِهِ إِيَّاهُمْ، فَبَعَثُوا أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَقَالُوا: إِنْ لَقِيتَ مُحَمَّداً فَخُذْ لَنَا مِنْهُ أَمَاناً، فَخَرَجَ أَبُو سُفْيَانَ وَحَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَبُدَيْلُ بْنُ وَرْقَاءَ، حَتَّى أَتَوْا مَرَّ الظَّهْرَانِ، فَلَمَّا رَأَوْا

---

(١) أو أبا رُهم كلثوم بن الحصين الغفاري.

(٢) قرية علىٰ بُعد ١٤٠كم من مكة، وهي ميقات أهل الشام.

(٣) قرية قريبة من المدينة.

(٤) وهي قرية قرب مكة بوادي الظهران، يقال له اليوم: وادي فاطمة.

الْعَسْكَرَ أَفْزَعَهُمْ، فَرَآهُمْ نَاسٌ مِنْ حَرَسِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَدْرَكُوهُمْ فَأَخَذُوهُمْ، فَأَتَوْا بِهِمْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، فَلَمَّا سَارَ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: احْبِسْ أَبَا سُفْيَانَ عِنْدَ خَطْمِ الْجَبَلِ[1] حَتَّى يَنْظُرَ إِلَى الْمُسْلِمِينَ[2]، فَحَبَسَهُ الْعَبَّاسُ، فَجَعَلَتِ الْقَبَائِلُ تَمُرُّ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ كَتِيبَةً كَتِيبَةً عَلَى أَبِي سُفْيَانَ، فَمَرَّتْ كَتِيبَةٌ، فَقَالَ: يَا عَبَّاسُ مَنْ هٰذِهِ؟ قَالَ: هٰذِهِ غِفَارٌ، قَالَ: مَا لِي وَلِغِفَارٍ، ثُمَّ جُهَيْنَةُ، قَالَ مِثْلَ ذٰلِكَ، حَتَّى أَقْبَلَتْ كَتِيبَةٌ لَمْ يَرَ مِثْلَهَا، قَالَ: مَنْ هٰذِهِ؟ قَالَ: هٰؤُلاَءِ الأَنْصَارُ، عَلَيْهِمْ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ مَعَهُ الرَّايَةُ، فَقَالَ سَعْدٌ: يَا أَبَا سُفْيَانَ، الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَلْحَمَةِ، الْيَوْمَ تُسْتَحَلُّ الْكَعْبَةُ، وَفِي رِوَايَةٍ تُسْتَحَلُّ الْحُرْمَةُ، فَسَمِعَهَا رَجُلٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا آمَنُ أَنْ يَكُونَ لِسَعْدٍ فِي قُرَيْشٍ صَوْلَةٌ، فَقَالَ لِعَلِيٍّ: «**أَدْرِكْهُ فَخُذِ الرَّايَةَ مِنْهُ، فَكُنْ أَنْتَ تَدْخُلُ بِهَا**».

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ لَمَّا حَاذَاهُ: أَمَرْتَ بِقَتْلِ قَوْمِكَ؟ قَالَ: «**لا**»، فَذَكَرَ لَهُ مَا قَالَ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، ثُمَّ نَاشَدَهُ اللَّهَ وَالرَّحِمَ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا سُفْيَانَ! الْيَوْمُ يَوْمُ الْمَرْحَمَةِ، الْيَوْمَ يُعِزُّ اللَّهُ قُرَيْشاً**»، وَأَرْسَلَ إِلَى سَعْدٍ، فَأَخَذَ الرَّايَةَ مِنْهُ، فَدَفَعَهَا إِلَى ابْنِهِ قَيْسٍ[3].

قَالَ مُوسَىٰ بْنُ عُقْبَةَ: بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ عَلَى الْمُهَاجِرِينَ وَخَيْلِهِمْ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ كَدَاءٍ[4] بِأَعْلَىٰ مَكَّةَ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَغْرِزَ رَايَتَهُ بِالْحَجُونِ[5]، وَلاَ يَبْرَحَ حَتَّى يَأْتِيَهُ.

---

(١) المكان الناتىء منه.

(٢) وقوّتهم ليكون نذيراً لقريش بالتسليم.

(٣) فدخل مكة من جانبها الغربي.

(٤) اسم جبل.

(٥) وهو جبل بأعلىٰ مكة بالقرب من مقبرتها.

وَبعَثَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ فِي قَبَائِلِ قُضَاعَةَ وَسُلَيْم وَغَيْرِهِمْ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْخُلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، وَأَنْ يَغرِزَ رَايَتَهُ عِنْدَ أَدْنَى الْبُيُوتِ.

وَبعَثَ سَعْدَ بْنَ عُبَادَةَ فِي كَتِيبَةِ الأَنْصَارِ فِي مُقَدِّمَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَأَمَرَهُمْ أَنْ يَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ، وَلاَ يُقَاتِلُوا إِلاَّ مَنْ قَاتَلَهُمْ.

وَانْدَفَعَ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ حَتَّى دَخَلَ مِنْ أَسْفَلِ مَكَّةَ، وَقَدْ تَجَمَّعَ بِهَا بَنُو بَكْرٍ وَبَنُو الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ مَنَافٍ، وَنَاسٌ مِنْ هُذَيْل وَمِنَ الأَحَابِيشِ[1] الَّذِينَ انْتَصَرَتْ بِهِمْ قُرَيْشٌ، فَقَاتَلُوا خَالِداً فَقَاتَلَهُمْ، فَانْهَزَمُوا، وَقُتِلَ مِنْ بَنِي بَكْرٍ نَحْوٌ مِنْ عِشْرِينَ رَجُلاً، وَمِنْ هُذَيْلٍ ثَلاثَةٌ أَوْ أَرْبَعَةٌ، حَتَّى انْتَهَى بِهِمُ الْقَتْلُ إِلَى الْحَزْوَرَةِ[2] إِلَى بَابِ الْمَسْجِدِ، حَتَّى دَخَلُوا الدُّورَ، فَارْتَفَعَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ عَلَى الْجِبَالِ، وَصَاحَ أَبُو سُفْيَانَ: مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ وَكَفَّ يَدَهُ فَهُوَ آمِنٌ، وَنَظَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِلَى الْبَارِقَةِ[3] فَقَالَ: «**مَا هٰذِهِ وَقَدْ نَهَيْتُ عَنِ الْقِتَالِ؟**» فَقَالُوا: إِنَّ خَالِداً قُوتِلَ وَبُدِىءَ بِالْقِتَالِ، فَلَمْ يَكُنْ لَهُ بُدٌّ مِنْ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ. وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَعْدَ أَنِ اطْمَأَنَّ لِخَالِدٍ: «**لِمَ قَاتَلْتَ وَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنِ الْقِتَالِ؟**» فَقَالَ: هُمْ بَدَؤُونَا بِالْقِتَالِ، وَقَدْ كَفَفْتُ يَدِي مَا اسْتَطَعْتُ، فَقَالَ: «**قَضَاءُ اللّهِ خَيْرٌ**».

وَقَالَ الْعَبَّاسُ بَعْدَ أَنْ أَسْلَمَ أَبُو سُفْيَانَ، وَشَهِدَ شَهَادَةَ الْحَقِّ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ أَبَا سُفْيَانَ رَجُلٌ يُحِبُّ الْفَخْرَ، فَاجْعَلْ لَهُ شَيْئاً، قَالَ: «**نَعَمْ**»، وَأَمَرَ ﷺ فَنَادَى مُنَادِيهِ: مَنْ دَخَلَ الْمَسْجِدَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ دَخَلَ دَارَ أَبِي سُفْيَانَ فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ أَغْلَقَ عَلَيْهِ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ. إِلاَّ الْمُسْتَثْنَيْنَ، وَهُمْ عَلَى مَا

---

(١) الحلفاء.

(٢) وهي الرابية الصغيرة.

(٣) وهي السيوف.

جَمعَهُ الْوَاقِدِيُّ عَنْ شُيُوخِهِ عَشَرَةُ أَنْفسٍ[1]: سِتَّةُ رِجَالٍ[2]، وَأَرْبَعُ نِسْوَةٍ[3].

وَرَوَى مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ بَعثَ عَلَى إِحْدَى الْمُجَنِّبَتَيْنِ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَبَعَثَ الزُّبَيْرَ عَلَى الأُخْرَى، وَبَعَثَ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى الْحُسَّرِ ـ أي: الَّذِينَ بِغَيْرِ سلاَحٍ ـ فَقَالَ لِي: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ اهْتِفْ لِي بِالأَنْصَارِ، فَهَتَفْتُ بِهِمْ، فَجَاؤُوا فَأَطَافُوا بِهِ، فَقَالَ لَهُمْ: «**أَتَرَوْنَ إِلَى أَوْبَاشِ قُرَيْشٍ[4] وَأَتْبَاعِهِمْ؟**» ثُمَّ قَالَ بِإِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الأُخْرَى: «**احْصِدُوهُمْ حَصْداً، حَتَّى تُوَافُونِي بِالصَّفَا**». قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَانْطَلَقْنَا فَمَا نَشَاءُ أَنْ نَقْتُلَ أَحَداً مِنْهُمْ إِلاَّ قَتَلْنَاهُ، فَجَاءَ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أُبِيحَتْ خَضْرَاءُ قُرَيْشٍ، لاَ قُرَيْشَ بَعْدَ الْيَوْمِ، فَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَغْلَقَ بَابَهُ فَهُوَ آمِنٌ**».

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ وَضَعَ رَأْسَهُ تَوَاضُعاً لِلَّهِ لَمَّا رَأَى مَا أَكْرَمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْفَتْحِ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهُ لَتَكَادُ تَمَسُّ رَحْلَهُ شُكْراً وَخُضُوعاً لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى؛ أَنْ أَحَلَّ لَهُ بَلَدَهُ، وَلَمْ يُحِلَّهُ لأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَلا لأَحَدٍ بَعْدَهُ.

وَعَنْ أَنَس: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ ـ وَهُوَ زَرَدٌ يُنْسَجُ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ مِثْلُ الْقَلَنْسُوَةِ ـ.

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ ﷺ كَانَ عَلَى رَأْسِهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ.

وَلَمَّا كَانَ الْغَدُ مِنْ يَوْمِ الْفَتْحِ قَامَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خَطِيباً فِي

---

(١) بل سبعة عشر.

(٢) بل ثلاثة عشر.

(٣) فمنهم مَن حقّت عليه كلمة العذاب فقُتل، ومنهم مَن أدركته عناية الله فأسلم.

(٤) أخلاطهم وسَفِلَتهم.

النَّاسِ، فَحَمِدَ اللّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَمَجَّدَهُ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ، ثُمَّ قَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللّهَ حَرَّمَ مَكَّةَ يَوْمَ خَلَقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، فَهِيَ حَرَامٌ بِحُرْمَةِ اللّهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلاَ يَحِلُّ لامْرِىءٍ يُؤْمِنُ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أَنْ يَسْفِكَ بِهَا دَماً، أَوْ يَعْضِدَ[1] بِهَا شَجَرَةً، فَإِنْ أَحَدٌ تَرَخَّصَ فِيهَا لِقِتَالِ[2] رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقُولُوا: إِنَّ اللّهَ قَدْ أَذِنَ لِرَسُولِهِ، وَلَمْ يَأْذَنْ لَكُمْ، وَإِنَّمَا أُحِلَّتْ لِي سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، وَقَدْ عَادَتْ حُرْمَتُهَا الْيَوْمَ كَحُرْمَتِهَا بِالأَمْسِ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ»**، ثُمَّ قَالَ: **«يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! مَا تَرَوْنَ أَنِّي فَاعِلٌ فِيكُمْ؟»** قَالُوا: خَيْراً، أَخٌ كَرِيمٌ وَابْنُ أَخٍ كَرِيمٍ، قَالَ: **«اذْهَبُوا فَأَنْتُمُ الطُّلَقَاءُ»** أي: الَّذِين أُطْلِقُوا، فَلَمْ يُسْتَرَقُّوا، وَلَمْ يُؤْسَرُوا.

وَلَمَّا فَتَحَ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَكَّةَ عَلَى رَسُولِهِ ﷺ قَالَ الأَنْصَارُ فِيمَا بَيْنَهُمْ: أَتَرَوْنَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ إِذْ فَتَحَ اللّهُ عَلَيْهِ أَرْضَهُ وَبَلَدَهُ يُقِيمُ بِهَا؟ وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَدْعُو عَلَى الصَّفَا رَافِعاً يَدَيْهِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ دُعَائِهِ قَالَ: **«مَاذَا قُلْتُمْ؟»** قَالُوا: لاَ شَيْءَ يَا رَسُولَ اللّهِ، فَلَمْ يَزَلْ بِهِمْ حَتَّى أَخْبَرُوهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«مَعَاذَ اللّهِ، الْمَحْيَا مَحْيَاكُمْ، وَالْمَمَاتُ مَمَاتُكُمْ»**.

وَهَمَّ فَضَالَةُ بْنُ عُمَيْرِ بْنِ الْمُلَوَّحِ أَنْ يَقْتُلَ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«أَفَضَالَةُ!»** قَالَ: نَعَمْ يَا رَسُولَ اللّهِ، قَالَ: **«مَاذَا كُنْتَ تُحَدِّثُ بِهِ نَفْسَكَ؟»** قَالَ: لاَ شَيْءَ، كُنْتُ أَذْكُرُ اللّهَ، فَضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: **«اسْتَغْفِرِ اللّهَ»**، ثُمَّ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ، فَسَكَنَ قَلْبُهُ، فَكَانَ فَضَالَةُ يَقُولُ: وَاللّهِ مَا رَفَعَ يَدَهُ عَنْ صَدْرِي حَتَّى مَا خَلَقَ اللّهُ شَيْئاً أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْهُ.

---

(١) يقطع.

(٢) أي: من أجل قتال.

وَفِي تَفْسِيرِ الْعَلاَّمَةِ ابْنِ النَّقِيبِ الْمَقْدِسِيِّ: إِنَّ اللّهَ تَعَالَى لَمَّا أَعْلَمَ رَسُولَهُ ﷺ بِأَنَّهُ قَدْ أَنْجَزَ لَهُ وَعْدَهُ بِالنَّصْرِ عَلَى أَعْدَائِهِ وَفَتْحِ مَكَّةَ وَإِعْلاَءِ كَلِمَةِ دِينِهِ؛ أَمَرَهُ إِذَا دَخَلَ مَكَّةَ أَنْ يَقُولَ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[١] فَصَارَ ﷺ يَطْعَنُ الأَصْنَامَ الَّتِي حَوْلَ الْكَعْبَةِ بِمِحْجَنِهِ[٢]، وَيَقُولُ: «**جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ**»، فَيَخِرُّ الصَّنَمُ سَاقِطاً، مَعَ أَنَّهَا كُلَّهَا كَانَتْ مُثَبَّتَةً بِالْحَدِيدِ وَالرَّصَاصِ، وَكَانَتْ ثَلاَثَ مِئَةٍ وَسِتِّينَ صَنَماً بِعَدَدِ أَيَّامِ السَّنَةِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ عَلَى نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ وَهُوَ مُرْدِفٌ أُسَامَةَ، حَتَّى أَنَاخَ بِفِنَاءِ الْكَعْبَةِ، ثُمَّ دَعَا عُثْمَانَ بْنَ طَلْحَةَ فَقَالَ: «**ائْتِنِي بِالْمِفْتَاحِ**»، فَذَهَبَ إِلَى أُمِّهِ، فَأَبَتْ أَنْ تُعْطِيَهُ، فَقَالَ: وَاللّهِ لَتُعْطِينَهُ أَوْ لَيَخْرُجَنَّ هٰذَا السَّيْفُ مِنْ صُلْبِي، فَأَعْطَتْهُ إِيَّاهُ، فَجَاءَ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ، فَفَتَحَ الْبَابَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي الطَّبَقَاتِ لاِبْنِ سَعْدٍ: عَنْ عُثْمَانَ بْنِ طَلْحَةَ، قَالَ: كُنَّا نَفْتَحُ الْكَعْبَةَ فِي الْجَاهِلِيَّةِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأَقْبَلَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْماً يُرِيدُ أَنْ يَدْخُلَ الْكَعْبَةَ مَعَ النَّاسِ، فَأَغْلَظْتُ لَهُ، وَنِلْتُ مِنْهُ، فَحَلُمَ عَنِّي، ثُمَّ قَالَ: «**يَا عُثْمَانُ! لَعَلَّكَ سَتَرَى هٰذَا الْمِفْتَاحَ يَوْماً بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ**» فَقُلْتُ: لَقَدْ هَلَكَتْ قُرَيْشٌ يَوْمَئِذٍ وَذَلَّتْ، فَقَالَ: «**بَلْ عَمَرَتْ وَعَزَّتْ يَوْمَئِذٍ**»، وَدَخَلَ الْكَعْبَةَ، فَوَقَعَتْ كَلِمَتُهُ مِنِّي مَوْقِعاً ظَنَنْتُ يَوْمَئِذٍ أَنَّ الأَمْرَ سَيَصِيرُ إِلَى مَا قَالَ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ قَالَ: «**يَا عُثْمَانُ! ائْتِنِي بِالْمِفْتَاحِ**»، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَأَخَذَهُ مِنِّي، ثُمَّ دَفَعَهُ إِلَيَّ، وَقَالَ: «**خُذُوهَا خَالِدَةً تَالِدَةً، لاَ يَنْزِعُهَا مِنْكُمْ إِلاَّ ظَالِمٌ، يَا عُثْمَانُ! إِنَّ اللّهَ اسْتَأْمَنَكُمْ عَلَى بَيْتِهِ، فَكُلُوا مِمَّا يَصِلُ إِلَيْكُمْ مِنْ هٰذَا الْبَيْتِ بِالْمَعْرُوفِ**» قَالَ: فَلَمَّا وَلَّيْتُ نَادَانِي، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: «**أَلَمْ يَكُنِ الَّذِي**

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٢) المِحْجَن: عصا مُعوَجَّة الرأس.

قُلْتُ لَكَ؟» قَالَ: فَذَكَرْتُ قَوْلَهُ لِي بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ: **«لَعَلَّكَ سَتَرَى هٰذَا الْمِفْتَاحَ يَوْماً بِيَدِي أَضَعُهُ حَيْثُ شِئْتُ»**، قُلْتُ: بَلَى، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللّهِ. وَفِي عُثْمَانَ هٰذَا نَزَلَتْ آيَةُ: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾**(١).

وَرَوَى مُسْلِمٌ: أَنَّهُ ﷺ دَخَلَ هُوَ وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ وَبِلاَلٌ وَعُثْمَانُ بْنُ طَلْحَةَ الْكَعْبَةَ فَأَغْلَقُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ. قَالَ ابْنُ عُمَرَ: فَلَمَّا فَتَحُوا كُنْتُ أَوَّلَ مَنْ وَلَجَ، فَلَقِيتُ بِلاَلاً فَسَأَلْتُهُ: هَلْ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: نَعَمْ، بَيْنَ الْعَمُودَيْنِ الْيَمَانِيَيْنِ، وَذَهَبَ عَنِّي أَسْأَلُهُ كَمْ صَلَّىٰ.

وَفِي إِحْدَى رِوَايَاتِ الْبُخَارِيِّ: جَعَلَ عَمُوداً عَلَى يَسَارِهِ، وَعَمُوداً عَلَى يَمِينِهِ، وَثَلاَثَةَ أَعْمِدَةٍ وَرَاءَهُ.

وَفِي كِتَابِ مَكَّةَ لِلأَزْرَقِيِّ وَالْفَاكِهِيِّ: أَنَّ مُعَاوِيَةَ سَأَلَ ابْنَ عُمَرَ: أَيْنَ صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ؟ فَقَالَ: اجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ الْجِدَارِ ذِرَاعَيْنِ، أَوْ ثَلاَثَةَ أَذْرُعٍ. فَعَلَى هٰذَا يَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ الاتِّبَاعَ فِي ذٰلِكَ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِدَارِ ثَلاَثَةَ أَذْرُعٍ، فَإِنَّهُ تَقَعُ قَدَمَاهُ فِي مَكَانِ قَدَمَيْهِ ﷺ إِنْ كَانَتْ ثَلاَثَةً سَوَاءً، أَوْ تَقَعُ رُكْبَتَاهُ أَوْ يَدَاهُ أَوْ وَجْهُهُ إِنْ كَانَ أَقَلَّ مِنْ ثَلاَثَةِ أَذْرُعٍ. وَاللّهُ أَعْلَمُ.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي الْكَعْبَةِ، وَرَأَى صُوَراً، فَدَعَا بِدَلْوٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ، فَجَعَلَ ﷺ يَمْحُوها وَيَقُولُ: **«قَاتَلَ اللّهُ قَوْماً يُصَوِّرُونَ مَا لاَ يَخْلُقُونَ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٢).

وَأَقَامَ ﷺ خَمْسَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَقِيلَ: أَكْثَرَ، وَكَانَ فَتْحُ مَكَّةَ لِعَشْرٍ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ.

* * *

(١) سورة النساء، الآية: ٥٨.

(٢) الطيالسي، ورجاله ثقات.

[سرية خالد بن الوليد لهدم العُزّىٰ]

ثُمَّ سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَقِبَ فَتْحِ مَكَّةَ إِلَى الْعُزَّى بِنَخْلَةَ[١] (وَكَانَتْ لِقُرَيْشٍ وَجَمِيعِ بَنِي كِنَانَةَ، وَكَانَتْ أَعْظَمَ أَصْنَامِهِمْ) لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَمَعَهُ ثَلاَثُونَ فَارِساً لِيَهْدِمَهَا، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَيْهَا هَدَمَهَا، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ، فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: **«هَلْ رَأَيْتَ شَيْئاً؟»** قَالَ: لاَ، قَالَ: **«فَإِنَّكَ لَمْ تَهْدِمْهَا، فَارْجِعْ إِلَيْهَا فَاهْدِمْهَا»** فَرَجَعَ، فَجَرَّدَ سَيْفَهُ، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عَجُوزٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ ثَائِرَةُ الرَّأْسِ، فَجَعَلَ السَّادِنُ[٢] يَصِيحُ فِيهَا، فَضَرَبَهَا خَالِدٌ، فَجَنْدَلَهَا بِاثْنَتَيْنِ[٣]، فَرَجَعَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِمَكَّةَ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: **«نَعَمْ، تِلْكَ الْعُزَّى، وَقَدْ يَئِسَتْ أَنْ تُعْبَدَ بِبِلاَدِكُمْ أَبَداً»**.

❋ ❋ ❋

[سرية عمرو بن العاص لهدم سُواع]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ إِلَى سُوَاعٍ ـ صَنَمُ هُذَيْلٍ ـ عَلَى ثَلاَثَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ[٤] فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ حِينَ فَتْحِ مَكَّةَ.

قَالَ عَمْرٌو: فَانْتَهَيْتُ إِلَيْهِ، وَعِنْدَهُ السَّادِنُ[٥]، فَقَالَ: مَا تُرِيدُ؟ فَقُلْتُ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَهْدِمَهُ، قَالَ: لاَ تَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ، قُلْتُ: لِمَ؟ قَالَ:

---

(١) علىٰ بُعد ٤٠كم من مكة.

(٢) خادم الصنم.

(٣) في المواهب وشرحها: فَجَزَّ لَها اثنتين ـ أي: قطّعها ـ.

(٤) بل المدينة جهة يَنْبُع.

(٥) خادم الصنم.

تُمْنَعُ، فَقُلْتُ: وَيْحَكَ، وَهَلْ يَسْمَعُ أَوْ يُبْصِرُ؟ قَالَ: فَدَنَوْتُ مِنْهُ، فَكَسَرْتُهُ، ثُمَّ قُلْتُ لِلسَّادِنِ: كَيْفَ رَأَيْتَ؟ قَالَ: أَسْلَمْتُ لِلَّهِ.

❋ ❋ ❋

[سرية سعد بن زيد لهدم مَناة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ سَعْدِ بْنِ زَيْدٍ الأَشْهَلِيِّ إِلَى مَنَاةَ ـ صَنَمٌ لِلأَوْسِ وَالْخَزْرَجِ ـ بِالْمُشَلَّلِ[(١)] فِي شَهْرِ رَمَضَانَ حِينَ فَتْحِ مَكَّةَ، فَخَرَجَ فِي عِشْرِينَ فَارِساً حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهَا، قَالَ السَّادِنُ: مَا تُرِيدُ؟ قَالَ: هَدْمَ مَنَاةَ، قَالَ: أَنْتَ وَذَاكَ، فَأَقْبَلَ سَعْدٌ يَمْشِي، فَخَرَجَتْ إِلَيْهِ امْرَأَةٌ عُرْيَانَةٌ سَوْدَاءُ ثَائِرَةُ الرَّأْسِ تَدْعُو بِالْوَيْلِ وَتَضْرِبُ صَدْرَهَا[(٢)]، فَضَرَبَهَا سَعْدُ بْنُ زَيْدٍ فَقَتَلَهَا، وَأَقْبَلَ إِلَى الصَّنَمِ وَمَعَهُ أَصْحَابُهُ، فَهَدَمُوهُ، وَانْصَرَفَ رَاجِعاً إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ ذٰلِكَ لِسِتٍّ بَقِينَ مِنْ رَمَضَانَ.

❋ ❋ ❋

[سرية خالد بن الوليد إلىٰ بني جَذيمة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ خَالِدِ بْنِ الْوَلِيدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى بَنِي جَذِيمَةَ ـ قَبِيلَةٌ مِنْ عَبْدِالْقَيْسِ ـ أَسْفَلَ مَكَّةَ عَلَى لَيْلَةٍ بِنَاحِيَةِ يَلَمْلَمَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَهُوَ يَوْمُ الْغُمَيْصَاءِ[(٣)]، بَعَثَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَمَّا رَجَعَ مِنْ هَدْمِ الْعُزَّى، وَهُوَ ﷺ

---

(١) وهو جبل علىٰ ساحل البحر الأحمر.

(٢) فقال لها الخادم: مناة! دونك بعض عُصاتك.

(٣) الموضع الذي أوقع فيه خالد ببني جَذيمة.

مُقِيمٌ بِمَكَّةَ، وَبعَثَ مَعَهُ ثَلاثَ مِئَةٍ وَخَمْسِينَ رَجُلاً[١] دَاعِياً إِلَى الإِسْلاَمِ لاَ مُقَاتِلاً، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَيْهِمْ قَالَ: مَا أَنْتُمْ؟ قَالُوا: مُسْلِمُونَ، قَدْ صَلَّيْنَا وَصَدَّقْنَا بِمُحَمَّدٍ، وَبَنَيْنَا الْمَسَاجِدَ فِي سَاحَاتِنَا.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: لَمْ يُحْسِنُوا أَنْ يَقُولُوا ذٰلِكَ، فَقَالُوا: صَبَأْنَا، فَقَالَ لَهُمْ: اسْتَأْسِرُوا، فَاسْتَأْسَرُوا، فَأَمَرَ بَعْضَهُمْ فَكَتَفَ بَعْضاً، وفَرَّقَهُمْ فِي أَصْحَابِهِ، فَلَمَّا كَانَ السَّحَرُ نَادَى مُنَادِي خَالِدٍ: مَنْ كَانَ مَعَهُ أَسِيرٌ فَلْيَقْتُلْهُ، فَقَتَلَتْ بَنُو سُلَيْمٍ مَنْ كَانَ بِأَيْدِيهِمْ، وَأَمَّا الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ فَأَرْسَلُوا أَسْرَاهُمْ، فَبَلَغَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَبْرَأُ إِلَيْكَ مِنْ فِعْلِ خَالِدٍ**»، وَبَعَثَ عَلِيًّا فَوَدَى لَهُمْ قَتْلاَهُمْ[٢].

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: يُحْتَمَلُ أَنْ يَكُونَ خَالِدٌ نَقَمَ عَلَيْهِمُ الْعُدُولَ عَنْ لَفْظِ الإِسْلاَمِ، وَلَمْ يَنْقَادُوا لِلدِّينِ، فَقَتَلَهُمْ مُتَأَوِّلاً، وَأَنْكَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْعَجَلَةَ وَتَرْكَ التَّثَبُّتِ فِي أَمْرِهِمْ قَبْلَ أَنْ يُعْلَمَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِمْ: صَبَأْنَا.

* * *

غزوة حُنَين

وَهُوَ وَادٍ قُرْبَ الطَّائِفِ، بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ ثَلاَثُ لَيَالٍ[٣]، وَتُسَمَّى غَزْوَةَ هَوَازِنَ.

وَذٰلِكَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا فَرَغَ مِنْ فَتْحِ مَكَّةَ وَتَمْهِيدِهَا، وَأَسْلَمَ عَامَّةُ

---

(١) من المهاجرين والأنصار وبني سُليم.

(٢) أدى إليهم دِيَتَهم.

(٣) ٢٥كم تقريباً من جهة عرفات.

أَهْلِهَا؛ مَشَتْ أَشْرَافُ هَوَازِنَ وَثَقِيفٍ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، وَحَشَدُوا وَقَصَدُوا مُحَارَبَةَ الْمُسْلِمِينَ، وَكَانَ رَئِيسَهُمْ مَالِكُ بْنُ عَوْفٍ النَّصْرِيُّ.

فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ السَّبْتِ، لِسِتِّ لَيَالٍ مِنْ شَوَّالٍ، فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفاً مِنَ الْمُسْلِمِينَ، عَشَرَةُ آلَافٍ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ، وَأَلْفَانِ مِمَّنْ أَسْلَمَ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَاسْتَعْمَلَ ﷺ عَلَى مَكَّةَ عَتَّابَ بْنَ أُسَيْدٍ، فَوَصَلَ إِلَى حُنَيْنٍ لَيْلَةَ الثُّلَاثَاءِ، لِعَشْرِ لَيَالٍ خَلَوْنَ مِنْ شَوَّال.

فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: إِنِّي انْطَلَقْتُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيكُمْ حَتَّى طَلَعْتُ جَبَلَ كَذَا وَكَذَا، فَإِذَا أَنَا بِهَوَازِنَ عَنْ بَكْرَةِ أَبِيهِمْ بِظَعْنِهِمْ(١) وَنَعَمِهِمْ(٢) وَشِيَاهِهِمْ، اجْتَمَعُوا إِلَى حُنَيْنٍ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَقَالَ: «**تِلْكَ غَنِيمَةُ الْمُسْلِمِينَ غَداً إِنْ شَاءَ اللّهُ تَعَالَى**»، وَقَالَ رَجُلٌ: لَنْ نُغْلَبَ الْيَوْمَ مِنْ قِلَّةٍ، فَشَقَّ ذٰلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بَغْلَتَهُ الْبَيْضَاءَ دُلْدُلَ، وَلَبِسَ دِرْعَيْنِ وَالْمِغْفَرَ(٣) وَالْبَيْضَةَ(٤)، فَاسْتَقْبَلَهُمْ مِنْ هَوَازِنَ مَا لَمْ يَرَوْا مِثْلَهُ قَطُّ مِنَ السَّوَادِ وَالْكَثْرَةِ، وَذٰلِكَ فِي غَبَشِ الصُّبْحِ، وَخَرَجَتِ الْكَتَائِبُ مِنْ مَضِيقِ الْوَادِي، فَحَمَلُوا حَمْلَةً وَاحِدَةً، فَانْكَشَفَتْ خَيْلُ بَنِي سُلَيْمٍ مُوَلِّيَةً، وَتَبِعَهُمْ أَهْلُ مَكَّةَ وَالنَّاسُ(٥).

وَلَمْ يَثْبُتْ مَعَهُ ﷺ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الْعَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَعَلِيُّ بنُ

---

(١) النساء في الهوادج.

(٢) إبلهم.

(٣) وهو زَرَد يُنسج علىٰ قَدْر الرأس يُلبس تحت الخوذة.

(٤) الخوذة.

(٥) وقال كَلَدة بن حنبل: الآن بطل السحر، فقال له صفوان (وهو علىٰ شِركه): اسكت، فَضَّ الله فاك (كسر الله فمك)، والله لأن يَرُبَّني (يملكني) رجل من قريش خيرٌ من أن يَرُبَّني رجل من هوازن.

أَبِي طَالِبٍ، وَالفَضْلُ بنُ الْعَبَّاسِ، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الحَارِثِ بنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَأُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ فِي نَاسٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ.

قَالَ الْعَبَّاسُ: وَأَنَا آخِذٌ بِلِجَامِ بَغْلَتِهِ أَكُفُّهَا مَخَافَةَ أَنْ تَصِلَ إِلَى الْعَدُوِّ، لأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَتَقَدَّمُ فِي نَحْرِ الْعَدُوِّ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ آخِذٌ بِرِكَابِهِ(١) ﷺ، فَجَعَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقُولُ لِلْعَبَّاسِ: «**نَادِ يَا مَعْشَرَ الأَنْصَارِ! يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ!**» (يَعْنِي: شَجَرَةَ بَيْعَةِ الرِّضْوَانِ الَّتِي بَايَعُوهُ تَحْتَهَا أَنْ لاَ يَفِرُّوا عَنْهُ)، فَجَعَلَ تَارَةً يُنَادِي: «**يَا أَصْحَابَ السَّمُرَةِ!**»، وَتَارَةً: «**يَا أَصْحَابَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ!**»، وَكَانَ الْعَبَّاسُ رَجُلاً صَيِّتاً، فَلَمَّا سَمِعَ الْمُسْلِمُونَ نِدَاءَ الْعَبَّاسِ أَقْبَلُوا كَأَنَّهُمُ الإِبِلُ إِذَا حَنَّتْ إِلَى أَوْلاَدِهَا.

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِم: قَالَ الْعَبَّاسُ: فَوَاللّٰهِ لَكَأَنَّ عَطْفَهُمْ حِينَ سَمِعُوا صَوْتِي عَطْفَةُ الْبَقَرِ عَلَى أَوْلاَدِهَا، يَقُولُونَ: يَا لَبَّيْكَ! يَا لَبَّيْكَ! فَتَرَاجَعُوا إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، حَتَّى إِنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ إِذَا لَمْ يُطَاوِعْهُ بَعِيرُهُ عَلَى الرُّجُوعِ، انْحَدَرَ عَنْهُ، وَأَرْسَلَهُ، وَرَجَعَ بِنَفْسِهِ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ(٢)، فَأَمَرَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنْ يَصْدُقُوا الْحَمْلَةَ(٣)، فَاقْتَتَلُوا مَعَ الْكُفَّارِ، فَأَشْرَفَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ فَنَظَرَ إِلَى قِتَالِهِمْ، فَقَالَ: «**الآنَ حَمِيَ الْوَطِيسُ**» ـ وَهُوَ التَّنُّورُ ـ ضَرَبَهُ مَثَلاً لِشِدَّةِ الْحَرْبِ. وَهٰذَا مِنْ فَصِيحِ الْكَلاَمِ الَّذِي لَمْ يُسْمَعْ مِنْ أَحَدٍ قَبْلَ النَّبِيِّ ﷺ.

---

(١) ركاب السرج: ما توضع فيه الرِّجْل.

(٢) حتىٰ اجتمع حوله مئة.

(٣) وذكر ابن إسحاق عن جبير بن مُطْعِم قال: لقد رأيت قبل هزيمة القوم مثل البِجاد (الكساء) الأسود أقبل من السماء حتىٰ سقط بيننا وبين القوم، فنظرت فإذا نمل أسود مبثوث قد ملأ الوادي، فلم يكن إلا هزيمة القوم، فلم أشُكّ أنها الملائكة.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: عَنِ الْبَرَاءِ وَسَأَلَهُ رَجُلٌ: **أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟** فَقَالَ: لٰكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، كَانَ هَوَازِنُ رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ انْكَشَفُوا، فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْمَغَانِمِ، فَاسْتَقْبَلُونَا بِالسِّهَامِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا وَهُوَ ﷺ يَقُولُ: «**أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ، أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ**».

وَتَنَاوَلَ ﷺ حَصَيَاتٍ مِنَ الأَرْضِ، ثُمَّ قَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**» أَيْ: قَبُحَتْ، وَرَمَى بِهَا فِي وُجُوهِ الْمُشْرِكِينَ، فَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْهُمْ إِنْسَاناً إِلاَّ مَلأَ عَيْنَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقَبْضَةِ. وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: «**قَبْضَةً مِنْ تُرَابِ الأَرْضِ**».

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ[١]: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ لَمَّا وَلَّى الْمُسْلِمُونَ مُدْبِرِينَ قَالَ: «**أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ، أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**»، ثُمَّ أَخَذَ كَفًّا مِنْ تُرَابٍ وَضَرَبَ وُجُوهَهُمْ وَقَالَ: «**شَاهَتِ الْوُجُوهُ**»، فَهَزَمَهُمُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: حَادَتْ بِهِ ﷺ بَغْلَتُهُ، فَمَالَ السَّرْجُ، فَقُلْتُ: ارْتَفِعْ رَفَعَكَ اللَّهُ، فَقَالَ: «**نَاوِلْنِي كَفًّا مِنْ تُرَابٍ**»، فَضَرَبَ وُجُوهَهُمْ، وَامْتَلأَتْ أَعْيُنُهُمْ تُرَاباً، وَجَاءَ الْمُهَاجِرُونَ وَالأَنْصَارُ سُيُوفُهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ كَأَنَّهَا الشُّهُبُ، فَوَلَّى الْمُشْرِكُونَ الأَدْبَارَ.

وَعَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ الْفِهْرِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبْنَاؤُهُمْ عَنْ آبَائِهِمْ أَنَّهُمْ قَالُوا: لَمْ يَبْقَ مِنَّا وَاحِدٌ إِلاَّ امْتَلأَتْ عَيْنَاهُ وَفَمُهُ تُرَاباً، وَسَمِعْنَا صَلْصَلَةً مِنَ السَّمَاءِ كَإِمْرَارِ الْحَدِيدِ عَلَى الطَّسْتِ الْجَدِيدِ.

---

(١) كأبي داود.

﴿فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيۡهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٖ لَّمۡ تَرَوۡهَا﴾[1] وَهُمُ الْمَلائِكَةُ. وَفِي سِيرَةِ الدِّمْيَاطِيِّ: كَانَ سِيمَا[2] الْمَلائِكَةِ يَوْمَ حُنَيْنٍ عَمَائِمُ حُمْرٌ أَرْخَوْهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ[3].

وَأَمَرَ ﷺ أَنْ يُقْتَلَ مَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ، وَأَفْضَى الْمُسْلِمُونَ فِي الْقَتْلِ إِلَى الذُّرِّيَّةِ، فَنَهَاهُمْ ﷺ عَنْ ذٰلِكَ، وَقَالَ: «**مَنْ قَتَلَ قَتِيلاً لَهُ عَلَيْهِ بَيِّنَةٌ فَلَهُ سَلَبُهُ**» وَاسْتَلَبَ أَبُو طَلْحَةَ وَحْدَهُ ذٰلِكَ الْيَوْمَ عِشْرِينَ رَجُلاً.

وَأَمَرَ ﷺ بِطَلَبِ الْعَدُوِّ، فَانْتَهَى بَعْضُهُمْ إِلَى الطَّائِفِ، وَبَعْضُهُمْ نَحْوَ نَخْلَةَ[4]، وَقَوْمٌ مِنْهُمْ إِلَى أَوْطَاسٍ[5].

وَاسْتُشْهِدَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ أَرْبَعَةٌ، مِنْهُمْ أَيْمَنُ الْحَبَشِيُّ. وَقُتِلَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ أَكْثَرُ مِنْ سَبْعِينَ قَتِيلاً[6].

❋ ❋ ❋

[سرية أبي عامر الأشعري إلى أوطاس]

ثُمَّ سَرِيَّةُ أَبِي عَامِرٍ الأَشْعَرِيِّ، وَهُوَ عَمُّ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، بَعَثَهُ ﷺ حِينَ فَرَغَ مِنْ حُنَيْنٍ فِي طَلَبِ الفَارِّينَ مِنْ هَوَازِنَ، وَكَانَ مَعَهُ سَلَمَةُ بْنُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٦.

(٢) علامة.

(٣) وقد نزلت الملائكة لتثبيت المؤمنين وتجبينِ الكافرين، ولم تقاتل إلا في بدر.

(٤) بين مكة والطائف.

(٥) وادٍ بديار هوازن.

(٦) والذي حصل في هذه الغزوة درسٌ مهمٌّ من دروس الحرب، فإن هذا الجيش دخله أخلاط كثيرون من مشركين (طمعوا في الغنيمة) وأعراب وحديثي عهد بالإسلام، وهؤلاء سيّان عندهم نصرُ الإسلام وخذلانُه، ولذلك بادروا لأول صدمة إلى الهزيمة، فلا ينبغي أن يكون في الجيش إلا مَن يقاتل مخلصاً، ليكون مدافعاً حقاً عن دينه.

الأَكْوَعِ، فَانْتَهَى إِلَيْهِمْ، فَإِذَا هُمْ مُجْتَمِعُونَ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ أَبُو عَامِرٍ تِسْعَةَ إِخْوَةٍ مُبَارَزَةً بَعْدَ أَنْ يَدْعُوَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ وَيَقُولُ: اللَّهُمَّ اشْهَدْ عَلَيْهِ، فَقَالَ وَاحِدٌ مِنْهُمْ: اللَّهُمَّ لاَ تَشْهَدْ عَلَيَّ، فَكَفَّ عَنْهُ أَبُو عَامِرٍ، فَأَفْلَتَ، ثُمَّ أَسْلَمَ بَعْدُ فَحَسُنَ إِسْلاَمُهُ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا رَآهُ قَالَ: هٰذَا شَرِيدُ أَبِي عَامِرٍ. وَرَمَى أَبَا عَامِرٍ ابْنَا الْحَارِثِ: الْعَلاَءُ وَأَوْفَى، فَقَتَلاَهُ، فَخَلَفَهُ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ فَقَاتَلَهُمْ حَتَّى فَتَحَ اللّهُ عَلَيْهِ، وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِي عَامِرٍ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لأَبِي عَامِرٍ، وَاجْعَلْهُ مِنْ أَعْلَى أُمَّتِي فِي الْجَنَّةِ»**.

وَكَانَ فِي السَّبْيِ الشَّيْمَاءُ أُخْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ.

❋ ❋ ❋

[سرية الطُّفيل بن عمرو لهدم ذي الكفَّين]

ثُمَّ سَرِيَّةُ الطُّفَيْلِ بْنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ إِلَى ذِي الْكَفَّيْنِ ـ صَنَمٌ مِنْ خَشَبٍ ـ فِي شَوَّالٍ، لَمَّا أَرَادَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْسَّيْرَ إِلَى الطَّائِفِ لِيَهْدِمَهُ وَيُوَافِيَهُ بِالطَّائِفِ.

فَخَرَجَ سَرِيعاً فَهَدَمَهُ، وَجَعَلَ يَحُشُّ النَّارَ فِي وَجْهِهِ ـ أَيْ: يُلْقِيهَا عَلَيْهِ وَيُحْرِقُهُ ـ وَيَقُولُ:

يَا ذَا الكَفَيْنِ لَسْتُ مِنْ عُبَّادِكَا ... مِيلاَدُنَا أَقْدَمُ مِنْ مِيلاَدِكَا
إِنِّي حَشَشْتُ النَّارَ فِي فُؤَادِكَا

وَانْحَدَرَ مَعَهُ مِنْ قَوْمِهِ أَرْبَعُ مِئَةِ رَجُلٍ سِرَاعاً، فَوَافَوا النَّبِيَّ ﷺ بِالطَّائِفِ بَعْدَ مَقْدَمِهِ بِأَرْبَعَةِ أَيَّامٍ.

❋ ❋ ❋

غَزْوَةُ الطَّائِفِ

وَهِيَ بَلَدٌ كَبِيرٌ عَلَى ثَلاَثِ مَرَاحِلَ مِنْ مَكَّةَ[١]، سَارَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ فِي شَوَّالِ سَنَةَ ثَمَانٍ، حِينَ خَرَجَ مِنْ حُنَيْنٍ، وَحَبَسَ الْغَنَائِمَ بِالْجِعْرَانَةِ، وَقَدَّمَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ، وَكَانَتْ ثَقِيفٌ لَمَّا انْهَزَمُوا مِنْ أَوْطَاسٍ دَخَلُوا حِصْنَهُمْ بِالطَّائِفِ، وَأَغْلَقُوهُ عَلَيْهِمْ بَعْدَ أَنْ أَدْخَلُوا فِيهِ مَا يُصْلِحُهُمْ سَنَةً، وَتَهَيَّؤُوا لِلْقِتَالِ، فَسَارَ ﷺ حَتَّى نَزَلَ قَرِيباً مِنَ الْحِصْنِ وَعَسْكَرَ هُنَاكَ، فَرَمَوا الْمُسْلِمِينَ بِالنَّبْلِ رَمْياً شَدِيداً، كَأَنَّهُ رِجْلُ جَرَادٍ[٢]، حَتَّى أُصِيبَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَقُتِلَ مِنْهُمُ اثْنَا عَشَرَ رَجُلاً، فَارْتَفَعَ ﷺ إِلَى مَوْضِعِ مَسْجِدِ الطَّائِفِ الْيَوْمَ، وَكَانَ مَعَهُ مِنْ نِسَائِهِ أُمُّ سَلَمَةَ وَزَيْنَبُ، فَضَرَبَ لَهُمَا قُبَّتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي ﷺ بَيْنَ الْقُبَّتَيْنِ حِصَارَ الطَّائِفِ كُلَّهُ[٣]، فَحَاصَرَهُمْ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ يَوْماً، وَنَصَبَ عَلَيْهِمُ الْمَنْجَنِيقَ ـ وَهُوَ أَوَّلُ مَنْجَنِيقٍ رُمِيَ بِهِ فِي الإِسْلاَمِ ـ، وَأَمَرَ بِقَطْعِ أَعْنَابِهِمْ وَتَحْرِيقِهَا، فَقَطَعَ الْمُسْلِمُونَ قَطْعاً ذَرِيعاً، ثُمَّ سَأَلُوهُ أَنْ يَدَعَهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنِّي أَدَعُهَا لِلَّهِ وَلِلرَّحِمِ**».

ثُمَّ نَادَى مُنَادِيهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَيُّمَا عَبْدٍ نَزَلَ مِنَ الْحِصْنِ وَخَرَجَ إِلَيْنَا فَهُوَ حُرٌّ، فَخَرَجَ ثَلاَثَةٌ وَعِشْرُونَ عَبْداً، مِنْهُمْ أَبُو بَكْرَةَ.

وَلَمْ يُؤْذَنْ لَهُ ﷺ فِي فَتْحِ الطَّائِفِ، وَأَمَرَ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَذَّنَ بِالنَّاسِ فِي الرَّحِيلِ، فَضَجَّ النَّاسُ مِنْ ذٰلِكَ، وَقَالُوا: نَرْحَلُ وَلَمْ يُفْتَحْ عَلَيْنَا الطَّائِفُ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**فَاغْدُوا عَلَى الْقِتَالِ**»، فَغَدَوْا فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ جِرَاحَاتٌ، فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّا قَافِلُونَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى**»، فَسُرُّوا بِذٰلِكَ وَأَذْعَنُوا وَجَعَلُوا يَرْحَلُونَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَضْحَكُ.

---

(١) ١٢٤كم.

(٢) جراد كثير.

(٣) أي: مدة حصاره.

وَفُقِئَتْ عَيْنُ أَبِي سُفْيَانَ صَخْرِ بْنِ حَرْبٍ يَوْمَئِذٍ، فَذَكَرَ ابْنُ سَعْدٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ وَهِيَ فِي يَدِهِ: «**أَيُّمَا أَحَبُّ إِلَيْكَ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ؟ أَوْ أَدْعُو اللَّهَ أَنْ يَرُدَّهَا عَلَيْكَ؟**» قَالَ: بَلْ عَيْنٌ فِي الْجَنَّةِ، وَرَمَى بِهَا، وَشَهِدَ الْيَرْمُوكَ فَقَاتَلَ وَفُقِئَتْ عَيْنُهُ الأُخْرَى يَوْمَئِذٍ.

وَقَالَ ﷺ: «**قُولُوا: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ، صَدَقَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ**»، فَلَمَّا ارْتَحَلُوا قَالَ: «**قُولُوا: آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ**».

وَلَمَّا قِيلَ لَهُ ﷺ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ عَلَى ثَقِيفٍ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً، وَائْتِ بِهِمْ**».

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَدْ أَمَرَ أَنْ يُجْمَعَ السَّبْيُ وَالْغَنَائِمُ، مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَجُمِعَ ذٰلِكَ كُلُّهُ إِلَى الْجِعْرَانَةِ، فَكَانَ بِهَا إِلَى أَنِ انْصَرَفَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الطَّائِفِ.

وَكَانَ السَّبْيُ سِتَّةَ آلاَفِ رَأْسٍ، وَالإِبِلُ أَرْبَعَةً وَعِشْرِينَ أَلْفَ بَعِيرٍ، وَالْغَنَمُ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِينَ أَلْفَ شَاةٍ، وَأَرْبَعَةَ آلاَفِ أُوقِيَّةٍ فِضَّةٍ(١).

وَانْتَظَرَ ﷺ بِهَوَازِنَ أَنْ يَقْدَمُوا عَلَيْهِ مُسْلِمِينَ بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً(٢)، ثُمَّ بَدَأَ يَقْسِمُ الأَمْوَالَ(٣).

وَفِي الْبُخَارِيِّ: وَطَفِقَ ﷺ يُعْطِي رِجَالاً الْمِئَةَ مِنَ الإِبِلِ، فَقَالَ نَاسٌ مِنَ

---

(١) الأوقية ١٢٠غراماً، فالمجموع ٤٨٠كغ.

(٢) عسىٰ أن يقدَموا مسلمين فيشفع لهم إسلامُهم.

(٣) وجاؤوه بعد ذلك مسلمين، وطلبوا من النبي ﷺ أن يمنَّ عليهم، فخيَّرهم بين السبي والمال، فاختاروا السبي، فطلب من المسلمين ردّ السبي، فردّ المهاجرون والأنصار، وامتنع بعض الأعراب، فأخذه منهم قرضاً.

الأَنْصَارِ[١]: يَغْفِرُ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُعْطِي قُرَيْشاً وَيَتْرُكُنَا وَسُيُوفُنَا تَقْطُرُ مِنْ دِمَائِهِمْ. قَالَ أَنَسٌ: فَحُدِّثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِمَقَالَتِهِمْ، فَأَرْسَلَ إِلَى الأَنْصَارِ، فَجَمَعَهُمْ فِي قُبَّةٍ مِنْ أَدَمٍ[٢]، ثُمَّ قَالَ لَهُمْ: **«أَمَا تَرْضَوْنَ أَنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بِالأَمْوَالِ، وَتَذْهَبُونَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى رِحَالِكُمْ؟ فَوَاللَّهِ لَمَا تَنْقَلِبُونَ بِهِ خَيْرٌ مِمَّا يَنْقَلِبُونَ بِهِ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ رَضِينَا.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: بَيْنَمَا أَنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَعَهُ النَّاسُ مَقْفَلَهُ[٣] مِنْ حُنَيْنٍ، عَلِقَتْ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ الأَعْرَابُ، حَتَّى اضْطَرُّوهُ إِلَى سَمُرَةٍ[٤]، فَخَطِفَتْ رِدَاءَهُ، فَوَقَفَ ﷺ وَقَالَ: **«أَعْطُونِي رِدَائِي، فَلَوْ كَانَ لِي عَدَدُ هٰذِهِ الْعِضَاهِ نَعَماً لَقَسَمْتُهُ بَيْنَكُمْ، ثُمَّ لاَ تَجِدُونِي بَخِيلاً وَلاَ كَذُوباً وَلاَ جَبَاناً»**. (وَالْعِضَاهُ: شَجَرٌ ذُو شَوْكٍ)[٥].

وَأَحْرَمَ ﷺ بِعُمْرَةٍ وَدَخَلَ مَكَّةَ، ثُمَّ قَدِمَ الْمَدِينَةَ، وَقَدْ غَابَ عَنْهَا شَهْرَيْنِ وَسِتَّةَ عَشَرَ يَوْماً.

* * *

[سرية قيس بن سعد إلىٰ صُداء باليمن]

وَبَعَثَ ﷺ قَيْسَ بْنَ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ إِلَى نَاحِيَةِ الْيَمَنِ فِي أَرْبَعِ مِئَةِ

---

(١) وهم الأحداث منهم.

(٢) وبيَّن لهم أنّ قريشاً حديثو عهد بكفر ومصيبة، فأراد أن يَجبُرهم ويتألفهم.

(٣) مرجعه.

(٤) شجرة.

(٥) **[سرية خالد ثم علي إلىٰ همدان باليمن]**

وبعد تقسيم السبي بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلىٰ أهل اليمن يدعوهم إلىٰ الإسلام، فأقام فيهم ستة أشهر يدعوهم فلم يجيبوا، فبعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب مكانه، فدعاهم فأسلموا، ثم قدم وفدُهم علىٰ الرسول ﷺ.

فَارِسٍ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَاتِلَ قَبِيلَةَ صُدَاءَ حِينَ مُرُورِهِ عَلَيْهِمْ فِي الطَّرِيقِ، فَقَدِمَ زِيَادُ بْنُ الْحَارِثِ الصُّدَائِيُّ، فَسَأَلَ عَنْ ذٰلِكَ الْبَعْثِ، فَأُخْبِرَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! أَنَا وَافِدُهُمْ، فَارْدُدِ الْجَيْشَ، وَأَنَا لَكَ بِقَوْمِي، فَرَدَّهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَدِمَ الصُّدَائِيُّونَ بَعْدَ خَمْسَةَ عَشَرَ يَوْماً فَأَسْلَمُوا[١].

❋ ❋ ❋

[السنة التاسعة]
[سرية عُيينة بن حِصن إلىٰ بني تميم]

وَبَعَثَ ﷺ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الْفَزَارِيَّ إِلَى بَنِي تَمِيمٍ بِالسُّقْيَا - وَهِيَ أَرْضُ بَنِي تَمِيمٍ[٢] - فِي الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ، فِي خَمْسِينَ فَارِساً مِنَ الْعَرَبِ، لَيْسَ فِيهِمْ مُهَاجِرِيٌّ وَلاَ أَنْصَارِيٌّ[٣]، فَكَانَ يَسِيرُ اللَّيْلَ وَيَكْمُنُ النَّهَارَ، فَهَجَمَ عَلَيْهِمْ فِي صَحْرَاءَ قَدْ حَلُّوا وَسَرَّحُوا مَوَاشِيَهُمْ، فَلَمَّا رَأَوْا الْجَمْعَ وَلَّوْا، فَأَخَذُوا مِنْهُمْ أَحَدَ عَشَرَ رَجُلاً وَإِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً وَثَلاَثِينَ صَبِيًّا، فَقَدِمَ عَشَرَةٌ مِنْ رُؤَسَائِهِمْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَرَدَّ عَلَيْهِمُ الأَسَارَى وَالسَّبْيَ.

❋ ❋ ❋

---

(١) وفي هذا العام تزوّج رسول الله ﷺ فاطمة بنت الضحّاك الكلابية، فاستعاذت بالله منه، فقال لها: **«لقد عُذتِ بعظيم، الحقي بأهلك»**.
وفي هذا العام توفيت السيدة زينبُ بنت الرسول ﷺ وزوجُ أبي العاص، وهي أكبر بناته ﷺ.
وفي ذي الحجة ولد إبراهيم بن النبي ﷺ من السيدة مارية.

(٢) قرب الجُحفة.

(٣) وسبب هذه السرية أن النبي ﷺ أرسل بِشر بن سفيان العدوي إلىٰ بني كعب من خزاعة لأخذ صدقات أموالهم، فمنعهم بنو تميم المجاورون لهم من أداء ما فُرض عليهم، فبعث النبي ﷺ عُيينة إليهم.

[سرية الوليد بن عُقبة إلى بني المصطلق]

ثُمَّ بَعَثَ ﷺ الْوَلِيدَ بْنَ عُقْبَةَ إِلَى بَنِي الْمُصْطَلِقِ مِنْ خُزَاعَةَ لِصَدَقَتِهِمْ، وَكَانَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانُوا قَدْ أَسْلَمُوا وَبَنَوا الْمَسَاجِدَ، فَلَمَّا سَمِعُوا بِدُنُوِّ الْوَلِيدِ قَدِمَ مِنْهُمْ عِشْرُونَ رَجُلاً[1]، يَتَلَقَّوْنَهُ بِالْجُزُرِ[2] وَالْغَنَمِ فَرَحاً بِهِ، وَتَعْظِيماً لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ ﷺ، فَحَدَّثَهُ الشَّيْطَانُ أَنَّهُمْ يُرِيدُونَ قَتْلَهُ، فَرَجَعَ مِنَ الطَّرِيقِ قَبْلَ أَنْ يَصِلُوا إِلَيْهِ، وَأَخْبَرَ النَّبِيَّ ﷺ أَنَّهُمْ لَقُوهُ بِالسِّلَاحِ، يَحُولُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ[3]، فَهَمَّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يَبْعَثَ إِلَيْهِمْ مَنْ يَغْزُوهُمْ، وَبَلَغَ ذٰلِكَ الْقَوْمَ، فَقَدِمَ مِنْهُمُ الرَّكْبُ الَّذِينَ لَقُوا الْوَلِيدَ، فَأَخْبَرُوا النَّبِيَّ ﷺ الْخَبَرَ عَلَى وَجْهِهِ، فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ[4]، فَقَرَأَ ﷺ الآيَةَ، وَبَعَثَ مَعَهُمْ عَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ، يَأْخُذُ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمْ، وَيُعَلِّمُهُمْ شَرَائِعَ الإِسْلَامِ، وَيُقْرِئُهُمُ الْقُرْآنَ.

❋ ❋ ❋

[سرية عبدالله بن عوسجة إلى بني عمرو بن حارث]

وَبَعَثَ ﷺ عَبْدَاللَّهِ بْنَ عَوْسَجَةَ إِلَى بَنِي عَمْرِو بْنِ حَارِثَةَ فِي مُسْتَهَلِّ صَفَرٍ يَدْعُوهُمْ إِلَى الإِسْلَامِ، فَأَبَوْا أَنْ يُجِيبُوا، وَاسْتَخَفُّوا بِالصَّحِيفَةِ، فَدَعَا

---

(١) متقلّدين سلاحهم.

(٢) إبل الصدقة.

(٣) فأرسل ﷺ لهم خالد بن الوليد لاستكشاف الخبر، فسار إليهم في عسكره خفية، حتى إذا كان بناديهم سمع مؤذنهم يؤذّن بالصبح.

(٤) سورة الحجرات، الآية: ٦.

عَلَيْهِمْ ﷺ بِذَهَابِ الْعَقْلِ. قَالَ رَاوِي الْحَدِيثِ: فَهُمْ إِلَى الْيَوْمِ أَهْلُ رِعْدَةٍ وَعَجَلَةٍ وَكَلَامٍ مُخْتَلِطٍ.

❋ ❋ ❋

[سرية قطبة بن عامر إلىٰ خثعم]

ثُمَّ سَرِيَّةُ قُطْبَةَ بْنِ عَامِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ[(١)] إِلَى خَثْعَمَ (قَرِيباً مِنْ تَرَبَةَ مِنْ أَعْمَالِ مَكَّةَ[(٢)])، سَنَةَ تِسْعٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ عِشْرِينَ رَجُلاً، وَأَمَرَهُ أَنْ يَشُنَّ الْغَارَةَ عَلَيْهِمْ، فَاقْتَتَلُوا قِتَالاً شَدِيداً حَتَّى كَثُرَ الْجَرْحَى فِي الْفَرِيقَيْنِ جَمِيعاً، وَقَتَلَ قُطْبَةُ مَنْ قَتَلَ، وَسَاقُوا النَّعَمَ وَالشَّاءَ وَالنِّسَاءَ إِلَى الْمَدِينَةِ[(٣)].

❋ ❋ ❋

[سرية الضحاك بن سفيان إلىٰ بني كلاب]

ثُمَّ سَرِيَّةُ الضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكِلَابِيِّ إِلَى بَنِي كِلَابٍ فِي رَبِيعٍ الْأَوَّلِ سَنَةَ تِسْعٍ إِلَى الْقُرَطَاءِ[(٤)]، فَدَعَاهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَأَبَوْا، فَقَاتَلُوهُمْ، فَهَزَمُوهُمْ وَغَنِمُوا.

❋ ❋ ❋

---

(١) في صفر.

(٢) وهو واد علىٰ بُعد ٢٠٠كم شرق مكة.

(٣) لكن القوم لحقوهم، فأرسل الله سبحانه عليهم سيلاً عظيماً حال بينهم وبين المسلمين.

(٤) شرقي المدينة.

[سرية علقمة بن مُجَزِّز إلى الحبشة]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَلْقَمَةَ بْنِ مُجَزِّزٍ الْمُدْلِجِيِّ إِلَى نَاسٍ مِنَ الْحَبَشَةِ، فِي رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ، فِي ثَلاثِ مِئَةٍ[1]، فَانْتَهَى إِلَى جَزِيرَةٍ فِي الْبَحْرِ، فَلَمَّا خَاضَ إِلَيْهِمْ هَرَبُوا.

فَلَمَّا رَجَعَ تَعَجَّلَ بَعْضُ الْقَوْمِ إِلَى أَهْلِيهِمْ، فَأَمَّرَ عَبْدَاللَّهِ بْنَ حُذَافَةَ عَلَى مَنْ تَعَجَّلَ، وَكَانَتْ فِيهِ دُعَابَةٌ، فَنَزَلُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، وَأَوْقَدُوا نَاراً يَصْطَلُونَ عَلَيْهَا، فَقَالَ: عَزَمْتُ عَلَيْكُمْ إِلاَّ تَوَاثَبْتُمْ فِي هٰذِهِ النَّارِ، فَلَمَّا هَمَّ بَعْضُهُمْ بِذٰلِكَ قَالَ: اجْلِسُوا إِنَّمَا كُنْتُ أَمْزَحُ. فَذَكَرُوا ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ أَمَرَكُمْ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ تُطِيعُوهُ**»، وَفِي رِوَايَةٍ قَالَ: «**لَوْ دَخَلُوهَا مَا خَرَجُوا مِنْهَا**»[2].

❋ ❋ ❋

[سرية علي لهدم الفِلس]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إِلَى الْفُلْسِ ـ وَهُوَ صَنَمُ طَيِّءٍ ـ لِهَدْمِهِ فِي رَبِيعٍ الآخِرِ سَنَةَ تِسْعٍ، وَبَعَثَ مَعَهُ مِئَةً وَخَمْسِينَ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، عَلَى مِئَةِ بَعِيرٍ وَخَمْسِينَ فَرَساً، فَهَدَمَهُ[3]، وَغَنِمَ سَبْياً وَنَعَماً وَشَاءً،

---

(١) وكان قد بلغه ﷺ أن جمعاً من الحبشة رآهم أهل جُدة في مراكبهم يريدون الإغارة عليها.

(٢) رواه الشيخان، لكن الذي في الصحيحين أن الأمير كان من الأنصار، وأن الرسول ﷺ هو الذي أمّره، وأن الغضب حمله على ذلك لا الدُّعابة.

(٣) ولمّا حاربه عبّاده هزمهم.

وَكَانَ فِي السَّبْيِ سَفَّانَةُ بِنْتُ حَاتِمٍ، فَأَطْلَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ[1]، فَكَانَ ذٰلِكَ سَبَبَ إِسْلَامِ أَخِيهَا عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ[2].

❋ ❋ ❋

[سرية عُكَاشة إلى الجِناب]

ثُمَّ سَرِيَّةُ عُكَاشَةَ بْنِ مِحْصَنٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ[3] إِلَى الْجِنَابِ (مَوْضِعٌ بِالْحِجَازِ[4]) وَهُوَ أَرْضُ عُذْرَةَ وَبَلِيٍّ (اسْمُ قَبِيلَتَيْنِ) وَقِيلَ: أَرْضُ فَزَارَةَ وَكَلْبٍ.

❋ ❋ ❋

قِصَّةُ كَعْبِ بْنِ زُهَيْرٍ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ

وَكَانَتْ فِيمَا بَيْنَ رُجُوعِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِنَ الطَّائِفِ وَغَزْوَةِ تَبُوكَ.

وَكَانَ مِنْ خَبَرِهِ وَأَخِيهِ بُجَيْرٍ أَنَّ بُجَيْراً قَالَ لِكَعْبٍ: اثْبُتْ حَتَّى آتِيَ هٰذَا الرَّجُلَ - يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ - فَأَسْمَعَ كَلَامَهُ، وَأَعْرِفَ مَا عِنْدَهُ، فَأَقَامَ كَعْبٌ، وَمَضَى بُجَيْرٌ حَتَّى أَتَى إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَسَمِعَ كَلَامَهُ، فَآمَنَ بِهِ.

وَذٰلِكَ أَنَّ زُهَيْراً كَانَ يُجَالِسُ أَهْلَ الْكِتَابِ، فَسَمِعَ مِنْهُمْ أَنَّهُ قَدْ آنَ

---

(١) لأنه كان من سّنته أن يكرم الكرام.

(٢) وقومه.

(٣) في ربيع الآخر.

(٤) شمال المدينة.

مَبْعَثُهُ ﷺ، وَرَأَى زُهَيْرٌ فِي مَنَامِهِ أَنَّهُ قَدْ مُدَّ سَبَبٌ[1] مِنَ السَّمَاءِ، وَأَنَّهُ قَدْ مَدَّ يَدَهُ لِيَتَنَاوَلَهُ فَفَاتَهُ، فَتَأَوَّلَهُ بِالنَّبِيِّ الَّذِي يُبْعَثُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ، وَأَنَّهُ لاَ يُدْرِكُهُ، وَأَخْبَرَ بَنِيهِ بِذٰلِكَ، وَأَوْصَاهُمْ إِنْ أَدْرَكُوهُ أَنْ يُسْلِمُوا.

وَكَتَبَ بُجَيْرٌ إِلَى كَعْب أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَتَلَ رِجَالاً بِمَكَّةَ مِمَّنْ كَانَ يَهْجُوهُ، وَأَنَّ مَنْ بَقِيَ مِنْ شُعَرَاءِ قُرَيْشٍ هَرَبُوا، فَإِنْ كَانَتْ لَكَ فِي نَفْسِكَ حَاجَةٌ فَطِرْ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَإِنَّهُ لاَ يَقْتُلُ أَحَداً جَاءَهُ تَائِباً، وَإِنْ كُنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَانْجُ إِلَى نَجَائِكَ، فَكَتَبَ لَهُ أَبْيَاتاً لاَمَهُ فِيهَا عَلَى إِسْلاَمِهِ، فَأَنْشَدَهَا النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**مَنْ لَقِيَ مِنكُمْ كَعْبَ بْنَ زُهَيرٍ فَلْيَقْتُلْهُ**»، فَلَمَّا بَلَغَ كَعْباً ضَاقَتْ بِهِ الأَرْضُ، وَأَشْفَقَ عَلَى نَفْسِهِ، فَخَرَجَ حَتَّى قَدِمَ الْمَدِينَةَ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي يَدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَهُوَ[2] لاَ يَعْرِفُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّ كَعْبَ بْنَ زُهَيْرٍ جَاءَ لِيَسْتَأْمِنَكَ تَائِباً مُسْلِماً، فَهَلْ أَنْتَ قَابِلٌ مِنْهُ إِنْ أَنَا جِئْتُكَ بِهِ؟ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**نَعَمْ**»، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ كَعْبُ بْنُ زُهَيْرٍ، فَوَثَبَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! دَعْنِي وَعَدُوَّ اللّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ ﷺ: «**دَعْهُ عَنْكَ فَقَدْ جَاءَ تَائِباً**»، ثُمَّ قَالَ قَصِيدَتَهُ: (بَانَتْ سُعَادُ)، قَالَ أَبُو بَكْرٍ ابْنُ الأَنْبَارِيِّ لَمَّا وَصَلَ إِلَى قَوْلِهِ:

إِنَّ الرَّسُولَ لَنُورٌ يُسْتَضَاءُ بِهِ ... مُهَنَّدٌ مِنْ سُيُوفِ اللّهِ مَسْلُولُ

رَمَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَيْهِ بُرْدَةً[3] كَانَتْ عَلَيْهِ، وَأَنَّ مُعَاوِيَةَ بَذَلَ لَهُ فِيهَا عَشَرَةَ آلاَفٍ، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لأُوثِرَ بِثَوْبِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ أَحَداً، فَلَمَّا مَاتَ كَعْبٌ بَعَثَ مُعَاوِيَةُ إِلَى وَرَثَتِهِ بِعِشْرِينَ أَلْفاً، فَأَخَذَهَا مِنْهُمْ، قَالَ: وَهِيَ الْبُرْدَةُ الَّتِي عِنْدَ السَّلاَطِينِ إِلَى الْيَوْمِ.

---

(١) حبل.
(٢) أي: الرسول ﷺ.
(٣) ثوباً مخطّطاً.

غَزوَةُ تَبُوكَ

تَبُوكُ: مَكَانٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ نِصْفُ طَرِيقِ الْمَدِينَةِ إِلَى دِمَشْقَ.

وَهِيَ غَزْوَةُ الْعُسْرَةِ، وَكَانَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ فِي رَجَبٍ سَنَةَ تِسْعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَ حَرًّا شَدِيداً وَجَدْباً كَثِيراً، فَلِذٰلِكَ لَمْ يُوَرِّ عَنْهَا كَعَادَتِهِ ﷺ فِي سَائِرِ الْغَزَوَاتِ.

وَخَرَجُوا فِي قِلَّةٍ مِنَ الظَّهْرِ، وَفِي حَرٍّ شَدِيدٍ، حَتَّى كَانُوا يَنْحَرُونَ الْبَعِيرَ فَيَشْرَبُونَ مَا فِي كِرْشِهِ مِنَ الْمَاءِ، فَكَانَ ذٰلِكَ عُسْرَةً فِي الْمَاءِ وَفِي الظَّهْرِ وَفِي النَّفَقَةِ فَسُمِّيَتْ (غَزْوَةَ الْعُسْرَةِ).

وَسَبَبُهَا: أَنَّهُ بَلَغَهُ ﷺ مِنَ الأَنْبَاطِ(١) الَّذِينَ يَقْدَمُونَ بِالزَّيْتِ مِنَ الشَّامِ إِلَى الْمَدِينَةِ أَنَّ الرُّومَ تَجَمَّعَتْ بِالشَّامِ مَعَ هِرَقْلَ، فَنَدَبَ ﷺ النَّاسَ إِلَى الْخُرُوجِ، وَأَعْلَمَهُمْ بِالْمَكَانِ الَّذِي يُرِيدُ، لِيَتَأَهَّبُوا لِذٰلِكَ.

وَقَالَ عُثْمَانُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ هٰذِهِ مِئَتَا بَعِيرٍ بِأَقْتَابِهَا وَأَحْلاَسِهَا(٢)، وَمِئَتَا أُوقِيَّةٍ. فَقَالَ ﷺ: **«لاَ يَضُرُّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَهَا»**(٣).

وَرُوِيَ عَنْ قَتَادَةَ أَنَّهُ قَالَ: حَمَّلَ عُثْمَانُ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ عَلَى أَلْفِ بَعِيرٍ وَسَبْعِينَ فَرَساً.

وَعَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: جَاءَ عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَلْفِ دِينَارٍ فِي كُمِّهِ، حِينَ جَهَّزَ جَيْشَ الْعُسْرَةِ، فَنَثَرَهَا فِي حِجْرِهِ ﷺ،

---

(١) الفلاحين.

(٢) القتَب: ما يوضع علىٰ ظهر البعير علىٰ قدر السَّنام للركوب. والحِلس: كساء علىٰ ظهر البعير تحت القَتَب.

(٣) رواه الترمذي.

فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يُقَلِّبُهَا فِي حِجْرِهِ، وَيَقُولُ: **«مَا ضَرَّ عُثْمَانَ مَا عَمِلَ بَعْدَ الْيَوْمِ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[١].

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ[٢] عَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّ عُثْمَانَ بَعَثَ فِي جَيْشِ الْعُسْرَةِ بِعَشَرَةِ آلافِ دِينَارٍ[٣] إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَصُبَّتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ ﷺ يَقُولُ بِيَدِهِ وَيُقَلِّبُهَا ظَهْراً لِبَطْنٍ، وَيَقُولُ: **«غَفَرَ اللّهُ لَكَ يَا عُثْمَانُ مَا أَسْرَرْتَ وَمَا أَعْلَنْتَ، وَمَا هُوَ كَائِنٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، مَا يُبَالِي مَا عَمِلَ بَعْدَهَا»**[٤].

وَلَمَّا تَأَهَّبَ ﷺ لِلْخُرُوجِ قَالَ قَوْمٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: لاَ تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ، فَنَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا۟ لَا تَنفِرُوا۟ فِى ٱلْحَرِّ ۗ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا ۚ لَّوْ كَانُوا۟ يَفْقَهُونَ﴾[٥] وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى مَكَّةَ وَقَبَائِلِ الْعَرَبِ يَسْتَنْفِرُهُمْ.

وَجَاءَ الْبَكَّاؤُونَ يَسْتَحْمِلُونَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ»**، وَهُمُ الَّذِينَ قَالَ اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهِمْ: ﴿تَوَلَّوا۟ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا۟ مَا يُنفِقُونَ﴾[٦].

وَجَاءَ الْمُعَذِّرُونَ مِنَ الأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فِي التَّخَلُّفِ، فَأَذِنَ لَهُمْ، وَهُمُ اثْنَانِ وَثَمَانُونَ رَجُلاً، وَقَعَدَ آخَرُونَ مِنَ الْمُنَافِقِينَ بِغَيْرِ عُذْرٍ وَإِظْهَارِ عِلَّةٍ جَرَاءَةً عَلَى اللّهِ وَرَسُولِهِ، وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٧].

---

(١) وقال: حسن غريب، ورواه أحمد.

(٢) في المواهب وشرحها: وروىٰ الطبري في الرياض النضرة.

(٣) بل بألف دينار كما تقدم في رواية الترمذي، أما هذه الرواية فسندها واهٍ كما قال الحافظ، ولعلها كانت عشرة آلاف درهم.

(٤) وجاء أبو بكر بكل ماله، وجاء عمر بنصفه، وجاء غيرهم بما استطاع.

(٥) سورة التوبة، الآية: ٨١.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٩٢.

(٧) سورة التوبة، الآية: ٩٠. وبلغ رسولَ الله ﷺ أن ناساً من المنافقين يجتمعون في بيت سويلم اليهودي يثبطون الناس عن الغزو، فبعث إليهم طلحةَ بن عبيدالله في نفر من أصحابه، وأمره أن يحرّق عليهم بيتهم، ففعل، فاقتحم بعضهم من ظهر البيت فانكسرت رجله، وأفلت الآخرون.

وَاسْتَخْلَفَ عَلَى الْمَدِينَةِ[1]، وَعَلَىٰ عِيَالِهِ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَقَالَ لَهُ يَوْمَئِذٍ[2]: **«أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي»**[3].

وَتَخَلَّفَ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلاَ ارْتِيَابٍ، مِنْهُمْ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَمُرَارَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَهِلاَلُ بْنُ أُمَيَّةَ، وَفِيهِمْ نَزَلَ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾[4]، وَأَبُو ذَرٍّ وَأَبُو خَيْثَمَةَ، ثُمَّ لَحِقَاهُ بَعْدَ ذٰلِكَ[5].

وَأَمَرَ ﷺ لِكُلِّ بَطْنٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَالْقَبَائِلِ مِنَ الْعَرَبِ أَنْ يَتَّخِذُوا لِوَاءً وَرَايَةً، وَكَانَ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ثَلاَثُونَ أَلْفاً، وَكَانَتِ الْخَيْلُ عَشَرَةَ آلاَفٍ[6].

فَلَمَّا قَدِمُوا تَبُوكَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«سَتَهُبُّ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَةَ رِيحٌ شَدِيدَةٌ، فَلاَ يَقُمْ أَحَدٌ مِنْكُمْ، فَمَنْ كَانَ لَهُ بَعِيرٌ فَلْيَشُدَّ عِقَالَهُ»**، فَقَامَ رَجُلٌ[7]

---

(١) محمدَ بن مسلمة.

(٢) لأن المنافقين قالوا: قد استثقله فتركه، فأسرع إلىٰ رسول الله ﷺ وشكا له ما سمع.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) سورة التوبة، الآية: ١١٨. ومعنى خُلّفوا: أُرجئوا فلم يُقبَل عذرهم في التخلُّف حتىٰ نزلت توبتهم، وليس معنىٰ خُلّفوا: تخلّفوا عن الغزوة. انظر الحديث في البخاري ٤٤١٨، ومسلم ٢٧٦٩، وهو في رياض الصالحين الحديث ٢١.

(٥) أما أبو ذر: فلما أبطأ به بعيره أخذ متاعه فحمله علىٰ ظهره، وتبع رسول الله ﷺ ماشياً. وأما أبو خيثمة: فكان من خبره أنه دخل علىٰ أهله في يوم حارٍّ، فوجد امرأتين له في عريشتين لهما في بستان، قد رشّت كل منهما عريشتها، وبرّدت فيها ماء، وهيّأت طعاماً، فلما نظر ذلك قال: يكون رسول الله ﷺ في الحَرّ وأبو خيثمة في ظلّ بارد وماءٍ مهيّأ وامرأةٍ حسناء؟ ما هذا بالنَّصَف، ثم لحق برسول الله ﷺ، فصادفه حين نزل بتبوك.

(٦) وسار الجيش في جَهد شديد من قلة الظَّهر والمؤنة، حتىٰ كان الرُّجُلان والثلاثة يعتقبون علىٰ بعير واحد، وكان الرجلان والثلاثة يقتسمون التمرة فيما بينهم.

(٧) يطلب بعيراً فقدَه.

فَحَمَلَتْهُ الْرِّيحُ حَتَّىٰ أَلْقَتْهُ بِجَبَلِ طَيِّءٍ[1]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَمَّا مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْحِجْرِ سَجَّى ثَوْبَهُ عَلَى وَجْهِهِ، وَاسْتَحَثَّ رَاحِلَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**لاَ تَدْخُلُوا بُيُوتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ إِلاَّ وَأَنْتُمْ بَاكُونَ خَوْفاً أَنْ يُصِيبَكُمْ مَا أَصَابَهُمْ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. (وَالْحِجْرُ: دِيَارُ ثَمُودَ الَّذِينَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ).

وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ ضَلَّتْ نَاقَتُهُ، فَقَالَ زَيْدُ بْنُ اللُّصَيْتِ ـ وَكَانَ مُنَافِقاً ـ: أَلَيْسَ مُحَمَّدٌ يَزْعُمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ وَيُخْبِرُكُمْ بِأَخْبَارِ السَّمَاءِ وَهُوَ لاَ يَدْرِي أَيْنَ نَاقَتُهُ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ رَجُلاً يَقُولُ كَذَا**» وَذَكَرَ مَقَالَتَهُ «**وَإِنِّي وَاللَّهِ لاَ أَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَقَدْ دَلَّنِي اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهَا، وَهِيَ فِي الْوَادِي فِي شِعْبِ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ حَبَسَتْهَا شَجَرَةٌ بِزِمَامِهَا**[2]**، فَانْطَلِقُوا حَتَّى تَأْتُونِي بِهَا**» فَانْطَلَقُوا فَجَاؤُوا بِهَا. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ.

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ أَنَّهُمْ وَرَدُوا عَيْنَ تَبُوكَ، وَهِيَ تَبِضُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، وَأَنَّهُمْ غَرَفُوا مِنْهَا قَلِيلاً قَلِيلاً، حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَنٍّ[3]، ثُمَّ غَسَلَ ﷺ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتْ بِمَاءٍ كَثِيرٍ، فَاسْتَقَى النَّاسُ[4].

وَلَمَّا انْتَهَى ﷺ إِلَى تَبُوكَ أَتَاهُ صَاحِبُ[5] أَيْلَةَ[6]، فَصَالَحَهُ وَأَعْطَاهُ

---

(١) فأهدته طيّء لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة.

(٢) بلجامها.

(٣) طبق.

(٤) ثم قال رسول الله ﷺ: «**يوشك يا معاذ إن طالت بك حياة أن ترىٰ ما هاهنا قد ملىء جناناً**».

(٥) ملِك.

(٦) وهي قرية بين الحجاز والشام علىٰ خليج العقبة.

الْجِزْيَةَ، وَأَتَاهُ أَهْلُ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ ـ وَهُمَا بَلَدَانِ بِالشَّامِ[1] ـ فَأَعْطَوهُ الْجِزْيَةَ، وَكَتَبَ لَهُمْ ﷺ كِتَاباً.

❋ ❋ ❋

[سرية خالد إلى أُكيدِر دُومة الجندل]

وَوُجِدَ هِرَقْلُ بِحِمْصَ، فَأَرْسَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ إِلَى أُكَيْدِرِ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ النَّصْرَانِيِّ بِدُومَةِ الْجَنْدَلِ[2]، فِي أَرْبَعِ مِئَةٍ وَعِشْرِينَ فَارِساً، فِي رَجَبٍ سَرِيَّةً، وَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّكَ سَتَجِدُهُ لَيلاً يَصِيدُ الْبَقَرَ**»[3]، فَانْتَهَى إِلَيْهِ خَالِدٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ حِصْنِهِ فِي لَيْلَةٍ مُقْمِرَةٍ إِلَى بَقَرٍ يُطَارِدُهَا، هُوَ وَأَخُوهُ حَسَّانُ، فَشَدَّتْ عَلَيْهِمْ خَيْلُ خَالِدٍ، فَاسْتُؤْثِرَ أُكَيْدِرٌ، وَقُتِلَ أَخُوهُ حَسَّانُ، وَهَرَبَ مَنْ كَانَ مَعَهُمَا، فَدَخَلَ الْحِصْنَ، ثُمَّ أَجَارَ خَالِدٌ أُكَيْدِراً مِنَ الْقَتْلِ حَتَّى يَأْتِيَ بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلَى أَنْ يَفْتَحَ لَهُ دُومَةَ الْجَنْدَلِ، فَفَعَلَ، وَصَالَحَهُ عَلَى أَلْفَيْ بَعِيرٍ وَثَمَانِ مِئَةِ فَرَسٍ وَأَرْبَعِ مِئَةِ دِرْعٍ وَأَرْبَعِ مِئَةِ رُمْحٍ.

وَفِي هٰذِهِ الْغَزْوَةِ كَتَبَ ﷺ كِتَاباً فِي تَبُوكَ إِلَى هِرَقْلَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَقَارَبَ الإِجَابَةَ وَلَمْ يُجِبْ. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ.

وَفِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ: أَنَّ هِرَقْلَ كَتَبَ: مِنْ تَبُوكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنِّي مُسْلِمٌ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**كَذَبَ، هُوَ عَلَى نَصْرَانِيَّتِهِ**».

ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ مِنْ تَبُوكَ بَعْدَ أَنْ أَقَامَ بِهَا بِضْعَ عَشْرَةَ لَيْلَةً، وَقِيلَ:

---

(١) من أعمال عمّان بالبلقاء.

(٢) وهي بين المدينة ودمشق.

(٣) بقر الوحش.

عِشْرِينَ، وَلَمْ يَلْقَ كَيْداً[١]، وَبَنَى فِي طَرِيقِهِ مَسَاجِدَ.

وَأَقْبَلَ ﷺ حَتَّى إذا نَزَلَ بِذِي أَوَانٍ ـ بَيْنَهَا وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سَاعَةٌ ـ جَاءَهُ خَبَرُ مَسْجِدِ الْضِّرَارِ مِنَ الْسَّمَاءِ، فَأَرْسَلَ مَنْ هَدَمَهُ وَحَرَقَهُ بَعْدَ أَنْ أَنْزَلَ اللّهُ فيهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا﴾ الآيَةَ[٢]، وَكَانَ الَّذِينَ اتَّخَذُوهُ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً يُضَارُّونَ بِهِ مَسْجِدَ قُبَاءَ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ قَالُوا فِي طَائِفَةٍ مِنَ الْمُنَافِقِينَ: نَبْنِي مَسْجِداً، فَنَقِيلُ فِيهِ، فَلاَ نَحْضُرُ خَلْفَ مُحَمَّدٍ[٣].

وَلَمَّا دَنَا ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ خَرَجَ النَّاسُ لِتَلَقِّيهِ، وَخَرَجَ الْنِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ وَالْوَلاَئِدُ يَقُلْنَ:

طَلَعَ الْبَدْرُ عَلَيْنَا ... مِنْ ثَنِيَّاتِ الْوَدَاعِ
وَجَبَ الْشُّكْرُ عَلَيْنَا ... مَا دَعَا لِلَّهِ دَاعِ

وَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ فِي الْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ سَيْراً؛ وَلاَ قَطَعْتُمْ وَادِياً؛ إِلاَّ كَانُوا مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[٤].

وَلَمَّا أَشْرَفَ ﷺ عَلَى الْمَدِينَةِ قَالَ: «**هٰذِهِ طَابَةُ، وَهٰذَا أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**»[٥].

---

(١) لأن الروم لمّا بلغهم مسيرُ النبي ﷺ آثروا الانسحاب إلىٰ بلاد الشام. وفي طريق عودة النبي ﷺ إلىٰ المدينة تآمر عليه اثنا عشر رجلاً من المنافقين أن يزحموه فيلقوه وهو في مكان عال، وكانوا متلثّمين، وكان حذيفة بن اليمان آخذاً بخطام ناقة رسول الله ﷺ فنبّهه، فصرخ فيهم رسول الله ﷺ فولُّوا مدبرين.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٧.

(٣) وقِصَّته: أن أبا عامر الراهب كان ممن حمل لواء العداوة لرسول الله ﷺ من أول يوم قدِم فيه المدينة، ولقّبه الرسول ﷺ بالفاسق بدل الراهب، وكان قد فرّ إلىٰ هرقل ملكِ الروم يستنصر به، وكتب إلىٰ جماعة من المنافقين أنه سيقدَم عليهم بجيش لقتال الرسول ﷺ، وأمرهم أن يتّخذوا له معقِلاً لمن يقدَم عليهم من عنده لتبليغ كتبه، ويكون مرصداً لهم، ففعلوا ذلك.

(٤) رواه البخاري.

(٥) رواه البخاري.

وَلَمَّا دَخَلَ ﷺ قَالَ الْعَبَّاسُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَتَأْذَنُ لِي أَمْتَدِحْكَ؟ قَالَ: **«قُلْ، لاَ يَفْضُضِ اللّهُ فَاكَ»** فَقَالَ قَصِيدَةً مِنْهَا:

وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقَتِ الأَرْ ... ضُ وَضَاءَتْ بِنُورِكَ الأُفُقُ
فَنَحْنُ فِي ذٰلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النُّو ... رِ وَسُبُلِ الرَّشَادِ نَخْتَرِقُ

وَجَاءَهُ ﷺ مَنْ كَانَ تَخَلَّفَ عَنْهُ فَحَلَفُوا لَهُ، فَعَذَرَهُمْ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمْ، وَأَرْجَأَ أَمْرَ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ وَصَاحِبَيْهِ: هِلاَلِ بْنِ أُمَيَّةَ، وَمُرَارَةَ بْنِ رَبِيعَةَ؛ حَتَّى نَزَلَتْ تَوْبَتُهُمْ(١).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾(٢) قَالَ: كَانُوا عَشَرَةَ رَهْطٍ، تَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَلَمَّا رَجَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَوْثَقَ سَبْعَةً مِنْهُمْ أَنْفُسَهُمْ بِسَوَارِي الْمَسْجِدِ، وَكَانَ مَمَرُّ النَّبِيِّ ﷺ إِذَا رَجَعَ فِي الْمَسْجِدِ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: **«مَنْ هٰؤُلاَءِ؟»** قَالُوا: هٰذَا أَبُو لُبَابَةَ، وَأَصْحَابٌ لَهُ تَخَلَّفُوا عَنْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ، حَتَّى تُطْلِقَهُمْ وَتَعْذِرَهُمْ، فَقَالَ: **«أُقْسِمُ بِاللّهِ لاَ أُطْلِقُهُمْ وَلاَ أَعْذُرُهُمْ، حَتَّى يَكُونَ اللّهُ هُوَ الَّذِي يُطْلِقُهُمْ، رَغِبُوا عَنِّي وَتَخَلَّفُوا عَنِ الْغَزْوِ»**، فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ﴾، فَلَمَّا نَزَلَتْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ، فَأَطْلَقَهُمْ وَعَذَرَهُمْ(٣).

❋ ❋ ❋

---

(١) بعد خمسين ليلة. انظر قصّتهم المؤثّرة في رياض الصالحين للإمام النووي في باب التوبة.

(٢) سورة التوبة، الآية: ١٠٢.

(٣) تتمة: [سرية أبي سفيان والمغيرة بن شعبة لهدم اللات]

ولما قدم رسول الله ﷺ من تبوك ووفدت عليه ثقيف، فأرسل أبا سفيان والمغيرة لهدم اللات (صنم ثقيف بالطائف) فهدموه، وأراد المغيرة أن يُضحِك أصحابه، فضرب الصنم، ثم سقط يركض، فارتجّ أهل الطائف وقالوا: قتلته الربّة، فوثب المغيرة وقال: قبّحكم الله، إنما هي حجارة، ثم شرع يهدمها، وأمر النبي ﷺ أن يجعل مسجد الطائف مكانها.

[حِجة أبي بكر الصدّيق رضي الله عنه]

ثُمَّ حِجَّةُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِالنَّاسِ سَنَةَ تِسْعٍ فِي ذِي الْقَعْدَةِ، وَكَانَ مَعَهُ ثَلاَثُ مِئَةِ رَجُلٍ مِنَ الْمَدِينَةِ وَعِشْرُونَ بَدَنَةً(١)، بَعَثَهُ ﷺ يُؤَذِّنُ فِي النَّاسِ يَوْمَ النَّحْرِ: «**أَنْ لاَ يَحُجَّ بَعْدَ الْعَامِ مُشْرِكٌ، وَلاَ يَطُوفَ بِالْبَيْتِ عُرْيَانُ**»، ثُمَّ أَرْدَفَهُ ﷺ بِعَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ(٢)، وَأَمَرَهُ أَنْ يُؤَذِّنَ(٣) بِبَرَاءَةَ، فَقَرَأَهَا عَلَى النَّاسِ حَتَّى خَتَمَهَا، وَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَـٰذَاۚ﴾(٤) فَلَمْ يَحُجَّ فِي الْعَامِ الْقَابِلِ الَّذِي حَجَّ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِجَّةَ الْوَدَاعِ مُشْرِكٌ(٥).

❊ ❊ ❊

[السنة العاشرة]
[بعث العمال على اليمن]

ثُمَّ بَعَثَ ﷺ أَبَا مُوسَى وَمُعاذاً إِلَى الْيَمَنِ قَبْلَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ، كُلَّ وَاحِدٍ

---

(١) أهداها رسول الله ﷺ، وساق أبو بكر خمس بدَنات.

(٢) لمّا نزلت عليه أوائلُ سورة براءة. والذي عليه الأكثر أن النبي ﷺ بعث أبا بكر رضي الله عنه على الحج، وبعث معه بِضعاً وثلاثين آية من صدر سورة براءة ليقرأها على أهل الموسم.

(٣) يُعلِم.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢٨.

(٥) **تتمة**: وفي رجب من هذا العام توفي النجاشي ملكُ الحبشة، فصلّى عليه الرسول صلاة الغائب. وفي شعبان توفّيت أم كلثوم بنتُ رسول الله ﷺ وزوجُ عثمان رضي الله عنهما، ولم تُنجِب له أولاداً.

مِنهُمَا عَلَى مِخلافٍ ـ أيْ: إقْلِيمٍ ـ وَالْيَمَنُ مِخْلافَانِ، ثُمَّ قَالَ: «يَسِّرَا وَلاَ تُعَسِّرَا، وَبَشِّرَا وَلاَ تُنَفِّرَا»(١).

وَقَالَ لِمُعَاذٍ: «إِنَّكَ سَتَأْتِي قَوماً أَهْلَ كِتَابٍ، فَإِذَا جِئْتَهُمْ فَادْعُهُمْ إِلَى أَنْ يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ خَمْسَ صَلَوَاتٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ فَرَضَ عَلَيْهِمْ صَدَقَةً تُؤْخَذُ مِنْ أَغْنِيَائِهِمْ وَتُرَدُّ عَلَى فُقَرَائِهِمْ، فَإِنْ هُمْ أَطَاعُوا لَكَ بِذَلِكَ فَإِيَّاكَ وَكَرَائِمَ أَمْوَالِهِمْ، وَاتَّقِ دَعْوَةَ الْمَظْلُومِ، فَإِنَّهَا لَيْسَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ اللَّهِ حِجَابٌ»(٢)، وَكَانَتْ جِهَةُ مُعَاذٍ الْعُلْيَا إِلَى صَوْبِ عَدَنٍ، وَكَانَتْ جِهَةُ أَبِي مُوسَى السُّفْلَى(٣).

❊ ❊ ❊

[سرية خالد بن الوليد إلى نجران]

ثُمَّ أَرْسَلَ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ قَبْلَ حِجَّةِ الْوَدَاعِ فِي رَبِيعِ الأَوَّلِ سَنَةَ عَشْرٍ إِلَى بَنِي عَبْدِالْمَدَانِ، قَبِيلَةٌ بِنَجْرَانَ، فَأَسْلَمُوا.

❊ ❊ ❊

[سرية علي بن أبي طالب إلى اليمن]

ثُمَّ أَرْسَلَ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ إِلَى الْيَمَنِ، فِي رَمَضَانَ سَنَةَ عَشْرٍ، وَعَقَدَ لَهُ لِوَاءً، وَعَمَّمَهُ بِيَدِهِ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) وقد مكث معاذ رضي الله عنه باليمن حتى توفي رسول الله ﷺ، أما أبو موسى فقدم على الرسول ﷺ في حجة الوداع، ثم رجع إلى اليمن ولم يشهد وفاة النبي ﷺ.

قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ تَبْعَثُنِي إِلَى قَوْمٍ أَسَنَّ مِنِّي وَأَنَا حَدِيثُ السِّنِّ لاَ أُبْصِرُ الْقَضَاءَ؟ فَوَضَعَ يَدَهُ فِي صَدْرِي وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ ثَبِّتْ لِسَانَهُ، وَاهْدِ قَلْبَهُ**»، وَقَالَ: «**يَا عَلِيُّ إِذَا جَلَسَ إِلَيْكَ الْخَصْمَانِ فَلاَ تَقْضِ بَيْنَهُمَا حَتَّى تَسْمَعَ مِنَ الآخَرِ**».

فَخَرَجَ فِي ثَلاَثِ مِئَةِ فَارِسٍ، فَفَرَّقَ أَصْحَابَهُ، فَأَتَوْا بِنَهْبٍ وَغَنَائِمَ وَنِسَاءٍ وَأَطْفَالٍ، وَنَعَمٍ وَشَاءٍ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ، ثُمَّ لَقِيَ جَمْعَهُمْ فَدَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَأَبَوْا وَرَمَوْا بِالنَّبْلِ، ثُمَّ حَمَلَ عَلَيْهِمْ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بِأَصْحَابِهِ، فَقَتَلَ مِنْهُمْ عِشْرِينَ رَجُلاً، فَتَفَرَّقُوا وَانْهَزَمُوا، فَكَفَّ عَنْ طَلَبِهِمْ، ثُمَّ دَعَاهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَأَسْرَعُوا وَأَجَابُوا، ثُمَّ قَفَلَ فَوَافَى النَّبِيَّ ﷺ بِمَكَّةَ قَدْ قَدِمَهَا لِلْحَجِّ سَنَةَ عَشْرٍ.

❋ ❋ ❋

[حِجة الوداع]

ثُمَّ حَجَّ ﷺ حِجَّةَ الْوَدَاعِ، وَتُسَمَّى حِجَّةَ الإِسْلاَمِ، وَحِجَّةَ الْبَلاَغِ.

فَخَرَجَ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ يَوْمَ السَّبْتِ، لِخَمْسِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ ذِي الْقَعْدَةِ، وَخَرَجَ مَعَهُ تِسْعُونَ أَلْفاً، وَيُقَالُ: مِئَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةَ عَشَرَ أَلْفاً. وَيُقَالُ: أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ.

وَيَأْتِي الْكَلاَمُ عَلَى حِجَّةِ الْوَدَاعِ، فِي مَقْصِدِ الْعِبَادَاتِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى(١).

❋ ❋ ❋

(١) وفي هذه السنة توفي إبراهيم ابن رسول الله ﷺ، وهو ابن ستة عشر شهراً، ودفن بالبقيع.

[السنة الحادية عشرة]
[سرية أسامة بن زيد إلى أُبْنَى]

ثُمَّ سَرِيَّةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ إِلَى أَهْلِ أُبْنَىٰ بِالشَّرَاةِ ـ نَاحِيَةٌ بِالْبَلْقَاءِ[1] ـ، وَكَانَتْ يَوْمَ الاثْنَيْنِ لِأَرْبَعِ لَيَالٍ بَقِينَ مِنْ صَفَرٍ، سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَهِيَ آخِرُ سَرِيَّةٍ جَهَّزَهَا النَّبِيُّ ﷺ، وَأَوَّلُ شَيْءٍ جَهَّزَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ لِغَزْوِ الرُّومِ، مَكَانَ قَتْلِ أَبِيهِ زَيْدٍ[2].

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَرْبِعَاءِ بُدِئَ بِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَحُمَّ وَصُدِعَ، فَلَمَّا أَصْبَحَ يَوْمَ الْخَمِيسِ عَقَدَ لأُسَامَةَ لِوَاءً بِيَدِهِ[3]، فَخَرَجَ بِلِوَائِهِ مَعْقُوداً، فَدَفَعَهُ إِلَى بُرَيْدَةَ الأَسْلَمِيِّ، فَعَسْكَرَ بِالْجُرُفِ[4]، فَلَمْ يَبْقَ أَحَدٌ مِنْ وُجُوهِ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ إِلاَّ انْتَدَبَ[5]، فِيهِمْ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ[6].

وَجَاءَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ يَخْرُجُونَ مَعَ أُسَامَةَ يُوَدِّعُونَ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ، وَيَخْرُجُونَ إِلَى الْعَسْكَرِ بِالْجُرُفِ.

فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الأَحَدِ اشْتَدَّ بِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وَجَعُهُ، فَدَخَلَ أُسَامَةُ مِنْ مُعَسْكَرِهِ وَالنَّبِيُّ ﷺ مَغْمُورٌ[7]، فَطَأْطَأَ أُسَامَةُ فَقَبَّلَهُ، وَرَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لاَ

---

(١) في الأردن.
(٢) في مؤتة.
(٣) وهو شاب لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره.
(٤) والجَرْف والجُرْف، وهو موضع خارج المدينة.
(٥) خرج.
(٦) لكنْ حين توفي رسول الله ﷺ لم يَخرجا معه.
(٧) أصابته غمرات الموت ـ أي: شدائده ـ.

يَتَكَلَّمُ، فَجَعَلَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ يَضَعُهُمَا عَلَى أُسَامَةَ، قَالَ أُسَامَةُ: فَعَرَفْتُ أَنَّهُ يَدْعُو لِي، فَرَجَعَ أُسَامَةُ إِلَى مُعَسْكَرِهِ.

ثُمَّ دَخَلَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَأَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُفِيقاً، فَوَدَّعَهُ أُسَامَةُ وَخَرَجَ إِلَى مُعَسْكَرِهِ، فَأَمَرَ النَّاسَ بِالرَّحِيلِ، فَبَيْنَا هُوَ يُرِيدُ الرُّكُوبَ إِذَا رَسُولُ أُمِّهِ أُمِّ أَيْمَنَ قَدْ جَاءَهُ يَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَمُوتُ، فَأَقْبَلَ هُوَ وَعُمَرُ وَأَبُو عُبَيْدَةَ، فَتُوُفِّيَ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ حِينَ زَاغَتِ[1] الشَّمْس، لاثْنَتَيْ عَشْرَةَ لَيْلَةً خَلَتْ مِنْ رَبِيعِ الأَوَّلِ، وَاعْتَمَدَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ أَنَّهَا فِي ثَانِي رَبِيعِ الأَوَّلِ.

وَلَمَّا تُوُفِّيَ ﷺ دَخَلَ الْمُسْلِمُونَ الَّذِينَ عَسْكَرُوا بِالْجُرُفِ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَدَخَلَ بُرَيْدَةُ بِلِوَاءِ أُسَامَةَ مَعْقُوداً حَتَّى أَتَى بِهِ بَابَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَغَرَزَهُ عِنْدَ بَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَلَمَّا بُويِعَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَمَرَ بُرَيْدَةَ أَنْ يَذْهَبَ بِاللِّوَاءِ إِلَى بَيْتِ أُسَامَةَ لِيَمْضِيَ بِهِ إِلَى وِجْهَتِهِ، فَمَضَى إِلَى مُعَسْكَرِهِمُ الأَوَّلِ، وَخَرَجَ أُسَامَةُ هِلاَلَ رَبِيعِ الآخِرِ سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ إِلَى أَهْلِ أُبْنَى، فَشَنَّ عَلَيْهِمُ الْغَارَةَ، فَقَتَلَ مَنْ أَشْرَفَ لَهُ، وَسَبَى مَنْ قَدَرَ عَلَيْهِ، وَحَرَقَ مَنَازِلَهُمْ وَنَخْلَهُمْ، وَقَتَلَ قَاتِلَ أَبِيهِ فِي الْغَارَةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الْمَدِينَةِ، وَلَمْ يُصَبْ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَخَرَجَ أَبُو بَكْرٍ فِي الْمُهَاجِرِينَ وَأَهْلِ الْمَدِينَةِ يَتَلَقَّوْنَهُ سُرُوراً.

فَجَمِيعُ سَرَايَاهُ ﷺ نَحْوَ السِّتِّينَ[2]، وَمَغَازِيهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ سَبْعٌ وَعِشْرُونَ.

---

(١) مالت نحو الغروب.

(٢) بل فوقها.

المقصد الثاني

فِي أَسْمَائِهِ الْشَّرِيفَةِ ﷺ، وَذِكْرِ أَوْلَادِهِ الْكِرَامِ الطَّاهِرِينَ، وَأَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَعْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ، وَإِخْوَتِهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَجَدَّاتِهِ، وَخَدَمِهِ وَمَوَالِيهِ، وَحَرَسِهِ وَأُمَرَائِهِ وَرُسُلِهِ، وَكُتَّابِهِ وَكُتُبِهِ إِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ، وَمُؤَذِّنِيهِ وَخُطَبَائِهِ، وَحُدَاتِهِ وَشُعَرَائِهِ، وَآلَاتِ حُرُوبِهِ وَدَوَابِّهِ، وَالْوَافِدِينَ إِلَيْهِ ﷺ.

وَفِيهِ عَشْرَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي ذِكْرِ أَسْمَائِهِ الْشَّرِيفَةِ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ كَثْرَةَ الأَسْمَاءِ تَدُلُّ عَلَى شَرَفِ الْمُسَمَّى، وَقَدْ سَمَّى اللّهُ تَعَالَى نَبِيَّنَا ﷺ بِأَسْمَاءٍ كَثِيرَةٍ فِي الْقُرْآنِ الْعَظِيم وَغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ، وَعَلَى أَلْسِنَةِ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَقَدْ تَعَرَّضَ جَمَاعَةٌ لِتَعْدَادِهَا، وَبَلَغُوا بِهَا عَدَداً مَخْصُوصاً، فَمِنْهُمْ مَنْ بَلَغَ تِسْعَةً وَتِسْعِينَ(١)، كَعَدَدِ أَسْمَاءِ اللّهِ الْحُسْنَى الْوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَقَدْ خَصَّهُ اللّهُ تَعَالَى بِأَنْ سَمَّاهُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى بِنَحْوِ مِنْ ثَلاَثِينَ اسْماً.

وَقَالَ ابْنُ دِحْيَةَ(٢): إِذَا فُحِصَ عَنْ جُمْلَتِهَا مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ وَالْقُرْآنِ وَالْحَدِيثِ وَفَّتِ الثَّلاَثَ مِئَةٍ.

---

(١) كالسيوطي في اختصاره لكتاب (المستوفي) للحافظ ابن دحية، وسمّاه (البهجة البهية في الأسماء النبوية).

(٢) وهو الحافظ ابن دحية، جمع أسماءه ﷺ جمعاً لم يسبقه أحد إليه (كما قال النبهاني في كتابه: الأسمىٰ فيما لسيدنا محمد ﷺ من الأسما) وسمّاه: (المستوفي).

وَقَالَ أَبُو بَكْرِ بْنِ الْعَرَبِيِّ[1]: قَالَ بَعْضُ الصُّوفِيَّةِ: لِلَّهِ تَعَالَى أَلْفُ اسْمٍ، وَلِلنَّبِيِّ ﷺ أَلْفُ اسْمٍ[2].

وَذَكَرَ مِنْهَا صَاحِبُ الْمَوَاهِبِ[3] الَّتِي هِيَ أَصْلُ هٰذَا الْكِتَابِ مَا يَزِيدُ عَلَى الأَرْبَعِ مِئَةِ اسْمٍ[4].

فَمِنْهَا: اسْمُهُ (مُحَمَّدٌ) ﷺ، وَهُوَ أَشْهَرُ أَسْمَائِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، سَمَّاهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِهِ قَبْلَ الْخَلْقِ بِأَلْفَيْ عَامٍ، كَمَا وَرَدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ[5]، وَبِهِ سَمَّاهُ جَدُّهُ عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، وَقَدْ قِيلَ لَهُ: مَا سَمَّيْتَ وَلَدَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّداً، فَقِيلَ لَهُ: كَيْفَ سَمَّيْتَهُ بِاسْمٍ لَيْسَ لأَحَدٍ مِنْ آبَائِكَ وَقَوْمِكَ؟ فَقَالَ: لأَنِّي أَرْجُو أَنْ يَحْمَدَهُ أَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ، وَذٰلِكَ لِرُؤْيَا كَانَ رَآهَا عَبْدُ الْمُطَّلِبِ، فَقَدْ رَأَى فِي الْمَنَامِ كَأَنَّ سِلْسِلَةً مِنْ فِضَّةٍ خَرَجَتْ مِنْ ظَهْرِهِ، لَهَا طَرَفٌ فِي السَّمَاءِ، وَطَرَفٌ فِي الْمَشْرِقِ، وَطَرَفٌ فِي الْمَغْرِبِ، ثُمَّ عَادَتْ كَأَنَّهَا شَجَرَةٌ عَلَى كُلِّ وَرَقَةٍ مِنْهَا نُورٌ، وَإِذَا أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ يَتَعَلَّقُونَ بِهَا، فَقَصَّهَا، فَعُبِّرَتْ لَهُ بِمَوْلُودٍ يَكُونُ مِنْ صُلْبِهِ، يَتْبَعُهُ أَهْلُ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَيَحْمَدُهُ أَهْلُ السَّمَاءِ وَأَهْلُ الأَرْضِ، فَلِذٰلِكَ سَمَّاهُ مُحَمَّداً مَعَ مَا حَدَّثَتْهُ بِهِ أُمُّهُ آمِنَةُ حِينَ قَالَ لَهَا الْمَلَكُ: إِنَّكِ قَدْ حَمَلْتِ بِسَيِّدِ هٰذِهِ الأُمَّةِ، فَإِذَا وَضَعْتِيهِ فَسَمِّيهِ مُحَمَّداً.

وَمِنْ خَصَائِصِ هٰذَا الاسْمِ كَوْنُهُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ لِيُوَافِقَ اسْمَ اللَّهِ

---

(١) في كتاب (أحكام القرآن).

(٢) ثم قال بعدها: وأما أسماء النبي ﷺ فلم أُحصِها إلا من جهة الورود الظاهر بصيغة الأسماء، فوعيت منها أربعة وستين اسماً.

(٣) القسطلاّني.

(٤) كما في (الشفا) للقاضي عياض، وابن سيد الناس. قال النووي في (تهذيب الأسماء واللغات): وبعض هذه المذكورات صفات، فإطلاقهم الأسماء عليها مَجاز.

(٥) من طريق أبي نُعيم في مناجاة موسى عليه الصلاة والسلام.

تَعَالَى، وَأَنَّهُ عَلَى شَكْلِ صُورَةِ الآدَمِيِّ، فَالْمِيمُ الأَوَّلُ رَأْسُهُ، وَالْحَاءُ جَنَاحَاهُ، وَالْمِيمُ الثَّانِي سُرَّتُهُ، وَالدَّالُ رِجْلاَهُ، وَيَظْهَرُ ذٰلِكَ فِي الْخَطِّ الْقَدِيمِ الْكُوفِيِّ.

قِيلَ: وَلاَ يَدْخُلُ النَّارَ مَنْ يَسْتَحِقُّ دُخُولَهَا ـ أَعَاذَنَا اللّهُ مِنْهَا ـ إِلاَّ مَمْسُوخَ الصُّورَةِ، إِكْرَاماً لِصُورَةِ لَفْظِ مُحَمَّدٍ.

وَأَنَّهُ مُشْتَقٌّ مِنَ اسْمِ اللّهِ تَعَالَى مَحْمُودٍ، كَمَا قَالَ حَسَّانُ:

أَغَرُّ عَلَيْهِ لِلنُّبُوَّةِ خَاتَمُ ... مِنَ اللّهِ مِنْ نُورٍ يَلُوحُ وَيَشْهَدُ
وَضَمَّ الإِلٰهُ اسْمَ النَّبِيِّ إِلَى اسْمِهِ ... إِذَا قَالَ فِي الْخَمْسِ الْمُؤَذِّنُ أَشْهَدُ
وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ وَهٰذَا مُحَمَّدُ

وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: أَنَّ آدَمَ قَالَ لاِبْنِهِ شِيثٍ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ: أَيْ بُنَيَّ! أَنْتَ خَلِيفَتِي مِنْ بَعْدِي، فَخُذْهَا بِعِمَارَةِ التَّقْوَى وَالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى، وَكُلَّمَا ذَكَرْتَ اللّهَ فَاذْكُرْ إِلَى جَنْبِهِ اسْمَ مُحَمَّدٍ، فَإِنِّي رَأَيْتُ اسْمَهُ مَكْتُوباً عَلَى سَاقِ الْعَرْشِ، وَطُفْتُ السَّمٰوَاتِ فَلَمْ أَرَ فِيهَا مَوْضِعاً إِلاَّ وَرَأَيْتُ اسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَيْهِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ اسْمَ مُحَمَّدٍ مَكْتُوباً عَلَى نُحُورِ الْحُورِ الْعِينِ، وَعَلَى وَرَقِ قَصَبِ آجَامِ[1] الْجَنَّةِ، وَعَلَى وَرَقِ شَجَرَةِ طُوبَى، وَعَلَى وَرَقِ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَعَلَى أَطْرَافِ الْحُجُبِ، وَبَيْنَ أَعْيُنِ الْمَلاَئِكَةِ، فَأَكْثِرْ ذِكْرَهُ، فَإِنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَذْكُرُهُ فِي كُلِّ سَاعَاتِهَا.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ، مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلاَّ وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوباً: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ، وَأَبُو بَكْرٍ مِنْ خَلْفِي**»[2].

---

(١) الأَجَمة: الشجر الكثيف الملتفّ.

(٢) رواه الحسن بن عرفة في جزئه، وابن عدي، وأبو نعيم في (فضائل الصحابة)، وأبو يعلىٰ، والبزار، والطبراني في الأوسط، وهو ضعيف كما في (مجمع الزوائد).

وَوُجِدَ عَلَى الْحِجَارَةِ الْقَدِيمَةِ مَكْتُوباً: مُحَمَّدٌ تَقِيٌّ مُصْلِحٌ أَمِينٌ. ذَكَرَهُ[1] فِي الشِّفَاءِ.

وَوُجِدَ عَلَى حَجَرٍ بِالْخَطِّ الْعِبْرَانِيِّ: بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ جَاءَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ، وَكَتَبَهُ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ. ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ فِي (الْبِشْرِ) عَنْ مُعَمَّرٍ الزُّهْرِيِّ.

وَذَكَرَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ مَرْزُوقٍ عَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ صُوحَانَ قَالَ: عَصَفَتْ بِنَا رِيحٌ وَنَحْنُ فِي لُجَجِ بَحْرِ الْهِنْدِ، فَأَرْسَيْنَا فِي جَزِيرَةٍ، فَرَأَيْنَا فِيهَا وَرْداً أَحْمَرَ ذَكِيَّ الرَّائِحَةِ طَيِّبَ الشَّمِّ، وَفِيهِ مَكْتُوبٌ بِالأَبْيَضِ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ، وَوَرْداً أَبْيَضَ مَكْتُوباً عَلَيْهِ بِالأَصْفَرِ بَرَاءَةٌ مِنَ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ إِلَى جَنَّاتِ النَّعِيمِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ.

وَذَكَرَ فِي الشِّفَاءِ: أَنَّهُ شُوهِدَ فِي بَعْضِ بِلاَدِ خُرَاسَانَ مَوْلُودٌ وُلِدَ عَلَى أَحَدِ جَنْبَيْهِ مَكْتُوبٌ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ. وَشُوهِدَ بِبِلاَدِ الْهِنْدِ وَرْدٌ أَحْمَرُ مَكْتُوبٌ عَلَيْهِ بِالأَبْيَضِ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ.

وَفِي كِتَابِ رَوْضِ الرَّيَاحِينِ[2] لِلْيَافِعِي عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُ وَجَدَ بِبِلاَدِ الْهِنْدِ شَجَرَةً تَحْمِلُ ثَمَراً كَاللَّوْزِ لَهُ قِشْرٌ، إِذَا كُسِرَ خَرَجَتْ مِنْهُ وَرَقَةٌ خَضْرَاءُ مَطْوِيَّةٌ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِالْحُمْرَةِ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ، كِتَابَةً جَلِيَّةً، وَهُمْ يَتَبَرَّكُونَ بِهَا. قَالَ: فَحَدَّثْتُ بِذٰلِكَ أَبَا يَعْقُوبَ الصَّيَّادِ، فَقَالَ: مَا أَسْتَعْظِمُ هٰذَا، كُنْتُ أَصْطَادُ عَلَى نَهْرِ الأُبُلَّةِ[3]، فَاصْطَدْتُ سَمَكَةً عَلَى جَنْبِهَا الأَيْمَنِ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ، وَعَلَى جَنْبِهَا الأَيْسَرِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ، فَلَمَّا رَأَيْتُهَا قَذَفْتُهَا

---

(١) القاضي عياض.

(٢) في حكايات الصالحين.

(٣) قرب البصرة.

بِالْمَاءِ احْتِرَاماً لَهَا. وَرَوَى خَبَرَ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ الَّتِي تَحْمِلُ ثَمَراً كَاللَّوْزِ الْقَاضِي أَبُو الْبَقَاءِ بْنُ الضِّيَاءِ فِي مَنْسَكِهِ، نَقْلاً عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّهُ رَأَى تِلْكَ الشَّجَرَةَ وَثَمَرَتَهَا مَكْتُوبٌ فِيهَا: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ.

وَوُجِدَ فِي سَنَةِ تِسْعٍ وَثَمَانِ مِئَةٍ حَبَّةُ عِنَبٍ مَكْتُوبٌ فِيهَا بِخَطٍّ بَارِعٍ بِلَوْنٍ أَسْوَدَ: مُحَمَّدٌ.

وَفِي كِتَابِ النُّطْقِ الْمَفْهُومِ لابْنِ طُغْرُبِكَ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُ رَأَى فِي جَزِيرَةٍ شَجَرَةً عَظِيمَةً، لَهَا وَرَقٌ كَثِيرٌ طَيِّبُ الرَّائِحَةِ مَكْتُوبٌ فِيهِ بِالْحُمْرَةِ كِتَابَةً بَيِّنَةً وَاضِحَةً، فِي الْوَرَقَةِ ثَلاَثَةُ أَسْطُرٍ، الأَوَّلُ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، وَالثَّانِي: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ، وَالثَّالِثُ: إِنَّ الْدِّينَ عِنْدَ اللّهِ الإِسْلاَمُ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَمِنْ أَعْلاَمِ نُبُوَّتِهِ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يُسَمَّ أَحَدٌ قَبْلَهُ بِاسْمِهِ مُحَمَّدٍ، صِيَانَةً مِنَ اللّهِ لِهٰذَا الاسْمِ الشَّرِيفِ، كَمَا فُعِلَ بِيَحْيَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، إِذْ لَمْ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا، إِلاَّ أَنَّهُ لَمَّا قَرُبَ زَمَنُهُ وَبَشَّرَ أَهْلُ الْكِتَابِ بِقُرْبِهِ سَمَّى قَوْمٌ أَوْلاَدَهُمْ بِذٰلِكَ رَجَاءَ أَنْ يَكُونَ هُوَ هُوَ، وَاللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ، وَذٰلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ، وَقَدْ بَلَغُوا خَمْسَةَ عَشَرَ نَفْساً.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (أَحْمَدُ) ﷺ، وَهُوَ اسْمُهُ الَّذِي سُمِّيَ بِهِ عَلَى لِسَانِ عِيسَى وَمُوسَى عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَهُوَ مَنْقُولٌ عَنِ اسْمِ التَّفْضِيلِ(١)، فَمَعْنَاهُ: أَحْمَدُ الْحَامِدِينَ لِرَبِّهِ، وَكَذٰلِكَ هُوَ ﷺ؛ لأَنَّهُ يُفْتَحُ عَلَيْهِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ بِمَحَامِدَ لَمْ يُفْتَحْ بِهَا عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ، فَيَحْمَدُ رَبَّهُ بِهَا، وَيُعْقَدُ لَهُ لِوَاءُ الْحَمْدِ، ثُمَّ إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ مُحَمَّداً حَتَّى كَانَ أَحْمَدَ حَمِدَ رَبَّهُ، فَنَبَّأَهُ وَشَرَّفَهُ، فَلِذٰلِكَ تَقَدَّمَ اسْمُهُ أَحْمَدُ عَلَى اسْمِهِ مُحَمَّدٍ. فَذَكَرَهُ عِيسَى فَقَالَ: اسْمُهُ أَحْمَدُ. وَذَكَرَهُ

(١) أفعَل.

مُوسَى حِينَ قَالَ لَهُ رَبُّهُ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ. فَبِأَحْمَدَ ذُكِرَ قَبْلَ أَنْ يُذْكَرَ بِمُحَمَّدٍ، لأَنَّ حَمْدَهُ لِرَبِّهِ كَانَ قَبْلَ حَمْدِ النَّاسِ لَهُ، فَلَمَّا وُجِدَ وَبُعِثَ كَانَ مُحَمَّداً بِالْفِعْلِ. ذَكَرَ ذٰلِكَ السُّهَيْلِيُّ(١) وَالْقَاضِي عِيَاضٌ.

وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ أَيْضاً: أَحْمَدُ بِمَعْنَى: أَكْبَرُ مَنْ حَمِدَ، وَأَجَلُّ مَنْ حُمِدَ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (مَحْمُودٌ) ﷺ، وَهُوَ شَبِيهٌ بِاسْمِهِ تَعَالَى الْحَمِيدِ (لأَنَّ مَعْنَاهُ الْمَحْمُودُ)، وَهٰذَا الاسْمُ الشَّرِيفُ وَقَعَ فِي زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْمَاحِي) ﷺ، فَسَّرَهُ فِي الْحَدِيثِ بِمَحْوِ الْكُفْرِ، وَلَمْ يُمْحَ الْكُفْرُ بِأَحَدٍ مِنَ الْخَلْقِ مِثْلَ مَا مُحِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ، فَإِنَّهُ بُعِثَ وَأَهْلُ الأَرْضِ كُلُّهُمْ كُفَّارٌ، مَا بَيْنَ عُبَّادِ أَوْثَانٍ وَيَهُودٍ وَنَصَارَى وَصَابِئَةٍ(٢) وَدَهْرِيَّةٍ(٣) وَعُبَّادِ كَوَاكِبَ وَعُبَّادِ نَارٍ، فَمَحَاهَا اللَّهُ تَعَالَى بِرَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، حَتَّى أَظْهَرَ دِينَهُ عَلَى كُلِّ دِينٍ، وَبَلَغَ دِينُهُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَسَارَتْ دَعْوَتُهُ مَسِيرَ الشَّمْسِ فِي الأَقْطَارِ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْفَاتِحُ) ﷺ؛ لأَنَّ اللَّهَ فَتَحَ بِهِ ﷺ بَابَ الْهُدَى إِذْ كَانَ مُرْتَجاً(٤)، وَفَتَحَ بِهِ أَعْيُناً عُمْياً وَآذَاناً صُمًّا وَقُلُوباً غُلْفاً، وَفَتَحَ أَمْصَارَ الْكُفَّارِ، وَفَتَحَ بِهِ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ، وَفَتَحَ بِهِ طُرُقَ الْعِلْمِ النَّافِعِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

---

(١) شارح سيرة ابن هشام.
(٢) قوم يعبدون الكواكب، ويزعمون أنهم علىٰ ملّة نوح عليه الصلاة والسلام.
(٣) لا يؤمنون بالآخرة، ويقولون ببقاء الدهر.
(٤) مغلقاً.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْحَاشِرُ) ﷺ؛ فُسِّرَ أَيْضاً فِي الْحَدِيثِ بِأَنَّهُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى قَدَمِهِ، أَيْ: يَقْدُمُهُمْ وَهُمْ خَلْفَهُ، وَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، فَيُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى أَثَرِهِ، وَإِلَيْهِ يَلْجَؤُونَ فِي مَحْشَرِهِمْ ﷺ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْعَاقِبُ) ﷺ، وَهُوَ الَّذِي جَاءَ عَقِبَ الأَنْبِيَاءِ، فَلَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ، لأَنَّ الْعَاقِبَ هُوَ الآخِرُ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْمُقَفِّي) ﷺ، وَمَعْنَاهُ كَالْعَاقِبِ، أَيْ: قَفَا آثَارَ مَنْ سَبَقَهُ مِنَ الرُّسُلِ، وَكَانَ خَاتِمَهُمْ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الأَوَّلُ) ﷺ؛ لأَنَّهُ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلْقاً(1)، وَكَمَا أَنَّهُ أَوَّلُ فِي الْبِدْءِ هُوَ أَوَّلُ فِي الْعَوْدِ، فَهُوَ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، كَمَا كَانَ فِي أَوَّلِيَّاتِ الْبَدْءِ فِي عَالَمِ الذَّرِّ أَوَّلَ مُجِيبٍ، إِذْ هُوَ أَوَّلُ مَنْ قَالَ: بَلَى، إِذْ أَخَذَ رَبُّهُ الْمِيثَاقَ عَلَى الذُّرِّيَّةِ الآدَمِيَّةِ، فَأَشْهَدَهُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ: أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ؟ فَهُوَ ﷺ الأَوَّلُ فِي ذٰلِكَ كُلِّهِ عَلَى الإِطْلاَقِ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الآخِرُ) ﷺ؛ لأَنَّهُ آخِرُ الأَنْبِيَاءِ فِي الْبَعْثِ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْخَاتِمُ) ﷺ؛ لأَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى خَتَمَ بِهِ النَّبِيِّينَ، كَمَا أَنَّهُ أَوَّلُهُمْ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**كُنْتُ أَوَّلَ النَّبِيِّينَ فِي الْخَلْقِ، وَآخِرَهُمْ فِي الْبَعْثِ**»(2).

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الظَّاهِرُ) ﷺ؛ لأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى جَمِيعِ الظَّاهِرَاتِ ظُهُورُهُ، وظَهَرَ عَلَى الأَدْيَانِ دِينُهُ.

---

(1) في عالم الذرّ.

(2) رواه أبو نُعيم في (الدلائل)، وابن أبي حاتم في تفسيره، وابن لال، والديلمي، وسنده ضعيف. قال العجلوني في (كشف الخفاء): وله شاهد أخرجه أحمد، والبخاري في تاريخه، والبغوي، وابن السكن، وأبو نعيم في (الحلية)، وصححه الحاكم بلفظ: «**كنت نبيًا وآدم بين الروح والجسد**». ورواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْبَاطِنُ) ﷺ؛ لأَنَّهُ الْمُطَّلِعُ عَلَى بَوَاطِنِ الأُمُورِ، بِوَاسِطَةِ مَا يُوحِيهِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِلَيْهِ.

وَمِنْهَا: اسْمَاهُ (الرَّؤُوفُ الرَّحِيمُ) ﷺ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[1] (وَالرَّؤُوفُ: مِنَ الرَّأْفَةِ، وَهِيَ أَرَقُّ مِنَ الرَّحْمَةِ) قَالَهُ أَبُو عُبَيْدَةَ. (وَالرَّحِيمُ: مِنَ الرَّحْمَةِ). وَقِيلَ: رَؤُوفٌ بِالْمُطِيعِينَ، رَحِيمٌ بِالْمُذْنِبِينَ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْحَقُّ) ﷺ، وَمَعْنَاهُ ضِدُّ الْبَاطِلِ، وَالْمُتَحَقِّقُ صِدْقُهُ وَأَمْرُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ﴾[2] وَقَالَ: ﴿قَدْ جَآءَكُمُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ﴾[3] قِيلَ: هُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ. وَقِيلَ: الْقُرْآنُ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْمُبِينُ) ﷺ، وَمَعْنَاهُ الْبَيِّنُ أَمْرُهُ وَرِسَالَتُهُ، أَوِ الْمُبَيِّنُ عَنِ اللَّهِ مَا بُعِثَ بِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾[4].

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْجَبَّارُ) ﷺ، سُمِّيَ بِهِ ﷺ فِي مَزَامِيرِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فِي قَوْلِهِ فِي الْمَزْمُورِ الرَّابِعِ وَالأَرْبَعِينَ: تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ، فَإِنَّ نَامُوسَكَ[5] وَشَرَائِعَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ. فَهُوَ ﷺ الْجَبَّارُ الَّذِي جَبَرَ الْخَلْقَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْحَقِّ، وَصَدَّهُمْ عَنِ الْكُفْرِ جَبْراً، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَقَدْ نَفَى اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فِي الْقُرْآنِ جَبْرِيَّةَ التَّكَبُّرِ الَّتِي لاَ تَلِيقُ بِهِ فَقَالَ: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ﴾[6].

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.
(٢) سورة الزخرف، الآية: ٢٩.
(٣) سورة يونس، الآية: ١٠٨.
(٤) سورة النحل، الآية: ٤٤.
(٥) الناموس: صاحب السرّ، وجبريلُ عليه الصلاة والسلام.
(٦) سورة قٓ، الآية: ٤٥.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْمُزَّمِّلُ) ﷺ، وَمَعْنَاهُ: الْمُتَلَفِّفُ فِي ثِيَابِهِ. قَالَ السُّدِّيُّ: مَعْنَاهُ: يَا أَيُّهَا النَّائِمُ. وَكَانَ مُتَلَفِّفاً فِي ثِيَابِ نَوْمِهِ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْمُدَّثِّرُ) ﷺ، وَهُوَ الْمُتَلَفِّفُ بِالدِّثَارِ، وَهُوَ مَا يُلْقِيهِ عَلَيْهِ الإِنْسَانُ مِنْ كِسَاءٍ أَوْ غَيْرِهِ. رُوِيَ[1] أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: «**كُنْتُ بِحِرَاءَ، فَنُودِيتُ، فَنَظَرْتُ عَنْ يَمِينِي وَشِمَالِي، فَلَمْ أَرَ أَحَداً، وَنَظَرْتُ فَوْقِي فَإِذَا هُوَ عَلَى عَرْشٍ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ** - يَعْنِي: الْمَلَكَ الَّذِي نَادَاهُ - **فَرُعِبْتُ، فَرَجَعْتُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَقُلْتُ: دَثِّرُونِي دَثِّرُونِي، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ فَقَالَ:** ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝١﴾»[2].

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (النَّقِيبُ) ﷺ، وَمَعْنَاهُ: شَاهِدُ الْقَوْمِ، وَنَاظِرُهُمْ، وَضَمِينُهُمْ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْعَظِيمُ) ﷺ، وَوَقَعَ فِي أَوَّلِ سِفْرٍ مِنَ التَّوْرَاةِ عَنْ إِسْمَاعِيلَ: وَسَيَلِدُ عَظِيماً لأُمَّةٍ عَظِيمَةٍ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (طٰهَ) ﷺ، قِيلَ: مَعْنَاهُ يَا طَاهِرُ يَا هَادِي.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (يس) ﷺ، عَنْ جَعْفَرٍ الصَّادِقِ: مَعْنَاهُ: يَا سَيِّدُ. وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الْوَرَّاقِ: يَا سَيِّدَ الْبَشَرِ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (النَّبِيُّ وَالرَّسُولُ) ﷺ، وَاخْتُلِفَ هَلْ هُمَا بِمَعْنًى أَوْ بِمَعْنَيَيْنِ؟ فَقَالَ بِالأَوَّلِ قَوْمٌ، وَقَالَ آخَرُونَ بِالثَّانِي. فَعَلَى هٰذَا: النَّبِيُّ كُلِّفَ بِمَا يَخُصُّهُ، وَالرَّسُولُ بِذٰلِكَ وَبِتَبْلِيغِ غَيْرِهِ، فَالرَّسُولُ أَخَصُّ مُطْلَقاً.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (نَبِيُّ الْمَلاَحِمِ) ﷺ، وَهِيَ الْحُرُوبُ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى مَا

---

(١) في الصحيحين.

(٢) سورة المدثر، الآية: ١.

بُعِثَ بِهِ ﷺ مِنَ الْقِتَالِ، وَلَمْ يُجَاهِدْ نَبِيٌّ وَأُمَّتُهُ قَطُّ مَا جَاهَدَ ﷺ وَأُمَّتُهُ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (مُقِيمُ السُّنَّةِ) ﷺ، فَفِي كِتَابِ الشِّفَاءِ: قَالَ دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: اللَّهُمَّ ابْعَثْ لَنَا مُحَمَّداً مُقِيمَ السُّنَّةِ بَعْدَ الْفَتْرَةِ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (عَبْدُاللّهِ) ﷺ، سَمَّاهُ اللّهُ تَعَالَى بِهِ فِي أَشْرَفِ مَقَامَاتِهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾[1] وَغَيْرِهَا مِنَ الآيَاتِ، وَلَمَّا خُيِّرَ ﷺ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكاً أَوْ نَبِيًّا عَبْداً: اخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْداً، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ تُطْرُونِي كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَى عِيسَى، وَلٰكِنْ قُولُوا: عَبْدُاللّهِ وَرَسُولُهُ**».

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (مَاذْمَاذْ) ﷺ، وَنَقَلَ الْعَلاَّمَةُ الْحِجَازِيُّ فِي حَاشِيَتِهِ عَلَى الشِّفَاءِ عَنِ السُّهَيْلِيِّ[2]: ضَمَّ الْمِيمِ وَإِشْمَامَ الْهَمْزَةِ ضَمَّةً بَيْنَ الْوَاوِ وَالأَلِفِ مَمْدودَةٌ، وَقَالَ: نَقَلْتُهُ عَنْ رَجُلٍ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَاءِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. وَقَالَ: مَعْنَاهُ: طَيِّبٌ طَيِّبٌ، وَلاَ رَيْبَ أَنَّهُ ﷺ أَطْيَبُ الطَّيِّبِينَ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْبَارِقْلِيطُ) ﷺ، بِالْبَاءِ، وَيُقَالُ الْفَارقْلِيطُ، وَوَقَعَ فِي إِنْجِيلِ يُوحَنَّا، وَمَعْنَاهُ: رُوحُ الْحَقِّ. وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ فِي النِّهَايَةِ: مَعْنَاهُ الَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ، وَالَّذِي يُفَرِّقُ بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْكَافِرِينَ بِتَصْدِيقِهِ وَتَكْذِيبِهِ.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (حَمْطَايَا) ﷺ، قَالَ أَبُو عَمْرٍو: سَأَلْتُ بَعْضَ مَنْ أَسْلَمَ مِنَ الْيَهُودِ عَنْهُ، فَقَالَ: مَعْنَاهُ يَحْمِي الْحُرَمَ[3] (مِنَ الْحَرَامِ) وَيُوطِىءُ الْحَلاَلَ.

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ١.

(٢) شارح (السيرة النبوية) لابن هشام.

(٣) لا يقترب منها.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (أُحِيدُ) ﷺ، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اسْمِي فِي الْقُرْآنِ مُحَمَّدٌ، وَفِي الإِنْجِيلِ أَحْمَدُ، وَفِي التَّوْرَاةِ أُحِيدُ، وَإِنَّمَا سُمِّيتُ أُحِيدَ لأَنِّي أُحِيدُ عَنْ أُمَّتِي نَارَ جَهَنَّمَ**»[١].

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (الْمُنْحَمِنَا) ﷺ، بِالسُّرْيَانِيَّةِ: مُحَمَّدٌ، وَمِثْلُهُ (الْمُشَفَّحُ)، فَفِي كِتَابِ شَعْيَا فِي الْبِشَارَةِ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: يَفْتَحُ الْعُيُونَ الْعُورَ، وَالآذَانَ الصُّمَّ، وَيُحيِي الْقُلُوبَ الْغُلْفَ، وَمَا أُعْطِيَهُ لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ، مُشَفَّحٌ، يَحْمَدُ اللَّهَ حَمْداً جَدِيداً.

وَمِنْهَا: اسْمُهُ (قُثَمُ) ﷺ، وَمَعْنَاهُ الْجَامِعُ لِلْخَيْرِ.

وَمِنْ أَسْمَائِهِ ﷺ أَيْضاً: السِّرَاجُ، النُّورُ، الْمُنِيرُ، الْمِصْبَاحُ، النَّجْمُ، الْقَمَرُ، الشَّمْسُ، السَّيِّدُ، السَّعِيدُ، الْمَسْعُودُ، الرَّشِيدُ، الْخَبِيرُ، الْمُذَكِّرُ، الْمُبَلِّغُ، الْمُيَسِّرُ، الْمُبَشِّرُ، الْمُنْذِرُ، الْعَزِيزُ، الْبَصِيرُ، الْبَرُّ، الْبَشِيرُ، النَّذِيرُ، الأُمِّيُّ، الْمَكِّيُّ، الْمَدَنِيُّ، الْعَرَبِيُّ، الْحِجَازِيُّ، التِّهَامِيُّ، النَّقِيُّ، التَّقِيُّ، الْوَفِيُّ، الصَّفِيُّ، الْوَلِيُّ، الْمَوْلَى، الأَمِينُ، الْمَأْمُونُ، الْمُؤْتَمَنُ، الْحَبِيبُ، الْحَسِيبُ، الطَّيِّبُ، الطَّاهِرُ، الْمُطَهَّرُ، الشَّاكِرُ، الشَّكُورُ، الشَّارِعُ، الشَّافِعُ، النَّاصِحُ، الصَّالِحُ، الْمُصْلِحُ، الضَّحَّاكُ، الْمُبَارَكُ، الْحَامِدُ، الْحَمَّادُ، الْجَوَادُ، الْكَرِيمُ، الْحَكِيمُ، الْعَلِيمُ، الْحَلِيمُ، الْمُؤَيَّدُ، الْمُخْتَارُ، الْمُصْطَفَى، الْمُخَلِّصُ، الْهُدَى، الْمَعْصُومُ، الْوَجِيهُ، الْوَسِيلَةُ، الْعَفُوُّ، الصَّفُوحُ، الْعَطُوفُ، الْهَادِي، الْمُقَدَّسُ، الْبُرْهَانُ، الْحَنِيفُ، الْخَلِيلُ، الْخَلِيفَةُ، الْمَكِينُ، الصَّفْوَةُ، الصَّادِقُ، الْمَصْدُوقُ، صَاحِبُ الْحَوْضِ الْمَوْرُودِ، صَاحِبُ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، صَاحِبُ اللِّوَاءِ، صَاحِبُ الْمُعْجِزَاتِ، مِفْتَاحُ الْجَنَّةِ، رَسُولُ الرَّحْمَةِ، نَبِيُّ التَّوْبَةِ، إِمَامُ الْخَيْرِ، إِمَامُ الْمُتَّقِينَ، إِمَامُ النَّبِيِّينَ، أَكْرَمُ النَّاسِ، خَطِيبُ الأَنْبِيَاءِ، خَيْرُ الْبَرِيَّةِ،

---

(١) رواه ابن عدي، وابن عساكر، وسنده ضعيف.

خِيرَةُ اللّهِ، دَارُ الْحِكْمَةِ، دَلِيلُ الْخَيْرَاتِ، رَحْمَةُ الْعَالَمِينَ، رُوحُ الْقُدُسِ، عَلَمُ الْيَقِينِ، الْعُرْوَةُ الْوُثْقَى، مَدِينَةُ الْعِلْمِ، هَدِيَّةُ اللّهِ، عَبْدُ الْكَرِيمِ ﷺ.

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ أَنَّهُ قَالَ: اسْمُ النَّبِيِّ ﷺ عِنْدَ أَهْلِ الْجَنَّةِ: عَبْدُالْكَرِيمِ، وَعِنْدَ أَهْلِ النَّارِ: عَبْدُالْجَبَّارِ، وَعِنْدَ أَهْلِ الْعَرْشِ: عَبْدُالْحَمِيدِ، وَعِنْدَ سَائِرِ الْمَلائِكَةِ: عَبْدُالْمَجِيدِ، وَعِنْدَ الأَنْبِيَاءِ: عَبْدُالْوَهَّابِ، وَعِنْدَ الشَّيَاطِينِ: عَبْدُالْقَهَّارِ، وَعِنْدَ الْجِنِّ: عَبْدُالرَّحِيمِ، وَفِي الْجِبَالِ: عَبْدُالْخَالِقِ، وَفِي الْبَرِّ: عَبْدُالْقَادِرِ، وَفِي الْبَحْرِ: عَبْدُالْمُهَيْمِنِ، وَعِنْدَ الْحِيتَانِ: عَبْدُالْقُدُّوسِ، وَعِنْدَ الْهَوَامِّ: عَبْدُالْغِيَاثِ، وَعِنْدَ الْوُحُوشِ: عَبْدُالرَّزَّاقِ، وَعِنْدَ السِّبَاعِ: عَبْدُالسَّلاَمِ، وَعِنْدَ الْبَهَائِمِ: عَبْدُالْمُؤْمِنِ، وَعِنْدَ الطُّيُورِ: عَبْدُالْغَفَّارِ، وَفِي التَّوْرَاةِ: مُوذْمُوذْ، وَفِي الإِنْجِيلِ: طَابْ طَابْ، وَفِي الصُّحُفِ: عَاقِبٌ، وَفِي الزَّبُورِ: فَارُوقٌ، وَعِنْدَ اللّهِ: طٰهَ وَيٰس، وَعِنْدَ الْمُؤْمِنِينَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَكُنْيَتُهُ: أَبُو الْقَاسِمِ، لأَنَّهُ يَقْسِمُ الْجَنَّةَ بَيْنَ أَهْلِهَا ﷺ.

الفصل الثاني

فِي ذِكْرِ أَوْلاَدِهِ الْكِرَام
عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

أَمَّا بَنَاتُهُ صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِنَّ وَسَلَّمَ؛ فَأَرْبَعٌ: زَيْنَبُ، وَرُقَيَّةُ، وَأُمُّ كُلْثُومٍ، وَفَاطِمَةُ.

وَأَمَّا أَبْنَاؤُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ؛ فَثَلاَثَةٌ: الْقَاسِمُ، وَإِبْرَاهِيمُ، وَعَبْدُاللّهِ. وَزَادَ بَعْضُهُمْ: الْطَّيِّبَ وَالْمُطَيَّبَ، وَالطَّاهِرَ وَالْمُطَهَّرَ.

أَمَّا الْقَاسِمُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: فَهُوَ أَوَّلُ وَلَدٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَبْلَ الْنُبُوَّةِ، وَبِهِ كَانَ يُكَنَّى، وَعَاشَ حَتَّى مَشَى، وَقِيلَ: عَاشَ سَنَتَيْنِ.

وَأَمَّا زَيْنَبُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: فَهِيَ أَكْبَرُ بَنَاتِهِ، وُلِدَتْ فِي سَنَةِ ثَلاَثِينَ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَدْرَكَتِ الإِسْلاَمَ وَهَاجَرَتْ، وَمَاتَتْ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ عِنْدَ زَوْجِهَا وَابْنِ خَالَتِهَا أَبِي الْعَاصِ لَقِيطِ بْنِ الرَّبِيعِ، وَكَانَتْ هَاجَرَتْ قَبْلَهُ وَتَرَكَتْهُ عَلَى شِرْكِهِ، ثُمَّ أَسْلَمَ، فَرَدَّهَا النَّبِيُّ ﷺ بِالنِّكَاحِ الأَوَّلِ، وَقِيلَ: بِنِكَاحٍ جَدِيدٍ، وَوَلَدَتْ لَهُ عَلِيًّا، مَاتَ صَغِيراً، وَكَانَ رَدِيفَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ عَلَى نَاقَتِهِ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَوَلَدَتْ لَهُ أَيْضاً أُمَامَةَ الَّتِي حَمَلَهَا ﷺ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ

عَلَى عَاتِقِهِ، وَكَانَ إِذَا رَكَعَ وَضَعَهَا، وَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الْسُجُودِ أَعَادَهَا[١]، وَتَزَوَّجَهَا عَلِيٌّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ بَعْدَ مَوْتِ فَاطِمَةَ.

وَأَمَّا رُقَيَّةُ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: فَوُلِدَتْ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ مِنْ مَوْلِدِهِ ﷺ، وَتَزَوَّجَهَا عُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، وَهَاجَرَ بِهَا الْهِجْرَتَيْنِ، وَكَانَتْ ذَاتَ جَمَالٍ رَائِعٍ، وَتُوُفِّيَتْ وَالنَّبِيُّ ﷺ بِبَدْرٍ، وَلَمَّا تُوُفِّيَتْ رُقَيَّةُ خَطَبَ عُثْمَانُ ابْنَةَ عُمَرَ حَفْصَةَ[٢]، فَبَلَغَ ذَٰلِكَ النَّبِيَّ فَقَالَ: يَا عُمَرُ! أَدُلُّكَ عَلَى خَيْرٍ لَكَ مِنْ عُثْمَانَ، وَأَدُلُّ عُثْمَانَ عَلَى خَيْرٍ لَهُ مِنْكَ؟ قَالَ: نَعَمْ يَا نَبِيَّ اللّهِ! قَالَ: «**تُزَوِّجُنِي ابْنَتَكَ، وَأُزَوِّجُ عُثْمَانَ ابْنَتِي**» فَزَوَّجَهُ ﷺ أُمَّ كُلْثُوم. وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ لِعُثْمَانَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنَّ عِنْدِي مِئَةَ بِنْتٍ يَمُتْنَ وَاحِدَةً بَعْدَ وَاحِدَةٍ زَوَّجْتُكَ أُخْرَى، هٰذَا جِبْرِيلُ أَخْبَرَنِي أَنَّ اللّهَ يَأْمُرُنِي أَنْ أُزَوِّجَكَهَا**»، وَكَانَ تَزَوُّجُ عُثْمَانَ بِأُمِّ كُلْثُوم سَنَةَ ثَلاَثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَمَاتَتْ سَنَةَ تِسْعٍ، وَجَلَسَ ﷺ عَلَى الْقَبْرِ وَعَيْنَاهُ تَذْرِفَانِ.

وَأَمَّا فَاطِمَةُ الزَّهْرَاءُ الْبَتُولُ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهَا: فَوُلِدَتْ سَنَةَ إِحْدَى وَأَرْبَعِينَ مِنْ مَوْلِدِ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: وُلِدَتْ قَبْلَ النُّبُوَّةِ بِخَمْسِ سِنِينَ، وَرُوِيَ مَرْفُوعاً[٣] «**إِنَّمَا سُمِّيَتْ فَاطِمَةُ: لأَنَّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ فَطَمَهَا وَذُرِّيَّتَهَا عَنِ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**»، وَسُمِّيَتْ بَتُولاً لانْقِطَاعِهَا عَنْ نِسَاءِ زَمَانِهَا فَضْلاً وَدِيناً وَحَسباً، وَقِيلَ: لانْقِطَاعِهَا عَنِ الْدُّنْيَا إِلَى اللّهِ، وَتَزَوَّجَتْ بِعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ فِي السَّنَةِ الْثَّانِيَةِ بِأَمْرِ اللّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَوَحْيِهِ، وَلَهَا خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ وَنِصْفٌ، وَلِعَلِيٍّ إِحْدَى وَعِشْرُونَ سَنَةً وَخَمْسَةُ أَشْهُرٍ.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) بل كان عمر قد عرضها عليه فقال: ما أريد أن أتزوّج اليوم، وكان قد عرضها قبل علىٰ أبي بكر فسكت، لأن النبي ﷺ ذكرها، وما أَحَبَّ أن يفشي سر الرسول ﷺ.

(٣) بخبر ضعيف عن النسائي والحافظ الدمشقي، كما ذكر المناوي في فيض القدير.

قَالَ أَبُو عَمْرٍ: وَفَاطِمَةُ وَأُمُّ كُلْثُوم أَفْضَلُ بَنَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَحَبَّ أَهْلِهِ ﷺ إِلَيْهِ، وَكَانَ يُقَبِّلُهَا فِي فِيهَا، وَيُمِصُّهَا لِسَانَهُ، وَإِذَا أَرَادَ سَفَراً يَكُونُ آخِرُ عَهْدِهِ بِهَا، وَإِذَا قَدِمَ أَوَّلُ مَا يَدْخُلُ عَلَيْهَا. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَقَالَ لَهَا: «**أَوَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ؟**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[1]، وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ: «**أَفْضَلَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ**»، وَتُوُفِّيَتْ بَعْدَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِسِتَّةِ أَشْهُرٍ، لَيْلَةَ الثُّلاَثَاءِ لِثَلاَثٍ خَلَوْنَ مِنْ شَهْرِ رَمَضَانَ، سَنَةَ إِحْدَى عَشْرَةَ، وَوَلَدَتْ لِعَلِيٍّ حَسَناً وَحُسَيْناً وَمُحْسِناً (فَمَاتَ مُحْسِنٌ صَغِيراً) وَأُمَّ كُلْثُوم وَزَيْنَبَ، وَلَمْ يَكُنْ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَقِبٌ إِلاَّ مِنِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ، فَانْتَشَرَ نَسْلُهُ الشَّرِيفُ مِنْهَا مِنْ جِهَةِ السِّبْطَيْنِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ فَقَطْ.

وَأَمَّا عَبْدُاللَّهِ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ فَقِيلَ: مَاتَ صَغِيراً بِمَكَّةَ، وَاخْتُلِفَ هَلْ وُلِدَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ أَوْ بَعْدَهَا[2]؟ وَهَلْ هُوَ الطَّيِّبُ وَالطَّاهِرُ[3]؟ وَالصَّحِيحُ: أَنَّهُمَا لَقَبَانِ لَهُ.

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فَمِنْ مَارِيَةَ الْقِبْطِيَّةِ، وَوُلِدَ فِي ذِي الْحِجَّةِ سَنَةَ ثَمَانٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَكَانَتْ سَلْمَى زَوْجُ أَبِي رَافِعٍ مَوْلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَابِلَتَهُ، فَبَشَّرَ أَبُو رَافِعٍ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ، فَوَهَبَ لَهُ عَبْداً، وَعَقَّ عَنْهُ يَوْمَ سَابِعِهِ بِكَبْشَيْنِ، وَحَلَقَ رَأْسَهُ أَبُو هِنْدٍ، وَسَمَّاهُ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَئِذٍ، وَتَصَدَّقَ بِزِنَةِ شَعْرِهِ وَرِقاً ـ أَيْ فِضَّةً ـ عَلَى الْمَسَاكِينِ، وَدَفَنُوا شَعْرَهُ فِي الأَرْضِ. وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**وُلِدَ لِي اللَّيْلَةَ غُلاَمٌ سَمَّيْتُهُ بِاسْمِ**

(١) والبخاري.

(٢) والمعتمد بعدها. فأولاد النبي ﷺ على الترتيب في الولادة: القاسم، ثم زينب، ثم رقية، ثم فاطمة، ثم أم كلثوم، ثم عبدالله، ثم إبراهيم.

(٣) أو المطيَّب والمطهَّر.

أَبِي إِبْرَاهِيمَ»، وَتَنَافَسَتِ الأَنْصَارُ مَنْ يُرْضِعُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَإِنَّهُمْ أَحَبُّوا أَنْ يُفرِغُوا مَارِيَةَ لَهُ ﷺ، فَأَعْطَاهُ لأُمِّ بُرْدَةَ بِنْتِ الْمُنْذِرِ زَوْجَةِ الْبَرَاءِ بْنِ أَوْسٍ، فَكَانَتْ تُرْضِعُهُ بِلَبَنِ ابْنِهَا فِي بَنِي مَازِنِ بْنِ النَّجَّارِ، وَتَرْجِعُ بِهِ إِلَى أُمِّهِ، وَأَعْطَى ﷺ أُمَّ بُرْدَةَ قِطْعَةَ نَخْلٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَ إِبْرَاهِيمُ مُسْتَرْضَعاً فِي عَوَالِي الْمَدِينَةِ، وَكَانَ يَنْطَلِقُ وَنَحْنُ مَعَهُ فَيَدْخُلُ الْبَيْتَ[1] ـ وَكَانَ ظِئْرُهُ[2] قَيْناً[3] ـ فَيُقَبِّلُهُ، ثُمَّ يَرْجِعُ. رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ[4]، زَادَ الْبُخَارِيُّ: وَيَشَمُّهُ. وَتُوُفِّيَ وَلَهُ سَبْعُونَ يَوْماً، وَقِيلَ: أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ، وَصَلَّى عَلَيْهِ النَّبِيُّ ﷺ بِالْبَقِيعِ، وَقَالَ: «**نَدْفِنُهُ عِنْدَ فَرَطِنَا[5] عُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ**»[6] وَجَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى شَفِيرِ قَبْرِهِ، وَرُشَّ وَعُلِّمَ بِعَلاَمَةٍ، وَهُوَ أَوَّلُ قَبْرٍ رُشَّ.

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ: أَخَذَ ﷺ بِيَدِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ، فَأَتَى بِهِ النَّخْلَ، فَإِذَا ابْنُهُ إِبْرَاهِيمُ يَجُودُ بِنَفْسِهِ، فَأَخَذَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي حِجْرِهِ، ثُمَّ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّا بِكَ يَا إِبْرَاهِيمُ لَمَحْزُونُونَ، تَبْكِي الْعَيْنُ، وَيَحْزَنُ الْقَلْبُ، وَلاَ نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ**».

وَانْكَسَفَتِ الشَّمْسُ يَوْمَ مَوْتِهِ، فَقَالَ النَّاسُ: إِنَّمَا كُسِفَتْ لِمَوْتِ إِبْرَاهِيمَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَنْكَسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

---

(١) «وإنه ليدخّن» أي: يتصاعد من البيت الدخان، وذلك لأن زوج مرضعة إبراهيم كان حدّاداً، فكان ينفخ بكيره.
(٢) الظّئر: مرضعة ولد غيرها، وزوجُها ظِئر لذلك الرضيع.
(٣) حدّاداً.
(٤) وكذا مسلم.
(٥) مَن سبقنا إلىٰ الجنة.
(٦) الذي توفي في العام الثاني من الهجرة، وهو أخو رسول الله ﷺ من الرضاعة.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: لَمَّا مَاتَ إِبْرَاهِيمُ ابْنُ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ لَهُ مُرْضِعاً فِي الْجَنَّةِ، وَلَوْ عَاشَ لَكَانَ صِدِّيقاً نَبِيًّا، وَلَوْ عَاشَ لأَعْتَقْتُ أَخْوَالَهُ مِنَ الْقِبْطِ، وَمَا اسْتُرِقَّ قِبْطِيٌّ»**[1].

---

(١) رواه ابن ماجه ١٥١١ بسند ضعيف. ورواه أحمد بلفظ: **«لو عاش إبراهيم لكان صدّيقاً نبيًّا»** قال الهيثمي: ورجاله رجال الصحيح.

الفصل الثالث

فِي ذِكْرِ أَزْوَاجِهِ الطَّاهِرَاتِ، وَسَرَارِيهِ الْمُطَهَّرَاتِ ﷺ

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ﴾[1] وَذٰلِكَ فِي تَحْرِيمِ نِكَاحِهِنَّ، وَوُجُوبِ احْتِرَامِهِنَّ، لاَ فِي نَظَرٍ وَخَلْوَةٍ. وَفَضَلْنَ عَلَى النِّسَاءِ، وَثَوَابُهُنَّ وَعِقَابُهُنَّ مُضَاعَفَانِ[2]، وَلاَ يَحِلُّ سُؤَالُهُنَّ إِلاَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ، وَأَفْضَلُهُنَّ: خَدِيجَةُ وَعَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَفِي أَفْضَلِهِمَا خِلاَفٌ[3].

وَاخْتُلِفَ فِي عِدَّةِ زَوْجَاتِهِ ﷺ، وَالْمُتَّفَقُ عَلَيْهِ أَنَّهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ امْرَأَةً، سِتٌّ مِنْ قُرَيْشٍ: خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ، وَعَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ، وَحَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ، وَأُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، وَأُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ، وَسَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ، وَأَرْبَعٌ عَرَبِيَّاتٌ: زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ مِنْ بَنِي أَسَدِ بْنِ خُزَيْمَةَ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلاَلِيَّةُ، وَزَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الْهِلاَلِيَّةُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ، وَجُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْمُصْطَلِقِيَّةُ، وَوَاحِدَةٌ غَيْرُ عَرَبِيَّةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَهِيَ صَفِيَّةُ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

(٢) لقوله تعالى: ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ۝٣٠ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ۝٣١﴾ [الأحزاب: ٣٠، ٣١].

(٣) والمعتمد أن خديجة أفضل من عائشة رضي الله عنها.

بِنْتُ حُيَيٍّ مِنْ بَنِي النَّضِيرِ، وَمَاتَ عِنْدَهُ ﷺ مِنْهُنَّ اثْنَتَانِ: خَدِيجَةُ، وَزَيْنَبُ أُمُّ الْمَسَاكِينِ. وَمَاتَ ﷺ عَنْ تِسْعٍ.

فَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **خَدِيجَةُ بِنْتُ خُوَيْلِدٍ** رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: فَقَدْ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَهِيَ ثَيِّبٌ[1]، وَلَهَا مِنَ الْعُمْرِ أَرْبَعُونَ سَنَةً، وَكَانَ سِنُّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خَمْساً وَعِشْرِينَ سَنَةً، وَأَصْدَقَهَا عِشْرِينَ بَكْرَةً[2]. وَقِيلَ: اثْنَتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً ذَهَباً[3]، وَهِيَ أَوَّلُ مَنْ آمَنَ مِنَ النِّسَاءِ، وَقَالَ جِبْرِيلُ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلاَمَ مِنْ رَبِّهَا وَمِنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لاَ صَخَبَ فِيهِ وَلاَ نَصَبَ[4]. (وَالْقَصَبُ: اللُّؤْلُؤُ الْمُجَوَّفُ. وَالصَّخَبُ: الْمُنَازَعَةُ بِرَفْعِ الصَّوْتِ. وَالنَّصَبُ: التَّعَبُ).

وَكَانَ ﷺ لاَ يَسْمَعُ شَيْئاً مِنْ رَدٍّ عَلَيْهِ وَتَكْذِيبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيُحْزِنُهُ ذٰلِكَ إِلاَّ فَرَّجَ اللّهُ عَنْهُ بِخَدِيجَةَ، إِذَا رَجَعَ إِلَيْهَا تُثَبِّتُهُ وَتُخَفِّفُ عَنْهُ، وَتُصَدِّقُهُ وَتُهَوِّنُ عَلَيْهِ أَمْرَ النَّاسِ، حَتَّى مَاتَتْ. قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ[5] فِي شَرْحِ الْبَهْجَةِ[6]: وَأَفْضَلُهُنَّ خَدِيجَةُ، وَعَائِشَةُ. وَفِي أَفْضَلِهِمَا خِلاَفٌ، صَحَّحَ ابْنُ الْعِمَادِ تَفْضِيلَ خَدِيجَةَ، لِمَا ثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِعَائِشَةَ حِينَ قَالَتْ: قَدْ رَزَقَكَ اللّهُ خَيْراً مِنْهَا: **«لاَ وَاللّهِ مَا رَزَقَنِي خَيْراً مِنْهَا؛ آمَنَتْ بِي حِينَ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقَتْنِي حِينَ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَأَعْطَتْنِي مَالَهَا حِينَ حَرَمَنِي النَّاسُ»**[7].

---

(١) كانت متزوجة قبله بأبي هالة بن زُرارة التميمي. ثم بعد وفاة أبي هالة تزوّجها عتيق بن عابد المخزومي.

(٢) ناقة فتيّة.

(٣) الأوقيّة: ١١٢ غراماً.

(٤) رواه الشيخان.

(٥) القاضي زكريا الأنصاري.

(٦) بهجة الحاوي.

(٧) رواه الطبراني. وأصله في الصحيحين مختصراً.

وَسُئِلَ ابْنُ دَاوُدَ فَأَجَابَ بِأَفْضَلِيَّةِ خَدِيجَةَ عَلَى عَائِشَةَ، وَبِأَنَّ ابْنَتَهَا فَاطِمَةَ أَفْضَلُ مِنْهَا. وَقَالَ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي**» فَلاَ أَعْدِلُ بِبِضْعَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحداً. وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُهُ ﷺ: «**أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ إِلاَّ مَرْيَمَ؟**». وَسُئِلَ السُّبْكِيُّ عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَ: الَّذِي نَخْتَارُهُ وَنَدِينُ اللَّهَ بِهِ: أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ ﷺ أَفْضَلُ، ثُمَّ أُمُّهَا خَدِيجَةُ، ثُمَّ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُنَّ[1]. قَالَ أَبُو أُمَامَةَ ابْنُ النَّقَّاشِ: إِنَّ سَبْقَ خَدِيجَةَ وَتَأْثِيرَهَا فِي أَوَّلِ الإِسْلاَمِ، وَمُؤَازَرَتَهَا وَنُصْرَتَهَا وَقِيَامَهَا فِي الدِّينِ لِلَّهِ بِمَالِهَا وَنَفْسِهَا لَمْ يَشْرَكْهَا فِيهِ أَحَدٌ، لاَ عَائِشَةُ وَلاَ أَحَدٌ غَيْرُهَا مِنْ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَتَأْثِيرُ عَائِشَةَ فِي حَمْلِ الدِّينِ وَتَبْلِيغِهِ إِلَى الأُمَّةِ مَا لَمْ تَشْرَكْهَا فِيهِ خَدِيجَةُ وَلاَ غَيْرُهَا مِمَّا تَمَيَّزَتْ بِهِ عَنْ غَيْرِهَا.

وَمَاتَتْ خَدِيجَةُ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلاَثِ سِنِينَ، وَدُفِنَتْ فِي الْحَجُونِ، وَهِيَ ابْنَةُ خَمْسٍ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَلَمْ يَكُنْ يَوْمَئِذٍ يُصَلَّىٰ عَلَى الْجَنَازَةِ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مُقَامِهَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ خَمْساً وَعِشْرِينَ سَنَةً.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **سَوْدَةُ بِنْتُ زَمْعَةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَأَسْلَمَتْ قَدِيماً، وَبَايَعَتْ، وَكَانَتْ تَحْتَ ابْنِ عَمِّهَا السَّكْرَانَ بْنِ عَمْرٍو، أَسْلَمَ مَعَهَا قَدِيماً وَهَاجَرَا جَمِيعاً إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ، فَلَمَّا قَدِمَا مَكَّةَ مَاتَ زَوْجُهَا، وَتَزَوَّجَهَا ﷺ بِمَكَّةَ بَعْدَ مَوْتِ خَدِيجَةَ[2] قَبْلَ أَنْ يَعْقِدَ عَلَى عَائِشَةَ. وَقِيلَ: بَعْدَ أَنْ عَقَدَ عَلَيْهَا. وَدَخَلَ بِهَا قَبْلَ عَائِشَةَ. وَلَمَّا كَبِرَتْ سَوْدَةُ أَرَادَ ﷺ طَلاَقَهَا، فَسَأَلَتْهُ أَنْ لاَ يَفْعَلَ، وَجَعَلَتْ يَوْمَهَا لِعَائِشَةَ، فَأَمْسَكَهَا، وَتُوُفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **عَائِشَةُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَخَطَبَهَا

---

(١) ثم أسية.

(٢) في الشهر نفسه.

النَّبِيُّ ﷺ وَأَصْدَقَهَا فِيمَا قَالَهُ ابْنُ إِسْحَاقَ: أَرْبَعَ مِئَةِ دِرْهَمٍ[1]، وَتَزَوَّجَهَا بِمَكَّةَ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ عَشْرٍ مِنَ النُّبُوَّةِ، وَقَبْلَ الْهِجْرَةِ بِثَلاثِ سِنِينَ، وَلَهَا سِتُّ سِنِينَ، وَأَعْرَسَ بِهَا بِالْمَدِينَةِ فِي شَوَّالٍ سَنَةَ اثْنَتَيْنِ مِنَ الْهِجْرَةِ[2] وَلَهَا تِسْعُ سِنِينَ.

قَالَ أَبُو عَمْرٍو: كَانَ نِكَاحُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ لَهَا فِي شَوَّالٍ، وَابْتَنَى بِهَا فِي شَوَّالٍ، وَكَانَتْ تُحِبُّ أَنْ تَدْخُلَ النِّسَاءُ مِنْ أَهْلِهَا وَأَحِبَّتِهَا فِي شَوَّالٍ.

وَكَانَتْ أَحَبَّ نِسَاءِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ إِلَيْهِ، وَكَانَتْ إِذَا هَوِيَتْ شَيْئاً تَابَعَهَا عَلَيْهِ، وَقَالَ لَهَا: «**رَأَيْتُكِ فِي الْمَنَامِ ثَلاثَ لَيَالٍ، جَاءَنِي بِكِ الْمَلَكُ فِي سَرَقَةٍ مِنْ حَرِيرٍ يَقُولُ: هٰذِهِ امْرَأَتُكَ، فَأَكْشِفُ عَنْ وَجْهِكِ فَأَقُولُ: إِنْ يَكُ مِنْ عِنْدِ اللّهِ يُمْضِهِ**»[3]. (وَالسَّرَقَةُ بِوَزْنِ قَصَبَةٍ: شُقَّةُ حَرِيرٍ بَيْضَاءُ).

وَكَانَتْ مُدَّةُ مُقَامِهَا مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ تِسْعَ سِنِينَ، وَمَاتَ عَنْهَا ﷺ وَلَهَا ثَمَانِي عَشْرَةَ سَنَةً، وَلَمْ يَتَزَوَّجْ بِكْراً غَيْرَهَا، وَكَانَتْ فَقِيهَةً عَالِمَةً فَصِيحَةً، كَثِيرَةَ الْحَدِيثِ عَنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، عَارِفَةً بِأَيَّامِ الْعَرَبِ وَأَشْعَارِهَا، رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ كَثِيرَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ لَيْلَةَ الثُّلاثَاءِ، لِسَبْعَ عَشْرَةَ خَلَتْ مِنْ رَمَضَانَ سَنَةَ ثَمَانٍ وَخَمْسِينَ، وَهِيَ ابْنَةُ سِتٍّ وَسِتِّينَ سَنَةً، وَكَانَتْ تُكْنَىٰ أُمَّ عَبْدِاللّهِ، بِابْنِ أُخْتِهَا عَبْدِاللّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَمَا وَلَدَتْ قَطُّ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **حَفْصَةُ بِنْتُ عُمَرَ** رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: فَقَدْ أَسْلَمَتْ وَهَاجَرَتْ، وَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ تَحْتَ خُنَيْسِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، هَاجَرَتْ مَعَهُ، وَمَاتَ عَنْهَا بَعْدَ غَزْوَةِ بَدْرٍ[4]، ثُمَّ تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي

---

(١) الدرهم: ٢,٨ غراماً.

(٢) بل في السنة الأولىٰ من الهجرة.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) بجراحة أصابته ببدر.

سَنَةِ ثَلاَثٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، وَطَلَّقَهَا تَطْلِيقَةً وَاحِدَةً، ثُمَّ رَاجَعَهَا، نَزَلَ عَلَيْهِ الْوَحْيُ: رَاجِعْ حَفْصَةَ، فَإِنَّهَا صَوَّامَةٌ قَوَّامَةٌ، وَإِنَّهَا زَوْجَتُكَ فِي الْجَنَّةِ(١)، رَوَى عَنْهَا جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ، وَمَاتَتْ فِي شَعْبَانَ سَنَةَ خَمْسٍ وَأَرْبَعِينَ، فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ، وَهِيَ ابْنَةُ سِتِّينَ سَنَةً.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **أُمُّ سَلَمَةَ بِنْتُ أَبِي أُمَيَّةَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَاسْمُهَا هِنْدٌ: فَكَانَتْ قَبْلَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَحْتَ أَبِي سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالأَسَدِ، وَكَانَتْ هِيَ وَزَوْجُهَا أَوَّلَ مَنْ هَاجَرَ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَهِيَ أَوَّلُ ظَعِينَةٍ(٢) دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ مُهَاجِرَةً، وَمَاتَ أَبُو سَلَمَةَ سَنَةَ أَرْبَعٍ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَخَطَبَهَا أَبُو بَكْرٍ فَأَبَتْ، وَخَطَبَهَا عُمَرُ فَأَبَتْ، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: مَرْحَباً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَتْ لابْنِهَا: زَوِّجْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَزَوَّجَهُ، وَكَانَتْ مِنْ أَجْمَلِ النِّسَاءِ، وَمَاتَتْ عَنْ أَرْبَعٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، سَنَةَ تِسْعٍ وَخَمْسِينَ، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وَاسْمُهَا رَمْلَةُ: فَكَانَتْ تَحْتَ عُبَيْدِاللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، وَهَاجَرَ بِهَا إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ الْهِجْرَةَ الثَّانِيَةَ، ثُمَّ تَنَصَّرَ وَارْتَدَّ عَنِ الإِسْلاَمِ، وَمَاتَ هُنَاكَ، وَثَبَتَتْ أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَبَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى النَّجَاشِيِّ لِيَخْطُبَهَا عَلَيْهِ، فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ، وَأَصْدَقَهَا عَنْهُ أَرْبَعَ مِئَةِ دِينَارٍ(٣)، وَبَعَثَهَا إِلَيْهِ، وَقَدْ أَمَرَ النَّجَاشِيُّ جَعْفَرَ بْنَ أَبِي طَالِبٍ وَمَنْ هُنَاكَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَحَضَرُوا، فَخَطَبَ النَّجَاشِيُّ فَقَالَ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ السَّلاَمِ الْمُؤْمِنِ الْمُهَيْمِنِ الْعَزِيزِ الْجَبَّارِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ

---

(١) رواه الطبراني.

(٢) الظعينة: المرأة ما دامت في الهودج.

(٣) الدينار: ٤ غرامات.

بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ. أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ أَجَبْتُ إِلَى مَا دَعَا إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَزَوَّجْتُهُ أُمَّ حَبِيبَةَ بِنْتَ أَبِي سُفْيَانَ، فَبَارَكَ اللَّهُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَدَفَعَ الدَّنَانِيرَ إِلَى خَالِدِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ، فَقَبَضَهَا، ثُمَّ أَرَادُوا أَنْ يَقُومُوا فَقَالَ: اجْلِسُوا، فَإِنَّ سُنَّةَ الأَنْبِيَاءِ إِذَا تَزَوَّجُوا يُؤْكَلَ طَعَامٌ عَلَى التَّزْوِيجِ، فَدَعَا بِطَعَامٍ، فَأَكَلُوا، ثُمَّ تَفَرَّقُوا(١)، وَمَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَأَرْبَعِينَ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وَأُمُّهَا أُمَيْمَةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ بْنِ هَاشِمٍ: فَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ زَوَّجَهَا زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ، فَمَكَثَتْ عِنْدَهُ مُدَّةً، ثُمَّ طَلَّقَهَا، فَلَمَّا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا مِنْهُ قَالَ ﷺ لِزَيْدٍ: «**اذْهَبْ فَاذْكُرْنِي لَهَا**» قَالَ: فَذَهَبْتُ إِلَيْهَا، فَجَعَلْتُ ظَهْرِي إِلَى الْبَابِ، فَقُلْتُ: يَا زَيْنَبُ! بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَذْكُرُكِ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُحْدِثَ شَيْئاً حَتَّى أُؤَامِرَ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ، فَقَامَتْ إِلَى مَسْجِدٍ لَهَا، فَأَنْزَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾(٢)، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَدَخَلَ عَلَيْهَا بِغَيْرِ إِذْنٍ. أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ. وَكَانَتْ تَفْتَخِرُ عَلَى أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ، تَقُولُ: زَوَّجَكُنَّ آبَاؤُكُنَّ، وَزَوَّجَنِي اللَّهُ مِنْ فَوْقِ سَبْعِ سَمٰوَاتٍ(٣). وَكَانَ تَزْوِيجُهَا لَهُ ﷺ سَنَةَ خَمْسٍ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ فِي شَأْنِهَا: وَلَمْ تَكُنْ امْرَأَةٌ خَيْراً مِنْهَا فِي الدِّينِ، وَأَتْقَى لِلَّهِ، وَأَصْدَقَ حَدِيثاً، وَأَوْصَلَ لِلرَّحِمِ، وَأَعْظَمَ صَدَقَةً، وَأَشَدَّ ابْتِذَالاً لِنَفْسِهَا فِي الْعَمَلِ الَّذِي تَتَصَدَّقُ بِهِ، وَيُقَرِّبُ إِلَى اللَّهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَهِيَ أَوَّلُ

---

(١) وبقيت في الحبشة حتىٰ سنة سبع، فقدمت المدينة فيمن قدم مع جعفر بن أبي طالب عقب خيبر.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٣٧.

(٣) رواه الترمذي وصححه.

مَنْ مَاتَ مِنْ أَزْوَاجِهِ بَعْدَهُ ﷺ، مَاتَتْ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ عِشْرِينَ، وَلَهَا ثَلاَثٌ وَخَمْسُونَ سَنَةً، وَصَلَّى عَلَيْهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **زَيْنَبُ بِنْتُ خُزَيْمَةَ الْهِلاَلِيَّةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقَدْ كَانَتْ تَحْتَ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَحْشٍ، قُتِلَ عَنْهَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَتَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ سَنَةَ ثَلاَثٍ[١]، وَلَمْ تَلْبَثْ عِنْدَهُ إِلاَّ شَهْرَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً، وَتُوُفِّيَتْ فِي حَيَاتِهِ ﷺ، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ، وَهِيَ أُخْتُ مَيْمُونَةَ لأُمِّهَا.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **مَيْمُونَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهِلاَلِيَّةُ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَقَدْ كَانَتْ قَبْلُ عِنْدَ أَبِي رَهْمِ بْنِ عَبْدِالْعُزَّى، تَزَوَّجَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمَّا كَانَ مُعْتَمِراً سَنَةَ سَبْعٍ، بَعْدَ غَزْوَةِ خَيْبَرَ[٢]، جَعَلَتْ أَمْرَهَا إِلَى الْعَبَّاسِ، فَأَنْكَحَهَا النَّبِيَّ ﷺ، وَهُوَ مُحْرِمٌ[٣]، فَلَمَّا رَجَعَ بَنَى بِهَا بِسَرِفَ حَلاَلاً. (وَسَرِفُ: اسْمُ مَكَانٍ عَلَى عَشَرَةِ أَمْيَالٍ مِنْ مَكَّةَ)[٤].

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: وَيُقَالُ إِنَّهَا وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَذٰلِكَ أَنَّ خِطْبَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ انْتَهَتْ إِلَيْهَا وَهِيَ عَلَى بَعِيرِهَا، فَقَالَتْ: الْبَعِيرُ وَمَنْ عَلَيْهِ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ. وَتُوُفِّيَتْ بِسَرِفَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي بَنَى بِهَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، سَنَةَ إِحْدَى وَخَمْسِينَ، وَصَلَّى عَلَيْهَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَدَخَلَ قَبْرَهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

---

(١) بل أربع على الصواب.

(٢) فكانت آخر نسائه زواجاً.

(٣) وهو دليل أبي حنيفة على جواز أن يزوِّج المُحرِم أو يتزوّج. وقال الجمهور: لا يصح لقوله ﷺ: **«لا يَنكِح المُحرِم ولا يُنكِح»** رواه مسلم. وأجاب الجمهور عن حديث ميمونة بأجوبة أصحها:

١ ـ أن النبي ﷺ تزوّجها حلالاً، كما روت ميمونة نفسُها وأكثرُ الصحابة، خلافاً لابن عباس وحده.

٢ ـ أنه تزوّجها في الحَرَم وهو حلال.

٣ ـ أنه تعارض القول والفعل، والصحيح عند الأصوليين ترجيح القول.

(٤) أي ١٧ كيلومتراً.

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَكَانَتْ تَحْتَ مُسَافِعِ بْنِ صَفْوَانَ الْمُصْطَلِقِيِّ، وَكَانَتْ قَدْ وَقَعَتْ فِي سَهْمِ ثَابِتِ بْنِ قَيْسٍ الأَنْصَارِيِّ، فِي غَزْوَةِ الْمُرَيْسِيعِ - وَهِيَ غَزْوَةُ بَنِي الْمُصْطَلِقِ - فِي سَنَةِ خَمْسٍ. وَقِيلَ: سِتٍّ. فَكَاتَبَتْهُ عَلَى نَفْسِهَا، ثُمَّ جَاءَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنَا جُوَيْرِيَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِي مَا لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ، وَوَقَعْتُ فِي سَهْمِ ثَابِت بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ، وَإِنِّي كَاتَبْتُ نَفْسِي، فَجِئْتُ أَسْأَلُكَ فِي كِتَابَتِي، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**فَهَلْ لَكِ إِلَى مَا هُوَ خَيْرٌ؟**» قَالَتْ: وَمَا هُوَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**أُؤَدِّي عَنْكِ كِتَابَتَكِ، وَأَتَزَوَّجُكِ**» قَالَتْ: قَدْ فَعَلْتُ، فَتَسَامَعَ النَّاسُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَدْ تَزَوَّجَ جُوَيْرِيَةَ، فَأَرْسَلُوا مَا فِي أَيْدِيهِمْ مِنَ السَّبْيِ، فَأَعْتَقُوهُمْ، وَقَالُوا: أَصْهَارُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَمَا رَأَيْنَا امْرَأَةً أَعْظَمَ بَرَكَةً عَلَى قَوْمِهَا مِنْهَا، أُعْتِقَ فِي سَبَبِهَا مِئَةُ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ بَنِي الْمُصْطَلِقِ، وَكَانَتِ ابْنَةَ عِشْرِينَ سَنَةً، وَتُوُفِّيَتْ وَعُمُرُهَا خَمْسٌ وَسِتُّونَ سَنَةً، سَنَةَ خَمْسٍ وَخَمْسِينَ[1].

وَأَمَّا أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ **صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيٍّ** رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: فَهِيَ مِنْ سِبْطِ هَارُونَ بْنِ عِمْرَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، كَانَتْ تَحْتَ كِنَانَةَ بْنِ أَبِي الْحُقَيْقِ[2]، قُتِلَ يَوْمَ خَيْبَرَ، قَالَ أَنَسٌ: لَمَّا افْتَتَحَ ﷺ خَيْبَرَ وَجَمَعَ السَّبْيَ جَاءَهُ دِحْيَةُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطِنِي جَارِيَةً، فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَخُذْ جَارِيَةً**» فَأَخَذَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، فَجَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَعْطَيْتَ دِحْيَةَ صَفِيَّةَ بِنْتَ حُيَيٍّ، سَيِّدَةَ قُرَيْظَةَ وَالنَّضِيرِ؟ مَا تَصْلُحُ إِلاَّ لَكَ، قَالَ: «**ادْعُوهُ بِهَا**» فَجَاءَ بِهَا، فَلَمَّا نَظَرَ إِلَيْهَا النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**خُذْ جَارِيَةً مِنَ السَّبْيِ غَيْرَهَا**»، وَأَعْتَقَهَا، وَتَزَوَّجَهَا[3]، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالطَّرِيقِ جَهَّزَتْهَا لَهُ أُمُّ

---

(١) في المواهب: سنة خمسين، وقيل: سنة ست وخمسين.
(٢) وقبله تحت سلاّم بن مِشكَم.
(٣) سنة سبع من الهجرة.

سُلَيْمٍ، فَأَهْدَتْهَا لَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَأَصْبَحَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَرُوساً، فَقَالَ: «**مَنْ كَانَ عِنْدَهُ شَيْءٌ فَلْيَجِىءْ بِهِ**»، وَبَسَطَ نِطْعاً[(١)]، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالأَقِطِ[(٢)]، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالتَّمْرِ، وَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِالسَّمْنِ، فَحَاسُوا حَيْساً[(٣)]، فَكَانَتْ وَلِيمَةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَاتَتْ فِي رَمَضَانَ سَنَةَ خَمْسِينَ فِي زَمَنِ مُعَاوِيَةَ، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ.

فَهٰؤُلاَءِ أَزْوَاجُهُ اللاَّتِي دَخَلَ بِهِنَّ، لاَ خِلاَفَ فِي ذٰلِكَ بَيْنَ أَهْلِ السِّيَرِ وَالعِلْمِ بِالأَثَرِ[(٤)].

وَقَدْ ذُكِرَ أَنَّهُ ﷺ تَزَوَّجَ نِسْوَةً غَيْرَ مَنْ ذُكِرَ، وَجُمْلَتُهُنَّ اثْنَتَا عَشْرَةَ امْرَأَةً:

الأُولَى: أُمُّ شُرَيْكٍ الْوَاهِبَةُ نَفْسَهَا لَهُ ﷺ: طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، فَلَمْ تَتَزَوَّجْ حَتَّى مَاتَتْ. وَقَالَ عُرْوَةُ بْنُ الزُّبَيْرِ: كَانَتْ **خَوْلَةُ بِنْتُ حَكِيمٍ** مِنَ اللاَّئِي وَهَبْنَ أَنْفُسَهُنَّ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ.

الثَّانِيَةُ: **خَوْلَةُ بِنْتُ الْهُذَيْلِ** بْنِ هُبَيْرَةَ، تَزَوَّجَهَا ﷺ، فَهَلَكَتْ قَبْلَ أَنْ تَصِلَ إِلَيْهِ.

الثَّالِثَةُ: **عَمْرَةُ بِنْتُ يَزِيدَ الْكِلاَبِيَّةُ**، طَلَّقَهَا[(٥)]، وَأَمَرَ أُسَامَةَ بنَ زَيْدٍ فَمَتَّعَهَا ثَلاَثَةَ أَثْوَابٍ.

الرَّابِعَةُ: **أَسْمَاءُ بِنْتُ النُّعْمَانِ الْكِنْدِيَّةُ**، تَزَوَّجَهَا، فَلَمَّا دَعَاهَا قَالَتْ: أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ. فَقَالَ: «**عُذْتِ بِمَعَاذٍ**» ثُمَّ سَرَّحَهَا إِلَى أَهْلِهَا، وَكَانَتْ تُسَمِّي نَفْسَهَا الشَّقِيَّةَ.

---

(١) بساطاً مِنْ جلد.

(٢) وهو لبن مجفّف يُطبخ به.

(٣) خلطوا التمر بالسّمن والأقِط.

(٤) وكان زواجهن بهن على الترتيب التالي: خديجة، ثم سودة، فعائشة، ثم حفصة، ثم زينب بنت خزيمة، فأم سلمة، ثم زينب بنت جحش، فجويرية، ثم صفية، فأم حبيبة، فميمونة رضي الله عنهن.

(٥) قبل الدخول بها.

الْخَامِسَةُ: مُلَيْكَةُ بِنْتُ كَعْبٍ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُنْكِرُ تَزْوِيجَهَا.

السَّادِسَةُ: فَاطِمَةُ بِنْتُ الْضَّحَّاكِ، تَزَوَّجَهَا ثُمَّ فَارَقَهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَقِيلَ: إِنَّ أَبَاهَا قَالَ: إِنَّهَا لَمْ تُصْدَعْ قَطُّ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لاَ حَاجَةَ لِي بِهَا**»[١].

السَّابِعَةُ: عَالِيَةُ بِنْتُ ظَبْيَانَ بْنِ عَمْرٍو، تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَكَانَتْ عِنْدَهُ مَا شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ طَلَّقَهَا.

الثَّامِنَةُ: قُتَيْلَةُ بِنْتُ قَيْسٍ، أُخْتُ الأَشْعَثِ بْنِ قَيْس الْكِنْدِيِّ، زَوَّجَهُ إِيَّاهَا أَخُوهَا فِي سَنَةِ عَشْرٍ، ثُمَّ انْصَرَفَ إِلَى حَضْرَمَوْتَ، فَحَمَلَهَا، فَقُبِضَ ﷺ قَبْلَ قُدُومِهَا عَلَيْهِ.

التَّاسِعَةُ: سَنَا بِنْتُ أَسْمَاءَ بْنِ الصَّلْت السُّلَمِيَّةُ، تَزَوَّجَهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَمَاتَتْ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا، وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحَاقَ: طَلَّقَهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ بِهَا.

الْعَاشِرَةُ: شَرَفُ بِنْتُ خَلِيفَةَ أُخْتُ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، تَزَوَّجَهَا ﷺ، فَمَاتَتْ قَبْلَ دُخُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِهَا.

الْحَادِيَةُ عَشَرَ: لَيْلَى بِنْتُ الْخَطِيمِ، أُخْتُ قَيْسٍ، تَزَوَّجَهَا ﷺ، وَكَانَتْ غَيُوراً، فَاسْتَقَالَتْهُ، فَأَقَالَهَا، فَأَكَلَهَا الذِّئْبُ.

الثَّانِيَةُ عَشَرَ: امْرَأَةٌ مِنْ غِفَارَ، تَزَوَّجَهَا ﷺ، فَأَمَرَهَا فَنَزَعَتْ ثِيَابَهَا، فَرَأَى بِكَشْحِهَا[٢] بَيَاضاً، فَقَالَ: «**الْحَقِي بِأَهْلِكِ**»، وَلَمْ يَأْخُذْ مِمَّا آتَاهَا شَيْئاً.

---

(١) لأن مَن أراد الله به خيراً أصاب منه. قال ﷺ: «**مَن يُرِد الله به خيراً يُصِب منه**» رواه البخاري.

(٢) الكَشح: ما بين الخاصرة إلىٰ الضِّلَع الخلفي.

فَهٰؤُلاَءِ جُمْلَةُ مَنْ ذُكِرَ مِنْ أَزْوَاجِهِ ﷺ، وَفَارَقَهُنَّ فِي حَيَاتِهِ بَعْضُهُنَّ قَبْلَ الدُّخُولِ، وَبَعْضُهُنَّ بَعْدَهُ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ **خَطَبَ عِدَّةَ نِسْوَةٍ:**

الأُولَى مِنْهُنَّ: امْرَأَةٌ مِنْ بَنِي مُرَّةَ بْنِ عَوْفٍ، خَطَبَهَا ﷺ إِلَى أَبِيهَا فَقَالَ: إِنَّ بِهَا بَرَصاً (وَهُوَ كَاذِبٌ)، فَرَجَعَ فَوَجَدَ الْبَرَصَ بِهَا.

الثَّانِيَةُ: امْرَأَةٌ قُرَشِيَّةٌ يُقَالُ لَهَا: سَوْدَةُ، خَطَبَهَا ﷺ وَكَانَتْ مُصْبِيَةً[1]، فَقَالَتْ: أَخَافُ أَنْ يَضْغُوا ـ أَيْ يَضِجُّوا ـ وَيَبْكُوا عِنْدَ رَأْسِكَ، فَدَعَا لَهَا وَتَرَكَهَا.

الثَّالِثَةُ: صَفِيَّةُ بِنْتُ بَشَامَةَ، وَكَانَ أَصَابَهَا فِي سَبْيٍ، فَخَيَّرَهَا بَيْنَ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ وَبَيْنَ زَوْجِهَا، فَاخْتَارَتْ زَوْجَهَا.

الرَّابِعَةُ: وَلَمْ يُذْكَرِ اسْمُهَا، خَطَبَهَا ﷺ فَقَالَتْ: أَسْتَأْمِرُ أَبِي، فَلَقِيَتْ أَبَاهَا فَأَذِنَ لَهَا، فَعَادَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**الْتَحَفْنَا لِحَافاً غَيْرَكِ**».

الْخَامِسَةُ: أُمُّ هَانِىءٍ، فَاخِتَةُ بِنْتُ أَبِي طَالِبٍ، أُخْتُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، خَطَبَهَا ﷺ فَقَالَتْ: إِنِّي مُصْبِيَةٌ، وَاعْتَذَرَتْ إِلَيْهِ فَعَذَرَهَا.

السَّادِسَةُ: ضُبَاعَةُ بِنْتُ عَامِرِ بْنِ قُرْطٍ، خَطَبَهَا إِلَى ابْنِهَا سَلَمَةَ بْنِ هَاشِمٍ، فَقَالَ: حَتَّى أَسْتَأْمِرَهَا، فَقِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّهَا قَدْ كَبِرَتْ، فَلَمَّا عَادَ ابْنُهَا وَقَدْ أَذِنَتْ لَهُ سَكَتَ عَنْهَا ﷺ، فَلَمْ يَنْكِحْهَا.

السَّابِعَةُ: أُمَامَةُ بِنْتُ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِب، عُرِضَتْ عَلَيْهِ ﷺ فَقَالَ: «**هِيَ ابْنَةُ أَخِي مِنَ الرَّضَاعَةِ**».

---

(١) عندها صِبْيَة.

الثَّامِنَةُ: عَزَّةُ بِنْتُ أَبِي سُفْيَانَ، عَرَضَتْهَا أُخْتُهَا أُمُّ حَبِيبَةَ عَلَيْهِ ﷺ فَقَالَ: **«إِنَّهَا لاَ تَحِلُّ لِي لِمَكَانِ أُخْتِهَا»**.

وَقِيلَ: تَزَوَّجَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ امْرَأَةً مِنْ جُنْدُعَ، وَهِيَ بِنْتُ جُنْدُبِ بْنِ ضَمْرَةَ، وَلَمْ يَدْخُلْ بِهَا، وَأَنْكَرَهُ بَعْضُ الرُّوَاةِ.

فَهٰؤُلاَءِ النِّسْوَةُ اللاَّتِي ذُكِرَ أَنَّهُ ﷺ تَزَوَّجَهُنَّ أَوْ خَطَبَهُنَّ، أَوْ دَخَلَ بِهِنَّ، أَوْ لَمْ يَدْخُلْ بِهِنَّ، أَوْ عُرِضْنَ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا سَرَارِيهِ ﷺ فَقِيلَ: إِنَّهُنَّ أَرْبَعَةٌ:

مَارِيَةُ الْقِبْطِيَّةُ أُمُّ إِبْرَاهِيمَ بْنِ النَّبِيِّ ﷺ، أَهْدَاهَا لَهُ الْمُقَوْقِسُ صَاحِبُ الإِسْكَنْدَرِيَّةِ، وَمَاتَتْ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فِي سَنَةِ سِتَّ عَشْرَةَ، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ.

وَرَيْحَانَةُ(١) الْقُرَظِيَّةُ(٢)، وَمَاتَتْ قَبْلَ وَفَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ سَنَةَ عَشْرٍ، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ.

وَأُخْرَى: وَهَبَتْهَا لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ زَيْنَبُ بِنْتُ جَحْشٍ.

وَالرَّابِعَةُ: أَصَابَهَا فِي بَعْضِ السَّبْيِ.

---

(١) بنت شمعون.

(٢) من بني قريظة.

الفصل الرابع

فِي ذِكْرِ أَعْمَامِهِ وَعَمَّاتِهِ، وَإِخْوَتِهِ مِنَ الرَّضَاعَةِ، وَجَدَّاتِهِ ﷺ

قَالَ[1] صَاحِبُ ذَخَائِرِ الْعُقْبَى فِي مَنَاقِبِ ذَوِي الْقُرْبَى: وَكَانَ لَهُ ﷺ اثْنَا عَشَرَ عَمًّا بَنُو عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، أَبُوهُ عَبْدُاللّهِ ثَالِثَ عَشَرِهِمْ: الْحَارِثُ، وَأَبُو طَالِبٍ (وَاسْمُهُ عَبْدُ مَنَافٍ)، وَالزُّبَيْرُ (وَيُكْنَىٰ أَبَا الْحَارِثِ)، وَحَمْزَةُ، وأَبُو لَهَبٍ (وَاسْمُهُ عَبْدُالْعُزَّىٰ)، وَالْغَيْدَاقُ[2]، وَالْمُقَوَّمُ، وضِرَارٌ، وَقُثَمُ[3]، وَعَبْدُ الْكَعْبَةِ[4]، وَحَجْلٌ (وَيُسَمَّىٰ الْمُغِيرَةَ).

أَمَّا حَمْزَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ (وَيُكْنَىٰ أَبَا عُمَارَةَ، وَأَبَا يَعْلَىٰ) فَكَانَ إِسْلاَمُهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْمَبْعَثِ، وَقِيلَ: فِي السَّادِسَةِ. وَقَالَ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! إِنَّهُ لَمَكْتُوبٌ عِنْدَ اللّهِ فِي السَّمَاءِ السَّابِعَةِ: حَمْزَةُ أَسَدُ اللّهِ، وَأَسَدُ**

---

(١) المحب الطبري.

(٢) بل الغَيداق لقب لحَجل. انظر سيرة ابن هشام.

(٣) وهو غير معدود في أعمام النبي ﷺ عند ابن هشام وابن كثير (في الفصول) فبحذف قُثَم والغَيداق وعبد الكعبة يصبح أولاد عبدالمطلب عشرة، كما في سيرة ابن هشام.

(٤) بل عبد الكعبة لقب للمقوّم. انظر ابن هشام، والفصول لابن كثير.

رَسُولِهِ»[١]. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**خَيرُ أَعْمَامِي حَمْزَةُ**»[٢]. وَأَوَّلُ رَايَةٍ عَقَدَهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لأَحَدٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانَتْ لِحَمْزَةَ، وَأَوَّلُ سَرِيَّةٍ بَعَثَهَا كَانَتْ لَهُ، وَشَهِدَ بَدْراً وَاسْتُشْهِدَ فِي وَقْعَةِ أُحُدٍ، قَتَلَهُ وَحْشِيٌّ، وَلَمَّا رَآهُ ﷺ قَتِيلاً بَكَى، فَلَمَّا رَأَى مَا مُثِّلَ بِهِ شَهِقَ وَقَالَ: «**لَنْ أُصَابَ بِمِثْلِكَ أَبَداً، مَا وَقَفْتُ مَوْقِفاً قَطُّ أَغْيَظَ لِي مِنْ هٰذَا**». وَقَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: مَا رَأَيْنَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ بَاكِياً قَطُّ أَشَدَّ مِنْ بُكَائِهِ عَلَى حَمْزَةَ، وَضَعَهُ فِي الْقِبْلَةِ، ثُمَّ وَقَفَ عَلَى جَنَازَتِهِ، وَانْتَحَبَ حَتَّى نَشَغَ مِنَ الْبُكَاءِ، يَقُولُ: «**يَا حَمْزَةُ! يَا عَمَّ رَسُولِ اللَّهِ وَأَسَدَ اللَّهِ وَأَسَدَ رَسُولِهِ! يَا حَمْزَةُ! يَا فَاعِلَ الْخَيْرَاتِ! يَا حَمْزَةُ! يَا كَاشِفَ الْكُرُبَاتِ! يَا حَمْزَةُ! يَا ذَابًّا عَنْ وَجْهِ رَسُولِ اللَّهِ!**»[٣] (وَالنَّشْغُ: الشَّهِيقُ).

وَكَانَ ﷺ إِذَا صَلَّىٰ عَلَى جِنَازَةٍ كَبَّرَ أَرْبَعاً، وَكَبَّرَ عَلَى حَمْزَةَ سَبْعِينَ تَكْبِيرَةً. رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ. وَكَانَ سِنُّ حَمْزَةَ يَوْمَ قُتِلَ تِسْعاً وَخَمْسِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ هُوَ وَابْنُ أُخْتِهِ عَبْدُاللَّهِ بْنُ جَحْشٍ فِي قَبْرٍ وَاحِدٍ.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ كَانَ يَقُولُ: كُنْتُ أَعْجَبُ لِقَاتِلِ حَمْزَةَ كَيْفَ يَنْجُو، حَتَّى أَنَّهُ مَاتَ غَرِيقاً فِي الْخَمْرِ. وَقَالَ ابْنُ هِشَامٍ: بَلَغَنِي أَنَّ وَحْشِيًّا لَمْ يَزَلْ يُحَدُّ فِي الْخَمْرِ حَتَّى خُلِعَ مِنَ الدِّيوَانِ[٤]، فَكَانَ عُمَرُ يَقُولُ: لَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُنْ لِيَدَعَ قَاتِلَ حَمْزَةَ.

وَأَمَّا الْعَبَّاسُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكُنْيَتُهُ أَبُو الْفَضْلِ: فَقَدْ كَانَ أَسَنَّ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ بِسَنَتَيْنِ أَوْ ثَلاَثٍ، وَكَانَ رَئِيساً فِي قُرَيْشٍ، وَإِلَيْهِ عِمَارَةُ الْمَسْجِدِ

---

(١) رواه الطبراني في معجمه الكبير، والبغوي.

(٢) رواه ابن عساكر، والديلمي، وسنده ضعيف.

(٣) رواه البغوي.

(٤) ديوان الجند.

الْحَرَام، أَسْلَمَ قَبْلَ فَتْحِ خَيْبَرَ، وَكَانَ يَكْتُمُ إِسْلاَمَهُ، وَأَظْهَرَهُ يَوْمَ فَتْحِ مَكَّةَ، وَكَانَ ﷺ يُكْرِمُهُ بَعْدَ إِسْلاَمِهِ وَيُعَظِّمُهُ، وَقَالَ: **«الْعَبَّاسُ عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي، مَنْ آذَاهُ آذَانِي»**(١)، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«يَا عَمّ! لاَ تَرِمْ**(٢) **مَنْزِلَكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ غَداً حَتَّى آتِيَكُمْ، فَإِنَّ لِي فِيكُمْ حَاجَةً»** فَلَمَّا أَتَاهُمُ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ(٣) بِمُلاَءَةٍ، ثُمَّ قَالَ: **«يَا رَبِّ! هٰذَا عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي، وَهٰؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِي إِيَّاهُمْ بِمُلاَءَتِي هٰذِهِ»**، فَأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الْبَابِ(٤) وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ فَقَالَتْ: آمِينْ آمِينْ آمِينْ. رَوَاهُ ابْنُ غَيْلاَنَ وَغَيْرُهُ، وَرَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظِ: فَأَلْبَسَنَا كِسَاءً، ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ، مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً لاَ تُغَادِرُ ذَنْباً، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ»**.
وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ أَيْضاً(٦): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ لِلْعَبَّاسِ: **«وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّىٰ يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»** ثُمَّ قَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي، فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ»**. وَتَكَرَّرَ دُعَاؤُهُ ﷺ لَهُ وَلِبَنِيهِ وَمُحِبِّيهِ، وَتُوُفِّيَ فِي خِلاَفَةِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا سَنَةَ ثَلاَثٍ وَثَلاَثِينَ، وَهُوَ ابْنُ ثَمَانٍ وَثَمَانِينَ سَنَةً، وَدُفِنَ بِالْبَقِيعِ، وَكَانَ أَصْغَرَ أَعْمَامِهِ ﷺ، وَلَمْ يُسْلِمْ مِنْهُمْ إِلاَّ هُوَ وَحَمْزَةُ، وَأَسَنُّهُمُ الْحَارِثُ.

وَأَمَّا عَمَّاتُهُ ﷺ بَنَاتُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَجُمْلَتُهُنَّ سِتٌّ: عَاتِكَةُ، وَأُمَيْمَةُ، وَالْبَيْضَاءُ (وَهِيَ أُمُّ حَكِيمٍ)، وَبَرَّةُ، وَصَفِيَّةُ، وَأَرْوَىٰ.

فَأَمَّا صَفِيَّةُ أُمُّ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا فَقَدْ أَسْلَمَتْ بِاتِّفَاقٍ، وَشَهِدَتْ

---

(١) رواه ابن عساكر، والطبراني في الأوسط والصغير، وسنده ضعيف.
(٢) لا تترك.
(٣) غطّاهم.
(٤) خشبة الباب التي يوطأ عليها.
(٥) بسند حسن غريب.
(٦) بسند حسن.

الْخَنْدَقَ، وَقَتَلَتْ رَجُلاً مِنَ الْيَهُودِ، وَضَرَبَ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِسَهْمٍ، وَتُوُفِّيَتْ بِالْمَدِينَةِ فِي خِلاَفَةِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سَنَةَ عِشْرِينَ، وَلَهَا ثَلاَثٌ وَسَبْعُونَ سَنَةً، وَدُفِنَتْ بِالْبَقِيعِ.

وَأَمَّا عَاتِكَةُ وَأَرْوَى، فَقَدِ اخْتُلِفَ فِي إِسْلاَمِهِمَا.

وَأَمَّا جَدَّاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ أَبِيهِ: فَأُمُّ عَبْدِاللَّهِ (هِيَ فَاطِمَةُ بِنْتُ عَمْرٍو الْمَخْزُومِيَّةُ)، وَأُمُّ عَبْدِ الْمُطَّلِب سَلْمَىٰ بِنْتُ عَمْرٍو النَّجَّارِيَّةُ، وَأُمُّ هَاشِمٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ مُرَّةَ السُّلَيْمِيَّةُ، وَأُمُّ عَبْدِ مَنَافٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ فَالِجٍ السُّلَيْمِيَّةُ أَيْضاً، وَأُمُّ قُصَيّ فَاطِمَةُ بِنْتُ سَعْدٍ الأَزْدِيَّةُ، وَأُمُّ كِلاَبٍ نُعْمٌ بِنْتُ سُرَيْرٍ الْكِنَانِيَّةُ، وَأُمُّ مُرَّةَ وَحْشِيَّةُ بِنْتُ شَيْبَانَ الْفَهْمِيَّةُ، وَأُمُّ كَعْبٍ سَلْمَى بِنْتُ مُحَارِبٍ الْفَهْمِيَّةُ أَيْضاً، وَأُمُّ لُؤَيّ وَحْشِيَّةُ بِنْتُ مُدْلِجٍ الْكِنَانِيَّةُ، وَأُمُّ غَالِبٍ سَلْمَى بِنْتُ سَعْدٍ الْهُذَلِيَّةُ، وَأُمُّ فِهْرٍ جَنْدَلَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْجُرْهُمِيَّةُ، وَأُمُّ مَالِكٍ هِنْدُ بِنْتُ عَدْوَانَ الْقَيْسِيَّةُ، وَأُمُّ النَّضْرِ بَرَّةُ بِنْتُ مُرَّةَ الْمُرِّيَّةُ.

وَأَمَّا جَدَّاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ أُمِّهِ آمِنَةَ بِنْتِ وَهْبٍ الزُّهْرِيَّةِ: فَأُمُّ آمِنَةَ بَرَّةُ بِنْتُ عَبْدِالْعُزَّى، وَأُمُّ أَبِيهَا وَهْبٍ عَاتِكَةُ بِنْتُ الأَوْقَصِ السُّلَيْمِيَّةُ (وَيُعْرَفُ أَبُوهَا بِأَبِي كَبْشَةَ، وَهُوَ الَّذِي كَانُوا يَعْنُونَهُ بِقَوْلِهِمْ لِلنَّبِيِّ ﷺ: ابْنُ أَبِي كَبْشَةَ؛ لأَنَّهُ كَانَ يَعْبُدُ الشِّعْرَى، وَلَمْ تَكُنِ الْعَرَبُ تَعْبُدُهَا. وَقِيلَ: ذٰلِكَ أَبُوهُ مِنَ الرَّضَاعِ الْحَارِثُ بْنُ عَبْدِ الْعُزَّى زَوْجُ حَلِيمَةَ).

وَأُمُّ بَرَّةَ وَالِدَةِ آمِنَةَ هِيَ أُمُّ حَبِيبَةَ بِنْتُ أَسَدٍ، وَأُمُّهَا بَرَّةُ بِنْتُ عَوْفٍ ـ وَالثَّلاَثَةُ قُرَشِيَّاتٌ ـ، وَأُمُّ بَرَّةَ هٰذِهِ قِلاَبَةُ بِنْتُ الْحَارِثِ الْهُذَلِيَّةُ، وَأُمُّهَا هِنْدُ بِنْتُ يَرْبُوعٍ الثَّقَفِيَّةُ.

فَفِي كُلِّ قَبِيلَةٍ مِنْ قَبَائِلِ الْعَرَبِ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عُقْلَةُ نَسَبٍ. قَالَ ابْنُ هِشَامٍ وَغَيْرُهُ: فَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفُ وَلَدِ آدَمَ حَسَباً، وَأَفْضَلُهُمْ نَسَباً مِنْ قِبَلِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ.

وَأَمَّا إِخْوَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الرَّضَاعَةِ: فَحَمْزَةُ، وَأَبُو سَلَمَةَ بْنِ عَبْدِالأَسَدِ (أَرْضَعَتْهُمَا مَعَهُ ﷺ ثُوَيْبَةُ جَارِيَةُ أَبِي لَهَبٍ بِلَبَنِ ابْنِهَا مَسْرُوحِ بْنِ ثُوَيْبَةَ)، وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ (أَرْضَعَتْهُ وَرَسُولَ اللَّهِ ﷺ حَلِيمَةُ السَّعْدِيَّةُ)، وَعَبْدُاللَّهِ، وَآسِيَةُ، وَحُذَافَةُ[1] وَتُعْرَفُ بِالشَّيْمَاءِ (الثَّلاَثَةُ أَوْلاَدُ حَلِيمَةَ).

وَقَدْ رُوِيَ[2] أَنَّ خَيْلاً لَهُ ﷺ أَغَارَتْ عَلَى هَوَازِنَ، فَأَخَذُوهَا فِي جُمْلَةِ السَّبْيِ، فَقَالَتْ: أَنَا أُخْتُ صَاحِبِكُمْ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ! أَنا أُخْتُكَ، فَرَحَّبَ بِهَا، وَبَسَطَ لَهَا رِدَاءَهُ، وَأَجْلَسَهَا عَلَيْهِ، وَدَمَعَتْ عَيْنَاهُ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنْ أَحْبَبْتِ فَأَقِيمِي عِنْدِي مُكَرَّمَةً مُحَبَّبَةً، وَإِنْ أَحْبَبْتِ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى قَوْمِكِ وَصَلْتُكِ**»، قَالَتْ: بَلْ أَرْجِعُ إِلَى قَوْمِي، فَأَسْلَمَتْ، وَأَعْطَاهَا ﷺ ثَلاَثَةَ أَعْبُدٍ وَجَارِيَةً وَنَعماً وَشَاءً[3].

وَأَمَّا أُمُّهُ مِنَ الرَّضَاعَةِ: فَحَلِيمَةُ بِنْتُ أَبِي ذُؤَيْبٍ مِنْ هَوَازِنَ (وَهِيَ الَّتِي أَرْضَعَتْهُ حَتَّى أَكْمَلَتْ رَضَاعَهُ، وَجَاءَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَقَامَ إِلَيْهَا، وَبَسَطَ رِدَاءَهُ لَهَا، فَجَلَسَتْ عَلَيْهِ).

وَكَذَا ثُوَيْبَةُ جَارِيَةُ أَبِي لَهَبٍ أَيْضاً، وَاخْتُلِفَ فِي إِسْلاَمِهَا كَمَا اخْتُلِفَ فِي إِسْلاَمِ حَلِيمَةَ وَزَوْجِهَا، وَكَانَتْ ثُوَيْبَةُ تَدْخُلُ عَلَيْهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ تَزَوَّجَ خَدِيجَةَ، فَكَانَتْ تُكْرِمُهَا، وَأَعْتَقَهَا أَبُو لَهَبٍ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَبْعَثُ إِلَيْهَا مِنَ الْمَدِينَةِ بِكُسْوَةٍ وَصِلَةٍ، حَتَّى مَاتَتْ بَعْدَ فَتْحِ خَيْبَرَ.

وَكَانَتْ حَاضِنَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أُمَّ أَيْمَنَ بَرَكَةَ بِنْتَ ثَعْلَبَةَ أُمَّ

---

(١) في المواهب: جُذَامة، فاختلف في اسمها.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) النَّعَم: الإبل، والشاء: الغنم.

أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ مَوْلَاةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، هَاجَرَتِ الْهِجْرَتَيْنِ إِلَى أَرْضِ الْحَبَشَةِ، وَإِلَى الْمَدِينَةِ، وَكَانَتْ لأَبِيهِ - وَقِيلَ لأُمِّهِ - فَوَرِثَهَا ﷺ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ يَقُولُ: «**أُمُّ أَيْمَنَ أُمِّي بَعْدَ أُمِّي**».

وَكَانَتِ الشَّيْمَاءُ بِنْتُ حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ تَحْضُنُهُ مَعَ أُمِّهَا.

الفصل الخامس

فِي ذِكْرِ خَدَمِهِ وَحَرَسِهِ وَمَوَالِيهِ، وَمَنْ كَانَ عَلَى نَفَقَاتِهِ وَخَاتَمِهِ وَنَعْلِهِ وَسِوَاكِهِ، وَمَنْ يَأْذَنُ عَلَيْهِ، وَمَنْ كَانَ يَضْرِبُ الأَعْنَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ

أَمَّا خَدَمُهُ ﷺ: فَمِنْهُمْ: أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ الأَنْصَارِيُّ، وَرَبِيعَةُ بْنُ كَعْبٍ الأَسْلَمِيُّ، وَأَيْمَنُ بْنُ أُمِّ أَيْمَنَ، وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ مَسْعُودٍ الْهُذَلِيُّ، وَأَسْلَعُ بْنُ شَرِيكٍ، وَعُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ الْجُهَنِيُّ، وَسَعْدٌ مَوْلَى أَبِي بَكْرٍ، وَأَبُو ذَرٍّ الْغِفَارِيُّ، وَمُهَاجِرٌ مَوْلَى أُمِّ سَلَمَةَ، وَحُنَيْنٌ وَالِدُ عَبْدِاللَّهِ مَوْلَى الْعَبَّاسِ، وَنُعَيْمُ بْنُ رَبِيعَةَ الأَسْلَمِيُّ، وَأَبُو الْحَمْرَاءِ هِلالُ بْنُ الْحَارِثِ، وَأَبُو السَّمْحِ وَاسْمُهُ إِيَادٌ.

وَمِنَ النِّسَاءِ بَرَكَةُ أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ ـ وَهِيَ وَالِدَةُ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ ـ، وَخَوْلَةُ جَدَّةُ حَفْصٍ، وَسَلْمَى أُمُّ رَافِعٍ زَوْجُ أَبِي رَافِعٍ، وَمَيْمُونَةُ بِنْتُ سَعْدٍ، وَأُمُّ عَيَّاشٍ مَوْلاَةُ رُقَيَّةَ بِنْتِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَكَانَ يَضْرِبُ الأَعْنَاقَ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَالْمِقْدَادُ بْنُ عَمْرٍو، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ، وَعَاصِمُ بْنُ ثَابِتٍ، وَالضَّحَّاكُ بْنُ سُفْيَانَ.

وَكَانَ قَيْسُ بْنُ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الشُّرْطَةِ.

وَكَانَ بِلاَلٌ عَلَى نَفَقَاتِهِ، وَمُعَيْقِيبُ بْنُ أَبِي فَاطِمَةَ الدَّوْسِيُّ عَلَى خَاتَمِهِ، وَابْنُ مَسْعُودٍ عَلَى سِوَاكِهِ وَنَعْلِهِ، وَأَبُو رَافِعٍ ـ وَاسْمُهُ أَسْلَمُ ـ عَلَى ثَقَلِهِ(١).

وَأَمَّا حُرَّاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَهُمْ: سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ سَيِّدُ الأَوْسِ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ الأَنْصَارِيُّ، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَبِلاَلٌ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ، وَحَرَسَهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ فِي الْعَرِيشِ يَوْمَ بَدْرٍ.

وَأَمَّا مَوَالِيهِ ﷺ: فَمِنْهُمْ: أُسَامَةُ، وَأَبُوهُ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حِبُّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَثَوْبَانُ، وَأَبُو كَبْشَةَ أَوْسٌ، وَشُقْرَانُ (وَاسْمُهُ صَالِحٌ الْحَبَشِيُّ)، وَرَبَاحٌ الأَسْوَدُ النُّوبِيُّ (وَكَانَ يَأْذَنُ عَلَيْهِ أَحْيَاناً إِذَا انْفَرَدَ)، وَيَسَارٌ الرَّاعِي، وَزَيْدٌ أَبُو يَسَارٍ، وَمِدْعَمٌ عَبْدٌ أَسْوَدُ، وَأَبُو رَافِعٍ، وَرِفَاعَةُ بْنُ زَيْدٍ الْجُذَامِيُّ، وَسَفِينَةُ، وَمَأْبُورٌ الْقِبْطِيُّ، وَوَاقِدٌ أَوْ أَبُو وَاقِدٍ، وَأَنْجَشَةُ الْحَادِي، وَسَلْمَانُ الْفَارِسِيُّ، وَشَمْعُونُ بْنُ زَيْدٍ أَبُو رَيْحَانَةَ، وَأَبُو بَكْرَةَ نُفَيْعُ بْنُ الْحَارِثِ.

وَمِنَ النِّسَاءِ: أُمُّ أَيْمَنَ الْحَبَشِيَّةُ، وَسَلْمَى أُمُّ رَافِعٍ زَوْجُ أَبِي رَافِعٍ، وَمَارِيَةُ، وَرَيْحَانَةُ، وَقَيْصَرُ(٢) أُخْتُ مَارِيَةَ، وَغَيْرُ ذٰلِكَ.

قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: مَوَالِيهِ ﷺ ثَلاَثَةٌ وَأَرْبَعُونَ، وَإِمَاؤُهُ إِحْدَى عَشْرَةَ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ.

❋ ❋ ❋

---

(١) متاع سَفَره.

(٢) في المواهب: وقيسر، فاختلف في اسمها.

الفصل السادس

فِي ذِكْرِ أُمَرَائِهِ وَرُسُلِهِ وَكُتَّابِهِ[1] وَكُتُبِهِ ﷺ إِلَى الْمُلُوكِ وَغَيْرِهِمْ

أَمَّا كُتَّابُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: فَهُمْ: أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ، وَعُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ، وَعَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَطَلْحَةُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ[2]، وَالزُّبَيْرُ بْنُ الْعَوَّامِ، وَسَعِيدُ بْنُ الْعَاصِ ـ وَابْنَاهُ: أَبَانٌ، وَخَالِدٌ ـ، وَسَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ، وَعَامِرُ بْنُ فُهَيْرَةَ، وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ الأَرْقَمِ، وَأُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَثَابِتُ بْنُ قَيْسٍ، وَحَنْظَلَةُ بْنُ الرَّبِيعِ، وَأَبُو سُفْيَانَ صَخْرُ بْنُ حَرْبٍ ـ وَابْنَاهُ: مُعَاوِيَةُ، وَيَزِيدُ ـ، وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ، وَالْعَلاَءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ، وَخَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ، وَعَمْرُو بْنُ الْعَاصِ، وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ، وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَمُعَيْقِيبُ ابْنُ أَبِي فَاطِمَةَ الدَّوْسِيُّ، وَحُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ، وَحُوَيْطِبُ بْنُ عَبْدِالْعُزَّى الْعَامِرِيُّ، وَعَبْدُاللَّهِ بْنُ سَعْدِ بْنِ أَبِي سَرْحٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، وَكَانَ مُعَاوِيَةُ وَزَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ أَلْزَمَهُمْ بِذَٰلِكَ، وَأَخَصَّهُمْ بِهِ ﷺ.

❋ ❋ ❋

(١) كتّاب الوحي وغيره.

(٢) بل عُبيد الله.

[كتابه ﷺ إِلَى هِرَقْل]

وَلَمَّا رَجعَ ﷺ مِنَ الْحُدَيْبِيَةِ كَتَبَ إِلَى الرُّومِ، فَقِيلَ: إِنَّهُمْ لاَ يَقْرَؤُونَ كِتَاباً إِلاَّ أَنْ يَكُونَ مَخْتُوماً، فَاتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقَشَ فِيهِ ثَلاَثَةَ أَسْطُرٍ: مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَاللَّهُ سَطْرٌ، وَخَتَمَ بِهِ الْكِتَابَ.

وَكَتَبَ إِلَى هِرَقْلَ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى هِرَقْلَ عَظِيمِ الرُّومِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ**(١)، **وَيَا أَهْلَ الْكِتَابِ! تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ؛ أَنْ لاَ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ، وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً، وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَاباً مِنْ دُونِ اللَّهِ، فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا: اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَأَرْسَلَ ﷺ الْكِتَابَ إِلَى هِرَقْلَ مَعَ دِحْيَةَ الْكَلْبِيِّ، فَلَمَّا قُرِىءَ غَضِبَ ابْنُ أَخِي قَيْصَرَ غَضَباً شَدِيداً، وَقَالَ: أَرِنِي الْكِتَابَ، فَقَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقَالَ: إِنَّهُ بَدَأَ بِنَفْسِهِ، وَسَمَّاكَ صَاحِبَ الرُّومِ، فَقَالَ لَهُ عَمُّهُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَضَعِيفُ الرَّأْيِ، تُرِيدُ أَنْ أَرْمِيَ كِتَابَ رَجُلٍ يَأْتِيهِ النَّامُوسُ الأَكْبَرُ(٢)، لَئِنْ كَانَ رَسُولَ اللَّهِ إِنَّهُ لأَحَقُّ أَنْ يَبْدَأَ بِنَفْسِهِ، وَقَدْ صَدَقَ، أَنَا صَاحِبُ الرُّومِ، ثُمَّ أَمَرَ بِإِنْزَالِ دِحْيَةَ وَإِكْرَامِهِ.

(وَقَوْلُهُ: «**فَإِنَّ عَلَيْكَ إِثْمَ الأَرِيسِيِّينَ**» أَيْ: فَإِنَّ عَلَيْكَ مَعَ إِثْمِكَ إِثْمَ الأَتْبَاعِ. وَالأَرِيسِيُّ: الْفَلاَّحُ).

❋ ❋ ❋

---

(١) الفلاحين الذين هم أتباعه.

(٢) وهو جبريل عليه الصلاة والسلام. ومعنى الناموس: صاحب السر، أما الجاسوس: فهو الذي يفشي السر.

[كتابه ﷺ إِلَى كسرىٰ]

وَقَدْ كَتَبَ ﷺ إِلَى كِسْرَىٰ(١): «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى كِسْرَىٰ(٢) عَظِيمِ فَارِسٍ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَشَهِدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ، لِأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا، وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْمَجُوسِ**».

وَبَعَثَ الْكِتَابَ إِلَى كِسْرَى مَعَ عَبْدِاللَّهِ بْنِ حُذَافَةَ السَّهْمِيِّ، فَلَمَّا قُرِىءَ عَلَيْهِ مَزَّقَهُ، فَبَلَغَ ذٰلِكَ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مُزِّقَ مُلْكُهُ**».

وَفِي كِتَابِ (الأَمْوَالِ) لأَبِي عُبَيْدٍ عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: كَتَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى كِسْرَى، وَقَيْصَرَ(٣)، فَأَمَّا كِسْرَى فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ مَزَّقَهُ، وَأَمَّا قَيْصَرُ فَلَمَّا قَرَأَ الْكِتَابَ طَوَاهُ، ثُمَّ رَفَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَّا هٰؤُلاَءِ فَيُمَزَّقُونَ، وَأَمَّا هٰؤُلاَءِ فَسَيَكُونُ لَهُمْ بَقِيَّةٌ**»، وَرُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ كِسْرَى قَالَ: «**مُزِّقَ مُلْكُهُ**»، وَلَمَّا جَاءَهُ جَوَابُ هِرَقْلَ قَالَ: «**ثَبَتَ مُلْكُهُ**».

❋ ❋ ❋

[كتابه ﷺ إِلَى النَّجاشيّ]

وَكَتَبَ ﷺ إِلَى النَّجَاشِيِّ(٤): «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ؛ أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي**

---

(١) وهو لقب لكل مَنْ حكَم الفُرْس.
(٢) ابن برويز.
(٣) وهو لقب لكل مَن حكم الروم.
(٤) وهو لقب لكل مَن حكم الحبشة.

لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ، الْمَلِكُ الْقُدُوسُ السَّلاَمُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رُوحُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ الْبَتُولِ[١] الطَّيِّبَةِ الْحَصِينَةِ، فَحَمَلَتْ بِعِيسَى، فَخَلَقَهُ مِنْ رُوحِهِ وَنَفْخِهِ كَمَا خَلَقَ آدَمَ بِيَدِهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى اللَّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَالْمُوَالاَةِ عَلَى طَاعَتِهِ، وَأَنْ تَتْبَعَنِي وَتُؤْمِنَ بِالَّذِي جَاءَنِي، فَإِنِّي رَسُولُ اللَّهِ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ وَجُنُودَكَ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَقَدْ بَلَّغْتُ وَنَصَحْتُ، فَاقْبَلُوا نَصِيحَتِي، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ ابْنَ عَمِّي جَعْفَراً، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَالسَّلاَمُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى».

وَبَعَثَ الْكِتَابَ مَعَ عَمْرِو بْنِ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيِّ، فَقَالَ النَّجَاشِيُّ: أَشْهَدُ بِاللَّهِ إِنَّهُ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ الَّذِي يَنْتَظِرُهُ أَهْلُ الْكِتَابِ، وَإِنَّ بِشَارَةَ مُوسَى بِرَاكِبِ الْحِمَارِ كَبِشَارَةِ عِيسَى بِرَاكِبِ الْجَمَلِ.

ثُمَّ كَتَبَ النَّجَاشِيُّ جَوَابَ الْكِتَابِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ مِنَ النَّجَاشِيِّ أَصْحَمَةَ، سَلاَمٌ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُ اللَّهِ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الَّذِي هَدَانِي لِلإِسْلاَمِ. أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ بَلَغَنِي كِتَابُكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَمَا ذَكَرْتَ مِنْ أَمْرِ عِيسَى فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ إِنَّ عِيسَى لاَ يَزِيدُ عَلَى مَا ذَكَرْتَ ثُفْرُوقاً[٢]، إِنَّهُ كَمَا ذَكَرْتَ، وَقَدْ عَرَفْنَا مَا بَعَثْتَ بِهِ إِلَيْنَا، فَأَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ صَادِقاً مُصَدَّقاً، وَقَدْ بَايَعْتُكَ، وَبَايَعْتُ ابْنَ عَمِّكَ، وَأَسْلَمْتُ عَلَى يَدَيْهِ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكَ بِابْنِي، وَإِنْ شِئْتَ أَتَيْتُكَ بِنَفْسِي فَعَلْتُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنَّ مَا تَقُولُهُ حَقٌّ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»[٣].

---

(١) العذراء المنقطعة عن الزواج إلىٰ الله تعالى.

(٢) وهو قِمَع التمر.

(٣) ذكر ابن القيم في زاد المعاد ٣/٦٩٠ أن النجاشي الذي صلّى عليه رسول الله ﷺ هو الذي آمن به وأكرمَ أصحابه، وليس النجاشي الذي كتب إليه يدعوه إلىٰ الإسلام، فهما اثنان، وقد جاء ذلك مبيّناً في صحيح مسلم في الجهاد ١٧٧٤.

ثُمَّ إِنَّهُ أَرْسَلَ ابْنَهُ فِي سِتِّينَ نَفساً فِي أَثَرِ مَنْ أَرْسَلَهُ مِنْ عِنْدِهِ مَعَ جَعْفَرِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَغَرِقَ ابْنُهُ وَمَنْ مَعَهُ، وَوَافَى جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَكَانُوا سَبْعِينَ رَجُلاً عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، مِنْهُمُ اثْنَانِ وَسِتُّونَ مِنَ الْحَبَشَةِ، وَثَمَانِيَةٌ مِنْ أَهْلِ الشَّامِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قُرْآناً: سُورَةَ يٰس إِلَى آخِرِهَا، فَبَكَوْا حِينَ سَمِعُوا الْقُرْآنَ، وَآمَنُوا، وَقَالُوا: مَا أَشْبَهَ هٰذَا بِمَا كَانَ يَنْزِلُ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَفِيهِمْ أَنْزَلَ اللَّهُ ﴿وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُم مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّا نَصَـٰرَىٰ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ[1]، لأَنَّهُمْ كَانُوا مِنْ أَصْحَابِ الصَّوَامِعِ.

(وَالثُّفْرُوقُ: عِلاَقَةُ مَا بَيْنَ النَّوَاةِ وَالْقِمَعِ).

***

[كتابه ﷺ إِلَى المُقَوْقِس]

وكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى الْمُقَوْقِسِ[2] مَلِكِ مِصْرَ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةِ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِاللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى الْمُقَوْقِسِ عَظِيمِ الْقِبْطِ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى. أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكَ بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمْ تَسْلَمْ، يُؤْتِكَ اللَّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ، فَإِنْ تَوَلَّيْتَ فَعَلَيْكَ إِثْمُ الْقِبْطِ، وَ﴿يَـٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَـٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾**».

وَبَعَثَ بِهِ مَعَ حَاطِبِ بْنِ أَبِي بَلْتَعَةَ، فَأَخَذَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ فَجَعَلَهُ فِي

---

(١) سورة المائدة، الآية: ٨٢.

(٢) وهو لقب لكل مَن حَكَم مصر. والمقصود به هنا: جُرَيْج بن مِينا.

حُقٌّ[1] مِنْ عَاجٍ، وَدَفَعَهُ لِجَارِيَةٍ لَهُ، ثُمَّ دَعَا كَاتِباً لَهُ يَكْتُبُ بِالْعَرَبِيَّةِ، فَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، لِمُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ مِنْ مُقَوْقِسٍ عَظِيمِ الْقِبْطِ. أَمَّا بَعْدُ: فَقَدْ قَرَأْتُ كِتَابَكَ، وَفَهِمْتُ مَا ذَكَرْتَهُ، وَمَا تَدْعُو إِلَيْهِ، وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّ نَبِيًّا بَقِيَ، وَقَدْ كُنْتُ أَظُنُّ أَنْ يَخْرُجَ بِالشَّامِ، وَقَدْ أَكْرَمْتُ رَسُولَكَ، وَبَعَثْتُ إِلَيْكَ بِجَارِيَتَيْنِ[2] لَهُمَا مَكَانٌ مِنَ الْقِبْطِ عَظِيمٌ، وَبِكِسْوَةٍ، وَأَهْدَيْتُ إِلَيْكَ بَغْلَةً لِتَرْكَبَهَا، وَالسَّلاَمُ». وَلَمْ يَزِدْ عَلَى ذٰلِكَ، وَلَمْ يُسْلِمْ.

❋ ❋ ❋

[كتابه ﷺ إلى المنذر]

وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوى كِتَاباً يَدْعُوهُ فِيهِ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَبَعَثَ بِهِ الْعَلاَءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ، فَكَتَبَ الْمُنْذِرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: «أَمَّا بَعْدُ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنِّي قَرَأْتُ كِتَابَكَ عَلَى أَهْلِ الْبَحْرَيْنِ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَحَبَّ الإِسْلاَمَ وَأَعْجَبَهُ وَدَخَلَ فِيهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ كَرِهَهُ، وَبِأَرْضِي يَهُودٌ وَمَجُوسٌ، فَأَحْدِثْ إِلَيَّ فِي ذٰلِكَ أَمْرَكَ».

فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوى، سَلاَمٌ عَلَيْكَ، فَإِنِّي أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أُذَكِّرُكَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، فَإِنَّهُ مَنْ يَنْصَحْ فَإِنَّمَا يَنْصَحُ لِنَفْسِهِ، وَإِنَّهُ مَنْ يُطِعْ رُسُلِي وَيَتَّبِعْ أَمْرَهُمْ فَقَدْ أَطَاعَنِي، وَمَنْ نَصَحَ لَهُمْ فَقَدْ نَصَحَ لِي، وَإِنَّ رُسُلِي قَدْ أَثْنَوْا عَلَيْكَ خَيْراً، وَإِنِّي قَدْ شَفَّعْتُكَ فِي قَوْمِكَ، فَاتْرُكْ لِلْمُسْلِمِينَ مَا**

---

(١) وهو وعاء صغير ذو غطاء.

(٢) إحداهما: مارية التي تسرّىٰ بها عليه الصلاة والسلام وجاء منها بولده إبراهيم، والأخرىٰ: سيرين التي أعطاها لحسّان بن ثابت.

أَسْلَمُوا عَلَيْهِ، وَعَفَوْتُ عَنْ أَهْلِ الذُّنُوبِ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ، وَإِنَّكَ مَهْمَا تُصْلِحْ فَلَنْ نَعْزِلَكَ عَنْ عَمَلِكَ، وَمَنْ أَقَامَ عَلَى يَهُودِيَّتِهِ أَوْ مَجُوسِيَّتِهِ فَعَلَيْهِ الْجِزْيَةُ».

❋ ❋ ❋

[كتابه ﷺ إلى مَلِكَيْ عُمان]

وَكَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى مَلِكَيْ عُمَانَ بِالْيَمَنِ، وَبَعَثَهُ مَعَ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ عَبْدِاللهِ وَرَسُولِهِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدٍ ابْنَي الْجُلَنْدَىٰ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَدْعُوكُمَا بِدِعَايَةِ الإِسْلاَمِ، أَسْلِمَا تَسْلَمَا فَإِنِّي رَسُولُ اللهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، لأُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ الْقَوْلُ عَلَى الْكَافِرِينَ، وَإِنَّكُمَا إِنْ أَقْرَرْتُمَا بِالإِسْلاَمِ وَلَّيْتُكُمَا، وَإِنْ أَبَيْتُمَا أَنْ تُقِرَّا بِالإِسْلاَمِ فَإِنَّ مُلْكَكُمَا زَائِلٌ عَنْكُمَا، وَخَيْلِي تَحُلُّ بِسَاحَتِكُمَا، وَتَظْهَرُ نُبُوَّتِي عَلَى مُلْكِكُمَا».

وَكَتَبَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَخَتَمَ الْكِتَابَ، فَأَجَابَا إِلَى الإِسْلاَمِ، قَالَ عَمْرٌو: وَخَلَّيَا بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّدَقَةِ وَبَيْنَ الْحُكْمِ فِيمَا بَيْنَهُمْ، وَكَانَا لِي عَوْناً عَلَى مَنْ خَالَفَنِي.

❋ ❋ ❋

[كتابه ﷺ إلى صاحبِ اليمامة]

وَكَتَبَ ﷺ إِلَى صَاحِبِ الْيَمَامَةِ هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ، وَأَرْسَلَ بِهِ مَعَ سَلِيطِ بْنِ عَمْرٍو الْعَامِرِيِّ: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى هَوْذَةَ بْنِ عَلِيٍّ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَاعْلَمْ أَنَّ دِينِي سَيَظْهَرُ إِلَى مُنْتَهَى الْخُفِّ وَالْحَافِرِ، فَأَسْلِمْ تَسْلَمْ، وَأَجْعَلْ لَكَ مَا تَحْتَ يَدِكَ».

فَلَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ سَلِيطٌ بِكِتَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مَخْتُوماً أَنْزَلَهُ وَحَيَّاهُ، وَقَرَأَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ، فَرَدَّ رَدًّا دُونَ رَدٍّ[١]، وَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: مَا أَحْسَنَ مَا تَدْعُو إِلَيْهِ وَأَجْمَلَهُ! وَالْعَرَبُ تَهَابُ مَكَانِي، فَاجْعَلْ لِي بَعْضَ الأَمْرِ أَتْبِعْكَ، وَأَجَازَ سَلِيطاً بِجَائِزَةٍ، وَكَسَاهُ أَثْوَاباً مِنْ نَسْجِ هَجَر.

فَقَدِمَ بِذٰلِكَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَخْبَرَهُ وَقَرَأَ كِتَابَهُ فَقَالَ ﷺ: **«لَوْ سَأَلَنِي سَيَابَةً** ـ أَيْ: قِطْعَةً مِنَ الأَرْضِ ـ **مَا فَعَلْتُ، بَادَ[٢] وَبَادَ مَا فِي يَدِهِ»**.

فَلَمَّا انْصَرَفَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْفَتْحِ[٣] جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَقَالَ: إِنَّ هَوْذَةَ مَاتَ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«أَمَا إِنَّ الْيَمَامَةَ سَيَظْهَرُ بِهَا كَذَّابٌ يَتَنَبَّأُ، يُقْتَلُ بَعْدِي»**، فَكَانَ كَذٰلِكَ.

❋ ❋ ❋

[كتابه ﷺ إلى الحارث الغسّاني]

وَكَتَبَ ﷺ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ الْغَسَّانِيِّ، وَكَانَ بِدِمَشْقَ بِغُوطَتِهَا[٤]: **«بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّهِ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شِمْرٍ، سَلاَمٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، وَآمَنَ بِاللّهِ وَصَدَّقَ، وَإِنِّي أَدْعُوكَ إِلَى أَنْ تُؤْمِنَ بِاللّهِ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، يَبْقَى لَكَ مُلْكُكَ»**، وَأَرْسَلَهُ مَعَ شُجَاعِ بْنِ وَهْبٍ، فَلَمْ يُسْلِمْ، فَقَالَ ﷺ: **«بَادَ وَبَادَ مُلْكُهُ»**.

❋ ❋ ❋

---

(١) أي: ردّ بلطف دون عنف.

(٢) هلك.

(٣) فتح مكة.

(٤) أميراً من قِبَل هِرَقل.

[كتابه ﷺ إلى الداريِّين]

وَقَدِمَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ تَمِيمُ بْنُ أَوْسٍ الدَّارِيُّ فِي سِتَّةِ نَفَرٍ مِنَ الدَّارِيِّينَ فَأَسْلَمُوا، وَسَأَلُوهُ ﷺ أَنْ يُعْطِيَهُمْ أَرْضاً مِنْ أَرْضِ الشَّامِ، فَأَعْطَاهُمْ إِيَّاهَا، وَكَتَبَ لَهُمْ فِيهَا كِتَاباً نُسْخَتُهُ: «**بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، هٰذَا كِتَابٌ ذُكِرَ فِيهِ مَا وَهَبَ مُحَمَّدٌ ﷺ لِلدَّارِيِّينَ إِذَا أَعْطَاهُ اللّهُ الأَرْضَ، وَهَبَ لَهُمْ بَيْتَ عَيْنُونَ وَحَبْرُونَ وَالْمَرْطُومَ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ، وَمَنْ فِيهِمْ إِلَى الأَبَدِ الأَبَدِ، شَهِدَ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، وَخُزَيْمَةُ بْنُ قَيْسٍ، وَشُرَحْبِيلُ بْنُ حَسَنَةَ وَكَتَبَ**». ثُمَّ قَالَ: «**انْصَرِفُوا حَتَّى تَسْمَعُوا أَنِّي قَدْ هَاجَرْتُ**» ـ أَيْ رَجَعْتُ إِلَى الْمَدِينَةِ ـ؛ لأَنَّ قُدُومَهُمْ كَانَ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ.

فَلَمَّا رَجَعَ ﷺ إِلَى الْمَدِينَةِ قَدِمُوا عَلَيْهِ، فَسَأَلُوهُ أَنْ يُجَدِّدَ لَهُمْ كِتَاباً آخَرَ، فَكَتَبَ كِتَاباً نُسْخَتُهُ: «**بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، هٰذَا مَا أَنْطَىٰ**[1] **مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ لِتَمِيمِ الدَّارِيِّ وَأَصْحَابِهِ: إِنِّي قَدْ أَنْطَيْتُهُمْ بَيْتَ عَيْنٍ وَحَبْرُونَ وَالْمَرْطُومَ وَبَيْتَ إِبْرَاهِيمَ بِرُمَّتِهِمْ، وَجَمِيعَ مَا فِيهِمْ، نَطِيَّةَ بَتٍّ، وَنَفَّذْتُ وَسَلَّمْتُ ذٰلِكَ لَهُمْ، وَلأَعْقَابِهِمْ مِنْ بَعْدِهِمْ، أَبَدَ الأَبَدِ، فَمَنْ آذَاهُمْ فِيهِ آذَاهُ اللّهُ. شَهِدَ أَبُو بَكْرِ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ. وَكَتَبَ**». فَلَمَّا قُبِضَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، وَاسْتُخْلِفَ أَبُو بَكْرٍ، وَجَنَّدَ الْجُنُودَ إِلَى الشَّامِ؛ كَتَبَ لَهُمْ بِذٰلِكَ كِتَاباً.

❋ ❋ ❋

[كتابه ﷺ إلىٰ يوحنّا]

وَكَتَبَ ﷺ لِيُوحَنَّا بْنِ رُؤْبَةَ ـ صَاحِبِ أَيْلَةَ[2] ـ لَمَّا أَتَاهُ بِتَبُوكَ وَصَالَحَ

---

(١) أي: أعطىٰ.

(٢) وهي قرية بين الحجاز والشام علىٰ خليج العقبة.

رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَعْطَاهُ الْجِزْيَةَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، هٰذِهِ أَمَنَةٌ مِنَ اللَّهِ وَمُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ لِيُوحَنَّا بْنِ رُؤْبَةَ وَأَهْلِ أَيْلَةَ، أَسَاقِفَتِهِمْ وَسَائِرِهِمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ، لَهُمْ ذِمَّةُ اللَّهِ وَذِمَّةُ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَنْ كَانَ مَعَهُ(١) مِنْ أَهْلِ الشَّامِ وَأَهْلِ الْيَمَنِ وَأَهْلِ الْبَحْرِ، فَمَنْ أَحْدَثَ مِنْهُمْ حَدَثاً فَإِنَّهُ لاَ يَحُولُ مَالُهُ دُونَ نَفْسِهِ، وَإِنَّهُ طَيِّبٌ لِمَنْ أَخَذَهُ مِنَ النَّاسِ، وَإِنَّهُ لاَ يَحِلُّ أَنْ يُمْنَعُوا مَاءً يَرِدُونَهُ، وَلاَ طَرِيقاً يُرِيدُونَهُ، مِنْ بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ».

❋ ❋ ❋

[كتابه ﷺ لأهلِ جَرباء وأَذرُح]

وَكَتَبَ ﷺ لأَهْلِ جَرْبَاءَ(٢) وَأَذْرُحَ(٣) لَمَّا أَتَوْهُ بِتَبُوكَ أَيْضاً وَأَعْطَوْهُ الْجِزْيَةَ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، هٰذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، لأَهْلِ جَرْبَاءَ وَأَذْرُحَ، إِنَّهُمْ آمِنُونَ بِأَمَانِ اللَّهِ وَأَمَانِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَإِنَّ عَلَيْهِمْ مِئَةَ دِينَارٍ فِي كُلِّ رَجَبٍ وَافِيَةً طَيِّبَةً، وَاللَّهُ كَفِيلٌ عَلَيْهِمْ بِالنُّصْحِ وَالإِحْسَانِ إِلَى الْمُسْلِمِينَ، وَمَنْ لَجَأَ إِلَيْهِمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فِي الْمَخَافَةِ».

❋ ❋ ❋

[كتابه ﷺ لأبي ضُمَيرة]

وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ ضُمَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَتَبَ لِجَدِّهِ: «بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، هٰذَا كِتَابٌ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ لأَبِي ضُمَيْرَةَ

---

(١) الصواب: معهم.

(٢) وهي قرية من أعمال عَمّان بالبلقاء من أرض الشام.

(٣) وهي بلدة من أطراف الشام من نواحي البلقاء، مجاورة للحجاز، وهي قريبة من الجَرباء.

وَأَهلِ بَيْتِهِ، إِنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَعْتَقَهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الْعَرَبِ، إِنْ أَحَبُّوا أَقَامُوا عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَإِنْ أَحَبُّوا رَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَلاَ يُعْرَضُ لَهُمْ إِلاَّ بِحَقٍّ، وَمَنْ لَقِيَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ فَلْيَسْتَوْصِ بِهِمْ خَيْراً»، وَكَتَبَ أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ.

وَلَهُ ﷺ كُتُبٌ غَيْرُ هٰذِهِ فِي بَيَانِ الزَّكَاةِ وَالأَحْكَامِ.

وَأَمَّا أُمَرَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: فَمِنْهُمْ: بَاذَانُ بْنُ سَامَانَ[1]، مِنْ وَلَدِ بَهْرَامَ، أَمَّرَهُ ﷺ عَلَى الْيَمَنِ، وَأَمَّرَ ﷺ عَلَى صَنْعَاءَ خَالِدَ بْنَ سَعِيدٍ، وَوَلَّى زِيَادَ بْنَ لَبِيدٍ الأَنْصَارِيَّ حَضْرَمَوْتَ، وَأَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ زَبِيدَ وَعَدَنَ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ الْجَنَدَ بِالْيَمَنِ، وَأَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ نَجْرَانَ، وَابْنَهُ يَزِيدَ تَيْمَاءَ، وَعَتَّابَ بْنَ أَسِيدٍ مَكَّةَ وَإِقَامَةَ الْمَوْسِمِ وَالْحَجِّ بِالْمُسْلِمِينَ سَنَةَ ثَمَانٍ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ الْقَضَاءَ بِالْيَمَنِ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ عُمَانَ وَأَعْمَالَهَا، وَأَبَا بَكْرٍ الصِّدِّيقَ إِقَامَةَ الْحَجِّ سَنَةَ تِسْعٍ، وَبَعَثَ فِي أَثَرِهِ عَلِيًّا فَقَرَأَ عَلَى النَّاسِ سُورَةَ بَرَاءَةَ، وَقَدْ وَلَّى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الصَّدَقَاتِ جَمَاعَةً كَثِيرَةً.

وَأَمَّا رُسُلُهُ ﷺ: فَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعَثَ سِتَّةَ نَفَرٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ سَنَةَ سَبْعٍ، فَأَصْبَحَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْهُمْ يَتَكَلَّمُ بِلِسَانِ الْقَوْمِ الَّذِينَ بُعِثَ إِلَيْهِمْ.

وَكَانَ أَوَّلَ رَسُولٍ بَعَثَهُ ﷺ عَمْرُو بْنُ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيُّ إِلَى النَّجَاشِيِّ مَلِكِ الْحَبَشَةِ.

وَبَعَثَ دِحْيَةَ بْنَ خَلِيفَةَ الْكَلْبِيَّ إِلَى قَيْصَرٍ، وَعَبْدَاللّهِ السَّهْمِيَّ إِلَى كِسْرَى، وَحَاطِبَ بْنَ أَبِي بَلْتَعَةَ إِلَى الْمُقَوْقِسِ، وَشُجَاعَ بْنَ وَهْبٍ إِلَى مَلِكِ الْبَلْقَاءِ الْحَارِثِ بْنِ أَبِي شَمْرٍ الْغَسَّانِيِّ، وَسَلِيطَ بْنَ عَمْرٍو الْعَامِرِيَّ إِلَى هَوْذَةَ

---

(١) في المواهب: ساسان. وكذا عند الزرقاني.

وَإِلَى ثُمَامَةَ بْنِ أُثَالٍ الْحَنَفِيِّ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى جَيْفَرٍ وَعَبْدٍ ابْنَي الْجُلَنْدَى بِعُمَانَ، وَالْعَلاَءَ بْنَ الْحَضْرَمِيِّ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ سَاوَىٰ مَلِكِ الْبَحْرَيْنِ، وَالْمُهَاجِرَ بْنَ أَبِي أُمَيَّةَ الْمَخْزُومِيَّ إِلَى الْحَارِثِ بْنِ عَبْدِ كُلاَلٍ الْحِمْيَرِيِّ بِالْيَمَنِ، وَأَبَا مُوسَى الأَشْعَرِيَّ وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ إِلَى الْيَمَنِ عِنْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ تَبُوكَ، وَعَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ بَعْدَ ذٰلِكَ إِلَيْهِمْ، وَجَرِيرَ بْنَ عَبْدِاللَّهِ الْبَجَلِيَّ إِلَى ذِي الْكَلاَعِ وَذِي عَمْرٍو، وَعَمْرَو بْنَ أُمَيَّةَ الضَّمْرِيَّ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ.

وَبَعَثَ ﷺ إِلَى فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُذَامِيِّ، وَكَانَ عَامِلاً لِقَيْصَرَ فِي مَعَانَ يَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَأَسْلَمَ وَكَتَبَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ بِإِسْلاَمِهِ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ بِهَدِيَّةٍ مَعَ مَسْعُودِ بْنِ سَعْدٍ (وَهِيَ بَغْلَةٌ شَهْبَاءُ[1] يُقَالُ لَهَا فِضَّةُ، وَفَرَسٌ يُقَالُ لَهَا الظَّرِبُ[2]، وَحِمَارٌ يُقَالُ لَهُ يَعْفُورٌ، وَبَعَثَ إِلَيْهِ أَثْوَاباً وَقَبَاءَ سُنْدُسِيًّا مُذْهَباً[3]) فَقَبِلَ هَدِيَّتَهُ، وَوَهَبَ لِمَسْعُودٍ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ أُوقِيَّةً[4].

وَبَعَثَ لأَخْذِ الصَّدَقَاتِ هِلاَلَ الْمُحَرَّمِ سَنَةَ تِسْعٍ عُيَيْنَةَ بْنَ حِصْنٍ الْفَزَارِيَّ إِلَى تَمِيمَ، وَبُرَيْدَةَ إِلَى أَسْلَمَ وَغِفَارَ، وَعَبَّادَ بْنَ بِشْرٍ إِلَى سُلَيْمٍ وَمُزَيْنَةَ، وَرَافِعَ بْنَ مَكِيثٍ إِلَى جُهَيْنَةَ، وَعَمْرَو بْنَ الْعَاصِ إِلَى فَزَارَةَ، وَالضَّحَّاكَ بْنَ سُفْيَانَ إِلَى بَنِي كِلاَبٍ، وَبُسْرَ بْنَ سُفْيَانَ الْكَعْبِيَّ إِلَى بَنِي كَعْبٍ، وَعَبْدَاللَّهِ بْنَ اللُّتْبِيَّةِ إِلَى ذُبْيَانَ.

وَبَعَثَ رَجُلاً مِنْ سَعْدِ هُذَيْمٍ إِلَى قَوْمِهِ.

---

(١) بياضُها يغلب سوادَها.

(٢) معناها: الجبل الصغير.

(٣) ومُذَهَّباً: أي مُمَوَّهاً بالذهب.

(٤) الأوقية ١١٢ غراماً من الفضة.

الفصل السابع

فِي ذِكْرِ مُؤَذِّنِيهِ وَحُدَاتِهِ وَشُعَرَائِهِ وَخَطِيبِهِ ﷺ

أَمَّا مُؤَذِّنُوهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَأَرْبَعَةٌ: اثْنَانِ بِالْمَدِينَةِ، وَهُمَا: بِلاَلُ بْنُ رَبَاحٍ، وَعَمْرُو بْنُ أُمِّ مَكْتُوم الْقُرَشِيُّ الأَعْمَى، وَأَذَّنَ لَهُ بِقُبَاءَ سَعْدُ الْقَرْظِ مَوْلَى عَمَّارٍ، وَأَذَّنَ لَهُ بِمَكَّةَ أَبُو مَحْذُورَةَ أَوْسٌ الْجُمَحِيُّ الْمَكِّيُّ، رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ.

وَأَمَّا شُعَرَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الَّذِينَ كَانُوا يَذُبُّونَ[1] عَنِ الإِسْلاَمِ: فَكَعْبُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُاللّٰهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيُّونَ، رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ.

وَكَانَ خَطِيبَهُ ﷺ: ثَابِتُ بْنُ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ الأَنْصَارِيُّ.

وَكَانَ يَحْدُو بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي السَّفَرِ عَبْدُاللّٰهِ بْنُ رَوَاحَةَ، وَعَامِرُ بْنُ الأَكْوَعِ، وَأَنْجَشَةُ الْعَبْدُ الأَسْوَدُ، وَالْبَرَاءُ بْنُ مَالِكٍ، رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ.

---

(١) يدافعون.

الفصل الثامن

فِي ذِكْرِ آلاتِ حُرُوبِهِ ﷺ (كَدُرُوعِهِ وَأَقْوَاسِهِ، وَمِنْطَقَتِهِ وَأَتْرَاسِهِ)

أَمَّا أَسْيَافُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَتِسْعَةٌ: مَأْثُورٌ (وَهُوَ أَوَّلُ سَيْفٍ مَلَكَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ)، وَالْعَضْبُ[1]، وَذُو الْفِقَارِ (لأَنَّهُ كَانَ فِي وَسَطِهِ مِثْلُ فِقْرَاتِ الظَّهْرِ)، وَالْقَلَعِيُّ (أَصَابَهُ مِنْ قُلَعٍ، مَوْضِعٌ بِالْبَادِيَةِ)، وَالْبَتَّارُ (أَيْ: الْقَاطِعُ)، وَالْحَتْفُ (وَهُوَ الْمَوْتُ)، وَالْمِخْذَمُ (وَهُوَ الْقَاطِعُ)، وَالرَّسُوبُ (أَيْ: يَمْضِي فِي الضَّرِيبَةِ)، وَالْقَضِيبُ (وَهُوَ اللَّطِيفُ مِنَ السُّيُوفِ).

وَأَمَّا أَدْرَاعُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَسَبْعَةٌ: ذَاتُ الْفُضُولِ، وَذَاتُ الْوِشَاحِ، وَذَاتُ الْحَوَاشِي، وَالسُّغْدِيَّةُ (نِسْبَةٌ لِمَوْضِعٍ)، وَفِضَّةُ، وَالْبَتْرَاءُ (لِقِصَرِهَا)، وَالخِرْنِقُ (بِاسْمِ وَلَدِ الأَرْنَبِ).

وَأَمَّا أَقْوَاسُهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فَسِتَّةٌ: الزَّوْرَاءُ، وَالرَّوْحَاءُ، وَالصَّفْرَاءُ، وَشَوْحَطُ[2]، وَالْكَتُومُ، وَالسَّدَادُ.

---

(١) ومعناه: القَطع.

(٢) وهو شجر تُتخذ منه القِسِيّ.

وَكَانَتْ لَهُ ﷺ جَعْبَةٌ[١] تُدْعَىٰ الْكَافُورَ، وَمِنْطَقَةٌ مِنْ أَدِيمٍ[٢] فِيهَا ثَلَاثُ حِلَقٍ مِنْ فِضَّةٍ، وَالإِبْزِيمُ مِنْ فِضَّةٍ، وَالطَّرَفُ مِنْ فِضَّةٍ.

وَأَمَّا أَتْرَاسُهُ ﷺ: فَكَانَ لَهُ تُرْسٌ اسْمُهُ الزَّلُوقُ ـ يَزْلَقُ عَنْهُ السِّلَاحُ ـ، وَتُرْسٌ يُقَالُ لَهُ الْفَتَقُ، وَتُرْسٌ أُهْدِيَ إِلَيْهِ فِيهِ صُورَةُ تِمْثَالِ عُقَابٍ أَوْ كَبْشٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ فَأَذْهَبَ اللَّهُ ذٰلِكَ التِّمْثَالَ.

وَأَمَّا أَرْمَاحُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: فَالْمُثْوِي ـ لأَنَّهُ يُثْبِتُ الْمَطْعُونَ بِهِ ـ، وَالْمُتَثَنِّي[٣]، وَرُمْحَانِ آخَرَانِ.

وَكَانَتْ لَهُ ﷺ حَرْبَةٌ كَبِيرَةٌ اسْمَهَا الْبَيْضَاءُ، وَحَرْبَةٌ صَغِيرَةٌ دُونَ الرُّمْحِ يُقَالُ لَهَا: الْعَنَزَةُ.

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ مِغْفَرٌ[٤] مِنْ حَدِيدٍ يُسَمَّى السَّبُوغ، وَآخَرُ يُسَمَّى الْمُوَشَّحَ.

وَكَانَ لَهُ ﷺ فُسْطَاطٌ[٥] يُسَمَّى الْكِنَّ.

وَكَانَ لَهُ مِحْجَنٌ[٦] قَدْرُ ذِرَاعٍ (يَمْشِي وَيَرْكَبُ بِهِ، وَيُعَلِّقُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ عَلَى بَعِيرِهِ)، وَكَانَ لَهُ مِخْصَرَةٌ[٧] تُسَمَّى الْعُرْجُونَ[٨]، وَقَضِيبٌ مِنَ الشَّوْحَطِ[٩] يُسَمَّى الْمَمْشُوقَ.

---

(١) وهي بيت النُّشَّاب.
(٢) جِلد.
(٣) في المواهب وشرحها: المُثْنَىٰ والمُثْني.
(٤) زَرَد يُلبَس تحت القَلَنْسُوَة.
(٥) خيمة من شعَر.
(٦) عصاً معقوفة.
(٧) عصاً يُتوكَّأ عليها.
(٨) العُرجون: أصل العِذق الذي يَعْوَجّ ويقطع منه الشماريخ فيبقىٰ علىٰ النخل يابساً.
(٩) وهو شجر تُتخذ منه القِسِيّ.

وَكَانَ لَهُ قَدَحٌ يُسَمَّى الرَّيَّانَ، وَآخَرُ يُسَمَّى مُغِيثاً، وَقَدَحٌ مُضَبَّبٌ بِسِلْسِلَةٍ مِنْ فِضَّةٍ فِي ثَلاَثَةِ مَوَاضِعَ، وَآخَرُ مِنْ عَيْدَانٍ (وَالْعَيْدَانَةُ: النَّخْلَةُ السَّحُوقُ[1])، وَآخَرُ مِنْ زُجَاجٍ، وَتَوْرٌ (أَيْ: إِنَاءٌ مِنْ حِجَارَةٍ) يُسَمَّى الْمِخْضَبَ، وَرَكْوَةٌ تُسَمَّى الصَّادِرَةَ، وَمِخْضَبٌ مِنْ نُحَاسٍ، وَمُغْتَسَلٌ مِنْ صُفْرٍ[2]، وَمُدْهُنٌ[3] مِنْ عَاجٍ، وَرَبْعَةٌ[4] إِسْكَنْدَرَانِيَّةٌ (يَجْعَلُ فِيهَا الْمِرْآةَ، وَمُشْطاً مِنْ عَاجٍ، وَالْمُكْحُلَةَ يَكْتَحِلُ مِنْهَا عِنْدَ النَّوْمِ ثَلاَثاً، وَالْمِقْرَاضَ، وَالسِّوَاكَ).

وَكَانَتْ لَهُ قَصْعَةٌ تُسَمَّى الْغَرَّاءَ[5] بِأَرْبَعِ حِلَقٍ، وَصَاعٌ، وَمُدٌّ، وَقَطِيفَةٌ[6]، وَسَرِيرٌ قَوَائِمُهُ مِنْ سَاجٍ[7]، وَفِرَاشٌ مِنْ أَدَمٍ[8] حَشْوُهُ لِيفٌ، وَخَاتَمٌ مِنْ حَدِيدٍ مَلْوِيٍّ[9] بِفِضَّةٍ، وَخَاتَمُ فِضَّةٍ فَصُّهُ مِنْهُ يَجْعَلُهُ فِي يَمِينِهِ - وَقِيلَ: كَانَ أَوَّلاً فِي يَمِينِهِ، ثُمَّ حَوَّلَهُ إِلَى يَسَارِهِ - مَنْقُوشٌ عَلَيْهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ.

وَأَهْدَى لَهُ النَّجَاشِيُّ خُفَّيْنِ سَاذَجَيْنِ[10]، فَلَبِسَهُمَا.

---

(١) الطويلة.

(٢) نحاس.

(٣) وهو قارورة الدُّهن. وجاز استعمال العاج عند الحنفية، لأن العظم كالشعر والصوف لا يُحِسّ ولا يألم، فلا يسمىٰ ميتة. وذلك خلافاً لبقية المذاهب لقولهم بنجاسته.

(٤) صندوق.

(٥) البيضاء.

(٦) ثوبٌ مُخْمَل.

(٧) نوع من الشجر.

(٨) جِلد.

(٩) مفتول.

(١٠) كلمة فارسيّة معرّبة معناها: غير منقوشَين.

وَكَانَ لَهُ ﷺ جُبَّةُ سُنْدُسٍ[1] أَخْضَرَ، وَجُبَّةُ طَيَالِسَةٍ[2]، وَجُبَّةٌ ثَالِثَةٌ، يَلْبَسُهُنَّ فِي الْحَرْبِ. وَعِمَامَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّحَابُ. وَأُخْرَى سَوْدَاءُ. وَرِدَاءٌ.

---

(١) حرير. وجاز لبس الحرير لرجل في الحرب إرهاباً للكفار.

(٢) أعجمية.

الفصل التاسع

فِي ذِكْرِ خَيْلِهِ وَلِقَاحِهِ[1] وَدَوَابِّهِ ﷺ

أَمَّا خَيْلُهُ ﷺ: فَالسَّكْبُ (أَيْ: كَثِيرُ الْجَرْيِ)، وَالْمُرْتَجِزُ (سُمِّيَ بِهِ لِحُسْنِ صَهِيلِهِ)، وَالظَّرِبُ[2] سُمِّيَ بِهِ لِقُوَّتِهِ وَصَلابَةِ رِجْلَيْهِ، وَاللَّحِيفُ (سُمِّيَ بِهِ لِسِمَنِهِ وَكِبَرِهِ)، وَاللِّزَازُ (سُمِّيَ بِهِ لِشِدَّةِ تَلَزُّزِهِ وَاجْتِمَاعِ خَلْقِهِ)، وَالْوَرْدُ، وَسَبْحَةُ (مِنْ قَوْلِهِمْ فَرَسٌ سَابِحٌ إِذَا كَانَ حَسَنَ مَدِّ الْيَدَيْنِ فِي الْجَرْيِ)، وَالْبَحْرُ (وَكَانَ كُمَيْتاً[3])، وَالسِّجْلُ (مَأْخُوذٌ مِنْ قَوْلِهِمْ: سَجَلْتُ الْمَاءَ فَانْسَجَلَ، أَيْ: صَبَبْتُهُ فَانْصَبَّ)، وَذُو اللِّمَّةِ، وَذُو الْعُقَالِ، وَالسِّرْحَانُ[4]، وَالطِّرْفُ، وَالْمُرْتَجِلُ، وَالْمِرْوَاحُ (مِنَ الرِّيحِ لِسُرْعَتِهِ)، وَمُلاوِحٌ، وَالْمَنْدُوبُ، وَالنَّجِيبُ، وَالْيَعْبُوبُ[5]، وَالْيَعْسُوبُ[6].

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِنَ الْبِغَالِ: دُلْدُلُ[7] ـ وَكَانَتْ شَهْبَاءَ[8] ـ،

---

(١) جمع لَقِحة (وهي: الناقة الحلوب).
(٢) ومعناه: الجبل الصغير.
(٣) أحمر داكناً.
(٤) ومعناها: الذئب.
(٥) ومعناها: السريع.
(٦) وهي التي في غرّتها بياض يصل إلىٰ الأنف.
(٧) والدُّلدلة: تحريك الرأس والأعضاء في المشي.
(٨) بيضاء.

وَفِضَّةٌ، وَأُخْرَى أَهْدَاهَا لَهُ صَاحِبُ أَيْلَةَ، وَأُخْرَى مِنْ دُومَةِ الْجَنْدَلِ، وَأُخْرَى مِنْ عِنْدِ النَّجَاشِيِّ.

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الْحَمِيرِ: عُفَيْرٌ[١]، وَيَعْفُورٌ، وَأَعْطَاهُ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ حِمَاراً فَرَكِبَهُ.

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ اللِّقَاحِ: الْقَصْوَاءُ[٢] (وَهِيَ الَّتِي هَاجَرَ عَلَيْهَا)، وَالْعَضْبَاءُ، وَالْجَدْعَاءُ (وَلَمْ يَكُنْ بِهِمَا عَضْبٌ[٣] وَلاَ جَدْعٌ[٤]، وَإِنَّمَا سُمِّيَتَا بِذٰلِكَ). وَغَنِمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَوْمَ بَدْرٍ جَمَلاً لأَبِي جَهْلٍ فِي أَنْفِهِ بُرَةٌ[٥] مِنْ فِضَّةٍ، فَأَهْدَاهُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ لِيَغِيظَ بِذٰلِكَ الْمُشْرِكِينَ.

وَكَانَتْ لَهُ ﷺ خَمْسَةٌ[٦] وَأَرْبَعُونَ لِقْحَةً، أَرْسَلَ بِهَا إِلَيْهِ ﷺ سَعْدُ بْنُ عُبَادَةَ، مِنْهَا: أَطْلاَلٌ، وَأَطْرَافٌ، وَبُرُودَةُ[٧]، وَبَرَكَةُ، وَالْبَغُومُ[٨]، وَالْحَنَّاءُ[٩]، وَزَمْزَمُ، وَالرَّيَّاءُ، وَالسَّعْدِيَّةُ، وَالسُّقْيَا، وَالسَّمْرَاءُ، وَالشَّقْرَاءُ، وَعَجْرَةُ[١٠]، وَالْعُرَيْسُ، وَغَوْثَةُ (وَقِيلَ: غَيْثَةُ)، وَقَمَرٌ، وَمَرْوَةُ، وَمُهْرَةُ، وَوَرِشَةُ[١١]، وَالْيُسَيْرَةُ.

وَكَانَتْ لَهُ ﷺ مِئَةُ شَاةٍ، وَكَانَتْ لَهُ ﷺ سَبْعَةُ أَعْنُزٍ تَرْعَاهُنَّ أُمُّ أَيْمَنَ.

---

(١) سمي بذلك لأن لونه لون التراب.
(٢) التي تبلغ الغاية.
(٣) وهو قَطع جزء من الأذُن.
(٤) وهو قطع جزء من الأنف.
(٥) حَلْقة.
(٦) الصواب: خمس.
(٧) في المواهب: بُرْدة.
(٨) وهي التي تصيح علىٰ ولدها بأرخم ما يكون من صوتها.
(٩) التي تحنّ علىٰ ولدها.
(١٠) معناها: السّمينة.
(١١) معناها: الخفيفة النشيطة.

الفصل العاشر

فِي ذِكْرِ مَنْ وَفَدَ عَلَيْهِ ﷺ

قَالَ النَّوَوِيُّ: الْوَفْدُ: الْجَمَاعَةُ الْمُخْتَارَةُ لِلتَّقَدُّمِ فِي لُقْيَا الْعُظَمَاءِ، وَاحِدُهُمْ: وَافِدٌ. انتهى. وَكَانَتْ سَنَةُ تِسْعٍ تُسَمَّى سَنَةَ الْوُفُودِ.

❊ ❊ ❊

[وفد هوازن]

وَلَمَّا انْصَرَفَ ﷺ مِنَ الطَّائِفِ فِي شَوَّالٍ إِلَى الْجِعْرَانَةِ وَفِيهَا سَبْيُ هَوَازِنَ؛ قَدِمَتْ عَلَيْهِ وُفُودُهُمْ مُسْلِمِينَ[1]، فِيهِمْ تِسْعَةُ نَفَرٍ مِنْ أَشْرَافِهِمْ، فَأَسْلَمُوا وَبَايَعُوا، ثُمَّ كَلَّمُوهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ فِي مَنْ أَصَبْتُمُ الأُمَّهَاتِ وَالأَخَوَاتِ وَالْعَمَّاتِ وَالْخَالاَتِ، فَقَالَ: **«سَأَطْلُبُ لَكُمْ، (وَقَدْ وَقَعَتِ الْمَقَاسِمُ)، فَأَيُّ الأَمْرَيْنِ أَحَبُّ إِلَيْكُمُ السَّبْيُ أَوِ الْمَالُ؟»** فَقَالُوا: خَيَّرْتَنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ بَيْنَ الْحَسَبِ وَالْمَالِ؟ فَالْحَسَبُ أَحَبُّ إِلَيْنَا، وَلاَ نَتَكَلَّمُ فِي شَاةٍ وَلاَ بَعِيرٍ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«مَا كَانَ لِي**

---

(١) بعد بِضع عشرة ليلة، وكان ﷺ قد أخّر قسمة السبي عسىٰ أن يحضروا مسلمين فيشفع لهم إسلامُهم.

وَلِعَبْدِ الْمُطَّلِب فَهُوَ لَكُمْ»، وَقَالَتْ قُرَيْشٌ: مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلّهِ وَرَسُولِهِ، وَقَالَتِ الأَنْصَارُ: مَا كَانَ لَنَا فَهُوَ لِلّهِ وَرَسُولِهِ.

* * *

[وفد ثقيف]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ ثَقِيفٍ بَعْدَ قُدُومِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ تَبُوكَ، وَكَانَ مِنْ أَمْرِهِمْ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا انْصَرَفَ مِنَ الطَّائِفِ قِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ ادْعُ عَلَى ثَقِيفٍ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ ثَقِيفاً، وَائْتِ بِهِمْ**»، وَلَمَّا انْصَرَفَ عَنْهُمُ اتَّبَعَ أَثَرَهُ عُرْوَةُ بْنُ مَسْعُودٍ(١) حَتَّىٰ أَدْرَكَهُ قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ، فَأَسْلَمَ، وَسَأَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ إِلَى قَوْمِهِ بِالإِسْلاَمِ، فَفَعَلَ، فَقَتَلُوهُ، ثُمَّ بَعَثُوا(٢) سِتَّةً مِنْهُمْ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ﷺ ضَرَبَ عَلَيْهِمْ قُبَّةً فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ، وَكَانَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدِ بْنِ الْعَاصِ هُوَ الَّذِي يَمْشِي بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، حَتَّى أَسْلَمُوا، وَكَانَ فِيمَا سَأَلُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَنْ يَدَعَ لَهُمُ الطَّاغِيَةَ ـ وَهِيَ اللاَّتُ ـ لاَ يَهْدِمَهَا ثَلاَثَ سِنِينَ، فَأَبَى ﷺ، وَسَأَلُوهُ أَنْ يَعْفِيَهُمْ مِنَ الصَّلاَةِ، وَأَنْ لاَ يُكَسِّرُوا أَوْثَانَهُمْ إِلاَّ بِأَيْدِيهِمْ(٣)، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**كَسِّرُوا أَوْثَانَكُمْ بِأَيْدِيكُمْ، وَأَمَّا الصَّلاَةُ فَلاَ خَيْرَ فِي دِينٍ لاَ صَلاَةَ فِيهِ**» فَلَمَّا أَسْلَمُوا وَكَتَبَ لَهُمُ الْكِتَابَ أَمَّرَ عَلَيْهِمْ عُثْمَانَ بْنَ أَبِي(٤) الْعَاصِ(٥)، وَكَانَ أَحْدَثَهُمْ

---

(١) الثقفي.

(٢) بعد شهر من مقتله حينما ائتمروا فيما بينهم ورأوا أنه لا طاقة لهم بحرب مَن حولهم من العرب الذين بايعوا وأسلموا.

(٣) بل الرواية أنهم سألوه ألاّ يكسروا أوثانهم بأيديهم، فقال: «**أما كسر أصنامكم بأيديكم فسنعفيكم من ذلك**» انظر البداية والنهاية لابن كثير.

(٤) كما في نور اليقين، والبداية والنهاية، والمواهب.

(٥) ليؤمّهم.

سِنًّا، لٰكِنَّهُ كَانَ مِنْ أَحْرَصِهِمْ عَلَى التَّفَقُّهِ فِي الإِسْلاَمِ، وَتَعَلُّمِ الْقُرْآنِ[1]، فَرَجَعُوا إِلَى بِلاَدِهِمْ وَمَعَهُمْ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ وَالْمُغِيرَةُ بْنُ شُعْبَةَ لِهَدْمِ الطَّاغِيَةِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْمُغِيرَةُ عَلَيْهَا عَلاَهَا يَضْرِبُهَا بِالْمِعْوَلِ[2]، وَخَرَجَ نِسَاءُ ثَقِيفٍ حُسَّراً يَبْكِينَ عَلَيْهَا، وَأَخَذَ الْمُغِيرَةُ بَعْدَ أَنْ كَسَّرَهَا مَالَهَا وَحُلِيَّهَا.

وَكَانَ كِتَابُ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ الَّذِي كَتَبَ لَهُمْ: «**بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللّٰهِ إِلَى الْمُؤْمِنِينَ، إِنَّ عِضَاهَ[3] وَجٍّ وَصَيْدَهُ حَرَامٌ لاَ يُعْضَدُ[4]، مَنْ وُجِدَ يَفْعَلُ شَيْئاً مِنْ ذٰلِكَ يُجْلَدُ وَتُنْزَعُ ثِيَابُهُ، فَإِنْ تَعَدَّى ذٰلِكَ فَإِنَّهُ يُؤْخَذُ فَيُبْلَغُ النَّبِيَّ مُحَمَّداً ﷺ، وَإِنَّ هٰذَا أَمْرُ النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ ﷺ**». وَكَتَبَ خَالِدُ بْنُ سَعِيدٍ، بِأَمْرِ الرَّسُولِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِاللّٰهِ، فَلاَ يَتَعَدَّاهُ أَحَدٌ فَيَظْلِمَ نَفْسَهُ فِيمَا أَمَرَ بِهِ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ. (وَوَجٌّ: وَادٍ بِالطَّائِفِ).

❋ ❋ ❋

[وفد بني عامر]

وَقَدِمَ وَفْدُ بَنِي عَامِرٍ عَلَيْهِ ﷺ، قَالَ ابْنُ إِسْحٰقَ: لَمَّا فَرَغَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ تَبُوكَ، وَأَسْلَمَتْ ثَقِيفٌ، وَبَايَعَتْ؛ ضَرَبَتْ ـ أَيْ: سَارَتْ ـ إِلَيْهِ وُفُودُ الْعَرَبِ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ، فَدَخَلُوا فِي دِينِ اللّٰهِ أَفْوَاجاً، فَوَفَدَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ

---

(١) وكانوا يخلّفونه على رحالهم إذا غدوا إلى رسول الله ﷺ، فإذا رجعوا ذهب للنبي ﷺ واستقرأه القرآن، فإذا رآه نائماً استقرأ أبا بكر رضي الله عنه حتى حفظ سورة البقرة.

(٢) وأراد المغيرة أن يُضحِك أصحابه فقال: والله لأضحكنكم مِن ثَقيف، فضرب الصنم بالفأس، ثم سقط يركض، فارتجّ أهل الطائف بضجّة واحدة وقالوا: أبْعد الله المغيرة، قتلَتْه الرَّبّة، وفرحوا حين رأوه ساقطاً، وقالوا: والله لا تُستطاع، فوثب المغيرة وقال: قبّحكم الله يا معشر ثقيف، إنما هي حجارة ومدَر، ثم شرع يهدمها.

(٣) العضاه: شجر له شوك.

(٤) لا يُقطَع.

الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَنُو عَامِرٍ، فِيهِمْ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ، وَأَرْبَدُ بْنُ قَيْسٍ، وَجَبَّارُ بْنُ سَلْمَى، وَكَانَ هٰؤُلاَءِ الثَّلاَثَةُ رُؤَسَاءَ الْقَوْمِ وَشَيَاطِينَهُمْ، فَقَدِمَ عَدُوُّ اللّهِ عَامِرُ بْنُ الطُّفَيْلِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَغْدُرَ بِهِ، فَقَالَ لأَرْبَدَ: إِذَا قَدِمْنَا عَلَى الرَّجُلِ فَإِنِّي شَاغِلٌ عَنْكَ وَجْهَهُ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ فَاعْلُهُ بِالسَّيْفِ، فَكَلَّمَ عَامِرٌ رَسُولَ اللّهِ ﷺ(١)، وَقَالَ: وَاللّهِ لأَمْلأَنَّهَا عَلَيْكَ خَيْلاً وَرَجْلاً، فَلَمَّا وَلَّى قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**اللّهُمَّ اكْفِنِي عَامِرَ بنَ الطُّفَيلِ**»، فَلَمَّا خَرَجُوا قَالَ عَامِرٌ لأَرْبَدَ: وَيْحَكَ أَيْنَ مَا كُنْتُ أَمَرْتُكَ بِهِ؟ فَقَالَ: وَاللّهِ مَا هَمَمْتُ بِالَّذِي أَمَرْتَنِي بِهِ إِلاَّ دَخَلْتَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، أَفَأَضْرِبُكَ بِالسَّيْفِ؟ وَلَمَّا كَانُوا بِبَعْضِ الطَّرِيقِ، بَعَثَ اللّهُ عَلَى عَامِرِ بْنِ الطُّفَيْلِ الطَّاعُونَ فِي عُنُقِهِ(٢)، فَقَتَلَهُ اللّهُ.

❊ ❊ ❊

[وفد عبدالقيس]

وَقَدِمَ وَفْدُ عَبْدِالْقَيْسِ عَلَيْهِ ﷺ(٣)، وَهِيَ قَبِيلَةٌ كَبِيرَةٌ يَسْكُنُونَ الْبَحْرَيْنِ، فَلَمَّا قَدِمُوا عَلَيْهِ ﷺ قَالَ: «**مِمَّنِ الْقَوْمُ؟**» قَالُوا: مِنْ رَبِيعَةَ، قَالَ: «**مَرْحَباً بِالوَفْدِ، غَيرَ خَزَايَا وَلاَ نَدَامَى**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ الْحَيَّ مِنْ كُفَّارِ مُضَرَ(٤)، وَإِنَّا لاَ نَصِلُ إِلَيْكَ إِلاَّ فِي شَهْرٍ حَرَامٍ، فَأْمُرْنَا بِأَمْرٍ فَصْلٍ

---

(١) في أن يجعل له الأمر من بعده، فأبى، فقال عامر: والله لأملأنّها...

(٢) وكان نازلاً في بيت امرأة من بني سلول، فأصيب بغُدّة في عنقه، فصار يقول: أغُدّة كغدّة البعير وموت في بيت سلولية؟ فوثب علىٰ فرسه، وصار يعدو به حتىٰ سقط عنه ميتاً.
وأما أربد فأرسل الله عليه صاعقة فأحرقته.

(٣) وهي الوفادة الأولىٰ لهم، وكانت قبل الفتح سنة خمس أو قبلها. أما الثانية: فكانت عام الوفود.

(٤) وهي قريش.

نَأْخُذُ بِهِ، وَنَأْمُرُ بِهِ مَنْ وَرَاءَنَا، وَنَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«آمُرُكُمْ بِأَرْبَعٍ، وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ، آمُرُكُمْ بِالإِيمَانِ بِاللَّهِ وَحْدَهُ، أَتَدْرُونَ مَا الإِيمَانُ بِاللَّهِ؟ شَهَادَةُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ، وَإِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ، وَصَوْمُ رَمَضَانَ[1]، وَأَنْ تُعْطُوا مِنَ الْمَغْنَمِ الْخُمُسَ. وَأَنْهَاكُمْ عَنْ أَرْبَعٍ: الدُّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالنَّقِيرِ، وَالْمُزَفَّتِ، فَاحْفَظُوهُنَّ وَادْعُوا إِلَيْهِنَّ مَنْ وَرَاءَكُمْ»**[2].

وَإِنَّمَا نَهَاهُمْ عَنْ هٰذِهِ الأَرْبَعِ، أَيْ: عَنِ الانْتِبَاذِ بِهَا، لأَنَّهُ يُسْرِعُ إِلَيْهَا الإِسْكَارُ[3].

(وَالدُّبَّاءُ: الْقَرْعُ[4]، وَالْحَنْتَمُ: نَوْعٌ مِنَ الْجِرَارِ، وَالنَّقِيرُ: أَصْلُ النَّخْلَةِ الْمَنْقُورُ[5]، وَالْمُزَفَّتُ: الْمُطْلِيُّ بِالزِّفْتِ).

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قِيلَ إِنَّ أَوَّلَ الأَرْبَعَةِ الْمَأْمُورِ بِهَا: إِقَامُ الصَّلاَةِ، وَإِنَّمَا ذَكَرَ الشَّهَادَتَيْنِ تَبَرُّكاً؛ لأَنَّ الْقَوْمَ كَانُوا مُؤْمِنِينَ مُقِرِّينَ بِكَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ.

***

(١) ولم يَذكر الحج لأنه لم يُفرَض وقتها، لأن وفادتهم هذه كانت قبل العام الخامس كما تقدم، والحج إنما فُرض في العام الخامس على ما عليه الأكثرون، وقال الشافعي: فُرض في العام السادس.
وإنما عرّف الرسول ﷺ الإيمان بالإسلام لما بينهما من الترادف، قال تعالىٰ: ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾﴾ [الذاريات: ٣٦]، ولم يكن بالاتفاق إلا بيت واحد. وقال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾﴾ [يونس: ٨٤].

(٢) رواه الشيخان.

(٣) ولكثرة الأشربة بينهم.

(٤) اليابس.

(٥) على شكل إناء.

[وفد بني حَنيفة]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي حَنِيفَةَ، وَفِيهِمْ مُسَيْلِمَةُ الْكَذَّابُ، فَأَتَوْا بِهِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُسْتَرُ بِالثِّيَابِ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ، فِي يَدِهِ عَسِيبٌ مِنْ سَعَفِ النَّخْلِ[١]، فَلَمَّا انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُمْ يَسْتُرُونَهُ بِالثِّيَابِ كَلَّمَهُ وَسَأَلَهُ أَنْ يَجْعَلَ لَهُ الأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَوْ سَأَلْتَنِي هٰذَا الْعَسِيبَ الَّذِي فِي يَدِي مَا أَعْطَيْتُكَ**»، ثُمَّ انْصَرَفُوا، فَلَمَّا قَدِمُوا الْيَمَامَةَ ارْتَدَّ عَدُوُّ اللَّهِ، وَتَنَبَّأَ، وَقَالَ: إِنِّي أُشْرِكْتُ فِي الأَمْرِ مَعَهُ، ثُمَّ جَعَلَ يَسْجَعُ السَّجَعَاتِ، وَلَمَّا سَمِعَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مَجَّ فِي بِئْرٍ فَكَثُرَ مَاؤُهَا، وَتَفَلَ فِي عَيْنِ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ وَكَانَ أَرْمَدَ فَبَرَأَ، فَتَفَلَ اللَّعِينُ فِي بِئْرٍ فَغَارَ مَاؤُهَا، وَفِي عَيْنِ بَصِيرٍ فَعَمِيَ، وَمَسَحَ بِيَدِهِ ضَرْعَ شَاةٍ حَلُوبٍ فَارْتَفَعَ دَرُّهَا وَيَبِسَ ضَرْعُهَا، ثُمَّ إِنَّ اللَّعِينَ وَضَعَ عَنْ قَوْمِهِ الصَّلَاةَ، وَأَحَلَّ لَهُمُ الْخَمْرَ وَالزِّنَىٰ، وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَشْهَدُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ نَبِيٌّ، فَقَدْ كَانَ كَتَبَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: مِنْ مُسَيْلِمَةَ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي قَدْ أُشْرِكْتُ مَعَكَ فِي الأَمْرِ، إِنَّ لَنَا نِصْفَ الأَمْرِ، وَلِقُرَيْشٍ نِصْفَ الأَمْرِ.

فَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ رَسُولُهُ بِهٰذَا الْكِتَابِ، فَكَتَبَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ إِلَى مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ، سَلَامٌ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى، أَمَّا بَعْدُ: فَإِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ، وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ**».

❊ ❊ ❊

---

(١) وهي الجريدة المستقيمة إذا جُرِّدت من ورقها.

[وفد طَيِّىء]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ طَيِّءٍ، وَفِيهِ زَيْدُ الْخَيْلِ[1]، وَهُوَ سَيِّدُهُمْ، فَعَرَضَ عَلَيْهِمُ الإِسْلاَمَ، فَأَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلاَمُهُمْ، وَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«مَا ذُكِرَ لِي رَجُلٌ مِنَ الْعَرَبِ بِفَضْلٍ ثُمَّ جَاءَنِي إِلاَّ رَأَيْتُهُ دُونَ مَا يُقَالُ فِيهِ إِلاَّ زَيْدَ الْخَيْلِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَبْلُغْ كُلُّ مَا فِيهِ»**، ثُمَّ سَمَّاهُ زَيْدَ الْخَيْرِ.

❋ ❋ ❋

[وفد كِنْدَة]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ كِنْدَةَ فِي ثَمَانِينَ أَوْ سِتِّينَ رَاكِباً، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ ﷺ مَسْجِدَهُ، قَدْ رَجَّلُوا جُمَمَهُمْ[2]، وَتَسَلَّحُوا، وَلَبِسُوا جُبَّاتِ الْحِبَرَاتِ[3] مُكَفَّفَةً بِالْحَرِيرِ، فَقَالَ ﷺ: **«أَوَلَمْ تُسْلِمُوا؟»** قَالُوا: بَلَى، قَالَ: **«فَمَا هٰذَا الْحَرِيرُ فِي أَعْنَاقِكُمْ؟»**، فَشَقُّوهُ وَنَزَعُوهُ وَأَلْقَوْهُ.

❋ ❋ ❋

[وفد حِمْيَر]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ الأَشْعَرِيُّونَ، وَأَهْلُ الْيَمَنِ، قَالَ الْحَافِظُ بْنُ حَجَرٍ: الْمُرَادُ بَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ وَفْدُ حِمْيَرٍ، عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«يَقْدَمُ عَلَيْكُمْ قَوْمٌ هُمْ أَرَقُّ مِنْكُمْ قُلُوباً»** فَقَدِمَ الأَشْعَرِيُّونَ، فَجَعَلُوا يَرْتَجِزُونَ:

---

(١) واسمه زيد بن مهلهل، ولُقّب بزيد الخيل لكثرة خيله، أو لكثرة طِراده بها.

(٢) سرّحوا شعورهم.

(٣) وهي بُرود يمانيّة.

وَرَوَى مُسْلِمٌ قَوْلَهُ ﷺ: «**جَاءَ أَهْلُ الْيَمَنِ، هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً، وَأَضْعَفُ قُلُوباً، الإِيمَانُ يَمَانٍ، وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ، السَّكِينَةُ فِي أَهْلِ الْغَنَمِ، وَالْفَخْرُ وَالْخُيَلاءُ فِي الْفَدَّادِينَ أَهْلِ الْوَبَرِ قِبَلَ مَطْلَعِ الشَّمْسِ**»، وَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! جِئْنَا لِنَتَفَقَّهَ فِي الدِّينِ، وَنَسْأَلَكَ عَنْ هٰذَا الأَمْرِ، فَقَالَ: «**كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ، وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ، وَكَتَبَ فِي الذِّكْرِ كُلَّ شَيْءٍ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالْفَدَّادُونَ: جَمْعُ فَدَّادٍ، وَهُوَ مَنْ يَعْلُو صَوْتُهُ فِي إِبِلِهِ وَخَيْلِهِ وَحَرْثِهِ).

❋ ❋ ❋

[وفد أزْد شَنوءة]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ صُرَدُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ الأَزْدِيُّ فِي وَفْدٍ مِنَ الأَزْدِ، فَأَسْلَمُوا وَحَسُنَ إِسْلامُهُمْ، فَأَمَّرَهُ ﷺ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُجَاهِدَ بِمَنْ أَسْلَمَ أَهْلَ الشِّرْكِ مِنْ قَبَائِلِ الْيَمَنِ، فَفَعَلَ، وَقَاتَلَ قَبَائِلَ مِنَ الْعَرَبِ مِنْ أَهْلِ جُرَشَ، فَقَتَلَهُمْ قَتْلاً شَدِيداً، وَكَانُوا بَعَثُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَجُلَيْنِ مِنْهُمْ، فَبَيْنَمَا هُمَا عِنْدَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، قَالَ لَهُمَا: «**إِنَّ بُدْنَ اللَّهِ لَتُنْحَرُ عِنْدَ شَكْرٍ**» ـ أَيْ: الْمَكَانِ الَّذِي وَقَعَ بِهِ قَتْلُ قَوْمِهِمْ ـ فَخَرَجَا إِلَى قَوْمِهِمَا، فَوَجَدَاهُمْ قَدْ أُصِيبُوا فِي الْيَوْمِ الَّذِي قَالَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ، وَفِي السَّاعَةِ الَّتِي ذَكَرَ فِيهَا مَا ذَكَرَ، فَخَرَجَ وَفْدُ جُرَشَ حَتَّى قَدِمُوا عَلَيْهِ ﷺ، فَأَسْلَمُوا، وَحَمَى لَهُمْ حِمًى[1] حَوْلَ قَرْيَتِهِمْ.

❋ ❋ ❋

---

(١) أقطع لهم أرضاً فيها كلأٌ للرعي.

[وفد بني الحارث]

وَقدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي الْحَارِثِ بْنِ كَعْبٍ بِنَجْرَانَ، بَعَثَ إِلَيْهِمْ ﷺ خَالِدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَدْعُوَهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ ثَلاَثاً قَبْلَ أَنْ يُقَاتِلَهُمْ، فَخَرَجَ خَالِدٌ حَتَّى قَدِمَ عَلَيْهِمْ، فَبَعَثَ الرُّكْبَانَ يَضْرِبُونَ فِي كُلِّ وَجْهٍ، وَيَدْعُونَ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَيَقُولُونَ: أَيُّهَا النَّاسُ! أَسْلِمُوا تَسْلَمُوا، فَأَسْلَمَ النَّاسُ، ثُمَّ أَقْبَلَ خَالِدٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَعَهُ وَفْدُهُمْ، فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**بِمَ كُنْتُمْ تَغْلِبُونَ مَنْ قَاتَلَكُمْ؟**» قَالُوا: كُنَّا نَجْتَمِعُ وَلاَ نَتَفَرَّقُ، وَلاَ نَبْدَأُ أَحَداً بِظُلْمٍ، قَالَ: «**صَدَقْتُمْ**» وَأَمَّر عَلَيْهِمْ قَيْسَ بْنَ الْحُصَيْنِ، فَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ.

* * *

[وفد همدان]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ هَمْدَانَ، وَعَلَيْهِمْ مُقَطَّعَاتُ الْحِبَرَاتِ(١) وَالْعَمَائِمُ الْعَدَنِيَّةُ عَلَى الرَّوَاحِلِ الْمَهْرِيَّةِ وَالأَرْحَبِيَّةِ(٢)، وَمَالِكُ بْنُ النَّمَطِ يَرْتَجِزُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ، فَكَتَبَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كِتَاباً أَقْطَعَهُمْ فِيهِ مَا سَأَلُوهُ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ مَالِكَ بْنَ النَّمَطِ، وَاسْتَعْمَلَهُ عَلَى مَنْ أَسْلَمَ مِنْ قَوْمِهِ.

* * *

---

(١) المقطعات: ثياب مَخيطة، والحِبَرات: برود.

(٢) الإبل النجيبة.

[وفد مُزَينة]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ مُزَيْنَةَ، رَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ مُقَرِّنٍ، قَالَ: قَدِمْنَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَرْبَعَ مِئَةِ رَجُلٍ مِنْ مُزَيْنَةَ، فَلَمَّا أَرَدْنَا أَنْ نَنْصَرِفَ، قَالَ: «**يَا عُمَرُ! زَوِّدِ الْقَوْمَ**»، قَالَ: مَا عِنْدِي إِلاَّ شَيْءٌ مِنْ تَمْرٍ، مَا أَظُنُّهُ يَقَعُ مِنَ الْقَوْمِ مَوْقِعاً، قَالَ: «**انْطَلِقْ فَزَوِّدْهُمْ**»، فَانْطَلَقَ بِهِمْ عُمَرُ، فَأَدْخَلَهُمْ مَنْزِلَهُ، ثُمَّ أَصْعَدَهُمْ إِلَى عِلِّيَةٍ، قَالَ: فَلَمَّا دَخَلْنَا إِذَا فِيهَا مِنَ التَّمْرِ مِثْلُ الْجَمَلِ الأَوْرَقِ، فَأَخَذَ الْقَوْمُ مِنْهُ حَاجَتَهُمْ، وَكُنْتُ فِي آخِرِ مَنْ خَرَجَ، فَنَظَرْتُ وَمَا أَفْقِدُ مَوْضِعَ تَمْرَةٍ مِنْ مَكَانِهَا.

(وَالأَوْرَقُ: مَا فِي لَوْنِهِ بَيَاضٌ إِلَى سَوَادٍ).

❋ ❋ ❋

[وفد دَوْس]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ دَوْسٍ، وَكَانَ قُدُومُهُمْ عَلَيْهِ بِخَيْبَرَ، وَكَانَ الطُّفَيْلُ بْنُ عَمْرٍو الدَّوْسِيُّ يُحَدِّثُ أَنَّهُ قَدِمَ مَكَّةَ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا، فَخَوَّفَهُ رِجَالٌ مِنْ قُرَيْشٍ أَمْرَهُ، وَقَالُوا لَهُ: لاَ تُكَلِّمْهُ، وَلاَ تَسْمَعْ مِنْهُ، ثُمَّ رَآهُ قَائِماً يُصَلِّي عِنْدَ الْكَعْبَةِ، فَسَمِعَ مِنْهُ كَلاَماً حَسَناً، قَالَ: فَمَكَثْتُ حَتَّى أَتَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى بَيْتِهِ، فَتَبِعْتُهُ حَتَّى إِذَا دَخَلَ بَيْتَهُ قُلْتُ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ قَوْمَكَ قَدْ قَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا؟ فَوَاللَّهِ مَا بَرِحُوا يُخَوِّفُونِي أَمْرَكَ حَتَّى سَدَدْتُ أُذُنَيَّ بِكُرْسُفٍ[1] أَنْ لاَ أَسْمَعَ قَوْلَكَ، ثُمَّ أَبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُسْمِعَنِيهِ، فَسَمِعْتُ قَوْلاً حَسَناً، فَاعْرِضْ عَلَيَّ أَمْرَكَ، فَعَرَضَ عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الإِسْلاَمَ، وَتَلاَ عَلَيَّ الْقُرْآنَ، فَلاَ

---

(١) بقُطن.

وَاللّهِ مَا سَمِعْتُ قَوْلاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ، وَلاَ أَمْراً أَعْدَلَ مِنْهُ، فَأَسْلَمْتُ، وَشَهِدْتُ شَهَادَةَ الْحَقِّ، وَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنِّي امْرُؤٌ مُطَاعٌ فِي قَوْمِي، وَإِنِّي رَاجِعٌ إِلَيْهِمْ فَدَاعِيهِمْ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَادْعُ اللّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً، قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى قَوْمِي حَتَّى إِذَا كُنْتُ بِثَنِيَّةٍ[1] تُطْلِعُنِي عَلَى الْحَاضِرِ، وَقَعَ نُورٌ بَيْنَ عَيْنَيَّ مِثْلُ الْمِصْبَاحِ، فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي، إِنِّي أَخْشَى أَنْ يَقُولُوا: مُثْلَةٌ[2] وَقَعَتْ فِي وَجْهِي لِفِرَاقِ دِينِهِمْ، قَالَ: فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي كَالْقِنْدِيلِ الْمُتَعَلِّقِ، وَأَنَا أَهْبِطُ إِلَيْهِمْ مِنَ الثَّنِيَّةِ، حَتَّى جِئْتُهُمْ وَأَصْبَحْتُ فِيهِمْ، قَالَ: فَدَعَوْتُ أَبِي إِلَى الإِسْلاَمِ فَأَسْلَمَ، وَدَعَوْتُ زَوْجَتِي فَأَسْلَمَتْ، ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْساً إِلَى الإِسْلاَمِ، فَأَبْطَؤُوا عَلَيَّ، فَجِئْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللّهِ! إِنَّهُ قَدْ غَلَبَنِي عَلَى دَوْسٍ الزِّنَىٰ، فَادْعُ اللّهَ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْساً**»، ثُمَّ قَالَ: «**ارْجِعْ إِلَى قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ إِلَى اللّهِ، وَارْفُقْ بِهِمْ**»، فَرَجَعْتُ إِلَيْهِمْ، فَلَمْ أَزَلْ أَدْعُوهُمْ إِلَى اللّهِ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ بِخَيْبَرَ، فَنَزَلْتُ الْمَدِينَةَ بِسَبْعِينَ أَوْ ثَمَانِينَ بَيْتاً مِنْ دَوْسٍ، ثُمَّ لَحِقْنَا بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَأَسْهَمَ لَنَا مَعَ الْمُسْلِمِينَ.

❋ ❋ ❋

[وفْد نصارىٰ نَجْران]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ نَصَارَى نَجْرَانَ[3]، وَكَانُوا سِتِّينَ رَاكِباً، وَأَمِيرُهُمُ الْعَاقِبُ، وَصَاحِبُ مَشُورَتِهِمْ عَبْدُالْمَسِيحِ، وَصَاحِبُ رَحْلِهِمْ وَمُجْتَمَعِهِمْ السَّيِّدُ

---

(١) وهي طريق في الجبل.

(٢) عَيب.

(٣) وهي بلدة تبعد عن مكة ٦٠٠ كيلومتراً تقريباً إلىٰ جهة اليمن. وكان قدومهم علىٰ رسول الله ﷺ لأنه أرسل لهم كتاباً يدعوهم فيه إلىٰ الإسلام.

ـ وَاسْمُهُ الأَيْهَمُ، وَيُقَالَ: شُرَحْبِيلٌ ـ، وَأَبُو حَارِثَةَ أَخُو بَكْرِ بْنِ وَائِلٍ قَدْ شَرُفَ فِيهِمْ وَدَرَسَ كُتُبَهُمْ، وَكَانَتْ مُلُوكُ الرُّومِ مِنْ أَهْلِ النَّصْرَانِيَّةِ قَدْ شَرَّفُوهُ وَمَوَّلُوهُ، وَكَانَ يَعْرِفُ أَمْرَ النَّبِيِّ ﷺ وَشَأْنَهُ وَصِفَتَهُ مِمَّا عَلِمَهُ مِنَ الْكُتُبِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَلٰكِنْ حَمَلَهُ الْجَهْلُ عَلَى الاسْتِمْرَارِ فِي النَّصْرَانِيَّةِ، لِمَا يَرَى مِنْ تَعْظِيمِهِ وَوَجَاهَتِهِ عِنْدَ أَهْلِهَا، فَدَعَاهُمُ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الإِسْلاَمِ، وَتَلاَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنَ، فَامْتَنَعُوا، فَقَالَ: «إِنْ أَنْكَرْتُمْ مَا أَقُولُ فَهَلُمَّ أُبَاهِلْكُمْ»[١]، فَقَالَ شُرَحْبِيلٌ: فَوَاللَّهِ لَئِنْ كَانَ نَبِيًّا فَلاَعَنَّاهُ ـ يَعْنِي بَاهَلْنَاهُ ـ لاَ نُفْلِحُ نَحْنُ وَلاَ عَقِبُنَا مِنْ بَعْدِنَا أَبَداً، وَصَالَحَهُمْ عَلَى أَلْفَيْ حُلَّةٍ، أَلْفٍ فِي رَجَبٍ، وَأَلْفٍ فِي صَفَرٍ، مَعَ كُلِّ حُلَّةٍ أُوْقِيَّةٌ[٢].

❋ ❋ ❋

[وفد رسولِ فَروةَ الجُذاميّ]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ رَسُولُ فَرْوَةَ بْنِ عَمْرٍو الْجُذَامِيِّ بِإِسْلاَمِهِ، وَأَهْدَى لَهُ بَغْلَةً بَيْضَاءَ.

❋ ❋ ❋

[وفد ضِمام بنِ ثَعلبة]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ ضِمَامُ بْنُ ثَعْلَبَةَ، بَعَثَهُ بَنُو سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَس بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بَيْنَمَا نَحْنُ

---

(١) المباهلة: لَعْن الكاذب منهما.

(٢) من فضة، وهي تساوي ١٢٠ غراماً.

جُلوسٌ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ؛ دَخَلَ رَجُلٌ عَلَى جَمَلٍ، فَأَنَاخَهُ بِالْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: أَيُّكُمْ مُحَمَّدٌ؟ وَالنَّبِيُّ ﷺ مُتَّكِىءٌ بَيْنَ ظَهْرَانِيهِمْ، فَقُلْنَا: هٰذَا الرَّجُلُ الأَبْيَضُ الْمُتَّكِىءُ، فَقَالَ لَهُ الرَّجُلُ: ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ أَجَبْتُكَ**»، فَقَالَ: إِنِّي سَائِلُكَ فَمُشَدِّدٌ عَلَيْكَ فِي الْمَسْأَلَةِ، فَلاَ تَجِدْ[1] عَلَيَّ فِي نَفْسِكَ، فَقَالَ: «**سَلْ عَمَّا بَدَا لَكَ**» فَقَالَ: أَسْأَلُكَ بِرَبِّكَ وَرَبِّ مَنْ قَبْلَكَ: آللّهُ أَرْسَلَكَ إِلَى النَّاسِ كُلِّهِمْ؟ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**» قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللّهِ: آللّهُ أَمَرَكَ أَنْ تُصَلِّيَ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نعمْ**»، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللّهِ: آللّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَصُومَ هٰذَا الشَّهْرَ مِنَ السَّنَةِ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، قَالَ: أَنْشُدُكَ بِاللّهِ: آللّهُ أَمَرَكَ أَنْ تَأْخُذَ هٰذِهِ الصَّدَقَةَ مِنْ أَغْنِيَائِنَا فَتَقْسِمَهَا عَلَى فُقَرَائِنَا؟ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ نَعَمْ**»، فَقَالَ: آمَنْتُ بِمَا جِئْتَ بِهِ. ثُمَّ أَتَى قَوْمَهُ فَأَسْلَمُوا جَمِيعاً. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَمَا سَمِعْنَا بِوَافِدِ قَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ ضِمَامِ بْنِ ثَعْلَبَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ.

❋ ❋ ❋

[وفد طَارقِ بنِ عبدِاللّهِ وقومِه]

وَوَفَدَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ طَارِقُ بْنُ عَبْدِاللّهِ الْمُحَارِبِي، وَقَوْمُهُ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ يَمْتَارُونَ[2] تَمْراً، فَلَقِيَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ لَمَّا دَنَوْا مِنْ حِيطَانِهَا[3] وَنَخْلِهَا، وَلَمْ يَعْرِفُوهُ، فَاشْتَرَى مِنْهُمْ جَمَلاً أَحْمَرَ بِتَمْرٍ، وَانْطَلَقَ بِهِ[4]، قَالَ طَارِقٌ: فَلَمَّا تَوَارَى عَنَّا بِحِيطَانِ الْمَدِينَةِ وَنَخْلِهَا، قُلْنَا: مَا صَنَعْنَا؟ وَاللّهِ مَا بِعْنَا جَمَلَنَا

---

(١) فلا تغضب.

(٢) يشترون.

(٣) من بساتيها.

(٤) ولم يسلّمهم التمر.

مِمَّنْ نعرِفُهُ، وَلاَ أَخَذْنَا لَهُ ثَمناً، فَقَالَتِ امْرَأَةٌ كَانَتْ مَعَنَا: لاَ تَلاَوَمُوا، لَقَدْ رَأَيْتُ وَجْهَ رَجُلٍ لاَ يَغْدُرُكُمْ، مَا رَأَيْتُ أَشْبَهَ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ مِنْ وَجْهِهِ. وَأَقْبَلَ رَجُلٌ فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ رَسُولِ اللّهِ إِلَيْكُمْ، هٰذَا تَمْرُكُمْ، فَكُلُوا وَاشْبَعُوا، وَاكْتَالُوا وَاسْتَوْفُوا، فَأَكَلْنَا حَتَّى شَبِعْنَا، وَاكْتَلْنَا وَاسْتَوْفَيْنَا، ثُمَّ دَخَلْنَا الْمَدِينَةَ، فَلَمّا دَخَلْنَا المَسْجِدَ إِذَا هُوَ قَائِمٌ عَلَى الْمِنْبَرِ يَخْطُبُ النَّاسَ، فَأَدْرَكْنا مِنْ خِطْبَتِهِ وَهُوَ يَقُولُ: «**تَصَدَّقُوا، فَإِنَّ الصَّدَقَةَ خَيْرٌ لَكُمْ، الْيَدُ الْعُلْيَا خَيْرٌ مِنَ الْيَدِ السُّفْلَىٰ**».

❋ ❋ ❋

[وفد تُجِيب]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ تُجِيبَ[1] ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، قَدْ سَاقُوا مَعَهُمْ صَدَقَاتِ أَمْوَالِهِمُ الَّتِي فَرَضَ اللّهُ عَلَيْهِمْ[2]، فَسُرَّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِهِمْ، وَأَكْرَمَ مَنْزِلَتَهُمْ، وَأَمَرَ بِلاَلاً أَنْ يُحْسِنَ ضِيَافَتَهُمْ، ثُمَّ جَاؤُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ يُوَدِّعُونَهُ، فَأَمَرَ بِلاَلاً فَأَجَازَهُمْ بِأَرْفَعِ مَا كَانَ يُجِيزُ بِهِ الْوُفُودَ. قَالَ: «**هَلْ بَقِيَ مِنْكُمْ أَحَدٌ؟**» قَالُوا: غُلاَمٌ خَلَّفْنَاهُ عَلَى رِحَالِنَا، هُوَ أَحْدَثُنَا سِنًّا، قَالَ: «**أَرْسِلُوهُ إِلَيْنَا**»، فَلَمَّا أَقْبَلَ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! وَاللّهِ مَا أَخْرَجَنِي مِنْ بِلاَدِي إِلاَّ أَنْ تَسْأَلَ اللّهَ أَنْ يَغْفِرَ لِي، وَأَنْ يَرْحَمَنِي، وَأَنْ يَجْعَلَ غِنَايَ فِي قَلْبِي، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**اللّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ، وَارْحَمْهُ، وَاجْعَلْ غِنَاهُ فِي قَلْبِهِ**»، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِمَا أَمَرَ بِهِ لِرَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، ثُمَّ انْطَلَقُوا رَاجِعِينَ إِلَى أَهْلِهِمْ، ثُمَّ وَافَوْا رَسُولَ اللّهِ ﷺ بِمِنًى سَنَةَ عَشْرٍ، فَقَالَ: «**مَا فَعَلَ الْغُلاَمُ؟**» قَالُوا: يَا

---

(١) وهي قبيلة من كِندة.

(٢) مما زاد عن فقرائهم.

رَسُولَ اللّهِ! مَا رَأَيْنَا مِثْلَهُ قَطُّ، وَلاَ حُدِّثْنَا بِأَقْنَعَ مِنْهُ بِمَا رَزَقَهُ اللّهُ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ اقْتَسَمُوا الدُّنْيَا مَا نَظَرَ نَحْوَهَا، وَلاَ الْتَفَتَ إِلَيْهَا.

❋ ❋ ❋

[وفد بني سعد هُذَيم]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي سَعْدِ هُذَيْم، رَوَى الْوَاقِدِيُّ عَنِ ابْنِ النُّعْمَانِ عَنْ أَبِيهِ مِنْ سَعْدِ هُذَيْم، قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَافِداً فِي نَفَرٍ مِنْ قَوْمِي، فَبَايَعْنَاهُ ﷺ، ثُمَّ انْصَرَفْنَا إِلَى رِحَالِنَا وَقَدْ خَلَّفْنَا أَصْغَرَنَا، فَبَعَثَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي طَلَبِنَا، فَأُتِيَ بِنَا إِلَيْهِ، فَتَقَدَّمَ صَاحِبُنَا إِلَيْهِ، فَبَايَعَهُ عَلَى الإِسْلاَمِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّهُ أَصْغَرُنَا وَخَادِمُنَا، فَقَالَ: «**أَصْغَرُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ، بَارَكَ اللّهُ عَلَيْكَ**»، قَالَ: فَكَانَ وَاللّهِ خَيْرَنَا وَأَقْرَأَنَا بِدُعَاءِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، ثُمَّ أَمَّرَهُ عَلَيْنَا، فَكَانَ يَؤُمُّنَا، فَرَجَعْنَا إِلَى قَوْمِنَا، فَرَزَقَهُمُ اللّهُ الإِسْلاَمَ.

❋ ❋ ❋

[وفد بني فَزارة]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي فَزَارَةَ لَمَّا رَجَعَ مِنْ تَبُوكَ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، وَهُمْ مُسْنِتُونَ(١) عَلَى رِكَابٍ عِجَافٍ(٢)، فَسَأَلَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَنْ بِلاَدِهِمْ، فَقَالَ أَحَدُهُمْ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَسْنَتَتْ بِلاَدُنَا، وَهَلَكَتْ مَوَاشِينَا،

---

(١) أصابهم قحط.

(٢) إبل هزيلة.

وَأَجْدَبَ جَنَابُنَا[1]، وَغَرِثَ[2] عِيَالُنَا، فَادْعُ رَبَّكَ يَغِيثُنَا، فَصَعِدَ ﷺ الْمِنْبَرَ وَدَعَا لَهُمْ[3].

❊ ❊ ❊

[وفد بني أسد]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي أَسَدٍ عَشَرَةُ رَهْطٍ[4]، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ جَالِسٌ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَقَالَ مُتَكَلِّمُهُمْ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّا شَهِدْنَا أَنَّ اللّهَ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَجِئْنَاكَ وَلَمْ تَبْعَثْ إِلَيْنَا بَعْثاً، فَأَنْزَلَ اللّهُ عَزَّ وَجَلَّ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُم بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾[5].

❊ ❊ ❊

[وفد بهراء]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَهْرَاءَ مِنَ الْيَمَنِ، وَكَانُوا ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَلَمَّا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْمِقْدَادِ رَحَّبَ بِهِمْ، وَقَدَّمَ لَهُمْ جَفْنَةً[6] مِنْ حَيْسٍ[7]، فَأَكَلُوا مِنْهَا حَتَّى نَهِلُوا[8]، وَرُدَّتِ الْقَصْعَةُ وَفِيهَا شَيْءٌ، فَجُمِعَ فِي قَصْعَةٍ صَغِيرَةٍ،

---

(١) ما حولنا.
(٢) جاع.
(٣) فأغاثهم الله تعالىٰ.
(٤) وفيهم طليحة بن خويلد الذي ادّعىٰ النبوة بعد ذلك.
(٥) سورة الحجرات، الآية: ١٧.
(٦) قصعة.
(٧) تمر وأقِط وسمن، تُخلط وتُعجن وتُسوّىٰ، كالثريد.
(٨) شبعوا.

وَأَرْسَلَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَأَصَابَ مِنْهَا هُوَ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْبَيْتِ، حَتَّى نَهِلُوا، ثُمَّ أَكَلُوا مِنْهَا هُمْ وَالضَّيْفُ[(١)] مَا أَقَامُوا يَرُدُّونَ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ، وَمَا تَغِيضُ[(٢)]، حَتَّى جَعَلُوا يَقُولُونَ: يَا أَبَا مَعْبَدٍ! إِنَّكَ تُنْهِلُنَا[(٣)] مِنْ أَحَبِّ الطَّعَامِ إِلَيْنَا، وَمَا كُنَّا نَقْدِرُ عَلَى مِثْلِ هٰذَا إِلاَّ فِي الْحِينِ، فَأَخْبَرَهُمْ أَبُو مَعْبَدٍ بِخَبَرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ أَكَلَ مِنْهَا وَرَدَّهَا، وَأَنَّ هٰذِهِ بَرَكَةُ أَصَابِعِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَجَعَلَ الْقَوْمُ يَقُولُونَ: نَشْهَدُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ! وَازْدَادُوا يَقِيناً، وَتَعَلَّمُوا الْفَرَائِضَ، وَأَقَامُوا أَيَّاماً، ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِجَوَائِزَ، وَانْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ.

❋ ❋ ❋

[وفد عُذرة]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ عُذْرَةَ، وَكَانُوا اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلاً، فَرَحَّبَ بِهِمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَأَسْلَمُوا، وَبَشَّرَهُمْ بِفَتْحِ الشَّامِ، وَهَرَبِ هِرَقْلَ، ثُمَّ انْصَرَفُوا وَقَدْ أُجِيزُوا[(٤)].

❋ ❋ ❋

[وفد بَليّ]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَلِيٍّ، فَأَسْلَمُوا، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ:

---

(١) أي: أكل منها المقداد والوفد بعدما رُدّت عليهم.

(٢) وما تَنقُص.

(٣) تُشبِعنا.

(٤) بجوائز.

«الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي هَدَاكُمْ لِلإِسْلاَمِ، فَكُلُّ مَنْ مَاتَ عَلَى غَيْرِ الإِسْلاَمِ فَهُوَ فِي النَّارِ»، ثُمَّ وَدَّعُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ بَعْدَ أَنْ أَجَازَهُمْ[١].

❋ ❋ ❋

[وفد بني مُرّة]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي مُرَّةَ، وَكَانُوا ثَلاَثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَقَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«كَيفَ الْبِلاَدُ؟»** فَقَالُوا: وَاللّهِ إِنَّا لَمُسْنِتُونَ[٢]، فَادْعُ اللّهَ لَنَا، فَقَالَ ﷺ: **«اللَّهُمَّ اسْقِهِمُ الْغَيْثَ»**، ثُمَّ أَقَامُوا أَيَّاماً، وَرَجَعُوا بِالْجَائِزَةِ[٣]، فَوَجَدُوا بِلاَدَهُمْ قَدْ أُمْطِرَتْ فِي ذٰلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي دَعَا لَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ[٤].

❋ ❋ ❋

[وفد خَولان]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ خَوْلاَنَ[٥]، وَكَانُوا عَشَرَةً، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! نَحْنُ مُؤْمِنُونَ بِاللّهِ مُصَدِّقُونَ بِرَسُولِهِ، وَقَدْ ضَرَبْنَا إِلَيْكَ آبَاطَ الإِبِلِ، وَرَكِبْنَا حُزُونَ الأَرْضِ[٦] وَسُهُولَهَا، وَالْمِنَّةُ لِلّهِ وَلِرَسُولِهِ، وَقَدِمْنَا زَائِرِينَ لَكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«أَمَّا مَا ذَكَرْتُمْ مِنْ مَسِيرِكُمْ إِلَيَّ: فَإِنَّ لَكُمْ بِكُلِّ خَطْوَةٍ**

---

(١) أعطاهم جوائز.

(٢) أصابنا قحط.

(٣) بالهديّة.

(٤) وأخصبت بعد ذلك بلادهم.

(٥) من اليمن.

(٦) مرتفعاتها.

خَطَاهَا بَعِيرُ أَحَدِكُمْ حَسَنَةٌ، وَأَمَّا قَوْلُكُمْ: زَائِرِينَ لَكَ: فَإِنَّهُ مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»، ثُمَّ عَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَرَائِضَ الدِّينِ، وَأَمَرَهُمْ بِالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ، وَأَدَاءِ الأَمَانَةِ، وَحُسْنِ الْجِوَارِ، وَأَنْ لاَ يَظْلِمُوا أَحَداً، ثُمَّ أَجَازَهُمْ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، وَهَدَمُوا الصَّنَمَ الَّذِي كَانُوا يَعْبُدُونَهُ.

❋ ❋ ❋

[وفد مُحارب]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ مُحَارِبٍ، وَكَانُوا أَغْلَظَ الْعَرَبِ وَأَفَظَّهُمْ عَلَيْهِ أَيَّامَ عَرْضِهِ عَلَى الْقَبَائِلِ(١) يَدْعُوهُمْ إِلَى اللّهِ، فَجَاءَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ، فَأَسْلَمُوا، ثُمَّ انْصَرَفُوا إِلَى أَهْلِيهِمْ.

❋ ❋ ❋

[وفد صُداء]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ صُدَاءَ(٢)، وَكَانُوا خَمْسَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَبَايَعُوهُ عَلَى الإِسْلاَمِ، وَرَجَعُوا إِلَى قَوْمِهِمْ، فَفَشَا فِيهِمُ الإِسْلاَمُ(٣).

❋ ❋ ❋

---

(١) بعُكاظ.

(٢) من اليمن.

(٣) وقدم علىٰ رسول الله ﷺ منهم مئة في حِجة الوداع، وذَكر رئيسُهم زياد بن الحارث لرسول الله ﷺ أن لهم بئراً إذا كان الصيف قَلَّ ماؤها، وطلب منه أن يدعو الله لهم في بئرهم، فقال رسول الله ﷺ: «**ناولني سبع حصيات**» فعركهنّ بيده، ثم دفعهنّ إليه وقال: «**إذا انتهيت إليها فألقِ فيها حصاة حصاة، وسَمِّ الله**» قال زياد: ففعلت، فما أدركْنا لها قعراً حتى الساعة.

[وفد غسّان]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ غَسَّانَ ثَلاَثَةُ نَفَرٍ، فَأَسْلَمُوا، فَأَجَازَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِجَوَائِزَ، وَانْصَرَفُوا رَاجِعِينَ[1].

❋ ❋ ❋

[وفد سلامان]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ سَلاَمَانَ سَبْعَةُ نَفَرٍ، فَأَسْلَمُوا، وَشَكَوْا إِلَيْهِ جَدْبَ بِلاَدِهِمْ، فَدَعَا لَهُمْ، ثُمَّ وَدَّعُوهُ، وَأَمَرَ لَهُمْ بِالْجَوَائِزِ، وَرَجَعُوا إِلَى بِلاَدِهِمْ فَوَجَدُوهَا قَدْ أُمْطِرَتْ فِي الْيَوْمِ الَّذِي دَعَا لَهُمْ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

❋ ❋ ❋

[وفد بني عَبس]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي عَبْسٍ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدِمَ عَلَيْنَا قُرَّاؤُنَا وَأَخْبَرُونَا: أَنْ لاَ إِسْلاَمَ لِمَنْ لاَ هِجْرَةَ لَهُ، وَلَنَا أَمْوَالٌ وَمَوَاشٍ، فَإِنْ كَانَ لاَ إِسْلاَمَ لِمَنْ لاَ هِجْرَةَ لَهُ بِعْنَاهَا وَهَاجَرْنَا، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«اتَّقُوا اللَّهَ حَيْثُ كُنْتُمْ، فَلَنْ يَلِيتَكُمْ مِنْ عَمَلِكُمْ شَيْئاً»** (وَمَعْنَى «يَلِيتَكُمْ»: يَنْقُصكُمْ).

❋ ❋ ❋

(١) ولم يستجب لهم قومهم، فكتموا إسلامهم حتىٰ مات منهم اثنان، وأدرك الثالثُ منهم عمرَ بن الخطاب عام اليرموك، فأخبره بإسلامه، فكان يكرمه.

[وفد غامِد]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ غَامِدٍ عَشَرَةٌ، فَأَقَرُّوا بالإِسْلاَمِ، وَكَتَبَ لَهُمْ كِتَاباً فِيهِ شَرَائِعُ الإِسْلاَمِ، وَأَمَرَ أُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ فَعَلَّمَهُمْ قُرْآناً، وَأَجَازَهُمْ[1] عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَانْصَرَفُوا.

❋ ❋ ❋

[وفد الأَزْد]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ الأَزْدِ.

عَنْ عَلْقَمَةَ بْنِ يَزِيْدَ بْنِ سُوَيْدٍ الأَزْدِيِّ قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي قَالَ: وَفَدْتُ سَابِعَ سَبْعَةٍ مِنْ قَوْمِي عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا دَخَلْنَا عَلَيْهِ وَكَلَّمْنَاهُ أَعْجَبَهُ مَا رَأَى مِنْ سَمْتِنَا وَزِيِّنَا، فَقَالَ: «**مَا أَنْتُمْ؟**» قُلْنَا: مُؤْمِنُونَ، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَالَ: «**إِنَّ لِكُلِّ قَوْلٍ حَقِيقَةً، فَمَا حَقِيقَةُ قَوْلِكُمْ وَإِيمَانِكُمْ؟**» قُلْنَا: خَمسَ عَشْرَةَ خَصْلَةً: خَمْسٌ مِنْهَا أَمَرَتْنَا رُسُلُكَ أَنْ نُؤْمِنَ بِهَا، وَخَمْسٌ أَمَرَتْنَا أَنْ نَعْمَلَ بِهَا، وَخَمْسٌ تَخَلَّقْنَا بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَنَحْنُ عَلَيْهَا إِلاَّ أَنْ تَكْرَهَ مِنْهَا شَيْئاً، فَقَالَ ﷺ: «**مَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرَتْكُمْ بِهَا رُسُلِي؟**» قُلْنَا: أَمَرَتْنَا أَنْ نُؤْمِنَ بِاللَّهِ، وَمَلاَئِكَتِهِ، وَكُتُبِهِ، وَرُسُلِهِ، وَالْبَعْثِ بَعْدَ الْمَوْتِ، قَالَ: «**وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي أَمَرَتْكُمْ أَنْ تَعْمَلُوا بِهَا؟**» قُلْنَا: أَمَرَتْنَا أَنْ نَقُولَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَنُقِيمَ الصَّلاَةَ، وَنُؤْتِيَ الزَّكَاةَ، وَنَصُومَ رَمَضَانَ، وَنَحُجَّ الْبَيْتَ إِنِ اسْتَطَعْنَا إِلَيْهِ سَبِيلاً. قَالَ: «**وَمَا الْخَمْسُ الَّتِي تَخَلَّقْتُمْ بِهَا فِي الْجَاهِلِيَّةِ؟**» قُلْنَا: الشُّكْرُ عِنْدَ الرَّخَاءِ، وَالصَّبْرُ عِنْدَ الْبَلاَءِ، وَالرِّضَا بِمُرِّ الْقَضَاءِ، وَالصِّدْقُ فِي مَوَاطِنِ اللِّقَاءِ، وَتَرْكُ الشَّمَاتَةِ بِالأَعْدَاءِ، فَقَالَ ﷺ: «**حُكَمَاءُ، عُلَمَاءُ، كَادُوا مِنْ**

---

(١) أهداهم.

فِقْهِهِمْ أَنْ يَكُونُوا أَنْبِيَاءَ» ثُمَّ قَالَ ﷺ: «**وَأَنَا أَزِيدُكُمْ خَمْساً، فَتَتِمُّ لَكُمْ عِشْرُون خَصْلَةً إِنْ كُنْتُمْ كَمَا تَقُولُونَ: فَلاَ تَجْمَعُوا مَا لاَ تَأْكُلُونَ، وَلاَ تَبْنُوا مَا لاَ تَسْكُنُونَ، وَلاَ تَنَافَسُوا فِي شَيْءٍ أَنْتُمْ عَنْهُ غَداً زَائِلُونَ، وَاتَّقُوا اللّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ وَعَلَيْهِ تُعْرَضُونَ، وَارْغَبُوا فِيمَا عَلَيْهِ تَقْدَمُونَ وَفِيهِ تَخْلُدُونَ**»، فَانْصَرَفُوا وَقَدْ حَفِظُوا وَصِيَّتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَعَمِلُوا بِهَا رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ.

❋ ❋ ❋

[وفد بني المُنتَفِق]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ بَنِي الْمُنْتَفِقِ، قَالَ عَاصِمُ بْنُ لَقِيطٍ: إِنَّ لَقِيطَ بْنَ عَامِرٍ خَرَجَ وَافِداً عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ يُقَالُ لَهُ: نَهِيكُ بْنُ عَاصِمِ بْنِ مَالِكِ بْنِ الْمُنْتَفِقِ، قَالَ: فَوَافَيْنَاهُ ﷺ حِينَ انْصَرَفَ مِنْ صَلاَةِ الْغَدَاةِ[(١)]، فَقَامَ فِي النَّاسِ خَطِيباً فَقَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! أَلاَ إِنِّي قَدْ خَبَأْتُ لَكُمْ صَوْتِي مُنْذُ أَرْبَعَةِ أَيَّام لِتَسْمَعُوا الْيَوْمَ، أَلاَ فَهَلْ مِنْ امْرِىءٍ بَعَثَهُ قَوْمُهُ فَقَالُوا لَهُ: اعْلَمْ لَنَا مَا يَقُولُ رَسُولُ اللّهِ؟ أَلاَ ثُمَّ لَعَلَّهُ يُلْهِيهِ حَدِيثُ نَفْسِهِ أَوْ حَدِيثُ صَاحِبِهِ، أَلاَ وَإِنِّي مَسْؤُولٌ هَلْ بَلَّغْتُ؟ أَلاَ اسْمَعُوا تَعِيشُوا**». الْحَدِيثَ، وَفِيهِ ذِكْرُ الْبَعْثِ وَالنُّشُورِ[(٢)]، وَالْجَنَّةِ وَالنَّارِ، وَفِيهِ: ثُمَّ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ عَلاَمَ أُبَايِعُكَ؟ فَبَسَطَ ﷺ يَدَهُ وَقَالَ: «**عَلَى إِقَامِ الصَّلاَةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَأَنْ لاَ تُشْرِكَ بِاللّهِ شَيْئاً**» الْحَدِيثَ.

❋ ❋ ❋

(١) الصبح.

(٢) الإحياء بعد الموت.

[وفد النَّخع]

وَقَدِمَ عَلَيْهِ ﷺ وَفْدُ النَّخعِ، وَهُمْ آخِرُ الوُفُودِ، فِي مِئَتَيْ رَجُلٍ، فَنَزَلُوا دَارَ الأَضْيَافِ، ثُمَّ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مُقِرِّينَ بِالإِسْلاَمِ، وَقَدْ كَانُوا بَايَعُوا مُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يُقَالُ لَهُ زُرَارَةُ بْنُ عَمْرٍو: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي رَأَيْتُ فِي سَفَرِي هٰذَا عَجَباً، قَالَ: «**وَمَا رَأَيْتَ؟**» قَالَ: رَأَيْتُ أَتَاناً[١] تَرَكْتُهَا كَأَنَّهَا وَلَدَتْ جَدْياً أَسْفَعَ أَحْوَىٰ[٢]، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هَلْ تَرَكْتَ لَكَ مُصِرَّةً[٣] عَلَى حَمْلٍ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**فَإِنَّهَا قَدْ وَلَدَتْ غُلاَماً وَهُوَ ابْنُكَ**» قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا بَالُهُ أَسْفَعَ أَحْوَى؟ قَالَ: «**ادْنُ مِنِّي**» فَدَنَا مِنْهُ، قَالَ: «**هَلْ بِكَ مِنْ بَرَصٍ تَكْتُمُهُ؟**» قَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ نَبِيًّا مَا عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ، وَلاَ اطَّلَعَ عَلَيْهِ غَيْرُكَ، قَالَ: «**فَهُوَ ذٰلِكَ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَرَأَيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ عَلَيْهِ قُرْطَانِ وَدُمْلُجَانِ وَمَسَكَتَانِ[٤]، قَالَ: «**ذٰلِكَ مُلْكُ الْعَرَبِ، رَجَعَ إِلَى أَحْسَنِ زِيِّهِ وَبَهْجَتِهِ**».

قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَرَأَيْتُ عَجُوزاً شَمْطَاءَ[٥] خَرَجَتْ مِنَ الأَرْضِ، قَالَ: «**تِلْكَ بَقِيَّةُ الدُّنْيَا**».

قَالَ: وَرَأَيْتُ نَاراً خَرَجَتْ مِنَ الأَرْضِ، فَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ابْنٍ لِي يُقَالُ لَهُ عَمْرٌو، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**تِلْكَ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا الْفِتْنَةُ؟ قَالَ: «**يَقْتُلُ النَّاسُ إِمَامَهُمْ**»، وَخَالَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) وهي أنثىٰ الحمار.

(٢) به سواد وبياض.

(٣) حاملاً.

(٤) الدُّمْلُج: سوار يحيط بالعضد. والمَسَك: الأساور والخلاخيل.

(٥) اختلط بياض شعر رأسها بسواده.

بَيْنَ أَصَابِعِهِ[1]، يَحْسِبُ الْمُسِيءُ فِيهَا أَنَّهُ مُحْسِنٌ، وَيَكُونُ دَمُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَحْلَى مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ، إِنْ مَاتَ ابْنُكَ أَدْرَكَتْكَ الْفِتْنَةُ، وَإِنْ مُتَّ أَنْتَ أَدْرَكَهَا ابْنُكَ، قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُ اللَّهَ أَنْ لاَ أُدْرِكَهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ لاَ يُدْرِكْهَا**»، فَمَاتَ، فَبَقِيَ ابْنُهُ، فَكَانَ مِمَّنْ خَلَعَ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ.

(١) أدخل بعضها في بعض.

المقصِد الثالث

فِيمَا فَضَّلَهُ اللّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَمَالِ خِلْقَتِهِ، وَجَمَالِ صُورَتِهِ، وَأَخْلاَقِهِ الْزَّكِيَّةِ، وَأَوْصَافِهِ الْمَرْضِيَّةِ، وَمَا تَدْعُو ضَرُورَةُ حَيَاتِهِ إِلَيْهِ، وَهُوَ يَشْتَمِلُ عَلَى شَمَائِلِهِ الْشَّرِيفَةِ ﷺ.

وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي ذِكْرِ كَمَالِ خِلْقَتِهِ وَجَمَالِ صُورَتِهِ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ مِنْ تَمَامِ الإِيمَانِ بِهِ ﷺ الإِيمَانَ بِأَنَّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ جَعَلَ خَلْقَ بَدَنِهِ الشَّرِيفِ عَلَى وَجْهٍ لَمْ يَظْهَرْ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ خَلْقُ آدَمِيٍّ مِثْلُهُ، قَالَ الأَبُوصِيرِيُّ:

فَهُوَ الَّذِي تَمَّ مَعْنَاهُ وَصُورَتُهُ ... ثُمَّ اصْطَفَاهُ حَبِيباً بَارِىءُ النَّسَمِ

مُنَزَّهٌ عَنْ شَرِيكٍ فِي مَحَاسِنِهِ ... فَجَوْهَرُ الْحُسْنِ فِيهِ غَيْرُ مُنْقَسِمِ

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: لَمْ يَظْهَرْ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ ﷺ، لأَنَّهُ لَوْ ظَهَرَ لَنَا تَمَامُ حُسْنِهِ لَمَا أَطَاقَتْ أَعْيُنُنَا رُؤْيَتَهُ ﷺ.

فَأَمَّا وَجْهُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَقَدْ رَوَى الشَّيْخَانِ عَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً وَأَحْسَنَهُمْ خُلُقاً.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: مَا رَأَيْتُ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، كَأَنَّ الشَّمْسَ تَجْرِي فِي وَجْهِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[(١)].

---

(١) كأحمد وابن حبان.

وَسُئِلَ الْبَرَاءُ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ فَقَالَ: لاَ، بَلْ مِثْلَ الْقَمَرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِم مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ وَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: أَكَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ مِثْلَ السَّيْفِ؟ فَقَالَ: لاَ، بَلْ مِثْلَ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ، وَكَانَ مُسْتَدِيراً.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فِي لَيْلَةِ إِضْحِيَانٍ - أَيْ: مُقْمِرَةٍ - وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَإِلَى الْقَمَرِ، فَلَهُوَ فِي عَيْنَيَّ أَحْسَنُ مِنَ الْقَمَرِ.

وَرَوَى الْتِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[١] عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّهُ نَعَتَهُ ﷺ فَقَالَ: لَمْ يَكُنْ بِالْمُطَهَّمِ، وَلاَ الْمُكَلْثَمِ، وَكَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ. (وَالْمُطَهَّمُ: الْكَثِيرُ السِّمَنِ. وَالْمُكَلْثَمُ: الْمُدَوَّرُ الْوَجْهِ[٢]) أَيْ: لَمْ يَكُنْ شَدِيدَ تَدْوِيرِ الْوَجْهِ، بَلْ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ قَلِيلٌ.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَسِيلَ الْخَدَّيْنِ (وَالْخَدُّ الأَسِيلُ: هُوَ مَا فِيهِ اسْتِطَالَةٌ، غَيْرُ مُرْتَفِعِ الْوَجْنَةِ).

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ عَنْ كَعْبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا سُرَّ اسْتَنَارَ وَجْهُهُ، كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ، وَكُنَّا نَعْرِفُ ذٰلِكَ مِنْهُ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ ﷺ إِذَا سُرَّ تَبْرُقُ أَسَارِيرُ[٣] وَجْهِهِ[٤]، كَأَنَّهُ قِطْعَةُ قَمَرٍ.

وَفِي حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ: الْتَفَتَ إِلَيْنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِوَجْهٍ مِثْلِ شِقَّةِ الْقَمَرِ. فَهٰذَا مَحْمُولٌ عَلَى صِفَتِهِ عِنْدَ الالْتِفَاتِ.

---

(١) كالبيهقي.

(٢) الممتلىء الخدّين.

(٣) وهي الخطوط التي في الجبهة.

(٤) رواه البخاري.

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ وَكَعْبِ بْنِ مَالِكٍ: كَانَ وَجْهُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ كَأَنَّهُ دَارَةُ قَمَرٍ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ الْهَمْدَانِيِّ، عَنِ امْرَأَةٍ مِنْ هَمْدَانَ، قَالَتْ: حَجَجْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ، فَقُلْتُ لَهَا: شَبِّهِيهِ، قَالَتْ: كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لَمْ أَرَ قَبْلَهُ وَلاَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ.

وَرَوَى الدَّارِمِيُّ، وَغَيْرُهُ[1] عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، قَالَ: قُلْتُ لِلرُّبَيِّعِ بِنْتِ مُعَوِّذٍ: صِفِي لِي رَسُولَ اللّهِ ﷺ، قَالَتْ: لَوْ رَأَيْتَهُ قُلْتَ: الشَّمْسُ طَالِعَةً.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ، أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: صِفْ لَنَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا سُرَّ فَكَأَنَّ وَجْهَهُ الْمِرْآةُ، كَأَنَّ الْجُدُرَ تُرَى فِي وَجْهِهِ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ[2] يَتَلأْلأُ وَجْهُهُ تَلأْلُؤَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ.

وَأَمَّا بَصَرُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَقَدْ وَصَفَهُ اللّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[3].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ[4] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا، وَالْبَيْهَقِيُّ[5] عَنْ

---

(١) كالبيهقي والطبراني.

(٢) وهو هند بن أبي هالة، وهو ابن خديجة بنت خويلد من زوجها الأول أبي هالة، وهو ربيب النبي ﷺ.

(٣) سورة النجم، الآية: ١٧.

(٤) ليس الحديث في البخاري كما قال الزرقاني.

(٥) بسند حسن لكثرة شواهده.

عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَرَى بِاللَّيْلِ فِي الظُّلْمَةِ، كَمَا يَرَى بِالنَّهَارِ فِي الضَّوْءِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**هَلْ تَرَوْنَ قِبْلَتِي هَهُنَا؟ فَوَاللَّهِ مَا يَخْفَى عَلَيَّ رُكُوعُكُمْ وَلاَ سُجُودُكُمْ، إِنِّي لأَرَاكُمْ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِي**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَعِنْدَ مُسْلِمٍ مِنْ رِوَايَةِ أَنَسٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي إِمَامُكُمْ، فَلاَ تَسْبِقُونِي بِالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، فَإِنِّي أَرَاكُمْ مِنْ أَمَامِي وَمِنْ خَلْفِي**».

وَعَنْ مُجَاهِدٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ﴿٢١٩﴾﴾[(١)] قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ مِنَ الصُّفُوفِ، كَمَا يَرَى مَنْ بَيْنَ يَدَيْهِ[(٢)].

وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَرَى فِي الثُّرَيَّا أَحَدَ عَشَرَ نَجْماً[(٣)]. وَعِنْدَ السُّهَيْلِيِّ: اثْنَيْ عَشَرَ[(٤)].

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ أَبِي هَالَةَ: وَإِذَا الْتَفَتَ الْتَفَتَ جَمِيعاً، خَافِضَ الطَّرْفِ، نَظَرُهُ ﷺ إِلَى الأَرْضِ أَطْوَلُ مِنْ نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ، جُلُّ نَظَرِهِ الْمُلاَحَظَةُ ـ وَهِيَ مُفَاعَلَةٌ مِنَ اللَّحْظِ، وَهُوَ النَّظَرُ بِشِقِّ الْعَيْنِ الَّذِي يَلِي الصُّدْغَ ـ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَظِيمَ الْعَيْنَيْنِ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ[(٥)]، مُشْرَبَ الْعَيْنِ بِحُمْرَةٍ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

---

(١) سورة الشعراء، الآية: **٢١٩**.

(٢) رواه ابن المنذر والبيهقي مرسلاً.

(٣) ذكره ابن خيثمة.

(٤) والثريا: عنقود نجمي، ترىٰ العين المجرّدة العاديّة فيه ستة نجوم، أما العين القوية فترىٰ سبعة نجوم، وبعض العيون الممتازة ترىٰ حتىٰ ١٢ نجماً. لذا فقد استعملت كمقياس لقوة الأبصار.

(٥) الشُفر: حرف الجَفن الذي ينبت عليه الهُدب (الشعر).

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ ضَلِيعَ[1] الْفَمِ، أَشْكَلَ الْعَيْنَيْنِ، مَنْهُوسَ الْقَدَمَيْنِ[2]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (وَالشُّكْلَةُ: الْحُمْرَةُ تَكُونُ فِي بَيَاضِ الْعَيْنِ، وَهُوَ مَحْمُودٌ مَحْبُوبٌ، وَأَمَّا الشُّهْلَةُ فَإِنَّهَا حُمْرَةٌ فِي سَوَادِهَا).

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ فِي حَدِيثٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ نَعَتَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، قَالَ: كَانَ فِي وَجْهِهِ تَدْوِيرٌ، أَبْيَضُ، مُشْرَبٌ[3]، أَدْعَجُ الْعَيْنَيْنِ[4]، أَهْدَبُ الأَشْفَارِ ـ وَهِيَ شَعَرُ الْعَيْنِ[5] ـ.

وَعِنْدَهُ أَيْضاً عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَسْوَدَ الْحَدَقَةِ، أَهْدَبَ الأَشْفَارِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَنِي النَّبِيُّ ﷺ إِلَى الْيَمَنِ، فَرَآنِي حَبْرٌ مِنْ أَحْبَارِ الْيَهُودِ، فَقَالَ لِي: صِفْ أَبَا الْقَاسِمِ، فَقُلْتُ: لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ. الْحَدِيثَ وَفِيهِ: قَالَ عَلِيٌّ: ثُمَّ سَكَتُّ، فَقَالَ الْحَبْرُ: وَمَاذَا؟ قُلْتُ: هٰذَا مَا يَحْضُرُنِي، قَالَ الْحَبْرُ: فِي عَيْنَيْهِ حُمْرَةٌ، حَسَنُ اللِّحْيَةِ، ثُمَّ قَالَ عَلِيٌّ: هٰذِهِ وَاللّهِ صِفَتُهُ، قَالَ الْحَبْرُ: فَإِنِّي أَجِدُ هٰذِهِ الصِّفَةَ فِي سِفْرِ آبَائِي، وَأَنَا أَشْهَدُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَأَنَّهُ رَسُولُ اللّهِ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً.

وَأَمَّا سَمْعُهُ الشَّرِيفُ:

فَقَدْ قَالَ ﷺ: «**إِنِّي أَرَى مَا لاَ تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لاَ تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقَّ لَهَا أَنْ تَئِطَّ، لَيْسَ فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعَ إِلاَّ وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدٌ لِلّهِ تَعَالَى**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي ذَرٍّ.

---

(١) واسع.

(٢) قليل لحم القدمين.

(٣) بحمرة.

(٤) الدُّعجة: اشتداد السواد والبياض مع الاتساع.

(٥) غزارة فيه مع طول.

وَرَوَى أَبُو نُعَيْم عَنْ حَكِيم بْنِ حِزَام: بَيْنَمَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي أَصْحَابِهِ إِذْ قَالَ لَهُمْ: **«تَسْمَعُونَ مَا أَسْمَعُ؟»** قَالُوا: مَا نَسْمَعُ مِنْ شَيْءٍ، قَالَ: **«إِنِّي لأَسْمَعُ أَطِيطَ السَّمَاءِ، وَمَا تُلاَمُ أَن تَئِطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ شِبْرٍ إِلاَّ وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ أَوْ قَائِمٌ»** (وَالأَطِيطُ: الصَّوْتُ).

وَأَمَّا جَبِينُهُ الْكَرِيمُ:

فَقَدْ كَانَ ﷺ وَاضِحَ الْجَبِينِ، مَقْرُونَ الْحَاجِبَيْنِ[1]، بِهٰذَا وَصَفَهُ عَلِيٌّ، فَقَالَ: مَقْرُونُ الْحَاجِبَيْنِ، صَلْتُ الْجَبِينِ ـ أَيْ: وَاضِحُهُ ـ.

وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنَ الصَّحَابَةِ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَإِذَا رَجُلٌ حَسَنُ الْجِسْمِ، عَظِيمُ الْجَبْهَةِ، دَقِيقُ الْحَاجِبَيْنِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: أَزَجَّ الْحَوَاجِبِ، وَفُسِّرَ بِالْمُقَوَّسِ الطَّوِيلِ الْوَافِرِ الشَّعَرِ، ثُمَّ قَالَ: سَوَابِغَ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ، بَيْنَهُمَا عِرْقٌ يُدِرُّهُ الْغَضَبُ.

وَعَنْ مُقَاتِلِ بْنِ حَيَّانَ قَالَ: أَوْحَى اللّهُ تَعَالَى إِلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: اسْمَعْ وَأَطِعْ يَا ابْنَ الطَّاهِرَةِ الْبِكْرِ الْبَتُولِ، إِنِّي خَلَقْتُكَ مِنْ غَيْرِ فَحْلٍ، فَجَعَلْتُكَ آيَةً لِلْعَالَمِينَ، فَإِيَّايَ فَاعْبُدْ، وَعَلَيَّ فَتَوَكَّلْ، فَسِرْ لأَهْلِ سُورَانَ: إِنِّي أَنَا اللّهُ الْحَيُّ الْقَيُّومُ، لاَ أَزُولُ، صَدِّقُوا النَّبِيَّ الأُمِّيَّ، صَاحِبَ الْجَمَلِ وَالْمِدْرَعَةِ[2] وَالْعِمَامَةِ وَالنَّعْلَيْنِ وَالْهِرَاوَةِ[3]، الْجَعْدَ الرَّأْسِ، الصَّلْتَ الْجَبِينِ، الْمَقْرُونَ الْحَاجِبَيْنِ، الأَهْدَبَ الأَشْفَارِ، الأَدْعَجَ الْعَيْنَيْنِ[4]، الأَنْجَلَ

---

(١) بل غير مقرونَين كما سيأتي في كلام ابن الأثير.

(٢) وهي ثوب من صوف مشقوق المقدّم، يسمّىٰ الجُبّة.

(٣) العصا الضخمة. قال القاضي عياض في الشفا: وأُراها ـ والله أعلم ـ العصا المذكورة في حديث الحوض: **«أذود الناس بعصاي لأهل اليمن»** رواه مسلم.

(٤) الدُّعجة: اشتداد السواد والبياض مع الاتساع.

الْعَيْنَيْنِ، الأَقْنَى الأَنْفِ، الْوَاضِحَ الْخَدَّيْنِ، الْكَثَّ[1] اللِّحْيَةِ، عَرَقُهُ فِي وَجْهِهِ كَاللُّؤْلُؤِ، وَرِيحُ الْمِسْكِ يَنْفَحُ مِنْهُ، كَأَنَّ عُنُقَهُ إِبْرِيقُ فِضَّةٍ. الْحَدِيثُ. (وَالأَنْجَلُ: الْوَاسِعُ شِقِّ الْعَيْنِ، وَالْقَرَنُ بِالتَّحْرِيكِ: الْتِقَاءُ الْحَاجِبَيْنِ).

قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: وَالصَّحِيحُ فِي صِفَتِهِ ﷺ أَنَّ حَوَاجِبَهُ سَوَابِغُ مِنْ غَيْرِ قَرَنٍ، كَمَا وَصَفَهُ ﷺ بِهِ ابْنُ أَبِي هَالَةَ[2].

(وَالْقَنَىٰ فِي الأَنْفِ: طُولُهُ وَرِقَّةُ أَرْنَبَتِهِ مَعَ حَدَبٍ قَلِيلٍ فِي وَسَطِهِ).

وَقَدْ وَصَفَهُ ﷺ ابْنُ أَبِي هَالَةَ وَغَيْرُهُ: بِأَنَّهُ كَانَ عَظِيمَ الْهَامَةِ ـ أَيْ: الرَّأْسِ ـ.

وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: ضَخْمُ الرَّأْسِ.

وَقَالَ أَنَسٌ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ضَخْمَ الْكَرَادِيسِ ـ وَهِيَ رُؤُوسُ الْعِظَامِ ـ.

وَقَالَ فِي رِوَايَةِ الْتِّرْمِذِيِّ: جَلِيلَ الْمُشَاشِ وَالْكَتَدِ، وَفُسِّرَ بِرُؤُوسِ الْعِظَامِ، كَالرُّكْبَتَيْنِ وَالْمِرْفَقَيْنِ وَالْمَنْكِبَيْنِ ـ أَيْ عَظِيمَهَا ـ (وَالْكَتَدُ: مُجْتَمَعُ الْكَتِفَيْنِ).

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ دَقِيقَ الْعِرْنَيْنِ ـ أَيْ: أَعْلَى الأَنْفِ ـ كَمَا وَصَفَهُ بِهِ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَوَصَفَهُ أَيْضاً بِأَقْنَى الأَنْفِ، وَفُسِّرَ بِالسَّائِلِ الْمُرْتَفِعِ الْوَسَطِ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: أَقْنَى الْعِرْنِينِ، لَهُ نُورٌ يَعْلُوهُ، يَحْسِبُهُ مَنْ لَمْ يَتَأَمَّلْهُ أَشَمَّ (وَالأَشَمُّ: الطَّوِيلُ قَصَبَةِ الأَنْفِ).

---

(١) الغزير.

(٢) وقد تقدم قريباً أن ابن أبي هالة بن زرارة التميمي هو ربيب المصطفىٰ ﷺ، وكان لصغره يتشبّع من النظر إليه، ولذا أكثرَ من وصفه فاشتهر بهندِ الوصّاف، وسبق بذلك كبار الصحابة، لأنهم كانوا يهابون إطالة النظر إليه ﷺ.

وَأَمَّا فَمُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ ﷺ كَانَ ضَلِيعَ الْفَمِ[1].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: يَفْتَتِحُ الْكَلاَمَ وَيَخْتَتِمُهُ بِأَشْدَاقِهِ، يَعْنِي: لِسَعَةِ فَمِهِ، وَالْعَرَبُ تَمْدَحُ بِهِ، وَتَذُمُّ بِصِغَرِ الْفَمِ.

وَوَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ فَقَالَ: أَشْنَبَ مُفَلَّجَ الأَسْنَانِ[2]. (وَالشَّنَبُ: رَوْنَقُ الأَسْنَانِ وَمَاؤُهَا. وَمُفَلَّجُ الأَسْنَانِ: أَيْ مُتَفَرِّقُهَا).

وَقَالَ عَلِيٌّ: مُبَلَّجُ الثَّنَايَا[3]. وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهُ: بَرَّاقُ الثَّنَايَا[4].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَفْلَجَ الثَّنِيَّتَيْنِ، إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[5].

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ أَحْسَنَ عِبَادِ اللهِ شَفَتَيْنِ، وَأَلْطَفَهُمْ خَتْمَ فَمٍ.

وَعَنْ أَبِي قِرْصَافَةَ قَالَ: بَايَعْنَا رَسُولَ اللهِ ﷺ أَنَا وَأُمِّي وَخَالَتِي، فَلَمَّا رَجَعْنَا قَالَتْ لِي أُمِّي وَخَالَتِي: يَا بُنَيَّ مَا رَأَيْنَا مِثْلَ هٰذَا الرَّجُلِ أَحْسَنَ وَجْهاً، وَلاَ أَنْقَى ثَوْباً، وَلاَ أَلْيَنَ كَلاَماً، وَرَأَيْنَا كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ فِيهِ.

وَأَمَّا رِيقُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَفِي الصَّحِيحِ[6] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ:

---

(١) رواه مسلم.

(٢) الفَلَج: تباعدٌ قليل في الثنايا فقط.

(٣) مُشرقها ومُضيئها.

(٤) وهي مقدَّم الأسنان.

(٥) في الشمائل، والدارمي، والطبراني في الأوسط، وسنده ضعيف.

(٦) الذي رواه الشيخان.

«**لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رَجُلاً يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَى يَدَيْهِ، يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ، وَيُحِبُّهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ**»، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كُلُّهُمْ يَرْجُو أَنْ يُعْطَاهَا، قَالَ: «**أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟**» قَالُوا: هُوَ ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ! ـ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: «**فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ**» فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ.

وَمَجَّ ﷺ فِي بِئْرٍ، فَفَاحَ مِنْهَا رَائِحَةُ الْمِسْكِ[(١)]، وَبَصَقَ فِي بِئْرٍ فِي دَارِ أَنَسٍ، فَلَمْ يَكُنْ بِالْمَدِينَةِ بِئْرٌ أَعْذَبَ مِنْهَا[(٢)].

وَكَانَ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ يَدْعُو بِرُضَعَائِهِ وَرُضَعَاءِ ابْنَتِهِ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، فَيَتْفِلُ فِي أَفْوَاهِهِمْ، وَيَقُولُ لِلأُمَّهَاتِ: «**لاَ تُرْضِعْنَهُمْ إِلَى اللَّيْلِ**» فَكَانَ رِيقُهُ ﷺ يَجْزِيهِمْ[(٣)]. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ عُمَيْرَةُ بِنْتُ مَسْعُودٍ هِيَ وَأَخَوَاتُهَا يُبَايِعْنَهُ، وَهُنَّ خَمْسٌ، فَوَجَدْنَهُ يَأْكُلُ قَدِيداً[(٤)]، فَمَضَغَ لَهُنَّ قَدِيدَةً فَمَضَغْنَهَا، كُلُّ وَاحِدَةٍ قِطْعَةً، فَلَقِينَ اللَّهَ وَمَا وُجِدَ لأَفْوَاهِهِنَّ خُلُوفٌ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ. (وَالْخُلُوفُ: تَغَيُّرُ رَائِحَةِ الْفَمِ).

وَمَسَحَ ﷺ بِيَدِهِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ أَنْ نَفَثَ فِيهَا مِنْ رِيقِهِ عَلَى ظَهْرِ عُتْبَةَ وَبَطْنِهِ، وَكَانَ بِهِ شَرًى، فَمَا كَانَ يُشَمُّ أَطْيَبُ مِنْهُ رَائِحَةً[(٥)].

وَأَعْطَى الْحَسَنَ لِسَانَهُ، وَكَانَ قَدِ اشْتَدَّ ظَمَؤُهُ، فَمَصَّهُ حَتَّى رَوِيَ[(٦)].

---

(١) رواه أحمد وابن ماجه.
(٢) رواه أبو نُعيم.
(٣) يكفيهم.
(٤) لحماً مملّحاً مجففاً.
(٥) رواه الطبراني.
(٦) رواه ابن عساكر.

وَأَمَّا فَصَاحَةُ لِسَانِهِ ﷺ:

فَكَانَ أَفْصَحَ خَلْقِ اللّهِ، وَأَعْذَبَهُمْ كَلاَماً، حَتّى كَأَنَّ كَلاَمَهُ يَأْخُذُ بِالْقُلُوبِ. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: مَا كَانَ ﷺ يَسْرُدُ سَرْدَكُمْ هٰذَا، كَانَ يُحَدِّثُ حَدِيثاً لَوْ عَدَّهُ الْعَادُ لأَحْصَاهُ[1]. وَكَانَ يُعِيدُ الْكَلِمَةَ ثَلاَثاً لِتُفْهَمَ عَنْهُ[2]، وَكَانَ يَقُولُ: «**أَنَا أَفْصَحُ الْعَرَبِ، وَإِنَّ أَهْلَ الْجَنَّةِ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ**»[3].

وَقَالَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا لَكَ أَفْصَحُنَا وَلَمْ تَخْرُجْ مِنْ بَيْنِ أَظْهُرِنَا؟ قَالَ: «**كَانَتْ لُغَةُ إِسْمَاعِيلَ قَدْ دَرَسَتْ، فَجَاءَنِي بِهَا جِبْرِيلُ، فَحَفَّظَنِيهَا**» رَوَاهُ أَبُو نُعَيْم.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْنَا: يَا نَبِيَّ اللّهِ نَحْنُ بَنُو أَبٍ وَاحِدٍ، وَنَشَأْنَا فِي بَلَدٍ وَاحِدٍ، وَإِنَّكَ تُكَلِّمُ الْعَرَبَ بِلِسَانٍ مَا نَفْهَمُ أَكْثَرَهُ[4]، فَقَالَ: «**إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَنِي فَأَحْسَنَ تَأْدِيبِي، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدِ بْنِ بَكْرٍ**»[5].

وَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! لَقَدْ طُفْتُ فِي الْعَرَبِ، وَسَمِعْتُ فُصَحَاءَهُمْ، فَمَا سَمِعْتُ أَفْصَحَ مِنْكَ، قَالَ: «**أَدَّبَنِي رَبِّي، وَنَشَأْتُ فِي بَنِي سَعْدٍ**»[6]، وَأَمَّا مَا يُرْوَى: أَنَا أَفْصَحُ مَنْ نَطَقَ بِالضَّادِ، فَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: لاَ أَصْلَ لَهُ، لٰكِنْ مَعْنَاهُ صَحِيحٌ.

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه الترمذي.

(٣) رواه الحاكم وصحّحه.

(٤) وذلك أن رَجُلاً من بني سُليم قال للنبي ﷺ: يا رسول الله! أيُدالِك الرجل امرأته؟ قال: «**نعم إذا كان مُلفِجاً**»، فقال له أبو بكر: يا رسول الله! ما قال لك وما قلتَ له؟ قال: «**قال لي: أيماطل الرجل امرأته؟ قلت: نعم، إذا كان مفلِساً**»، فقال أبو بكر: ما رأيت أفصح منك، فمَن أدّبك؟...

(٥) رواه الطبراني في الكبير بسند ضعيف.

(٦) رواه ابن عساكر بسند ضعيف.

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسُ مِنْ كَلامِهِ ﷺ الْمُفْرَدِ الْمُوجَزِ الْبَدِيعِ الَّذِي لَمْ يُسْبَقْ إِلَيْهِ دَوَاوِينَ، وَفِي كِتَابِ الشِّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَاض مِنْ ذٰلِكَ مَا يَشْفِي الْغَلِيلَ، كَقَوْلِهِ ﷺ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[١].

وَقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ[٢]: «**أَسْلِمْ تَسْلَمْ**» و«**أَسْلِمْ يُؤْتِكَ اللّهُ أَجْرَكَ مَرَّتَيْنِ**»[٣] و«**السَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ**»[٤].

وَمِمَّا لَمْ يَذْكُرْهُ رَحِمَهُ اللّهُ، قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

«**لَيسَ لِلْعَامِلِ مِنْ عَمَلِهِ إِلاَّ مَا نَوَاهُ**»[٥].

«**نِيَّةُ الْمُؤْمِنِ خَيْرٌ مِنْ عَمَلِهِ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[٦].

«**يَا خَيْلَ اللّهِ ارْكَبِي**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ[٧].

«**الْوَلَدُ لِلْفِرَاشِ، وَلِلْعَاهِرِ الْحَجَرُ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ (وَالْعَاهِرُ: الزَّانِي).

«**كُلُّ الصَّيْدِ فِي جَوْفِ الْفَرَا**» رَوَاهُ الرَّامَهُرْمُزِيُّ[٨]. (وَالْفَرَا: حِمَارُ الْوَحْش).

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) لهِرَقْل عظيم الروم.

(٣) رواهما الشيخان.

(٤) أخرجه الديلمي في مسنده، والبيهقي في الدلائل، وابن عساكر في تاريخه، وأبو نُعيم في الحلية. قال بعض شراحه: حسن غريب. انظر فيض القدير شرح الجامع الصغير، وصححه الحافظ وشيخه العراقي.

(٥) رواه البخاري بلفظ: «**ولكل امرىءٍ ما نوىٰ**».

(٦) وقال الحافظ العراقي: إنه ضعيف.

(٧) الذي في المواهب وشرحها: رواه أبو الشيخ في الناسخ والمنسوخ عن سعيد بن جبير، والعسكري عن أنس، وابن عائذ في المغازي عن قتادة.

(٨) في الأمثال، وسنده جيد، ولكنه مرسل.

«الْحَرْبُ خَدْعَةٌ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

«إِيَّاكُمْ وَخَضْرَاءَ الدِّمَنِ: الْمَرْأَةَ الْحَسْنَاءَ فِي الْمَنْبَتِ السُّوءِ» رَوَاهُ الرَّامَهُرْمُزِيُّ[1]. (وَالدِّمَنُ: جَمْعُ دِمْنَةٍ وَهِيَ الْبَعْرُ).

«الأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْبَتِي»[2] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ - أَيْ: إِنَّهُمْ بِطَانَتُهُ وَمَوْضِعُ سِرِّهِ -.

«لاَ يَجْنِي جَانٍ إِلاَّ عَلَى نَفْسِهِ» رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ.

«لَيْسَ الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ النَّاسَ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ مَنْ غَلَبَ نَفْسَهُ» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ.

«لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الْغَضَبِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

«لَيْسَ الْخَبَرُ كَالْمُعَايَنَةِ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[3].

«الْمَجَالِسُ بِالأَمَانَةِ» رَوَاهُ الْعُقَيْلِيُّ.

«الْبَلاَءُ مُوَكَّلٌ بِالْمَنْطِقِ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ[4].

«تَرْكُ الشَّرِّ صَدَقَةٌ»[5].

«أَيُّ دَاءٍ أَدْوَى مِنَ الْبُخْلِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) بسند ضعيف.

(٢) أصل العَيبة: وعاء من جلد ونحوه يكون فيه المتاع، ومعناها هنا: موضع السّرّ.

(٣) كالطبراني.

(٤) كالبخاري في الأدب المفرد.

(٥) رواه البخاري بلفظ: **«علىٰ كل مسلم صدقة»** فقالوا: يا نبي الله! فَمَن لم يجد؟ قال: **«يعمل بيده فينفع نفسه ويتصدّق»**، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: **«يعين ذا الحاجة الملهوف»**، قالوا: فإن لم يجد؟ قال: **«فليعمل بالمعروف، وليُمسك عن الشر، فإنها له صدقة»**.

«لاَ يَنْتَطِحُ فِيهَا عَنْزَانِ»[1] - أَيْ: لاَ يَجْرِي فِيهَا خِلاَفٌ وَلاَ نِزَاعٌ -.
«الْحَيَاءُ خَيْرٌ كُلُّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.
«الْيَمِينُ الْفَاجِرَةُ تَدَعُ الدِّيَارَ بَلاَقِعَ»[2] رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ.
«سَيِّدُ الْقَوْمِ خَادِمُهُمْ» رَوَاهُ أَبُو عَبْدِالرَّحْمٰنِ السُّلَمِيُّ[3].
«فَضْلُ الْعِلْمِ خَيْرٌ مِنْ فَضْلِ الْعِبَادَةِ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ[4].

«الْخَيْلُ فِي نَوَاصِيهَا الْخَيْرُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ، وَفِي لَفْظِ «مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيهَا الْخَيْرُ».

«أَعْجَلُ الأَشْيَاءِ عُقُوبَةً الْبَغْيُ»[5].

«إِنَّ مِنَ الْبَيَانِ لَسِحْراً، وَإِنَّ مِنَ الْعِلْمِ جَهْلاً، وَإِنَّ مِنَ الشِّعْرِ حِكَماً» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

«الصِّحَّةُ وَالْفَرَاغُ نِعْمَتَانِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[6].

«اسْتَعِينُوا عَلَى الْحَاجَاتِ بِالْكِتْمَانِ، فَإِنَّ كُلَّ ذِي نِعْمَةٍ مَحْسُودٌ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

«الْمَكْرُ وَالْخَدِيعَةُ فِي النَّارِ» رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ.

«مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«الْمُسْتَشَارُ مُؤْتَمَنٌ» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ.

---

(١) رواه ابن عدي وابن سعد، وهو في شأن عمير بن عدي حينما قَتَل عصماء بنت مروان اليهودية.
(٢) خالية.
(٣) وفي سنده ضَعف.
(٤) كالبزّار.
(٥) رواه الترمذي بسند ضعيف.
(٦) بلفظ: **«نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس: الصحة والفراغ»**.

«**النَّدَمُ تَوْبَةٌ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

«**الدَّالُّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ**» رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ.

«**حُبُّكَ الشَّيْءَ يُعْمِي وَيُصِمُّ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[١].

«**الْعَارِيَةُ مُؤَدَّاةٌ، وَالْمِنْحَةُ**[٢] **مَرْدُودَةٌ، وَالدَّيْنُ مَقْضِيٌّ، وَالزَّعِيمُ غَارِمٌ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[٣].

«**سَبَقَكَ بِهَا عُكَّاشَةُ**[٤]» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[٥].

«**عَجِبَ رَبُّكَ مِنْ كَذَا**» رُوِيَ فِي عِدَّةِ رِوَايَاتٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ، وَمَعْنَاهُ كَمَا قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: عَظُمَ ذٰلِكَ عِنْدَهُ وَكَبُرَ لَدَيْهِ. وَقِيلَ: مَعْنَاهُ رَضِيَ وَأَثَابَ[٦].

«**قُتِلَ صَبْراً**»[٧] رَوَاهُ غَيْرُ وَاحِدٍ[٨].

---

(١) قال العراقي: هو حسن.
(٢) دابّة أو أداة أو أرض تُعيرها أخاك ينتفع بها زماناً، ثم يردّها عليك.
(٣) كأبي داود.
(٤) ويجوز تخفيفها.
(٥) وكذا مسلم، وذلك عندما ذكر النبي ﷺ أن سبعين ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب، قال عكاشة بن مِحصَن: أَمِنهم أنا يا رسول الله؟ قال: «**نعم**»، فقام آخر فقال: أَمِنهم أنا؟ قال: «**سبقك بها عكاشة**»، وكان الآخر منافقاً، أو لا تنطبق عليه صفات السبعين ألفاً (وهي أنهم كانوا لا يكتوون، ولا يستَرْقُون، ولا يتطيّرون، وعلىٰ ربهم يتوكلون). وإنما عدل ﷺ عن قوله: «لست منهم» أو: «**لستَ علىٰ أخلاقهم**» تلطُّفاً بأصحابه وحسنِ أدبه معهم.
(٦) والأول أوجَه كما قال في المواهب.
(٧) أي: حُبس حتىٰ مات.
(٨) منهم أحمد والطبراني بلفظ: «**لا يشهدْ أحد منكم قتيلاً قُتل صبراً، فعسىٰ أن يكون قُتل ظلماً، فتنزل السخطة عليهم، فتصيبه معهم**».

«لَيسَ المَسؤُولُ بِأَعلَمَ مِنَ السَّائِلِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[1].

«لاَ تَرْفَعْ عَصَاكَ عَنْ أَهْلِكَ أَدَباً» رَوَاهُ أَحْمَدُ، (أَيْ: لاَ تَدَعْ تَأْدِيبَهُمْ وَجَمْعَهُمْ عَلَى طَاعَةِ اللهِ، يُقَالَ: شَقَّ الْعَصَا إِذَا فَارَقَ الْجَمَاعَةَ، وَلَيْسَ الْمُرَادُ الضَّرْبَ بِالْعَصَا، وَلٰكِنَّهُ جَعَلَهُ مَثَلاً).

«إِنَّ مِمَّا يُنبِتُ الرَّبِيعُ مَا يَقتُلُ حَبَطاً أَوْ يُلِمُّ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، (وَالْحَبَطُ: انتِفَاخُ الْبَطْنِ مِنْ كَثْرَةِ الأَكْلِ، حَتَّى يَنْتَفِخَ فَيَمُوتَ أَوْ يُلِمُّ، (أَيْ: يَقْرُبُ مِنَ الْهَلاَكِ، وَهُوَ مَثَلٌ لِلْمُنَهمِكِ فِي جَمْعِ الدُّنْيَا الْمَانِعِ مِنْ إِخْرَاجِهَا فِي وَجْهِهَا).

«خَيرُ الْمَالِ عَيْنٌ سَاهِرَةٌ لِعَيْنٍ نَائِمَةٍ»[2] (وَمَعْنَاهُ: عَيْنُ مَاءٍ تَجْرِي لَيْلاً وَنَهَاراً، وَصَاحِبُهَا نَائِمٌ).

«خَيْرُ مَالِ الْمَرْءِ مُهرَةٌ مَأمُورَةٌ، أَوْ سِكَّةٌ مَأبُورَةٌ» رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[3] (وَمَعْنَى مَأْمُورَةَ: كَثِيرَةُ النِّتَاجِ، وَسِكَّةٌ مَأْبُورَةٌ: أَيْ طَرِيقَةٌ مُصْطَفَّةٌ مِنَ النَّخلِ).

«مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

«زُرْ غِبًّا[4] تَزْدَدْ حُبًّا» رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَغَيْرُهُ.

«إِنَّكُمْ لَنْ تَسَعُوا النَّاسَ بِأَمْوَالِكُمْ فَسَعُوهُمْ بِأَخلاَقِكُمْ» رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ[5].

---

(١) وذلك حينما سأله جبريل عن الساعة.

(٢) ذكره الميداني في (مجمع الأمثال) وابن الأثير في (النهاية في غريب الحديث والأثر).

(٣) كالطبراني.

(٤) يوماً بعد يوم أو أكثر.

(٥) كالبزار.

«**الْخُلُقُ السَّيِّىءُ يُفسِدُ الْعَمَلَ كَمَا يُفسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ[1].

«**إِنَّ هٰذَا الدِّينَ مَتِينٌ فَأَوْغِلْ فِيهِ بِرِفْقٍ، وَلاَ تُبَغِّضْ لِنَفسِكَ عِبَادَةَ اللّٰهِ، فَإِنَّ الْمُنْبَتَّ لاَ أَرْضاً قَطَعَ، وَلاَ ظَهراً أَبْقَىٰ**» رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَغَيْرُهُ[2] (وَالْمُنْبَتُّ: الْمُنْقَطِعُ، وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِي يَعْسِفُ الرِّكَابَ وَيَحمِلُهَا عَلَى مَا لاَ تُطِيقُ رَجَاءَ الإِسْرَاعِ، فَيَنْقَطِعُ ظَهْرُهُ، فَلاَ هُوَ قَطَعَ الأَرْضَ الَّتِي أَرَادَ، وَلاَ أَبْقَى ظَهْرَهُ سَالِماً).

«**إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ، وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلاَّ غَلَبَهُ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

«**الْكَيِّسُ[3] مَنْ دَانَ نَفسَهُ[4]، وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللّٰهِ الأَمَانِيَّ**» رَوَاهُ الْحَاكِمُ[5].

«**مَا حَاكَ فِي صَدْرِكَ فَدَعْهُ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[6].

«**تُنْكَحُ الْمَرْأَةِ لِجَمَالِهَا وَمَالِهَا وَدِينِهَا وَحَسَبِهَا، فَعَلَيْكَ بِذَاتِ الدِّينِ تَرِبَتْ يَدَاكَ**» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ (وَتَرِبَتْ: لَصِقَتْ بِالتُّرَابِ، أَي: افْتَقَرَتْ إِذَا خَالَفْتَ).

«**الشِّتَاءُ رَبِيعُ الْمُؤْمِنِ، قَصُرَ نَهَارُهُ فَصَامَهُ، وَطَالَ لَيلُهُ فَقَامَهُ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[7].

«**الْقَنَاعَةُ مَالٌ لاَ يَنْفَدُ، وَكَنْزٌ لاَ يَفْنَى**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ.

---

(١) كالبيهقي.

(٢) كالبيهقي.

(٣) الفَطِن.

(٤) حاسَبَها.

(٥) والترمذي وابن ماجه.

(٦) في الكبير.

(٧) كأحمد.

«مَا خَابَ مَنِ اسْتَخَارَ، وَلاَ نَدِمَ مَنِ اسْتَشَارَ، وَلاَ عَالَ[1] مَنِ اقْتَصَدَ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[2].

«الاقْتِصَادُ فِي النَّفَقَةِ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَالتَّوَدُّدُ إِلَى النَّاسِ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَحُسْنُ السُّؤَالِ نِصْفُ الْعِلْمِ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[3] وَغَيْرُهُ.

«لاَ عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ، وَلاَ وَرَعَ كَالْكَفِّ، وَلاَ حَسَبَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[4].

«الْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ، وَالْمُهَاجِرُ مَنْ هَجَرَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

«التَّدْبِيرُ نِصْفُ الْمَعِيشَةِ، وَالتَّوَدُّدُ نِصْفُ الْعَقْلِ، وَالْهَمُّ نِصْفُ الْهَرَمِ، وَقِلَّةُ الْعِيَالِ أَحَدُ الْيَسَارَيْنِ» رَوَاهُ الدَّيْلَمِيُّ[5].

«أَدِّ الأَمَانَةَ إِلَى مَنِ ائْتَمَنَكَ، وَلاَ تَخُنْ مَنْ خَانَكَ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[6].

«الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ» رَوَاهُ أَبُو الشَّيْخِ[7].

«لاَ إِيمَانَ لِمَنْ لاَ أَمَانَةَ لَهُ، وَلاَ دِينَ لِمَنْ لاَ عَهْدَ لَهُ» رَوَاهُ الإِمَام أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[8].

---

(١) لا أفتقر.

(٢) في الأوسط.

(٣) في الشُّعَب وضعّفه، لكن له شواهد.

(٤) في المواهب: رواه ابن حبان والبيهقي اهـ. ورواه ابن ماجه والطبراني والديلمي، وهو ضعيف، ولم يَرْوِه الترمذي.

(٥) بسند ضعيف.

(٦) قال في الميزان: إنه خبر منكر جداً.

(٧) والترمذي وقال: حسن غريب.

(٨) كالبيهقي في الشُّعَب.

«النِّسَاءُ حَبَائِلُ الشَّيطَانِ» رَوَاهُ[1] فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ.

«حُسْنُ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ» رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ: جَاءَتْ عَجُوزٌ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَهُوَ عِنْدِي، فَقَالَ لَهَا: **«مَنْ أَنْتِ؟»** فَقَالَتْ: جَثَّامَةُ الْمُزَنِيَّةُ، قَالَ: **«أَنْتِ حَسَّانَةُ، كَيفَ أَنْتُمْ؟ كَيفَ حَالُكُمْ؟ كَيفَ كُنْتُمْ؟»** قَالَتْ: بِخَيْرٍ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَلَمَّا خَرَجَتْ، قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! تُقْبِلُ عَلَى هٰذِهِ الْعَجُوزِ هٰذَا الإِقْبَالَ؟ قَالَ: **«إِنَّهَا كَانَتْ تَأْتِينَا زَمَنَ خَدِيجَةَ، وَإِنَّ حُسْنَ الْعَهْدِ مِنَ الإِيمَانِ»**.

«جَمَالُ الرَّجُلِ فَصَاحَةُ لِسَانِهِ» رَوَاهُ الْقَضَاعِيُّ.

«مَنْهُومَانِ لاَ يَشْبَعَانِ: طَالِبُ عِلْمٍ، وَطَالِبُ دُنْيَا» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ[2].

«لاَ فَقْرَ أَشَدُّ مِنَ الْجَهْلِ، وَلاَ مَالَ أَعَزُّ مِنَ الْعَقْلِ، وَلاَ وَحْشَةَ أَشَدُّ مِنَ الْعُجْبِ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ.

«الذَّنْبُ لاَ يُنْسَى، وَالْبِرُّ لاَ يَبْلَى، وَالدَّيَّانُ لاَ يَمُوتُ، فَكُنْ كَمَا شِئْتَ» رَوَاهُ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ.

«مَا جُمِعَ شَيْءٌ إِلَى شَيْءٍ أَحْسَنُ مِنْ حِلْمٍ إِلَى عِلْمٍ» رَوَاهُ الْعَسْكَرِيُّ.

«الْتَمِسُوا الرِّزْقَ فِي خَبَايَا الأَرْضِ» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شُرَيْحٍ (وَالْمُرَادُ: الزَّرْعُ).

«كُنْ فِي الدُّنْيَا كَأَنَّكَ غَرِيبٌ، أَوْ عَابِرُ سَبِيلٍ، وَعُدَّ نَفْسَكَ فِي أَهْلِ الْقُبُورِ» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[3].

---

(١) الديلمي.

(٢) وله شواهد يتقوىٰ بها.

(٣) كالبخاري والترمذي.

«صَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ تَقِي مَصَارِعَ السُّوءِ، وَصَدَقَةُ السِّرِّ تُطْفِىءُ غَضَبَ الربِّ، وَصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ فِي الْعُمْرِ» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[١].

«الْعَفْوُ لاَ يَزِيدُ الْعَبْدَ إِلاَّ عِزًّا، وَالتَّوَاضُعُ لاَ يَزِيدُهُ إِلاَّ رِفْعَةً، وَمَا نَقَصَ مَالٌ مِنْ صَدَقَةٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْغِنَى» رَوَاهُ الأَرْبَعَةُ[٢] عَنْ عَائِشَةَ.

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ سَمْعِي، وَمِنْ شَرِّ بَصَرِي، وَمِنْ شَرِّ لِسَانِي، وَمِنْ شَرِّ قَلْبِي، وَمِنْ شَرِّ مَنِيِّي» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ عَنْ شَكَلٍ[٣].

«الدُّنْيَا عَرَضٌ حَاضِرٌ يَأْكُلُ مِنْهَا الْبَرُّ وَالْفَاجِرُ، وَالآخِرَةُ وَعْدٌ صَادِقٌ يَحْكُمُ فِيهَا مَلِكٌ عَادِلٌ، يُحِقُّ الْحَقَّ وَيُبْطِلُ الْبَاطِلَ، فَكُونُوا أَبْنَاءَ الآخِرَةِ، وَلاَ تَكُونُوا أَبْنَاءَ الدُّنْيَا، فَإِنَّ كُلَّ أُمٍّ يَتْبَعُهَا وَلَدُهَا» رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ[٤].

«أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً مَنْ أَذْهَبَ آخِرَتَهُ بِدُنْيَا غَيْرِهِ» وَرَوَاهُ ابْنُ النَّجَّارِ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللّهِ بْنِ عَامِرٍ: «أَخْسَرُ النَّاسِ صَفْقَةً رَجُلٌ أَخْلَقَ يَدَيْهِ فِي آمَالِهِ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الأَيَّامُ عَلَى أُمْنِيَّتِهِ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ زَادٍ، وَقَدِمَ عَلَى اللّهِ بِغَيْرِ حُجَّةٍ».

«إِنَّ مِنْ كُنُوزِ الْبِرِّ كِتْمَانُ الْمَصَائِبِ»[٥].

«الْيَمِينُ حِنْثٌ أَوْ نَدَمٌ» رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ[٦].

---

(١) في الكبير بسند حسن.

(٢) أصحاب السنن الأربعة بسند صحيح. وقال الزرقاني: وهو في الصحيحين.

(٣) ابن حميدي العبس، وهو صحابي.

(٤) في الحلية.

(٥) رواه البيهقي وأبو نعيم بسند ضعيف.

(٦) كابن ماجه.

«**لاَ تُظْهِرِ الشَّمَاتَةَ بِأَخِيكَ يُعافِيهِ اللَّهُ وَيَبْتَلِيكَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[١].

«**جَفَّ الْقَلَمُ بِمَا أَنْتَ لاَقٍ**»[٢] قَالَهُ لأَبِي هُرَيْرَةَ.

«**الْيَوْمَ الرِّهَانُ، وَغَداً السِّبَاقُ، وَالْغَايَةُ الْجَنَّةُ، وَالْهَالِكُ مَنْ دَخَلَ النَّارَ**»[٣].

«**مَنْ ضَمِنَ لِي مَا بَيْنَ لَحْيَيْهِ وَمَا بَيْنَ رِجْلَيْهِ ضَمِنْتُ لَهُ عَلَى اللَّهِ الْجَنَّةَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[٤].

فَهٰذَا وَأَشْبَاهُهُ مِمَّا يَعْسُرُ اسْتِقْصَاؤُهُ يَدُلُّكَ عَلَى أَنَّهُ ﷺ قَدْ رَقِيَ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَجَوَامِعِ الْكَلِمِ دَرَجَةً لاَ يُقَاسُ بِهَا غَيْرُهُ، وَحَازَ مَرْتَبَةً لاَ يُقْدَرُ فِيهَا قَدْرُهُ ﷺ.

وَمِمَّا عُدَّ مِنْ وُجُوهِ بَلاَغَتِهِ ﷺ أَنَّهُ جَمَعَ مُتَفَرِّقَاتِ الشَّرَائِعِ، وَقَوَاعِدَ الإِسْلاَمِ فِي أَرْبَعَةِ أَحَادِيثَ، وَهِيَ:

حَدِيثُ «**إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَحَدِيثُ «**الْحَلاَلُ بَيِّنٌ وَالْحَرَامُ بَيِّنٌ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٥].

وَحَدِيثُ «**الْبَيِّنَةُ عَلَى الْمُدَّعِي، وَالْيَمِينُ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ**»[٦].

وَحَدِيثُ «**لاَ يَكْمُلُ إِيمَانُ الْمَرْءِ حَتَّى يُحِبَّ لأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

---

(١) كالطبراني.

(٢) رواه البخاري.

(٣) تتمة الحديث: «**أنا الأول، وأبو بكر الثاني، وعمر الثالث، والناس بعد على السبق الأول فالأول**» رواه الطبراني، وابن عدي، والخطيب، وسنده ضعيف.

(٤) كالترمذي.

(٥) وكذا البخاري.

(٦) رواه البيهقي وغيره بسند حسن.

فَالْحَدِيثُ الأَوَّلُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبُعِ العِبَادَاتِ، وَالْحَدِيثُ الثَّانِي يَشْتَمِلُ عَلَى رُبُعِ الْمَعَامَلاَتِ، وَالْحَدِيثُ الثَّالِثُ يَشْتَمِلُ عَلَى رُبُعِ الْحُكُومَاتِ وَفَصْلِ الْخُصومَاتِ، وَالحَدِيثُ الرَّابعُ يشتَمِلُ عَلَى رُبُعِ الآدَابِ وَالْمُنَاصَفَاتِ، وَيَدْخُلُ تَحْتَهُ التَّحْذِيرُ مِنَ الْجِنَايَاتِ. قَالَهُ ابْنُ الأَثِيرِ[١].

وَقَدْ كَانَ مِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنْ يُكَلِّمَ كُلَّ ذِي لُغَةٍ بَلِيغَةٍ بُلغَتِهِ عَلَى اخْتِلاَفِ لُغَاتِ الْعَرَبِ وَتَرْكِيبِ أَلْفَاظِهَا وَأَسَالِيبِ كَلِمِهَا، وَكَانَ أَحَدُهُمْ لاَ يَتَجَاوَزُ لُغَتَهُ، وَإِنْ سَمِعَ لُغَةَ غَيْرِهِ فَكَالْعَجَمِيَّةِ يَسْمَعُهَا الْعَرَبِيُّ، وَمَا ذٰلِكَ مِنْهُ ﷺ إلاَّ بِقُوَّةٍ إِلٰهِيَّةٍ وَمَوْهِبَةٍ رَبَّانِيَّةٍ، لأَنَّهُ بُعِثَ إِلَى الْكَافَّةِ طُرًّا إِلَى الْخَلِيقَةِ سُوداً وَحُمْراً، وَلاَ يُوجَدُ غَالِباً مُتَكَلِّمٌ بِغَيْرِ لُغَتِهِ إِلاَّ قَاصِراً نَازِلاً عَنْ صَاحِبِ الأَصَالَةِ بِتِلْكَ اللُّغَةِ إِلاَّ نَبِيَّنَا ﷺ، فَإِنَّهُ يَتَكَلَّمُ فِي لُغَةِ الْعَرَبِ أَفْصَحَ مِنْهَا بِلُغَةِ نَفْسِهَا، وَجَدِيرٌ بِهِ ذٰلِكَ، فَقَدْ أُوتِيَ فِي سَائِرِ الْقُوَى الْبَشَرِيَّةِ الْمَحْمُودَةِ زِيَادَةً عَلَى سَائِرِ النَّاسِ مَا لاَ يَضْبِطُهُ قِيَاسٌ[٢].

وَأَمَّا صَوْتُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا بَعَثَ اللّهُ نَبِيًّا قَطُّ إِلاَّ بَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، حَتَّى بَعَثَ اللّهُ نَبِيَّكُمْ ﷺ، فَبَعَثَهُ حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ[٣].

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا تَكَلَّمَ رُئِيَ كَالنُّورِ يَخْرُجُ مِنْ بَيْنِ ثَنَايَاهُ.

---

(١) الصواب: ابن المنير في (المقتفىٰ) كما في المواهب وشرحه للزرقاني.

(٢) أتاه أحد الأعراب وكان يبدل اللام من (أل) التعريف بالميم فقال: أمن امبر امصيام في امسفر، فأجابه الرسول ﷺ علىٰ الفور بلغته: **«ليس من امبر امصيام في امسفر»** رواه أحمد.

(٣) رواه ابن عساكر.

وَقَدْ كَانَ صَوْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَبْلُغُ حَيْثُ لاَ يَبْلُغُهُ صَوْتُ غَيْرِهِ، فَعَنِ الْبَرَاءِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتَّى أَسْمَعَ الْعَوَاتِقَ[1] فِي خُذُورِهِنَّ[2]. قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: جَلَسَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَقَالَ لِلنَّاسِ: «اجْلِسُوا»، فَسَمِعَهُ عَبْدُاللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ وَهُوَ فِي بَنِي غَنْمٍ، فَجَلَسَ فِي مَكَانِهِ[3].

وَقَالَ عَبْدُالرَّحمٰنِ بْنُ مُعَاذٍ التَّيْمِيُّ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِمِنًى، فَفَتَحَ اللّهُ أَسْمَاعَنَا حَتَّى إِنْ كُنَّا لَنَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا[4].

وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُنَّا نَسْمَعُ قِرَاءَةَ النَّبِيِّ ﷺ فِي جَوْفِ اللَّيْلِ عِنْدَ الْكَعْبَةِ وَأَنَا عَلَى عَرِيشِي[5].

وَأَمَّا ضِحْكُهُ ﷺ:

فَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مُسْتَجْمِعاً[6] قَطُّ ضَاحِكاً حَتَّى أَرَى مِنْهُ لَهَوَاتِهِ، إِنَّمَا كَانَ يَتَبَسَّمُ. (وَاللَّهَوَاتُ: جَمْعُ لَهَاةٍ، وَهِيَ اللَّحْمَةُ الَّتِي بِأَعْلَى الْحَنْجَرَةِ مِنْ أَقْصَى الْفَمِ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي قِصَّةِ الْمُوَاقِعِ أَهْلَهُ فِي رَمَضَانَ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالنَّوَاجِذُ: الأَضْرَاسُ).

---

(١) النساء.

(٢) بيوتهنّ. رواه البيهقي.

(٣) رواه أبو نعيم.

(٤) رواه ابن سعد.

(٥) سقفِ بيتي. رواه ابن ماجه.

(٦) مبالغاً في الضحك.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: جُلُّ ضَحِكِهِ ﷺ التَّبَسُّمُ، وَيَفْتَرُّ عَنْ مِثْلِ حَبِّ الْغَمَامِ[1].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: وَالَّذِي يَظْهَرُ مِنْ مَجْمُوعِ الأَحَادِيثِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ فِي مُعْظَمِ أَحْوَالِهِ لاَ يَزِيدُ عَلَى التَّبَسُّمِ. وَرُبَّمَا زَادَ عَلَى ذٰلِكَ فَضَحِكَ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: وَالَّذِي يَنْبَغِي أَنْ يُقْتَدَى بِهِ مِنْ أَفْعَالِهِ مَا وَاظَبَ مِنْ ذٰلِكَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: وَإِذَا ضَحِكَ ﷺ يَتَلأْلأُ فِي الْجُدُرِ[2] ـ أَيْ: يُشْرِقُ نُورُهُ عَلَيْهَا، إِشْرَاقاً كَإِشْرَاقِ الشَّمْسِ عَلَيْهَا ـ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا كَانَ حَدِيثَ عَهْدٍ بِجِبْرِيلَ لَمْ يَتَبَسَّمْ ضَاحِكاً حَتَّى يَرْتَفِعَ عَنْهُ، بَلْ كَانَ إِذَا خَطَبَ أَوْ ذَكَرَ السَّاعَةَ اشْتَدَّ غَضَبُهُ، وَعَلاَ صَوْتُهُ، كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ بُكَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ جِنْسِ ضِحْكِهِ، لَمْ يَكُنْ بِشَهِيقٍ وَرَفْعِ صَوْتٍ، كَمَا لَمْ يَكُنْ ضَحِكُهُ بِقَهْقَهَةٍ، وَلٰكِنْ تَدْمَعُ عَيْنَاهُ حَتَّى تَهْمُلاَنِ، وَيُسْمَعُ لِصَدْرِهِ أَزِيزٌ، يَبْكِي رَحْمَةً لِمَيْتٍ، وَخَوْفاً عَلَى أُمَّتِهِ وَشَفَقَةً، وَمِنْ خَشْيَةِ اللّٰهِ عِنْدَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ، وَأَحْيَاناً فِي صَلاَةِ اللَّيْلِ.

وَقَدْ حَفِظَهُ اللّٰهُ تَعَالَى مِنَ التَّثَاؤُبِ، وَمَا تَثَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ[3].

وَأَمَّا يَدُهُ الشَّرِيفَةُ ﷺ:

فَقَدْ وَصَفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ كَانَ شَثْنَ الْكَفَّيْنِ ـ أَيْ: غَلِيظَ أَصَابِعِهِمَا ـ،

---

(١) يتبسّم فتظهر أسنانه كحَبّ السحاب (وهو البَرَد).

(٢) رواه البزار والبيهقي.

(٣) رواه البخاري في تاريخه، وابن أبي شيبة في مصنفه.

وَبِأَنَّهُ عَبْلُ[1] الذِّرَاعَيْنِ، رَحْبُ الْكَفَّيْنِ، وَقَدْ مَسَحَ ﷺ خَدَّ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً وَرِيحاً، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ وَائِلُ بْنُ حُجْرٍ: لَقَدْ كُنْتُ أُصَافِحُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، أَوْ يَمَسُّ جِلْدِي جِلْدَهُ، فَأَتَعَرَّفُهُ بَعْدُ فِي يَدِي، وَإِنَّهُ لأَطْيَبُ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ[2].

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ الأَسْوَدِ: نَاوَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ، فَإِذَا هِيَ أَبْرَدُ مِنَ الثَّلْجِ، وَأَطْيَبُ رِيحاً مِنَ الْمِسْكِ[3].

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا مَسِسْتُ حَرِيراً وَلاَ دِيبَاجاً أَلْيَنَ مِنْ كَفِّ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

قَالَ ابْنُ بَطَّالٍ: كَانَتْ كَفُّهُ ﷺ مُمْتَلِئَةً لَحْماً، غَيْرَ أَنَّهَا مَعَ ضَخَامَتِهَا كَانَتْ لَيِّنَةً.

وَعَنْ مُعَاذٍ قَالَ: رَدَفَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ خَلْفَهُ فِي سَفَرٍ، فَمَا مَسِسْتُ شَيْئاً قَطُّ أَلْيَنَ مِنْ جِلْدِهِ ﷺ[4].

وَأُصِيبَ عَائِذُ بْنُ عَمْرٍو فِي وَجْهِهِ يَوْمَ حُنَيْنٍ، فَسَالَ الدَّمُ عَلَى وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ، فَسَلَتَ النَّبِيُّ ﷺ الدَّمَ بِيَدِهِ عَنْ وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ، ثُمَّ دَعَا لَهُ، فَكَانَ أَثَرُ يَدِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى مُنْتَهَى مَا مَسَحَ مِنْ صَدْرِهِ غُرَّةً[5] سَائِلَةً كَغُرَّةِ الْفَرَسِ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ[6].

---

(١) ضخم.
(٢) رواه الطبراني والبيهقي.
(٣) رواه البيهقي.
(٤) رواه الطبراني والبزار.
(٥) بياضاً.
(٦) كأبي نُعيم وابن عساكر.

وَمَسَحَ ﷺ رَأْسَ مَدْلُوكٍ ـ أَبِي سُفْيَانَ ـ فَكَانَ مَا مَرَّتْ عَلَيْهِ يَدُهُ أَسْوَدَ[1]، وَشَابَ مَا سِوَى ذٰلِكَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ[2].

وَعَنْ أَبِي زَيْدٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: مَسَحَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِيَدِهِ عَلَى رَأْسِي وَلِحْيَتِي، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ**»، قَالَ الرَّاوِي عَنْهُ: فَبَلَغَ بِضْعاً[3] وَمِئَةَ سَنَةٍ وَمَا فِي لِحْيَتِهِ بَيَاضٌ، وَلَقَدْ كَانَ مُنْبَسِطَ الْوَجْهِ، وَلَمْ يَنْقَبِضْ وَجْهُهُ حَتَّى مَاتَ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[4] وَغَيْرُهُ[5].

وَمَسَحَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَأْسَ حَنْظَلَةَ بْنِ حِذْيَم بِيَدِهِ، وَقَالَ لَهُ: «**بُورِكَ فِيكَ**»، فَكَانَ يُؤْتَى بِالشَّاةِ الْوَارِمِ ضَرْعُهَا وَالْبَعِيرِ وَالإِنْسَانِ بِهِ الْوَرَمُ، فَيَتْفِلُ فِي يَدِهِ وَيَمْسَحُ بِصَلْعَتِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: بِسْمِ اللّهِ عَلَى أَثَرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَيَمْسَحُهُ، ثُمَّ يَمْسَحُ مَوْضِعَ الْوَرَمِ، فَيَذْهَبُ الْوَرَمُ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[6].

وَقَدْ جَاءَ فِي عِدَّةِ أَحَادِيثَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي الدُّعَاءِ، حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ.

قَالَ الطَّبَرِيُّ: وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ أَنَّ الإِبْطَ مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ غَيْرَهُ.

وَعَنْ رَجُلٍ مِنْ بَنِي حَرِيشٍ قَالَ: ضَمَّنِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَسَالَ عَلَيَّ مِنْ عَرَقِ إِبْطِهِ مِثْلُ رِيحِ الْمِسْكِ. رَوَاهُ الْبَزَّارُ.

وَوَصَفَهُ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ فَقَالَ: ذُو مَسْرُبَةٍ (وَفُسِّرَ بَخَيْطِ الشَّعْرِ بَيْنَ

---

(١) لم يصبه شيب.

(٢) والبيهقي.

(٣) البِضع: ما بين الثلاث إلىٰ التسع.

(٤) وصححه.

(٥) كالترمذي وحسّنه.

(٦) كالبخاري في التاريخ، وأبي يعلىٰ.

الْصَّدْرِ وَالسُّرَّةِ) وَعِنْدَ الْبَيْهَقِيُّ: لَهُ شَعَرَاتٌ مِنْ لَبَّتِهِ[1] إِلَى سُرَّتِهِ، تَجْرِي كَالْقَضِيبِ، لَيْسَ عَلَى صَدْرِهِ وَلاَ عَلَى بَطْنِهِ غَيْرُهَا.

وَوَصَفَتْ بَطْنَهُ أُمُّ هَانِيءٍ[2] فَقَالَتْ: مَا رَأَيْتُ بَطْنَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ إِلاَّ ذَكَرْتُ الْقَرَاطِيسَ الْمُثَنَّى بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ[3].

وقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: كَانَ ﷺ أَبْيَضَ، كَأَنَّمَا صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ، رَجِلَ الشَّعْرِ[4]، مُفَاضَ الْبَطْنِ، عَظِيمَ مُشَاشِ الْمَنْكِبَيْنِ (وَمُفَاضُ الْبَطْنِ: وَاسِعُهُ. وَالْمُشَاشُ: رُؤوسُ الْعِظَامِ).

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ مُحَرِّشٍ الْكَعْبِيِّ قَالَ: اعْتَمَرَ النَّبِيُّ ﷺ مِنَ الْجِعْرَانَةِ لَيْلاً، فَنَظَرْتُ إِلَى ظَهْرِهِ كَأَنَّهُ سَبِيكَةُ فِضَّةٍ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ: كَانَ ﷺ بَعِيدَ مَا بَيْنَ الْمَنْكِبَيْنِ. وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: رَحْبَ الصَّدْرِ[5].

وَأَمَّا قَلْبُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَقَدْ صَحَّ أَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ شَقَّهُ، وَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ لَهُ: هٰذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ لأَمَهُ فَأَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. قَالَ أَنَسٌ: فَلَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ الْمِخْيَطِ فِي صَدْرِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَهٰذَا الشَّقُّ رُوِيَ أَنَّهُ وَقَعَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَرَّاتٍ[6].

---

(١) منحره.
(٢) بنتُ أبي طالب.
(٣) شبّهت بطن النبي ﷺ بالقراطيس لشدّة بياضها. (والقراطيس: ما يُكتب عليه) رواه الطيالسي والطبراني.
(٤) ليس شديد الجعودة ولا سَبْطاً.
(٥) واسعه. رواه ابن سعد.
(٦) عند الرضاع، وعند المبعث، وعند الإسراء والمعراج.

وَأَمَّا جِمَاعُهُ ﷺ:

فَقَدْ كَانَ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ. قَالَ الرَّاوِي[1]: قُلْتُ لأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاثِينَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَعَنْ مُعَاذٍ: قُوَّةَ أَرْبَعِينَ. وَعَنْ مُجَاهِدٍ: كُلُّ رَجُلٍ مِنْ رِجَالِ أَهْلِ الْجَنَّةِ[2]. وَعَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً: «**يُعْطَى الْمُؤْمِنُ فِي الْجَنَّةِ قُوَّةَ كَذَا وَكَذَا فِي الْجِمَاعِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَوَيُطِيقُ ذٰلِكَ؟ قَالَ: «**يُعْطَى قُوَّةَ مِئَةٍ**»[3].

وَقَدْ حَفِظَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الاحْتِلامِ، فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: مَا احْتَلَمَ نَبِيٌّ قَطُّ، وَإِنَّمَا الاحْتِلامُ مِنَ الشَّيْطَانِ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَأَمَّا قَدَمُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَقَدْ وَصَفَهُ غَيْرُ وَاحِدٍ بِأَنَّهُ كَانَ شَثْنَ الْقَدَمَيْنِ ـ أَيْ: غَلِيظَ أَصَابِعِهِمَا[4] ـ.

وَعَنْ مَيْمُونَةَ بِنْتِ كَرْدَمٍ قَالَتْ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، فَمَا نَسِيتُ طُولَ إِصْبَعِ قَدَمَيْهِ السَّبَّابَةِ عَلَى سَائِرِ أَصَابِعِهِ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[5].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: خُمْصَانَ الأَخْمَصَيْنِ، مَسِيحَ الْقَدَمَيْنِ (وَالأَخْمَصُ مِنَ الْقَدَمِ: الْمَوْضِعُ الَّذِي لاَ يَلْصَقُ بِالأَرْضِ مِنْهَا عِنْدَ الْوَطْءِ، وَالْخُمْصَانُ:

---

(١) قتادة.

(٢) رواه أبو نعيم.

(٣) قال الترمذي: صحيح غريب.

(٤) رواه الترمذي.

(٥) كالطبراني.

الْبَالِغِ مِنْهُ، وَمَسِيحُ الْقَدَمَيْنِ: أَيْ مَلْسَاوَتَانِ لَيِّنَتَانِ، لَيْسَ فِيهِمَا تَكَسُّرٌ وَلاَ شُقَاقٌ)[١].

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ الْبَشَرِ قَدَماً[٢].

وَأَمَّا طُولُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَقَدْ قَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ قَصِيرٌ وَلاَ طَوِيلٌ، وَهُوَ إِلَى الطُّولِ أَقْرَبُ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَوَصَفَهُ غَيْرُهُ بِأَنَّهُ لَيْسَ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ (وَالْمُرَادُ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ: الْمُفْرِطُ فِي الطُّولِ مَعَ اضْطِرَابِ الْقَامَةِ).

وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: أَطْوَلَ مِنَ الْمَرْبُوعِ[٣] وَأَقْصَرَ مِنَ الْمُشَذَّبِ. (وَالْمُشَذَّبُ: الْبَائِنُ الطُّولِ فِي نَحَافَةٍ).

وَهُوَ مِثْلُ قَوْلِهِ فِي الْحَدِيثِ الآخَرِ: لَمْ يَكُنْ بِالطَّوِيلِ الْمُمَغَّطِ ـ أَيْ: الْمُتَنَاهِي الطُّولِ ـ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمْ يَكُنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالطَّوِيلِ الْبَائِنِ، وَلاَ بِالْقَصِيرِ الْمُتَرَدِّدِ، وَكَانَ يُنْسَبُ إِلَى الرَّبْعَةِ إِذَا مَشَى وَحْدَهُ، وَلَمْ يَكُنْ عَلَى حَالٍ يُمَاشِيهِ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ يُنْسَبُ إِلَى الطُّولِ إِلاَّ طَالَهُ ﷺ، وَلَرُبَّمَا اكْتَنَفَهُ الرَّجُلاَنِ الطَّوِيلاَنِ فَيَطُولُهُمَا، فَإِذَا فَارَقَاهُ نُسِبَ ﷺ إِلَى الرَّبْعَةِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[٤].

---

(١) الأولىٰ: شقوق. أما شقاق: فداء يكون بالدوابّ.

(٢) رواه ابن سعد.

(٣) المربوع: لا طويل ولا قصير.

(٤) كابن عساكر.

وَزَادَ ابْنُ سَبْعٍ فِي الْخَصَائِصِ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا جَلَسَ يَكُونُ كَتِفُهُ أَعْلَى مِنْ جَمِيعِ الْجَالِسِينَ ﷺ.

وَوَصَفَهُ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: بِأَنَّهُ بَادِنٌ مُتَمَاسِكٌ ـ أيْ: مُعْتَدِلُ الْخَلْقِ، كَأَنَّ أَعْضَاءَهُ يُمْسِكُ بَعْضُهَا بَعْضاً ـ.اهـ

وَأَمَّا شَعْرُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَعَنْ قَتَادَةَ قَالَ: سَأَلْتُ أَنَساً عَنْ شَعْرِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «شَعْرٌ بَيْنَ شَعْرَيْنِ، لاَ رَجِلٌ[١]، وَلاَ سَبْطٌ[٢] وَلاَ جَعْدٌ، وَلاَ قَطَطٌ[٣]، كَانَ بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ». وَفِي رِوَايَةٍ: «كَانَ رَجْلاً لَيْسَ بِالسَّبْطِ، وَلاَ الْجَعْدِ، بَيْنَ أُذُنَيْهِ وَعَاتِقِهِ» وَفِي أُخْرَى: «إِلَى أَنْصَافِ أُذُنَيْهِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[٤].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: «كَانَ لَهُ ﷺ شَعرٌ فَوْقَ الْجُمَّةِ، وَدُونَ الْوَفْرَةِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٥]. وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ: «كَانَ إِلَى أُذُنَيْهِ». وَفِي حَدِيثِ الْبَرَاءِ: «يَضْرِبُ إِلَى مَنْكِبَيْهِ». وَفِي حَدِيثِ أَبِي رِمْثَةَ: «يَبْلُغُ إِلَى كَتِفَيْهِ»[٦]. وَفِي رِوَايَةٍ: «مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ أَحْسَنَ مِنْهُ»[٧]. (وَالْجُمَّةُ: هِيَ الشَّعْرُ الَّذِي نَزَلَ إِلَى الْمَنْكِبَيْنِ. وَالْوَفْرَةُ: مَا نَزَلَ إِلَى شَحْمَةِ الأُذُنَيْنِ. وَاللِّمَّةُ: الَّتِي أَلَمَّتْ بِالْمَنْكِبَيْنِ).

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَالْجَمْعُ بَيْنَ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ أَنَّ مَا يَلِي الأُذُنَ هُوَ

---

(١) الرَّجِل: ليس شديد الجعودة ولا سَبطاً.
(٢) لعل الصواب: شَعر بين شعرين، رَجْل، لا سَبْط...
(٣) القَطَط: البالغ في الجعودة بحيث يتفلفل.
(٤) أبو داود والنسائي.
(٥) وأبو داود.
(٦) هذه الروايات كلها في الصحيحين.
(٧) رواه الترمذي.

الَّذِي يَبْلُغُ شَحْمَةَ أُذُنَيْهِ، وَمَا خَلْفَهُ هُوَ الَّذِي يَضْرِبُ مَنْكِبَيْهِ، قَالَ: وَقِيلَ: بَلْ ذٰلِكَ لاخْتِلاَفِ الأَوْقَاتِ، فَإِذَا غَفَلَ عَنْ تَقْصِيرِهَا بَلَغَتِ الْمَنْكِبَ، وَإِذَا قَصَّرَهَا كَانَتْ إِلَى أَنْصَافِ الأُذُنَيْنِ، فَكَانَتْ تَطُولُ وَتَقْصُرُ بِحَسَبِ ذٰلِكَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يَسْدُلُ شَعَرَهُ، وَكَانَ الْمُشْرِكُونَ يَفْرِقُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَكَانَ أَهْلُ الْكِتَابِ يَسْدُلُونَ رُؤُوسَهُمْ، وَكَانَ يُحِبُّ مُوَافَقَةَ أَهْلِ الْكِتَابِ فِيمَا لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِ بِشَيْءٍ، ثُمَّ فَرَقَ ﷺ رَأْسَهُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[1]. وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ نَحْوُهُ. (وَسَدْلُ الشَّعْرِ: إِرْسَالُهُ، وَالْمُرَادُ هُنَا: إِرْسَالُهُ عَلَى الْجَبِينِ، وَاتِّخَاذُهُ كَالْقُصَّةِ، وَأَمَّا الْفَرْقُ فَهُوَ فَرْقُ الشَّعْرِ بَعْضِهِ مِنْ بَعْضٍ). قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْفَرْقُ سُنَّةٌ، لأَنَّهُ هُوَ الَّذِي رَجَعَ إِلَيْهِ ﷺ، وَالصَّحِيحُ جَوَازُ الْفَرْقِ وَالسَّدْلِ، لٰكِنَّ الْفَرْقَ أَفْضَلُ. (وَالْقُصَّةُ: شَعْرُ النَّاصِيَةِ، يُقَصُّ حَوْلَ الْجَبْهَةِ).

وَعَنْ أُمِّ هَانِىءٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «قَدِمَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَكَّةَ، وَلَهُ أَرْبَعُ غَدَائِرَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[2]. (وَالْغَدَائِرُ: هِيَ الذَّوَائِبُ، وَاحِدَتُهَا: غَدِيرَةٌ).

وَفِي مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ: «كَانَ فِي لِحْيَتِهِ ﷺ شَعَرَاتٌ بِيضٌ» وَفِي رِوَايَةٍ عِنْدَهُ: «لَمْ يَرَ مِنَ الشَّيْبِ إِلاَّ قَلِيلاً» وَفِي أُخْرَى لَهُ: «لَوْ شِئْتُ أَنْ أَعُدَّ شَمَطَاتٍ كُنَّ فِي رَأْسِهِ، وَلَمْ يَخْضِبْ» وَعِنْدَهُ أَيْضاً: «لَمْ يَخْضِبْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، إِنَّمَا كَانَ الْبَيَاضُ فِي عَنْفَقَتِهِ، وَفِي الصُّدْغَيْنِ، وَفِي الرَّأْسِ، نُبَذاً» أَيْ شَعَرَاتٍ مُتَفَرِّقَةً.

وَعَنْ أَنَسٍ: «مَا كَانَ فِي رَأْسِهِ وَلِحْيَتِهِ إِلاَّ سَبْعَ عَشْرَةَ أَوْ ثَمَانَ عَشْرَةَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ»[3].

---

(١) في الشمائل.

(٢) في الشمائل.

(٣) رواه البيهقي.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ «نَحْوُ عِشْرِينَ»[1].

وَفِي الصَّحِيحِينِ: «أَنَّ ابْنَ عُمَرَ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يَصْبُغُ بِالصُّفْرَةِ» قَالَ النَّوَوِيُّ: الْمُخْتَارُ أَنَّهُ صَبَغَ فِي وَقْتٍ، وَتَرَكَهُ فِي مُعْظَمِ الأَوْقَاتِ، فَأَخْبَرَ كُلٌّ بِمَا رَأَى، وَهُوَ صَادِقٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ: «كَانَ ﷺ يُكْثِرُ دَهْنَ رَأْسِهِ، وَتَسْرِيحَ لِحْيَتِهِ» رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَالْحَلاَّقُ يَحْلِقُهُ، وَأَطَافَ بِهِ أَصْحَابُهُ، فَمَا يُرِيدُونَ أَنْ تَقَعَ شَعْرَةٌ إِلاَّ فِي يَدِ رَجُلٍ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَلَمْ يُرْوَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَلَقَ رَأْسَهُ الشَّرِيفَ فِي غَيْرِ نُسُكِ حَجٍّ أَوْ عُمْرَةٍ، فَتَكُونُ تَبْقِيَةُ الشَّعْرِ فِي الرَّأْسِ سُنَّةً، وَمُنْكِرُهَا مَعَ عِلْمِهِ يَجِبُ تَأْدِيبُهُ، وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ التَّبْقِيَةَ يُبَاحُ لَهُ إِزَالَتُهُ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ سِيرِينَ قَالَ: قُلْتُ لِعَبِيدَةَ: عِنْدَنَا مِنْ شَعْرِ النَّبِيِّ ﷺ أَصَبْنَاهُ مِنْ قِبَلِ أَنَسٍ. قَالَ: لأَنْ تَكُونَ عِنْدِي شَعْرَةٌ مِنْهُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا وَمَا فِيهَا[2].

«وَكَانَ ﷺ يَأْخُذُ مَنْ لِحْيَتِهِ مِنْ عَرْضِهَا وَطُولِهَا» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[3].

وَرَوَىٰ[4] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُصُّ شَارِبَهُ».

وَأَمَّا الْعَانَةُ: فَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ لاَ يَتَنَوَّرُ[5]، وَكَانَ إِذَا كَثُرَ شَعْرُهُ حَلَقَهُ[6].

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) رواه البخاري.

(٣) وقال: غريب.

(٤) الترمذي وحسّنه.

(٥) لا يزيل شعره بالنُّورة.

(٦) وسنده ضعيف.

وَفِي حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا طَلَى بَدَأَ بِعَانَتِهِ، وَطَلاَهَا بِالنُّورَةِ، وَسَائِرَ جَسَدِهِ أَهْلُهُ[1].

وَحَدِيثُ دُخُولِهِ الْحَمَّامَ مَوْضُوعٌ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ مِنْ مُرْسَلِ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَسْتَحِبُّ أَنْ يَأْخُذَ مِنْ أَظْفَارِهِ وَشَارِبِهِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لاَ يُفَارِقُ سِوَاكَهُ وَمُشْطَهُ، وَكَانَ يَنْظُرُ فِي الْمِرْآةِ إِذَا سَرَّحَ لِحْيَتَهُ[2].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَتْ لَهُ مُكْحُلَةٌ يَكْتَحِلُ مِنْهَا كُلَّ لَيْلَةٍ قَبْلَ أَنْ يَنَامَ ثَلاَثَةً فِي هٰذِهِ، وَثَلاَثَةً فِي هٰذِهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[3]، وَزَادَ أَحْمَدُ: «يَكْتَحِلُ بِالإِثْمِدِ». (وَالإِثْمِدُ: حَجَرُ الْكُحْلِ، أَسْوَدُ يَضْرِبُ إِلَى حُمْرَةٍ).

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ: أَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَطَيَّبُ؟ قَالَتْ: نَعَمْ، بِذِكَارَةِ الطِّيبِ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ[4]. (وَالذِّكَارَةُ: جَمْعُ ذَكَرٍ مَا يَصْلُحُ لِلرِّجَالِ، وَهُوَ مَا لاَ لَوْنَ لَهُ).اهـ

وَأَمَّا مَشْيُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا مَشَى تَكَفَّأَ تَكَفُّؤاً، كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[5] وَغَيْرُهُ[6]. (وَالتَّكَفُّؤُ: الْمَيْلُ

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الطبراني في الأوسط.

(٣) كابن ماجه.

(٤) رواه النسائي.

(٥) وصححه.

(٦) كالبيهقي.

إِلَى سَنَنِ الْمَشْيِ. وَالصَّبَبُ: الْمَكَانُ الْمُنْحَدِرُ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: إِذَا وَطِىءَ بِقَدَمِهِ وَطِىءَ بِكُلِّهَا[١].

وَعَنْهُ: «مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَسْرَعَ فِي مَشْيِهِ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ كَأَنَّمَا الأَرْضُ تُطْوَى لَهُ، إِنَّا لَنُجْهِدُ أَنْفُسَنَا، وَهُوَ غَيْرُ مُكْتَرِثٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٢].

وَرُوِيَ: «أَنَّهُ كَانَ ﷺ إِذَا مَشَى مَشَى مُجْتَمِعاً» - أَيْ: قَوِيَّ الأَعْضَاءِ، غَيْرَ مُسْتَرْخٍ فِي الْمَشْيِ -.

وقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا مَشَى تَقَلَّعَ[٣].

وَقَالَ ابْنُ أَبِي هَالَةَ: إِذَا زَالَ زَالَ تَقَلُّعاً، يَخْطُو تَكَفِّياً، وَيَمْشِي هَوْناً، ذَرِيعَ الْمِشْيَةِ[٤]، إِذَا مَشَىٰ كَأَنَّمَا يَنْحَطُّ مِنْ صَبَبٍ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: التَّقَلُّعُ: الارْتِفَاعُ مِنَ الأَرْضِ، بِجُمْلَتِهِ كَحَالِ الْمُنْحَطِّ فِي الصَّبَبِ، وَهِيَ مِشْيَةُ أُولِي الْعَزْمِ وَالْهِمَّةِ وَالشَّجَاعَةِ، وَهِيَ أَعْدَلُ الْمِشْيَاتِ، وَأَرْوَحُهَا لِلأَعْضَاءِ.

وَأَمَّا مَشْيُهُ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ، فَكَانُوا يَمْشُونَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَهُوَ خَلْفَهُمْ، وَيَقُولُ: **«خَلُّوا ظَهْرِي لِلْمَلائِكَةِ»**.

وَمَشَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ مَرَّةً، فَجُرِحَتْ إِصْبَعُهُ، وَسَالَ مِنْهَا الدَّمُ، فَقَالَ: **«هَلْ أَنْتِ إِلاَّ إِصْبَعٌ دَمِيتِ، وَفِي سَبِيلِ اللّهِ مَا لَقِيتِ»** رَوَاهُ أَبُو دَاودَ.

---

(١) رواه البزّار.

(٢) في الشمائل.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) واسع الخطو.

«وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ﷺ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلاَ قَمَرٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ.

قَالَ ابْنُ سَبُعٍ: كَانَ ﷺ نُوراً، فَكَانَ إِذَا مَشَى بِالشَّمْسِ أَوِ الْقَمَرِ لاَ يَظْهَرُ لَهُ ظِلٌّ.

وَأَمَّا لَوْنُهُ الشَّرِيفُ ﷺ:

فَقَدْ وَصَفَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ جَمْهُورُ أَصْحَابِهِ بِالْبَيَاضِ، فَمِنْ عِبَارَاتِهِمْ: «كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحاً»(١)، «كَانَ أَبْيَضَ مَلِيحَ الْوَجْهِ»(٢)، «مَا أَنْسَى شِدَّةَ بَيَاضِ وَجْهِهِ مَعَ شِدَّةِ سَوَادِ شَعْرِهِ» رَوَىٰ هٰذَا الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ.

وَفِي شِعْرِ أَبِي طَالِبٍ:

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَىٰ(٣) عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ

وَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّٰهُ وَجْهَهُ: أَبْيَضُ مُشْرَبٌ بِحُمْرَةٍ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: «أَزْهَرُ اللَّوْنِ».

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: «لَيْسَ بِأَبْيَضَ أَمْهَقَ»(٤).

وَعَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَبْيَضَ، بَيَاضُهُ إِلَى السُّمْرَةِ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: يُقَالُ: إِنَّ الْمُشْرَبَ مِنْهُ بِحُمْرَةٍ وَإِلَىٰ السُّمْرَةِ: مَا ضَحَى لِلشَّمْسِ وَالرِّيحِ - أَيْ: كَالْوَجْهِ وَالْعُنُقِ - وَأَمَّا مَا تَحْتَ الثِّيَابِ: فَهُوَ الأَزْهَرُ(٥) الأَبْيَضُ.

---

(١) رواه الترمذي في الشمائل.

(٢) رواه مسلم.

(٣) ملجؤهم وغياثهم.

(٤) الأمهق: ناصع البياض بغير حمرة، وهو معيب في لون الإنسان.

(٥) الصافي الذي لا تشوبه صُفرة ولا حمرة ولا شيء من الألوان.

وَأَمَّا طِيبُ رِيحِهِ وَعَرَقِهِ وَفَضَلاَتِهِ ﷺ:

فَقَدْ كَانَتِ الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ صِفَتَهُ ﷺ وَإِنْ لَمْ يَمَسَّ طِيباً، قَالَ أَنَسٌ: «مَا شَمَمْتُ رِيحاً قَطُّ وَلاَ مِسْكاً وَلاَ عَنْبَراً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ» رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَعَنْ أُمِّ عَاصِمٍ امْرَأَةِ عُتْبَةَ بْنِ فَرْقَدٍ السُّلَمِيِّ، قَالَتْ: كُنَّا عِنْدَ عُتْبَةَ أَرْبَعَ نِسْوَةٍ، فَمَا مِنَّا امْرَأَةٌ إِلاَّ وَهِيَ تَجْتَهِدُ فِي الطِّيبِ لِتَكُونَ أَطْيَبَ مِنْ صَاحِبَتِهَا، وَلاَ يَمَسُّ عُتْبَةُ الطِّيبَ إِلاَّ أَنْ يَمَسَّ دُهْناً يَمْسَحُ بِهِ لِحْيَتَهُ، وَلَهُوَ أَطْيَبُ رِيحاً مِنَّا، وَكَانَ إِذَا خَرَجَ إِلَى النَّاسِ قَالُوا: مَا شَمِمْنَا رِيحاً أَطْيَبَ مِنْ رِيحِ عُتْبَةَ، فَقُلْتُ لَهُ يَوْماً: إِنَّا لَنَجْتَهِدُ فِي الطِّيبِ، وَلأَنْتَ أَطْيَبُ رِيحاً مِنَّا، فَمِمَّ ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: أَخَذَنِي الشَّرَىٰ(١) عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَأَتَيْتُهُ فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ ذٰلِكَ، فَأَمَرَنِي أَنْ أَتَجَرَّدَ، فَتَجَرَّدْتُ وَقَعَدْتُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَأَلْقَيْتُ ثَوْبِي عَلَى فَرْجِي(٢)، فَنَفَثَ فِي يَدِهِ ثُمَّ مَسَحَ ظَهْرِي وَبَطْنِي بِيَدِهِ، فَعَبَقَ بِي هٰذَا الطِّيبُ مِنْ يَوْمِئِذٍ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ(٣).

وَرَوَىٰ أَيْضاً قِصَّةَ الَّذِي اسْتَعَانَ بِهِ ﷺ عَلَى تَجْهِيزِ ابْنَتِهِ(٤)، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُ شَيْءٌ، فَاسْتَدْعَى بِقَارُورَةٍ فَسَلَتَ لَهُ فِيهَا مِنْ عَرَقِهِ، وَقَالَ: **«مُرْهَا فَلْتَطَّيَّبْ بِهِ»** فَكَانَتْ إِذَا تَطَيَّبَتْ بِهِ شَمَّ أَهْلُ الْمَدِينَةِ ذٰلِكَ الطِّيبَ، فَسُمُّوا بَيْتَ الْمُطَيَّبِينَ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا مَرَّ فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ، وَجَدُوا مِنْهُ رَائِحَةَ الطِّيبِ، وَقَالُوا: مَرَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ

---

(١) الحِكّة.

(٢) وإنما جاز كشف العورة من أجل التداوي.

(٣) في معجمه الصغير.

(٤) لتزويجها.

هٰذَا الطَّرِيقِ» رَوَاهُ أَبُو يَعْلَى وَغَيْرُهُ[١]، وَرُوِيَ نَحْوُهُ عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللّٰهِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ وَجْهاً، وَأَنْوَرَهُمْ لَوْناً، لَمْ يَصِفْهُ وَاصِفٌ قَطُّ إِلاَّ شَبَّهَ وَجْهَهُ بِالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، وَكَانَ عَرَقُهُ فِي وَجْهِهِ مِثْلَ اللُّؤْلُؤِ، أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ الأَذْفَرِ[٢]. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: «دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ، فَقَالَ عِنْدَنَا[٣]، فَعَرِقَ، وَجَاءَتْ أُمِّي بِقَارُورَةٍ، فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ الْعَرَقَ فِيهَا، فَاسْتَيْقَظَ ﷺ، فَقَالَ: **«يَا أُمَّ سُلَيْم[٤]! مَا هٰذَا الَّذِي تَصْنَعِينَ؟»** قَالَتْ: هٰذَا عَرَقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِيبِنَا، وَهُوَ أَطْيَبُ الطِّيبِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: كَانَتْ مَحْرَماً لَهُ مِنْ قِبَلِ الرَّضَاعِ.

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ أَنَّهُ ﷺ مَسَحَ خَدَّهُ، قَالَ: فَوَجَدْتُ لِيَدِهِ بَرْداً وَرِيحاً، كَأَنَّمَا أَخْرَجَهَا مِنْ جُونَةِ عَطَّارٍ[٥]، قَالَ غَيْرُهُ: مَسَّهَا بِطِيبٍ أَمْ لَمْ يَمَسَّهَا يُصَافِحُ الْمُصَافِحَ فَيَظَلُّ يَوْمَهُ يَجِدُ رِيحاً، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى رَأْسِ الصَّبِيِّ فَيُعْرَفُ مِنْ بَيْنِ الصِّبْيَانِ بِرِيحِهَا[٦].

وَقَدْ وَرَدَ مِمَّا عَزَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ لِلأَخْبَارِيِّينَ، وَمَنْ أَلَّفَ فِي الشَّمَائِلِ الْكَرِيمَةِ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَغَوَّطَ انْشَقَّتِ الأَرْضُ، وَابْتَلَعَتْ بَوْلَهُ وَغَائِطَهُ، وَفَاحَتْ لِذٰلِكَ رَائِحَةٌ طَيِّبَةٌ.

---

(١) كالبزار بإسناد صحيح.

(٢) الجيّد.

(٣) نام نوم القيلولة.

(٤) واسمها مُلَيكة.

(٥) رواه مسلم.

(٦) رواه أبو نعيم والبيهقي بإسناد ضعيف عن عائشة رضي الله عنها.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: حَجَمَ النَّبِيَّ ﷺ غُلاَمٌ لِبَعْضِ قُرَيْشٍ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْ حِجَامَتِهِ أَخَذَ الدَّمَ فَذَهَبَ بِهِ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ، فَنَظَرَ يَمِيناً وَشِمَالاً فَلَمْ يَرَ أَحَداً، فَحَسَى دَمَهُ حَتَّى فَرَغَ، ثُمَّ أَقْبَلَ، فَنَظَرَ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ: «**وَيْحَكَ مَا صَنَعْتَ بِالدَّمِ؟**» قَالَ: قُلْتُ: غَيَّبْتُهُ مِنْ وَرَاءِ الْحَائِطِ، قَالَ: «**أَيْنَ غَيَّبْتَهُ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ نَفِسْتُ عَلَى دَمِكَ أَنْ أُهْرِيقَهُ فِي الأَرْضِ، فَهُوَ فِي بَطْنِي، فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَقَدْ أَحْرَزْتَ نَفْسَكَ مِنَ النَّارِ**»(١). اهـ

وَلَمَّا جُرِحَ النَّبِيُّ ﷺ مَصَّ جُرْحَهُ مَالِكٌ(٢) وَالِدُ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، حَتَّى أَنْقَاهُ وَلاَحَ أَبْيَضَ، فقَالَ: «**مُجَّهُ**»، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ لاَ أَمُجُّهُ أَبَداً، ثُمَّ ازْدَرَدَهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**مَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ فَلْيَنْظُرْ إِلَى هٰذَا**» فَاسْتُشْهِدَ(٣).

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: احْتَجَمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَعْطَانِي الدَّمَ، فَقَالَ: «**اذْهَبْ فَغَيِّبْهُ**»، فَذَهَبْتُ فَشَرِبْتُهُ، فَأَتَيْتُهُ ﷺ، فَقَالَ: «**مَا صَنَعْتَ؟**» قُلْتُ: غَيَّبْتُهُ، قَالَ: «**لَعَلَّكَ شَرِبْتَهُ؟**» قُلْتُ: شَرِبْتُهُ، فَقَالَ: «**وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ**»(٤). وَفِي رِوَايَةٍ(٥) زِيَادَةٌ: «**وَلاَ تَمَسُّكَ النَّارُ**».

وَعَنْ أُمِّ أَيْمَنَ قَالَتْ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ إِلَى فَخَّارَةٍ فِي جَانِبِ الْبَيْتِ، فَبَالَ فِيهَا، فَقُمْتُ مِنَ اللَّيْلِ، وَأَنَا عَطْشَانَةٌ، فَشَرِبْتُ مَا فِيهَا، وَأَنَا لاَ أَشْعُرُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّبِيُّ ﷺ قَالَ: «**يَا أُمَّ أَيْمَنَ! قُومِي فَأَهْرِيقِي مَا فِي تِلْكَ الْفَخَّارَةِ**»، فَقُلْتُ: قَدْ وَاللَّهِ شَرِبْتُ مَا فِيهَا، قَالَتْ: فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

---

(١) رواه ابن حبان في الضعفاء.

(٢) ابن سنان.

(٣) رواه الطبراني في معجمه الأوسط، ورواه البيهقي.

(٤) رواه الحاكم والبزّار والدارقطني والبيهقي والبغوي والطبراني، وسنده جيد.

(٥) للدارقطني.

حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَا وَاللَّهِ لاَ يَبْجَعَنَّ**[١] **بَطْنُكِ أَبَداً**»[٢].

وَفِي هٰذِهِ الأَحَادِيثِ دَلاَلَةٌ عَلَى طَهَارَةِ بَوْلِهِ وَدَمِهِ ﷺ، قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ حَجَرٍ: قَدْ تَكَاثَرَتِ الأَدِلَّةُ عَلَى طَهَارَةِ فَضَلاَتِهِ ﷺ، وَعَدَّ الأَئِمَّةُ ذٰلِكَ فِي خَصَائِصِهِ ﷺ، وَنَقَلَ النَّوَوِيُّ عَنِ الْقَاضِي حُسَيْنٍ: أَنَّ الأَصَحَّ الْقَطْعُ بِطَهَارَةِ الْجَمِيعِ[٣]. وَبِهٰذَا قَالَ أَبُو حَنِيفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَمَا قَالَهُ الْعَيْنِيُّ.

وَكَانَ أَكْثَرَ أَحْوَالِهِ ﷺ الْبَوْلُ عَنْ قُعُودٍ، وَبَالَ قَائِماً لِبَيَانِ الْجَوَازِ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَدْخُلَ الْخَلاَءَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ**»[٤] (وَالْخُبُثُ: ذُكْرَانُ الشَّيَاطِينِ، وَالْخَبَائِثُ: إِنَاثُهَا).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ ﷺ إِذَا أَرَادَ الْحَاجَةَ لَمْ يَرْفَعْ ثَوْبَهُ حَتَّى يَدْنُوَ مِنَ الأَرْضِ[٥].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْخَلاَءِ قَالَ: «**غُفْرَانَكَ**»[٦]، وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ يَقُولُ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنِّي الأَذَى وَعَافَانِي**»[٧].

وَقَالَ ﷺ: «**إِذَا أَتَى أَحَدُكُمُ الْغَائِطَ فَلاَ يَسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةَ، وَلاَ يُوَلِّهَا ظَهْرَهُ، وَلٰكِنْ شَرِّقُوا أَوْ غَرِّبُوا**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِيهِ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ ﷺ اسْتَنْجَى بِالْمَاءِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّهُ ﷺ اسْتَنْجَى بِثَلاَثَةِ أَحْجَارٍ.

---

(١) الصواب: لا تتّجعين، أي: لا تشتكين من وجع البطن.
(٢) رواه الطبراني في الكبير، والحاكم، والدارقطني، وسنده ضعيف.
(٣) جميع الفضلات.
(٤) رواه البخاري.
(٥) رواه الترمذي وأبو داود.
(٦) رواه الترمذي وابن ماجه.
(٧) رواه ابن ماجه.

الفصل الثاني

فِيمَا أَكْرَمَهُ اللّهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الأَخْلاَقِ الزَّكِيَّةِ ﷺ

كَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ كَمَا أَحْسَنْتَ خَلْقِي، فَحَسِّنْ خُلُقِي**» أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ(١).

وَعِنْدَ مُسْلِم فِي حَدِيثِ دُعَاءِ الافْتِتَاحِ: «**وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ**».

وَلَمَّا اجْتَمَعَ فِيهِ ﷺ مِنْ خِصَالِ الْكَمَالِ مَا لاَ يُحِيطُ بِهِ حَدٌّ وَلاَ يَحْصُرُهُ عَدٌّ؛ أَثْنَى اللّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَيْهِ فِي كِتَابِهِ الْكَرِيمِ، فَقَالَ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾(٢)، وَحُسْنُ الْخُلُقِ مَلَكَةٌ نَفْسَانِيَّةٌ يَسْهُلُ عَلَى الْمُتَّصِفِ بِهَا الإِتْيَانُ بِالأَفْعَالِ الْجَمِيلَةِ، وَإِنَّمَا كَانَ خُلُقُهُ ﷺ عَظِيماً لاجْتِمَاعِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ فِيهِ. قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّ اللّهَ تَعَالَى بَعَثَنِي بِتَمَامِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ، وَكَمَالِ مَحَاسِنِ الأَفْعَالِ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ(٣)، وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي الْمُوَطَّأ(٤): «**بُعِثْتُ لأُتَمِّمَ مَكَارِمَ الأَخْلاَقِ**».

---

(١) كابن حبان وصححه.

(٢) سورة القلم، الآية: ٤.

(٣) في الأوسط بسند ضعيف.

(٤) بلاغاً، وأحمد.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ خُلُقُهُ ﷺ الْقُرْآنَ[١]، فَكَمَا أَنَّ مَعَانِيَ الْقُرْآنِ لاَ تَتَنَاهَى؛ كَذٰلِكَ أَوْصَافُهُ الْجمِيلَةُ الدَّالَّةُ عَلَى خُلُقِهِ الْعَظِيمِ لاَ تَتَنَاهَى، إِذْ فِي كُلِّ حَالَةٍ مِنْ أَحْوَالِهِ ﷺ يَتَجَدَّدُ لَهُ مِنْ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ وَمَحَاسِنِ الشِّيَمِ وَمَا يُفِيضُهُ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ مَعَارِفِهِ وَعُلُومِهِ مَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللّهُ تَعَالَى، فَإِذَاً التَّعَرُّضُ لِحَصْرِ جُزْئِيَّاتِ أَخْلاَقِهِ الْجَمِيلَةِ تَعَرُّضٌ لِمَا لَيْسَ مِنْ مَقْدُورِ الإِنْسَانِ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ مَجْبُولاً عَلَى الأَخْلاَقِ الْكَرِيمَةِ فِي أَصْلِ خِلْقَتِهِ الزَّكِيَّةِ النَّقِيَّةِ، لَمْ يَحْصُلْ لَهُ ذٰلِكَ بِرِيَاضَةِ نَفْسٍ بَلْ بِجُودٍ إِلٰهِيٍّ، وَلِهٰذَا لَمْ تَزَلْ تُشْرِقُ أَنْوَارُ الْمَعَارِفِ فِي قَلْبِهِ حَتَّى وَصَلَ إِلَى الْغَايَةِ الْعُلْيَا وَالْمَقَامِ الأَسْنَى.

وَأَصْلُ هٰذِهِ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ كَمَالُ الْعَقْلِ، لأَنَّ بِهِ تُقْتَبَسُ الْفَضَائِلُ وَتُجْتَنَبُ الرَّذَائِلُ، وَهُوَ أَمْرٌ رُوحَانِيٌّ بِهِ تُدْرِكُ النَّفْسُ الْعُلُومَ الضَّرُورِيَّةَ[٢] وَالنَّظَرِيَّةَ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ كَمَالِ الْعَقْلِ فِي الْغَايَةِ الْقُصْوَى الَّتِي لَمْ يَبْلُغْهَا بَشَرٌ سِوَاهُ. قَالَ وَهَبُ بْنُ مُنَبِّهٍ: قَرَأْتُ فِي أَحَدٍ وَسَبْعِينَ كِتَاباً، فَوَجَدْتُ فِي جَمِيعِهَا أَنَّ اللّهَ تَعَالَى لَمْ يُعْطِ جَمِيعَ النَّاسِ مِنْ بَدْءِ الدُّنْيَا إِلَى انْقِضَائِهَا مِنَ الْعَقْلِ فِي جَنْبِ عَقْلِهِ ﷺ إِلاَّ كَحَبَّةِ رَمْلٍ مِنْ جَمِيعِ رِمَالِ الدُّنْيَا، وَأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً، وَأَفْضَلُهُمْ رَأْياً. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ وَابْنُ عَسَاكِرَ.

وَفِي عَوَارِفِ الْمَعَارِفِ[٣] عَنْ بَعْضِهِمْ: اللُّبُّ وَالْعَقْلُ مِئَةُ جُزْءٍ: تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ فِي النَّبِيِّ ﷺ، وَجُزْءٌ فِي سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) وهي التي تحصل بالحواس الخمس.

(٣) للسهروردي المتوفى سنة ٦٣٢هـ.

وَمَنْ تَأَمَّلَ حُسْنَ تَدْبِيرِهِ لِلْعَرَبِ الَّذِينَ هُمْ كَالْوَحْشِ الشَّارِدِ مَعَ الطَّبْعِ الْمُتَنَافِرِ الْمُتَبَاعِدِ، وَكَيْفَ سَاسَهُمْ وَاحْتَمَلَ جَفَاهُمْ وَصَبَرَ عَلَى أَذَاهُمْ إِلَى أَنِ انْقَادُوا إِلَيْهِ وَاجْتَمَعُوا عَلَيْهِ، وَقَاتَلُوا دُونَهُ أَهْلِيهِمْ وَآبَاءَهُمْ وَأَبْنَاءَهُمْ، وَاخْتَارُوهُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ، وَهَجَرُوا فِي رِضَاهُ أَوْطَانَهُمْ وَأَحِبَّاءَهُمْ مِنْ غَيْرِ مُمَارَسَةٍ سَبَقَتْ لَهُ، وَلاَ مُطَالَعَةِ كُتُبٍ يَتَعَلَّمُ مِنْهَا سِيَرَ الْمَاضِينَ؛ تَحَقَّقَ أَنَّهُ أَعْقَلُ الْعَالَمِينَ ﷺ. اهـ

وَلَمَّا كَانَ عَقْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَوْسَعَ الْعُقُولِ لاَ جَرَمَ اتَّسَعَتْ أَخْلاَقُ نَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ اتِّسَاعاً لاَ يَضِيقُ عَنْ شَيْءٍ.

فَمِنْ ذٰلِكَ: اتِّسَاعُ خُلُقِهِ الْعَظِيمِ ﷺ فِي الْحِلْمِ وَالْعَفْوِ مَعَ الْقُدْرَةِ، وَصَبْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ، وَحَسْبُكَ صَبْرُهُ وَعَفْوُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَنِ الْكَافِرِينَ بِهِ، الْمُقَاتِلِينَ لَهُ، الْمُحَارِبِينَ لَهُ، فِي أَشَدِّ مَا نَالُوهُ مِنْهُ مِنَ الْجِرَاحِ وَالْجَهْدِ[1]، بِحَيْثُ كُسِرَتْ رَبَاعِيَتُهُ[2]، وَشُجَّ وَجْهُهُ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى صَارَ الدَّمُ يَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ الشَّرِيفِ، حَتَّى شَقَّ ذٰلِكَ عَلَى أَصْحَابِهِ شَدِيداً، وَقَالُوا: لَوْ دَعَوْتَ عَلَيْهِمْ؟ فَقَالَ: «**إِنِّي لَمْ أُبْعَثْ لَعَّاناً، وَلٰكِنْ بُعِثْتُ دَاعِياً وَرَحْمَةً، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي، فَإِنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**»[3]. وَفِي رِوَايَةٍ: «**اهْدِ قَوْمِي**».

وَقَدْ وَقَعَ لَهُ ﷺ أَنَّهُ غَضِبَ لأَسْبَابٍ مُخْتَلِفَةٍ مَرْجِعُهَا إِلَى أَنَّ ذٰلِكَ كَانَ فِي أَمْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فَصَبْرُهُ وَعَفْوُهُ إِنَّمَا كَانَ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِنَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ.

وَقَدْ رَوَى الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ[4] عَنْ زَيْدِ بْنِ سَعْنَةَ ـ وَهُوَ أَجَلُّ أَحْبَارِ الْيَهُودِ

---

(١) المشقّة.

(٢) الرَّباعيَة: السنّ بين الثنيَّة والناب.

(٣) رواه البيهقي في شعب الإيمان.

(٤) كالطبراني وابن حبان.

الَّذِينَ أَسْلَمُوا ـ أَنَّهُ قَالَ: لَمْ يَبْقَ مِنْ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ شَيْءٌ إِلاَّ وَقَدْ عَرَفْتُهُ فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، إِلاَّ اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا مِنْهُ: يَسْبِقُ حِلْمُهُ جَهْلَهُ، وَلاَ تَزِيدُهُ شِدَّةُ الْجَهْلِ عَلَيْهِ إِلاَّ حِلْماً، فَكُنْتُ أَتَلَطَّفُ لَهُ لأَنْ أُخَالِطَهُ فَأَعْرِفَ حِلْمَهُ وَجَهْلَهُ، فَابْتَعْتُ مِنْهُ تَمْراً إِلَى أَجَلٍ، فَأَعْطَيْتُهُ الثَّمَنَ، فَلَمَّا كَانَ قَبْلَ مَحِلِّ الأَجَلِ بِيَوْمَيْنِ أَوْ ثَلاثَةٍ أَتَيْتُهُ فَأَخَذْتُ بِمَجَامِعِ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ، وَنَظَرْتُ إِلَيْهِ بِوَجْهٍ غَلِيظٍ، ثُمَّ قُلْتُ: أَلاَ تَقْضِينِي يَا مُحَمَّدُ حَقِّي؟ فَوَاللَّهِ إِنَّكُمْ يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مُطْلٌ، فَقَالَ عُمَرُ: أَيْ عَدُوَّ اللَّهِ! أَتَقُولُ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا أَسْمَعُ؟ فَوَاللَّهِ لَوْلاَ مَا أُحَاذِرُ فَوْتَهُ لَضَرَبْتُ بِسَيْفِي رَأْسَكَ، وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَنْظُرُ إِلَى عُمَرَ فِي سُكُونٍ وَتُؤَدَةٍ وَتَبَسُّمٍ، ثُمَّ قَالَ: **«أَنَا وَهُوَ كُنَّا أَحْوَجَ إِلَى غَيْرِ هٰذَا مِنْكَ يَا عُمَرُ: أَنْ تَأْمُرَنِي بِحُسْنِ الأَدَاءِ، وَتَأْمُرَهُ بِحُسْنِ التَّقَاضِي، اذْهَبْ بِهِ يَا عُمَرُ فَاقْضِهِ حَقَّهُ، وَزِدْهُ عِشْرِينَ صَاعاً مَكَانَ مَا رُعْتَهُ»**[(١)]، فَفَعَلَ، فَقُلْتُ: يَا عُمَرُ كُلُّ عَلاَمَاتِ النُّبُوَّةِ قَدْ عَرَفْتُهَا فِي وَجْهِ مُحَمَّدٍ ﷺ حِينَ نَظَرْتُ إِلَيْهِ، إِلاَّ اثْنَتَيْنِ لَمْ أَخْبُرْهُمَا، فَقَدِ اخْتَبَرْتُهُمَا، أُشْهِدُكَ أَنِّي قَدْ رَضِيتُ بِاللَّهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلاَمِ دِيناً، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ نَبِيًّا.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدٌ نَجْرَانِيٌّ غَلِيظُ[(٢)] الْحَاشِيَةِ، فَأَدْرَكَهُ أَعْرَابِيٌّ، فَجَبَذَ بِرِدَائِهِ جَبْذَةً شَدِيدَةً، فَنَظَرْتُ إِلَى صَفْحَةِ عَاتِقِهِ وَقَدْ أَثَّرَتْ فِيهِ حَاشِيَةُ الْبُرْدِ مِنْ شِدَّةِ جَبْذَتِهِ، ثُمَّ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ! مُرْ لِي مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي عِنْدَكَ، فَالْتَفَتَ إِلَيْهِ فَضَحِكَ، ثُمَّ أَمَرَ لَهُ بِعَطَاءٍ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ فَاحِشاً، وَلاَ مُتَفَحِّشاً، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ[(٣)].

---

(١) أخفته.

(٢) خشن.

(٣) رواه الترمذي.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً: أَنَّ رَجلاً اسْتَأْذَنَ عَلى النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا رَآهُ قَالَ: «**بِئْسَ أَخُو الْعَشِيرَةِ، وَبِئْسَ ابْنُ الْعَشِيرَةِ**»، فَلَمَّا جَلَسَ تَطَلَّقَ النَّبِيُّ ﷺ فِي وَجْهِهِ، وَانبَسَطَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا انطَلَقَ الرَّجُلُ، قَالَتْ لَهُ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! حِينَ رَأَيْتَ الرَّجُلَ قُلْتَ لَهُ: كَذَا وَكَذَا، ثُمَّ تَطَلَّقْتَ فِي وَجْهِهِ وَانْبَسَطْتَ إِلَيْهِ؟ فَقَالَ: «**يَا عَائِشَةُ مَتَى عَهِدْتِينِي فَحَّاشاً؟ إِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللَّهِ مَنْزِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ تَرَكَهُ النَّاسُ اتِّقَاءَ شَرِّهِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. قَالَ ابْنُ بَطَالٍ: هٰذَا الرَّجُلُ هُوَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ الْفَزَارِيُّ، وَكَانَ يُقَالُ لَهُ: الأَحْمَقُ الْمُطَاعُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَوَرَدَ عَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً مِثْلُ هٰذِهِ الْقِصَّةِ مَعَ مَخْرَمَةَ بْنِ نَوْفَلٍ، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: لَمْ يَكُنْ عُيَيْنَةُ وَاللَّهُ أَعْلَمُ حِينَئِذٍ أَسْلَمَ، وَقَدْ كَانَ مِنْهُ فِي حَيَاةِ النَّبِيِّ ﷺ وَبَعْدَهُ أُمُورٌ تَدُلُّ عَلَى ضَعْفِ إِيمَانِهِ.

وَمَا لَعَنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُسْلِماً بِذِكْرِ اسْمِهِ ـ أَيْ: بِصَرِيحِهِ ـ، وَمَا ضَرَبَ بِيَدِهِ شَيْئاً قَطُّ إِلاَّ أَنْ يَضْرِبَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَلاَ سُئِلَ شَيْئاً قَطُّ فَمَنَعَهُ إِلاَّ أَنْ يُسْأَلَ مَأْثَماً، وَمَا انْتَقَمَ لِنَفْسِهِ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْ تُنْتَهَكَ حُرُمَاتُ اللَّهِ فَيَكُونُ لِلَّهِ يَنْتَقِمُ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَمِمَّا رُوِيَ مِنْ اتِّسَاعِ خُلُقِهِ وَحِلْمِهِ ﷺ: اتِّسَاعُ خُلُقِهِ لِلْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ كَانُوا يُؤْذُونَهُ إِذَا غَابَ، وَيَتَمَلَّقُونَ لَهُ إِذَا حَضَرَ، وَذٰلِكَ مِمَّا تَنْفِرُ مِنْهُ النُّفُوسُ الْبَشَرِيَّةُ حَتَّى تُؤَيِّدَهَا الْعِنَايَةُ الرَّبَّانِيَّةُ[1]، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كُلَّمَا أُذِنَ لَهُ فِي التَّشْدِيدِ عَلَيْهِمْ فَتَحَ لَهُمْ بَاباً مِنَ الرَّحْمَةِ.

وَلَمْ يُؤَاخِذْ لَبِيدَ بْنَ الأَعْصَمِ إِذْ سَحَرَهُ[2]، وَعَفَا عَنِ الْيَهُودِيَّةِ[3] الَّتِي سَمَّتْهُ فِي الشَّاةِ عَلَى الصَّحِيحِ[4].

---

(١) فتُخفّف من نُفرتها.

(٢) كما روىٰ ذلك أحمد والنسائي.

(٣) زينب بنت الحارث، امرأة سلاّم بن مِشكم الذي قُتل في الحرب.

(٤) الذي رواه الشيخان. لكن لما مات بشر بن البراء من تلك الأُكلة أمر بقتلها فقُتلت.

وَمِنْ اتِّسَاعِ خُلُقِهِ ﷺ تَوَاضُعُهُ، وَحُسْنُ عِشْرَتِهِ مَعَ أَهْلِهِ وَخَدَمِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَحَسْبُكَ مِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنْ خَيَّرَهُ رَبُّهُ تَعَالَى بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكاً، أَوْ نَبِيًّا عَبْداً، فَاخْتَارَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْداً، فَأَعْطَاهُ اللَّهُ بِتَوَاضُعِهِ أَنْ جَعَلَهُ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ، فَلَمْ يَأْكُلْ مُتَّكِئاً بَعْدَ ذٰلِكَ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«لاَ تُطْرُونِي**(١) **كَمَا أَطْرَتِ النَّصَارَىٰ ابْنَ مَرْيَمَ، إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، فَقُولُوا: عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٢).

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَنَّهُ كَانَ لاَ يَنْهَرُ خَادِماً، قَالَ أَنَس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: خَدَمْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَشْرَ سِنِيْنٍ، فَمَا قَالَ لِي: أُفٍّ قَطُّ، وَلاَ قَالَ لِشَيْءٍ صَنَعْتُهُ: لِمَ صَنَعْتَهُ؟ وَلاَ لِشَيْءٍ تَرَكْتُهُ لِمَ تَرَكْتَهُ(٣)؟

كَذٰلِكَ كَانَ ﷺ مَعَ عَبِيدِهِ وَإِمَائِهِ، مَا ضَرَبَ مِنْهُمْ أَحَداً قَطُّ. وَهٰذَا أَمْرٌ لاَ تَتَّسِعُ لَهُ الطِّبَاعُ الْبَشَرِيَّةُ لَوْلاَ التَّأْيِيدَاتُ الرَّبَّانِيَّةُ.

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَرْحَمَ بِالْعِيَالِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا ضَرَبَ ﷺ شَيْئاً قَطُّ بِيَدِهِ، وَلاَ امْرَأَةً وَلاَ خَادِماً، إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، وَمَا نِيلَ مِنْهُ شَيْءٌ فَيَنْتَقِمَ مِنْ صَاحِبِهِ، إِلاَّ أَنْ يُنْتَهَكَ شَيْءٌ مِنْ مَحَارِمِ اللَّهِ تَعَالَى، فَيَنْتَقِمُ لِلَّهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَسُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَيْفَ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَلاَ فِي بَيْتِهِ؟ قَالَتْ: أَلْيَنَ النَّاسِ، بَسَّاماً ضَحَّاكاً، لَمْ يُرَ قَطُّ مَادًّا رِجْلَيْهِ بَيْنَ أَصْحَابِهِ(٤).

---

(١) الإطراء: هو الإفراط في المديح، ومجاوزةُ الحدّ فيه.

(٢) والبخاري ٣٢٦١، وكان الأولىٰ النسبةَ إليه.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) رواه ابن سعد.

وَعَنْهَا: مَا كَانَ أَحَدٌ أَحْسَنَ خُلُقاً مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، مَا دَعَاهُ أَحَدٌ مِنَ الأَصْحَابِ إِلاَّ قَالَ: «**لَبَّيْكَ**»[١].

وَرَوَى عَنْهَا الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[٢]: كَانَ ﷺ يَخِيطُ ثَوْبَهُ، وَيَخْصِفُ نَعْلَهُ، وَيَرْقَعُ دَلْوَهُ، وَيَفْلِي ثَوْبَهُ[٣]، وَيَحْلُبُ شَاتَهُ، وَيَخْدُمُ نَفْسَهُ، وَهٰذَا يَتَعَيَّنُ حَمْلُهُ عَلَى أَوْقَاتٍ، فَإِنَّهُ ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ لَهُ خَدَمٌ، فَتَارَةً يَكُونُ بِنَفْسِهِ، وَتَارَةً بِغَيْرِهِ، وَتَارَةً بِالْمُشَارَكَةِ.

وَكَانَ ﷺ يَرْكَبُ الْحِمَارَ، وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ، وَرَكِبَ يَوْمَ بَنِي قُرَيْظَةَ عَلَى حِمَارٍ مَخْطُومٍ[٤] بِحَبْلٍ مِنْ لِيف. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. اهـ

وَعَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: زَارَنَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَرَادَ الانْصِرَافَ قَرَّبَ إِلَيْهِ سَعْدٌ حِمَاراً وَطَّأَ عَلَيْهِ بِقَطِيفَةٍ[٥]، وَرَكِبَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ثُمَّ قَالَ سَعْدٌ: يَا قَيْسُ! اصْحَبْ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، قَالَ قَيْسٌ: فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**ارْكَبْ**»، فَأَبَيْتُ، فَقَالَ: «**إِمَّا أَنْ تَرْكَبَ، وَإِمَّا أَنْ تَنْصَرِفَ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**ارْكَبْ أَمَامِي، فَصَاحِبُ الدَّابَّةِ أَوْلَى بِمُقَدَّمِهَا**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَأَرْدَفَ ﷺ بَعْضَ نِسَائِهِ[٦]، وَأَرْدَفَ مُعَاذَ بْنِ جَبَلٍ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ بْنَ زَيْدٍ، وَلَمَّا قَدِمَ ﷺ مَكَّةَ اسْتَقْبَلَهُ أُغَيْلِمَةُ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِب، فَحَمَلَ وَاحِداً بَيْنَ يَدَيْهِ، وَآخَرَ خَلْفَهُ[٧].

---

(١) رواه أبو نُعيم في الدلائل.
(٢) كابن حِبّان.
(٣) من القَمْل.
(٤) مربوط.
(٥) وضع عليه دثاراً.
(٦) رواه البخاري.
(٧) رواه البخاري.

وَذَكَرَ الطَّبَرِيُّ فِي مُخْتَصَرِ السِّيرَةِ النَّبَوِيَّةِ: أَنَّهُ ﷺ رَكِبَ حِمَاراً عُرْياً[1] إِلَى قُبَاءَ، وَأَبُو هُرَيْرَةَ مَعَهُ، قَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَأَحْمِلُكَ؟**» فَقَالَ: مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «**ارْكَبْ**»، فَوَثَبَ أَبُو هُرَيْرَةَ لِيَرْكَبَ فَلَمْ يَقْدِرْ، فَاسْتَمْسَكَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَقَعَا مَعاً، ثُمَّ رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَأَحْمِلُكَ؟**» فَقَالَ: مَا شِئْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «**ارْكَبْ**»، فَلَمْ يَقْدِرْ أَبُو هُرَيْرَةَ عَلَى ذٰلِكَ، فَتَعَلَّقَ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَوَقَعَا جَمِيعاً، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَبَا هُرَيْرَةَ أَأَحْمِلُكَ؟**» فَقَالَ: لاَ وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ، لاَ رَمَيْتُكَ ثَالِثاً.

وَذَكَرَ الْمُحِبُّ الطَّبَرِيُّ أَيْضاً: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ فِي سَفَرٍ وَأَمَرَ أَصْحَابَهُ بِإِصْلاَحِ شَاةٍ، فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَيَّ ذَبْحُهَا، وَقَالَ آخَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَيَّ سَلْخُهَا، وَقَالَ آخَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَلَيَّ طَبْخُهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَعَلَيَّ جَمْعُ الْحَطَبِ**»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! نَكْفِيكَ الْعَمَلَ، فَقَالَ ﷺ: «**قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكُمْ تَكْفُونِي، وَلٰكِنْ أَكْرَهُ أَنْ أَتَمَيَّزَ عَلَيْكُمْ، وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَكْرَهُ مِنْ عَبْدِهِ أَنْ يَرَاهُ مُتَمَيِّزاً بَيْنَ أَصْحَابِهِ**».

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ: وَفَدَ وَفْدُ النَّجَاشِيِّ، فَقَامَ ﷺ يَخْدُمُهُمْ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: نَكْفِيكَ، قَالَ: «**إِنَّهُمْ كَانُوا لأَصْحَابِنَا مُكْرِمِينَ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُكَافِئَهُمْ**»[2].

وَجَاءَتْهُ ﷺ امْرَأَةٌ كَانَ فِي عَقْلِهَا شَيْءٌ، فَقَالَتْ: إِنَّ لِي إِلَيْكَ حَاجَةً[3]، فَقَالَ: «**اجْلِسِي فِي أَيِّ سِكَكِ الْمَدِينَةِ شِئْتِ أَجْلِسْ إِلَيْكِ حَتَّى أَقْضِيَ حَاجَتَكِ**» فَخَلاَ مَعَهَا فِي بَعْضِ الطَّرِيقِ حَتَّى فَرَغَتْ مِنْ حَاجَتِهَا[4].

---

(١) لا شيء عليه.

(٢) رواه البيهقي في الدلائل.

(٣) وذلك أنها تريد أن يُفتيها في أمر دون أن يسمعها أحد.

(٤) رواه مسلم.

وَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ أَبِي الْحَمْسَاءِ: بَايَعْتُ النَّبِيَّ ﷺ قَبْلَ أَنْ يُبْعَثَ[1]، وَبَقِيَتْ لَهُ بَقِيَّةٌ، فَوَعَدْتُهُ أَنْ آتِيَهُ بِهَا فِي مَكَانِهِ، فَنَسِيتُ، فَذَكَرْتُ بَعْدَ ثَلاَثٍ[2]، وَإِذَا هُوَ فِي مَكَانِهِ، فَقَالَ: «**لَقَدْ شَقَقْتَ عَلَيَّ، أَنَا هٰهُنَا مُنْذُ ثَلاَثٍ أَنْتَظِرُكَ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي أَوْفَى: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ يَأْنَفُ أَنْ يَمْشِيَ مَعَ الأَرْمَلَةِ وَالْمِسْكِينِ فَيَقْضِيَ لَهُ الْحَاجَةَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ، وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ[3]: إِنْ كَانَتِ الأَمَةُ[4] لَتَأْخُذُ بِيَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شَاءَتْ. وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ: فَتَنْطَلِقُ بِهِ فِي حَاجَتِهَا.

وَدَخَلَ الْحَسَنُ وَهُوَ ﷺ يُصَلِّي قَدْ سَجَدَ، فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَأَبْطَأَ فِي سُجُودِهِ حَتَّى نَزَلَ الْحَسَنُ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ أَطَلْتَ سُجُودَكَ، قَالَ: «**إِنَّ ابْنِي ارْتَحَلَنِي، فَكَرِهْتُ أَنْ أُعْجِلَهُ**»[5] ـ أَيْ: جَعَلَنِي كَالرَّاحِلَةِ، فَرَكِبَ عَلَى ظَهْرِي ـ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَعُودُ الْمَرْضَى، وَيَشْهَدُ الْجَنَازَةَ[6].

وَحَجَّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَحْلٍ رَثٍّ وَعَلَيْهِ قَطِيفَةٌ لاَ تُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْهُ حَجًّا لاَ رِيَاءَ فِيهِ وَلاَ سُمْعَةَ**»[7]. اهـ

---

(١) أي: اشتريت منه.

(٢) أي: ثلاث ليال.

(٣) في باب الأدب تعليقاً دون سند، ووصله ابن ماجه.

(٤) وفي رواية: الوليدة.

(٥) رواه أحمد.

(٦) رواه الترمذي في الشمائل.

(٧) رواه الترمذي في الشمائل، وأبو داود.

وَكَانَ إِذَا صَلَّى الْغَدَاةَ[1] جَاءَ خَدَمُ الْمَدِينَةِ بِآنِيَتِهِمْ، فِيهَا الْمَاءُ، فَمَا يُؤْتَى بِإِنَاءٍ إِلاَّ غَمَسَ يَدَهُ فِيهِ[2]، فَرُبَّمَا جَاؤُوهُ بِالْغَدَاةِ الْبَارِدَةِ فَيَغْمِسُ يَدَهُ فِيهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[3].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حَسَنَ الْعِشْرَةِ مَعَ أَزْوَاجِهِ، وَكَانَ يَنَامُ مَعَهُنَّ، قَالَ النَّوَوِيُّ: وَهُوَ ظَاهِرُ فِعْلِهِ الَّذِي وَاظَبَ عَلَيْهِ، مَعَ مُوَاظَبَتِهِ ﷺ عَلَى قِيَامِ اللَّيْلِ، فَيَنَامُ مَعَ إِحْدَاهُنَّ، فَإِذَا أَرَادَ الْقِيَامَ لِوَظِيفَتِهِ قَامَ وَتَرَكَهَا، فَيَجْمَعُ بَيْنَ وَظِيفَتِهِ، وَأَدَاءِ حَقِّهَا الْمَنْدُوبِ، وَعِشْرَتِهَا بِالْمَعْرُوفِ.

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُسَرِّبُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا بَنَاتِ الأَنْصَارِ يَلْعَبْنَ مَعَهَا. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَإِذَا شَرِبَتْ مِنَ الإِنَاءِ أَخَذَهُ، فَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى مَوْضِعِ فَمِهَا، وَشَرِبَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَإِذَا تَعَرَّقَتْ عَرْقاً ـ وَهُوَ الْعَظْمُ الَّذِي عَلَيْهِ اللَّحْمُ ـ أَخَذَهُ فَوَضَعَ فَمَهُ عَلَى مَوْضِعِ فَمِهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضاً.

وَكَانَ يَتَّكِىءُ فِي حِجْرِها، وَيُقَبِّلُهَا وَهُوَ صَائِمٌ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَكَانَ يُرِيهَا الْحَبَشَةَ، وَهُمْ يَلْعَبُونَ فِي الْمَسْجِدِ[4]، وَهِيَ مُتَّكِئَةٌ عَلَى مَنْكِبِهِ[5]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[6].

---

(١) الصبح.

(٢) يرجون بَرَكَتها.

(٣) كالترمذي.

(٤) بحِرابهم.

(٥) تقول عائشة رضي الله عنها: رأيت النبي ﷺ يسترني بردائه وأنا أنظر إلىٰ الحبشة يلعبون في المسجد، حتىٰ أكون أنا الذي أسأم، فاقدروا قدر الجارية الحديثة السن، الحريصة علىٰ اللهو.

(٦) ومسلم.

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ سَابَقَهَا فَسَبَقَتْهُ، ثُمَّ سَابَقَهَا فَسَبَقَتْهُ، ثُمَّ سَابَقَهَا بَعْدَ ذٰلِكَ فَسَبَقَهَا، وَقَالَ: «**هٰذِهِ بِتِلْكَ**»(١).

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: أَنَّهُمْ كَانُوا يَوْماً عِنْدَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي بَيْتِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا، إِذْ أُتِيَ بِصَحْفَةِ خُبْزٍ وَلَحْم مِنْ بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: «**ضَعُوا أَيْدِيَكُمْ**»، فَوَضَعَ نَبِيُّ اللّهِ ﷺ، وَوَضَعْنَا أَيْدِيَنَا، فَأَكَلْنَا، وَعَائِشَةُ تَصْنَعُ طَعَاماً عَجَّلَتْهُ، وَقَدْ رَأَتِ الصَّحْفَةَ الَّتِي أُتِيَ بِهَا، فَلَمَّا فَرَغَتْ مِنْ طَعَامِهَا جَاءَتْ بِهِ فَوَضَعَتْهُ، وَرَفَعَتْ صَحْفَةَ أُمِّ سَلَمَةَ فَكَسَرَتْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ(٢): «**كُلُوا بِسْمِ اللّهِ، غَارَتْ أُمُّكُمْ**»، ثُمَّ أَعْطَى صَحْفَتَهَا أُمَّ سَلَمَةَ، وَقَالَ: «**طَعَامٌ مَكَانَ طَعَامٍ، وَإِنَاءٌ مَكَانَ إِنَاءٍ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ(٣) وَغَيْرُهُ(٤).

وَوَقَعَ مِثْلُ ذٰلِكَ مِنْهَا مَعَ صَفِيَّةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ(٥).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ بِخَزِيرَةٍ(٦) طَبَخْتُهَا لَهُ، وَقُلْتُ لِسَوْدَةَ وَالنَّبِيُّ ﷺ بَيْنِي وَبَيْنَهَا: كُلِي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: كُلِي، فَأَبَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: لَتَأْكُلِينَ أَوْ لأُلَطِّخَنَّ بِهَا وَجْهَكِ، فَأَبَتْ، فَوَضَعْتُ يَدِي فِي الْخَزِيرَةِ فَلَطَّخْتُ بِهَا وَجْهَهَا، فَضَحِكَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَوَضَعَ فَخِذَهُ لَهَا، وَقَالَ لِسَوْدَةَ: «**الْطَخِي وَجْهَهَا**» فَلَطَخَتْ بِهَا وَجْهِي، فَضَحِكَ ﷺ.

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) بعد أن ضمّ القصعة المكسورة فجعل فيها الطعام.

(٣) في الصغير.

(٤) كالبخاري ٤٩٢٧، وكان الأَوْلى العزو إليه.

(٥) كأبي داود والنسائي.

(٦) أو حَريرة، فالخَزيرة: دقيق مع نخالته، أما الحريرة: فبدونها.

(وَالْخزِيرَةُ: لَحْمٌ يُقَطَّعُ صغاراً، وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ، فَإِذَا نَضَجَ ذُرَّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ).

وَبِالْجُمْلَةِ: فَمَنْ تَأَمَّلَ سِيرَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَعَ أَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَغَيْرِهِمْ مِنَ الْفُقَرَاءِ وَالأَيْتَامِ وَالأَرَامِلِ وَالأَضْيَافِ وَالْمَسَاكِينِ عَلِمَ أَنَّهُ ﷺ قَدْ بَلَغَ مِنْ رِقَّةِ الْقَلْبِ وَلِينِهِ الْغَايَةَ الَّتِي لاَ مَدَى وَرَاءَهَا لِمَخْلُوقٍ، وَأَنَّهُ كَانَ يُشَدِّدُ فِي حُدُودِ اللَّهِ وَحُقُوقِهِ وَدِينِهِ حَتَّى قَطَعَ يَدَ السَّارِقِ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ يُبَاسِطُ أَصْحَابَهُ، وَكَانَ رَجُلٌ يُسَمَّى زُهَيْراً[(١)] يُهَادِي النَّبِيَّ ﷺ بِمَوْجُودِ الْبَادِيَةِ بِمَا يُسْتَطْرَفُ مِنْهَا، وَكَانَ ﷺ يُهَادِيهِ وَيُكَافِيهِ بِمَوْجُودِ الْحَاضِرَةِ وَبِمَا يُسْتَطْرَفُ مِنْهَا، وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**زُهَيْرٌ بَادِيَتُنَا، وَنَحْنُ حَاضِرَتُهُ**»، وَكَانَ ﷺ يُحِبُّهُ، فَمَشَى ﷺ يَوْماً إِلَى السُّوقِ فَوَجَدَهُ قَائِماً، فَجَاءَهُ مِنْ قِبَلِ ظَهْرِهِ، وَضَمَّهُ بِيَدَيْهِ إِلَى صَدْرِهِ، فَأَحَسَّ زُهَيْرٌ بِأَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَجَعَلْتُ أَمْسَحُ ظَهْرِي فِي صَدْرِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ يَشْتَرِي الْعَبْدَ؟**» قَالَ لَهُ زُهَيْرٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِذاً تَجِدُنِي كَاسِداً، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**أَنْتَ عِنْدَ اللَّهِ غَالٍ**».

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَسْلَمَ: أَنَّ رَجُلاً كَانَ يُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ الْعُكَّةَ مِنَ السَّمْنِ وَالْعَسَلِ، فَإِذَا جَاءَ صَاحِبُهُ[(٢)] يَتَقَاضَاهُ جَاءَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَقَالَ: أَعْطِ هٰذَا حَقَّ مَتَاعِهِ، فَمَا يَزِيدُ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى أَنْ يَتَبَسَّمَ، وَيَأْمُرُ بِهِ فَيُعْطَى[(٣)].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَمْزَحُ وَلاَ يَقُولُ إِلاَّ حَقًّا، كَمَا رَوَى أَبُو هُرَيْرَةَ، وَقَدْ قَالَ لَهُ رَجُلٌ كَانَ فِيهِ بَلَهٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! احْمِلْنِي، فَقَالَ:

---

(١) الذي في الشمائل للترمذي وغيرها: زاهر.

(٢) صاحب السمن والعسل.

(٣) رواه أبو يعلى.

«**أَحْمِلُكَ عَلَى ابْنِ النَّاقَةِ؟**» فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عَسَى يُغْنِي عَنِّي ابْنُ النَّاقَةِ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**وَيْحَكَ، وَهَلْ يَلِدُ الْجَمَلَ إِلاَّ النَّاقَةُ؟**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[١].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنِ الْحَسَنِ: أَتَتْهُ ﷺ عَجُوزٌ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ادْعُ اللَّهَ لِي أَنْ يُدْخِلَنِي الْجَنَّةَ، فَقَالَ: «**يَا أُمَّ فُلاَنٍ! إِنَّ الْجَنَّةَ لاَ يَدْخُلُهَا عَجُوزٌ**»، قَالَ: فَوَلَّتْ تَبْكِي، فَقَالَ: «**أَخْبِرُوهَا أَنَّهَا لاَ تَدْخُلُهَا وَهِيَ عَجُوزٌ، إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ:** ﴿إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾﴾[٢]».

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُمَازِحُ أَصْحَابَهُ، وَيُخَالِطُهُمْ وَيُحَادِثُهُمْ وَيُؤْنِسُهُمْ، وَيَأْخُذُ مَعَهُمْ فِي تَدْبِيرِ أُمُورِهِمْ، وَيُدَاعِبُ صِبْيَانَهُمْ وَيُجْلِسُهُمْ فِي حِجْرِهِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّكَ تُدَاعِبُنَا؟ قَالَ: «**إِنِّي لاَ أَقُولُ إِلاَّ حَقًّا**»[٣].

وَقَالَ أَنَسٌ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ خُلُقاً، وَكَانَ لِي أَخٌ يُقَالُ لَهُ أَبُو عُمَيْرٍ[٤]، وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ يَلْعَبُ بِهِ، فَمَاتَ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَرَآهُ حَزِيناً، فَقَالَ: «**مَا شَأْنُهُ؟**» قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا عُمَيْرٍ! مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. (وَالنُّغَيْرُ تَصْغِيرُ نُغَرٍ: طَائِرٌ صَغِيرٌ كَالْعُصْفُورِ).

وَمَجَّ مَجَّةً مِنْ مَاءٍ فِي وَجْهِ مَحْمُودِ بْنِ الرُّبَيِّعِ وَهُوَ ابْنُ خَمْسِ سِنِينَ يُمَازِحُهُ بِهَا.

---

(١) وأبو داود.

(٢) سورة الواقعة، الآية: **٣٥**.

(٣) رواه الترمذي وحسّنه.

(٤) وهو أخوه من أمّه.

وَدَخَلَتْ عَلَيْهِ رَبِيبَتُهُ زَيْنَبُ بِنْتُ أُمِّ سَلَمَةَ وَهُوَ فِي مُغْتَسَلِهِ، فَنَفَخَ الْمَاءَ فِي وَجْهِهَا، فَكَانَ مَاءُ الشَّبَابِ ثَابِتاً فِي وَجْهِهَا ظَاهِراً فِي رَوْنَقِهَا، وَهِيَ عَجُوزٌ كَبِيرَةٌ.

وَكَانَ قَدْ أُلْقِيَ عَلَيْهِ ﷺ مَعَ الدُّعَابَةِ الْمَهَابَةُ، وَلَقَدْ جَاءَ إِلَيْهِ ﷺ رَجُلٌ فَقَامَ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَتْهُ رِعْدَةٌ شَدِيدَةٌ وَمَهَابَةٌ، فَقَالَ لَهُ: **«هَوِّنْ عَلَيْكَ، فَإِنِّي لَسْتُ بِمَلِكٍ، وَلاَ جَبَّارٍ، إِنَّمَا أَنَا ابْنُ امْرَأَةٍ مِنْ قُرَيْشٍ، تَأْكُلُ الْقَدِيدَ[1] بِمَكَّةَ»** فَنَطَقَ الرَّجُلُ بِحَاجَتِهِ، فَقَامَ ﷺ فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنِّي أُوحِيَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا، أَلاَ فَتَوَاضَعُوا حَتَّىٰ لاَ يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلاَ يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَكُونُوا عِبَادَ اللَّهِ إِخْوَاناً»**[2].

وَلَمَّا رَأَتْهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَيْلَةُ بِنْتُ مَخْرَمَةَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُوَ قَاعِدٌ الْقُرْفُصَاءَ أَرْعَدَتْ مِنَ الْفَرَقِ ـ أَيْ: الْخَوْفِ ـ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ قَالَ: صَحِبْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ، مَا مَلأْتُ عَيْنَيَّ مِنْهُ قَطُّ حَيَاءً مِنْهُ وَتَعْظِيماً لَهُ، وَلَوْ قِيلَ لِي: صِفْهُ، لَمَا قَدَرْتُ.

وَقَدْ كَانَتْ مَجَالِسُهُ ﷺ مَعَ أَصْحَابِهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مَجَالِسَ تَذْكِيرٍ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَتَرْغِيبٍ وَتَرْهِيبٍ، إِمَّا بِتِلاَوَةِ الْقُرْآنِ، أَوْ بِمَا آتَاهُ اللَّهُ مِنَ الْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَتَعْلِيمِ مَا يَنْفَعُ فِي الدِّينِ، كَمَا أَمَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَنْ يُذَكِّرَ وَيَعِظَ وَيَقُصَّ، وَأَنْ يَدْعُوَ إِلَى سَبِيلِ رَبِّهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ، وَأَنْ يُبَشِّرَ وَيُنْذِرَ، فَلِذَلِكَ كَانَتْ تِلْكَ الْمَجَالِسُ تُوجِبُ لأَصْحَابِهِ رِقَّةَ الْقُلُوبِ، وَالزُّهْدَ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةَ فِي الآخِرَةِ. رَوَى أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[3] عَنْ

---

(١) اللحم المجفّف.

(٢) رواه ابن ماجه والحاكم.

(٣) كالترمذي وابن حبان.

أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا لَنَا؟ إِذَا كُنَّا عِنْدَكَ رَقَّتْ قُلُوبُنَا، وَزَهِدْنَا فِي الدُّنْيَا، وَكُنَّا مِنْ أَهْلِ الآخِرَةِ، فَإِذَا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ عَافَسْنَا أَهْلَنَا، وَشَمِمْنَا أَوْلاَدَنَا، وَأَنْكَرْنَا أَنْفُسَنَا؟ فَقَالَ ﷺ: «**لَوْ أَنَّكُمْ إِذَا خَرَجْتُمْ مِنْ عِنْدِي، كُنْتُمْ عَلَى حَالِكُمْ ذٰلِكَ، لَزَارَتْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ فِي بُيُوتِكُمْ**». وَقَوْلُهُ: «**عَافَسْنَا**» أَيْ: عَالَجْنَا أَهْلَنَا وَلاَعَبْنَاهُمْ.

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ ﷺ: أَنَّهُ مَا عَابَ ذَوَاقاً قَطُّ، وَلاَ عَابَ طَعَاماً قَطُّ، إِنِ اشْتَهَاهُ أَكَلَهُ وَإِلا تَرَكَهُ! رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. هٰذَا إِنْ كَانَ الطَّعَامُ مُبَاحاً، أَمَّا الْحَرَامُ فَكَانَ يَعِيبُهُ وَيَذُمُّهُ وَيَنْهَى عَنْهُ.

وَمِنْ تَوَاضُعِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ لَهُ بَوَّابٌ رَاتِبٌ(١).

وَمَا خُيِّرَ ﷺ بَيْنَ أَمْرَيْنِ إِلاَّ اخْتَارَ أَيْسَرَهُمَا مَا لَمْ يَكُنْ إِثْماً، فَإِنْ كَانَ إِثْماً كَانَ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنْهُ(٢).

وَأَمَّا حَيَاؤُهُ ﷺ:

فَحَسْبُكَ مَا فِي الْبُخَارِيِّ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خِدْرِهَا. وَقَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: رُوِيَ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ كَانَ مِنْ حَيَائِهِ لاَ يُثْبِتُ بَصَرَهُ فِي وَجْهِ أَحَدٍ(٣).

وَالْحَيَاءُ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لاَ يَأْتِي إِلاَّ بِخَيْرٍ، وَهُوَ مِنَ الإِيمَانِ**» كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَأَمَّا خَوْفُهُ ﷺ مِنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلاَ:

فَقَدْ قَالَ ﷺ: «**أَنَا أَتْقَاكُمْ لِلّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً**»(٤). وَقَالَ عَلَيْهِ

---

(١) رواه البخاري.
(٢) رواه البخاري.
(٣) قال السيوطي: هذا الحديث ذكره صاحب الإحياء، ولم يجده العراقي.
(٤) رواه البخاري.

الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنِّي لأَعْلَمُكُمْ بِاللَّهِ، وَأَشَدُّكُمْ لَهُ خَشْيَةً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَرَوَى أَيْضاً قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ، لَضَحِكْتُمْ قَلِيلاً، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيراً**».

وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ مِنَ الْبُكَاءِ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ[1]. (وَالْمِرْجَلُ: الْقِدْرُ. وَأَزِيزُهَا: غَلَيَانُهَا).

وَأَمَّا مَا رُوِيَ عَنْ شَجَاعَتِهِ وَقُوَّتِهِ وَنَجْدَتِهِ ﷺ:

فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، لَقَدْ فَزِعَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ لَيْلَةً، فَانْطَلَقَ نَاسٌ قِبَلَ الصَّوْتِ، فَتَلَقَّاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَاجِعاً، قَدْ سَبَقَهُمْ إِلَى الصَّوْتِ، وَاسْتَبْرَأَ الْخَبَرَ[2] عَلَى فَرَسٍ لأَبِي طَلْحَةَ عُرْيٍ، وَالسَّيْفُ فِي عُنُقِهِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**لَنْ تُرَاعُوا**»[3] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[4]. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: أَنَّ أَهْلَ الْمَدِينَةِ فَزِعُوا مَرَّةً، فَرَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ فَرَساً لأَبِي طَلْحَةَ كَانَ يَقْطِفُ أَوْ فِيهِ قِطَافٌ، فَلَمَّا رَجَعَ قَالَ: «**وَجَدْنَا فَرَسَكُمْ هٰذَا بَحْراً**»، فَكَانَ بَعْدُ لاَ يُجَارَىٰ. (يُقَالُ: قَطَفَ الْفَرَسُ فِي مَشْيِهِ: إِذَا تَضَايَقَ خَطْوُهُ. وَالْبَحْرُ: الْوَاسِعُ الْجَرْيِ).

وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: مَا رَأَيْتُ أَشْجَعَ وَلاَ أَنْجَدَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[5].

وَذَكَرَ ابْنُ إِسحاقَ فِي كِتَابِهِ وَغَيْرُهُ: أَنَّهُ كَانَ بِمَكَّةَ رَجُلٌ شَدِيدُ الْقُوَّةِ، يُحْسِنُ الصِّرَاعَ، وَكَانَ النَّاسُ يَأْتُونَهُ مِنَ الْبِلاَدِ لِلْمُصَارَعَةِ، فَيَصْرَعُهُمْ، فَبَيْنَمَا

---

(١) كابن خزيمة وابن حبان.

(٢) تقصّىٰ بَحْثه ليقطع الشبهة عنه.

(٣) لن يصيبكم الخوف.

(٤) كمسلم.

(٥) رواه أحمد والنسائي.

هُوَ ذَاتَ يَوْمٍ فِي شِعْبٍ[1] مِنْ شِعَابِ مَكَّةَ، إِذْ لَقِيَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ لَهُ: «**يَا رُكَانَةُ! أَلاَ تَتَّقِي اللَّهَ وَتَقْبَلُ مَا أَدْعُوكَ إِلَيْهِ؟**» فَقَالَ لَهُ رُكَانَةُ: يَا مُحَمَّدُ! هَلْ مِنْ شَاهِدٍ يَدُلُّ عَلَى صِدْقِكَ؟ قَالَ: «**أَرَأَيْتَ إِنْ صَرَعْتُكَ أَتُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ؟**» قَالَ: نَعَمْ يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ لَهُ: «**تَهَيَّأْ لِلْمُصَارَعَةِ**» قَالَ: تَهَيَّأْتُ، فَدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَهُ ثُمَّ صَرَعَهُ، فَتَعَجَّبَ رُكَانَةُ مِنْ ذٰلِكَ، ثُمَّ سَأَلَهُ الإِقَالَةَ وَالْعَوْدَ، فَفَعَلَ بِهِ ثَانِياً، وَثَالِثاً، فَوَقَفَ رُكَانَةُ مُتَعَجِّباً، وَقَالَ: إِنَّ شَأْنَكَ لَعَجِيبٌ. وَرَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ رُكَانَةَ[2] الْمُصَارِعِ.

وَقَدْ صَارَعَ ﷺ جَمَاعَةً غَيْرَ رُكَانَةَ، مِنْهُمْ أَبُو الأَسْوَدِ الْجُمَحِيُّ، كَمَا قَالَهُ السُّهَيْلِيُّ، وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَكَانَ شَدِيداً، بَلَغَ مِنْ شِدَّتِهِ أَنَّهُ كَانَ يَقِفُ عَلَى جِلْدِ الْبَقَرَةِ وَيُجَاذِبُ أَطْرَافَهُ عَشَرَةٌ لِيَنْزِعُوهُ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ فَيَتَفَرَّى الْجِلْدُ، وَلَمْ يَتَزَحْزَحْ عَنْهُ، فَدَعَا رَسُولَ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُصَارَعَةِ، وَقَالَ: إِنْ صَرَعْتَنِي آمَنْتُ بِكَ، فَصَرَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَلَمْ يُؤْمِنْ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ[3]، وَسَأَلَهُ رَجُلٌ مِنْ قَيْسٍ: أَفَرَرْتُمْ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ؟ فَقَالَ: لٰكِنْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لَمْ يَفِرَّ، كَانَ هَوَازِنُ رُمَاةً، وَإِنَّا لَمَّا حَمَلْنَا عَلَيْهِمُ انْكَشَفُوا، فَأَكْبَبْنَا عَلَى الْمَغَانِمِ، فَاسْتُقْبِلْنَا بِالسِّهَامِ، وَفَرَّتِ الأَعْرَابُ وَمَنْ تَعْلَمُ مِنَ النَّاسِ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ عَلَى بَغْلَتِهِ الْبَيْضَاءِ، وَإِنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ الْحَارِثِ آخِذٌ بِزِمَامِهَا، وَالنَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ:

«أَنَا النَّبِيُّ لاَ كَذِبْ   أَنَا ابْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبْ»

---

(١) وهو الطريق بين الجبلين.

(٢) وصوابه: عن أبي جعفر عن أبيه محمد بن ركانة.

(٣) ابن عازب.

وَهٰذَا فِي غَايَةِ مَا يَكُونُ مِنَ الشَّجَاعَةِ التَّامَّةِ؛ لأَنَّهُ فِي مِثْلِ هٰذَا الْيَوْمِ فِي حَوْمَةِ الْوَغَى وَقَدِ انْكَشَفَ عَنْهُ جَيْشُهُ وَهُوَ مَعَ هٰذَا عَلَى بَغْلَةٍ لَيْسَتْ بِسَرِيعَةِ الْجَرْيِ، وَلاَ تَصْلُحُ لِكَرٍّ وَلاَ فَرٍّ وَلاَ هَرَبٍ؛ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ يَرْكُضُهَا إِلَى وُجُوهِهِمْ، وَيُنَوِّهُ بِاسْمِهِ لِيَعْرِفَهُ مَنْ لَيْسَ يَعْرِفُهُ، صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ.

وَفِي حَدِيثٍ: كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ[١] اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ[٢].

وَأَمَّا سَخَاؤُهُ وَجُودُهُ ﷺ:

فَقَدْ كَانَ ﷺ أَحْسَنَ النَّاسِ، وَأَشْجَعَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ النَّاسِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَمَا سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ، فَجَاءَهُ رَجُلٌ فَأَعْطَاهُ غَنَماً بَيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ: يَا قَوْمِ أَسْلِمُوا، فَإِنَّ مُحَمَّداً يُعْطِي عَطَاءَ مَنْ لاَ يَخَافُ الْفَقْرَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى أَيْضاً: أَنَّ صَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ قَالَ: لَقَدْ أَعْطَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَا أَعْطَانِي، وَإِنَّهُ لَمِنْ أَبْغَضِ النَّاسِ إِلَيَّ، فَمَا بَرِحَ يُعْطِينِي حَتَّى إِنَّهُ لأَحَبُّ النَّاسِ إِلَيَّ. قَالَ ابْنُ شِهَابٍ: أَعْطَاهُ يَوْمَ حُنَيْنٍ مِئَةً مِنَ الْغَنَمِ، ثُمَّ مِئَةً ثُمَّ مِئَةً، وَفِي مَغَازِي الْوَاقِدِيِّ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَعْطَى صَفْوَانَ يَوْمَئِذٍ وَادِياً مَمْلُوءاً إِبِلاً وَنَعَماً[٣]، فَقَالَ صَفْوَانُ: أَشْهَدُ مَا طَابَتْ بِهٰذَا إِلاَّ نَفْسُ نَبِيٍّ، وَإِنَّمَا أَعْطَاهُ ذٰلِكَ لأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلِمَ أَنَّ دَاءَهُ لاَ يَزُولُ إِلاَّ بِهٰذَا الدَّوَاءِ، وَهُوَ الإِحْسَانُ، فَعَالَجَهُ بِهِ حَتَّى بَرَأَ مِنْ دَاءِ الْكُفْرِ وَأَسْلَمَ.

وَكَانَ عَلِيٌّ كَرَّمَ اللّهُ وَجْهَهُ إِذَا وَصَفَ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: كَانَ أَجْوَدَ النَّاسِ كَفًّا، وَأَصْدَقَ النَّاسِ لَهْجَةً[٤].

---

(١) اشتدّ القتال.

(٢) رواه مسلم.

(٣) شِياهاً.

(٤) رواه الترمذي.

وَرُوِيَ عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً: «**أَنَا أَجْوَدُ بَنِي آدَمَ**»[1]، فَهُوَ ﷺ بِلاَ رَيْبٍ أَجْوَدُ النَّاسِ عَلَى الإِطْلاَقِ، كَمَا أَنَّهُ أَفْضَلُهُمْ وَأَعْلَمُهُمْ وَأَشْجَعُهُمْ وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ الأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ.

قَالَ جابِرٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ شَيْءٍ فَقَالَ: لاَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. أَيْ: مَا طُلِبَ مِنْهُ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا فَمَنَعَهُ. قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: إِنْ كَانَ عِنْدَهُ أَعْطَاهِ إِنْ كَانَ الْعَطَاءُ سَائِغاً[2]، وَإِلاَّ سَكَتَ، كَمَا قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: كَانَ ﷺ إِذَا سُئِلَ فَأَرَادَ أَنْ يَفْعَلَ قَالَ: نَعَمْ، وَإِذَا لَمْ يُرِدْ أَنْ يَفْعَلَ سَكَتَ[3].

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ[4]: أَنَّهُ حُمِلَ إِلَيْهِ ﷺ تِسْعُونَ أَلْفَ دِرْهَمٍ، فَوُضِعَتْ عَلَى حَصِيرٍ، ثُمَّ قَامَ إِلَيْهَا يَقْسِمُهَا، فَمَا رَدَّ سَائِلاً حَتَّى فَرَغَ مِنْهَا، قَالَ: وَجَاءَهُ رَجُلٌ، فَقَالَ[5]: «**مَا عِنْدِي شَيْءٌ، وَلٰكِنِ ابْتَعْ عَلِيَّ، فَإِذَا جَاءَنَا شَيْءٌ قَضَيْنَاهُ**»، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: مَا كَلَّفَكَ اللَّهُ مَا لاَ تَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَنْفِقْ وَلاَ تَخَفْ مِنْ ذِي الْعَرْشِ إِقْلاَلاً، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَعُرِفَ الْبِشْرُ فِي وَجْهِهِ، وَقَالَ: «**بِهٰذَا أُمِرْتُ**».

وَذَكَرَ ابْنُ فَارِسٍ فِي كِتَابِهِ فِي أَسْمَاءِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهُ فِي يَوْمِ حُنَيْنٍ جَاءَتْهُ امْرَأَةٌ وَأَنْشَدَتْ شِعْراً تُذَكِّرُهُ أَيَّامَ رَضَاعَتِهِ فِي هَوَازِنَ، فَرَدَّ عَلَيْهِمْ مَا أَخَذَ، وَأَعْطَاهُمْ عَطَاءً كَثِيراً، حَتَّى قُوِّمَ مَا أَعْطَاهُمْ ذٰلِكَ الْيَوْمَ فَكَانَ خَمْسَ مِئَةِ

---

(١) رواه ابن عدي بإسناد فيه ضعف.

(٢) كافياً.

(٣) رواه ابن سعد.

(٤) في الشمائل.

(٥) أي: النبي ﷺ.

أَلْفِ أَلْفٍ، قَالَ ابْنُ دِحْيَةَ: وَهٰذَا نِهَايَةُ الْجُودِ، وَالَّذِي لَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِهِ فِي الْوُجُودِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: أُتِيَ ﷺ بِمَالٍ مِنَ الْبَحْرَيْنِ فَقَالَ: **«انْثُرُوهُ»** ـ يَعْنِي: صُبُّوهُ فِي الْمَسْجِدِ ـ وَكَانَ أَكْثَرَ مَالٍ أُتِيَ بِهِ ﷺ، فَخَرَجَ إِلَى الْمَسْجِدِ وَلَمْ يَلْتَفِتْ إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَضَى الصَّلاَةَ، جَاءَ فَجَلَسَ إِلَيْهِ، فَمَا كَانَ يَرَى أَحَداً إِلاَّ أَعْطَاهُ، إِذْ جَاءَهُ الْعَبَّاسُ فَقَالَ: أَعْطِنِي، فَأَعْطَاهُ مَا اسْتَطَاعَ حَمْلَهُ، فَمَا قَامَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَثَمَّ مِنْهَا دِرْهَمٌ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ: أَنَّهُ كَانَ مِئَةَ أَلْفٍ أَرْسَلَ بِهِ الْعَلاَءُ بْنُ الْحَضْرَمِيِّ مِنْ خَرَاجِ الْبَحْرَيْنِ، قَالَ: وَهُوَ أَوَّلُ مَالٍ حُمِلَ إِلَيْهِ ﷺ.

وَسَايَرَهُ جَابِرٌ عَلَى جَمَلٍ لَهُ، فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«بِعْنِي جَمَلَكَ»**، فَقَالَ: هُوَ لَكَ يَا رَسُولَ اللّهِ بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي، فَقَالَ: **«بَلْ بِعْنِيهِ»**، فَبَاعَهُ إِيَّاهُ، وَأَمَرَ بِلاَلاً أَنْ يَنْقُدَهُ ثَمَنَهُ، فَنَقَدَهُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ ﷺ: **«اذْهَبْ بِالثَّمَنِ وَالْجَمَلِ، بَارَكَ اللّهُ لَكَ فِيهِمَا»** مُكَافَأَةً لِقَوْلِهِ: بَلْ هُوَ لَكَ، فَأَعْطَاهُ الثَّمَنَ، وَرَدَّ عَلَيْهِ الْجَمَلَ، وَزَادَهُ الدُّعَاءَ بِالْبَرَكَةِ فِيهِمَا. وَحَدِيثُهُ فِي الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ وَغَيْرِهِمَا.

وَقَدْ كَانَ جُودُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كُلُّهُ لِلّهِ، وَفِي ابْتِغَاءِ مَرْضَاتِهِ تَعَالَى، فَإِنَّهُ كَانَ يَبْذُلُ الْمَالَ تَارَةً لِفَقِيرٍ أَوْ مُحْتَاجٍ، وَتَارَةً يُنْفِقُهُ فِي سَبِيلِ اللّهِ تَعَالَى، وَتَارَةً يَتَأَلَّفُ بِهِ عَلَى الإِسْلاَمِ مَنْ يَقْوَى الإِسْلاَمُ بِإِسْلاَمِهِ.

وَكَانَ يُؤْثِرُ عَلَى نَفْسِهِ وَأَوْلاَدِهِ، فَيُعْطِي عَطَاءً يَعْجِزُ عَنْهُ الْمُلُوكُ مِثْلُ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَيَعِيشُ فِي نَفْسِهِ عَيْشَ الْفُقَرَاءِ، فَيَأْتِي عَلَيْهِ الشَّهْرُ وَالشَّهْرَانِ لاَ يُوقَدُ فِي بَيْتِهِ نَارٌ، وَرُبَّمَا رَبَطَ الْحَجَرَ عَلَى بَطْنِهِ الشَّرِيفَةِ مِنَ الْجُوعِ.

وَكَانَ ﷺ قَدْ أَتَاهُ سَبْيٌ، فَشَكَتْ إِلَيْهِ فَاطِمَةُ مَا تَلْقَى مِنْ خِدْمَةِ الْبَيْتِ،

وَطَلَبَتْ مِنْهُ خَادِماً يَكْفِيهَا مؤُنَةَ بَيْتِهَا، فَأَمَرَهَا أَنْ تَسْتَعِينَ بِالتَّسْبِيحِ وَالتَّكْبِيرِ وَالتَّحْمِيدِ، وَقَالَ: «**لاَ أُعْطِيكِ وَأَدَعُ أَهْلَ الصُّفَّةِ تَطْوِي بُطُونُهُمْ مِنَ الْجُوعِ**»(١).

وَأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِبُرْدَةٍ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَكْسُوكَ هٰذِهِ؟ فَأَخَذَهَا ﷺ مُحْتَاجاً إِلَيْهَا، فَلَبِسَهَا، فَرَآهَا عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنَ الصَّحَابَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَحْسَنَ هٰذِهِ، فَاكْسُنِيهَا، فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، فَلَمَّا قَامَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَمَهُ أَصْحَابُهُ، قَالُوا: مَا أَحْسَنْتَ حِينَ رَأَيْتَ النَّبِيَّ ﷺ أَخَذَهَا مُحْتَاجاً إِلَيْهَا ثُمَّ سَأَلْتَهُ إِيَّاهَا وَقَدْ عَرَفْتَ أَنَّهُ لاَ يُسْأَلُ شَيْئاً فَيَمْنَعُهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَهُوَ ﷺ فِي سَائِرِ صِفَاتِ الْكَمَالِ أَفْضَلُ الْخَلْقِ عَلَى الإِطْلاَقِ، وَأَكْمَلُهُمْ فِي جَمِيعِ أَنْوَاعِ مَكَارِمِ الأَخْلاَقِ. اهـ

---

(١) رواه أحمد.

الفصل الثالث

فيما تَدْعُو ضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ ﷺ مِنْ غِذَائِهِ وَمَلْبَسِهِ وَمَنْكَحِهِ وَمَا يَلْحَقُ بِذٰلِكَ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ

النوع الأول
فِي عَيْشِهِ ﷺ فِي الْمَأْكَلِ وَالْمَشْرَبِ

[ذَمُّ الشِّبَعِ]

اعْلَمْ أَنَّ الشِّبَعَ بِدْعَةٌ ظَهَرَتْ بَعْدَ الْقَرْنِ الأَوَّلِ، قَالَ ﷺ: «**مَا مَلأَ ابْنُ آدَمَ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنِهِ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ لُقَيْمَاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ غَلَبَتِ الآدَمِيَّ نَفْسُهُ؛ فَثُلُثٌ لِلطَّعَامِ، وَثُلُثٌ لِلشَّرَابِ، وَثُلُثٌ لِلنَّفَسِ**»(١). قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ: قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: لَوْ سَمِعَ بُقْرَاطُ بِهٰذِهِ الْقِسْمَةِ، لَعَجِبَ مِنْ هٰذِهِ الْحِكْمَةِ.

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا: لَمْ يَمْتَلِئْ جَوْفُ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) رواه الترمذي والنسائي بسند صحيح.

شِبَعاً قَطُّ، وَإِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ لاَ يَسْأَلُهُمْ طَعَاماً، وَلاَ يَتَشَهَّاهُ، إِنْ أَطْعَمُوهُ أَكَلَ، وَمَا أَطْعَمُوهُ قَبِلَ، وَمَا سَقَوْهُ شَرِبَ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ ﷺ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ تِبَاعاً حَتَّى قُبِضَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَبِيتُ اللَّيَالِيَ الْمُتَتَابِعَةِ وَأَهْلُهُ طَاوِياً[1] لاَ يَجِدُونَ عَشَاءً، وَإِنَّمَا كَانَ خُبْزُهُمُ الشَّعِيرَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[2].

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: مَا شَبِعَ آلُ مُحَمَّدٍ يَوْمَيْنِ مِنْ خُبْزِ الْبُرِّ، إِلاَّ وَأَحَدُهُمَا تَمْرٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: خَرَجَ - تَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - مِنَ الدُّنْيَا، وَلَمْ يَمْلأْ بَطْنَهُ فِي يَوْمٍ مِنْ طَعَامَيْنِ، كَانَ إِذَا شَبِعَ مِنَ التَّمْرِ لَمْ يَشْبَعْ مِنَ الشَّعِيرِ، وَإِذَا شَبِعَ مِنَ الشَّعِيرِ لَمْ يَشْبَعْ مِنَ التَّمْرِ.

وَعَنِ الْحَسَنِ[3] قَالَ: خَطَبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**وَاللَّهِ مَا أَمْسَى فِي آلِ مُحَمَّدٍ صَاعٌ مِنْ طَعَامٍ**»، وَإِنَّهَا لَتِسْعَةُ أَبْيَاتٍ، وَاللَّهِ مَا قَالَهَا اسْتِقْلاَلاً لِرِزْقِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، وَلٰكِنْ أَرَادَ أَنْ تَتَأَسَّى بِهِ أُمَّتُهُ. رَوَاهُ الدِّمْيَاطِيُّ فِي السِّيرَةِ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ يُعْجِبُ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ مِنَ الدُّنْيَا ثَلاَثَةٌ: الطِّيبُ، وَالنِّسَاءُ، وَالطَّعَامُ، أَصَابَ اثْنَيْنِ، وَلَمْ يُصِبْ وَاحِدَةً؛ فَأَصَابَ النِّسَاءَ وَالطِّيبَ، وَلَمْ يُصِبِ الطَّعَامَ. ذَكَرَهُ الدِّمْيَاطِيُّ أَيْضاً.

---

(١) جائعاً.

(٢) وصححه.

(٣) البَصري.

وَفِي الشَّمَائِلِ لِلتِّرْمِذِيِّ: عَنِ النُّعْمَانِ بنِ بَشِيرٍ قَالَ: لَقَدْ رَأَيْتُ نَبِيَّكُمْ ﷺ وَمَا يَجِدُ مِنَ الدَّقَلِ مَا يَمْلأُ بَطْنَهُ. (وَالدَّقَلُ: رَدِيءُ التَّمْرِ).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا: إِنْ كُنَّا آلَ مُحَمَّدٍ نَمْكُثُ شَهْراً مَا نَسْتَوْقِدُ بِنَارٍ، إِنْ هُوَ إِلاَّ الْمَاءُ وَالتَّمْرُ[١].

وَقَالَ عُتْبَةُ بْنُ غَزْوَانَ: لَقَدْ رَأَيْتُنِي وَإِنِّي لَسَابِعُ سَبْعَةٍ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مَا لَنَا طَعَامٌ إِلاَّ وَرَقُ السَّمُرِ[٢]، حَتَّى تَقَرَّحَتْ أَشْدَاقُنَا[٣].

وَكَانَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهَا تَقُولُ لِعُرْوَةَ: وَاللَّهِ يَا بْنَ أُخْتِي! إِنْ كُنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى الْهِلاَلِ ثُمَّ الْهِلاَلِ ثَلاَثَةِ أَهِلَّةٍ فِي شَهْرَيْنِ وَمَا أُوقِدَ فِي أَبْيَاتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَارٌ. قَالَ: قُلْتُ: يَا خَالَةُ! فَمَا كَانَ يُعَيِّشُكُمْ؟ قَالَتْ: الأَسْوَدَانِ: التَّمْرُ وَالْمَاءُ، إِلاَّ أَنَّهُ كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ جِيرَانٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَكَانَتْ لَهُمْ مَنَائِحُ[٤]، فَكَانُوا يُرْسِلُونَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ أَلْبَانِهَا، فَيَسْقِينَاهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً قَالَتْ: لَقَدْ مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا شَبِعَ مِنْ خُبْزٍ وَزَيْتٍ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ مَرَّتَيْنِ، رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ أَنَسٌ: مَا أَعْلَمُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَغِيفاً مُرَقَّقاً حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ، وَلاَ رَأَى شَاةً سَمِيطاً بِعَيْنِهِ حَتَّى لَحِقَ بِاللَّهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

(وَالْمُرَقَّقُ: الْمُلَيَّنُ، كَخُبْزِ الْحُوَارَى ـ وَهُوَ الْخَالِصُ الَّذِي يُنْخَلُ مَرَّةً بَعْدَ أُخْرَى ـ).

---

(١) رواه الترمذي.

(٢) وهو شجر الطَّلح.

(٣) رواه مسلم.

(٤) غنم حافلة باللبن.

(وَالسَّمِيطُ: هُوَ الَّذِي أُزِيلَ شَعْرُهُ بِالْمَاءِ السُّخْنِ، وَشُوِيَ بِجِلْدِهِ، وَهُوَ مِنْ فِعْلِ الْمُتْرَفِّهِينَ).

وَعَنْ أَبِي حَازِمٍ أَنَّهُ سَأَلَ سَهْلاً: هَلْ رَأَيْتُمْ فِي زَمَنِ النَّبِيِّ ﷺ النَّقِيَّ(١)؟ قَالَ: لاَ، فَقُلْتُ: كُنْتُمْ تَنخُلُونَ الشَّعِيرَ؟ قَالَ: لاَ، وَلٰكِنْ كُنَّا نَنْفُخُهُ(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ: هَلْ كَانَتْ لَكُمْ فِي عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مَنَاخِلُ؟ فَقَالَ: مَا رَأَى النَّبِيُّ ﷺ مُنْخُلاً مِنْ حِينِ ابْتَعَثَهُ اللّٰهُ حَتَّى قَبَضَهُ اللّٰهُ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وَلَيْسَ عِنْدِي شَيْءٌ يَأْكُلُهُ ذُو كَبِدٍ، إِلاَّ شَطْرُ شَعِيرٍ(٣) فِي رَفٍّ لِي، فَأَكَلْتُ مِنْهُ حَتَّى طَالَ عَلَيَّ، فَكِلْتُهُ فَفَنِيَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً قَالَتْ: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وَدِرْعُهُ مَرْهُونَةٌ عِنْدَ يَهُودِيٍّ فِي ثَلاثِينَ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ، فَإِذَا هُوَ بِأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ فَقَالَ: «**مَا أَخْرَجَكُمَا مِنْ بُيُوتِكُمَا هٰذِهِ السَّاعَةَ؟**» قَالاَ: الْجُوعُ يَا رَسُولَ اللّٰهِ، قَالَ: «**وَأَنَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لأَخْرَجَنِي الَّذِي أَخْرَجَكُمَا**» فَأَتَى بِهِمَا رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا هُوَ لَيْسَ فِي بَيْتِهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ الْمَرْأَةُ قَالَتْ: مَرْحَباً وَأَهْلاً، فَقَالَ لَهَا ﷺ: «**أَيْنَ فُلاَنٌ؟**» قَالَتْ: ذَهَبَ يَسْتَعْذِبُ لَنَا الْمَاءَ، إِذْ جَاءَ الأَنْصَارِيُّ، فَنَظَرَ إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ وَصَاحِبَيْهِ، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلّٰهِ، مَا أَحَدٌ الْيَوْمَ أَكْرَمُ أَضْيَافاً مِنِّي» قَالَ: فَانْطَلَقَ فَجَاءَهُمْ بِعِذْقٍ فِيهِ بُسْرٌ وَتَمْرٌ وَرُطَبٌ(٤)، فَقَالَ: «كُلُوا»، وَأَخَذَ الْمُدْيَةَ، فَقَالَ

---

(١) وهو دقيق القمح.

(٢) تتمة الحديث: «**فيطير منه ما طار، ثم نعجِنه**».

(٣) أي: شيء منه.

(٤) أوّله بلَح، ثم بُسر، ثم رُطَب، ثم تمر.

رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**إِيَّاكَ وَالْحَلُوبَ**»، فَذَبَحَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا مِنَ الشَّاةِ، وَمِنْ ذٰلِكَ الْعِذْقِ، وَشَرِبُوا، فَلَمَّا أَنْ شَبِعُوا وَرَوُوا قَالَ ﷺ لأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتُسْأَلُنَّ عَنْ هٰذَا النَّعِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمُ الْجُوعُ، ثُمَّ لَمْ تَرْجِعُوا حَتَّى أَصَابَكُمْ هٰذَا النَّعِيمُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.اهـ

وَعَنْ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ أَنَّهُ سَمِعَ جَابِرَ بْنَ عَبْدِاللّهِ يَقُولُ: أَخَذَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِيَدِي ذَاتَ يَوْمٍ إِلَى مَنْزِلِهِ، فَأُخْرِجَ إِلَيْهِ فِلَقٌ[1] مِنْ خُبْزٍ، فَقَالَ: «**مَا مِنْ أُدُمٍ؟**» فَقَالُوا: لاَ إِلاَّ شَيْءٌ مِنْ خَلٍّ، قَالَ: «**نِعْمَ الأُدُمُ الْخَلُّ**»[2] قَالَ جَابِرٌ: فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ نَبِيِّ اللّهِ ﷺ. وَقَالَ طَلْحَةُ: فَمَا زِلْتُ أُحِبُّ الْخَلَّ مُنْذُ سَمِعْتُهَا مِنْ جَابِرٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرُوِيَ عَنِ ابْنِ بُجَيْرٍ قَالَ: أَصَابَ النَّبِيَّ ﷺ جُوعٌ يَوْماً، فَعَمَدَ إِلَى حَجَرٍ فَوَضَعَهُ عَلَى بَطْنِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَلاَ رُبَّ نَفْسٍ طَاعِمَةٍ نَاعِمَةٍ فِي الدُّنْيَا جَائِعَةٌ عَارِيَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَلاَ رُبَّ مُكْرِمٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُهِينٌ، أَلاَ رُبَّ مُهِينٍ لِنَفْسِهِ وَهُوَ لَهَا مُكْرِمٌ**» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا[3].

وَعَنْ أَنَسٍ عَنْ أَبِي طَلْحَةَ قَالَ: شَكَوْنَا إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ الْجُوعَ، وَرَفَعْنَا عَنْ بُطُونِنَا عَنْ حَجَرٍ حَجَرٍ، فَرَفَعَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ بَطْنِهِ عَنْ حَجَرَيْنِ[4].اهـ

وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ، وَلَقَدْ أُوذِيتُ فِي اللّهِ وَمَا يُؤْذَى أَحَدٌ، وَلَقَدْ أَتَتْ عَلَيَّ ثَلاَثُونَ مِنْ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ مَا**

---

(١) قِطَع.

(٢) قال ابن القيم: هذا ثناء عليه بحسب الوقت، لا لتفضيله على غيره، وقد قال ذلك جبراً لقلبهم، وتطييباً لنفسهم، ولو حضر نحو لحم أو عسل كان أحق بالمدح.

(٣) وضعّفه المنذري.

(٤) رواه الترمذي بسند غريب.

لِي وَلِبِلاَلٍ طَعَامٌ يَأْكُلُهُ أَحَدٌ إِلاَّ شَيْءٌ يُوَارِيهِ إِبْطُ بِلاَلٍ»[1] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[2].

وَقَدِ اسْتُشْكِلَ كَوْنُهُ ﷺ وَأَصْحَابِهِ كَانُوا يَطْوُونَ الأَيَّامَ جُوعاً مَعَ مَا ثَبَتَ أَنَّهُ كَانَ يَرْفَعُ لأَهْلِهِ قُوتَ سَنَةٍ، وَأَنَّهُ قَسَمَ بَيْنَ أَرْبَعَةِ أَنْفُسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ أَلْفَ بَعِيرٍ مِمَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْهِ، وَأَنَّهُ سَاقَ فِي عُمْرَتِهِ مِئَةَ بَدَنَةٍ فَنَحَرَهَا وَأَطْعَمَهَا الْمَسَاكِينَ، وَأَنَّهُ أَمَرَ لأَعْرَابِيٍّ بِقَطِيعٍ مِنَ الْغَنَمِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مَعَ مَنْ كَانَ مَعَهُ مِنْ أَصْحَابِ الأَمْوَالِ كَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَطَلْحَةَ وَغَيْرِهِمْ، مَعَ بَذْلِهِمْ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَقَدْ أَمَرَ بِالصَّدَقَةِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ بِجَمِيعِ مَالِهِ، وَعُمَرُ بِنِصْفِهِ، وَحَثَّ عَلَى تَجْهِيزِ جَيْشِ الْعُسْرَةِ فَجَهَّزَهُمْ عُثْمَانُ بِأَلْفِ بَعِيرٍ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ.

وَأَجَابَ عَنْهُ الطَّبَرِيُّ، كَمَا حَكَاهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي: بِأَنَّ ذٰلِكَ كَانَ مِنْهُمْ فِي حَالَةٍ دُونَ حَالَةٍ، لاَ لِعَوَزٍ وَضِيقٍ، بَلْ تَارَةً لِلإِيثَارِ، وَتَارَةً لِكَرَاهِيَةِ الشِّبَعِ وَكَثْرَةِ الأَكْلِ.

نَعَمْ كَانَ ﷺ يَخْتَارُ ذٰلِكَ مَعَ إِمْكَانِ حُصُولِ التَّوَسُّعِ وَالتَّبَسُّطِ فِي الدُّنْيَا لَهُ، كَمَا أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«عَرَضَ عَلَيَّ رَبِّي لِيَجْعَلَ لِي بَطْحَاءَ مَكَّةَ ذَهَباً، قُلْتُ: لاَ يَا رَبِّ، وَلٰكِنْ أَشْبَعُ يَوْماً وَأَجُوعُ يَوْماً، فَإِذَا جُعْتُ تَضَرَّعْتُ إِلَيْكَ وَذَكَرْتُكَ، وَإِذَا شَبِعْتُ شَكَرْتُكَ وَحَمِدْتُكَ»**.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ وَجِبْرِيلُ عَلَى الصَّفَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا جِبْرِيلُ! وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ**

---

(١) أي: شيء قليل.

(٢) وصححه.

مَا أَمْسَى لآلِ مُحَمَّدٍ سُفَّةٌ[1] **مِنْ دَقِيقٍ، وَلاَ كَفٌّ مِنْ سَوِيقٍ**[2]»، فَلَمْ يَكُنْ كَلاَمُهُ بِأَسْرَعَ مِنْ أَنْ سَمِعَ هَدَّةً مِنَ السَّمَاءِ أَفْزَعَتْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَمَرَ اللَّهُ الْقِيَامَةَ أَنْ تَقُومَ؟**» قَالَ: لاَ، وَلٰكِنْ أَمَرَ إِسْرَافِيلَ فَنَزَلَ إِلَيْكَ حِينَ سَمِعَ كَلاَمَكَ، فَأَتَاهُ إِسْرَافِيلُ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ سَمِعَ مَا ذَكَرْتَ فَبَعَثَنِي إِلَيْكَ بِمَفَاتِيحِ خَزَائِنِ الأَرْضِ، وَأَمَرَنِي أَنْ أَعْرِضَ عَلَيْكَ إِنْ شِئْتَ أَنْ أُسَيِّرَ مَعَكَ جِبَالَ تِهَامَةَ زُمُرُّداً وَيَاقُوتاً وَذَهَباً وَفِضَّةً [فَإِنْ رَضِيتَ] فَعَلْتُ؟ فَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكاً، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْداً، فَأَوْمَأَ إِلَيْهِ جِبْرِيلُ أَنْ تَوَاضَعْ، فَقَالَ: «**بَلْ نَبِيًّا عَبْداً**» ثَلاَثاً. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ.

❁ ❁ ❁

[مَا أَكَلَهُ النَّبِيُّ ﷺ]

وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ عَادَتِهِ الْكَرِيمَةِ ﷺ حَبْسُ نَفْسِهِ الشَّرِيفَةِ عَلَى نَوْعٍ وَاحِدٍ مِنَ الأَغْذِيَةِ لاَ يَتَعَدَّاهُ إِلَى سِوَاهُ، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُضِرُّ بِالطَّبِيعَةِ جِدًّا وَلَوْ أَنَّهُ أَفْضَلُ الأَغْذِيَةِ، بَلْ كَانَ ﷺ يَأْكُلُ مَا جَرَتْ عَادَةُ أَهْلِ بَلَدِهِ بِأَكْلِهِ مِنَ اللَّحْمِ وَالْفَاكِهَةِ وَالْخُبْزِ وَالتَّمْرِ وَغَيْرِهِ، فَأَكَلَ ﷺ الْحَلْوَى وَالْعَسَلَ، وَكَانَ يُحِبُّهُمَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[3].

وَفِي فِقْهِ اللُّغَةِ لِلثَّعَالِبِيِّ: أَنَّ حَلْوَى النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَ يُحِبُّهَا هِيَ: الْمَجِيعُ - وَهِيَ تَمْرٌ يُعْجَنُ بِلَبَنٍ[4] -. حَكَاهُ فِي فَتْحِ الْبَارِي.

---

(١) قبضة.
(٢) طعام يتّخذ من مدقوق الحنطة والشعير، سمّي بذلك لانسياقه في الحلْق.
(٣) كالترمذي.
(٤) أي: حليب.

وَلَمْ يَصِحَّ وُرُودُ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَأى السُّكَّرَ.

وَعَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ سَلاَمٍ قَالَ: قَدِمَتْ عِيرٌ فِيهَا جَمَلٌ لِعُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ عَلَيْهِ دَقِيقٌ حُوَّارَىٰ[١] وَسَمْنٌ وَعَسَلٌ، فَأَتَى بِهَا النَّبِيَّ ﷺ، فَدَعَا فِيهَا بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ دَعَا بِبُرْمَةٍ[٢] فَنُصِبَتْ عَلَى النَّارِ، وَجَعَلَ فِيهَا مِنَ الْعَسَلِ وَالْدَّقِيقِ وَالْسَّمْنِ، ثُمَّ عَصَدَ[٣] حَتَّى نَضِجَ أَوْ كَادَ يَنْضَجُ، ثُمَّ أُنْزِلَ، فَقَالَ ﷺ: «**كُلُوا، هٰذَا شَيْءٌ تُسَمِّيهِ فَارِسُ الْخَبِيصَ**»[٤].

وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَحمَ الْضَّأنِ، وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ: أَنَّهُ أُهْدِيَتْ لَهُ شَاةٌ، فَجَعَلَهَا فِي قِدْرٍ، فَدَخَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا هٰذَا يَا أَبَا رَافِعٍ؟**» قَالَ: شَاةٌ أُهْدِيَتْ لَنَا يَا رَسُولَ اللّهِ! فَطَبَخْتُهَا فِي الْقِدْرِ، قَالَ: «**نَاوِلْنِي الْذِّرَاعَ يَا أَبَا رَافِعٍ**» فَنَاوَلْتُهُ الْذِّرَاعَ، ثُمَّ قَالَ: «**نَاوِلْنِي الْذِّرَاعَ**» فَنَاوَلْتُهُ الْذِّرَاعَ الآخَرَ، فَقَالَ: «**نَاوِلْنِي الْذِّرَاعَ الآخَرَ**»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ إِنَّمَا لِلشَّاةِ ذِرَاعَانِ، فَقَالَ لَهُ ﷺ: «**أَمَا إِنَّكَ لَوْ سَكَتَّ لَنَاوَلْتَنِي ذِرَاعاً فَذِرَاعاً مَا سَكَتَّ**»، ثُمَّ دَعَا بِمَاءٍ فَمَضْمَضَ فَاهُ، وَغَسَلَ أَطْرَافَ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[٥].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ: مَا كَانَتِ الْذِّرَاعُ أَحَبَّ الْلَّحْمِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَلٰكِنَّهُ كَانَ لاَ يَجِدُ اللَّحْمَ إِلاَّ غِبًّا[٦]، وَكَانَ يَعْجَلُ إِلَيْهَا لأَنَّهَا أَعْجَلُهَا نَضْجاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(١) أي: أبيض.
(٢) أي: قِدر.
(٣) طبخ.
(٤) رواه الطبراني، ورجاله ثقات.
(٥) كالترمذيّ والدارميّ.
(٦) أي: يجده حيناً، ويفقده حيناً.

وَكَذٰلِكَ كَانَ ﷺ يُحِبُّ لَحْمَ الرَّقَبَةِ، فَعَنْ ضُبَاعَةَ بِنْتِ الزُّبَيْرِ، أَنَّهَا ذَبَحَتْ فِي بَيْتِهَا شَاةً، فَأَرْسَلَ إِلَيْهَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ أَنْ أَطْعِمِينَا مِنْ شَاتِكُمْ، فَقَالَتْ: مَا بَقِيَ عِنْدَنَا إِلاَّ الرَّقَبَةُ، وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي أَنْ أُرْسِلَ بِهَا إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ. فَرَجَعَ الرَّسُولُ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**ارْجِعْ إِلَيْهَا فَقُلْ لَهَا: أَرْسِلِي بِهَا، فَإِنَّهَا هَادِيَةُ الشَّاةِ، وَأَقْرَبُ الشَّاةِ إِلَى الْخَيْرِ، وَأَبْعَدُهَا مِنَ الأَذَى**»[(١)].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَنْهَشُ اللَّحْمَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ احْتَزَّ مِنْ كَتِفِ شَاةٍ فِي يَدِهِ، فَدُعِيَ إِلَى الصَّلاَةِ، فَأَلْقَاهَا وَالسِّكِّينَ الَّتِي يَحْتَزُّ بِهَا، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ وَلَمْ يَتَوَضَّأْ.

وَأَكَلَ ﷺ الشِّوِيَّ[(٢)]، فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا، أَنَّهَا قَرَّبَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ جَنْباً مَشْوِيًّا، فَأَكَلَ مِنْهُ، ثُمَّ قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ، وَمَا تَوَضَّأَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[(٣)].

وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْقَدِيدَ[(٤)]، كَمَا فِي حَدِيثٍ فِي السُّنَنِ[(٥)] عَنْ رَجُلٍ قَالَ: ذَبَحْتُ لِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ شَاةً وَنَحْنُ مُسَافِرُونَ فَقَالَ: «**أَصْلِحْ لَحْمَهَا**»، فَلَمْ أَزَلْ أُطْعِمُهُ مِنْهُ إِلَى الْمَدِينَةِ.اهـ

وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الْكَبِدِ الْمَشْوِيَّةِ.

وَأَكَلَ ﷺ لَحْمَ الدَّجَاجِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا[(٦)].

---

(١) رواه أحمد والنسائي والبيهقي.
(٢) في المواهب: الشّواء، وهما لغتان.
(٣) بسند حسن صحيح.
(٤) وهو اللحم المجفف.
(٥) الأربعة.
(٦) كالترمذي.

وَأَكَلَ ﷺ لَحْمَ حِمَارِ الْوَحْشِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَأَكَلَ ﷺ لَحْمَ الْجَمَلِ سَفَراً وَحَضَراً.

وَأَكَلَ ﷺ لَحْمَ الأَرْنَبِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَأَكَلَ ﷺ مِنْ دَوَابِّ الْبَحْرِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَأَكَلَ ﷺ الثَّرِيدَ (وَهُوَ أَنْ يُثْرَدَ الْخُبْزُ بِمَرَقِ اللَّحْمِ، وَقَدْ يَكُونُ مَعَهُ اللَّحْمُ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: أَحَبُّ الطَّعَامِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الثَّرِيدُ مِنَ الْخُبْزِ، وَالثَّرِيدُ مِنَ الْحَيْسِ[١]، وَأَكَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالسَّمْنِ.

وَأَكَلَ ﷺ الْخُبْزَ بِالزَّيْتِ.

وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الدُّبَّاءَ[٢]، وَكَانَتْ تُعْجِبُهُ، وَكَانَ يَتَتَبَّعُهَا مِنْ حَوَالَي الْقَصْعَةِ، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمْ أَزَلْ أُحِبُّ الدُّبَّاءَ مِنْ يَوْمِئِذٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. قَالَ النَّوَوِيُّ: فِيهِ أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ أَنْ تُحَبَّ الدُّبَّاءُ، وَكَذٰلِكَ كُلُّ شَيْءٍ كَانَ يُحِبُّهُ ﷺ.

وَكَذٰلِكَ أَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ السِّلْقَ مَطْبُوخاً بِالشَّعِيرِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٣]. وَكَانُوا يَصُبُّونَ لَهُ عَلَيْهِ شَيْئاً مِنْ زَيْتٍ، وَشَيْئاً مِنَ الْفُلْفُلِ وَالتَّوَابِلِ (وَهِيَ أَبْزَارُ الطَّعَامِ).

---

(١) وهو تمر وأقِط وسمن، تخلط وتعجن. رواه أبو داود بسند ضعيف.

(٢) القرع.

(٣) بسند حسن غريب.

وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْخَزِيرَةَ (وَهِيَ مَا يُتَّخَذُ مِنَ الدَّقِيقِ، عَلَى هَيْئَةِ الْعَصِيدَةِ[١]، لَكِنَّهُ أَرَقُّ مِنْهَا) قَالَهُ الطَّبَرِيُّ.

وَأَكَلَ ﷺ الأَقِطَ (وَهُوَ جُبْنُ اللَّبَنِ الْمُسْتَخْرَجِ زُبْدُهُ)[٢].

وَأَكَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الرُّطَبَ وَالتَّمْرَ وَالْبُسْرَ[٣]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[٤].

وَأَكَلَ ﷺ الْكَبَاثَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ (وَهُوَ النَّضِيجُ مِنْ ثَمَرِ الأَرَاكِ)[٥].

وَأَمَّا الْجُبْنُ: فَفِي السُّنَنِ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: أُتِيَ النَّبِيُّ ﷺ بِجُبْنَةٍ فِي تَبُوكَ، فَدَعَا بِسِكِّينٍ، فَسَمَّى وَقَطَعَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ ﷺ يَأْكُلُ الْبِطِّيخَ بِالرُّطَبِ، وَيَقُولُ: «**يَكْسِرُ حَرُّ هٰذَا بَرْدَ هٰذَا، وَبَرْدُ هٰذَا حَرَّ هٰذَا**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ[٦] مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللّهِ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: رَأَيْتُ فِي يَمِينِ النَّبِيِّ ﷺ قِثَّاءَ، وَفِي شِمَالِهِ رُطَباً، وَهُوَ يَأْكُلُ مِنْ ذَا مَرَّةً، وَمِنْ ذَا مَرَّةً.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَجْمَعُ بَيْنَ الرُّطَبِ وَالْخِرْبِزِ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ[٧]. (وَهُوَ نَوْعٌ مِنَ الْبِطِّيخِ الأَصْفَرِ).

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَأْكُلُ التَّمْرَ بِالزُّبْدِ وَيُحِبُّهُ.

---

(١) وهي دقيق يُلَتّ بالسمن ويُطبخ.
(٢) وهو أشبه شيء بالكَشْك.
(٣) وهو تمر النخل قبل أن يُرْطِب.
(٤) كالترمذي.
(٥) حَبُّه فُوَيْق حَبِّ الكُزبُرَة في القَدْر.
(٦) في الأوسط بسند ضعيف.
(٧) والنسائي بسند صحيح.

وَسَمَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ اللَّبَنَ[1] بِالتَّمْرِ: الأَطْيَبَيْنِ. رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وَكَانَ ﷺ يأْكُلُ الْخُبْزَ مَأْدوماً مَا وَجَدَ لَهُ إِداماً، فَتَارَةً يَأْدِمُهُ[2] بِاللَّحْمِ وَيقُولُ: **«هُوَ سَيِّدُ الطَّعَامِ لأَهْلِ الدُّنيا وَالآخِرَةِ»**[3]، وَتَارَةً بِالْبِطِّيخِ[4]، وَتَارَةً بِالتَّمْرِ، فَإِنَّهُ وَضَعَ تَمْرَةً عَلَى كِسْرَةٍ مِنْ خُبْزِ الشَّعِيرِ، وَقَالَ: **«هٰذِهِ إِدَامُ هٰذِهِ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[5]، وَتَارَةً بِالْخَلِّ وَيقُولُ: **«نِعْمَ الأُدْمُ الْخَلُّ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَأْكُلُ مِنْ فَاكِهَةِ بَلَدِهِ عِنْدَ مَجِيئِهَا، وَلاَ يَحْتَمِي عَنْهَا، وَهٰذَا مِنْ أَكْبَرِ أَسْبَابِ الصِّحَّةِ. رَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يأْكُلُ الْعِنَبَ خَرْطاً[6].

أَمَّا الْبَصَلُ: فَرَوَى أَبُو دَاوُد عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سُئِلَتْ عَنِ الْبَصَلِ فَقَالَتْ: إِنَّ آخِرَ طَعَامٍ أَكَلَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِيهِ بَصَلٌ ـ أَيْ: مَطْبُوخٌ ـ.

وَثَبَتَ عَنْهُ فِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّهُ مَنَعَ آكِلَهُ مِنْ دُخُولِ الْمَسْجِدِ.

وَكَانَ ﷺ يَتْرُكُ الثُّومَ دَائِماً، لأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ مَجِيءَ الْمَلاَئِكَةِ وَالْوَحْيِ كُلَّ سَاعَةٍ.

❋ ❋ ❋

---

(١) أي: الحليب.
(٢) يأكله.
(٣) رواه ابن ماجه بسند ضعيف.
(٤) قال الحافظ العراقي: أكله الخبزَ بالبِطّيخ لا أصل له.
(٥) كالترمذي بسند حسن.
(٦) وذلك بانتزاع حَبّه بجميع الأصابع. قال أبو جعفر العقيلي: لا أصل لهذا الحديث.

[طَرِيقَةُ أَكْلِهِ ﷺ]

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَأْكُلُ بِأَصَابِعِهِ الثَّلاَثِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[(١)].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ إِذَا فَرَغَ ثَلاَثاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[(٢)]، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: وَيَلْعَقُ يَدَهُ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا.

وَعَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَأْكُل بِأَصَابِعِهِ الثَّلاَثِ: بِالإِبْهَامِ، وَالَّتِي تَلِيهَا، وَالْوُسْطَى، ثُمَّ رَأَيْتُهُ يَلْعَقُ أَصَابِعَهُ الثَّلاَثَ قَبْلَ أَنْ يَمْسَحَهَا: الْوُسْطَى، ثُمَّ الَّتِي تَلِيهَا، ثُمَّ الإِبْهَامَ.

وَأَكَلَ أَيْضاً ﷺ بِخَمْسٍ[(٣)].

وَكَانَ ﷺ لاَ يَأْكُلُ مُتَّكِئاً، كَمَا صَحَّ أَنَّهُ قَالَ: «**لاَ آكُلُ مُتَّكِئاً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَجْلِسُ كَمَا يَجْلِسُ الْعَبْدُ، وَآكُلُ كَمَا يَأْكُلُ الْعَبْدُ**»[(٤)].

وَأُهْدِيَتْ لَهُ ﷺ شَاةٌ، فَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ يَأْكُلُ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ: مَا هٰذِهِ الْجِلْسَةُ؟ فَقَالَ: «**إِنَّ اللّهَ تَعَالَى جَعَلَنِي كَرِيماً، وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّاراً عَنِيداً**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ[(٥)].

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ[(٦)]: الْمُسْتَحَبُّ فِي صِفَةِ الْجُلُوسِ لِلأَكْلِ: أَنْ

---

(١) في الشمائل، ورواه أحمد ومسلم وأبو داود.

(٢) في الشمائل.

(٣) رواه سعيد بن منصور.

(٤) رواه أبو داود وابن ماجه.

(٥) كابن ماجه، وإسناده حسن.

(٦) في فتح الباري.

يَكُونَ جَاثِياً عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَظُهُورِ قَدَمَيْهِ، أَوْ يَنْصِبَ الرِّجْلَ الْيُمْنَىٰ وَيَجْلِسَ عَلَى الْيُسْرَىٰ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا وَضَعَ يَدَهُ فِي الطَّعَامِ يُسَمِّي اللَّهَ تَعَالَىٰ(١).

وَكَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ فِي آخِرِهِ فَيَقُولُ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ كَثِيراً طَيِّباً مُبَارَكاً فِيهِ، غَيْرَ مُوَدَّعٍ وَلاَ مُسْتَغْنًى عَنْهُ، رَبَّنَا!**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ يُحِبُّ التَّيَامُنَ فِي شَأْنِهِ كُلِّهِ، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**يَا غُلاَمُ سَمِّ اللَّهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ، وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»(٢).

وَقُرِّبَ إِلَيْهِ ﷺ طَعَامٌ فَقَالُوا: أَلاَ نَأْتِيكَ بِوَضُوءٍ؟ فَقَالَ: «**إِنَّمَا أُمِرْتُ بِالْوُضُوءِ إِذَا قُمْتُ إِلَى الصَّلاَةِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: «**بَرَكَةُ الطَّعَامِ الْوُضُوءُ قَبْلَهُ وَالْوُضُوءُ بَعْدَهُ**»، فَيُحْمَلُ الْوُضُوءُ الأَوَّلُ(٣) عَلَى الشَّرْعِيِّ، وَالثَّانِي(٤) عَلَى اللُّغَوِيِّ(٥).

وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَأْكُلُ طَعَاماً حَارًّا، فَقَدْ أُتِيَ بِصَحْفَةٍ تَفُورُ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ لَمْ يُطْعِمْنَا نَاراً**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ(٦).

وَعَنْ أَنَسٍ كَانَ ﷺ يَكْرَهُ الْكَيَّ وَالطَّعَامَ الْحَارَّ وَيَقُولُ: «**عَلَيْكُمْ بِالْبَارِدِ، فَإِنَّهُ ذُو بَرَكَةٍ، أَلاَ وَإِنَّ الْحَارَّ لاَ بَرَكَةَ فِيهِ**» رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْحِلْيَةِ.

وَلَمْ يَأْكُلْ ﷺ عَلَى خِوَانٍ، وَلاَ أَكَلَ خُبْزاً مُرَقَّقاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(١) رواه أحمد.

(٢) رواه الشيخان وأصحاب السنن.

(٣) عند القيام إلىٰ الصلاة.

(٤) قبل الطعام وبعده.

(٥) وهو غسل اليدين.

(٦) في الصغير والأوسط.

(وَالْخِوَانُ: الْمَائِدَةُ مَا لَمْ يَكُنْ عَلَيْهَا طَعَامٌ. وَأَمَّا السُّفْرَةُ: فَاشْتَهَرَتْ لِمَا يُوضَعُ عَلَيْهِ الطَّعَامُ).

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ مُضَبَّبٌ بِحَدِيدٍ، قَالَ أَنَسٌ: لَقَدْ سَقَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِهٰذَا الْقَدَحِ الشَّرَابَ كُلَّهُ؛ الْمَاءَ وَالنَّبِيذَ وَالْعَسَلَ[١]. وَفِي الْبُخَارِيِّ: أَنَّهُ كَانَ قَدِ انْصَدَعَ فَسَلْسَلَهُ أَنَسٌ بِفِضَّةٍ. (وَهٰذَا النَّبِيذُ هُوَ مَاءٌ يُطْرَحُ فِيهِ التَّمْرُ يُحَلِّيهِ، وَلَهُ نَفْعٌ عَظِيمٌ فِي زِيَادَةِ الْقُوَّةِ، وَلَمْ يَكُنْ يَشْرَبُهُ بَعْدَ ثَلاَثٍ خَوْفاً مِنْ تَغَيُّرِهِ إِلَى الإِسْكَارِ).

وَأَمَّا شُرْبُهُ ﷺ:

فَقَدْ كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ الْمَاءُ ـ أَيْ: يُطْلَبُ لَهُ الْمَاءُ الْحُلْوُ ـ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: كَانَ يُسْتَعْذَبُ لَهُ الْمَاءُ مِنْ بُيُوتِ السُّقْيَا[٢]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَشْرَبُ الْعَسَلَ الْمَمْزُوجَ بِالْمَاءِ الْبَارِدِ. وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ أَحَبَّ الشَّرَابِ إِلَيْهِ ﷺ الْحُلْوُ الْبَارِدُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ تُرِيدَ بِهِ الْمَاءَ الْمَمْزُوجَ بِالْعَسَلِ، أَوِ الَّذِي نُقِعَ فِيهِ التَّمْرُ وَالزَّبِيبُ.

وَكَانَ يُنْبَذُ لَهُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَشْرَبُ إِذَا أَصْبَحَ يَوْمَهُ ذٰلِكَ، وَاللَّيْلَةَ الَّتِي تَجِيءُ وَالْغَدَ إِلَى الْعَصْرِ[٣]، فَإِنْ بَقِيَ شَيْءٌ سَقَاهُ الْخَادِمَ[٤]، أَوْ أَمَرَ بِهِ فَصُبَّ[٥]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) رواه مسلم والترمذي.

(٢) وهي بئر بالمدينة.

(٣) فشُرْبه قبل الثلاث لا يكون فيه تغيُّر ولا مبادىء تَغيُّر ولا شكٌّ فيه أصلاً.

(٤) إن لم يظهر فيه تغيُّر ونحوُه من مبادىء الإسكار، ويَترك شربَه تنزُّهاً.

(٥) إن ظهر فيه شيء من مبادىء الإسكار والتغيُّر.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَشْرَبُ اللَّبَنَ[١] خَالِصاً تَارَةً، وَتَارَةً مَشُوباً بِالْمَاءِ الْبَارِدِ[٢].

وَعَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ ﷺ دَخَلَ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ وَمَعَهُ صَاحِبٌ لَهُ، فَسَلَّمَ، فَرَدَّ الرَّجُلُ وَهُوَ يُحَوِّلُ الْمَاءَ فِي حَائِطِهِ[٣]، فَقَالَ ﷺ: **«إِنْ كَانَ عِنْدَكَ مَاءٌ بَاتَ فِي شَنَّةٍ[٤]، وَإِلاَّ كَرَعْنَا»[٥]**، فَقَالَ: عِنْدِي مَاءٌ بَاتَ فِي شَنٍّ، فَانْطَلَقَ إِلَى الْعَرِيشِ، فَسَكَبَ فِي قَدَحٍ مَاءً، ثُمَّ حَلَبَ عَلَيْهِ مِنْ دَاجِنٍ[٦]، فَشَرِبَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَشْرَبُ عَلَى طَعَامِهِ لِئَلاَّ يُفْسِدَهُ، وَلاَ سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَاءُ حَارًّا أَوْ بَارِداً فَإِنَّهُ رَدِيءٌ جِدًّا.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَشْرَبُ قَاعِداً، وَكَانَ ذٰلِكَ مِنْ عَادَتِهِ ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَرَوَى أَيْضاً: أَنَّهُ نَهَى عَنِ الشُّرْبِ قَائِماً. وَفِي حَدِيثٍ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: أَنَّهُ[٧] شَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّ نَاساً يَكْرَهُونَ الشُّرْبَ قَائِماً، وَإِنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَنَعَ مِثْلَ مَا صَنَعْتُ؛ فَالنَّهْيُ مَحْمُولٌ عَلَى كَرَاهَةِ التَّنْزِيهِ، وَشُرْبُهُ ﷺ قَائِماً لِبَيَانِ الْجَوَازِ.

وَكَانَ ﷺ يَتَنَفَّسُ فِي الشَّرَابِ ثَلاَثاً وَيَقُولُ: **«إِنَّهُ أَرْوَى وَأَمْرَأُ وَأَبْرَأُ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَمَعْنَى تَنفسِه: إِبَانَةُ الْقَدَحِ عَنْ فِيهِ وَتَنَفُّسُهُ خَارِجَهُ، ثُمَّ يَعُودُ إِلَى الشَّرَابِ.

---

(١) وهو الحليب.
(٢) مخلوطاً به وممزوجاً.
(٣) في بستانه.
(٤) في قِرْبَة.
(٥) الكَرْع: الشرب بالفم بغير إناء ولا يد.
(٦) الداجن: كل ما أَلِفَ البيوت وأقام بها من حيوان وطير.
(٧) أي: عليٌّ رضي الله عنه.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَشْرَبُ فِي ثَلاَثَةِ أَنْفَاسٍ، إِذَا أَدْنَى الإِنَاءَ إِلَى فِيهِ سَمَّى اللَّهَ تَعَالَى، فَإِذَا أَخَّرَهُ حَمِدَ اللَّهَ؛ يَفْعَلُ ذٰلِكَ ثَلاَثاً.

وَكَانَ ﷺ إِذَا دُعِيَ لِطَعَامٍ وَتَبِعَهُ أَحَدٌ، أَعْلَمَ بِهِ رَبَّ الْمَنْزِلِ، قَالَ: فَيَقُولُ: «**إِنَّ هٰذَا تَبِعَنَا، فَإِنْ شِئْتَ رَجَعَ**»[١].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُكَرِّرُ عَلَى أَضْيَافِهِ، وَيَعْرِضُ عَلَيْهِمُ الأَكْلَ مِرَاراً[٢].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا أَكَلَ مَعَ قَوْمٍ كَانَ آخِرَهُمْ أَكْلاً. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[٣].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا أَكَلَ عِنْدَ قَوْمٍ لَمْ يَخْرُجْ حَتَّى يَدْعُوَ لَهُمْ، فَدَعَا فِي مَنْزِلِ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ بُسْرٍ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُمْ فِيمَا رَزَقْتَهُمْ، وَاغْفِرْ لَهُمْ وَارْحَمْهُمْ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَدَعَا فِي مَنْزِلِ سَعْدٍ فَقَالَ: «**أَفْطَرَ عِنْدَكُمُ الصَّائِمُونَ، وَأَكَلَ طَعَامَكُمُ الأَبْرَارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئِكَةُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَسَقَاهُ آخَرُ لَبَناً[٤] فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ مَتِّعْهُ بِشَبَابِهِ**»، فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً لَمْ يَرَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ. رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ[٥].

❊ ❊ ❊

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري.

(٣) في شُعَب الإيمان مرسلاً.

(٤) حليباً.

(٥) وسنده ضعيف.

النوع الثاني
فِي لِبَاسِهِ وَفِرَاشِهِ ﷺ

كَانَ ﷺ يَتَجَوَّزُ مِنَ اللِّبَاسِ ـ يَعْنِي: يَتَوَسَّعُ ـ، فَلاَ يُضَيِّقُ بِالاقْتِصَارِ عَلَى صِنْفٍ بِعَيْنِهِ، وَلاَ بِطَلَبِ النَّفِيسِ الْغَالِي، بَلْ يَسْتَعْمِلُ مَا تَيَسَّرَ(١).

وَكَانَتْ سِيرَتُهُ ﷺ فِي مَلْبسِهِ أَتَمَّ وَأَنْفَعَ لِلْبَدَنِ، وَأَخَفَّ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ تَكُنْ عِمَامَتُهُ بِالْكَبِيرَةِ الَّتِي يُؤْذِي حَمْلُهَا، وَلاَ بِالصَّغِيرَةِ الَّتِي تَقْصُرُ عَنْ وِقَايَةِ الرَّأْسِ مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ، وَكَذٰلِكَ الأَرْدِيَةُ وَالأُزُرُ أَخَفُّ عَلَى الْبَدَنِ مِنْ غَيْرِهَا.

وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يُطَوِّلُ أَكْمَامَهُ وَيُوَسِّعُهَا، بَلْ كَانَ كُمُّهُ إِلَى الرُّسْغِ (وَهُوَ مُنْتَهَى الْكَفِّ عِنْدَ الْمَفْصِلِ).

وَكَانَ ذَيْلُ قَمِيصِهِ وَرِدَائِهِ إِلَى أَنْصَافِ السَّاقَيْنِ، لَمْ يَتَجَاوَزِ الْكَعْبَيْنِ(٢).

أَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنِ الأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْم قَالَ: سَمِعْتُ عَمَّتِي تُحَدِّثُ عَنْ عَمِّهَا، قَالَ: بَيْنَا أَنَا أَمْشِي بِالْمَدِينَةِ إِذَا إِنْسَانٌ خَلْفِي يَقُولُ: ارْفَعْ إِزَارَكَ، فَإِنَّهُ أَتْقَى وَأَبْقَى، فَإِذَا هُوَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّمَا هِيَ بُرْدَةٌ؟ قَالَ: «**أَمَا لَكَ فِيَّ أُسْوَةٌ؟**» فَنَظَرْتُ فَإِذَا إِزَارُهُ إِلَى نِصْفِ سَاقَيْهِ.

وَكَانَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عِمَامَةٌ تُسَمَّى السَّحَابَ، وَيَلْبَسُ تَحْتَهَا الْقَلاَنِسَ اللاَّطِئَةَ(٣). (وَالْقَلاَنِسُ: جَمْعُ قَلَنْسُوَةٍ، وَهِيَ غِشَاءٌ مُبَطَّنٌ يَسْتُرُ الرَّأْسَ).

---

(١) فالمحمود في اللباس نقاوة الثوب، والتوسُّط في جنسه، وكونُه لُبس مِثْلِه، غير مُسقِط لمروءة جنسه.

(٢) والتجاوز مكروه إلا إن قصد الخيلاء فيحرم.

(٣) اللاصقة.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ مَكَّةَ يَوْمَ الْفَتْحِ، وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ. وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: دَخَلَ ﷺ عَامَ الْفَتْحِ، وَعَلَى رَأْسِهِ الْمِغْفَرُ (وَهُوَ زَرَدٌ يُنْسَجُ مِنَ الدِّرْعِ عَلَى قَدْرِ الرَّأْسِ، وَيُجْمَعُ بَيْنَهُمَا بِأَنَّ الْعِمَامَةَ كَانَتْ فَوْقَ الْمِغْفَرِ).

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَعْتَمُّ، يُدِيرُ كُورَ عِمَامَتِهِ، وَيَغْرِسُهَا مِنْ وَرَائِهِ، وَيُرْخِي لَهَا ذُؤَابَةً بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي كِتَابِ أَخْلَاقِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَرَوَى ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: عَمَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِعِمَامَةٍ سَدَلَ طَرَفَهَا عَلَى مَنْكِبِي وَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ أَمَدَّنِي يَوْمَ بَدْرٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ بِمَلَائِكَةٍ مُعَمَّمِينَ هٰذِهِ الْعِمَّةَ**» وَقَالَ: «**إِنَّ الْعِمَامَةَ حَاجِزٌ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُشْرِكِينَ**».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَتْ لَهُ كُمَّةٌ بَيْضَاءُ. رَوَاهُ الدِّمْيَاطِيُّ. (وَالْكُمَّةُ: الْقَلَنْسُوَةُ).

وَعَنْ أَبِي كَبْشَةَ الْأَنْمَارِيِّ قَالَ: كَانَتْ كِمَامُ ـ وَفِي رِوَايَةٍ: أَكِمَّةُ ـ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ بُطْحاً. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، (وَهِيَ جَمْعُ كُمَّةٍ: الْقَلَنْسُوَةُ، يَعْنِي: أَنَّهَا كَانَتْ مُسْطَحَةً غَيْرَ مُنْتَصِبَةٍ).

وَكَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَيْهِ ﷺ الْقَمِيصُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[1] عَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَعَنْ مُعَاوِيَةَ بْنِ قُرَّةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي رَهْطٍ مِنْ مُزَيْنَةَ؛ لِنُبَايِعَهُ، وَإِنَّ قَمِيصَهُ لَمُطْلَقُ الْأَزْرَارِ ـ أَوْ قَالَ: زِرُّ قَمِيصِهِ مُطْلَقٌ ـ، قَالَ: فَأَدْخَلْتُ يَدِي فِي جَيْبِ قَمِيصِهِ، فَمَسِسْتُ الْخَاتَمَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(١) في الشمائل.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ أَحَبَّ الثِّيَابِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ يَلْبَسُهُ الْحِبَرَةُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[١]. (وَالْحِبَرَةُ: ضَرْبٌ مِنَ الْبُرُودِ[٢]، فِيهِ حُمْرَةٌ).

وَعَنْ أَبِي رِمْثَةَ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ بُرْدَانِ أَخْضَرَانِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ أَبِي يَعْلَىٰ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: رَأَيْتُهُ ﷺ يَطُوفُ بِالْبَيْتِ مُضْطَبِعاً[٣] بِبُرْدٍ أَخْضَرَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِسَ جُبَّةً رُومِيَّةً ضَيِّقَةَ الْكُمَّيْنِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٤].

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ ثَوْبٌ أَبْيَضُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[٥].

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُ الصُّوفَ، وَكَانَ لَهُ ﷺ كِسَاءٌ مُلَبَّدٌ يَلْبَسُهُ، وَيَقُولُ: «**إِنَّمَا أَنَا عَبْدٌ، أَلْبَسُ كَمَا يَلْبَسُ الْعَبْدُ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ[٦].

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي لَيْلَةٍ إِضْحِيَانَ[٧]، فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ ﷺ وَإِلَى الْقَمَرِ، وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، فَإِذَا هُوَ أَحْسَنُ عِنْدِي مِنَ الْقَمَرِ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ.

---

(١) والشيخان.
(٢) البُرْد: كساء مربّع.
(٣) الاضطباع: إظهار الضَّبْع (وهو العَضُد).
(٤) والشيخان.
(٥) ومسلم.
(٦) من رواية أبي بُردة، كما ذكر العراقي في تخريج الإحياء.
(٧) مضيئة مقمِرة ليس فيها غيم.

وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَعَلَيْهِ حُلَّةٌ حَمْرَاءُ، كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى بَرِيقِ سَاقَيْهِ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ بْنِ عَازِبٍ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنَ النَّاسِ أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رَوَاهُمَا التِّرْمِذِيُّ.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَمُسْلِمٍ: رَأَيْتُهُ ﷺ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ لَمْ أَرَ شَيْئاً قَطُّ أَحْسَنَ مِنْهُ.

وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ: مَا رَأَيْتُ مِنْ ذِي لِمَّةٍ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ أَحْسَنَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (وَاللِّمَّةُ: شَعْرُ الرَّأْسِ[١] دُونَ الْجُمَّةِ[٢]).

وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ: مَا رَأَيْتُ رَجُلاً أَحْسَنَ فِي حُلَّةٍ حَمْرَاءَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. (وَالْحُلَّةُ: إِزَارٌ وَرِدَاءٌ، وَلاَ تَكُونُ حُلَّةٌ إِلاَّ مِنْ ثَوْبَيْنِ، أَوْ ثَوْبٍ لَهُ بِطَانَةٌ).

وَأَمَّا صِفَةُ إِزَارِهِ ﷺ:

فَعَنْ أَبِي بُرْدَةَ بْنِ مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: أَخْرَجَتْ إِلَيْنَا عَائِشَةُ كِسَاءً[٣] وَإِزَاراً غَلِيظاً، فَقَالَتْ: قُبِضَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي هٰذَيْنِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ[٤]: كِسَاءً مُلَبَّداً. قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: أَيْ مُرَقَّعاً. وَقِيلَ: الْمُلَبَّدُ الَّذِي ثَخُنَ وَسْطُهُ وَصَفُقَ[٥] حَتَّى صَارَ يُشْبِهُ اللِّبْدَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً قَالَتْ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ[٦] وَعَلَيْهِ

---

(١) إذا ألمّ بالمنكبين.
(٢) وهو الذي نزل إلىٰ المنكبين.
(٣) لباساً.
(٤) للبخاري أيضاً.
(٥) كثُف.
(٦) صباح.

مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِنْ شَعَرٍ أَسْوَدَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (وَالْمِرْطُ: كِسَاءٌ مِنْ صُوفٍ أَوْ خَزٍّ يُؤْتَزَرُ بِهِ). قَالَ النَّوَوِيُّ: وَالصَّوَابُ الَّذِي رَوَاهُ الْجَمْهُورُ وَضَبَطَهُ الْمُتْقِنُونَ: بِالْحَاءِ الْمُهْمَلَةِ؛ أَيْ: عَلَيْهِ صُوَرُ رِحَالِ الإِبِلِ[١]. وَلاَ بَأْسَ بِهٰذِهِ الصُّورَةِ وَإِنَّمَا يَحْرُمُ تَصْوِيرُ الْحَيَوَانِ.

وَعَنْ عُرْوَةَ: أَنَّ طُولَ رِدَاءِ النَّبِيِّ ﷺ أَرْبَعَةُ أَذْرُعٍ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ.

وَعَنْهُ أَيْضاً: أَنَّ ثَوْبَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ الَّذِي كَانَ يَخْرُجُ فِيهِ إِلَى الْوَفْدِ رِدَاءٌ أَخْضَرُ فِي طُولِ أَرْبَعَةِ أَذْرُعٍ، وَعَرْضُهُ ذِرَاعَانِ وَشِبْرٌ.

وَعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ هِلاَلٍ قَالَ: رَأَيْتُ عَلَى هِشَامِ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ بُرْدَ النَّبِيِّ ﷺ[٢] مِنْ حِبَرَةٍ[٣] لَهُ حَاشِيَتانِ[٤].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَعَلَيْهِ إِزَارٌ يَتَقَعْقَعُ[٥].

وَعَنْ يَزِيدَ بْنِ أَبِي حَبِيبٍ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُرْخِي الإِزَارَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَيَرْفَعُهُ مِنْ وَرَائِهِ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَأْتَزِرُ تَحْتَ سُرَّتِهِ وَتَبْدُوْ سُرَّتُهُ[٦]، وَرَأَيْتُ عُمَرَ يَأْتَزِرُ فَوْقَ سُرَّتِهِ. رَوَاهَا كُلَّهَا الدِّمْيَاطِيُّ.

---

(١) جمع رَحل، وهو ما يوضع علىٰ ظهر البعير للركوب.
(٢) البُرْد: كساء مربّع.
(٣) وهي بُرْد يمانية.
(٤) جانبان.
(٥) يُحدِث صوتاً عند الحركة لجِدَّته.
(٦) والسرّة والركبة ليستا من العورة، لكن يجب ستر جزء منهما ليتحقّق به ستر العورة.

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا أَخْرَجَتْ جُبَّةَ طَيَالِسَةٍ[١] كِسْرَوَانِيَّةٍ، لَهَا لِبْنَةُ دِيبَاجٍ، وَفَرْجَاهَا[٢] مَكْفُوفَانِ بِالدِّيبَاجِ، وَقَالَتْ: هٰذِهِ جُبَّةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، كَانَتْ عِنْدَ عَائِشَةَ، فَلَمَّا قُبِضَتْ قَبَضْتُهَا، وَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَلْبَسُهَا، فَنَحْنُ نَغْسِلُهَا لِلْمَرْضَى وَنَسْتَشْفِي بِهَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (وَقَوْلُهُ: جُبَّةُ طَيَالِسَةٍ، بِإِضَافَةِ جُبَّةَ إِلَى طَيَالِسَةٍ، وَكِسْرَوَانِيَّةٌ: نِسْبَةٌ إِلَى كِسْرَىٰ، وَلِبْنَةٌ: رُقْعَةٌ مِنْ[٣] جَيْبِ الْقَمِيصِ)[٤].

وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يَبْدُو مِنْهُ إِلاَّ طَيِّبٌ كَانَ آيَةُ ذٰلِكَ فِي بَدَنِهِ الشَّرِيفِ أَنَّهُ لاَ يَتَّسِخُ لَهُ ثَوْبٌ. قِيلَ: وَلَمْ يَقْمَلْ ثَوْبُهُ ﷺ.

وَنَقَلَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ: أَنَّ الذُّبَابَ لاَ يَقَعُ عَلَى ثِيَابِهِ ﷺ، وَأَنَّهُ لاَ يَمْتَصُّ دَمَهُ الْبَعُوضُ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُكْثِرُ الْقِنَاعَ. وَفِي رِوَايَةٍ: يُكْثِرُ التَّقَنُّعَ. قَالَ الْعِرَاقِيُّ[٥]: التَّقَنُّعُ: تَغْطِيَةُ الرَّأْسِ بِطَرَفِ الْعِمَامَةِ، أَوْ بِرِدَاءٍ، أَوْ نَحْوِ ذٰلِكَ.

وَأَمَّا الْخَاتَمُ:

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ وَرِقٍ[٦]، فَكَانَ فِي يَدِهِ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ، ثُمَّ كَانَ

---

(١) جمع طَيْلَسان، أي: جُبَّة أعاجم.

(٢) طرفَاها.

(٣) الصواب: في.

(٤) وتسمّىٰ القَبّة. وجيبُ القميص: ما يُدخَل منه الرأس عند لبسه.

(٥) في شرح تقريب الأسانيد.

(٦) من فضة.

فِي يَدِ عُمَرَ، ثُمَّ كَانَ فِي يَدِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ، حَتَّى وَقَعَ فِي بِئْرِ أَرِيسٍ[1].

وَفِي الْصَّحِيحَيْنِ أَيْضاً: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَبِسَ خَاتَمَ فِضَّةٍ، فِيهِ فَصٌّ حَبَشِيٌّ، وَكَانَ يَجْعَلُ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي كَفَّهُ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَتَبَ إِلَى كِسْرَى وَقَيْصَرِ وَالْنَّجَاشِيِّ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّهُمْ لاَ يَقْبَلُونَ كِتَاباً إِلاَّ بِخَتْمٍ، فَصَاغَ خَاتَماً، وَنَقَشَ عَلَيْهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ[2]، وَإِنَّمَا لَبِسَهُ أَبُو بَكْرٍ لأَجْلِ وِلاَيَتِهِ، فَإِنَّهُ كَانَ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ كَمَا كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَحْتَاجُ إِلَيْهِ، وَكَذٰلِكَ عُمَرُ وَعُثْمَانُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ.

وَفِي الْصَّحِيحَيْنِ: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ ذَهَبٍ، فَجَعَلَهُ فِي يَمِينِهِ، وَجَعَلَ فَصَّهُ مِمَّا يَلِي بَاطِنَ كَفِّهِ، فَاتَّخَذَ الْنَّاسُ خَوَاتِيمَ الْذَّهَبِ، قَالَ: فَصَعِدَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَأَلْقَاهُ، وَنَهَى عَنِ الْتَّخَتُّمِ بِالذَّهَبِ.

وَأَمَّا فَصُّ خَاتِمِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: فَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اتَّخَذَ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ، فَصُّهُ مِنْهُ. أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: أَنَّ خَاتَمَهُ ﷺ كَانَ فَصُّهُ حَبَشِيًّا ـ أَيْ: مِنْ جَزْعٍ[3]، أَوْ عَقِيقٍ، وَمَعْدِنُهُمَا بِالْحَبَشَةِ وَالْيَمَنِ ـ.

وَأَمَّا نَقْشُ خَاتِمِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ صَنَعَ خَاتَماً مِنْ وَرِقٍ نَقَشَ فِيهِ: مُحَمَّدٌ

---

(١) بئر قريبة من مسجد قُباء، منسوب إلىٰ يهودي اسمه أَريس (وهو الفلاح).

(٢) متفق عليه.

(٣) خَرَز فيه بياض وسواد.

رَسُولُ اللَّهِ، وَقَالَ لِلنَّاسِ: «**إِنِّي اتَّخَذْتُ خَاتَماً مِنْ فِضَّةٍ، وَنَقَشْتُ فِيهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ، فَلاَ يَنْقُشْ أَحَدٌ عَلَى نَقْشِهِ**».

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ وَالتِّرْمِذِيِّ: وَكَانَ نَقْشُ الْخَاتَمِ ثَلاَثَةَ أَسْطُرٍ: مُحَمَّدٌ سَطْرٌ، وَرَسُولُ سَطْرٌ، وَاللَّهُ سَطْرٌ(١).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ: عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ خَاتَمُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي هٰذِهِ، وَأَشَارَ إِلَى الْخِنْصِرِ مِنْ يَدِهِ الْيُسْرَىٰ(٢).

وَعَنْ حَمَّادِ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ قَالَ: رَأَيْتُ ابْنَ أَبِي رَافِعٍ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ، وَقَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَتَخَتَّمُ فِي يَمِينِهِ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ(٣).

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَتَخَتَّمُ، وَرُبَّمَا خَرَجَ وَفِي خَاتَمِهِ خَيْطٌ مَرْبُوطٌ، يَسْتَذْكِرُ بِهِ الشَّيْءَ. رَوَاهُ ابْنُ عَدِيٍّ وَغَيْرُهُ(٤).

وَأَمَّا السَّرَاوِيلُ:

فَقَدْ جَزَمَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ بِأَنَّهُ ﷺ لَمْ يَلْبَسْهَا، لٰكِنْ قَدْ وَرَدَ فِي حَدِيثٍ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى الْمَوْصِلِيِّ(٥) بِسَنَدٍ ضَعِيفٍ(٦)، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: دَخَلْتُ

---

(١) قال ابن حَجر في (تلخيص الحبير) ١٠٨/٢: قيل: كانت الأسطر من أسفل إلىٰ فوق، ليكون اسم الله أعلىٰ، وقيل: كان النقش معكوساً ليُقرأ مستقيماً إذا خُتِم به.

(٢) قال ابن حجر في (الفتح) ٣٢٧/١٠: ويظهر لي أن ذلك يختلف باختلاف القصد، فإن كان اللُّبس للتزيُّن به فاليمين أفضل، وإن كان للختم به فاليسار أفضل.

(٣) كالنسائي والترمذي.

(٤) كالدارقطني، وسنده ضعيف.

(٥) والطبراني في الأوسط.

(٦) كما قال السندي في شرح النسائي، والآبادي في عون المعبود، والحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد.

السُّوقَ يَوْماً مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَجَلَسَ إِلَى الْبَزَّازِينَ[1]، فَاشْتَرَى سَرَاوِيلَ بِأَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ، وَكَانَ لأَهْلِ السُّوقِ وَزَّانٌ يَزِنُ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**اتَّزِنْ وَأَرْجِحْ**»، فَقَالَ الْوَزَّانُ: إِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ مَا سَمِعْتُهَا مِنْ أَحَدٍ، قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَقُلْتُ لَهُ: كَفَى بِكَ مِنَ الْوَهْنِ وَالْجَفَاءِ فِي دِينِكَ أَنْ لاَ تَعْرِفَ نَبِيَّكَ، فَطَرَحَ الْمِيزَانَ، وَوَثَبَ إِلَى يَدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يُقَبِّلَهَا، فَجَذَبَ يَدَهُ ﷺ مِنْهُ وَقَالَ: «**يَا هٰذَا إِنَّمَا تَفْعَلُ هٰذَا الأَعَاجِمُ بِمُلُوكِهَا، وَلَسْتُ بِمَلِكٍ، إِنَّمَا أَنَا رَجُلٌ مِنْكُمْ**»، فَوَزَنَ فَأَرْجَحَ، وَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ السَّرَاوِيلَ. قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: فَذَهَبْتُ لأَحْمِلَهُ عَنْهُ، فَقَالَ: «**صَاحِبُ الشَّيْءِ أَحَقُّ بِشَيْئِهِ أَنْ يَحْمِلَهُ، إِلاَّ أَنْ يَكُونَ ضَعِيفاً يَعْجِزُ عَنْهُ، فَيُعِينُهُ أَخُوهُ الْمُسْلِمُ**»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَإِنَّكَ لَتَلْبَسُ السَّرَاوِيلَ؟ فَقَالَ: «**أَجَلْ فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ، وَبِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، فَإِنِّي أُمِرْتُ بِالسَّتْرِ، فَلَمْ أَجِدْ شَيْئاً أَسْتَرَ مِنْهُ**»، وَقَدْ صَحَّ شَرَاءُ النَّبِيِّ ﷺ لِلسَّرَاوِيلِ.

وَأَمَّا الْخُفُّ:

فَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ بُرَيْدَةَ: أَنَّ النَّجَاشِيَّ أَهْدَى لِلنَّبِيِّ ﷺ خُفَّيْنِ أَسْوَدَيْنِ سَاذَجَيْنِ[2]، فَلَبِسَهُمَا، ثُمَّ تَوَضَّأَ وَمَسَحَ عَلَيْهِمَا.

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ قَالَ: أَهْدَى دِحْيَةُ لِلنَّبِيِّ ﷺ خُفَّيْنِ فَلَبِسَهُمَا.

وَأَمَّا نَعْلُهُ ﷺ:

فَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ نَعْلَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ لَهُمَا قِبَالاَنِ. (وَالْقِبَالاَنِ: تَثْنِيَةُ قِبَالٍ، وَهُوَ زِمَامُ النَّعْلِ، وَهُوَ السَّيْرُ الَّذِي يَكُونُ بَيْنَ الإِصْبَعَيْنِ).

وَعَنْ عُبَيْدِ بْنِ جُرَيْجٍ: أَنَّهُ قَالَ لابْنِ عُمَرَ: رَأَيْتُكَ تَلْبَسُ النِّعَالَ

---

(١) بائعي الثياب.

(٢) أي: غير منقوشين.

السِّبْتِيَّةَ[1]؟ قَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَلْبَسُ النِّعَالَ الَّتِي لَيْسَ فِيهَا شَعْرٌ، وَيَتَوَضَّأُ فِيهَا، فَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أَلْبَسَهَا[2].

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي فِي نَعْلَيْنِ مَخْصُوفَتَيْنِ[3].

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُحِبُّ التَّيَمُّنَ مَا اسْتَطَاعَ، فِي تَرَجُّلِهِ[4] وَتَنَعُّلِهِ وَطُهُورِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[5].

وَأَفْرَدَ تِمْثَالَ[6] نَعْلِهِ ﷺ بِالتَّأْلِيفِ غَيْرُ وَاحِدٍ[7]، وَمِنْ بَعْضِ مَا ذُكِرَ مِنْ فَضْلِهَا، وَجُرِّبَ مِنْ نَفْعِهَا وَبَرَكَتِهَا: مَا ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ أَحْمَدُ بْنُ عَبْدِالْمَجِيدِ ـ وَكَانَ شَيْخاً صَالِحاً ـ قَالَ: حَذَوْتُ[8] هٰذَا الْمِثَالَ لِبَعْضِ الطَّلَبَةِ، فَجَاءَنِي يَوْماً فَقَالَ لِي: رَأَيْتُ الْبَارِحَةَ مِنْ بَرَكَةِ هٰذَا النَّعْلِ عَجَباً، أَصَابَ زَوْجَتِي وَجَعٌ شَدِيدٌ كَادَ يُهْلِكُهَا، فَجَعَلْتُ النَّعْلَ عَلَى مَوْضِعِ الْوَجَعِ، وَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَرِنِي بَرَكَةَ صَاحِبِ هٰذَا النَّعْلِ، فَشَفَاهَا اللَّهُ لِلْحِينِ.

وَمِمَّنْ أَفْرَدَ التِّمْثَالَ الشَّرِيفَ بِالتَّأْلِيفِ أَبُو إِسْحٰقَ[9] السَّلَمِيُّ الأَنْدَلُسِيُّ

---

(١) المدبوغة، لأن شعرها سُبِت، وسقط عنها بالدِّباغ.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) مرّقعتين. رواه الترمذي.

(٤) تسريح شعره.

(٥) والشيخان.

(٦) شكل.

(٧) وأجمعُ هذه التآليف (فتح المتعال في مدح النعال) لأحمد بن محمد بن أحمد بن يحيىٰ المقّري التلمساني، صاحب (نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب)، المتوفىٰ سنة ١٠٤١هـ.

(٨) صَنعتُ.

(٩) إبراهيم بن محمد بن خلف.

الْمَشْهُورُ بِابْنِ الْحَاجِّ، قَالَ: قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ ابْنُ مُحَمَّدٍ: وَمِمَّا جُرِّبَ مِنْ بَرَكَتِهِ أَنَّهُ مَنْ أَمْسَكَهُ عِنْدَهُ مُتَبَرِّكاً بِهِ كَانَ لَهُ أَمَاناً مِنْ بَغْيِ الْبُغَاةِ، وَغَلَبَةِ الْعِدَاةِ، وَحِرْزاً مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ، وَعَيْنِ كُلِّ حَاسِدٍ، وَإِنْ أَمْسَكَتْهُ الْمَرْأَةُ الْحَامِلُ بِيَمِينِهَا وَقَدِ اشْتَدَّ عَلَيْهَا الطَّلْقُ تَيَسَّرَ أَمْرُهَا، بِحَوْلِ اللّهِ تَعَالَى وَقُوَّتِهِ.

وَلِأَبِي بَكْرٍ الْقُرْطُبِيِّ رَحِمَهُ اللّهُ:

وَنَعْلٍ خَضَعْنَا هَيْبَةً لِبَهَائِهَا ... وَإِنَّا مَتَى نَخْضَعْ لَهَا أَبَداً نَعْلُ
فَضَعْهَا عَلَى أَعْلَى الْمَفَارِقِ إِنَّهَا ... حَقِيقَتُهَا تَاجٌ، وَصُورَتُهَا نَعْلُ
بِأَخْمَصِ خَيْرِ الْخَلْقِ حَازَتْ مَزِيَّةً ... عَلَى التَّاجِ حَتَّى بَاهَتِ الْمَفْرِقَ الرِّجْلُ
طَرِيقُ الْهُدَى عَنْهَا اسْتَنَارَتْ لِمُبْصِرٍ ... وَإِنَّ بِحَارَ الْجُودِ مِنْ فَيْضِهَا حُلُّوا
سَلَوْنَا وَلٰكِنْ عَنْ سِوَاهَا، وَإِنَّمَا ... نَهِيمُ بِمَعْنَاهَا الْغَرِيبِ وَمَا نَسْلُو
فَمَا شَاقَنَا مُذْ رَاقَنَا رَسْمُ عِزِّهَا ... حَمِيمٌ، وَلاَ مَالٌ كَرِيمٌ، وَلاَ نَسْلُ
شِفَاءٌ لِذِي سُقْمٍ، رَجَاءٌ لِبَائِسٍ، ... أَمَانٌ لِذِي خَوْفٍ، كَذَا يُحْسَبُ الْفَضْلُ

وَأَمَّا فِرَاشُهُ ﷺ:

فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَخَذَ مِنْ ذٰلِكَ بِمَا تَدْعُو ضَرُورَتُهُ إِلَيْهِ، فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: إِنَّمَا كَانَ فِرَاشُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ الَّذِي يَنَامُ عَلَيْهِ أَدَماً(١)، حَشْوُهُ لِيفٌ(٢). رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِهَا قَالَتْ: دَخَلَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأَنْصَارِ، فَرَأَتْ فِرَاشَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَطِيفَةً مَثْنِيَّةً، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِفِرَاشٍ حَشْوُهُ الصُّوفُ، فَدَخَلَ عَلَيَّ النَّبِيُّ ﷺ فَقَالَ: «**مَا هٰذَا يَا عَائِشَةُ؟**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! فُلاَنَةُ

---

(١) جلداً مدبوغاً.

(٢) وهو قشر النخل.

الأَنْصَارِيَّةُ دَخَلَتْ فَرَأَتْ فِرَاشَكَ، فَبَعَثَتْ إِلَيَّ بِهٰذَا، فَقَالَ: **«رُدِّيهِ يَا عَائِشَةُ، فَوَاللّهِ لَوْ شِئْتُ لأَجْرَى اللّهُ مَعِي جِبَالَ الذَّهَبِ وَالفِضَّةِ»**.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَهُوَ فِي غُرْفَةٍ كَأَنَّهَا بَيْتُ حَمَّامٍ، وَهُوَ نَائِمٌ عَلَى حَصِيرٍ قَدْ أَثَّرَ بِجَنْبِهِ، فَبَكَيْتُ، فَقَالَ: **«مَا يُبْكِيكَ يَا عَبْدَاللّهِ؟»** قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! كِسْرَى وَقَيْصَرُ يَطَؤُونَ عَلَى الْخَزِّ وَالدِّيبَاجِ[1] وَالْحَرِيرِ، وَأَنْتَ نَائِمٌ عَلَى هٰذَا الْحَصِيرِ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ؟ فَقَالَ: **«لاَ تَبْكِ يَا عَبْدَاللّهِ، فَإِنَّ لَهُمُ الدُّنْيَا، وَلَنَا الآخِرَةُ»**.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَهُوَ عَلَى حَصِيرٍ، قَالَ: فَجَلَسْتُ فَإِذَا عَلَيْهِ إِزَارُهُ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ غَيْرُهُ، وَإِذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِهِ، وَإِذَا بِقَبْضَةٍ مِنَ الشَّعِيرِ نَحْوِ الصَّاعِ، وَإِذَا إِهَابٌ[2] مُعَلَّقٌ، فَابْتَدَرَتْ[3] عَيْنَايَ، فَقَالَ: **«مَا يُبْكِيكَ يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟»** فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللّهِ! وَمَا لِي لاَ أَبْكِي وَهٰذَا الْحَصِيرُ قَدْ أَثَّرَ فِي جَنْبِكَ، وَهٰذِهِ خَزَائِنُكَ لاَ أَرَى فِيهَا إِلاَّ مَا أَرَى، وَذَاكَ كِسْرَى وَقَيْصَرُ فِي الثِّمَارِ وَالأَنْهَارِ، وَأَنْتَ نَبِيُّ اللّهِ وَصَفْوَتُهُ، وَهٰذِهِ خَزَائِنُهُ؟ قَالَ: **«يَا ابْنَ الْخَطَّابِ! أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ لَنَا الآخِرَةُ، وَلَهُمُ الدُّنْيَا؟»** رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ، وَالْحَاكِمُ وَقَالَ: صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَفْظُهُ: قَالَ عُمَرُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: اسْتَأْذَنْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَدَخَلْتُ عَلَيْهِ فِي مَشْرُبَةٍ، وَإِنَّهُ لَمُضْطَجِعٌ عَلَى خَصَفَةٍ، وَإِنَّ بَعْضَهُ لَعَلَى التُّرَابِ، وَتَحْتَ رَأْسِهِ وِسَادَةٌ مَحْشُوَّةٌ لِيفاً، وَإِنَّ فَوْقَ رَأْسِهِ

---

(١) الخَزّ: ما يُنسج من صوف وإبرَيسم، والإبرَيسم: أحسن الحرير. والديباج: ما سُداه ولُحمته من حرير.

(٢) جلد غير مدبوغ.

(٣) بكَتْ.

لِإِهَابٌ عَطِينٌ، وَفِي نَاحِيَةِ الْمَشْرُبَةِ قَرَظٌ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَجَلَسْتُ، فَقُلْتُ: أَنْتَ نَبِيُّ اللَّهِ وَصَفْوَتُهُ، وَكِسْرَى وَقَيْصَرُ عَلَى سُرُرِ الذَّهَبِ وَفُرُشِ الدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ؟ فَقَالَ: «**أُولٰئِكَ قَوْمٌ عُجِّلَتْ لَهُمْ طَيِّبَاتُهُمْ فِي الدُّنْيَا، وَهِيَ وَشِيكَةُ الانْقِطَاعِ، وَإِنَّا قَوْمٌ أُخِّرَتْ لَنَا طَيِّبَاتُنَا فِي آخِرَتِنَا**». (وَالْمَشْرُبَةُ: الْغُرْفَةُ يُصْعَدُ إِلَيْهَا بِدَرَجَةٍ، وَالْخَصَفَةُ: وِعَاءٌ مِنْ خُوصٍ لِلتَّمْرِ. وَالإِهَابُ: الْجِلْدُ، وَالْعَطِينُ الْمُنْتِنُ. وَالْقَرَظُ: وَرَقُ السَّلَمِ[1] الَّذِي يُدْبَغُ بِهِ). وَرِوَايَةُ الإِهَابِ وَالْعَطِينِ بِدُونَ أَلِفٍ[2] مَعَ كَوْنِهِمَا مَنْصُوبَيْنِ عَلَى لُغَةِ رَبِيعَةَ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ سَرِيرٌ مُرَمَّلٌ بِالْبَرْدِيِّ، عَلَيْهِ كِسَاءٌ أَسْوَدُ، وَقَدْ حَشَوْنَاهُ بِالْبَرْدِيِّ، فَدَخَلَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ عَلَيْهِ فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ نَائِمٌ عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُمَا اسْتَوَى جَالِساً، فَنَظَرَ فَإِذَا أَثَرُ السَّرِيرِ فِي جَنْبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالاَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا تُؤْذِيكَ خُشُونَةُ مَا نَرَى مِنْ فِرَاشِكَ وَسَرِيرِكَ، وَهٰذَا كِسْرَى وَقَيْصَرُ عَلَى فُرُشِ الدِّيبَاجِ وَالْحَرِيرِ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**لاَ تَقُولاَ هٰذَا، فَإِنَّ فِرَاشَ كِسْرَى وَقَيْصَرَ فِي النَّارِ، وَإِنَّ فِرَاشِي وَسَرِيرِي عَاقِبَتُهُ إِلَى الْجَنَّةِ**» رَوَاهُ ابْنُ حِبَّانَ فِي صَحِيحِهِ. (وَالْمُرَمَّلُ: الْمَنْسُوجُ. وَالْبَرْدِيُّ: نَبَاتٌ).

وَمَا عَابَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُضْطَجَعاً قَطُّ، إِنْ فُرِشَ لَهُ اضْطَجَعَ، وَإِلاَّ اضْطَجَعَ عَلَى الأَرْضِ.

وتَغَطَّى ﷺ بِاللِّحَافِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**مَا أَتَانِي جِبْرِيلُ وَأَنَا فِي لِحَافِ امْرَأَةٍ مِنْكُنَّ غَيْرِ عَائِشَةَ**»[3] اهـ.

❋ ❋ ❋

---

(١) وهو نوع من شجر العِضاه.

(٢) أي: بدون ألف النَّصْبِ.

(٣) رواه البخاري.

النوع الثالث
فِي سِيرَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي نِكَاحِهِ

قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**حُبِّبَ إِلَيَّ مِنْ دُنْيَاكُمْ: النِّسَاءُ وَالطِّيبُ، وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ**»(١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**فُضِّلْتُ عَلَى النَّاسِ بِأَرْبَعٍ: بِالسَّمَاحَةِ، وَالشَّجَاعَةِ، وَكَثْرَةِ الْجِمَاعِ، وَشِدَّةِ الْبَطْشِ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ(٢).

وَقَالَ أَنَسٌ: كَانَ ﷺ يَدُورُ عَلَى نِسَائِهِ فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ مِنَ اللَّيْلِ وَهُنَّ إِحْدَى عَشْرَةَ، قَالَ قَتَادَةُ: قُلْتُ لأَنَسٍ: أَوَكَانَ يُطِيقُهُ؟ قَالَ: كُنَّا نَتَحَدَّثُ أَنَّهُ أُعْطِيَ قُوَّةَ ثَلاَثِينَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ طَاوُسٍ وَمُجَاهِدٍ: أُعْطِيَ ﷺ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فِي الْجِمَاعِ. رَوَاهُ ابْنُ سَعِيدٍ، وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ مُجَاهِدٍ: قُوَّةَ بِضْعٍ وَأَرْبَعِينَ رَجُلاً، كُلُّ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ. رَوَاهُ الْحَارِثُ ابْنُ أَبِي أُسَامَةَ.

وَعِنْدَ أَحْمَدَ وَغَيْرِهِ(٣) مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ رَفَعَهُ: «**إِنَّ الرَّجُلَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، لَيُعْطَى قُوَّةَ مِئَةٍ فِي الأَكْلِ وَالشُّرْبِ وَالْجِمَاعِ وَالشَّهْوَةِ**».

وَعَنْ صَفْوَانَ بْنِ سُلَيْمٍ مَرْفُوعاً: «**أَتَانِي جِبْرِيلُ بِقِدْرٍ فَأَكَلْتُ مِنْهَا، فَأُعْطِيتُ قُوَّةَ أَرْبَعِينَ رَجُلاً فِي الْجِمَاعِ**» رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ(٤).

---

(١) رواه النسائي والحاكم.

(٢) في الأوسط بسند ضعيف، كما قال المناوي في (فيض القدير).

(٣) كالنسائي.

(٤) بسند مرسل، كما في الجامع الصغير. قال المناوي: الحديث وصله أبو نعيم والديلمي من حديث صفوان عن عطاء عن أبي هريرة يرفعه، وللحديث شواهد تقوّيه.

وَلَمَّا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِمَّنْ أُقْدِرَ عَلَى الْقُوَّةِ فِي الْجِمَاعِ وَأُعْطِيَ الْكَثِيرَ مِنْهُ؛ أُبِيحَ لَهُ مِنْ عَدَدِ الْحَرَائِرِ مَا لَمْ يُبَحْ لِغَيْرِهِ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا[١]: تَزَوَّجُوا، فَإِنَّ أَفْضَلَ هٰذِهِ الأُمَّةِ أَكْثَرُهَا نِسَاءً؛ يُشِيرُ إِلَيْهِ ﷺ.

***

النوع الرابع
فِي نَوْمِهِ ﷺ

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَسْتَيْقِظُ فِي أَوَّلِ النِّصْفِ الثَّانِي، فَيَقُومُ، فَيَسْتَاكُ وَيَتَوَضَّأُ، وَلَمْ يَكُنْ يَأْخُذُ مِنَ النَّوْمِ فَوْقَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ، وَلاَ يَمْنَعُ نَفْسَهُ مِنَ الْقَدْرِ الْمُحْتَاجِ إِلَيْهِ مِنْهُ، وَكَانَ ﷺ يَنَامُ عَلَى جَنْبِهِ الأَيْمَنِ ذَاكِراً لِلّهِ تَعَالَى حَتَّى تَغْلِبَهُ عَيْنَاهُ، غَيْرَ مُمْتَلِىءِ الْبَطْنِ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَنَامُ عَلَى الْفِرَاشِ تَارَةً، وَعَلَى النَّطْعِ تَارَةً، وَعَلَى الْحَصِيرِ تَارَةً، وَعَلَى الأَرْضِ تَارَةً. (وَالنَّطْعُ: مِنْ جِلْدٍ).

وَكَانَ فِرَاشُهُ أَدَماً[٢] حَشْوُهُ لِيفٌ، وَكَانَ لَهُ مِسْحٌ يَنَامُ عَلَيْهِ. (وَالْمِسْحُ: فِرَاشٌ خَشِنٌ).

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَخَذَ مَضْجَعَهُ وَضَعَ كَفَّهُ تَحْتَ خَدِّهِ الأَيْمَنِ، وَقَالَ: «**رَبِّ قِنِي عَذَابَكَ يَوْمَ تَبْعَثُ عِبَادَكَ**»[٣] وَفِي رِوَايَةٍ[٤]: «**يَوْمَ تَجْمَعُ عِبَادَكَ**».

---

(١) كما رواه البخاري.

(٢) جلداً مدبوغاً.

(٣) رواه الترمذي.

(٤) للترمذي أيضاً.

وَقَالَ أَبُو قَتَادَةَ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا عَرَّسَ بِلَيْلٍ[1] اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ، وَإِذَا عَرَّسَ قُبَيْلَ الصُّبْحِ نَصَبَ ذِرَاعَهُ، وَوَضَعَ رَأْسَهُ عَلَى كَفِّهِ[2].

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا نَامَ نَفَخَ[3].

وَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «**بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ أَمُوتُ وَأَحْيَا**»[4].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يَجْمَعُ كَفَّيْهِ فَيَنْفُثُ فِيهِمَا وَيَقْرَأُ: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ، وَقُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ، ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِمَا مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِهِ، وَيَبْدَأُ بِهِمَا عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِهِ، يَصْنَعُ ذٰلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ[5].

وَقَالَ أَنَسٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا أَوَى إِلَى فِرَاشِهِ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَطْعَمَنَا، وَسَقَانَا، وَكَفَانَا، وَآوَانَا، فَكَمْ مِمَّنْ لاَ كَافِيَ لَهُ وَلاَ مُؤْوِيَ**» رَوَى ذٰلِكَ التِّرْمِذِيُّ[6].

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ تَنَامُ عَيْنَاهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، قَالَهُ لَهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَمَّا قَالَتْ لَهُ: أَتَنَامُ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟.

(١) أي: نزل أوّله وهو مسافر.

(٢) لئلا يستغرق في النوم. رواه مسلم ٦٨٣.

(٣) أخرج من فمه الهواء بقوّة. رواه الشيخان.

(٤) رواه الشيخان.

(٥) رواه الشيخان.

(٦) ومسلم ٢٧١٥.

المقصِد الرابع

فِي مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الدَّالَّةِ عَلَى ثُبُوتِ نُبُوَّتِهِ وَصِدْقِ رِسَالَتِهِ، وَمَا خُصَّ بِهِ مِنْ خَصَائِصِ آيَاتِهِ وَبَدَائِعِ كَرَامَاتِهِ.

وَفِيهِ فَصْلاَنِ

الفصل الأول

فِي ذِكْرِ مُعْجِزَاتِهِ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ دَلَائِلَ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ كَثِيرَةٌ، وَالأَخْبَارَ بِظُهُورِ مُعْجِزَاتِهِ شَهِيرَةٌ، فَمِنْ دَلَائِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ مَا وُجِدَ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَسَائِرِ كُتُبِ اللَّهِ الْمُنَزَّلَةِ مِنْ ذِكْرِهِ وَنَعْتِهِ وَخُرُوجِهِ بِأَرْضِ الْعَرَبِ، وَمَا خَرَجَ بَيْنَ يَدَيْ أَيَّامِ مَوْلِدِهِ وَمَبْعَثِهِ مِنَ الأُمُورِ الْغَرِيبَةِ الْقَادِحَةِ فِي سُلْطَانِ الْكُفْرِ، الْمُوهِنَةِ لِكَلِمَتِهِم، الْمُؤَيِّدَةِ لِشَأْنِ الْعَرَبِ، الْمُنَوِّهَةِ بِذِكْرِهِمْ كَقِصَّةِ الْفِيلِ؛ وَمَا أَحَلَّ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِأَصْحَابِهِ مِنَ الْعُقُوبَةِ وَالنَّكَالِ، وَخُمُودِ نَارِ فَارِسٍ، وَسُقُوطِ شُرُفَاتِ إِيوَانِ كِسْرَىٰ[(١)]، وَغَيْضِ مَاءِ بُحَيْرَةِ سَاوَه، وَرُؤْيَا الْمُوبَذَانِ[(٢)]، وَمَا سُمِعَ مِنَ الْهَوَاتِفِ الصَّارِخَةِ بِنُعُوتِهِ وَأَوْصَافِهِ ﷺ، وَانْتِكَاسِ الأَصْنَامِ الْمَعْبُودَةِ وَخُرُورِهَا لِوَجْهِهَا مِنْ غَيْرِ دَافِعٍ لَهَا مِنْ أَمْكِنَتِهَا، إِلَى سَائِرِ مَا رُوِيَ وَنُقِلَ فِي الأَخْبَارِ

(١) وعددها أربع عشرة علىٰ عدد ملوكها.

(٢) فقيه الفُرس، إذ رأىٰ إبلاً صعاباً تقود خيلاً عِراباً قد قطعت دِجلة وانتشرت في بلادهم. قال الشيخ عبدالفتاح أبو غدة في تحقيقه علىٰ كتاب (المصنوع في معرفة الحديث الموضوع) للقاري ص١٨: وما روي في ليلة مولد النبي ﷺ من أنه ارتجس إيوان كسرىٰ، وسقطت منه أربع عشرة شرفة، وخمدت نار فارس، وغاضت بحيرة ساوه، ورأىٰ الموبَذان رؤيا وفسّرها له كاهن العرب سَطيح؛ فهذا الحديث ليس بصحيح، ولا يجوز قوله، ولا يغرنّك ذكرُ بعض العلماء له في كتب السيرة أو التاريخ.

الْمَشْهُورَةِ مِنْ ظُهُورِ الْعَجَائِبِ فِي وِلاَدَتِهِ، وَأَيَّامِ حَضَانَتِهِ وَبَعْدَهَا إِلَى أَنْ بَعَثَهُ اللّٰهُ تَعَالَى نَبِيًّا.

وَلَمْ يَكُنْ لَهُ ﷺ مَا يَسْتَمِيلُ بِهِ الْقُلُوبَ مِنْ مَالٍ فَيُطْمَعَ فِيهِ، وَلاَ قُوَّةٍ فَيَقْهَرَ بِهَا الرِّجَالَ، وَلاَ أَعْوَانٍ عَلَى الرَّأْيِ الَّذِي أَظْهَرَهُ وَالدِّينِ الَّذِي دَعَا إِلَيْهِ، وَكَانُوا يَجْتَمِعُونَ عَلَى عِبَادَةِ الأَصْنَامِ، وَتَعْظِيمِ الأَزْلاَمِ[1]، مُقِيمِينَ عَلَى عَادَةِ الْجَاهِلِيَّةِ فِي الْعُصْبَةِ وَالْحَمِيَّةِ، وَالتَّعَادِي وَالتَّبَاغِي وَسَفْكِ الدِّمَاءِ وَشَنِّ الْغَارَاتِ، لاَ تَجْمَعُهُمْ أُلْفَةُ دِينٍ، وَلاَ يَمْنَعُهُمْ مِنْ سُوءِ أَفْعَالِهِمْ نَظَرٌ فِي عَاقِبَةٍ، وَلاَ خَوْفُ عُقُوبَةٍ وَلاَئِمَةٍ، فَأَلَّفَ ﷺ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ، وَجَمَعَ كَلِمَتَهُمْ، حَتَّى اتَّفَقَتِ الآرَاءُ، وَتَنَاصَرَتِ الْقُلُوبُ، وَتَرَادَفَتِ الأَيْدِي، فَصَارُوا إِلْباً[2] وَاحِداً فِي نُصْرَتِهِ، وَعُنُقاً[3] وَاحِداً إِلَى طَلْعَتِهِ، وَهَجَرُوا بِلاَدَهُمْ وَأَوْطَانَهُمْ، وَجَفَوْا قَوْمَهُمْ وَعَشَائِرَهُمْ فِي مَحَبَّتِهِ، وَبَذَلُوا مُهَجَهُمْ وَأَرْوَاحَهُمْ فِي نُصْرَتِهِ، وَنَصَبُوا وُجُوهَهُمْ لِوَقْعِ السُّيُوفِ فِي إِعْزَازِ كَلِمَتِهِ، بِلاَ دُنْيَا بَسَطَهَا لَهُمْ، وَلاَ أَمْوَالٍ أَفَاضَهَا عَلَيْهِمْ، وَلاَ غَرَضٍ فِي الْعَاجِلِ أَطْمَعَهُمْ فِي نَيْلِهِ يَرْجُونَهُ، أَوْ أَمْرٍ مِنْ مُهِمَّاتِ الدُّنْيَا يَحُوزُونَهُ، بَلْ كَانَ مِنْ شَأْنِهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَ الْغَنِيَّ فَقِيراً[4]، وَالشَّرِيفَ أُسْوَةَ الْوَضِيعِ[5]، فَهَلْ يَلْتَئِمُ مِثْلُ هٰذِهِ الأُمُورِ أَوْ يَتَّفِقُ مَجْمُوعُهَا لأَحَدٍ هٰذِهِ سَبِيلُهُ مِنْ قِبَلِ الاخْتِيَارِ الْعَقْلِيِّ وَالتَّدْبِيرِ الْفِكْرِيِّ؟ لاَ وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَسَخَّرَ لَهُ هٰذِهِ الأُمُورَ، مَا يَرْتَابُ عَاقِلٌ فِي شَيْءٍ مِنْ

---

(١) وهي سهام لا ريش عليها كانوا يستقسمون بها، وكانوا يكتبون عليها: أمرني ربي، أو نهاني ربي، ويضعونها في وعاء، فإذا أراد أحدُهم أمراً أدخل يده فيه وأخرج سهماً، فإن خرج ما فيه الأمرُ مضىٰ لقصده، وإن خرج ما فيه النهيُ كفَّ.

(٢) جمعاً.

(٣) جمعاً.

(٤) أي: مِثْله في الدِّين.

(٥) مِثْله.

ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا هُوَ أَمْرٌ إِلٰهِيٌّ، وَشَيْءٌ غَالِبٌ سَمَاوِيٌّ، نَاقِضٌ لِلْعَادَاتِ، تَعْجَزُ عَنْ بُلُوغِهِ قُوَى الْبَشَرِ، وَلاَ يَقْدِرُ عَلَيْهِ إِلاَّ مَنْ لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ، تَبَارَكَ اللّٰهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ. اهـ

فَمِنْ دَلاَئِلِ نُبُوَّتِهِ ﷺ:

أَنَّهُ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أُمِّيًّا، لاَ يَخُطُّ كِتَاباً بِيَدِهِ وَلاَ يَقْرَؤُهُ، وُلِدَ فِي قَوْمٍ أُمِّيِّينَ، وَنَشَأَ بَيْنَ أَظْهُرِهِمْ فِي بَلَدٍ لَيْسَ بِهَا عَالِمٌ يَعْرِفُ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ، وَلَمْ يَخْرُجْ فِي سَفَرٍ ضَارِباً إِلَى عَالِمٍ فَيَعْكُفُ عَلَيْهِ، فَجَاءَهُمْ بِأَخْبَارِ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالأُمَمِ الْمَاضِيَةِ، وَكَانَتْ قَدْ ذَهَبَتْ مَعَالِمُ تِلْكَ الْكُتُبِ، وَدُرِسَتْ وَحُرِّفَتْ عَنْ مَوَاضِعِهَا، وَلَمْ يَبْقَ مِنَ الْمُتَمَسِّكِينَ بِهَا وَأَهْلِ الْمَعْرِفَةِ بِصَحِيحِهَا وَسَقِيمِهَا إِلاَّ الْقَلِيلُ.

ثُمَّ حَاجَّ كُلَّ فَرِيقٍ مِنْ أَهْلِ الْمِلَلِ الْمُخَالِفَةِ لَهُ بِمَا لَوِ احْتَشَدَ لَهُ حُذَّاقُ الْمُتَكَلِّمِينَ وَجَهَابِذَةُ النُّقَّادِ الْمُتَفَنِّنِينَ لَمْ يَتَهَيَّأْ لَهُمْ نَقْضُ ذٰلِكَ، وَهٰذَا أَدَلُّ شَيْءٍ عَلَى أَنَّهُ أَمْرٌ جَاءَهُ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

وَمِنْ ذٰلِكَ: الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ:

فَقَدْ تَحَدَّىٰ بِمَا فِيهِ مِنَ الإِعْجَازِ، وَدَعَاهُمْ إِلَى مُعَارَضَتِهِ وَالإِتْيَانِ بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ، فَنَكَلُوا عَنْهُ، وَعَجَزُوا عَنِ الإِتْيَانِ بِشَيْءٍ مِنْهُ.

قَالَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: إِنَّ الَّذِي أَوْرَدَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى الْعَرَبِ مِنَ الْكَلاَمِ الَّذِي أَعْجَزَهُمْ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِهِ أَعْجَبُ فِي الآيَةِ وَأَوْضَحُ فِي الدَّلاَلَةِ مِنْ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى، وَإِبْرَاءِ الأَكْمَهِ وَالأَبْرَصِ، لأَنَّهُ أَتَى أَهْلَ الْبَلاَغَةِ وَأَرْبَابَ الْفَصَاحَةِ وَرُؤَسَاءَ الْبَيَانِ وَالْمُتَقَدِّمِينَ فِي اللَّسَنِ بِكَلاَمٍ مَفْهُومِ الْمَعْنَى عِنْدَهُمْ، فَكَانَ عَجْزُهُمْ عَنْهُ أَعْجَبَ مِنْ عَجْزِ مَنْ شَاهَدَ الْمَسِيحَ عِنْدَ إِحْيَاءِ الْمَوْتَى؛ لأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا يَطْمَعُونَ فِيهِ وَلاَ فِي إِبْرَاءِ الأَكْمَهِ وَالأَبْرَصِ، وَلاَ

يَتَعَاطَوْنَ عِلْمَهُ، وَقُرَيْشٌ كَانَتْ تَتَعَاطَى الْكَلاَمَ الْفَصِيحَ وَالْبَلاَغَةَ وَالْخَطَابَةَ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَجْزَ عَنْهُ إِنَّمَا كَانَ لِيَصِيرَ عَلَماً عَلَى رِسَالَتِهِ وَصِحَّةِ نُبُوَّتِهِ، وَهٰذِهِ حُجَّةٌ قَاطِعَةٌ وَبُرْهَانٌ وَاضِحٌ.

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الْخَطَّابِيُّ: وَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ عُقَلاَءِ الرِّجَالِ عِنْدَ أَهْلِ زَمَانِهِ، بَلْ هُوَ أَعْقَلُ خَلْقِ اللهِ تَعَالَى عَلَى الإِطْلاَقِ. وَقَدْ قَطَعَ فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى بِأَنَّهُمْ لاَ يَأْتُونَ بِمِثْلِ مَا تَحَدَّاهُمْ بِهِ فَقَالَ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ وَلَن تَفْعَلُواْ﴾[1] فَلَوْلاَ عِلْمُهُ بِأَنَّ ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلاَّمِ الْغُيُوبِ؛ وَأَنَّهُ لاَ يَقَعُ فِيمَا أَخْبَرَ عَنْهُ خُلْفٌ؛ وَإِلاَّ لَمْ يَأْذَنْ لَهُ عَقْلُهُ أَنْ يَقْطَعَ الْقَوْلَ فِي شَيْءٍ بِأَنَّهُ لاَ يَكُونُ وَهُوَ يَكُونُ. انْتَهَى.

وَهٰذَا مِنْ أَحْسَنِ مَا يُقَالُ فِي هٰذَا الْمَجَالِ وَأَبْدَعِهِ وَأَكْمَلِهِ وَأَبْيَنِهِ، فَإِنَّهُ ﷺ نَادَى عَلَيْهِمْ بِالْعَجْزِ قَبْلَ الْمُعَارَضَةِ، وَبِالتَّقْصِيرِ عَنْ بُلُوغِ الْغَرَضِ فِي الْمُنَاقَضَةِ، صَارِخاً بِهِمْ عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَحَدٌ مِنْهُمُ الإِلْمَامَ بِهِ، مَعَ تَوَفُّرِ الدَّوَاعِي وَتَظَاهُرِ الاجْتِهَادِ، فَقَالَ وَكَانَ بِمَا أَلْقَى إِلَيْهِمْ مِنَ الأَخْبَارِ عَلِيماً خَبِيراً: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُواْ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[2]، فَرَضِيَتْ هِمَمُهُمُ السَّرِيَّةُ[3] وَأَنْفُسُهُمُ الشَّرِيفَةُ الأَبِيَّةُ بِسَفْكِ الدِّمَاءِ وَهَتْكِ الْحُرَمِ لِعَجْزِهِمْ.

وَقَدْ وَرَدَ مِنَ الأَخْبَارِ فِي قِرَاءَةِ النَّبِيِّ ﷺ بَعْضَ مَا نَزَلَ عَلَيْهِ عَلَى الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ أَهْلِ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلاَغَةِ وَإِقْرَارِهِمْ بِإِعْجَازِهِ جُمَلٌ كَثِيرَةٌ، مِنْهَا: مَا رُوِيَ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: حُدِّثْتُ أَنَّ عُتْبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.
(٢) مُعِيناً. سورة الإسراء، الآية: ٨٨.
(٣) الشريفة.

قَالَ ذَاتَ يَوْمٍ وَهُوَ جَالِسٌ فِي نَادِي قُرَيْشٍ وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَحْدَهُ فِي الْمَسْجِدِ: يَا مَعْشَرَ قُرَيْش! أَلاَ أَقُومُ إِلَى هٰذَا فَأَعْرِضُ عَلَيْهِ أُمُوراً لَعَلَّهُ يَقْبَلُ مِنَّا بَعْضَهَا وَيَكُفُّ عَنَّا؟ قَالُوا: بَلَى يَا أَبَا الْوَلِيدِ! فَقَامَ عُتْبَةُ، فَجَلَسَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ فِيمَا قَالَهُ عُتْبَةُ، وَفِيمَا عَرَضَ عَلَيْهِ مِنَ الْمَالِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ، فَلَمَّا فَرَغَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَفَرَغْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**» قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: «**فَاسْمَعْ مِنِّي**»، قَالَ: أَفْعَلُ، فَقَالَ ﷺ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾[1] فَمَضَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَؤُهَا عَلَيْهِ، فَلَمَّا سَمِعَهَا عُتْبَةُ أَنْصَتَ لَهَا، وَأَلْقَىٰ بِيَدَيْهِ خَلْفَ ظَهْرِهِ مُعْتَمِداً عَلَيْهِمَا يَسْتَمِعُ مِنْهُ، حَتَّى انْتَهَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى السَّجْدَةِ، فَسَجَدَ فِيهَا، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعْتَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟**» قَالَ: سَمِعْتُ، [قال]: «**فَأَنْتَ وَذَاكَ**»، فَقَامَ عُتْبَةُ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: نَحْلِفُ بِاللَّهِ لَقَدْ جَاءَكُمْ أَبُو الْوَلِيدِ بِغَيْرِ الْوَجْهِ الَّذِي ذَهَبَ بِهِ، فَلَمَّا جَلَسَ إِلَيْهِمْ قَالُوا: مَا وَرَاءَكَ يَا أَبَا الْوَلِيدِ؟ قَالَ: إِنِّي وَاللَّهِ قَدْ سَمِعْتُ قَوْلاً مَا سَمِعْتُ بِمِثْلِهِ قَطُّ، وَاللَّهِ مَا هُوَ بِالشِّعْرِ وَلاَ بِالسِّحْرِ وَلاَ الْكَهَانَةِ، يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ! أَطِيعُونِي، خَلُّوا بَيْنَ هٰذَا الرَّجُلِ وَبَيْنَ مَا هُوَ فِيهِ، فَوَاللَّهِ لَيَكُونَنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي سَمِعْتُ نَبَأٌ، قَالَ: فَأَجَابَنِي بِشَيْءٍ وَاللَّهِ مَا هُوَ بِشِعْرٍ وَلاَ سِحْرٍ وَلاَ كَهَانَةٍ، قَرَأَ ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾﴾ حَتَّى بَلَغَ ﴿فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾[2] فَأَمْسَكْتُ فَمَهُ، وَنَاشَدْتُهُ الرَّحِمَ أَنْ يَكُفَّ، وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ مُحَمَّداً إِذَا قَالَ شَيْئاً لَمْ يَكْذِبْ، فَخِفْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِكُمُ الْعَذَابُ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ عِكْرِمَةَ: فِي قِصَّةِ الْوَلِيدِ بْنِ الْمُغِيرَةِ ـ وَكَانَ زَعِيمَ قُرَيْشٍ فِي

---

(١) أول سورة فُصّلت.

(٢) سورة فُصلّت، الآية: ١٣.

الْفَصَاحَةِ ـ أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: اقْرَأْ عَلَيَّ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ﴾ إِلَى آخِرِ الآيَةِ[١]، قَالَ: أَعِدْ، فَأَعَادَ ﷺ، فَقَالَ: وَاللَّهِ إِنَّ لَهُ لَحَلاَوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاوَةً[٢]، وَإِنَّ أَعْلاَهُ لَمُثْمِرٌ، وَإِنَّ أَسْفَلَهُ لَمُغْدِقٌ[٣]، وَمَا يَقُولُ هٰذَا بَشَرٌ، ثُمَّ قَالَ لِقَوْمِهِ: وَاللَّهِ مَا فِيكُمْ رَجُلٌ أَعْلَمُ بِالشِّعْرِ مِنِّي، وَلاَ أَعْلَمُ بِرَجَزِهِ وَلاَ بِأَشْعَارِ الْجِنِّ، وَاللَّهِ مَا يُشْبِهُ الَّذِي يَقُولُ شَيْئاً مِنْ هٰذَا. وَاللَّهِ إِنَّ لِقَوْلِهِ الَّذِي يَقُولُ لَحَلاَوَةً، وَإِنَّ عَلَيْهِ لَطَلاَوَةً، وَإِنَّهُ لَمُثْمِرٌ أَعْلاَهُ، مُغْدِقٌ أَسْفَلُهُ، وَإِنَّهُ لَيَعْلُو وَلاَ يُعْلَى[٤].

وَفِي خَبَرِهِ الآخَرِ: حِينَ جَمَعَ قُرَيْشاً عِنْدَ حُضُورِ الْمَوْسِمِ وَقَالَ: إِنَّ وُفُودَ الْعَرَبِ تَرِدُ، فَأَجْمِعُوا فِيهِ رَأْياً لاَ يُكَذِّبُ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، فَقَالُوا: نَقُولُ: كَاهِنٌ، قَالَ: وَاللَّهِ مَا هُوَ بِكَاهِنٍ، مَا هُوَ بِزَمْزَمَتِهِ[٥] وَلاَ سَجْعِهِ، قَالُوا: مَجْنُونٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِمَجْنُونٍ وَلاَ بِخَنْقِهِ وَلاَ بِوَسْوَسَتِهِ، قَالُوا: فَنَقُولُ شَاعِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَدْ عَرَفْنَا الشِّعْرَ كُلَّهُ، رَجَزَهُ[٦] وَهَجَزَهُ[٧]، وَقَرِيضَهُ[٨] وَمَبْسُوطَهُ[٩] وَمَقْبُوضَهُ[١٠]، مَا هُوَ بِشَاعِرٍ، قَالُوا: فَنَقُولُ: سَاحِرٌ، قَالَ: مَا هُوَ بِسَاحِرٍ وَلاَ نَفْثِهِ وَلاَ عُقَدِهِ، قَالُوا: فَمَا نَقُولُ؟ قَالَ: فَمَا أَنْتُمْ

---

(١) سورة النحل، الآية: ٩٠.

(٢) حُسناً.

(٣) كثير الماء.

(٤) عليه. رواه البيهقي مرسلاً.

(٥) الزمزمة: صوت مبهم يديره في خيشومه وحلقه، لا يحرّك فيه لساناً ولا شفة (دندنة).

(٦) هو بحر من أبحُر الشعر المعروفة، ووزنه: مستفعلن (ست مرات).

(٧) نوع من بحور الشعر العربي والفارسي، سمّي بذلك لتقارب أجزائه، وهي: مفاعيلن (أربع مرات).

(٨) شِعره، وسمي بذلك لأن الشاعر يورد قِطَعاً قِطَعاً.

(٩) ما لم يحذف شيء من تفعيلاته.

(١٠) أي: مجزوءه، والمجزوء: ما حذف بعض تفعيلاته.

قَائِلُونَ مِنْ هٰذَا شَيْئاً إِلاَّ وَأَنَا أَعْرِفُ أَنَّهُ بَاطِلٌ. رَوَاهُ ابْنُ إِسْحَاقَ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَلَمَّا أَسْلَمَ فِتْيَانُ بَنِي سَلِمَةَ قَالَ عَمْرُو بْنُ الْجَمُوحِ لابْنِهِ: أَخْبِرْنِي مَا سَمِعْتَ مِنْ كَلامِ هٰذَا الرَّجُلِ، فَقَرَأَ عَلَيْهِ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ إِلَى أَنْ بَلَغَ ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ فَقَالَ: مَا أَحْسَنَ هٰذَا وَأَجْمَلَهُ! أَوَكُلُّ كَلامِهِ مِثْلُ هٰذَا؟ قَالَ: يَا أَبَتِ! وَأَحْسَنُ مِنْ هٰذَا[1].

قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ لَوْ وُجِدَ مَكْتُوباً فِي مُصْحَفٍ فِي فَلاَةٍ مِنَ الأَرْضِ وَلَمْ يُعْلَمْ مَنْ وَضَعَهُ هُنَاكَ لَشَهِدَتِ الْعُقُولُ السَّلِيمَةُ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ عِنْدِ اللّهِ، وَأَنَّ الْبَشَرَ لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى تَأْلِيفِ مِثْلِ ذٰلِكَ، فَكَيْفَ إِذَا جَاءَ عَلَى يَدِ أَصْدَقِ الْخَلْقِ وَأَبَرِّهِمْ وَأَتْقَاهُمْ؟ وَقَالَ: إِنَّهُ كَلاَمُ اللّهِ، وَتَحَدَّى الْخَلْقَ كُلَّهُمْ أَنْ يَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ فَعَجَزُوا، فَكَيْفَ يَبْقَى مَعَ هٰذَا شَكٌّ؟ وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ۝٨٨﴾[2] فَلَمْ يَقْدِرْ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِ هٰذَا الْقُرْآنِ فِي زَمَنِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَلاَ بَعْدَهُ، عَلَى نَظْمِهِ وَتَأْلِيفِهِ، وَعُذُوبَةِ مَنْطِقِهِ وَصِحَّةِ مَعَانِيهِ، وَمَا فِيهِ مِنَ الأَمْثَالِ وَالأَشْيَاءِ الَّتِي دَلَّتْ عَلَى الْبَعْثِ وَآيَاتِهِ، وَالإِنْبَاءِ بِمَا كَانَ وَيَكُونُ، وَمَا فِيهِ مِنَ الأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ، وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالامْتِنَاعِ مِنْ إِرَاقَةِ الدِّمَاءِ، وَصِلَةِ الأَرْحَامِ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ، فَكَيْفَ يَقْدِرُ عَلَى ذٰلِكَ أَحَدٌ، وَقَدْ عَجَزَتْ عَنْهُ الْعَرَبُ الْفُصَحَاءُ، وَالْخُطَبَاءُ وَالْبُلَغَاءُ، وَالشُّعَرَاءُ وَالْفُهَمَاءُ، مِنْ قُرَيْشٍ وَغَيْرِهَا، وَهُوَ ﷺ فِي مُدَّةٍ مَا عَرَفُوهُ قَبْلَ نُبُوَّتِهِ وَأَدَاءِ رِسَالَتِهِ أَرْبَعِينَ سَنَةً لاَ يُحْسِنُ نَظْمَ كِتَابٍ، وَلاَ عَقْدَ حِسَابٍ، وَلاَ يُنْشِدُ شِعْراً، وَلاَ يَحْفَظُ خَبَراً، وَلاَ يَرْوِي أَثَراً، حَتَّى أَكْرَمَهُ اللّهُ بِالْوَحْيِ الْمُنَزَّلِ، وَالْكِتَابِ الْمُفَصَّلِ، فَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ، وَحَاجَّهُمْ بِهِ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى:

---

(١) أخرجه أبو نُعيم من طريق ابن إسحاق.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾﴾[1]، وَشهِدَ لَهُ فِي كِتَابِهِ بِذٰلِكَ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾﴾[2].

وَأَمَّا مَا عَدَا الْقُرْآنَ مِنْ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، كَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَتَكْثِيرِ الطَّعَامِ بِبَرَكَتِهِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَنُطْقِ الْجَمَادِ، فَمِنْهُ مَا وَقَعَ التَّحَدِّي بِهِ، وَمِنْهُ مَا وَقَعَ دَالاً عَلَى صِدْقِهِ مِنْ غَيْرِ سَبْقِ تَحَدٍّ، وَمَجْمُوعُ ذٰلِكَ يُفِيدُ الْقَطْعَ بِأَنَّهُ ظَهَرَ عَلَى يَدِهِ ﷺ مِنْ خَوَارِقِ الْعَادَاتِ شَيْءٌ كَثِيرٌ، مَعَ أَنَّ كَثِيراً مِنَ الْمُعْجِزَاتِ النَّبَوِيَّةِ قَدِ اشْتَهَرَ، وَرَوَاهُ الْعَدَدُ الْكَثِيرُ وَالْجَمُّ الْغَفِيرُ.

وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مُعْجِزَاتِهِ وَبَاهِرَ آيَاتِهِ وَكَرَامَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَجَدْتَهَا شَامِلَةً لِلْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ، وَالصَّامِتِ وَالنَّاطِقِ، وَالسَّاكِنِ وَالْمُتَحَرِّكِ، وَالْمَائِعِ وَالْجَامِدِ، وَالسَّابِقِ وَاللاَّحِقِ، وَالْغَائِبِ وَالْحَاضِرِ، وَالْبَاطِنِ وَالظَّاهِرِ، وَالْعَاجِلِ وَالآجِلِ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا لَوْ عُدَّ لَطَالَ، كَالرَّمْيِ بِالشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ وَمَنْعِ الشَّيَاطِينِ مِنِ اسْتِرَاقِ السَّمْعِ، وَتَسْلِيمِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ عَلَيْهِ ﷺ، وَشَهَادَتِهَا لَهُ بِالرِّسَالَةِ، وَمُخَاطَبَتِهَا لَهُ بِالسِّيَادَةِ، وَحَنِينِ الْجِذْعِ، وَنَبْعِ الْمَاءِ مِنْ كَفِّهِ، وَانْشِقَاقِ الْقَمَرِ، وَرَدِّ الْعَيْنِ بَعْدَ الْعَوَرِ، وَنُطْقِ الْبَعِيرِ وَالذِّئْبِ، وَكَالنُّورِ الْمُتَوَارَثِ مِنْ آدَمَ إِلَى جَبْهَةِ أَبِيهِ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي تَدَاوَلَتْهَا الرُّوَاةُ مِمَّا لَوْ أَعْمَلْنَا أَنْفُسَنَا فِي حَصْرِهَا لَفَنِيَ الْمَدَىٰ فِي ذِكْرِهَا، وَلَوْ بَالَغَ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ فِي إِحْصَاءِ مَنَاقِبِهِ لَعَجَزُوا عَنِ اسْتِقْصَاءِ مَا حَبَاهُ الْكَرِيمُ مِنْ مَوَاهِبِهِ ﷺ، وَهُوَ بَابٌ فَسِيحُ الْمَجَالِ، مَنِيعُ الْمَنَالِ، لٰكِنِّي أُنَبِّهُ مِنْ ذٰلِكَ عَلَى نُبْذَةٍ يَسِيرَةٍ فَأَقُولُ:

---

(١) سورة يونس، الآية: ١٦.

(٢) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

أَمَّا مُعْجِزَةُ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ:

فَقَدْ قَالَ اللّهُ تَعَالَى فِي كِتَابِهِ الْعَزِيزِ: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ وَالْمُرَادُ وَقُوعُ انْشِقَاقِهِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى بَعْدَ ذٰلِكَ: ﴿وَإِن يَرَوْا ءَايَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾[١].

وَاعْلَمْ أَنَّ الْقَمَرَ لَمْ يَنْشَقَّ لأَحَدٍ غَيْرِ نَبِيِّنَا ﷺ، وَهُوَ مِنْ أُمَّهَاتِ مُعْجِزَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ وَأَهْلُ السُّنَّةِ عَلَى وُقُوعِهِ لأَجْلِهِ ﷺ، فَإِنَّ كُفَّارَ قُرَيْشٍ لَمَّا كَذَّبُوهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوهُ طَلَبُوا مِنْهُ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِهِ فِي دَعْوَاهُ، فَأَعْطَاهُ اللّهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ الْعَظِيمَةَ الَّتِي لاَ قُدْرَةَ لِبَشَرٍ عَلَى إِيجَادِهَا دَالَّةً عَلَى صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي دَعْوَاهُ الْوَحْدَانِيَّةَ لِلّهِ تَعَالَىٰ.

قَالَ الْخَطَّابِيُّ: انْشِقَاقُ الْقَمَرِ آيَةٌ عَظِيمَةٌ لاَ يَكَادُ يَعْدِلُهَا شَيْءٌ مِنْ آيَاتِ الأَنْبِيَاءِ، وَذٰلِكَ أَنَّهُ ظَهَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوَاتِ، خَارِجاً عَنْ جُمْلَةِ طِبَاعِ مَا فِي هٰذَا الْعَالَمِ الْمُرَكَّبِ مِنَ الطَّبَائِعِ، فَلَيْسَ مِمَّا يُطْمَعُ فِي الْوُصُولِ إِلَيْهِ بِحِيلَةٍ، فَلِذٰلِكَ صَارَ الْبُرْهَانُ بِهِ أَظْهَرَ.

فَعَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ كُفَّارُ قُرَيْشٍ: هٰذَا سِحْرُ ابْنِ أَبِي كَبْشَةَ. قَالَ: فَقَالُوا: انْظُرُوا مَا يَأْتِيكُمْ بِهِ السُّفَّارُ، فَإِنَّ مُحَمَّداً لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ كُلَّهُمْ، قَالَ: فَجَاءَ السُّفَّارُ فَأَخْبَرُوهُمْ بِذٰلِكَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[٢] وَغَيْرُهُ[٣].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: لَمَّا اجْتَمَعَ الْمُشْرِكُونَ إِلَى

---

(١) سورة القمر، الآية: ٢.

(٢) الطيالسي.

(٣) كمسلم.

رَسُولِ اللّهِ ﷺ، مِنهُمْ الْوَلِيدُ ابْنُ الْمُغِيرَةِ، وَأَبُو جَهْلِ بْنُ هِشَامٍ، وَالْعَاصُ بْنُ وَائِلٍ، وَالأَسْوَدُ بْنُ الْمُطَّلِبِ، وَالنَّضرُ بْنُ الْحَارِثِ، وَنُظَرَاؤُهُمْ، فَقَالُوا لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنْ كُنتَ صَادِقاً فَشُقَّ لَنَا الْقَمَرَ فِرْقَتَيْنِ، فَسَأَلَ رَبَّهُ فَانْشَقَّ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ[1]. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مُخْتَصَراً مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ بِلَفْظِ: إِنَّ الْقَمَرَ انْشَقَّ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّ أَهْلَ مَكَّةَ سَأَلُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَنْ يُرِيَهُمْ آيَةً، فَأَرَاهُمُ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ شِقَّتَيْنِ، حَتَّى رَأَوْا حِرَاءَ بَيْنَهُمَا.

وَمِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً فَوْقَ الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً دُونَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«اشْهَدُوا»**[2].

وَفِي التِّرْمِذِيِّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾[3] قَالَ: قَدْ كَانَ ذٰلِكَ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، انْشَقَّ فَلْقَتَيْنِ: فَلْقَةً دُونَ الْجَبَلِ، وَفَلْقَةً خَلْفَ الْجَبَلِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«اشْهَدُوا»**.

وَعِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ: مِنْ حَدِيثِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، قَالَ: انْشَقَّ الْقَمَرُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَصَارَ فِرْقَتَيْنِ: فِرْقَةً عَلَى هٰذَا الْجَبَلِ، وَفِرْقَةً عَلَى هٰذَا الْجَبَلِ، فَقَالُوا: سَحَرَنَا مُحَمَّدٌ، فَقَالُوا: إِنْ كَانَ سَحَرَنَا فَإِنَّهُ لاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَسْحَرَ النَّاسَ.

قَالَ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ: قَدْ رُوِيَ هٰذَا الْحَدِيثُ ـ يَعْنِي حَدِيثَ انْشِقَاقِ الْقَمَرِ ـ

---

(١) في الدلائل بسند ضعيف.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) سورة القمر، الآية: ١.

عَنْ جَمَاعَةٍ كَثِيرَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، وَرَوَى ذٰلِكَ عَنْهُمْ أَمْثَالُهُمْ مِنَ التَّابِعِينَ، ثُمَّ نَقَلَهُ عَنْهُمْ الْجَمُّ الْغَفِيرُ، إِلَى أَنِ انْتَهَى إِلَيْنَا، وَتَأَيَّدَ بِالآيَةِ الْكَرِيمَةِ. انتهى.

وَقَالَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ السُّبْكِيِّ فِي شَرْحِهِ لِمُخْتَصَرِ ابْنِ الْحَاجِبِ: وَالصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ مُتَوَاتِرٌ مَنْصُوصٌ عَلَيْهِ فِي الْقُرْآنِ، مَرْوِيٌّ فِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا، وَلَهُ طُرُقٌ شَتَّى بِحَيْثُ لاَ يُمْتَرَى فِي تَوَاتُرِهِ.اهـ

وَأَمَّا رَدُّ الشَّمْسِ لَهُ ﷺ:

فَرُوِيَ عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يُوحَى إِلَيْهِ، وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، فَلَمْ يُصَلِّ الْعَصْرَ حَتَّى غَرَبَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**أَصَلَّيْتَ يَا عَلِيُّ؟**» قَالَ: لاَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**اللَّهُمَّ إِنَّهُ كَانَ فِي طَاعَتِكَ وَطَاعَةِ رَسُولِكَ فَارْدُدْ عَلَيْهِ الشَّمْسَ**»، قَالَتْ أَسْمَاءُ: فَرَأَيْتُهَا غَرَبَتْ، ثُمَّ رَأَيْتُهَا طَلَعَتْ بَعْدَمَا غَرَبَتْ، وَوَقَعَتْ عَلَى الْجِبَالِ وَالأَرْضِ، وَذٰلِكَ بِالصَّهْبَاءِ[1] فِي خَيْبَرَ. حَكَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ عَنِ الطَّحَاوِيِّ[2]. وَرَوَاهُ عَنْهَا الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الْكَبِيرِ[3]، وَأَخْرَجَهُ عَنْهَا ابْنُ مَنْدَهْ وَابْنُ شَاهِينَ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ مَرْدُويَهْ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ فِي مُعْجَمِهِ الأَوْسَطِ بِإِسْنَادٍ حَسَنٍ عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ أَمَرَ الشَّمْسَ فَتَأَخَّرَتْ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ.

وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنِ ابْنِ إِسْحٰقَ: أَنَّهُ لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ أَخْبَرَ قَوْمَهُ بِالرُّفْقَةِ وَالْعَلاَمَةِ الَّتِي فِي الْعِيرِ، قَالُوا: مَتَى تَجِيءُ؟ قَالَ: «**يَوْمَ**

(١) موضع قريب من خيبر.

(٢) الذي صحّحه.

(٣) وقال: إنه حسن.

الأَرْبعَاءِ»، فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَتْ قُرَيْشٌ يَنْتَظِرُونَ وَقَدْ وَلَّى النَّهَارُ وَلَمْ تَجِىءْ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَزِيدَ لَهُ فِي النَّهَارِ سَاعَةٌ وَحُبِسَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ.

وَكَذَا رُوِيَ حَبْسُ الشَّمْسِ لِنَبِيِّنَا ﷺ أَيْضاً يَوْمَ الْخَنْدَقِ حِينَ شُغِلَ عَنْ صَلاَةِ الْعَصْرِ(١)، فَيَكُونُ حَبْسُ الشَّمْسِ مَخْصُوصاً بِنَبِيِّنَا وَيُوشَعَ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، كَمَا ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الإِكْمَالِ، وَنَقَلَهُ عَنْهُ النَّوَوِيُّ(٢) وَالْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ(٣) وَمُغْلَطَايْ(٤)، وَأَقَرُّوهُ(٥).

وَأَمَّا مَا رُوِيَ مِنْ طَاعَاتِ الْجَمَادَاتِ وَتَكْلِيمِهَا لَهُ ﷺ بِالتَّسْبِيحِ وَالسَّلاَمِ وَنَحْوِ ذٰلِكَ مِمَّا وَرَدَتْ بِهِ الأَخْبَارُ:

فَمِنْهَا: تَسْبِيحُ الطَّعَامِ وَالْحَصَى فِي كَفِّهِ الشَّرِيفِ ﷺ، فَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ قَالَ: تَنَاوَلَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعَ حَصَيَاتٍ، فَسَبَّحْنَ فِي يَدِهِ حَتَّى سَمِعْتُ لَهُنَّ حَنِيناً، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ أَبِي بَكْرٍ فَسَبَّحْنَ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُمَرَ فَسَبَّحْنَ، ثُمَّ وَضَعَهُنَّ فِي يَدِ عُثْمَانَ فَسَبَّحْنَ. رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالطَّبَرَانِيُّ(٦).

وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ: فَسَمِعَ تَسْبِيحَهُنَّ مَنْ فِي الْحَلْقَةِ، ثُمَّ دَفَعهُنَّ إِلَيْنَا فَلَمْ يُسَبِّحْنَ مَعَ أَحَدٍ مِنَّا.

---

(١) والمشهور كما في الصحيحين أنه فاتته الصلاة ذلك اليوم، ولم يُصَلِّ المسلمون صلاة الخوف وقتها لأنه لم تُشرع بعدُ.

(٢) في شرح صحيح مسلم.

(٣) في تلخيص الحبير.

(٤) في الزهر الباسم.

(٥) وقال ابن حجر في فتح الباري: والذي رأيته في (مشكل الآثار) للطحاوي ما قدّمت ذكره من حديث أسماء (المتقدم في أول البحث)، فإن ثبت ما قال فهذه قصة ثالثة، والله أعلم.

(٦) في الأوسط، والبيهقي في الدلائل.

وَقَدْ أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ[1] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كُنَّا نَأْكُلُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ الطَّعَامَ، وَنَحْنُ نَسْمَعُ تَسْبِيحَ الطَّعَامِ.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: مَرِضَ النَّبِيُّ ﷺ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ بِطَبَقٍ فِيهِ رُمَّانٌ وَعِنَبٌ، فَأَكَلَ مِنْهُ النَّبِيُّ ﷺ فَسَبَّحَ. رَوَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ[2].

وَمِنْ ذٰلِكَ: تَسْلِيمُ الْحَجَرِ عَلَيْهِ ﷺ، خَرَّجَ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«إِنِّي لأَعْرِفُ حَجَراً بِمَكَّةَ كَانَ يُسَلِّمُ عَلَيَّ قَبْلَ أَنْ أُبْعَثَ، إِنِّي لأَعْرِفُهُ الآنَ»**.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي هٰذَا الْحَجَرِ، فَقِيلَ: هُوَ الْحَجَرُ الأَسْوَدُ، وَقِيلَ: حَجَرٌ غَيْرُهُ بِزُقَاقٍ يُعْرَفُ بِهِ بِمَكَّةَ، وَالنَّاسُ يَتَبَرَّكُونَ بِلَمْسِهِ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ هُوَ الَّذِي كَانَ يُسَلِّمُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ كُلَّمَا اجْتَازَ بِهِ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ[3] وَغَيْرُهُ[4]: عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ، فَخَرَجْنَا فِي بَعْضِ نَوَاحِيهَا، فَمَا اسْتَقْبَلَهُ شَجَرٌ وَلاَ حَجَرٌ إِلاَّ قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ!.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«لَمَّا اسْتَقْبَلَنِي جِبْرِيلُ بِالرِّسَالَةِ جَعَلْتُ لاَ أَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلاَ شَجَرٍ إِلاَّ قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ!»** رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَأَبُو نُعَيْمٍ.

---

(١) والترمذي، وهذا لفظ الترمذي.

(٢) قال السيوطي: لم أجد هذا في كتب الحديث (يعني: المشهورة)، وقال ملا علي القاري: يكفي أنه رواه المصنف، وهو من أكابر المحدّثين، ولولا أن الحديث له أصل لما ذكره.

(٣) بسند حسن.

(٤) كالدارميّ والحاكم.

وَمِنْ ذٰلِكَ: تَأْمِينُ أُسْكُفَّةِ الْبَابِ[1] وَحَوَائِطِ الْبَيْتِ عَلَى دُعَائِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. عَنْ أَبِي أُسَيْدٍ السَّاعِدِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ لِلْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ: «**يَا أَبَا الْفَضْلِ! لَا تَرِمْ**[2] **مَنْزِلَكَ أَنْتَ وَبَنُوكَ غَداً حَتَّى آتِيَكُمْ، فَإِنَّ لِي فِيكُمْ حَاجَةً**»، فَانْتَظَرُوهُ حَتَّى جَاءَ بَعْدَمَا أَضْحَى، فَدَخَلَ عَلَيْهِمْ فَقَالَ: «**السَّلَامُ عَلَيْكُمْ**»، فَقَالُوا: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللّٰهِ وَبَرَكَاتُهُ، قَالَ: «**كَيْفَ أَصْبَحْتُمْ؟**» قَالُوا: أَصْبَحْنَا بِخَيْرٍ بِحَمْدِ اللّٰهِ، فَقَالَ لَهُمْ: «**تَقَارَبُوا**»، فَتَقَارَبُوا يَزْحَفُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ، حَتَّى إِذَا أَمْكَنُوهُ اشْتَمَلَ عَلَيْهِمْ بِمُلَاءَتِهِ[3]، فَقَالَ: «**يَا رَبِّ! هٰذَا عَمِّي وَصِنْوُ أَبِي، وَهٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِي إِيَّاهُمْ بِمُلَاءَتِي هٰذِهِ**»، فَأَمَّنَتْ أُسْكُفَّةُ الْبَابِ وَحَوَائِطُ الْبَيْتِ فَقَالَتْ: آمِينْ آمِينْ آمِينْ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[4] وَغَيْرُهُ[5].

وَمِنْ ذٰلِكَ: كَلَامُهُ لِلْجَبَلِ وَكَلَامُ الْجَبَلِ لَهُ ﷺ. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: صَعِدَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ أُحُداً، فَرَجَفَ بِهِمْ، فَضَرَبَهُ النَّبِيُّ ﷺ بِرِجْلِهِ، وَقَالَ: «**اثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[6]. وَأُحُدٌ: جَبَلٌ بِالْمَدِينَةِ، وَهُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ ﷺ: «**أُحُدٌ جَبَلٌ يُحِبُّنَا وَنُحِبُّهُ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَرُوِيَ تَعَدُّدُ الْقِصَّةِ فِي جَبَلِ ثَبِيرٍ وَجَبَلِ حِرَاءٍ بِمَكَّةَ.

وَلَمَّا طَلَبَتْهُ ـ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ـ قُرَيْشٌ، قَالَ لَهُ ثَبِيرٌ: اهْبِطْ يَا رَسُولَ اللّٰهِ! فَإِنِّي أَخَافُ أَنْ يَقْتُلُوكَ عَلَى ظَهْرِي فَيُعَذِّبَنِي اللّٰهُ تَعَالَى، فَقَالَ لَهُ

---

(١) عتبته.

(٢) لا تبرح.

(٣) مِلْحَفَتِه.

(٤) في الدلائل.

(٥) كابن ماجه.

(٦) كأحمد والترمذي.

حِرَاءٌ: إِلَيَّ يَا رَسُولَ اللَّهِ. رَوَاهُ فِي الْشِّفَاءِ. (وَحِرَاءٌ: مُقَابِلُ ثَبِيرٍ، وَالْوَادِي بَيْنَهُمَا).

وَمِنْ ذٰلِكَ: كَلاَمُ الشَّجَرِ لَهُ، وَسَلاَمُهَا عَلَيْهِ، وَطَوَاعِيَتُهَا لَهُ، وَشَهَادَتُهَا لَهُ بِالرِّسَالَةِ ﷺ، تَقَدَّمَ أَنَّهُ ﷺ لَمَّا أُوحِيَ إِلَيْهِ جَعَلَ لاَ يَمُرُّ بِحَجَرٍ وَلاَ شَجَرٍ إِلاَّ قَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ(١)!

وَأَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ طَلْحَةَ بْنِ نَافِعٍ(٢) قَالَ: جَاءَ جِبْرِيلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ جَالِسٌ حَزِينٌ قَدْ خُضِبَ بِالدِّمَاءِ، ضَرَبَهُ بَعْضُ أَهْلِ مَكَّةَ، فَقَالَ لَهُ: مَا لَكَ؟ فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«فَعَلَ بِي هٰؤُلاَءِ، وَفَعَلُوا»** فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: أَتُحِبُّ أَنْ أُرِيَكَ آيَةً؟ فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، فَنَظَرَ إِلَى شَجَرَةٍ مِنْ وَرَاءِ الْوَادِي فَقَالَ: ادْعُ تِلْكَ الشَّجَرَةَ، فَدَعَاهَا، قَالَ: فَجَاءَتْ تَمْشِي حَتَّى قَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَقَالَ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَكَانِهَا، فَأَمَرَهَا فَرَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**حَسْبِي حَسْبِي**».

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ(٣) عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَأَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ، فَلَمَّا دَنَا مِنْهُ قَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَيْنَ تُرِيدُ؟**» قَالَ: إِلَى أَهْلِي، قَالَ: «**هَلْ لَكَ إِلَى خَيْرٍ؟**» قَالَ: وَمَا هُوَ؟ قَالَ: «**تَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» قَالَ: هَلْ لَكَ مِنْ شَاهِدٍ عَلَى مَا تَقُولُ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**هٰذِهِ الشَّجَرَةُ**»، فَدَعَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهِيَ بِشَاطِئِ الْوَادِي، فَأَقْبَلَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ خَدًّا، فَقَامَتْ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَاسْتَشْهَدَهَا ثَلاَثاً فَشَهِدَتْ، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَنْبَتِهَا. رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ. (وَقَوْلُهُ «تَخُدُّ» أَيْ: تَشُقُّ الأَرْضَ).

---

(١) رواه البزّار وأبو نُعيم.

(٢) والدارمي عن أنس.

(٣) بإسناد جيد، والدارمي، والبيهقي، والبزّار.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ: سَأَلَ أَعْرَابِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ آيَةً[(١)]، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قُلْ لِتِلْكَ الشَّجَرَةِ: رَسُولُ اللَّهِ يَدْعُوكِ»**، قَالَ: فَمَالَتِ الشَّجَرَةُ عَنْ يَمِينِهَا وَعَنْ شِمَالِهَا، وَبَيْنَ يَدَيْهَا وَخَلْفَهَا، فَتَقَطَّعَتْ عُرُوقُهَا، ثُمَّ جَاءَتْ تَخُدُّ الأَرْضَ تَجُرُّ عُرُوقَهَا مُغْبَرَّةً حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: مُرْهَا فَلْتَرْجِعْ إِلَى مَنْبِتِهَا، فَرَجَعَتْ، فَدَلَّتْ عُرُوقَهَا فِي ذٰلِكَ الْمَوْضِعِ، فَاسْتَقَرَّتْ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: ائْذَنْ لِي أَنْ أَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: **«لَوْ أَمَرْتُ أَحَداً أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا»**[(٢)] رَوَاهُ فِي الشِّفَاءِ[(٣)].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: بِمَ أَعْرِفُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ؟ قَالَ: **«إِنْ دَعَوْتُ هٰذَا الْعِذْقَ[(٤)] مِنْ هٰذِهِ النَّخْلَةِ أَتَشْهَدُ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ؟»** [قَالَ: نَعَمْ] فَدَعَاهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَجَعَلَ يَنْزِلُ مِنَ النَّخْلَةِ حَتَّى سَقَطَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ قَالَ: **«ارْجِعْ»** فَعَادَ، فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَفِي حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ: ثُمَّ سِرْنَا حَتَّى نَزَلْنَا مَنْزِلاً، فَنَامَ النَّبِيُّ ﷺ، فَجَاءَتْ شَجَرَةٌ تَشُقُّ الأَرْضَ حَتَّى غَشِيَتْهُ[(٥)]، ثُمَّ رَجَعَتْ إِلَى مَكَانِهَا، فَلَمَّا اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَكَرْتُ لَهُ، فَقَالَ: **«هِيَ شَجَرَةٌ اسْتَأْذَنَتْ رَبَّهَا فِي أَنْ تُسَلِّمَ عَلَيَّ، فَأَذِنَ لَهَا»** رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ[(٦)].

وَرَوَى مُسْلِمٌ: عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سِرْنَا مَعَ

---

(١) معجزة.

(٢) تتمة الحديث: «قال: فأذن لي أن أُقبِّل يديك ورجليك، فأذِن له».

(٣) عن البزّار.

(٤) العُرْجونَ من النخلة بما فيه من الشّماريخ.

(٥) جاءته.

(٦) وأحمد والطبراني والبيهقي.

رَسُولِ اللّهِ ﷺ، حَتَّى نَزَلْنَا وَادِياً أَفْيَحَ[1]، فَذَهَبَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَقْضِي حَاجَتَهُ، فَاتَّبَعْتُهُ بِإِدَاوَةٍ[2] مِنْ مَاءٍ، فَنَظَرَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَلَمْ يَرَ شَيْئاً يَسْتَتِرُ بِهِ، فَإِذَا شَجَرَتَانِ فِي شَاطِىءِ الْوَادِي[3]، فَانْطَلَقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِلَى إِحْدَاهِمَا فَأَخَذَ بِغُصْنٍ مِنْ أَغْصَانِهَا فَقَالَ: «**انْقَادِي عَلَيَّ بِإِذْنِ اللّهِ تَعَالَى**»، فَانْقَادَتْ مَعَهُ كَالْبَعِيرِ الْمَخْشُوشِ[4] الَّذِي يُصانِعُ قَائِدَهُ، ثُمَّ فَعَلَ بِالأُخْرَى كَذٰلِكَ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِالْمَنْصَفِ بَيْنَهُمَا، قَالَ: «**الْتَئِمَا عَلَيَّ بِإِذْنِ اللّهِ تَعَالَى**»، فَالْتَأَمَتَا.

وَمِنْ ذٰلِكَ: حَنِينُ الْجِذْعِ شَوْقاً إِلَيْهِ ﷺ، وَهِيَ آيَةٌ كُبْرَى مِنْ أَكْبَرِ الآيَاتِ وَالْمُعْجِزَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: مَا أَعْطَى اللّهُ تَعَالَى نَبِيًّا مَا أَعْطَى نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ، فَقِيلَ لَهُ: أَعْطَى عِيسَى إِحْيَاءَ الْمَوْتَى، قَالَ: أَعْطَى مُحَمَّداً ﷺ حَنِينَ الْجِذْعِ حَتَّى سُمِعَ صَوْتُهُ، فَهِيَ أَكْبَرُ مِنْ ذٰلِكَ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: حَدِيثُ حَنِينِ الْجِذْعِ مَشْهُورٌ مُنْتَشِرٌ، وَالْخَبَرُ بِهِ مُتَوَاتِرٌ، أَخْرَجَهُ أَهْلُ الصَّحِيحِ، وَرَوَاهُ مِنَ الصَّحَابَةِ بِضْعَةَ عَشَرَ، مِنْهُمْ: أُبَيُّ بْنُ كَعْبٍ، وَجَابِرُ بْنُ عَبْدِاللّهِ، وَأَنَسُ بْنُ مَالِكٍ، وَعَبْدُاللّهِ بْنُ عُمَرَ، وَعَبْدُاللّهِ بْنُ عَبَّاسٍ، وَسَهْلُ بْنُ سَعْدٍ، وَأَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ، وَبُرَيْدَةُ، وَأُمُّ سَلَمَةَ، وَالْمُطَّلِبُ ابْنُ أَبِي وَدَاعَةَ. انتهى.

وَالْقِصَّةُ وَاحِدَةٌ وَإِنْ تَغَايَرَتْ بَعْضُ أَلْفَاظِهَا، وَهِيَ: أَنَّ مَسْجِدَ النَّبِيِّ ﷺ كَانَ مَسْقُوفاً عَلَى جُذُوعِ نَخْلٍ، فَكَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَقُومُ إِلَى جِذْعٍ

(١) واسعاً.

(٢) مَطْهرة.

(٣) جانبه.

(٤) وهو الذي جُعل في أنفه عود يُربط عليه حبل ويُشدّ به الزمام لينقاد.

مِنهَا، فَصُنِعَ لَهُ الْمِنبَرُ ثَلاثَ دَرَجَاتٍ، لِيَسْمَعَ النَّاسُ خُطْبَتَهُ لَمَّا كَثُرُوا، فَلَمَّا قَعَدَ ﷺ خَارَ الْجِذْعُ حَتَّىٰ تَصَدَّعَ وَانْشَقَّ.

وَفِي رِوَايَةٍ(١): فَصَاحَتِ النَّخْلَةُ، فَنَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَضَمَّهَا إِلَيْهِ، فَجَعَلَتْ تَئِنُّ أَنِينَ الصَّبِيِّ الَّذِي يَشْكِي.

وَفِي رِوَايَةٍ(٢): سَمِعْنَا لِذٰلِكَ الْجِذْعِ صَوْتاً كَصَوْتِ الْعِشَارِ(٣).

وَفِي رِوَايَةٍ(٤): اضْطَرَبَتْ تِلْكَ السَّارِيَةُ، كَحَنِينِ النَّاقَةِ الْخَلُوجِ (وَهِيَ الَّتِي انْتُزِعَ مِنْهَا وَلَدُهَا).

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ: أَنَّهُ سَمِعَ الْخَشَبَةَ تَحِنُّ حَنِينَ الْوَالِهِ، فَمَا زَالَتْ تَحِنُّ حَتَّى نَزَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمِنْبَرِ، فَمَشَىٰ إِلَيْهَا، فَاحْتَضَنَهَا فَسَكَتَتْ(٥).

وَفِي رِوَايَةٍ(٦): جَأَرَ الْجِذْعُ كَجُؤَارِ الثَّوْرِ حُزْناً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، حَتَّى ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ لِجُؤَارِهِ، فَنَزَلَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ الْمِنْبَرِ، فَالْتَزَمَهُ وَهُوَ يَخُورُ، فَلَمَّا الْتَزَمَهُ سَكَتَ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَوْ لَمْ أَلْتَزِمْهُ لَمَا زَالَ هٰكَذَا حَتَّى تَقُومَ السَّاعَةُ حُزْناً عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ»**، فَأَمَرَ بِهِ ﷺ فَدُفِنَ(٧).

وَفِي حَدِيثِ بُرَيْدَةَ(٨): أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لَهُ: **«إِنْ شِئْتَ أَرُدَّكَ إِلَى**

---

(١) للبخاري.
(٢) للبخاري أيضاً.
(٣) جمع عُشَراء، وهي الناقة التي أتىٰ علىٰ حملها عشرة أشهر.
(٤) للنسائي في السنن الكبرىٰ.
(٥) رواه أحمد وابن ماجه.
(٦) لأبي يعلىٰ.
(٧) ورواه الترمذي وقال: صحيح غريب.
(٨) عند الدارمي.

الْحَائِطِ[1] **الَّذِي كُنتَ فِيهِ تَنْبُتُ لَكَ عُرُوقُكَ، وَيَكْمُلُ خَلْقُكَ وَيُجَدَّدُ لَكَ خُوصٌ وَثَمرةٌ، وَإِنْ شِئْتَ أَغرِسُكَ فِي الْجَنَّةِ فَتَأْكُلَ أَوْلِيَاءُ اللهِ مِنْ ثَمَرِكَ؟»** ثُمَّ أَصْغَى لَهُ النَّبِيُّ ﷺ لِيَسْمَعَ مَا يَقُولُ، فَقَالَ: «**بَلْ تَغرِسُنِي فِي الْجَنَّةِ فَيَأْكُلَ مِنِّي أَوْلِيَاءُ اللَّهِ، وَأَكُونُ فِي مَكَانٍ لاَ أَبْلَى فِيهِ**»، فَسَمِعَهُ مَنْ يَلِيهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**قَدْ فَعَلْتُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**اخْتَارَ دَارَ الْبَقَاءِ عَلَى دَارِ الْفَنَاءِ**».

وَقَدْ رُوِيَ حَدِيثُ حَنِينِ الْجِذْعِ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الصَّحَابَةِ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ بِوُقُوعِ ذٰلِكَ، وَقَالَ الْعَلاَّمَةُ التَّاجُ ابْنُ السُّبْكِيِّ: الصَّحِيحُ عِنْدِي أَنَّ حَنِينَ الْجِذْعِ مُتَوَاتِرٌ.

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ حَجَرٍ فِي فَتْحِ الْبَارِي: حَنِينُ الْجِذْعِ، وَانْشِقَاقُ الْقَمَرِ، نُقِلَ كُلٌّ مِنْهُمَا نَقْلاً مُسْتَفِيضاً يُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ مَنْ يَطَّلِعُ عَلَى طُرُقِ الْحَدِيثِ.

وَقَالَ الْبَيْهَقِيُّ: قِصَّةُ حَنِينِ الْجِذْعِ مِنَ الأُمُورِ الظَّاهِرَةِ الَّتِي حَمَلَهَا الْخَلَفُ عَنِ السَّلَفِ.

قَالَ أَبُو الْقَاسِمِ الْبَغَوِيُّ: كَانَ الْحَسَنُ إِذَا حَدَّثَ بِهٰذَا الْحَدِيثِ بَكَى، ثُمَّ قَالَ: يَا عِبَادَ اللهِ الْخَشَبَةُ تَحِنُّ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ شَوْقاً إِلَيْهِ لِمَكَانِهِ مِنَ اللهِ، فَأَنْتُمْ أَحَقُّ أَنْ تَشْتَاقُوا إِلَيْهِ.اهـ

وَأَمَّا كَلاَمُ الْحَيَوَانَاتِ وَطَاعَتُهَا لَهُ ﷺ:

فَمِنْهَا: سُجُودُ الْجَمَلِ وَشَكْوَاهُ إِلَيْهِ ﷺ. عَنْ أَنَس بْن مَالِكٍ قَالَ: كَانَ أَهْلُ بَيْتٍ مِنَ الأَنْصَارِ لَهُمْ جَمَلٌ يَسْنُونَ عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ اسْتَصْعَبَ عَلَيْهِمْ فَمَنَعَهُمْ ظَهْرَهُ، وَإِنَّ الأَنْصَارَ جَاؤُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالُوا: إِنَّهُ كَانَ لَنَا جَمَلٌ

(١) البستان.

نَسْنِي عَلَيْهِ، وَإِنَّهُ اسْتَصْعَبَ عَلَيْنَا وَمَنَعَنَا ظَهْرَهُ، وَقَدْ عَطِشَ النَّخْلُ وَالزَّرْعُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لأَصْحَابِهِ: «**قُومُوا**»، فَقَامُوا، فَدَخَلَ الْحَائِطَ وَالْجَمَلُ فِي نَاحِيَةٍ، فَمَشَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَحْوَهُ، فَقَالَتِ الأَنْصَارُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ قَدْ صَارَ مِثْلَ الْكَلْبِ الْكَلِبِ، وَإِنَّا نَخَافُ عَلَيْكَ صَوْلَتَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لَيْسَ عَلَيَّ مِنْهُ بَأْسٌ**»، فَلَمَّا نَظَرَ الْجَمَلُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْبَلَ نَحْوَهُ حَتَّى خَرَّ سَاجِداً بَيْنَ يَدَيْهِ، فَأَخَذَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِنَاصِيَتِهِ أَذَلَّ مَا كَانَ قَطُّ حَتَّى أَدْخَلَهُ فِي الْعَمَلِ، فَقَالَ لَهُ أَصْحَابُهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هٰذِهِ بَهِيمَةٌ لاَ تَعْقِلُ تَسْجُدُ لَكَ؟ وَنَحْنُ نَعْقِلُ، فَنَحْنُ أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، فَقَالَ ﷺ: «**لاَ يَصْلُحُ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ، لَوْ صَلَحَ لِبَشَرٍ أَنْ يَسْجُدَ لِبَشَرٍ لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا مِنْ عِظَمِ حَقِّهِ عَلَيْهَا**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ. (وَالْحَائِطُ: هُوَ الْبُسْتَانُ. وَقَوْلُهُ نَسْنِي: أَيْ نَسْقِي عَلَيْهِ).

وَفِي حَدِيثِ يَعْلَى بْنِ مُرَّةَ الثَّقَفِيِّ: بَيْنَا نَحْنُ نَسِيرُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ إِذْ مَرَرْنَا بِبَعِيرٍ يُسْنَى عَلَيْهِ، فَلَمَّا رَآهُ الْبَعِيرُ جَرْجَرَ، فَوَضَعَ جِرَانَهُ، فَوَقَفَ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**أَيْنَ صَاحِبُ هٰذَا الْبَعِيرِ؟**» فَجَاءَهُ، فَقَالَ: «**بِعْنِيهِ**»، فَقَالَ: بَلْ نَهَبُهُ لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنَّهُ لأَهْلِ بَيْتٍ مَا لَهُمْ مَعِيشَةٌ غَيْرُهُ، فَقَالَ: «**أَمَّا إِذْ ذَكَرْتَ هٰذَا مِنْ أَمْرِهِ فَإِنَّهُ شَكَا كَثْرَةَ الْعَمَلِ وَقِلَّةَ الْعَلَفِ، فَأَحْسِنُوا إِلَيْهِ**» رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ فِي شَرْحِ السُّنَّةِ. (وَالْجِرَانُ: مُقَدَّمُ عُنُقِ الْبَعِيرِ، مِنْ مَذْبَحِهِ إِلَى مَنْحَرِهِ).

وَأَخْرَجَ ابْنُ شَاهِينٍ(١) عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ دَخَلَ حَائِطَ رَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ، فَإِذَا جَمَلٌ، فَلَمَّا رَأَى النَّبِيَّ ﷺ حَنَّ، فَذَرَفَتْ عَيْنَاهُ، فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَمَسَحَ ذِفْرَاهُ، فَسَكَنَ، ثُمَّ قَالَ: «**مَنْ**

---

(١) في الدلائل.

رَبُّ[1] هٰذَا الْجَمَلُ؟ لِمَنْ هٰذَا الْجَمَلُ؟» فَجَاءَ فَتًى مِنَ الأَنْصَارِ فَقَالَ: هٰذَا لِي يَا رَسُولَ اللّهِ! فَقَالَ: «**أَلاَ تَتَّقِي اللّهَ فِي هٰذِهِ الْبَهِيمَةِ الَّتِي مَلَّكَكَ اللّهُ إِيَّاهَا، فَإِنَّهُ شَكَا إِلَيَّ أَنَّكَ تُجِيعُهُ وَتُدْئِبُهُ**[2]». قَالَ فِي الْمَصَابِيحِ: وَهُوَ حَدِيثٌ صَحِيحٌ[3]. (وَذِفْرَاهُ: تَثْنِيَةُ ذِفْرَىٰ[4]، وَهُوَ الْمَوْضِعُ الَّذِي يَعْرَقُ مِنْ قَفَا الْبَعِيرِ عِنْدَ أُذُنِهِ).

وَمِنْهَا: سُجُودُ الْغَنَمِ لَهُ ﷺ. عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ حَائِطاً لِلأَنْصَارِ، وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَرَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ، وَفِي الْحَائِطِ غَنَمٌ، فَسَجَدَتْ لَهُ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللّهِ! نَحْنُ أَحَقُّ بِالسُّجُودِ لَكَ مِنْ هٰذِهِ الْغَنَمِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ أَنْ يَسْجُدَ لأَحَدٍ**»[5].

وَذَكَرَ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ: أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ وَآمَنَ بِهِ وَهُوَ عَلَى بَعْضِ حُصُونِ خَيْبَرَ، وَكَانَ فِي غَنَمٍ يَرْعَاهَا لَهُمْ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! كَيْفَ لِي بِالْغَنَمِ؟ قَالَ: «**احْصِبْ وُجُوهَهَا**[6]، **فَإِنَّ اللّهَ سَيُؤَدِّي عَنْكَ أَمَانَتَكَ وَيَرُدُّهَا إِلَى أَهْلِهَا**»، فَفَعَلَ، فَسَارَتْ كُلُّ شَاةٍ حَتَّى دَخَلَتْ إِلَى أَهْلِهَا[7].

وَمِنْهَا: قِصَّةُ كَلاَمِ الذِّئْبِ وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ ﷺ، رَوَاهَا كَثِيرٌ مِنَ

---

(١) مَن صاحِبُ.
(٢) تديم العمل عليه.
(٣) ورواه أبو داود.
(٤) قال الزرقاني شارح المواهب: لعل الأصح تأنيث ذِفْر، إذ لو كانت تثنية لقال فيما تقدم: ذِفْرَيْه.
(٥) رواه أحمد والبزار بسند صحيح.
(٦) إرمها في وجهها بالحصباء (وهي صغار الحجارة).
(٧) رواه البيهقي.

الْصَّحَابَةِ، مِنهُمْ: أَبو سَعِيدِ الْخُدْرِيُّ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ، قَالَ: عَدَا الْذِّئْبُ عَلَى شَاةٍ، فَأَخَذَهَا، فَطَلَبَهُ الرَّاعِي[1]، فَانتَزَعَهَا مِنْهُ، فَأَقْعَى الْذِّئْبُ عَلَى ذَنَبِهِ وَقَالَ: أَلاَ تَتَّقِي اللّهَ؟ تَنزِعُ مِنِّي رِزقاً سَاقَهُ اللّهُ إِلَيَّ؟ فَقَالَ الرَّاعِي: يَا عَجَباً ذِئْبٌ مُقْعٍ عَلَى ذَنَبِهِ يُكَلِّمُنِي بِكَلاَمِ الإِنسِ؟! فَقَالَ الذِّئْبُ: أَلاَ أُخْبِرُكَ بِأَعْجَبَ مِنْ ذٰلِكَ؟ مُحَمَّدٌ ﷺ بِيَثْرِبَ يُخْبِرُ النَّاسَ بِأَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ، قَالَ: فَأَقْبَلَ الرَّاعِي يَسُوقُ غَنَمَهُ حَتَّى دَخَلَ الْمَدِينَةَ، فَزَوَاهَا إِلَى زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهَا، ثُمَّ أَتَى رَسُولَ اللّهِ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَأَمَرَ ﷺ فَنُودِيَ بِالصَّلاَةِ جَامِعَةً، ثُمَّ خَرَجَ فَقَالَ لِلأَعْرَابِيِّ: «**أَخْبِرْهُمْ**»، فَأَخْبَرَهُمْ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ[2]. قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَفِي بَعْضِ الْطُّرُقِ[3] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: فَقَالَ الذِّئْبُ: أَنْتَ أَعْجَبُ مِنِّي، وَاقِفاً عَلَى غَنَمِكَ وَتَرَكْتَ نَبِيًّا لَمْ يَبْعَثِ اللّهُ قَطُّ أَعْظَمَ مِنْهُ عِنْدَهُ قَدْراً، قَدْ فُتِحَتْ لَهُ أَبْوَابُ الْجَنَّةِ، وَأَشْرَفَ أَهْلُهَا[4] عَلَى أَصْحَابِهِ يَنظُرُونَ قِتَالَهُمْ وَمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ إِلاَّ هٰذَا الْشِّعْبُ[5] فَتَكُونَ فِي جُنْدِ اللّهِ؟ قَالَ الرَّاعِي: مَنْ لِي بِغَنَمِي؟ قَالَ الذِّئْبُ: أَنَا أَرْعَاهَا حَتَّى تَرْجِعَ، فَأَسْلَمَ الرَّجُلُ إِلَيْهِ غَنَمَهُ وَمَضَى، وَذَكَرَ قِصَّتَهُ وَإِسْلاَمَهُ وَوُجُودَهُ النَّبِيَّ ﷺ يُقَاتِلُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**عُدْ إِلَى غَنَمِكَ تَجِدْهَا بِوَفْرِهَا**»[6]، فَوَجَدَهَا كَذٰلِكَ، وَذَبَحَ لِلذِّئْبِ شَاةً مِنْهَا.

وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورٍ فِي سُنَنِهِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: جَاءَ الْذِّئْبُ فَأَقْعَى بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَجَعَلَ يُبَصْبِصُ بِذَنَبِهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ:

---

(١) وهو (إهبان بن أوس) كما في البيهقي والبخاري في تاريخه. أو سلمة بن عمرو بن الأكوع كما في الروض الأُنُف.

(٢) بإسناد جيد، والبزار، والبيهقي وصححه.

(٣) عند أحمد، والبزار، والبيهقي وصححه، والبغويّ، وأبو نُعيم بسند صحيح.

(٤) أهل الجنة.

(٥) الشِّعب: الطريق بين الجبلين.

(٦) بتمامها.

«**هٰذَا وَافِدُ الذِّئَابِ، جَاءَ يَسْأَلُكُمْ أَنْ تَجْعَلُوا لَهُ مِنْ أَمْوَالِكُمْ شَيْئاً**»، قَالُوا: وَاللّٰهِ لاَ نَفْعَلُ، وَأَخَذَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ حَجَراً رَمَاهُ بِهِ، فَأَدْبَرَ الذِّئْبُ وَلَهُ عُوَاءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**الذِّئْبُ وَمَا الذِّئْبُ**».

وَرَوَى ابْنُ وَهْبٍ: أَنَّ أَبَا سُفْيَانَ بْنَ حَرْبٍ وَصَفْوَانَ بْنَ أُمَيَّةَ وَجَدَا ذِئْباً أَخَذَ ظَبْياً، فَدَخَلَ الظَّبْيُ الْحَرَمَ، فَانْصَرَفَ الذِّئْبُ، فَعَجِبَا مِنْ ذٰلِكَ، فَقَالَ الذِّئْبُ: أَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِاللّٰهِ بِالْمَدِينَةِ يَدْعُوكُمْ إِلَى الْجَنَّةِ وَتَدْعُونَهُ إِلَى النَّارِ، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لَئِنْ ذَكَرْتَ هٰذَا بِمَكَّةَ لَتَتْرُكَنَّهَا خُلُوفاً ـ أَيْ: فَاسِدَةً[١] ـ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: حَدِيثُ الضَّبِّ، ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ، وَقَدْ رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ كَانَ فِي مَحْفِلٍ[٢] مِنْ أَصْحَابِهِ إِذْ جَاءَ أَعْرَابِيٌّ مِنْ بَنِي سُلَيْمٍ، قَدْ صَادَ ضَبًّا جَعَلَهُ فِي كُمِّهِ لِيَذْهَبَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ، فَيَشْوِيَهُ وَيَأْكُلَهُ، فَلَمَّا رَأَىٰ[٣] الْجَمَاعَةَ قَالَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالُوا: نَبِيُّ اللّٰهِ ﷺ، فَأَخْرَجَ الضَّبَّ مِنْ كُمِّهِ وَقَالَ: وَاللاَّتِ وَالْعُزَّى لاَ آمَنْتُ بِكَ أَوْ يُؤْمِنَ هٰذَا الضَّبُّ، وَطَرَحَهُ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا ضَبُّ!**» فَأَجَابَهُ بِلِسَانٍ مُبِينٍ يَسْمَعُهُ الْقَوْمُ جَمِيعاً: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا زَيْنَ مَنْ وَافَى الْقِيَامَةَ، قَالَ: «**مَنْ تَعْبُدُ؟**» قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ عَرْشُهُ، وَفِي الأَرْضِ سُلْطَانُهُ، وَفِي الْبَحْرِ سَبِيلُهُ، وَفِي الْجَنَّةِ رَحْمَتُهُ، وَفِي النَّارِ عِقَابُهُ، قَالَ: «**فَمَنْ أَنَا؟**» قَالَ: رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ، وَخَاتِمُ النَّبِيِّينَ، وَقَدْ أَفْلَحَ مَنْ صَدَّقَكَ، وَخَابَ مَنْ كَذَّبَكَ. فَأَسْلَمَ الأَعْرَابِيُّ[٤].

---

(١) خالية من أهلها، بأن يسلموا جميعاً، ويرتحلوا إليه ﷺ.

(٢) محل يجتمع فيه ناس كثيرون.

(٣) أي: الأعرابي.

(٤) رواه الطبراني والبيهقي بسند ضعيف كما قال القسطلاني والسيوطي.

وَمِنْ ذٰلِكَ: حَدِيثُ الْغَزَالَةِ، رَوَاهُ كَثِيرٌ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ[1] مِنْ طُرُقٍ يُقَوِّي بَعْضُهَا بَعْضاً، فَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: بَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي صَحْرَاءَ مِنَ الأَرْضِ، إِذَا هَاتِفٌ يَهْتِفُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ ـ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ فَالْتَفَتَ، فَإِذَا ظَبْيَةٌ مَشْدُودَةٌ فِي وِثَاقٍ، وَأَعْرَابِيٌّ مُنْجَدِلٌ فِي شَمْلَةٍ، نَائِمٌ فِي الشَّمْسِ، فَقَالَ: «**مَا حَاجَتُكِ؟**» قَالَتْ: صَادَنِي هٰذَا الأَعْرَابِيُّ، وَلِي خِشْفَانِ[2] فِي ذٰلِكَ الْجَبَلِ، فَأَطْلِقْنِي حَتَّى أَذْهَبَ، فَأُرْضِعَهُمَا وَأَرْجِعَ، قَالَ: «**وَتَفْعَلِينَ؟**» قَالَتْ: عَذَّبَنِي اللَّهِ عَذَابَ الْعَشَّارِ[3] إِنْ لَمْ أَعُدْ، فَأَطْلَقَهَا، فَذَهَبَتْ وَرَجَعَتْ، فَأَوْثَقَهَا النَّبِيُّ ﷺ، فَانْتَبَهَ الأَعْرَابِيُّ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَلَكَ حَاجَةٌ؟ قَالَ: «**تُطْلِقُ هٰذِهِ الظَّبْيَةَ**»، فَأَطْلَقَهَا، فَخَرَجَتْ تَعْدُو فِي الصَّحْرَاءِ فَرَحاً وَهِيَ تَضْرِبُ بِرِجْلَيْهَا الأَرْضَ وَتَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: دَاجِنُ الْبُيُوتِ[4] ـ وَهُوَ مَا أَلِفَهَا مِنَ الْحَيَوَانِ كَالطَّيْرِ وَالشَّاةِ وَغَيْرِهِمَا ـ، رَوَى قَاسِمُ بْنُ ثَابِتٍ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَعَنْ وَالِدَيْهَا قَالَتْ: كَانَ عِنْدَنَا دَاجِنٌ، فَإِذَا كَانَ عِنْدَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَرَّ وَثَبَتَ مَكَانَهُ، فَلَمْ يَجِئْ وَلَمْ يَذْهَبْ، وَإِذَا خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ جَاءَ وَذَهَبَ. وَذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ بِسَنَدِهِ[5].

وَأَمَّا نَبْعُ الْمَاءِ الطَّهُورِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ ـ وَهُوَ أَشْرَفُ الْمِيَاهِ ـ: فَقَدْ رَوَى أَحَادِيثَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ، مِنْهُمْ: أَنَسٌ، وَجَابِرٌ، وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَابْنُ عَبَّاسٍ.

---

(١) كالبيهقي في دلائل النبوة، وأبو نُعيم في الدلائل بإسناد فيه مجاهيل، والطبراني، والمنذري في الترغيب والترهيب في باب الزكاة، والدارقطني، والحاكم، وشيخه ابن عدي.

(٢) ظبيان صغيران.

(٣) الذي يأخذ على السِّلَع مَكْساً (ضريبة).

(٤) مأخوذ من المداجنة، وهي: المخالطة والملازمة.

(٥) ورواه أحمد والبزار وأبو يعلىٰ والطبراني والبيهقي والدارقطني بسند صحيح.

فَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَحَانَتْ صَلاَةُ الْعَصْرِ، وَالْتَمَسَ النَّاسُ الْوَضُوءَ فَلَمْ يَجِدُوهُ، فَأُتِيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِوَضُوءٍ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي ذٰلِكَ الإِنَاءِ، فَأَمَرَ النَّاسَ أَنْ يَتَوَضَّؤُوا مِنْهُ، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ وَأَطْرَافِ أَصَابِعِهِ حَتَّى تَوَضَّأَ الْقَوْمُ، قَالَ رَاوِيهِ: فَقُلْنَا لأَنَسٍ: كَمْ كُنْتُمْ؟ قَالَ: كُنَّا ثَلاَثَ مِئَةٍ.

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً قَالَ: كُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! عَطِشَتْ دَوَابُّنَا وَإِبِلُنَا، فَقَالَ: «**هَلْ مِنْ فَضْلَةِ مَاءٍ؟**» فَجَاءَ رَجُلٌ فِي شَنٍّ[1] بِشَيْءٍ، فَقَالَ: «**هَاتُوا صَحْفَةً**»، فَصَبَّ الْمَاءَ، ثُمَّ وَضَعَ رَاحَتَهُ فِي الْمَاءِ، قَالَ: «**فَرَأَيْتُهَا تَخَلَّلُ عُيوناً بَيْنَ أَصَابِعِهِ**» قَالَ: فَسَقَيْنَا إِبِلَنَا وَدَوَابَّنَا، وَتَزَوَّدْنَا، فَقَالَ: «**أَكْتَفَيْتُمْ؟**» فَقَالُوا: نَعَمْ، اكْتَفَيْنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَرَفَعَ يَدَهُ، فَارْتَفَعَ الْمَاءُ. رَوَاهُ ابْنُ شَاهِينَ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَيْضاً قَالَ: خَرَجَ النَّبِيُّ ﷺ إِلَى قُبَاءَ، فَأُتِيَ مِنْ بَعْضِ بُيُوتِهِمْ بِقَدَحٍ صَغِيرٍ، فَأَدْخَلَ يَدَهُ فَلَمْ يَسَعْهُ الْقَدَحُ، فَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ الأَرْبَعَةَ، وَلَمْ يَسْتَطِعْ أَنْ يُدْخِلَ إِبْهَامَهُ، ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ: «**هَلُمُّوا إِلَى الشَّرَابِ**»، قَالَ أَنَسٌ: بَصُرَ عَيْنِي يَنْبَعُ الْمَاءُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، فَلَمْ يَزَلِ الْقَوْمُ يَرِدُونَ الْقَدَحَ حَتَّى رَوُوا مِنْهُ جَمِيعاً.

وَأَمَّا حَدِيثُ جَابِرٍ: فَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَغَيْرِهِمَا عَنْهُ قَالَ: عَطِشَ النَّاسُ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ يَدَيْهِ رَكْوَةٌ يَتَوَضَّأُ مِنْهَا، وَجَهَشَ النَّاسُ نَحْوَهُ، فَقَالَ: «**مَا لَكُمْ؟**» فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا عِنْدَنَا مَاءٌ نَتَوَضَّأُ بِهِ، وَلاَ نَشْرَبُهُ إِلاَّ مَا بَيْنَ يَدَيْكَ، فَوَضَعَ يَدَهُ فِي الرَّكْوَةِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ كَأَمْثَالِ الْعُيُونِ، فَشَرِبْنَا وَتَوَضَّأْنَا، قَالَ رَاوِيهِ: قُلْتُ: كَمْ

---

(١) قِرْبة خَلَقَة (بالية) صغيرة.

كُنْتُمْ؟ قَالَ جَابِرٌ: لَوْ كُنَّا مِئَةَ أَلْفٍ لَكَفَانَا، كُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ مِئَةً[1].

(وَالرَّكْوَةُ: إِنَاءٌ صَغِيرٌ مِنْ جِلْدٍ، يُشْرَبُ فِيهِ. وَالْجَهْشُ: أَنْ يَفْزَعَ الإِنْسَانُ إِلَى غَيْرِهِ).

وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ الطَّوِيلِ فِي ذِكْرِ غَزْوَةِ بُوَاطٍ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَا جَابِرُ! نَادِ الْوَضُوءَ»** وَذَكَرَ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَجِدْ إِلاَّ قَطْرَةً فِي عَزْلاَءِ شَجْبٍ، فَأُتِيَ بِهِ النَّبِيُّ ﷺ، فَغَمَزَهُ، وَتَكَلَّمَ بِشَيْءٍ لاَ أَدْرِي مَا هُوَ، وَقَالَ: **«نَادِ بِجَفْنَةِ الرَّكْبِ»**[2]، فَأَتَيْتُ بِهَا، فَوَضَعْتُهَا بَيْنَ يَدَيْهِ، وَذَكَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَسَطَ يَدَهُ فِي الْجَفْنَةِ، وَفَرَّقَ أَصَابِعَهُ، وَصَبَّ عَلَيْهِ جَابِرٌ، فَقَالَ: **«بِسْمِ اللَّهِ»**، فَرَأَيْتُ الْمَاءَ يَفُورُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، ثُمَّ فَارَتِ الْجَفْنَةُ، وَاسْتَدَارَتْ حَتَّى امْتَلأَتْ، وَأَمَرَ النَّاسَ بِالاسْتِقَاءِ، فَاسْتَقَوْا حَتَّى رَوُوا، فَقُلْتُ: هَلْ بَقِيَ مِنْ أَحَدٍ لَهُ حَاجَةٌ؟ فَرَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ مِنَ الْجَفْنَةِ وَهِيَ مَلأَىٰ.

(وَالْعَزْلاَءُ: فَمُ الْقِرْبَةِ الأَسْفَلُ. وَالشَّجْبُ: السِّقَاءُ الَّذِي أَخْلَقَ وَبَلِيَ وَصَارَ شَنًّا. وَالْجَفْنَةُ: إِنَاءٌ يُشْبِعُ عَشَرَةً فَأَكْثَرَ).

وَأَمَّا حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ: فَفِي الصَّحِيحِ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: بَيْنَمَا نَحْنُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَيْسَ مَعَنَا مَاءٌ، فَقَالَ لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«اطْلُبُوا مَنْ مَعَهُ فَضْلُ مَاءٍ»**، فَأُتِيَ بِمَاءٍ، فَصَبَّهُ فِي إِنَاءٍ، ثُمَّ وَضَعَ كَفَّهُ فِيهِ، فَجَعَلَ الْمَاءُ يَنْبَعُ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ[3].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِلاَلاً فَطَلَبَ الْمَاءَ، فَقَالَ: لاَ وَاللَّهِ مَا وَجَدْتُ الْمَاءَ، قَالَ: **«فَهَلْ مِنْ شَنٍّ؟»** فَأَتَاهُ بِشَنٍّ،

---

(١) الأصح: أربع عشرة مئة، كما في الصحيحين.

(٢) أكبر قِصَاع الرَّكْب.

(٣) رواه البخاري.

فَبَسطَ كَفَّهُ فِيهِ، فَانْبَعَثَتْ تَحتَ يَدِهِ عَيْنٌ، فَكَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ يَشْرَبُ، وَغَيْرُهُ يَتَوَضَّأُ. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَغَيْرُهُ[١].

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: قِصَّةُ نَبعِ الْمَاءِ مِن بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ قَدْ تَكَرَّرَتْ مِنْهُ ﷺ فِي عِدَّةِ مَوَاطِنَ فِي مَشَاهِدَ عَظِيمَةٍ، وَوَرَدَتْ مِنْ طُرُقٍ كَثِيرَةٍ يُفِيدُ مَجْمُوعُهَا الْعِلْمَ الْقَطْعِيَّ الْمُسْتَفَادَ مِنَ التَّوَاتُرِ الْمَعْنَوِيِّ، وَلَمْ يُسْمَعْ بِمِثْلِ هٰذِهِ الْمُعْجِزَةِ عَنْ غَيرِ نَبِيِّنَا ﷺ، حَيْثُ نَبَعَ الْمَاءُ مِن بَيْنِ عَصَبِهِ وَلَحْمِهِ وَدَمِهِ ﷺ. قَالَ الْمُزَنِيُّ: نَبْعُ الْمَاءِ مِن بَيْنِ أَصَابِعِهِ ﷺ أَبْلَغُ فِي الْمُعْجِزَةِ مِنْ نَبعِ الْمَاءِ مِنَ الْحَجَرِ حَيْثُ ضَرَبَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالْعَصَا فَتَفَجَّرَتْ مِنْهُ الْمِيَاهُ؛ لأَنَّ خُرُوجَ الْمَاءِ مِنَ الْحِجَارَةِ مَعْهُودٌ، بِخِلاَفِ خُرُوجِ الْمَاءِ مِنْ بَيْنِ اللَّحْمِ وَالدَّمِ اهـ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: تَفْجِيرُ الْمَاءِ بِبَرَكَتِهِ وَانْبِعَاثِهِ بِمَسِّهِ وَدَعْوَتِهِ ﷺ.

رَوَى مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ عَنْ مُعَاذٍ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ لَهُمْ: **«إِنَّكُمْ سَتَأْتُونَ غَداً إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى عَيْنَ تَبُوكَ، وَإِنَّكُمْ لَنْ تَأْتُوهَا حَتَّى يُضْحِيَ النَّهَارُ، فَمَنْ جَاءَهَا فَلاَ يَمَسَّ مِنْ مَائِهَا شَيْئاً حَتَّى آتِيَ»**، قَالَ: فَجِئْنَاهَا، وَقَدْ سَبَقَ إِلَيْهَا رَجُلاَنِ، وَالْعَيْنُ مِثْلُ الشِّرَاكِ[٢] تَبِضُّ[٣] بِشَيْءٍ مِنْ مَاءٍ، فَسَأَلَهُمَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«هَلْ مَسِسْتُمَا مِنْ مَائِهَا شَيْئاً؟»** قَالاَ: نَعَمْ، فَسَبَّهُمَا[٤] وَقَالَ لَهُمَا مَا شَاءَ اللّٰهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ غَرَفُوا مِنَ الْعَيْنِ قَلِيلاً قَلِيلاً حَتَّى اجْتَمَعَ فِي شَيْءٍ[٥]، ثُمَّ غَسَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِهِ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ

---

(١) كأبي نُعيم والطبراني.
(٢) وهو سَير النعل الذي يكون على وجهه، كناية عن قِلّته.
(٣) تقطر.
(٤) وكانا من المنافقين.
(٥) أي: من الأواني التي كانت معهم.

أَعَادَهُ فِيهَا فَجَرَتِ الْعَيْنُ بِمَاءٍ كَثِيرٍ، فَاسْتَقَى النَّاسُ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**يَا مُعَاذُ! يُوشِكُ إِنْ طَالَتْ بِكَ حَيَاةٌ أَنْ تَرَى مَا هٰهُنَا قَدْ مُلِىءَ جِنَانَاً**» ـ أَيْ بَسَاتِينَ وَعِمْرَاناً ـ، وَزَادَ فِي الشِّفَاءِ عَنِ ابْنِ إِسْحَاقَ: فَانْخَرَقَ[1] مِنَ الْمَاءِ مَا لَهُ حِسٌّ كَحِسِّ الصَّوَاعِقِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي غَزْوَةِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ حَدِيثِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ: أَنَّهُمْ نَزَلُوا بِأَقْصَى الْحُدَيْبِيَةِ[2]، عَلَى ثَمَدٍ[3] قَلِيلِ الْمَاءِ، يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضاً، فَلَمْ يَلْبَثِ النَّاسُ حَتَّى نَزَحُوهُ، وَشُكِيَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعَطَشُ، فَانْتَزَعَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ، ثُمَّ أَمَرَهُمْ أَنْ يَجْعَلُوهُ فِيهِ، فَوَاللَّهِ مَا زَالَ يَجِيشُ لَهُمْ بِالرِّيِّ حَتَّى صَدَرُوا عَنْهُ[4]. (وَقَوْلُهُ: يَتَبَرَّضُهُ النَّاسُ تَبَرُّضاً: أَيْ يَأْخُذُونَهُ قَلِيلاً قَلِيلاً. وَمَعْنَى يَجِيشُ: يَفُورُ مَاؤُهُ وَيَرْتَفِعُ).

وَفِي رِوَايَةٍ[5] أَنَّهُ ﷺ تَوَضَّأَ فَتَمَضْمَضَ وَمَجَّ فِي بِئْرِ الْحُدَيْبِيَةِ مِنْ فَمِهِ، فَجَاشَتْ بِالْمَاءِ.

وَعَنْ عُرْوَةَ: أَنَّهُ ﷺ تَوَضَّأَ فِي الدَّلْوِ وَمَضْمَضَ فَاهُ، ثُمَّ مَجَّ فِيهِ، وَأَمَرَ أَنْ يُصَبَّ فِي الْبِئْرِ، وَنَزَعَ سَهْماً مِنْ كِنَانَتِهِ وَأَلْقَاهُ فِي الْبِئْرِ، وَدَعَا اللَّهَ تَعَالَى، فَفَارَتْ بِالْمَاءِ، حَتَّى جَعَلُوا يَغْتَرِفُونَ بِأَيْدِيهِمْ مِنْهَا وَهُمْ جُلُوسٌ عَلَى شَفَتَيْهَا[6].

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ الْحُصَيْنِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَاشْتَكَى إِلَيْهِ النَّاسُ مِنَ الْعَطَشِ، فَنَزَلَ فَدَعَا فُلاَناً وَاسْمُهُ

---

(١) انفجر.

(٢) آخرها.

(٣) مكان يجتمع فيه الماء.

(٤) تركوه.

(٥) للبخاري.

(٦) رواه أبو الأسود في مغازيه، كما في الأصل.

أَبُو رَجَاءٍ، وَدَعَا عَلِيًّا، فَقَالَ: «**اذْهَبَا فَابْتَغِيَا الْمَاءَ**»، فَانْطَلَقَا، فَتَلَقَّيَا امْرَأَةً بَيْنَ مَزَادَتَيْنِ ـ أَيْ: قِرْبَتَيْنِ مِنْ مَاءٍ ـ فَجَاءَا بِهَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاسْتَنْزَلُوهَا عَنْ بَعِيرِهَا، وَدَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِإِنَاءٍ، فَفَرَّغَ فِيهِ مِنْ أَفْوَاهِ الْمَزَادَتَيْنِ، وَأَوْكَأَ أَفْوَاهَهُمَا، وَأَطْلَقَ الْعِزَالَى ـ وَهِيَ مَصَابُ الْمَاءِ ـ وَنُودِيَ فِي النَّاسِ: اسْقُوا وَاسْتَقُوا، فَسَقَى مَنْ سَقَى وَاسْتَقَى مَنْ شَاءَ وَهِيَ قَائِمَةٌ تَنْظُرُ إِلَى مَا يُفْعَلُ بِمَائِهَا، وَأَيْمُ اللَّهِ لَقَدْ أُقْلِعَ عَنْهَا، وَإِنَّهُ لَيُخَيَّلُ إِلَيْنَا أَنَّهَا أَشَدُّ مِلْئَةً مِنْهَا حِينَ ابْتَدَأَ فِيهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**اجْمَعُوا لَهَا**»، فَجَمَعُوا لَهَا مِنْ بَيْنِ عَجْوَةٍ وَدَقِيقَةٍ وَسَوِيقَةٍ[1]، حَتَّىٰ جَمَعُوا لَهَا طَعَاماً، فَجَعَلُوهُ فِي ثَوْبٍ، وَحَمَلُوهَا عَلَى بَعِيرِهَا، وَوَضَعُوا الثَّوْبَ بَيْنَ يَدَيْهَا، قَالَ لَهَا: «**تَعْلَمِينَ مَا رَزِئْنَا**[2] **مِنْ مَائِكِ شَيْئاً، وَلٰكِنَّ اللَّهَ هُوَ الَّذِي سَقَانَا**»، فَأَتَتْ أَهْلَهَا، فَقَالَتْ: الْعَجَبُ! لَقِيَنِي رَجُلاَنِ، فَذَهَبَا بِي إِلَى هٰذَا الرَّجُلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ الصَّابِي، فَفَعَلَ كَذَا وَكَذَا، فَوَاللَّهِ إِنَّهُ لأَسْحَرُ النَّاسِ كُلِّهِمْ، أَوْ إِنَّهُ لَرَسُولُ اللَّهِ حَقًّا، ثُمَّ أَسْلَمَتْ هِيَ وَقَوْمُهَا.اهـ

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّكُمْ تَسِيرُونَ عَشِيَّتَكُمْ وَلَيْلَتَكُمْ، وَتَأْتُونَ الْمَاءَ غَداً إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى**»، فَانْطَلَقَ النَّاسُ لاَ يَلْوِي أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، فَبَيْنَمَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَسِيرُ حَتَّى ابْهَارَّ اللَّيْلُ ـ أَيْ: ابْيَضَّ[3] ـ، فَمَالَ عَنِ الطَّرِيقِ، فَوَضَعَ رَأْسَهُ، ثُمَّ قَالَ: «**احْفَظُوا عَلَيْنَا صَلاتَنَا**»، فَكَانَ أَوَّلَ مَنِ اسْتَيْقَظَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ[4] وَالشَّمْسُ فِي ظَهْرِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**ارْكَبُوا**»، فَرَكِبْنَا، فَسِرْنَا حَتَّى إِذَا ارْتَفَعَتِ الشَّمْسُ، نَزَلَ ثُمَّ دَعَا بِمِيضَأَةٍ كَانَتْ مَعِي، فِيهَا شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، فَتَوَضَّأَ مِنْهَا وُضُوءاً، وَبَقِيَ شَيْءٌ مِنْ مَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: «**احْفَظْ عَلَيْنَا مِيضَأَتَكَ، فَسَيَكُونُ لَهَا نَبَأٌ**»، ثُمَّ أَذَّنَ

---

(١) مدقوق حنطة وشعير.

(٢) أو: ما رَزَأنا.

(٣) في شرح مسلم: انتصف.

(٤) وفي رواية: أبو بكر رضي الله عنه.

بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى الْغَدَاةَ[1] وَرَكِبَ وَرَكِبْنَا مَعَهُ، فَانْتَهَيْنَا إِلَى النَّاسِ حِينَ اشْتَدَّ النَّهَارُ، وَحَمِيَ كُلُّ شَيْءٍ، وَهُمْ يَقُولُونَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! هَلَكْنَا وَعَطِشْنَا، فَقَالَ: «**لاَ هُلْكَ عَلَيْكُمْ**»، وَدَعَا بِالْمِيضَأَةِ، فَجَعَلَ يَصُبُّ وَأَبُو قَتَادَةَ يَسْقِيهِمْ، فَلَمْ يَعْدُ أَنْ رَأَى النَّاسُ مَاءً فِي الْمِيضَأَةِ، فَتَكَابُّوا عَلَيْهَا، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَحْسِنُوا الْمِلْءَ، كُلُّكُمْ سَيَرْوَى**»، قَالَ: فَفَعَلُوا، فَجَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَصُبُّ وَأَسْقِيهِمْ، حَتَّى مَا بَقِيَ غَيْرِي وَغَيْرُ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، ثُمَّ صَبَّ، ثُمَّ قَالَ لِي: «**اشْرَبْ**»، فَقُلْتُ: لاَ أَشْرَبُ حَتَّى تَشْرَبَ، فَقَالَ: «**إِنَّ سَاقِيَ الْقَوْمِ آخِرُهُمْ**»، قَالَ: فَشَرِبْتُ، وَشَرِبَ. الْحَدِيثَ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: أَصَابَتِ النَّاسَ سَنَةٌ[2] عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَبَيْنَا النَّبِيُّ ﷺ يَخْطُبُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ قَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! هَلَكَ الْمَالُ، وَجَاعَ الْعِيَالُ، فَادْعُ اللّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَمَا نَرَى فِي السَّمَاءِ قَزَعَةً[3]، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا وَضَعَهُمَا حَتَّى ثَارَ السَّحَابُ أَمْثَالَ الْجِبَالِ، ثُمَّ لَمْ يَنْزِلْ عَنْ مِنْبَرِهِ حَتَّى رَأَيْتُ الْمَطَرَ يَتَحَادَرُ عَلَى لِحْيَتِهِ، فَمُطِرْنَا يَوْمَنَا ذٰلِكَ، وَمِنَ الْغَدِ، وَمِنْ بَعْدِ الْغَدِ، حَتَّى الْجُمُعَةِ الأُخْرَى، وَقَامَ ذٰلِكَ الأَعْرَابِيُّ أَوْ غَيْرُهُ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! تَهَدَّمَ الْبِنَاءُ، وَغَرِقَ الْمَالُ، فَادْعُ اللّهَ لَنَا، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَقَالَ: «**اللّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا**»، فَمَا يُشِيرُ إِلَى نَاحِيَةٍ مِنَ السَّحَابِ إِلاَّ انْفَرَجَتْ، وَصَارَتِ الْمَدِينَةُ مِثْلَ الْجَوْبَةِ، وَسَالَ الْوَادِي قَنَاةُ شَهْراً، وَلَمْ يَجِيءْ أَحَدٌ مِنْ نَاحِيَةٍ إِلاَّ حَدَّثَ بِالْجَوْدِ[4]. (وَالْجَوْبَةُ: الْحُفْرَةُ الْمُسْتَدِيرَةُ الْوَاسِعَةُ، أَيْ: حَتَّى صَارَ الْغَيْمُ وَالسَّحَابُ مُحِيطاً بِآفَاقِ الْمَدِينَةِ. وَالْجَوْدُ: الْمَطَرُ الْوَاسِعُ الْغَزِيرُ).

---

(١) الصبح.

(٢) قحط.

(٣) قطعة من سحاب.

(٤) رواه الشيخان.

وَعَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ قِيلَ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ: حَدِّثْنَا عَنْ سَاعَةِ الْعُسْرَةِ، قَالَ عُمَرُ: خَرَجْنَا إِلَى تَبُوكَ فِي قَيْظٍ شَدِيدٍ، فَنَزَلْنَا مَنْزِلاً أَصَابَنَا عَطَشٌ حَتَّىٰ ظَنَنَّا أَنَّ رِقَابَنَا سَتَنْقَطِعُ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَذْهَبُ يَلْتَمِسُ الرَّجُلَ، فَلاَ يَرْجِعُ حَتَّىٰ يَظُنَّ أَنَّ رَقَبَتَهُ سَتَنْقَطِعُ، حَتَّىٰ إِنْ كَانَ الرَّجُلُ لَيَنْحَرُ بَعِيرَهُ، فَيَعْصِرُ فَرْثَهُ(١) فَيَشْرَبُهُ، وَيَجْعَلُ مَا بَقِيَ عَلَى كَبِدِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! إِنَّ اللّٰهَ قَدْ عَوَّدَكَ فِي الدُّعَاءِ خَيْراً، فَادْعُ اللّٰهَ لَنَا، قَالَ: «**أَتُحِبُّونَ ذٰلِكَ؟**» قَالَ: نَعَمْ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ فَلَمْ يَرْجِعْهُمَا حَتَّىٰ قَالَتِ السَّمَاءُ(٢)، فَانْسَكَبَتْ، فَمَلَؤُوا مَا مَعَهُمْ مِنْ آنِيَةٍ، ثُمَّ ذَهَبْنَا نَنْظُرُ فَلَمْ نَجِدْهَا تُجَاوِزُ الْعَسْكَرَ. أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ(٣)، وَشَيْخُهُ ابْنُ بِشْرَانَ [ثِقَةٌ].

وَفِي مِصْبَاحِ الظَّلاَمِ(٤)، عَنْ عَمْرِو بْنِ شُعَيْبٍ: أَنَّ أَبَا طَالِبٍ قَالَ: كُنْتُ مَعَ ابْنِ أَخِي - يَعْنِي النَّبِيَّ ﷺ - بِذِي الْمَجَازِ(٥)، فَأَدْرَكَنِي الْعَطَشُ، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ، فَقُلْتُ: يَا ابْنَ أَخِي عَطِشْتُ، وَمَا قُلْتُ لَهُ ذٰلِكَ وَأَنَا أَرَى عِنْدَهُ شَيْئاً إِلاَّ الْجَزَعَ، فَثَنَى وَرِكَهُ(٦)، ثُمَّ نَزَلَ وَقَالَ: «**يَا عَمِّ أَعَطِشْتَ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَأَهْوَى بِعَقِبِهِ إِلَى الأَرْضِ، فَإِذَا بِالْمَاءِ، فَقَالَ: «**اشْرَبْ يَا عَمِّ!**» فَشَرِبْتُ. وَكَذَا رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ وَابْنُ عَسَاكِرَ.

وَمِنْ ذٰلِكَ تَكْثِيرُ الطَّعَامِ الْقَلِيلِ بِبَرَكَتِهِ وَدُعَائِهِ ﷺ، عَنْ جَابِرٍ

---

(١) ما في كَرِشِه.

(٢) غيّمت وظهر فيها سحاب.

(٣) في الدلائل، وابن خزيمة، والبزار بسند صحيح.

(٤) في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام لسليمان بن موسىٰ الكلاعي المتوفىٰ سنة ٦٣٤هـ.

(٥) وهي سوق من أسواق الجاهلية عند عرفة.

(٦) الوَرِك: ما فوق الفخذ.

رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فِي غَزْوَةِ الْخَنْدَقِ قَالَ: فَانْكَفَأْتُ إِلَى امْرَأَتِي فَقُلْتُ: هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ؟ فَإِنِّي رَأَيْتُ بِالنَّبِيِّ ﷺ خَمَصاً[١] شَدِيداً، فَأَخْرَجَتْ جِرَاباً[٢] فِيهِ صَاعٌ مِنْ شَعِيرٍ، وَلَنَا بُهَيْمَةٌ دَاجِنٌ، فَذَبَحْتُهَا وَطَحَنَتِ الشَّعِيرَ، حَتَّى جَعَلْنَا اللَّحْمَ فِي الْبُرْمَةِ[٣]، ثُمَّ جِئْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَسَارَرْتُهُ فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! ذَبَحْنَا بُهَيْمَةً لَنَا، وَطَحَنَّا صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ، فَتَعَالَ أَنْتَ وَنَفَرٌ مَعَكَ، فَصَاحَ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَا أَهْلَ الْخَنْدَقِ! إِنَّ جَابِراً صَنَعَ سُؤْراً، فَحَيَّهَلاً بِكُمْ**»، فَقَالَ ﷺ: «**لاَ تُنْزِلَنَّ بُرْمَتَكُمْ، وَلاَ يُخْبَزَنَّ عَجِينُكُمْ حَتَّى أَجِيءَ**»، ثُمَّ جَاءَ، فَأَخْرَجَتْ لَهُ عَجِيناً فَبَصَقَ فِيهِ وَبَارَكَ، ثُمَّ عَمَدَ إِلَى بُرْمَتِنَا فَبَصَقَ وَبَارَكَ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعِي خَابِزَةً فَلْتَخْبِزْ مَعَكِ، وَاقْدَحِي مِنْ بُرْمَتِكُمْ، وَلاَ تُنْزِلُوهَا**»، وَهُمْ أَلْفٌ، فَأُقْسِمُ بِاللّهِ لَقَدْ أَكَلُوا حَتَّى تَرَكُوهُ وَانْحَرَفُوا، وَإِنَّ بُرْمَتَنَا لَتَغِطُّ كَمَا هِيَ، وَإِنَّ عَجِينَنَا لَيُخْبَزُ كَمَا هُوَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. (وَقَوْلُهُ «دَاجِنٌ» يَعْنِي: سَمِينَةٌ. وَالسُّؤْرُ هُنَا: الطَّعَامُ. وَحَيَّهَلاً بِكُمْ: أَيْ هَلُمُّوا مُسْرِعِينَ. وَاقْدَحِي: أَيِ اغْرِفِي. وَتَغِطُّ: أَيْ تَغْلِي)[٤].

وَعَنْ أَنَسٍ: قَالَ أَبُو طَلْحَةَ لأُمِّ سُلَيْمٍ: لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ضَعِيفاً أَعْرِفُ فِيهِ الْجُوعَ، فَهَلْ عِنْدَكِ مِنْ شَيْءٍ؟ فَقَالَتْ: نَعَمْ، فَأَخْرَجَتْ أَقْرَاصاً مِنْ شَعِيرٍ، ثُمَّ أَخْرَجَتْ خِمَاراً، فَلَفَّتِ الْخُبْزَ بِبَعْضِهِ، ثُمَّ دَسَّتْهُ تَحْتَ يَدِي، وَلاَثَتْنِي بِبَعْضِهِ، أَيْ أَدَارَتْ بَعْضَ الْخِمَارِ عَلَى رَأْسِي مَرَّتَيْنِ كَالْعَمَائِمِ، ثُمَّ أَرْسَلَتْنِي إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَذَهَبْتُ بِهِ، فَوَجَدْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، وَمَعَهُ النَّاسُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**آرْسَلَكَ**

---

(١) جوعاً.

(٢) الجِراب: وعاء الزاد.

(٣) وهي القِدْر.

(٤) حتىٰ يُسمَع صوتُ غليانها.

أَبو طَلْحَةَ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: «لِطَعَامٍ؟» قُلْتُ: نَعَمْ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لِمَنْ مَعَهُ: «قُومُوا»، فَانْطَلَقَ وَانْطَلَقْتُ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ، حَتَّى أَتَيْتُ أَبَا طَلْحَةَ، فَأَخْبَرْتُهُ، فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أُمَّ سُلَيْمٍ! قَدْ جَاءَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِالنَّاسِ، وَلَيْسَ عِنْدَنَا مَا نُطْعِمُهُمْ؟ فَقَالَتْ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَانْطَلَقَ أَبُو طَلْحَةَ حَتَّى لَقِيَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَأَقْبَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَأَبُو طَلْحَةَ مَعَهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «هَلُمِّي يَا أُمَّ سُلَيْمٍ مَا عِنْدَكِ؟»، فَأَتَتْ بِذٰلِكَ الْخُبْزِ، فَأَمَرَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَفُتَّ، وَعَصَرَتْ أُمُّ سُلَيْمٍ عُكَّةً[1]، فَآدَمَتْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِيهِ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ يَقُولَ، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ»، فَأَذِنَ لَهُمْ، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، ثُمَّ خَرَجُوا، ثُمَّ قَالَ: «ائْذَنْ لِعَشَرَةٍ، ثُمَّ لِعَشَرَةٍ»، فَأَكَلَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ، وَشَبِعُوا، وَالْقَوْمُ سَبْعُونَ أَوْ ثَمَانُونَ رَجُلاً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: ثُمَّ أَكَلَ النَّبِيُّ ﷺ وَأَهْلُ الْبَيْتِ، وَتَرَكُوا سُؤْراً ـ أَيْ بَقِيَّةً ـ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ هَلْ نَقَصَ مِنْهَا شَيْءٌ؟

وَفِي رِوَايَةِ عُمَرَ[2] بْنِ عَبْدِاللّهِ عَنْ أَنَسٍ: فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: إِنَّمَا هُوَ قُرْصٌ، فَقَالَ: إِنَّ اللّهَ سَيُبَارِكُ فِيهِ.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ مُبَارَكِ بْنِ فَضَالَةَ[3] فَقَالَ: هَلْ مِنْ سَمْنٍ؟ فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: قَدْ كَانَ فِي الْعُكَّةِ شَيْءٌ، فَجَاءَ بِهَا، فَجَعَلَا يَعْصِرَانِهَا، حَتَّى خَرَجَ، ثُمَّ مَسَحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْقُرْصَ فَانْتَفَخَ، وَقَالَ: «بِسْمِ اللّهِ»، فَلَمْ يَزَلْ يَصْنَعُ ذٰلِكَ وَالْقُرْصُ يَنْتَفِخُ حَتَّى رَأَيْتُ الْقُرْصَ فِي الْجَفْنَةِ يَتَّسِعُ.

---

(١) العُكَّة: آنية السَّمْن.

(٢) الصواب: عمرو، كما في المواهب وشرحها.

(٣) عند أحمد.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: لَمَّا كَانَ غَزْوَةُ تَبُوكَ أَصَابَ النَّاسَ مَجَاعَةٌ، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! ادْعُهُمْ بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، ثُمَّ ادْعُ اللَّهَ لَهُمْ عَلَيْهَا بِالْبَرَكَةِ، فَقَالَ: «**نَعَمْ**»، فَدَعَا بِنَطْعٍ[1] فَبُسِطَ، ثُمَّ دَعَا بِفَضْلِ أَزْوَادِهِمْ، فَجَعَلَ الرَّجُلُ يَجِيءُ بِكَفِّ ذُرَةٍ، وَيَجِيءُ الآخَرُ بِكِسْرَةٍ، حَتَّى اجْتَمَعَ عَلَى النَّطْعِ شَيْءٌ يَسِيرٌ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِالْبَرَكَةِ، ثُمَّ قَالَ: «**خُذُوا فِي أَوْعِيَتِكُمْ**»، فَأَخَذُوا فِي أَوْعِيَتِهِمْ، حَتَّى مَا تَرَكُوا فِي الْعَسْكَرِ وِعَاءً إِلاَّ مَلَؤُوهُ، قَالَ: فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَفَضَلَتْ فَضْلَةٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ، لاَ يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا[2] عَبْدٌ غَيْرُ شَاكٍّ فَيُحْجَزَ عَنِ الْجَنَّةِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَرُوساً بِزَيْنَبَ، فَعَمَدَتْ أُمِّي أُمُّ سُلَيْمٍ إِلَى تَمْرٍ وَسَمْنٍ وَأَقِطٍ، فَصَنَعَتْ حَيْساً فَجَعَلَتْهُ فِي تَوْرٍ، فَقَالَتْ: يَا أَنَسُ! اذْهَبْ بِهٰذَا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَقُلْ: بَعَثَتْ بِهٰذَا إِلَيْكَ أُمِّي، وَهِيَ تَقْرَؤُكَ السَّلاَمَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**ضَعْهُ**»، ثُمَّ قَالَ: «**اذْهَبْ فَادْعُ لِي فُلاَناً وَفُلاَناً** - رِجَالاً سَمَّاهُمْ - **وَادْعُ لِي مَنْ لَقِيتَ**» فَدَعَوْتُ مَنْ سَمَّى وَمَنْ لَقِيتُ، فَرَجَعْتُ فَإِذَا الْبَيْتُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ، قِيلَ لأَنَسٍ: عَدَدَ كَمْ كَانُوا؟ قَالَ: زُهَاءَ ثَلاَثِ مِئَةٍ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَضَعَ يَدَهُ عَلَى تِلْكَ الْحَيْسَةِ، وَتَكَلَّمَ بِمَا شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى، ثُمَّ جَعَلَ يَدْعُو عَشَرَةً عَشَرَةً يَأْكُلُونَ مِنْهُ، وَيَقُولُ لَهُمْ: «**اذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلْيَأْكُلْ كُلُّ رَجُلٍ مِمَّا يَلِيهِ**»، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، فَخَرَجَتْ طَائِفَةٌ بَعْدَ طَائِفَةٍ، حَتَّى أَكَلُوا كُلُّهُمْ، قَالَ لِي: «**يَا أَنَسُ ارْفَعْ**»، فَرَفَعْتُ، فَمَا أَدْرِي حِينَ وَضَعْتُ كَانَ أَكْثَرَ أَمْ حِينَ رَفَعْتُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. (وَالأَقِطُ: لَبَنٌ مُجَفَّفٌ. وَالْحَيْسُ: الطَّعَامُ الْمُتَّخَذُ مِنَ التَّمْرِ وَالسَّمْنِ وَالأَقِطِ. وَالتَّوْرُ: إِنَاءٌ مِنْ صُفْرٍ[3] أَوْ حِجَارَةٍ). اهـ

---

(١) بساط من جلد.

(٢) بالشهادتين.

(٣) نحاس.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ أُمَّ مَالِكٍ كَانَتْ تُهْدِي لِلنَّبِيِّ ﷺ فِي عُكَّةٍ لَهَا سَمْناً، فَيَأْتِيهَا بَنُوهَا، فَيَسْأَلُونَهَا الأُدْمَ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ، فَتَعْمَدُ إِلَى الَّتِي كَانَتْ تُهْدِي فِيهَا لِلنَّبِيِّ ﷺ فَتَجِدُ فِيهَا سَمْناً، فَمَا زَالَ يُقِيمُ لَهَا أُدْمَ بَيْتِهَا حَتَّى عَصَرَتْهُ، فَأَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَعَصَرْتِيهَا؟**» قَالَتْ: نَعَمْ، قَالَ: «**لَوْ تَرَكْتِيهَا مَا زَالَ قَائِماً**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ جَابِرٍ أَيْضاً: أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ يَسْتَطْعِمُهُ، فَأَطْعَمَهُ شَطْرَ وَسْقٍ[(١)] مِنْ شَعِيرٍ، فَمَا زَالَ يَأْكُلُ مِنْهُ وَامْرَأَتُهُ وَضَيْفُهُ حَتَّى كَالَهُ، فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ، فَقَالَ: «**لَوْ لَمْ تَكِلْهُ لأَكَلْتُمْ مِنْهُ، وَلَقَامَ بِكُمْ**»[(٢)]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ أَيْضاً.

وَعَنْ أَبِي الْعَلاَءِ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ نَتَدَاوَلُ مِنْ قَصْعَةٍ مِنْ غَدْوَةٍ[(٣)] حَتَّى اللَّيْلِ، يَقُومُ عَشَرَةٌ وَيَقْعُدُ عَشَرَةٌ، قُلْنَا: فَمَا كَانَتْ تُمَدُّ؟ قَالَ: «**مِنْ أَيِّ شَيْءٍ تَعْجَبُ؟ مَا كَانَتْ تُمَدُّ إِلاَّ مِنْ هٰهُنَا**» وَأَشَارَ بِيَدِهِ إِلَى السَّمَاءِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[(٤)].

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَلاَثِينَ وَمِئَةً، وَذَكَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ عُجِنَ صَاعٌ، وَصُنِعَتْ شَاةٌ، فَشُوِيَ سَوَادُ بَطْنِهَا[(٥)]، قَالَ: وَأَيْمُ اللّهِ، مَا مِنَ الثَّلاَثِينَ وَمِئَةٍ إِلاَّ وَقَدْ حَزَّ لَهُ حَزَّةً مِنْ سَوَادِ بَطْنِهَا، ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا قَصْعَتَيْنِ، فَأَكَلْنَا أَجْمَعُونَ، وَفَضَلَ فِي الْقَصْعَتَيْنِ، فَحَمَلْتُهُ عَلَى الْبَعِيرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[(٦)].

---

(١) أي: نصفه. والوَسق: ستون صاعاً، والصاع: مكعب طول ضلعه ١٤,٦ سانتي متراً.
(٢) أي: لكفاكم مدة حياتكم.
(٣) صباح.
(٤) كالبيهقي وصححاه، ورواه النسائي أيضاً والدارمي.
(٥) أي: كبدها.
(٦) ومسلم.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: أَمَرَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ أَدْعُوَ أَهْلَ الصُّفَّةِ، فَتَتَبَّعْتُهُمْ حَتَّى جَمَعْتُهُمْ، فَوُضِعَتْ بَيْنَ أَيْدِينَا صَحْفَةٌ[(١)]، فَأَكَلْنَا مَا شِئْنَا، وَفَرَغْنَا، وَهِيَ مِثْلُهَا حِينَ وُضِعَتْ، إِلاَّ أَنَّ فِيهَا أَثَرَ الأَصَابِعِ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ[(٢)].

وَعَنْ عَلِيٍّ كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهُ: جَمَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَكَانُوا أَرْبَعِينَ، مِنْهُمْ قَوْمٌ يَأْكُلُونَ الْجَذَعَةَ، وَيَشْرَبُونَ الْفَرَقَ، فَصَنَعَ لَهُمْ مُدّاً مِنْ طَعَامٍ[(٣)]، فَأَكَلُوا حَتَّى شَبِعُوا، وَبَقِيَ كَمَا هُوَ، ثُمَّ دَعَا بِعُسٍّ، فَشَرِبُوا حَتَّى رَوُوا، وَبَقِيَ كَأَنَّهُ لَمْ يُشْرَبْ مِنْه شَيْءٌ. رَوَاهُ فِي الشِّفَاءِ[(٤)]. (وَالْجَذَعَةُ مِنَ الضَّأْنِ: مَا أَتَى عَلَيْهَا ثَمَانِيَةُ أَشْهُرٍ أَوْ تِسْعَةٌ. وَالْفَرَقُ: إِنَاءٌ يَسَعُ اثْنَيْ عَشَرَ صَاعاً. وَالْعُسُّ: قَدَحٌ مِنْ خَشَبٍ، يُرْوِي الثَّلاثَةَ وَالأَرْبَعَةَ).

وَمِنْ ذٰلِكَ: إِبْرَاءُ ذَوِي الْعَاهَاتِ، وَإِحْيَاءُ الْمَوْتَى، وَكَلامُهُمْ، وَكَلامُ الصِّبْيَانِ، وَشَهَادَتُهُمْ لَهُ ﷺ بِالنُّبُوَّةِ.

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلائِلِ[(٥)]: أَنَّهُ ﷺ دَعَا رَجُلاً إِلَى الإِسْلاَمِ، فَقَالَ: لاَ أُؤمِنُ بِكَ حَتَّى تُحْيِيَ لِي ابْنَتِي، فَقَالَ ﷺ: «**أَرِنِي قَبْرَهَا**»، فَأَرَاهُ إِيَّاهُ، فَقَالَ ﷺ: «**يَا فُلانَةُ!**» فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، فَقَالَ ﷺ: «**أَتُحِبِّينَ أَنْ تَرْجِعِي إِلَى الدُّنْيَا؟**» فَقَالَتْ: لاَ وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي وَجَدْتُ اللَّهَ خَيْراً لِي مِنْ أَبَوَيَّ، وَوَجَدْتُ الآخِرَةَ خَيْراً لِي مِنَ الدُّنْيَا.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَزَلَ

---

(١) إناء.

(٢) كابن أبي شيبة بسند جيد وأبو نُعيم.

(٣) وهو مكعب طول ضلعه ٩,٢ سانتي متراً، وهو ربع صاع.

(٤) عن أحمد والبيهقي بسند جيد.

(٥) عن الحسن البصري.

الْحَجُونَ[1] كَئِيباً حَزِيناً، فَأَقَامَ بِهِ مَا شَاءَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، ثُمَّ رَجَعَ مَسْرُوراً، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأَحْيَا لِي أُمِّي، فَآمَنَتْ بِي، ثُمَّ رَدَّهَا.

وَكَذَا رُوِيَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ أَيْضاً: إِحْيَاءُ أَبَوَيْهِ ﷺ حَتَّى آمَنَا بِهِ. رَوَاهُ السُّهَيْلِيُّ وَالْخَطِيبُ[2].

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ شَابًّا مِنَ الأَنْصَارِ تُوُفِّيَ وَلَهُ أُمٌّ عَجُوزٌ عَمْيَاءُ، فَسَجَّيْنَاهُ[3]، وَعَزَّيْنَاهَا، فَقَالَتْ: مَاتَ ابْنِي؟ قُلْنَا: نَعَمْ، قَالَتْ: اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي هَاجَرْتُ إِلَيْكَ وَإِلَى نَبِيِّكَ رَجَاءَ أَنْ تُعِينَنِي عَلَى كُلِّ شِدَّةٍ فَلاَ تَحْمِلَنَّ عَلَيَّ هٰذِهِ الْمُصِيبَةَ، فَمَا بَرِحْنَا أَنْ كَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، فَطَعِمَ وَطَعِمْنَا. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[4].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كَانَ زَيْدُ بْنُ خَارِجَةَ مِنْ سَرَوَاتِ الأَنْصَارِ[5]، فَبَيْنَمَا هُوَ يَمْشِي فِي طَرِيقٍ مِنْ طُرُقِ الْمَدِينَةِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ إِذْ خَرَّ فَتُوُفِّيَ، فَأُعْلِمَتِ الأَنْصَارُ بِهِ، وَأَتَوْهُ فَاحْتَمَلُوهُ إِلَى بَيْتِهِ، فَسَجَّوْهُ كِسَاءً وَبُرْدَيْنِ[6]، وَفِي الْبَيْتِ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءِ الأَنْصَارِ يَبْكِينَ عَلَيْهِ، وَرِجَالٌ مِنْ رِجَالِهِمْ، فَمَكَثَ عَلَى حَالِهِ، حَتَّى إِذَا كَانَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ الآخِرَةِ، سَمِعُوا صَوْتَ قَائِلٍ يَقُولُ: أَنْصِتُوا، أَنْصِتُوا، فَنَظَرُوا، فَإِذَ الصَّوْتُ مِنْ تَحْتِ الثِّيَابِ، فَحَسَرُوا عَنْ وَجْهِهِ وَصَدْرِهِ، فَإِذَا الْقَائِلُ يَقُولُ عَلَى لِسَانِهِ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ النَّبِيُّ الأُمِّيُّ، خَاتِمُ النَّبِيِّينَ، لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ، كَانَ ذٰلِكَ فِي الْكِتَابِ

---

(١) مقبرة مكة.

(٢) لكن قال السهيلي: في إسناده مجاهيل، وقال ابن كثير: إنه منكر جداً.

(٣) غطّيناه.

(٤) كابن عدي، وابن أبي الدنيا، وأبي نُعيم.

(٥) أشرافهم.

(٦) البُرد: كساء مخطّط يُلتحف به.

الأَوَّلِ[١]، ثُمَّ قَالَ: صَدَقَ، صَدَقَ. ثُمَّ قَالَ: هٰذَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ. رَوَاهُ أَبُو بَكْرِ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا فِي كِتَابِ مَنْ عَاشَ بَعْدَ الْمَوْتِ[٢].

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم: أَنَّ جَابِراً ذَبَحَ شَاةً وَطَبَخَهَا، وَثَرَدَ فِي جَفْنَةٍ[٣]، وَأَتَى بِهِ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَأَكَلَ الْقَوْمُ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَقُولُ لَهُمْ: **«كُلُوا وَلاَ تَكْسِرُوا عَظْماً»**، ثُمَّ جَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْعِظَامَ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهَا، ثُمَّ تَكَلَّمَ بِكَلاَمٍ، فَإِذَا الشَّاةُ قَدْ قَامَتْ تَنْفُضُ أُذُنَيْهَا.

وَعَنْ مُعَيْقِيبٍ[٤] الْيَمَانِيِّ قَالَ: حَجَجْتُ حِجَّةَ الْوَدَاعِ، فَدَخَلْتُ دَاراً بِمَكَّةَ، فَرَأَيْتُ فِيهَا رَسُولَ اللّهِ ﷺ، وَرَأَيْتُ مِنْهُ عَجَباً، جَاءَهُ رَجُلٌ مِنَ الْيَمَامَةِ بِغُلاَمٍ يَوْمَ وُلِدَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«يَا غُلاَمُ! مَنْ أَنَا؟»** فَقَالَ: أَنْتَ رَسُولُ اللّهِ، قَالَ: **«صَدَقْتَ، بَارَكَ اللّهُ فِيكَ»**، ثُمَّ إِنَّ الْغُلاَمَ لَمْ يَتَكَلَّمْ بَعْدَ ذٰلِكَ حَتَّى شَبَّ، فَكُنَّا نُسَمِّيهِ مُبَارَكَ الْيَمَامَةِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[٥].

وَعَنْ فَهْدِ بْنِ عَطِيَّةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أُتِيَ بِصَبِيٍّ قَدْ شَبَّ وَلَمْ يَتَكَلَّمْ قَطُّ، فَقَالَ: **«مَنْ أَنَا؟»** فَقَالَ: رَسُولُ اللّهِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[٦].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ امْرَأَةً جَاءَتْ بِابْنٍ لَهَا إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ ابْنِي بِهِ جُنُونٌ، وَإِنَّهُ لَيَأْخُذُهُ عِنْدَ

---

(١) وهو اللوح المحفوظ.

(٢) والطبراني وأبو نُعيم.

(٣) فَتُّ الخبز في قصعة.

(٤) الصواب: عن مُعَرِّض بن معيقيب، كما في المواهب وشرحها.

(٥) وابن عساكر. قال ابن حجر في الإصابة: معرض وشيخه مجهولان.

(٦) مرسلاً. قال الزرقاني في شرح المواهب: عجبٌ للمصنِّف يعزوه له، ويتبع عياضاً في قوله: فهد أو فهر، مع أنه لم يَعزُه لأحد.

غَدَائِنَا وَعَشَائِنَا، فَمَسَحَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ صَدْرَهُ، فَثَعَّ ثَعَّةً، وَخَرَجَ مِنْ جَوْفِهِ مِثْلُ الْجَرْوِ الأَسْوَدِ يَسْعَى. رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ[1]. (وَقَوْلُهُ ثَعَّ: أَيْ قَاءَ).

وَأُصِيبَتْ يَوْمَ أُحُدٍ عَيْنُ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ حَتَّى وَقَعَتْ عَلَى وَجْنَتِهِ[2]، فَأُتِيَ بِهِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ لِي امْرَأَةً أُحِبُّهَا، وَأَخْشَى إِنْ رَأَتْنِي تَقْذَرْنِي، فَأَخَذَهَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِيَدِهِ، وَرَدَّهَا إِلَى مَوْضِعِهَا وَقَالَ: **«اللّهُمَّ اكْسُهُ جَمَالاً»**، فَكَانَتْ أَحْسَنَ عَيْنَيْهِ وَأَحَدَّهُمَا نَظَراً، وَكَانَتْ لاَ تَرْمَدُ إِذَا رَمِدَتِ الأُخْرَىٰ[3].

وَفِي الْبُخَارِيِّ[4] فِي غَزْوَةِ خَيْبَرَ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟»** فَقَالُوا: إِنَّهُ يَا رَسُولَ اللّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ، قَالَ: **«فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ»**، فَأُتِيَ بِهِ، فَبَصَقَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي عَيْنَيْهِ، وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ.

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ عَنْ إِيَاسِ بْنِ سَلَمَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: فَأَرْسَلَنِي النَّبِيُّ ﷺ فَجِئْتُ بِهِ أَقُودُهُ أَرْمَدَ، فَبَصَقَ فِي عَيْنَيْهِ فَبَرَأَ.

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ عَنْ عَلِيٍّ: فَمَا اشْتَكَيْتُهُمَا حَتَّى السَّاعَةِ، قَالَ: وَدَعَا لِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«اللّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْقَرَّ»**[5]، قَالَ: فَمَا اشْتَكَيْتُهُمَا حَتَّى يَوْمِي هٰذَا.

---

(١) وأحمد وابن أبي شيبة والبيهقي.

(٢) خدّه.

(٣) رواه ابن إسحاق عن عاصم بن عمر بن قتادة مرسلاً، ووصله ابن عدي والبيهقي.

(٤) ومسلم.

(٥) البرْد.

وَأُصِيبَ سَلَمَةُ[١] يَوْمَ خَيْبَرَ بِضَرْبَةٍ فِي سَاقِهِ، فَنَفَثَ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ثَلاَثَ نَفَثَاتٍ، فَمَا اشْتَكَاهَا قَطُّ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَنَفَثَ[٢] ﷺ فِي عَيْنَيْ [ابْنِ] فُدَيْكٍ[٣] وَكَانَتَا مُبْيَضَّتَيْنِ لاَ يُبْصِرُ بِهِمَا شَيْئاً، وَكَانَ وَقَعَ عَلَى بَيْضِ حَيَّةٍ، فَكَانَ يُدْخِلُ الْخَيْطَ فِي الإِبْرَةِ وَإِنَّهُ لاَبْنُ ثَمَانِينَ سَنَةً، وَإِنَّ عَيْنَيْهِ لَمُبْيَضَّتَانِ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ[٤].اهـ

(١) ابن الأكوع.
(٢) نفَخ.
(٣) حبيب بن فُدَيك.
(٤) كالعقيلي والبيهقي والطبراني والبغوي وأبو نُعيم.

الفصل الثاني

فِيمَا خَصَّهُ اللّٰهُ تَعَالَى بِهِ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ، وَشَرَّفَهُ بِهِ عَلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ مِنَ الْكَرَامَاتِ وَالآيَاتِ الْبَيِّنَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ بِأَشْيَاءَ لَمْ يُعْطِهَا لِنَبِيٍّ قَبْلَهُ، وَمَا خُصَّ نَبِيٌّ بِشَيْءٍ إِلاَّ وَقَدْ كَانَ لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ مِثْلُهُ، فَإِنَّهُ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمَ، وَكَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ[1]، وَغَيْرُهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلاَّ فِي حَالِ نُبُوَّتِهِ وَزَمَانِ رِسَالَتِهِ، وَلَمَّا أُعْطِيَ هٰذِهِ الْمَنْزِلَةَ عَلِمْنَا أَنَّهُ ﷺ الْمُمِدُّ لِكُلِّ إِنْسَانٍ كَامِلٍ مَبْعُوثٍ، وَيَرْحَمُ اللّٰهُ شَرَفَ الدِّينِ الْبُوصِيرِيَّ حَيْثُ قَالَ:

وَكُلُّ آيٍ أَتَى الرُّسْلُ الْكِرَامُ بِهَا ... فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ مِنْ نُورِهِ بِهِمِ
فَإِنَّهُ شَمْسُ فَضْلٍ هُمْ كَوَاكِبُهَا ... يُظْهِرْنَ أَنْوَارَهَا لِلنَّاسِ فِي الظُّلَمِ

قَالَ الْعَلاَّمَةُ ابْنُ مَرْزُوقٍ: يَعْنِي أَنَّ كُلَّ مُعْجِزَةٍ أَتَى بِهَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ الرُّسُلِ، فَإِنَّمَا اتَّصَلَتْ بِهِ مِنْ نُورِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

---

(١) رواه الترمذي بسند صحيح غريب، وسيأتي في ص٤٣٣ في القسم الرابع من خصائصه ﷺ.

أَمَّا آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: فَالْمَقْصُودُ مِنْ خَلْقِهِ خَلْقُ نَبِيِّنَا ﷺ فِي صُلْبِهِ، فَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ الْمَقْصُودُ وَآدَمُ الْوَسِيلَةُ.

وَأَمَّا سُجُودُ الْمَلاَئِكَةِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَدْ قَالَ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ[1] فِي تَفْسِيرِهِ: إِنَّ الْمَلاَئِكَةَ أُمِرُوا بِالسُّجُودِ لآدَمَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ لأَجْلِ أَنَّ نُورَ مُحَمَّدٍ ﷺ كَانَ فِي جَبْهَتِهِ.

وَقَالَ الإِمَامُ سَهْلُ بْنُ مُحَمَّدٍ: هٰذَا التَّشْرِيفُ الَّذِي شَرَّفَ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مُحَمَّداً ﷺ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾ الآيَةَ[2] أَتَمُّ وَأَجْمَعُ مِنْ تَشْرِيفِ آدَمَ بِأَمْرِ الْمَلاَئِكَةِ بِالسُّجُودِ لَهُ، لأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللَّهُ تَعَالَى مَعَ الْمَلاَئِكَةِ فِي ذٰلِكَ التَّشْرِيفِ، فَتَشْرِيفٌ يَصْدُرُ عَنْهُ تَعَالَى وَعَنِ الْمَلاَئِكَةِ وَالْمُؤْمِنِينَ أَبْلَغُ مِنْ تَشْرِيفٍ تَخْتَصُّ بِهِ الْمَلاَئِكَةُ.

وَأَمَّا تَعْلِيمُ آدَمَ أَسْمَاءَ كُلِّ شَيْءٍ، فَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مُثِّلَتْ لِي أُمَّتِي فِي الْمَاءِ وَالطِّينِ، وَعُلِّمْتُ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا، كَمَا عُلِّمَ آدَمُ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا»** أَخْرَجَهُ الدَّيْلَمِيُّ[3] عَنْ أَبِي رَافِعٍ.

وَأَمَّا إِدْرِيسُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: فَرَفَعَهُ اللَّهُ مَكَاناً عَلِيّاً، وَأَعْطَى سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ الْمِعْرَاجَ، وَرُفِعَ إِلَى مَكَانٍ لَمْ يُرْفَعْ إِلَيْهِ غَيْرُهُ.

وَأَمَّا نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: فَنَجَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ مِنَ الْغَرَقِ، وَنَجَّاهُ مِنَ الْخَسْفِ، وَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّهُ لَمْ تَهْلِكْ أُمَّتُهُ بِعَذَابٍ مِنَ السَّمَاءِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْۚ﴾[4].

---

(١) الرازي.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٣) في مسند الفردوس.

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

وَفِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ: أَكْرَمَ اللّهُ نُوحاً بِأَنْ أَمْسَكَ سَفِينَتَهُ عَلَى الْمَاءِ وَفَعَلَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ أَعْظَمَ مِنْهُ، رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ عَلَى شَطِّ مَاءٍ، وَقَعَدَ عِكْرِمَةُ بْنُ أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ: إِنْ كُنْتَ صَادِقاً فَادْعُ ذٰلِكَ الْحَجَرَ الَّذِي فِي الْجَانِبِ الآخَرِ فَلْيَسْبَحْ وَلاَ يَغْرَقْ، فَأَشَارَ إِلَيْهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَانْقَلَعَ الْحَجَرُ مِنْ مَكَانِهِ، وَسَبَحَ حَتَّى صَارَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَشَهِدَ لَهُ بِالرِّسَالَةِ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**يَكْفِيكَ هٰذَا**»؟ فَقَالَ: حَتَّى يَرْجِعَ إِلَى مَكَانِهِ[١].

وَأَمَّا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: فَكَانَتْ عَلَيْهِ نَارُ نَمْرُوذَ بَرْداً وَسَلاَماً، فَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ نَظِيرَ ذٰلِكَ إِطْفَاءَ نَارِ الْحَرْبِ عَنْهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَنَاهِيكَ بِنَارٍ حَطَبُهَا السُّيُوفُ، وَوَهَجُهَا الْحُتُوفُ، وَمُوقِدُهَا الْحَسَدُ، وَمَطْلَبُهَا الرُّوحُ وَالْجَسَدُ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿**كُلَّمَآ أَوْقَدُواْ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ**﴾[٢]. وَرَوَى النَّسَائِيُّ: أَنَّ مُحَمَّدَ بْنَ حَاطِبٍ قَالَ: كُنْتُ طِفْلاً فَانْصَبَّتِ الْقِدْرُ عَلَيَّ، وَاحْتَرَقَ جِلْدِي كُلُّهُ، فَحَمَلَنِي أَبِي إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَتَفَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي جِلْدِي وَمَسَحَ بِيَدِهِ عَلَى الْمُحْتَرِقِ، وَقَالَ: «**أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ**»، فَصِرْتُ صَحِيحاً لاَ بَأْسَ بِي.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ مِنْ مَقَامِ الْخُلَّةِ: فَقَدْ أُعْطِيَهُ نَبِيُّنَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَزَادَ بِمَقَامِ الْمَحَبَّةِ، وَقَدْ رُوِيَ[٣] فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ أَنَّ الْخَلِيلَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا قِيلَ لَهُ: اتَّخَذَكَ اللّهُ خَلِيلاً فَاشْفَعْ لَنَا، قَالَ: إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، إِلَى أَنْ تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَيَقُولُ: «**أَنَا لَهَا، أَنَا لَهَا**»، وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ نَبِيَّنَا

---

(١) قال القسطلاني في المواهب: لم أره لغيره، والله أعلم بحاله.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٦٤.

(٣) عند مسلم ٣٢٩.

عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ خَلِيلاً مَعَ رَفْعِ الْحِجَابِ وَكَشْفِ الْغِطَاءِ، وَلَوْ كَانَ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ لاَعْتَذَرَ كَمَا اعْتَذَرَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ انْفِرَادُهُ فِي أَهْلِ الأَرْضِ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَتَوْحِيدِهِ وَكَسْرِ الأَصْنَامِ، وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا وَنَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ كَسْرَهَا بِقَضِيبٍ لَيْسَ مِمَّا يُكْسَرُ إِلاَّ بِقُدْرَةٍ إِلٰهِيَّةٍ حِينَمَا دَخَلَ مَكَّةَ، وَحَوْلَ الْبَيْتِ ثَلاثُ مِئَةٍ وَسِتُّونَ صَنَماً، فَجَعَلَ يَطْعَنُهَا بِعُودٍ فِي يَدِهِ وَيَقُولُ: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾[(١)] حَتَّى سَقَطَتْ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ الْخَلِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِنَاءُ الْبَيْتِ الْحَرَامِ، وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّ قُرَيْشاً لَمَّا بَنَتِ الْبَيْتَ بَعْدَ تَهَدُّمِهِ وَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ وَضْعُ الْحَجَرِ؛ تَنَافَسُوا عَلَى الْفَخْرِ، ثُمَّ اتَّفَقُوا عَلَى أَنْ يُحَكِّمُوا أَوَّلَ دَاخِلٍ، فَاتَّفَقَ دُخُولُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، فَقَالُوا: هٰذَا الأَمِينُ، فَحَكَّمُوهُ فِي ذٰلِكَ، فَأَمَرَ بِبَسْطِ ثَوْبٍ، وَوَضَعَ الْحَجَرَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**يَرْفَعُ كُلُّ بَطْنٍ بِطَرْفٍ**»، فَرَفَعُوهُ جَمِيعاً، ثُمَّ أَخَذَهُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ فَوَضَعَهُ فِي مَوْضِعِهِ، فَادَّخَرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ لِيَكُونَ مَنْقَبَةً لَهُ عَلَى مَدَى الأَيَّامِ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ قَلْبِ الْعَصَا حَيَّةً غَيْرَ نَاطِقَةٍ، فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ حَنِينَ الْجِذْعِ، وَقَدْ مَرَّتْ قِصَّتُهُ.

وَحَكَى الإِمَامُ الرَّازِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ وَغَيْرُهُ: أَنَّهُ لَمَّا أَرَادَ أَبُو جَهْلٍ أَنْ يَرْمِيَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالْحَجَرِ، رَأَى عَلَى كَتِفَيْهِ ثُعْبَانَيْنِ، فَانْصَرَفَ مَرْعُوباً[(٢)].

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٨١.

(٢) الذي في سيرة ابن هشام أنه رأىٰ فحلاً (جملاً ضخماً).

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الْيَدِ الْبَيْضَاءِ (وَكَانَ بَيَاضُهَا يُغْشِي الْبَصَرَ) فَأُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّهُ لَمْ يَزَلْ نُوراً يَنْتَقِلُ فِي أَصْلاَبِ الآبَاءِ وَبُطُونِ الأُمَّهَاتِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ إِلَى أَنِ انْتَقَلَ إِلَى عَبْدِاللَّهِ أَبِيهِ، وَأَعْطَى ﷺ قَتَادَةَ بْنَ النُّعْمَانِ ـ وَقَدْ صَلَّى مَعَهُ الْعِشَاءَ فِي لَيْلَةٍ مُظْلِمَةٍ مَطِيرَةٍ ـ عُرْجُوناً[1] وَقَالَ: «**انْطَلِقْ بِهِ، فَإِنَّهُ سَيُضِيءُ لَكَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْكَ عَشْراً، وَمِنْ خَلْفِكَ عَشْراً، فَإِذَا دَخَلْتَ بَيْتَكَ فَسَتَرَى سَوَاداً، فَاضْرِبْهُ حَتَّى يَخْرُجَ فَإِنَّهُ الشَّيْطَانُ**»، فَانْطَلَقَ فَأَضَاءَ لَهُ الْعُرْجُونُ حَتَّى دَخَلَ بَيْتَهُ وَوَجَدَ السَّوَادَ وَضَرَبَهُ حَتَّى خَرَجَ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ عَبَّادُ بْنُ بِشْرٍ وَأُسَيْدُ بْنُ حُضَيْرٍ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي حَاجَةٍ حَتَّى ذَهَبَ مِنَ اللَّيْلِ سَاعَةٌ، وَهِيَ لَيْلَةٌ شَدِيدَةُ الظُّلْمَةِ، ثُمَّ خَرَجَا وَبِيَدِ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَصاً، فَأَضَاءَتْ لَهُمَا عَصَا أَحَدِهِمَا، فَمَشَيَا فِي ضَوْئِهَا، حَتَّى إِذَا افْتَرَقَتْ بِهِمَا الطَّرِيقُ أَضَاءَتْ لِلآخَرِ عَصَاهُ، فَمَشَى كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا فِي ضَوْءِ عَصَاهُ، حَتَّى بَلَغَ هَدْيَهُ. وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِنَحْوِهِ فِي الصَّحِيحِ.

وَأَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ وَالْبَيْهَقِيُّ وَأَبُو نُعَيْمٍ عَنْ حَمْزَةَ الأَسْلَمِيِّ قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي سَفَرٍ، فَتَفَرَّقْنَا فِي لَيْلَةٍ ظَلْمَاءَ، فَأَضَاءَتْ أَصَابِعِي، حَتَّى جَمَعُوا عَلَيْهَا ظَهْرَهُمْ[2] وَمَا هَلَكَ[3] مِنْهُمْ، وَإِنَّ أَصَابِعِي لَتُنِيرُ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ انْفِلاَقُ الْبَحْرِ لَهُ، وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا ﷺ انْشِقَاقَ الْقَمَرِ، كَمَا مَرَّ، فَمُوسَى تَصَرَّفَ فِي عَالَمِ الأَرْضِ، وَسَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ تَصَرَّفَ فِي عَالَمِ السَّمَاءِ، وَالْفَرْقُ بَيْنَهُمَا وَاضِحٌ. قَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ:

---

(١) وهو ما يحمل التمر، وهو من النخل كالعنقود من العنب.

(٢) دوابهم.

(٣) ضاع.

وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ أَنَّ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ بَحراً يُسَمَّى الْمَكْفُوف يَكُونُ بَحْرُ الأَرْضِ بِالنِّسْبَةِ إِلَيْهِ كَالْقَطْرَةِ مِنَ الْبَحْرِ الْمُحِيطِ، قَالَ: فَعَلَى هٰذَا يَكُونُ ذٰلِكَ الْبَحْرُ انفَلَقَ لِنَبِيِّنَا ﷺ حَتَّى جَاوَزَهُ، يَعْنِي لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ، قَالَ: وَهٰذَا أَعْظَمُ مِنْ انفِلاَقِ الْبَحْرِ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِجَابَةُ دُعَائِهِ، وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ ذٰلِكَ مَا لاَ يُحْصَىٰ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ تَفْجِيرُ الْمَاءِ لَهُ مِنَ الْحِجَارَةِ، وَقَدْ أُعْطِي سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّ الْمَاءَ تَفَجَّرَ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِهِ، وَهٰذَا أَبْلَغُ، لأَنَّ الْحَجَرَ مِنْ جِنْسِ الأَرْضِ الَّتِي يَنْبَعُ مِنْهَا الْمَاءُ، وَلَمْ تَجْرِ الْعَادَةُ بِنَبْعِ الْمَاءِ مِنَ اللَّحْمِ.

وَمِمَّا أُعْطِيَهِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْكَلاَمُ، وَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِثْلَهُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ وَزِيَادَةَ الدُّنُوِّ أَيْضاً، وَكَانَ مَقَامُ الْمُنَاجَاةِ فِي حَقِّ نَبِيِّنَا ﷺ فَوْقَ السَّمَاوَاتِ الْعُلاَ وَسِدْرَةِ الْمُنْتَهى وَالْمُسْتَوَى وَحُجُبِ النُّورِ وَالرَّفْرَفِ(١)، وَمَقَامُ الْمُنَاجَاةِ لِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ طُورُ سِينَا.

وَمِمَّا أُعْطِيَهُ هَارُونُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَصَاحَةُ اللِّسَانِ، وَقَدْ كَانَ نَبِيُّنَا ﷺ مِنَ الْفَصَاحَةِ وَالْبَلاَغَةِ بِالْمَحَلِّ الأَفْضَلِ، وَالْمَوْضِعِ الَّذِي لاَ يُجْهَلُ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ شَطْرِ الْحُسْنِ: فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا ﷺ الْحُسْنَ كُلَّهُ. وَسَتَأْتِي الإِشَارَةُ إِلَى ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى فِي مَقْصِدِ الإِسْرَاءِ، وَمَنْ تَأَمَّلَ مَا نُقِلَ مِنْ صِفَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ تَبَيَّنَ لَهُ مِنْ ذٰلِكَ التَّفْضِيلِ التَّفْضِيلُ لَهُ عَلَى كُلِّ مَشْهُورٍ بِالْحُسْنِ فِي كُلِّ جِيلٍ.

---

(١) وهو بساط أخضر سدّ الأفق.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ يُوسُفُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ تَعْبِيرِ الرُّؤْيَا: فَالَّذِي نُقِلَ عَنْهُ مِنْ ذٰلِكَ ثَلاَثُ مَنَامَاتٍ: أَحَدُهَا: حِينَ رَأَى أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَباً وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ، وَالثَّانِي: مَنَامُ صَاحِبَيِ السِّجْنِ، وَالثَّالِثُ: مَنَامُ الْمَلِكِ. وَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِنْ ذٰلِكَ مَا لاَ يَدْخُلُهُ الْحَصْرُ، وَمَنْ تَصَفَّحَ الأَخْبَارَ وَتَتَبَّعَ الآثَارَ وَجَدَ مِنْ ذٰلِكَ الْعَجَبَ الْعُجَابَ. وَسَتَأْتِي نُبْذَةٌ مِنْ ذٰلِكَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى. اهـ

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ دَاوُدُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ تَلْيِينِ الْحَدِيدِ لَهُ فَكَانَ إِذَا مَسَحَ الْحَدِيدَ لاَنَ، فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا ﷺ أَنَّ الْعُودَ الْيَابِسَ اخْضَرَّ فِي يَدِهِ وَأَوْرَقَ. وَمَسَحَ ﷺ شَاةَ أُمِّ مَعْبَدٍ الْجَرْبَاءَ فَبَرَأَتْ وَدَرَّتْ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ سُلَيْمَانُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ كَلاَمِ الطَّيْرِ وَتَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ وَالرِّيحِ وَالْمُلْكِ الَّذِي لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنْ بَعْدِهِ: فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مِثْلَ ذٰلِكَ وَزِيَادَةً.

أَمَّا مَنْطِقُ الطَّيْرِ وَالْوَحْشِ: فَنَبِيُّنَا ﷺ كَلَّمَهُ الْحَجَرُ وَسَبَّحَ فِي كَفِّهِ الْحَصَى وَهُوَ جَمَادٌ، وَكَلَّمَهُ ذِرَاعُ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةُ، وَكَلَّمَهُ الظَّبْيُ، وَشَكَىٰ إِلَيْهِ الْبَعِيرُ.

وَرُوِيَ أَنَّ طَيْراً فُجِعَ بِوَلَدِهِ، فَجَعَلَ يُرَفْرِفُ عَلَى رَأْسِهِ ﷺ وَيُكَلِّمُهُ، فَيَقُولُ: «**أَيُّكُمْ فَجَعَ هٰذَا بِوَلَدِهِ؟**» فَقَالَ رَجُلٌ: أَنَا، فَقَالَ: «**ارْدُدْ وَلَدَهُ**». ذَكَرَهُ الرَّازِيُّ وَرَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. وَقِصَّةُ كَلاَمِ الذِّئْبِ مَشْهُورَةٌ[١].

وَأَمَّا الرِّيحُ الَّتِي كَانَتْ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ تَحْمِلُهُ حَيْثُ أَرَادَ مِنْ أَقْطَارِ الأَرْضِ: فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ الْبُرَاقَ الَّذِي هُوَ أَسْرَعُ مِنَ الرِّيحِ، بَلْ أَسْرَعُ مِنَ الْبَرْقِ الْخَاطِفِ، فَحَمَلَهُ مِنَ الْفَرْشِ إِلَى الْعَرْشِ، فِي

---

(١) وقد تقدمت ص٤٠١.

سَاعَةٍ زَمَانِيَّةٍ، وَأَقَلُّ مَسَافَةِ ذٰلِكَ سَبْعَةُ آلاَفِ سَنَةٍ، وَتِلْكَ مَسَافَةُ السَّمٰوَاتِ، وَأَمَّا إِلَى الْمُسْتَوَى وَإِلَى الرَّفْرَفِ[1] فَذٰلِكَ مَا لاَ يَعْلَمُهُ إِلاَّ اللَّهُ تَعَالَى، وَأَيْضاً فَالرِّيحُ سُخِّرَتْ لِسُلَيْمَانَ لِتَحْمِلَهُ إِلَى نَوَاحِي الأَرْضِ، وَنَبِيُّنَا زُوِيَتْ لَهُ الأَرْضُ - أَيْ: جُمِعَتْ - حَتَّى رَأَى مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَفَرْقٌ بَيْنَ مَنْ يَسْعَى إِلَى الأَرْضِ وَبَيْنَ مَنْ تَسْعَى لَهُ الأَرْضُ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنْ تَسْخِيرِ الشَّيَاطِينِ: فَقَدْ رُوِيَ أَنَّ شَيْطَاناً اعْتَرَضَ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ فَأَمْكَنَهُ اللَّهُ مِنْهُ، وَرَبَطَهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ[2]، وَخَيْرٌ مِمَّا أُوتِيَهُ سُلَيْمَانُ مِنْ ذٰلِكَ إِيمَانُ الْجِنِّ بِمُحَمَّدٍ ﷺ.

وَأَمَّا عَدُّ الْجِنِّ مِنْ جُنُودِ سُلَيْمَانَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ﴾[3]: فَخَيْرٌ مِنْهُ عَدُّ الْمَلاَئِكَةِ - جِبْرِيلَ وَمَنْ مَعَهُ - مِنْ جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِاعْتِبَارِ الْجِهَادِ، وَبِاعْتِبَارِ تَكْثِيرِ السَّوَادِ عَلَى طَرِيقِ الأَجْنَادِ.

وَأَمَّا عَدُّ الطَّيْرِ مِنْ جُمْلَةِ أَجْنَادِهِ: فَأَعْجَبُ مِنْهُ حَمَامَةُ الْغَارِ، وَتَوْكِيرُهَا فِي السَّاعَةِ الْوَاحِدَةِ، وَحِمَايَتُهَا لَهُ مِنْ عَدُوِّهِ، وَالْغَرَضُ مِنَ اسْتِكْثَارِ الْجُنْدِ إِنَّمَا هُوَ الْحِمَايَةُ، وَقَدْ حَصَلَتْ بِأَيْسَرِ شَيْءٍ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ مِنَ الْمُلْكِ: فَنَبِيُّنَا ﷺ خُيِّرَ بَيْنَ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا مَلِكاً أَوْ نَبِيًّا عَبْداً، فَاخْتَارَ ﷺ أَنْ يَكُونَ نَبِيًّا عَبْداً.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ إِبْرَاءِ الأَكْمَهِ وَالأَبْرَصِ

---

(١) وهو بساط أخضر سدّ الأفق.

(٢) والحديث في الصحيحين.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٧.

وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى: فَقَدْ أُعْطِيَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ أَنَّهُ رَدَّ الْعَيْنَ إِلَى مَكَانِهَا بَعْدَمَا سَقَطَتْ، فَعَادَتْ أَحْسَنَ مَا كَانَتْ.

وَفِي دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ لِلْبَيْهَقِيِّ قِصَّةُ الرَّجُلِ الَّذِي قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لاَ أُومِنُ بِكَ حَتَّى تُحْيِيَ لِي ابْنَتِي، فَأَتَى ﷺ قَبْرَهَا فَقَالَ: **«يَا فُلاَنَةُ!»** فَقَالَتْ: لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ! الْحَدِيثَ[1]. وَقَدْ سَبَّحَ الْحَصَى فِي كَفِّهِ ﷺ، وَحَنَّ الْجِذْعُ لِفِرَاقِهِ، وَذٰلِكَ أَبْلَغُ مِنْ تَكْلِيمِ الْمَوْتَى، لأَنَّ هٰذَا مِنْ جِنْسٍ مَا لاَ يَتَكَلَّمُ.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ أَنَّهُ كَانَ يَعْرِفُ مَا يُخْفِيهِ النَّاسُ فِي بُيُوتِهِمْ: فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا ﷺ مِنْ ذٰلِكَ مَا لاَ يُحْصَى، وَسَيَأْتِي مِنْهُ مَا يَكْفِي وَيَشْفِي إِنْ شَاءَ اللّٰهُ تَعَالَى.

وَأَمَّا مَا أُعْطِيَهُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ رَفْعِهِ إِلَى السَّمَاءِ: فَقَدْ أُعْطِيَ نَبِيُّنَا ﷺ ذٰلِكَ لَيْلَةَ الْمِعْرَاجِ، وَزَادَ فِي التَّرَقِّي لِمَزِيدِ الدَّرَجَاتِ، وَسَمَاعِ الْمُنَاجَاةِ، وَالْحُظْوَةُ فِي الْحَضْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ الْمُشَاهَدَاتِ.

وَقَدْ خُصَّ ﷺ مِنْ خَصَائِصِ التَّكْرِيمِ بِمَا لَمْ يُعْطَهُ أَحَدٌ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَقَدْ رَوَى جَابِرٌ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«أُعْطِيتُ خَمْساً لَمْ يُعْطَهُنَّ أَحَدٌ مِنْ قَبْلِي: كَانَ كُلُّ نَبِيٍّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ، وَأُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلِي، وَجُعِلَتْ لِي الأَرْضُ مَسْجِداً وَطَهُوراً فَأَيُّمَا رَجُلٍ مِنْ أُمَّتِي أَدْرَكَتْهُ الصَّلاَةُ فَلْيُصَلِّ حَيْثُ كَانَ، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ[2]: **«وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»**. وَفِي رِوَايَةِ الإِمَامِ أَحْمَدَ: **«وَأُعْطِيتُ الشَّفَاعَةَ، فَاخْتَرْتُهَا لأُمَّتِي، فَهِيَ لِمَنْ لاَ يُشْرِكُ بِاللّٰهِ شَيْئاً»**.

---

(١) وقد تقدم ص٤١٦.

(٢) للبخاري.

وَفِي حَدِيثِ مُسْلِمٍ زِيَادَةُ: «**أُعْطِيتُ جَوَامِعَ الْكَلِمِ، وَخُتِمَ بِيَ النَّبِيُّونَ**».

وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ لِمُسْلِمٍ زِيَادَةُ: «**جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ**».

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ خُزَيْمَةَ وَالنَّسَائِيِّ زِيَادَةُ: «**وَأُعْطِيتُ هٰذِهِ الآيَاتِ مِنْ آخِرِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ مِنْ كَنْزٍ تَحتَ الْعَرْشِ**»، يُشِيرُ إِلَى مَا حَطَّهُ اللّٰهُ عَنْ أُمَّتِهِ مِنَ الإِصْرِ، وَتَحْمِيلِ مَا لاَ طَاقَةَ لَهُمْ بِهِ، وَرَفْعِ الْخَطَأ وَالنِّسْيَانِ. (وَمَعْنَى الإِصْرِ: الأَمْرُ الثَّقِيلُ).

وَفِي حَدِيثٍ لأَحْمَدَ زِيَادَةُ: «**أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ الأَرْضِ، وَسُمِّيتُ أَحْمَدَ، وَجُعِلَتْ أُمَّتِي خَيْرَ الأُمَمِ**».

وَعِنْدَ الْبَزَّارِ زِيَادَةُ: «**غُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ، وَأُعْطِيتُ الْكَوْثَرَ، وَإِنَّ صَاحِبَكُمْ لَصَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ**».

وَلَهُ أَيْضاً زِيَادَةُ: «**كَانَ شَيْطَانِي كَافِراً، فَأَعَانَنِي اللّٰهُ عَلَيْهِ فَأَسْلَمَ**»[1].

وَيُمْكِنُ أَنْ يُوجَدَ أَكْثَرُ مِنْ ذٰلِكَ لِمَنْ أَمْعَنَ التَّتَبُّعَ.

وَذَكَرَ أَبُو سَعِيدٍ النَّيْسَابُورِيُّ فِي كِتَابِ شَرَفِ الْمُصْطَفَى: أَنَّ عَدَدَ الَّذِي خُصَّ بِهِ ﷺ سِتُّونَ خَصْلَةً.

وَذَكَرَ بَعْضُ الْعُلَمَاءِ: أَنَّهُ ﷺ أُوتِيَ ثَلاَثَةَ آلافِ مُعْجِزَةٍ وَخَصِيصِيَّةٍ[2].

أَمَّا خَصَائِصُهُ ﷺ: فَهِيَ عَلَى أَرْبَعَةِ أَقْسَامٍ:

الْقِسْمُ الأَوَّلُ: مَا اخْتَصَّ بِهِ ﷺ مِنَ الْوَاجِبَاتِ لِيَكُونَ أَجْرُهُ بِهَا أَعْظَمَ:

---

(١) وفي رواية مسلم ٢٨١٤: «فلا يأمرني إلا بخير». قال النووي: «فأسلَمُ» برفع الميم وفتحها، ورجح القاضي عياض الفتحَ، وهو المختار؛ لقوله ﷺ: «**فلا يأمرني إلا بخير**».

(٢) وتتبّع السيوطي هذه الخصائص عشرين سنة إلىٰ أن زادت علىٰ الألف، وجعلها في كتابه: (الخصائص النبوية).

فَاخْتَصَّ ﷺ بِوُجوبِ صَلاةِ الضُّحَى[1]، وَالْوِتْرِ، وَرَكْعَتَيِ الْفَجْرِ، وَصَلاةِ اللَّيْلِ[2]، وَالسِّوَاكِ، وَالأضْحِيَّةِ، وَالْمُشَاوَرَةِ، وَمُصَابَرَةِ الْعَدُوّ وَإِنْ كَثُرَ عَدَدُهُمْ، وَتَغْيِيرِ الْمُنْكَرِ إِذَا رَآهُ وَلاَ يَسْقُطُ بِالْخَوْفِ، وَقَضَاءِ دَيْنِ مَنْ مَاتَ مُسْلِماً مُعْسِراً، وَتَخْيِيرِ نِسَائِهِ فِي فِرَاقِهِ، وَإِمْسَاكِهِنَّ بَعْدَ أَنِ اخْتَرْنَهُ، وَتَرْكِ التَّزَوُّجِ عَلَيْهِنَّ وَالتَّبَدُّلِ بِهِنَّ مُكَافَأَةً لَهُنَّ (ثُمَّ نُسِخَ ذٰلِكَ لِتَكُونَ الْمِنَّةُ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَيْهِنَّ)، وَإِتْمَامِ كُلِّ تَطَوُّعٍ شَرَعَ فِيهِ، وَلُزُومِ أَدَاءِ فَرْضِ الصَّلاَةِ بِلاَ خَلَلٍ لاَ يُبْطِلُهَا، وَعَدَمِ سُقُوطِ الصَّوْمِ وَالصَّلاَةِ وَسَائِرِ الأَحْكَامِ عَنْهُ ﷺ حِينَمَا كَانَ يُؤْخَذُ عَنِ الدُّنْيَا حَالَةَ الْوَحْيِ، وَاسْتِغْفَارِهِ اللّهَ سَبْعِينَ مَرَّةً حِينَمَا كَانَ يُغَانُ عَلَى قَلْبِهِ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: مِئَةَ مَرَّةٍ. (وَالْمُرَادُ بِهٰذَا الْغَيْنِ عَلَى الْقَلْبِ سَهْوُهُ عَنْ مُدَاوَمَةِ الذِّكْرِ وَمُشَاهَدَةِ الْحَقِّ بِمَا كَانَ ﷺ دُفِعَ إِلَيْهِ مِنْ مُقَاسَاةِ الْبَشَرِ وَسِيَاسَةِ الأُمَّةِ. وَقِيلَ: غَيْرُ ذٰلِكَ).

وَعَنْ أَبِي الْحَسَنِ الشَّاذِلِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ فَسَأَلْتُهُ عَنْ هٰذَا الْحَدِيثِ: «**إِنَّهُ لَيُغَانُ عَلَى قَلْبِي**» فَقَالَ لِي: يَا مُبَارَكُ! ذٰلِكَ غَيْنُ الأَنْوَارِ لاَ غَيْنُ الأَغْيَارِ.

الْقِسْمُ الثَّانِي: فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ ﷺ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْهِ: فَاخْتَصَّ ﷺ بِتَحْرِيمِ الزَّكَاةِ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ، وَتَحْرِيمِ الصَّدَقَةِ عَلَيْهِ، وَتَحْرِيمِ مَا لَهُ رَائِحَةٌ كَرِيهَةٌ - كَثُومٍ وَبَصَلٍ لِتَوَقُّعِ مَجِيءِ الْمَلاَئِكَةِ وَالْوَحْيِ[3] -، وَتَحْرِيمِ الأَكْلِ مُتَّكِئاً، وَتَحْرِيمِ الْكِتَابَةِ وَالشِّعْرِ - أَيِ التَّوَصُّلِ إِلَيْهِمَا -، وَتَحْرِيمِ نَزْعِ لأْمَتِهِ - أَيْ: آلَةِ حَرْبِهِ - إِذَا لَبِسَهَا حَتَّى يُقَاتِلَ أَوْ يَحْكُمَ اللّهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَدُوِّهِ، وَتَحْرِيمِ الْمَنِّ

---

(١) لكن لم يثبت ذلك في خبر صحيح كما قال ابن حجر، بل بخبر ضعيف رواه الدارقطني وأحمد. انظر المواهب ٤/٢١٩.

(٢) ثم نسخت، وصار القيام تطوُّعاً.

(٣) والصحيح أن ذلك مكروه في حقه وليس بحرام، كما قال ابن كثير في (الفصول في سيرة الرسول)، ومثله الأكل متكئاً.

لِيَسْتَكْثِرَ. (قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَمْنُن تَسْتَكْثِرُ ۞﴾[1] أي: لاَ تُعْطِ شَيْئاً لِتُعْطَى أَكْثَرَ مِنْهُ، بَلْ أَعْطِ لِرَبِّكَ، وَاقْصِدْ بِهِ وَجْهَهُ)، وَتَحْرِيمِ مَدِّ الْعَيْنِ إِلَى مَا مُتِّعَ بِهِ النَّاسُ اسْتِحْسَاناً لَهُ وَتَمَنِّياً أَنْ يَكُونَ لَهُ مِثْلُهُ، وَتَحْرِيمِ خَائِنَةِ الأَعْيُنِ (وَهِيَ الإِيمَاءُ إِلَى مُبَاحٍ مِنْ قَتْلٍ أَوْ ضَرْبٍ عَلَى خِلاَفِ مَا يُشْعِرُ بِهِ الْحَالُ)، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ مَنْ لَمْ تُهَاجِرْ، وَتَحْرِيمِ إِمْسَاكِ مَنْ كَرِهَتْهُ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الْكِتَابِيَّةِ، وَتَحْرِيمِ نِكَاحِ الأَمَةِ الْمُسْلِمَةِ، وَتَحْرِيمِ الإِغَارَةِ إِذَا سَمِعَ التَّكْبِيرَ[2].

الْقِسْمُ الثَّالِثُ: فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ ﷺ مِنَ الْمُبَاحَاتِ: وَمُعْظَمُهَا لَمْ يَفْعَلْهُ ﷺ، فَاخْتَصَّ ﷺ بِإِبَاحَةِ الْمُكْثِ فِي الْمَسْجِدِ جُنُباً[3]، وَأَنَّهُ لاَ يَنْتَقِضُ وُضُوؤُهُ بِالنَّوْمِ مُضْطَجِعاً، وَنِكَاحِ أَكْثَرَ مِنْ أَرْبَعِ نِسْوَةٍ، وَالنِّكَاحِ فِي حَالِ الإِحْرَامِ[4]، وَالنِّكَاحِ بِغَيْرِ رِضَا الْمَرْأَةِ (فَلَوْ رَغِبَ فِي نِكَاحِ امْرَأَةٍ خَلِيَّةٍ لَزِمَهَا الإِجَابَةُ، وَحَرُمَ عَلَى غَيْرِهِ خِطْبَتُهَا)، وَالنِّكَاحِ بِلاَ وَلِيٍّ وَلاَ شُهُودٍ[5]، وَجَعْلِهِ عِتْقَ أَمَتِهِ صَفِيَّةَ صَدَاقَهَا، وَحِلِّ الْجَمْعِ بَيْنَ الْمَرْأَةِ وَعَمَّتِهَا وَخَالَتِهَا، وَأَنَّ لَهُ أَنْ يَصْطَفِيَ مَا شَاءَ مِنَ الْمَغْنَمِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مِنْ جَارِيَةٍ وَغَيْرِهَا، وَالْقِتَالِ بِمَكَّةَ وَالْقَتْلِ بِهَا، وَجَوَازِ دُخُولِ مَكَّةَ بِغَيْرِ إِحْرَامٍ، وَأَنَّهُ يَقْضِي بِعِلْمِهِ وَيَقْضِي لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ، وَيَشْهَدُ لِنَفْسِهِ وَلِوَلَدِهِ، وَلاَ يُكْرَهُ لَهُ الْفَتْوَى وَالْقَضَاءُ فِي حَالِ الْغَضَبِ لأَنَّهُ لاَ يَقُولُ فِي الْغَضَبِ إِلاَّ كَمَا يَقُولُ فِي الرِّضَا، وَأَنَّهُ يَدْعُو لِمَنْ

---

(١) سورة المدثر، الآية: ٦.

(٢) لخبر الصحيحين عن أنس رضي الله عنه: «كان ﷺ إذا غزا قوماً لم يُغِر حتىٰ يصبح وينظر، فإن سمع أذاناً كفّ عنهم، وإن لم يسمع أذاناً أغار عليهم» وتُعُقِّب بأنه ليس في الحديث ما يصرّح بل ولا ما يلوّح بأنه من خصائصه ﷺ.

(٣) لكن لم يثبت أن ذلك من خصائصه ﷺ، كما قال ابن كثير في (الفصول).

(٤) وقد وهم في ذلك ابن عباس لانفراده به عن رواة الحديث. انظر التاج لمنصور ناصف ١١٧/٢.

(٥) لحديث زينب بنت جحش: أنها كانت تفخر علىٰ أزواج النبي ﷺ وتقول: «زوّجكن أهاليكن، وزوجني الله من فوق سبع سماوات». رواه البخاري (٧٤٢٠).

شَاءَ بِلَفْظِ الصَّلاَةِ وَلَيْسَ لَنَا أَنْ نُصَلِّيَ إِلاَّ عَلَى نَبِيٍّ أَوْ مَلَكٍ، وَكَانَ ﷺ يُقْطِعُ الأَرْضَ قَبْلَ فَتْحِهَا لأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مَلَّكَهُ الأَرْضَ كُلَّهَا (وَأَفْتَى الْغَزَالِيُّ بِكُفْرِ مَنْ عَارَضَ أَوْلاَدَ تَمِيمِ الدَّارِيِّ فِيمَا أَقْطَعَهُمُ النَّبِيُّ ﷺ، وَقَالَ: إِنَّهُ ﷺ كَانَ يُقْطِعُ أَرْضَ الْجَنَّةِ[١]، فَأَرْضُ الدُّنْيَا أَوْلَى).

الْقِسْمُ الرَّابِعُ فِيمَا اخْتَصَّ بِهِ ﷺ مِنَ الْفَضَائِلِ وَالْكَرَامَاتِ: اخْتَصَّ ﷺ بِأَنَّهُ أَوَّلُ النَّبِيِّينَ خَلْقاً، وَأَنَّهُ كَانَ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ[٢]. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٣].

وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أُخِذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقُ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ قَالَ: بَلَى يَوْمَ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ. رَوَاهُ الْقَطَّانُ[٤].

وَأَنَّ آدَمَ وَجَمِيعَ الْمَخْلُوقَاتِ خُلِقُوا لأَجْلِهِ[٥]. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ كَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعَلَى كُلِّ سَمَاءٍ، وَعَلَى الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا. رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَىٰ أَخَذَ الْمِيثَاقَ عَلَى النَّبِيِّينَ آدَمَ فَمَنْ بَعْدَهُ أَنْ يُؤْمِنُوا بِهِ وَيَنْصُرُوهُ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ﴾[٦].

وَأَنَّهُ وَقَعَ التَّبْشِيرُ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ فِي نَسَبِهِ مِنْ لَدُنْ آدَمَ سِفَاحٌ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[٧].

---

(١) والمقصود: أنه بشَّر بعض أصحابه بالجنة.

(٢) أي: قبل تعلُّق روحه بجسده.

(٣) بسند حسن صحيح غريب.

(٤) في جزء من أماليه بسند ضعيف.

(٥) يشير إلىٰ ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧] ولا بد لتحقيق هذه الرحمة من وجود العالمين.

(٦) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٧) كالطبراني في الأوسط، وأبو نُعيم في الدلائل.

وَأَنَّهُ نُكِّسَتِ الأَصْنَامُ لِمَوْلِدِهِ. رَوَاهُ الْخَرَائِطِيُّ[١] وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّهُ وُلِدَ مَخْتُوناً مَقْطُوعَ السُّرَّةِ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَأَنَّهُ خَرَجَ نَظِيفاً مَا بِهِ قَذَرٌ. رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ.

وَأَنَّهُ وَقَعَ عَلَى الأَرْضِ سَاجِداً، رَافِعاً إِصْبَعَيْهِ كَالْمُتَضَرِّعِ الْمُبْتَهِلِ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَأَنَّهُ رَأَتْ أُمُّهُ عِنْدَ وِلاَدَتِهِ نُوراً خَرَجَ مِنْهَا أَضَاءَ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَأَنَّ مَهْدَهُ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّكُ بِتَحْرِيكِ الْمَلاَئِكَةِ. ذَكَرَهُ ابْنُ سَبُعٍ فِي الْخَصَائِصِ.

وَأَنَّ الْقَمَرَ كَانَ يُحَدِّثُهُ وَهُوَ فِي مَهْدِهِ، وَيَمِيلُ حَيْثُ أَشَارَ إِلَيْهِ. رَوَاهُ صَاحِبُ النُّطْقِ الْمَفْهُومِ[٢].

وَأَنَّهُ تَكَلَّمَ فِي الْمَهْدِ. رَوَاهُ الْوَاقِدِيُّ وَغَيْرُهُ[٣].

وَأَنَّهُ ظَلَّلَتْهُ الْغَمَامَةُ فِي الْمَحَرِّ[٤]. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ[٥].

وَأَنَّهُ مَالَ إِلَيْهِ فَيْءُ الشَّجَرَةِ إِذَا سُبِقَ إِلَيْهِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَأَنَّهُ شُقَّ صَدْرُهُ الشَّرِيفُ ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّهُ غَطَّهُ جِبْرِيلُ عِنْدَ ابْتِدَاءِ الْوَحْيِ ثَلاَثَ غَطَّاتٍ.

---

(١) في الهواتف.

(٢) وهو ابن طغر بك.

(٣) كابن سَبُع.

(٤) وقت الحَرّ، وفي نسخة المواهب: في الحَرّ.

(٥) كالبيهقي.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَكَرَهُ فِي الْقُرْآنِ عُضواً عُضواً، فَذَكَرَ قَلْبَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾[1]، وَقَوْلِهِ: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[2]، وَلِسَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾﴾[3]، وَقَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ﴾[4]، وَبَصَرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾[5]، وَوَجْهَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِى ٱلسَّمَآءِ﴾[6]، وَيَدَهُ وَعُنُقَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ﴾[7]، وَظَهْرَهُ وَصَدْرَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾﴾[8] وَأَنَّهُ اشْتَقَّ اسْمَهُ مِنِ اسْمِ اللَّهِ الْمَحْمُودِ، قَالَ حَسَّانُ:

وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ، وَهٰذَا مُحَمَّدُ

وَأَنَّهُ سُمِّيَ أَحْمَدَ، وَلَمْ يُسَمَّ بِهِ أَحَدٌ قَبْلَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يَبِيتُ جَائِعاً، وَيُصْبِحُ طَاعِماً، يُطْعِمُهُ رَبُّهُ وَيَسْقِيهِ.

وَأَنَّهُ كَانَ يَرَى مَنْ خَلْفَهُ، كَمَا يَرَى مَنْ أَمَامَهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَأَنَّهُ كَانَ يَرَىٰ فِي اللَّيْلِ فِي الظُّلْمَةِ كَمَا يَرَى بِالنَّهَارِ وَالضَّوْءِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَأَنَّ رِيقَهُ كَانَ يُعْذِبُ الْمَاءَ الْمِلْحَ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

---

(١) سورة النجم، الآية: ١١.
(٢) سورة الشعراء، الآية: ١٩٣.
(٣) سورة النجم، الآية: ٣.
(٤) سورة مريم، الآية: ٩٧.
(٥) سورة النجم، الآية: ١٧.
(٦) سورة البقرة، الآية: ١٤٤.
(٧) سورة الإسراء، الآية: ٢٩.
(٨) سورة الشرح، الآيات: ١ ـ ٣.

وَأَنَّ رِيقَهُ كَانَ يَجْزِي الرَّضِيع. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا مَشَى فِي الصَّخْرِ غَاصَتْ قَدَمَاهُ فِيهِ.

وَأَنَّ إِبْطَهُ ﷺ لاَ شَعَرَ عَلَيْهِ. قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

وَكَانَ أَبْيَضَ غَيْرَ مُتَغَيِّرِ اللَّوْنِ. كَمَا ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَبْلُغُ صَوْتُهُ وَسَمْعُهُ مَا لاَ يَبْلُغُ صَوْتُ غَيْرِهِ وَلاَ سَمْعُهُ.

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ تَنَامُ عَيْنُهُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَأَنَّهُ مَا تَثَاءَبَ قَطُّ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ وَغَيْرُهُ(١). وَأَخْرَجَ الْخَطَّابِيُّ: مَا تَثَاءَبَ نَبِيٌّ قَطُّ.

وَأَنَّهُ ﷺ مَا احْتَلَمَ قَطُّ، وَكَذٰلِكَ الأَنْبِيَاءُ. رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَأَنَّ عَرَقَهُ ﷺ كَانَ أَطْيَبَ مِنَ الْمِسْكِ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّهُ إِذَا مَشَى مَعَ الطَّوِيلِ طَالَهُ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ لَهُ ظِلٌّ عَلَى الأَرْضِ، وَلاَ رُئِيَ لَهُ ظِلٌّ فِي شَمْسٍ وَلاَ قَمَرٍ(٢)، لأَنَّهُ نُورٌ ﷺ.

وَأَنَّهُ لَمْ يَقَعْ عَلَى ثِيَابِهِ ذُبَابٌ قَطُّ، وَأَنَّهُ لاَ يَمْتَصُّ دَمَهُ الْبَعُوضُ. قَالَهُمَا الْفَخْرُ الرَّازِيُّ.

وَأَنَّهُ مَا آذَاهُ الْقَمْلُ. قَالَهُ ابْنُ سَبُعٍ(٣) وَغَيْرُهُ(٤).

وَأَنَّ الْكَهَنَةَ انْقَطَعُوا عِنْدَ مَبْعَثِهِ ﷺ، كَمَا انْقَطَعَ اسْتِرَاقُ السَّمْعِ.

---

(١) كالبخاري في تاريخه.

(٢) رواه الحكيم الترمذي مرسلاً.

(٣) في (شفاء الصدور في أعلام نبوة الرسول ﷺ وخصائصه).

(٤) كالسبتي في (أعذب الموارد).

وَأَنَّهُ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ مُسْرَجاً مُلْجَماً، قِيلَ: وَكَانَتِ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ تَرْكَبُهُ عُرْيَاناً.

وَأَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ ﷺ مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى، وَعُرِجَ بِهِ إِلَى الْمَحَلِّ الأَعْلَى، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ الْكُبْرَى، وَحَفِظَهُ فِي الْمِعْرَاجِ حَتَّى مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى، وَأَحْضَرَ الأَنْبِيَاءَ لَهُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَصَلَّى بِهِمْ وَبِالْمَلاَئِكَةِ إِمَاماً، وَأَطْلَعَهُ عَلَى الْجَنَّةِ وَالنَّارِ[1]، وَأَنَّهُ رَأَى اللَّهَ تَعَالَى بِعَيْنَيْهِ، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْكَلاَمِ وَالرُّؤْيَةِ، وَكَلَّمَهُ تَعَالَى فِي الرَّفِيعِ الأَعْلَى[2] وَكَلَّمَ مُوسَى بِالْجَبَلِ.

وَأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تَسِيرُ مَعَهُ حَيْثُ سَارَ يَمْشُونَ خَلْفَ ظَهْرِهِ، وَقَاتَلَتْ مَعَهُ، كَمَا مَرَّ فِي غَزْوَةِ بَدْرٍ وحُنَيْنٍ[3]. اهـ

وَأَنَّهُ يَجِبُ عَلَيْنَا أَنْ نُصَلِّيَ وَنُسَلِّمَ عَلَيْهِ ﷺ لآيَةِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾[4].

وَأَنَّهُ أُوتِيَ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ وَهُوَ أُمِّيٌّ لاَ يَقْرَأُ وَلاَ يَكْتُبُ، وَلاَ اشْتَغَلَ بِمُدَارَسَةٍ.

وَأَنَّ اللَّهَ حَفِظَ كِتَابَهُ الْمُنَزَّلَ عَلَيْهِ ـ وَهُوَ الْقُرْآنُ ـ مِنَ التَّبْدِيلِ وَالتَّحْرِيفِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾﴾[5]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾﴾[6] ـ أَيْ: مِنَ التَّحْرِيفِ وَالزِّيَادَةِ وَالنُّقْصَانِ ـ، فَلَوْ حَاوَلَ أَحَدٌ أَنْ يُغَيِّرَهُ

---

(١) كما رواه البيهقي.

(٢) وهم الملائكة.

(٣) بل نزلت في حُنَيْن لتثبيت المؤمنين وتجبين الكافرين، ولم تقاتل إلا يوم بدر.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٥) سورة فُصّلت، الآية: ٤٢.

(٦) سورة الحِجر، الآية: ٩.

بِحَرْفٍ أَوْ نُقْطَةٍ لَقَالَ لَهُ أَهْلُ الدُّنْيَا: هٰذَا كَذَّابٌ، حَتَّى إِنَّ الشَّيْخَ الْمَهِيبَ لَوِ اتَّفَقَ لَهُ تَغْيِيرٌ فِي حَرْفٍ مِنْهُ لَقَالَ الصِّبْيَانُ كُلُّهُمْ: أَخْطَأْتَ أَيُّهَا الشَّيْخُ، وَصَوَابُهُ كَذَا، وَلَمْ يَتَّفِقْ ذٰلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ الْكُتُبِ، فَإِنَّهُ لاَ كِتَابَ إِلاَّ وَقَدْ دَخَلَهُ التَّصْحِيفُ وَالتَّحْرِيفُ وَالتَّغْيِيرُ سِوَاهُ، مَعَ أَنَّ دَوَاعِيَ الْمُلْحِدَةِ وَالْيَهُودِ وَالنَّصَارَى مُتَوَفِّرَةٌ عَلَى إِبْطَالِهِ وَإِفْسَادِهِ.

وَأَنَّ كِتَابَهُ يَشْتَمِلُ عَلَى مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ جَمِيعُ الْكُتُبِ.

وَأَنَّهُ تَعَالَىٰ يَسَّرَ حِفْظَهُ لِمُتَعَلِّمِيهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ﴾[1]، فَحِفْظُهُ مُيَسَّرٌ لِلْغِلْمَانِ فِي أَقْرَبِ مُدَّةٍ، وَسَائِرُ الأُمَمِ لاَ يَحْفَظُ كُتُبَهَا الْوَاحِدُ مِنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْجَمِّ الْغَفِيرِ؟

وَأَنَّهُ أُنْزِلَ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ تَسْهِيلاً عَلَيْنَا وَتَيْسِيراً، وَأَنَّهُ آيَةٌ بَاقِيَةٌ مَا بَقِيَت الدُّنْيَا، وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خُصَّ بِآيَةِ الْكُرْسِيِّ، وَبِالْمُفَصَّلِ، وَبِالْمَثَانِي، وَبِالسَّبْعِ الطِّوَالِ. أَمَّا الْمُفَصَّلُ: فَآخِرُهُ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١﴾ وَفِي أَوَّلِهِ خِلاَفٌ، وَرَجَّحَ النَّوَوِيُّ أَنَّهُ سُورَةُ الْحُجُرَاتِ. وَالْمَثَانِي: هِيَ سُورَةُ الْفَاتِحَةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. وَالسَّبْعُ الطِّوَالُ: أَوَّلُهَا الْبَقَرَةُ وَآخِرُهَا الأَنْفَالُ.

وَأَنَّهُ ﷺ أُعْطِيَ مَفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ[2] (قَالَ بَعْضُهُمْ: وَهِيَ خَزَائِنُ أَجْنَاسِ الْعَالَمِ) لِيُخْرِجَ لَهُمْ بِقَدْرِ مَا يَطْلُبُونَهُ لِذَوَاتِهِمْ، فَكُلُّ مَا ظَهَرَ مِنْ رِزْقِ الْعَالَمِ فَإِنَّ الاسْمَ الإِلٰهِيَّ لاَ يُعْطِيهِ إِلاَّ عَنْ يَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَفَاتِيحُ، كَمَا اخْتَصَّ تَعَالَى بِمَفَاتِيحِ الْغَيْبِ فَلاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ، وَأَعْطَى هٰذَا السَّيِّدَ الْكَرِيمَ مَنْزِلَةَ الاخْتِصَاصِ بِإِعْطَائِهِ مَفَاتِيحَ الْخَزَائِنِ.

---

(١) سورة القمر، الآية: ١٧.

(٢) رواه البخاري ١٣٤٤.

وَأَنَّهُ ﷺ أُوتِيَ جَوَامِعَ الْكَلِمِ.

وَأَنَّهُ ﷺ بُعِثَ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً، فَقَدْ جَاءَ فِي حَدِيثِ جَابِرٍ وَغَيْرِهِ[1] عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: **«كَانَ النَّبِيُّ يُبْعَثُ إِلَى قَوْمِهِ خَاصَّةً، وَبُعِثْتُ إِلَى كُلِّ أَحْمَرَ وَأَسْوَدَ»** وَفِي رِوَايَةٍ: **«إِلَى النَّاسِ كَافَّةً»**، وَنَصْرِهِ ﷺ بِالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهْرٍ، وَإِحْلاَلِ الْغَنَائِمِ وَلَمْ تَحِلَّ لأَحَدٍ قَبْلَهُ، وَجَعْلِ الأَرْضِ لَهُ وَلأُمَّتِهِ مَسْجِداً وَطَهُوراً.

وَأَنَّ مُعْجِزَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُسْتَمِرَّةٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَمُعْجِزَاتُ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ انْقَرَضَتْ لِوَقْتِهَا، فَلَمْ يَبْقَ إِلاَّ خَبَرُهَا، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ لَمْ تَزَلْ حُجَّتُهُ قَاهِرَةً، وَمُعَارَضَتُهُ مُمْتَنِعَةً.

وَأَنَّهُ ﷺ أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ مُعْجِزَةً.

وَأَنَّهُ ﷺ خَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ.

وَأَنَّ شَرْعَهُ مُؤَيَّدٌ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ، وَنَاسِخٌ لِجَمِيعِ شَرَائِعِ النَّبِيِّينَ، وَأَنَّهُ ﷺ أَكْثَرُ الأَنْبِيَاءِ تَابِعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ[2].

وَأَنَّهُ ﷺ لَوْ أَدْرَكَهُ الأَنْبِيَاءُ لَوَجَبَ عَلَيْهِمُ اتِّبَاعُهُ.

وَأَنَّهُ ﷺ أُرْسِلَ إِلَى الْجِنِّ اتِّفَاقاً، وَأَنَّهُ ﷺ أُرْسِلَ إِلَى الْمَلاَئِكَةِ فِي أَحَدِ الْقَوْلَيْنِ[3]، وَرَجَّحَهُ السُّبْكِيُّ.

وَأَنَّهُ ﷺ أُرْسِلَ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ.

وَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى خَاطَبَ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ بِأَسْمَائِهِمْ فِي الْقُرْآنِ فَقَالَ: يَا

---

(١) أخرجه الشيخان.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) وإرساله للملائكة إرسال تشريف لا تكليف.

آدَمُ، يَا نُوحُ، يَا إِبْرَاهِيمُ، يَا دَاوُدُ، يَا زَكَرِيَّا، يَا يَحْيَى، يَا عِيسَى، وَلَمْ يُخَاطِبْهُ هُوَ فِيهِ إِلاَّ بِـ: يا أَيُّهَا الرَّسُولُ، يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ، يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ، يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ.

وَأَنَّهُ ﷺ حَرُمَ عَلَى أُمَّتِهِ نِدَاؤُهُ بِاسْمِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا﴾[1]، أَيْ: لاَ تَجْعَلُوا نِدَاءَهُ وَتَسْمِيَتَهُ كَنِدَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً بِاسْمِهِ وَرَفْعِ الصَّوْتِ بِهِ، وَلَكِنْ قُولُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَا نَبِيَّ اللَّهِ! مَعَ التَّوْقِيرِ وَالتَّوَاضُعِ وَخَفْضِ الصَّوْتِ.

وَأَنَّهُ ﷺ يَحْرُمُ الْجَهْرُ لَهُ بِالْقَوْلِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٢﴾[2].

وَأَنَّهُ ﷺ يَحْرُمُ نِدَاؤُهُ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝٤ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ﴾[3].

وَأَنَّهُ ﷺ حَبِيبُ اللَّهِ تَعَالَى، وَجَمَعَ لَهُ بَيْنَ الْمَحَبَّةِ وَالْخُلَّةِ.

وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ عَلَى رِسَالَتِهِ، وَبِحَيَاتِهِ، وَبِبَلَدِهِ، وَعَصْرِهِ.

وَأَنَّهُ ﷺ كُلِّمَ بِجَمِيعِ أَصْنَافِ الْوَحْيِ.

وَأَنَّهُ ﷺ هَبَطَ عَلَيْهِ إِسْرَافِيلُ، وَلَمْ يَهْبِطْ عَلَى نَبِيٍّ قَبْلَهُ. أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لَقَدْ هَبَطَ عَلَيَّ مَلَكٌ مِنَ السَّمَاءِ مَا هَبَطَ عَلَى نَبِيٍّ قَبْلِي، وَلاَ يَهْبِطُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدِي، وَهُوَ**

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٣.

(٢) سورة الحجرات، الآية: ٢.

(٣) سورة الحجرات، الآيتان: ٤، ٥.

إِسْرَافِيلُ، فَقَالَ: أَنَا رَسُولُ رَبِّكَ إِلَيْكَ، أَمَرَنِي أَنْ أُخَيِّرَكَ إِنْ شِئْتَ نَبِيًّا عَبْداً، وَإِنْ شِئْتَ نَبِيًّا مَلِكاً، فَنَظَرْتُ إِلَى جِبْرِيلَ، فَأَوْمَأَ إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعْ، فَلَوْ أَنِّي قُلْتُ: نَبِيًّا مَلِكاً لَصَارَتِ الْجِبَالُ مَعِي ذَهَباً».

وَأَنَّهُ ﷺ سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ بِلَفْظِ: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ».

وَأَنَّهُ ﷺ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]، قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: جَمِيعَ مَا فَرَطَ مِنْكَ مِمَّا يَصِحُّ أَنْ تُعَاتَبَ عَلَيْهِ.

وَأَنَّهُ ﷺ أَكْرَمُ الْخَلْقِ عَلَى اللَّهِ، فَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ كُلِّ الْمُرْسَلِينَ وَجَمِيعِ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ.

وَأَنَّهُ ﷺ أَسْلَمَ قَرِينُهُ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَأَنَّهُ ﷺ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْخَطَأُ وَلاَ النِّسْيَانُ[2].

وَأَنَّ الْمَيِّتَ يُسْأَلُ عَنْهُ ﷺ فِي قَبْرِهِ.

وَأَنَّهُ ﷺ حَرُمَ نِكَاحُ أَزْوَاجِهِ مِنْ بَعْدِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾[3]، أَيْ: هُنَّ فِي الْحُرْمَةِ كَالأُمَّهَاتِ، حَرُمَ نِكَاحُهُنَّ عَلَيْهِمْ بَعْدَهُ تَكْرِمَةً لَهُ وخُصُوصِيَّةً.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.

(٢) وما وقع للنبي ﷺ من السهو في الصلاة كان للتشريع. قال ﷺ: «إنما أُنسَّى ليُستَنَّ بي» رواه مالك في الموطأ في كتاب السهو ١/١٠٠، وهو أحد الأحاديث الأربعة التي لا توجد في غير الموطأ مسندة ولا مرسلة. قال الزرقاني: وما وقع في فتح الباري أنه لا أصل له ليس معناه أنه موضوع، لا سيما من مالك، لأن البلاغ من أقسام الضعيف.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦.

وَأَنَّهُ يَحْرُمُ رُؤْيَةُ أَشْخَاصِ أَزْوَاجِهِ فِي الأُزُرِ[١]، وَكَذَا كَشْفُ وُجُوهِهِنَّ وَأَكُفِّهِنَّ لِلشَّهَادَةِ وَغَيْرِهَا.

وَأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يُقْسَمَ عَلَى اللَّهِ بِهِ ﷺ[٢]، وَلَيْسَ ذَلِكَ لِغَيْرِهِ مِنَ الأَنْبِيَاءِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَالأَوْلِيَاءِ.

وَأَنَّ أَوْلاَدَ بَنَاتِهِ ﷺ يُنْسَبُونَ إِلَيْهِ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الْحَسَنِ: **«إِنَّ ابْنِي هٰذَا سَيِّدٌ»**[٣].

وَأَنَّ كُلَّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ مُنْقَطِعٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبَهُ وَنَسَبَهُ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«كُلُّ سَبَبٍ وَنَسَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِلاَّ سَبَبِي وَنَسَبِي»**[٤]، وَالنَّسَبُ بِالْوِلاَدَةِ، وَالسَّبَبُ بِالزَّوَاجِ.

وَأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ التَّزَوُّجُ عَلَى بَنَاتِهِ، لأَنَّ ذَلِكَ يُؤْذِيهِ، وَأَذِيَّتُهُ ﷺ حَرَامٌ بِالاتِّفَاقِ، فَعَنِ الْمِسْوَرِ بْنِ مَخْرَمَةَ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ خَطَبَ بِنْتَ أَبِي جَهْلٍ وَعِنْدَهُ فَاطِمَةُ بِنْتُ النَّبِيِّ ﷺ، فَلَمَّا سَمِعَتْ بِذٰلِكَ فَاطِمَةُ أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ قَوْمَكَ يَتَحَدَّثُونَ أَنَّكَ لاَ تَغْضَبُ لِبَنَاتِكَ، وَهٰذَا عَلِيٌّ نَاكِحٌ ابْنَةَ أَبِي جَهْلٍ، قَالَ الْمِسْوَرُ: فَقَامَ النَّبِيُّ ﷺ فَسَمِعْتُهُ حِينَ تَشَهَّدَ قَالَ:

---

(١) الثياب.

(٢) لحديث: **«مَن قال حين يخرج إلىٰ الصلاة: اللهم إني أسألك بحق السائلين عليك، وبحق ممشاي هذا إليك، فإني لم أخرج أشراً ولا بطراً ولا رياءً ولا سمعةً، خرجتُ اتّقاء سخطك وابتغاء مرضاتك، فأسألك أن تنقذني من النار، وأن تغفر لي ذنوبي، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت»** رواه ابن السنّي ٨٤، قال الحافظ: حديث حسن أخرجه أحمد، وابن ماجه، وابن خزيمة، وأبو نُعيم، وقال: عجبت للنووي كيف اقتصر علىٰ رواية بلال (وهي ضعيفة) دون أبي سعيد، وعَزْوِ رواية أبي سعيد لابن السني دون ابن ماجه وغيره. اهـ. الفتوحات الربانية علىٰ الأذكار النووية ٢/٤٠ ـ ٤١.

(٣) رواه الشيخان.

(٤) رواه الطبراني والبيهقي والحاكم وصححه، وقال الذهبي: بل منقطع، وقال الهيثمي: رجاله ثقات.

«أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي أَنْكَحْتُ أَبَا الْعَاصِ بْنَ الرَّبِيعِ فَحَدَّثَنِي فَصَدَقَنِي، وَإِنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَإِنَّمَا أَكْرَهُ أَنْ يَفْتِنُوهَا[1]**، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ لاَ تَجْتَمِعُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ وَبِنْتُ عَدُوِّ اللَّهِ عِنْدَ رَجُلٍ وَاحِدٍ أَبَداً»** قَالَ: فَتَرَكَ عَلِيٌّ الْخِطْبَةَ. أَخْرَجَهُ الشَّيْخَانِ. وَفِي رِوَايَةٍ لَهُمَا عَنِ الْمِسْوَرِ أَيْضاً: **«فَإِنَّ ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيبُنِي مَا رَابَهَا، وَيُؤْذِينِي مَا آذَاهَا»**[2].

وَأَنَّهُ ﷺ لاَ يَجْتَهِدُ أَحَدٌ فِي مِحْرَابٍ صَلَّى إِلَيْهِ ﷺ يَمْنَةً وَلاَ يَسْرَةً.

وَأَنَّهُ ﷺ مَنْ رَآهُ بِالْمَنَامِ فَقَدْ رَآهُ حَقًّا، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لاَ يَتَمَثَّلُ بِهِ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: **«مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَسَيَرَانِي فِي الْيَقْظَةِ، أَوْ: فَكَأَنَّمَا رَآنِي فِي الْيَقَظَةِ، وَلاَ يَتَمَثَّلُ الشَّيْطَانُ بِي»** وَفِي رِوَايَةِ أَبِي قَتَادَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ أَيْضاً: **«مَنْ رَآنِي فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ»**، وَلَهُ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: **«مَنْ رَآنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَآنِي، فَإِنَّهُ لاَ يَنْبَغِي لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَتَشَبَّهَ بِي»**.

وَأَنَّ التَّسَمِّيَ بِاسْمِهِ نَافِعٌ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«يُوقَفُ عَبْدَانِ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ تَعَالَى فَيُؤْمَرُ بِهِمَا إِلَى الْجَنَّةِ، فَيَقُولاَنِ: رَبَّنَا بِمَ اسْتَأْهَلْنَا الْجَنَّةَ وَلَمْ نَعْمَلْ عَمَلاً تُجَازِينَا بِهِ الْجَنَّةَ؟ فَيَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: ادْخُلاَ الْجَنَّةَ، فَإِنِّي آلَيْتُ عَلَى نَفْسِي أَنْ لاَ يَدْخُلَ النَّارَ مَنِ اسْمُهُ أَحْمَدُ وَلاَ مُحَمَّدٌ»**[3]. وَرَوَى أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ نُبَيْطِ بْنِ شَرِيطٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي! لاَ أُعَذِّبُ أَحَداً تَسَمَّى بِاسْمِكَ فِي النَّارِ»**.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا مِنْ مَائِدَةٍ وُضِعَتْ

---

(١) تتمة الحديث: **«وإني لست أحرّم حلالاً، ولا أُحِل حراماً، ولكن والله لا تجتمع...»**.

(٢) وفي رواية: أن عليًا استأذن النبي ﷺ فقال: **«لا آذن ـ ثلاثاً ـ إلا أن يريد ابن أبي طالب أن يطلّق ابنتي وينكح ابنتهم»**.

(٣) رواه الحافظ ابن طاهر السلفي، كما في فيض القدير ٧٩٣٢.

فَحَضَرَ عَلَيْهَا مَنِ اسْمُهُ أَحْمَدُ أَوْ مُحَمَّدٌ إِلاَّ قَدَّسَ اللَّهُ ذٰلِكَ الْمَنْزِلَ كُلَّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ. رَوَاهُ أَبُو مَنْصُورٍ الدَّيْلَمِيُّ.

وَلَيْسَ لأَحَدٍ أَنْ يَتَكَنَّى بِكُنْيَةِ أَبِي الْقَاسِمِ، سَوَاءٌ كَانَ اسْمُهُ مُحَمَّداً أَمْ لاَ عِنْدَ الشَّافِعِيِّ، وَجَوَّزَهُ مَالِكٌ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ: أَنَّهُ يُسْتَحَبُّ الْغُسْلُ لِقِرَاءَةِ حَدِيثِهِ وَالتَّطَيُّبُ، وَلاَ تُرْفَعُ عِنْدَهُ الأَصْوَاتُ، بَلْ تُخْفَضُ كَمَا فِي حَيَاتِهِ إِذَا تَكَلَّمَ، فَإِنَّ كَلاَمَهُ الْمَأْثُورَ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الرِّفْعَةِ مِثْلُ كَلاَمِهِ الْمَسْمُوعِ مِنْ لَفْظِهِ الشَّرِيفِ، وَأَنْ يُقْرَأَ عَلَى مَكَانٍ مُرْتَفِعٍ، قَالَ مُطَرِّفٌ: كَانَ النَّاسُ إِذَا أَتَوْا مَالِكاً رَحِمَهُ اللَّهُ خَرَجَتْ إِلَيْهِمُ الْجَارِيَةُ فَتَقُولُ لَهُمْ: يَقُولُ لَكُمُ الشَّيْخُ: تُرِيدُونَ الْحَدِيثَ أَوِ الْمَسَائِلَ؟ فَإِنْ قَالُوا: الْمَسَائِلَ، خَرَجَ إِلَيْهِمْ فِي الْوَقْتِ، وَإِنْ قَالُوا: الْحَدِيثَ، دَخَلَ مُغْتَسَلَهُ فَاغْتَسَلَ، وَتَطَيَّبَ، وَلَبِسَ ثِيَاباً جُدُداً، وَتَعَمَّمَ وَلَبِسَ سَاجَهُ ـ وَالسَّاجُ: الطَّيْلَسَانُ ـ، وَتُلْقَى لَهُ مِنَصَّةٌ، فَيَخْرُجُ يَجْلِسُ عَلَيْهَا، وَعَلَيْهِ الْخُشُوعُ، وَلاَ يَزَالُ يُبَخَّرُ بِالْعُودِ حَتَّى يَفْرُغَ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَلَمْ يَكُنْ يَجْلِسُ عَلَى تِلْكَ الْمِنَصَّةِ إِلاَّ إِذَا حَدَّثَ، قَالَ ابْنُ أَبِي أُوَيْسٍ: فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ فَقَالَ: أُحِبُّ أَنْ أُعَظِّمَ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَلاَ أُحَدِّثَ بِهِ إِلا عَلَى طَهَارَةٍ مُتَمَكِّناً. وَيُقَالُ: إِنَّهُ أَخَذَ ذٰلِكَ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ، وَقَدْ كَرِهَ قَتَادَةُ وَمَالِكٌ وَجَمَاعَةٌ التَّحْدِيثَ عَلَى غَيْرِ طَهَارَةٍ، حَتَّى كَانَ الأَعْمَشُ إِذَا كَانَ عَلَى غَيْرِهَا تَيَمَّمَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ حُرْمَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَتَعْظِيمَهُ وَتَوْقِيرَهُ بَعْدَ مَمَاتِهِ وَعِنْدَ ذِكْرِهِ وَذِكْرِ حَدِيثِهِ وَسَمَاعِ اسْمِهِ وَسِيرَتِهِ كَمَا كَانَ فِي حَيَاتِهِ.

وَيُكْرَهُ لِقَارِىءِ حَدِيثِهِ ﷺ أَنْ يَقُومَ لأَحَدٍ، وَحَسْبُكَ مَا وَقَعَ لِمَالِكٍ رَحِمَهُ اللَّهُ فِي لَسْعِ الْعَقْرَبِ لَهُ سَبْعَ عَشْرَةَ مَرَّةً وَهُوَ لَمْ يَتَحَرَّكْ، وَتَحَمُّلِهِ لِلَسْعِهَا تَوْقِيراً لِجَنَابِ حَدِيثِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَنَّهُ تَثْبُتُ الصُّحْبَةُ لِمَنِ اجْتَمَعَ بِهِ

لَحْظَةً، بِخِلاَفِ التَّابِعِيِّ مَعَ الصَّحَابِيِّ، فَلاَ تَثْبُتُ إِلاَّ بِطُولِ الاجْتِمَاعِ مَعَهُ عَلَى الصَّحِيحِ عِنْدَ أَهْلِ الأُصُولِ، وَالْفَرْقُ: عِظَمُ مَنْصِبِ النُّبُوَّةِ وَنُورِهَا، فَبِمُجَرَّدِ مَا يَقَعُ بَصَرُهُ عَلَى الأَعْرَابِيِّ الْجِلْفِ يَنْطِقُ بِالْحِكْمَةِ.

وَأَنَّ أَصْحَابَهُ كُلَّهُمْ عُدُولٌ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى خِطَاباً لِلْمَوْجُودِينَ حِينَئِذٍ: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1] أَيْ عُدُولاً. وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: **«لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لَوْ أَنْفَقَ أَحَدُكُمْ مِثْلَ أُحُدٍ ذَهَباً مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ وَلاَ نَصِيفَهُ»**[2]. وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»**[3].

وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَنَّ الْمُصَلِّيَ يُخَاطِبُهُ بِقَوْلِهِ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ، وَلاَ يُخَاطِبُ غَيْرَهُ.

وَأَنَّهُ كَانَ يَجِبُ عَلَى مَنْ دَعَاهُ وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ أَنْ يُجِيبَهُ.

وَأَنَّ الْكَذِبَ عَلَيْهِ لَيْسَ كَالْكَذِبِ عَلَى غَيْرِهِ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ لَمْ تُقْبَلْ رِوَايَتُهُ أَبَداً وَإِنْ تَابَ.

وَأَنَّهُ ﷺ مَعْصُومٌ مِنَ الذُّنُوبِ كَبِيرِهَا وَصَغِيرِهَا، عَمْدِهَا وَسَهْوِهَا، وَكَذَٰلِكَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَأَنَّهُ لاَ يَجُوزُ عَلَيْهِ الْجُنُونُ وَلاَ الإِغْمَاءُ الطَّوِيلُ الزَّمَنِ وَلاَ الْعَمَىٰ لأَنَّهَا نَقْصٌ، وَكَذَٰلِكَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَأَنَّ مَنْ سَبَّهُ أَوِ انْتَقَصَهُ قُتِلَ. ذَكَرَهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ فِي الشِّفَاءِ وَغَيْرُهُ. وَاسْتَدَلُّوا لَهُ بِالْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ وَالإِجْمَاعِ، وَقَالَ الْخَطَّابِيُّ: لاَ أَعْلَمُ أَحَداً مِنَ

---

(١) سورة البقرة، الآية: ١٤٣.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه الشيخان.

الْمُسْلِمِينَ اخْتَلَفَ فِي وُجُوبِ قَتْلِهِ إِذَا كَانَ مُسْلِماً، وَمَذْهَبُ الْمَالِكِيَّةِ: **يُقْتَلُ** حَدًّا لاَ رِدَّةً، وَلاَ تُقْبَلُ تَوْبَتُهُ وَلاَ عُذْرُهُ إِنِ ادَّعَى سَهْواً أَوْ غَلَطاً، وَمَذْهَبُ الشَّافِعِيَّةِ: أَنَّ ذٰلِكَ رِدَّةٌ تُخْرِجُ مِنَ الإِسْلاَمِ إِلَى الْكُفْرِ، فَهُوَ مُرْتَدٌّ كَافِرٌ قَطْعاً لاَ نِزَاعَ فِي ذٰلِكَ عِنْدَ الْجَمْهُورِ مِنْ أَئِمَّتِنَا، وَالْمُرْتَدُّ يُسْتَتَابُ، فَإِنْ تَابَ وَإِلاَّ قُتِلَ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: أَنَّهُ كَانَ يَخُصُّ مَنْ شَاءَ بِمَا شَاءَ مِنَ الأَحْكَامِ، كَجَعْلِهِ شَهَادَةَ خُزَيْمَةَ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ، فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ اشْتَرَى مِنْ أَعْرَابِيٍّ فَرَساً، فَجَحَدَهُ الأَعْرَابِيُّ، فَجَاءَ خُزَيْمَةُ فَقَالَ: يَا أَعْرَابِيُّ أَنَا أَشْهَدُ عَلَيْكَ أَنَّكَ بِعْتَهُ، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: إِنْ شَهِدَ عَلَيَّ خُزَيْمَةُ فَأَعْطِنِي الثَّمَنَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**يَا خُزَيْمَةُ إِنَّا لَمْ نُشْهِدْكَ، كَيْفَ تَشْهَدُ؟**» قَالَ: أَنَا أُصَدِّقُكَ عَلَى خَبَرِ السَّمَاءِ، أَلاَ أُصَدِّقُكَ عَلَى خَبَرِ هَذَا الأَعْرَابِيِّ؟ فَجَعَلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَعْدِلُ شَهَادَتَهُ بِشَهَادَةِ رَجُلَيْنِ، فَلَمْ يَكُنْ فِي الإِسْلاَمِ مَنْ تَعْدِلُ شَهَادَتُهُ شَهَادَةَ رَجُلَيْنِ إِلاَّ خُزَيْمَةُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: تَرْخِيصُهُ فِي النِّيَاحَةِ لأُمِّ عَطِيَّةَ. رَوَى مُسْلِمٌ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ ﴿يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾[1] قَالَتْ: كَانَ مِنْهُ النِّيَاحَةُ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! إِلاَّ آلَ فُلاَنٍ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا أَسْعَدُونِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلاَ بُدَّ لِي مِنْ أَنْ أُسْعِدَهُمْ، فَقَالَ: «**إِلاَّ آلَ فُلاَنٍ**».

وَمِنْ ذٰلِكَ: تَرْكُ الإِحْدَادِ لأَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ[2]. أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ

---

(١) سورة الممتحنة، الآية: ١٢.

(٢) علىٰ زوجها جعفر بن أبي طالب.

أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ، قَالَتْ: لَمَّا أُصِيبَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«تَسَلَّبِي ثَلاثاً، ثُمَّ اصْنَعِي مَا شِئْتِ»** (وَقَوْلُهُ تَسَلَّبِي: أَيِ الْبَسِي ثَوْبَ الْحِدَادِ، وَهُوَ السِّلاَبُ، وَتَسَلَّبَتِ الْمَرْأَةُ: إِذَا لَبِسَتْهُ، وَهُوَ ثَوْبٌ أَسْوَدُ تُغَطِّي بِهِ الْمُحِدُّ رَأْسَهَا).

وَمِنْ ذٰلِكَ: الأُضْحِيَّةُ بِالْعَنَاقِ لأَبِي بُرْدَةَ بْنِ نِيَارٍ. (وَالْعَنَاقُ: الأُنْثَى مِنْ وَلَدِ الْمَعِزِ قَبْلَ اسْتِكْمَالِهَا الْحَوْلَ).

وَمِنْ ذٰلِكَ: إِنْكَاحُ ذٰلِكَ الرَّجُلِ بِمَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآنِ، فَقَدْ زَوَّجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ امْرَأَةً عَلَى سُورَةٍ مِنَ الْقُرآنِ، وَقَالَ: **«لاَ تَكُونُ لأَحَدٍ بَعْدَكَ مَهْراً»**.

وَأَنَّهُ ﷺ كَانَ يُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ لِمُضَاعَفَةِ الأَجْرِ. (وَالْوَعْكُ: أَذَى الْحُمَّىٰ وَوَجَعُهَا فِي الْبَدَنِ).

وَأَنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ أُرْسِلَ إِلَيْهِ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ فِي مَرَضِهِ يَسْأَلُهُ عَنْ حَالِهِ. ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ صَلَّى عَلَيْهِ النَّاسُ أَفْوَاجاً أَفْوَاجاً بِغَيْرِ إِمَامٍ وَبِغَيْرِ دُعَاءِ الْجَنَازَةِ الْمَعْرُوفِ. ذَكَرَهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[1].

وَتُرِكَ بِلاَ دَفْنٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ كَمَا سَيَأْتِي، وَفُرِشَ لَهُ فِي لَحْدِهِ قَطِيفَةٌ، وَالأَمْرَانِ مَكْرُوهَانِ فِي حَقِّنَا.

وَأَظْلَمَتِ الأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهِ ﷺ.

وَأَنَّهُ لاَ يَبْلَى جَسَدُهُ الشَّرِيفُ ﷺ، وَكَذٰلِكَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[2].

---

(١) كابن سعد.

(٢) كابن ماجه.

وَأَنَّهُ ﷺ لاَ يُورَثُ، وَكَذٰلِكَ الأَنْبِيَاءُ لاَ يُورَثُونَ، لِمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ الزُّبَيْرِ مَرْفُوعاً: «**إِنَّا مَعَاشِرَ الأَنْبِيَاءِ لاَ نُورَثُ**».

وَأَنَّهُ ﷺ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ يُصَلِّي فِيهِ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ، وَكَذٰلِكَ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَلِهٰذَا قِيلَ: لاَ عِدَّةَ عَلَى أَزْوَاجِهِ، وَقَدْ حَكَى ابْنُ النَّجَّارِ وَغَيْرُهُ: أَنَّ الأَذَانَ تُرِكَ فِي أَيَّامِ الْحَرَّةِ[١] ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، وَخَرَجَ النَّاسُ وَسَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ فِي الْمَسْجِدِ، قَالَ سَعِيدٌ: فَاسْتَوْحَشْتُ فَدَنَوْتُ إِلَى الْقَبْرِ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الظُّهْرُ سَمِعْتُ الأَذَانَ فِي الْقَبْرِ، فَصَلَّيْتُ الظُّهْرَ، ثُمَّ مَضَى ذٰلِكَ الأَذَانَ وَالإِقَامَةُ فِي الْقَبْرِ لِكُلِّ صَلاَةٍ، حَتَّى مَضَتِ الثَّلاَثُ لَيَالٍ.

وَأَنَّهُ وُكِّلَ بِقَبْرِهِ ﷺ مَلَكٌ يُبَلِّغُهُ صَلاَةَ الْمُصَلِّينَ عَلَيْهِ، رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[٢]، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ بِلَفْظِ: «**إِنَّ لِلّٰهِ مَلاَئِكَةً سَيَّاحِينَ فِي الأَرْضِ، يُبَلِّغُونِي عَنْ أُمَّتِي السَّلاَمَ**». وَعِنْدَ الأَصْبَهَانِيِّ عَنْ عَمَّارٍ[٣]: «**إِنَّ لِلّٰهِ مَلَكاً أَعْطَاهُ سَمْعَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ، فَمَا مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ إِلاَّ أَبْلَغَنِيهَا**».

وَأَنَّهُ تُعْرَضُ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ ﷺ عَلَيْهِ، وَيَسْتَغْفِرُ لَهُمْ، رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ: لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلاَّ وَتُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، فَيَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ.

وَأَنَّ مِنْبَرَهُ ﷺ عَلَى حَوْضِهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ[٤]، وَفِي رِوَايَةٍ[٥]: «**وَمِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ**». (وَأَصْلُ التُّرْعَةِ: الرَّوْضَةُ عَلَى الْمَكَانِ

---

(١) وهي موقعة حصلت بظاهر المدينة بين أهل المدينة وبين عسكر يزيد بن معاوية سنة ٦٣هـ بسبب خلع أهل المدينة يزيد.

(٢) كالنسائي.

(٣) ابن ياسر.

(٤) الذي رواه الشيخان.

(٥) عند النسائي.

الْمُرْتَفِعِ خَاصَّةً، فَإِنْ كَانَتْ فِي الْمُطْمَئِنِّ فَهِيَ رَوْضَةٌ) وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَنَّهُ عَلَى ظَاهِرِهِ، وَأَنَّهُ حَقٌّ مَحْسُوسٌ مَوْجُودٌ، فَإِنَّ الْقُدْرَةَ صَالِحَةٌ لاَ عَجْزَ فِيهَا، وَكُلُّ مَا أَخْبَرَ بِهِ الصَّادِقُ ﷺ مِنْ أُمُورِ الْغَيْبِ فَالإِيمَانُ بِهِ وَاجِبٌ.

وَأَنَّ مَا بَيْنَ مِنْبَرِهِ وَقَبْرِهِ ﷺ رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ بِلَفْظِ: **«مَا بَيْنَ بَيْتِي وَمِنْبَرِي»**.

وَأَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ. وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ»**.

وَهُوَ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يُفِيقُ مِنَ الصَّعْقَةِ، وَأَوَّلُ مَنْ يَجُوزُ عَلَى الصِّرَاطِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَأَنَّهُ ﷺ يُحْشَرُ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ، كَمَا رُوِيَ عَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: «مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلاَّ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحُفُّونَ بِقَبْرِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِم حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا، وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنَ الْمَلاَئِكَةِ يُوَقِّرُونَهُ ﷺ»[(١)].

وَأَنَّهُ يُحْشَرُ رَاكِبَ الْبُرَاقِ، رَوَاهُ الْحَافِظُ السِّلَفِيُّ.

وَأَنَّهُ يُكْسَى فِي الْمَوْقِفِ أَعْظَمَ الْحُلَلِ مِنَ الْجَنَّةِ لاَ يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ، وَرَوَاهُ كَعْبُ بْنُ مَالِكٍ بِلَفْظِ: **«يُحْشَرُ النَّاسُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ، وَيَكْسُونِي رَبِّي حُلَّةً خَضْرَاءَ»**[(٢)]. اهـ

---

(١) رواه ابن النجار في (تاريخ المدينة).

(٢) رواه البخاري.

وَأَنَّهُ ﷺ يَقُومُ عَلَى يَمِينِ الْعَرْشِ مَقاماً لاَ يَقُومُهُ غَيْرُهُ، يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ. رَوَاهُ ابْنُ مَسْعُودٍ.

وَأَنَّهُ ﷺ يُعْطَى الْمَقَامَ الْمَحْمُودَ، قَالَ مُجَاهِدٌ: هُوَ جُلُوسُهُ عَلَى الْعَرْشِ، وَقَالَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلاَمٍ: عَلَى الْكُرْسِيِّ، ذَكَرَهُمَا الْبَغَوِيُّ.

وَأَنَّهُ ﷺ يُعْطَى الشَّفَاعَةَ الْعُظْمَى فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ بَيْنَ أَهْلِ الْمَوْقِفِ حِينَ يَفْزَعُونَ إِلَيْهِ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ.

وَأَنَّهُ ﷺ يُعْطَى الشَّفَاعَةَ فِي إِدْخَالِ قَوْمِ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

وَأَنَّهُ ﷺ يُعْطَى الشَّفَاعَةَ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ نَاسٍ فِي الْجَنَّةِ.

وَأَنَّهُ ﷺ صَاحِبُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ تَحْتَهُ. رَوَاهُ الْبَزَّارُ.

وَأَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ، رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ ﷺ: **«أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»**. وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ أَيْضاً قَوْلَهُ ﷺ: **«آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»**. وَرَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ بِزِيَادَةٍ فِيهِ، قَالَ: فَيَقُومُ الْخَازِنُ فَيَقُولُ: **«لاَ أَفْتَحُ لأَحَدٍ قَبْلَكَ، وَلاَ أَقُومُ لأَحَدٍ بَعْدَكَ»**.

وَأَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ، فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا، وَمَعِيَ فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ، وَلاَ فَخْرَ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِ ﷺ: الْكَوْثَرُ ـ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ يَسِيلُ فِي حَوْضِهِ ـ مَجْرَاهُ عَلَى الدُّرِّ وَالْيَاقُوتِ، وَمَاؤُهُ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ وَأَبْيَضُ مِنَ الثَّلْجِ.

وَمِنْهَا: الْوَسِيلَةُ ـ وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ ـ.

وَأَمَّا خَصَائِصُ أُمَّتِهِ ﷺ وَزَادَهَا شَرَفاً:

فَاعْلَمْ أَنَّ اللّٰهَ جَعَلَ أُمَّتَهُ ﷺ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَجَعَلَهُمْ وَرَثَةَ الأَنْبِيَاءِ، وَأَعْطَاهُمُ الاجْتِهَادَ فِي الأَحْكَامِ، فَيَحْكُمُونَ بِمَا أَدَّى إِلَيْهِ اجْتِهَادُهُمْ، وَكُلُّ مَنْ دَخَلَ فِي زَمَانِ هٰذِهِ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا كَعِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَإِنَّهُ لاَ يَحْكُمُ فِي الْعَالَمِ إِلاَّ بِمَا شَرَعَهُ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَهُوَ تَابِعٌ لِنَبِيِّنَا عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَكَذٰلِكَ مَنْ يَقُولُ مِنَ الْعُلَمَاءِ بِنُبُوَّةِ الْخَضِرِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَأَنَّهُ بَاقٍ إِلَى الْيَوْمِ[(١)] فَإِنَّهُ تَابِعٌ لأَحْكَامِ هٰذِهِ الْمِلَّةِ. وَكَذٰلِكَ إِلْيَاسُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى مَا صَحَّحَهُ أَبُو عَبْدِاللّٰهِ الْقُرْطُبِيُّ أَنَّهُ حَيٌّ أَيضاً، وَلَيْسَ فِي الرُّسُلِ مَنْ يَتْبَعُهُ رَسُولٌ إِلاَّ نَبِيُّنَا ﷺ، وَكَفَى بِهٰذَا شَرَفاً لِهٰذِهِ الأُمَّةِ الْمُحَمَّدِيَّةِ.

وَقَدْ خَصَّ اللّٰهُ تَعَالَى هذِهِ الأُمَّةَ الشَّرِيفَةَ بِخَصَائِصَ لَمْ يُؤْتِهَا أُمَّةً قَبْلَهُمْ أَبَانَ بِهَا فَضْلَهُمْ، وَالأَخْبَارُ وَالآثَارُ نَاطِقَةٌ بِذٰلِكَ.

خَرَّجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«إِنَّ مُوسَى لَمَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِ التَّوْرَاةُ وَقَرَأَهَا فَوَجَدَ فِيهَا ذِكْرَ هٰذِهِ الأُمَّةِ قَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً هُمُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً أَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ يَقْرَؤُونَهَا ظَاهِراً، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَأْكُلُونَ الْفَيْءَ[(٢)]، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي أَجِدُ فِي الأَلْوَاحِ أُمَّةً يَجْعَلُونَ الصَّدَقَةَ فِي بُطُونِهِمْ[(٣)] يُؤْجَرُونَ عَلَيْهَا، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي أَجِدُ فِي**

---

(١) وهو الأرجح.

(٢) وهو ما يُغنَم من الكفار.

(٣) أي: ما يصرفون علىٰ أنفسهم وأهاليهم.

الألْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحدُهُمْ بِحَسَنَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشرَ حَسَنَاتٍ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي أَجِدُ فِي الألْوَاحِ أُمَّةً إِذَا هَمَّ أَحدُهُمْ بِسَيِّئَةٍ فَلَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ تُكْتَبْ لَهُ، وَإِنْ عَمِلَهَا كُتِبَتْ سَيِّئَةً وَاحِدَةً، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: يَا رَبِّ! إِنِّي أَجِدُ فِي الألْوَاحِ أُمَّةً يُؤْتَوْنَ الْعِلْمَ الأوَّلَ وَالْعِلْمَ الآخِرَ، فَيَقْتُلُونَ الْمَسِيحَ الدَّجَّالَ، فَاجْعَلْهَا أُمَّتِي، قَالَ: تِلْكَ أُمَّةُ أَحْمَدَ، قَالَ: يَا رَبِّ! فَاجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ أَحْمَدَ، فَأُعْطِيَ عِنْدَ ذٰلِكَ خَصْلَتَيْنِ، فَقَالَ: يَا مُوسَى! إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالاَتِي وَبِكَلاَمِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ، قَالَ: قَدْ رَضِيتُ يَا رَبِّ».

وَفِي كِتَابِ (النُّطْقِ الْمَفْهُومِ)[1] عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَفَعَهُ: «قَالَ مُوسَى: يَا رَبِّ! فَهَلْ فِي الأُمَمِ أَكْرَمُ عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِي؟ ظَلَّلْتَ عَلَيهِمُ الْغَمَامَ، وَأَنزَلْتَ عَلَيهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: يَا مُوسَىٰ! أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ فَضلَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ عَلَى سَائِرِ الأُمَمِ كَفَضْلِي عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي؟ قَالَ: يَا رَبِّ! فَأَرِنِيهِمْ، قَالَ: لَنْ تَرَاهُمْ، وَلٰكِنْ أُسْمِعُكَ كَلاَمَهُمْ، فَنَادَاهُمُ اللّٰهُ تَعَالَى، فَأَجَابُوا كُلُّهُمْ بِصَوْتٍ وَاحِدٍ: لَبَّيْكَ اللّٰهُمَّ لَبَّيْكَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: صَلاَتِي عَلَيْكُمْ، وَرَحْمَتِي سَبَقَتْ غَضَبِي، وَعَفْوِي سَبَقَ عَذَابِي، اسْتَجَبْتُ لَكُمْ قَبْلَ أَنْ تَسْأَلُونِي، فَمَنْ لَقِيَنِي مِنكُمْ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّٰهِ غَفَرْتُ لَهُ ذُنُوبَهُ» قَالَ ﷺ: «فَأَرَادَ اللّٰهُ أَنْ يَمُنَّ عَلَيَّ بِذٰلِكَ» فَقَالَ: ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا﴾[2] أَيْ: أُمَّتَكَ حَتَّى أَسْمَعْنَا مُوسَى كَلاَمَهُمْ.

وَفِي الْحِلْيَةِ لأَبِي نُعَيْمٍ: عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ

---

(١) لابن طغر بك.

(٢) سورة القصص، الآية: ٤٦.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مُوسَى: نَبِيءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَنْ لَقِيَنِي وَهُوَ جَاحِدٌ بِأَحْمَدَ أَدْخَلْتُهُ النَّارَ، قَالَ: يَا رَبِّ! وَمَنْ أَحْمَدُ؟ قَالَ: مَا خَلَقْتُ خَلْقاً أَكْرَمَ عَلَيَّ مِنْهُ، كَتَبْتُ اسْمَهُ مَعَ اسْمِي فِي الْعَرْشِ قَبْلَ أَنْ أَخْلُقَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ: إِنَّ الْجَنَّةَ مُحَرَّمَةٌ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِي حَتَّى يَدْخُلَهَا هُوَ وَأُمَّتُهُ، قَالَ: وَمَنْ أُمَّتُهُ؟ قَالَ: الْحَمَّادُونَ، يَحْمَدُونَ صُعُوداً وَهُبُوطاً وَعَلَى كُلِّ حَالٍ، يَشُدُّونَ أَوْسَاطَهُمْ، وَيُطَهِّرُونَ أَطْرَافَهُمْ، صَائِمُونَ بِالنَّهَارِ، رُهْبَانٌ بِاللَّيْلِ، أَقْبَلُ مِنْهُمُ الْيَسِيرَ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ بِشَهَادَةِ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، قَالَ: اجْعَلْنِي نَبِيَّ تِلْكَ الأُمَّةِ، قَالَ: نَبِيُّهَا مِنْهَا، قَالَ: اجْعَلْنِي مِنْ أُمَّةِ ذٰلِكَ النَّبِيِّ، قَالَ: اسْتَقْدَمْتَ وَاسْتَأْخَرَ، وَلٰكِنْ سَأَجْمَعُ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فِي دَارِ الْجَلاَلِ».

وَعَنْ وَهَبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: أَوْحَىٰ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى شَعْيَا[1]: «إِنِّي بَاعِثٌ نَبِيًّا أُمِّيًّا، أَفْتَحُ بِهِ آذَاناً صُمًّا وَقُلُوباً غُلْفاً وَأَعْيُناً عُمْياً، مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ، وَمُهَاجَرُهُ طَيْبَةُ، وَمُلْكُهُ بِالشَّامِ، عَبْدِي الْمُتَوَكِّلُ الْمُصْطَفَى الْمَرْفُوعُ الْحَبِيبُ الْمُنْتَخَبُ الْمُخْتَارُ، لاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ السَّيِّئَةَ، وَلٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ وَيَغْفِرُ، رَحِيماً بِالْمُؤْمِنِينَ، يَبْكِي لِلْبَهِيمَةِ الْمُثْقَلَةِ وَلِلْيَتِيمِ فِي حِجْرِ الأَرْمَلَةِ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ، وَلاَ صَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ مُتَزَيِّنٍ بِالْفُحْشِ، وَلاَ قَوَّالٍ لِلْخَنَا، لَوْ يَمُرُّ إِلَى جَنْبِ السِّرَاجِ لَمْ يُطْفِئْهُ مِنْ سَكِينَتِهِ، وَلَوْ يَمْشِي عَلَى الرَّعْرَاعِ ـ أَيْ: الطَّوِيلِ ـ لَمْ يُسْمَعْ مِنْ تَحْتِ قَدَمَيْهِ، أَبْعَثُهُ مُبَشِّراً وَنَذِيراً، إِلَى أَنْ قَالَ: وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ أَمْراً بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْياً عَنِ الْمُنْكَرِ، وَتَوْحِيداً لِي وَإِيمَاناً بِي وَإِخْلاَصاً لِي، وَتَصْدِيقاً لِمَا جَاءَتْ بِهِ رُسُلِي، وَهُمْ رُعَاةُ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ[2]، طُوبَى لِتِلْكَ الْقُلُوبِ وَالْوُجُوهِ وَالأَرْوَاحِ الَّتِي أَخْلَصَتْ لِي، أُلْهِمُهُمُ التَّسْبِيحَ وَالتَّكْبِيرَ وَالتَّحْمِيدَ وَالتَّوْحِيدَ فِي مَسَاجِدِهِمْ وَمَجَالِسِهِمْ

---

(١) ابن أمصيا، وهو نبي بشَّرَ بعيسىٰ عليهما الصلاة والسلام.

(٢) يراعونهما في توقيت عبادتهم.

وَمَضَاجِعِهِمْ وَمُتَقَلَّبِهِمْ وَمَثْوَاهُمْ، وَيَصِفُّونَ فِي مَسَاجِدِهِمْ كَمَا تَصِفُّ الْمَلائِكَةُ حَوْلَ عَرْشِي، هُمْ أَوْلِيَائِي وَأَنْصَارِي، أَنْتَقِمُ بِهِمْ مِنْ أَعْدَائِي عَبَدَةِ الأَوْثَانِ، يُصَلُّونَ لِي قِيَاماً وَقُعُوداً وَرُكَّعاً وَسُجُوداً، وَيَخْرُجُونَ مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِي أُلُوفاً، وَيُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِي صُفُوفاً، أَخْتِمُ بِكِتَابِهِمُ الْكُتُبَ وَبِشَرِيعَتِهِمُ الشَّرَائِعَ وَبِدِينِهِمُ الأَدْيَانَ، فَمَنْ أَدْرَكَهُمْ فَلَمْ يُؤْمِنْ بِكِتَابِهِمْ وَيَدْخُلْ فِي دِينِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ فَلَيْسَ مِنِّي، وَهُوَ مِنِّي بَرِيءٌ، وَأَجْعَلُهُمْ أَفْضَلَ الأُمَمِ، وَأَجْعَلُهُمْ أُمَّةً وَسَطاً شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، إِذَا غَضِبُوا هَلَّلُونِي، وَإِذَا تَنَازَعُوا سَبَّحُونِي، يُطَهِّرُونَ الْوُجُوهَ وَالأَطْرَافَ، وَيَشُدُّونَ الثِّيَابَ إِلَى الأَنْصَافِ، وَيُهَلِّلُونَ عَلَى التِّلالِ وَالأَشْرَافِ، قُرْبَانُهُمْ دِمَاؤُهُمْ، وَأَنَاجِيلُهُمْ فِي صُدُورِهِمْ، رُهْبَاناً بِاللَّيْلِ لُيُوثاً بِالنَّهَارِ، طُوبَى لِمَنْ كَانَ مَعَهُمْ وَعَلَى دِينِهِمْ وَمِنْهَاجِهِمْ وَشَرِيعَتِهِمْ، وَذٰلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ، وَأَنَا ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ». رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَمِنْ خَصَائِصِهَا: الْجُمُعَةُ، قَالَ ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بَيْدَ أَنَّهُمْ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هٰذَا[1] يَوْمُهُمُ الَّذِي فَرَضَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ، فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللّٰهُ لَهُ، فَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ: الْيَهُودُ غَداً[2]، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ[3]» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَمِنْ خَصَائِصِهِمْ: أَنَّ اللّٰهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمُ الإِصْرَ الَّذِي كَانَ عَلَى الأُمَمِ قَبْلَهُمْ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَٰلَ الَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[4] أَيْ: وَيُخَفِّفُ عَنْهُمْ مَا كُلِّفُوا بِهِ مِنَ التَّكَالِيفِ الشَّاقَّةِ، كَتَعْيِينِ

---

(١) أي: يوم الجمعة.

(٢) السبت.

(٣) الأحد.

(٤) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.

الْقِصَاصِ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَأِ، وَقَطْعِ الأَعْضَاءِ الْخَاطِئَةِ، وَقَطْعِ مَوْضِعِ النَّجَاسَةِ، وَقَتْلِ النَّفْسِ فِي التَّوْبَةِ، وَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ يُذْنِبُ الذَّنْبَ فَيُصْبِحُ قَدْ كُتِبَ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ: أَنَّ كَفَّارَتَهُ أَنْ تَنْزِعَ عَيْنَيْكَ، فَيَنْزِعُهُمَا. وَأَصْلُ الإِصْرِ: الثِّقَلُ الَّذِي يَأْصِرُ صَاحِبَهُ، أَيْ: يَحْبِسُهُ مِنَ الْحَرَاكِ لِثِقَلِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ أَحَلَّ لَهُمْ كَثِيراً مِمَّا شُدِّدَ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ، وَلَمْ يَجْعَلْ عَلَيْهِمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾[1] أَيْ: ضِيقٍ بِتَكْلِيفِ مَا اشْتَدَّ الْقِيَامُ بِهِ عَلَيْهِمْ. عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: الْحَرَجُ مَا كَانَ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الإِصْرِ وَالشَّدَائِدِ وَضَعَهُ اللَّهُ عَنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى رَفَعَ عَنْهُمُ الْمُؤَاخَذَةَ بِالْخَطَأِ وَالنِّسْيَانِ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ وَحَدِيثِ النَّفْسِ، وَقَدْ كَانَ بَنُو إِسْرَائِيلَ إِذَا نَسُوا شَيْئاً مِمَّا أُمِرُوا بِهِ أَوْ أَخْطَؤُوا عُجِّلَتْ لَهُمُ الْعُقُوبَةُ، فَحُرِّمَ عَلَيْهِمْ شَيْءٌ مِنْ مَطْعَمٍ أَوْ مَشْرَبٍ عَلَى حَسَبِ ذٰلِكَ الذَّنْبِ، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَنْ أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنِّسْيَانَ وَمَا اسْتُكْرِهُوا عَلَيْهِ**» رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[2].

وَمِنْهَا: أَنَّ الإِسْلاَمَ وَصْفٌ خَاصٌّ بِهِمْ، لاَ يَشْرَكُهُمْ فِيهِ غَيْرُهُمْ إِلاَّ الأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿هُوَ سَمَّىٰكُمُ ٱلْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ﴾[3] ﴿وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾[4].

وَمِنْهَا: أَنَّ شَرِيعَتَهُمْ أَكْمَلُ مِنْ جَمِيعِ شَرَائِعِ الأُمَمِ الْمُتَقَدِّمَةِ، وَهٰذَا مِمَّا لاَ يُحْتَاجُ لِبَيَانِهِ لِوُضُوحِهِ، وَانْظُرْ إِلَى شَرِيعَةِ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَقَدْ

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) كابن حبان والحاكم وابن ماجه.

(٣) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٤) سورة المائدة، الآية: ٣.

كَانَتْ شَرِيعَةَ جَلاَلٍ وَقَهرٍ، أُمِرُوا بِقَتْلِ نُفوسِهِمْ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الشُّحُومُ وَذَوَاتُ الظُّفرِ[1] وَغَيْرُهَا مِنَ الطَّيِّبَاتِ، وَحُرِّمَتْ عَلَيْهِمُ الْغَنَائِمُ، وَعُجِّلَ لَهُمْ مِنَ الْعُقُوبَاتِ مَا عُجِّلَ، وَحُمِّلُوا مِنَ الآصَارِ وَالأَغْلاَلِ مَا لَمْ يَحْمِلْهُ غَيْرُهُمْ، وَكَانَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ أَعْظَم خَلْقِ اللّهِ تَعالَى هَيْبَةً وَوَقاراً، وَأَشَدِّهِمْ بَأْساً وَغَضَباً للّهِ تَعالَى، وَبَطْشاً بِأَعْدَاءِ اللّهِ، فَكَانَ لاَ يُسْتَطَاعُ النَّظَرُ إِلَيْهِ. وَعِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ فِي مَظْهَرِ الْجَمالِ، وَكَانَتْ شَرِيعَتُهُ شَرِيعَةَ فَضْلٍ وَإِحْسَانٍ، وَكَانَ لاَ يُقَاتِلُ وَلاَ يُحَارِبُ، وَلَيْسَ فِي شَرِيعَتِهِ قِتَالٌ أَلْبَتَّةَ، وَالنَّصَارَى يَحْرُمُ عَلَيْهِمْ فِي دِينِهِمُ الْقِتَالُ، وَهُمْ بِهِ عُصَاةٌ، فَإِنَّ الإِنْجِيلَ يَأْمُرُ فِيهِ بِقَوْلِهِ: مَنْ لَطَمَكَ عَلَى خَدِّكَ الأَيْمَنِ فَأَدِرْ لَهُ خَدَّكَ الأَيْسَرَ، وَمَنْ نَازَعَكَ ثَوْبَكَ فَأَعْطِهِ رِدَاءَكَ، وَمَنْ سَخَّرَكَ مِيلاً فَامْشِ مَعَهُ مِيلَيْنِ، وَنَحْوِ هٰذَا. وَأَمَّا نَبِيُّنَا ﷺ فَكَانَ مَظْهَرَ الْكَمَالِ الْجَامِعِ لِتِلْكَ الْقُوَّةِ وَالْعَدْلِ وَالشِّدَّةِ فِي اللّهِ، وَاللِّينِ وَالرَّأْفَةِ وَالرَّحْمَةِ، فَشَرِيعَتُهُ أَكْمَلُ الشَّرَائِعِ، وَأُمَّتُهُ أَكْمَلُ الأُمَمِ، وَأَحْوَالُهُمْ وَمَقَامَاتُهُمْ أَكْمَلُ الأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ، وَلِذٰلِكَ تَأْتِي شَرِيعَتُهُ بِالْعَدْلِ فَرْضاً، وَبِالْفَضْلِ نَدْباً، وَبِالشِّدَّةِ فِي مَوْضِعِ الشِّدَّةِ، وَباللِّينِ فِي مَوْضِعِ اللِّينِ، فَيَذْكُرُ الظُّلْمَ وَيُحَرِّمُهُ، وَالْعَدْلَ وَيَأْمُرُ بِهِ، وَالْفَضْلَ وَيَنْدُبُ إِلَيْهِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَاۖ﴾ فَهٰذَا عَدْلٌ، ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ﴾ فَهٰذَا فَضْلٌ، ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2] فَهٰذَا تَحْرِيمٌ لِلظُّلْمِ، وَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِۦ﴾ هٰذَا إِيجَابٌ لِلْعَدْلِ وَتَحْرِيمٌ لِلظُّلْمِ، ﴿وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ﴾[3] نَدْبٌ إِلَى الْفَضْلِ. وَكَذٰلِكَ تَحْرِيمُ مَا حُرِّمَ عَلَى هٰذِهِ الأُمَّةِ صِيَانَةً وَحِمِيَّةً، حَرَّمَ عَلَيْهِمْ كُلَّ خَبِيثٍ وَضَارٍّ، وَأَحَلَّ لَهُمْ كُلَّ طَيِّبٍ وَنَافِعٍ، فَتَحْرِيمُهُ عَلَيْهِمْ رَحْمَةٌ، وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَهُمْ لَمْ يَخْلُ

---

(١) وهي الأظلاف (كالإبل والنّعام).

(٢) سورة الشورىٰ، الآية: ٤٠.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٦.

مِنْ عُقُوبَةٍ، وَهَدَاهُمْ لِمَا ضَلَّتْ عَنْهُ الأُمَمُ قَبْلَهُمْ كَيَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَوَهَبَ لَهُمْ مِنْ عِلْمِهِ وَحِلْمِهِ، وَجَعَلَهُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَكَمَّلَ لَهُمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الأُمَمِ، كَمَا كَمَّلَ لِنَبِيِّهِمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الأَنْبِيَاءِ قَبْلَهُ، وَكَمَا كَمَّلَ فِي كِتَابِهِمْ مِنَ الْمَحَاسِنِ مَا فَرَّقَهُ فِي الْكُتُبِ قَبْلَهُ، وَكَذٰلِكَ فِي شَرِيعَتِهِ، فَهٰذِهِ الأُمَّةُ هُمُ الْمُجْتَبَوْنَ، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱجۡتَبَىٰكُمۡ وَمَا جَعَلَ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلدِّينِ مِنۡ حَرَجٖ﴾[1].

وَمِنْهَا: أَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ، فَأَقَامَهُمْ فِي ذٰلِكَ مَقَامَ الرُّسُلِ الشَّاهِدِينَ عَلَى أُمَمِهِمْ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ لاَ يَجْتَمِعُونَ عَلَى ضَلاَلَةٍ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[2] فِي حَدِيثِ: «**سَأَلْتُ رَبِّي أَنْ لاَ تَجْتَمِعَ أُمَّتِي عَلَى ضَلاَلَةٍ، فَأَعْطَانِيهَا**».

وَمِنْهَا: أَنَّ إِجْمَاعَهُمْ حُجَّةٌ، وَأَنَّ اخْتِلاَفَهُمْ رَحْمَةٌ، وَكَانَ اخْتِلاَفُ مَنْ قَبْلَهُمْ عَذَاباً.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ أَقَلُّ الأُمَمِ عَمَلاً، وَأَكْثَرُهُمْ أَجْراً، وَأَقْصَرُهُمْ أَعْمَاراً، وَأُوتُوا الْعِلْمَ الأَوَّلَ وَالآخِرَ، وَأَنَّهُمْ آخِرُ الأُمَمِ، فَافْتَضَحَتِ الأُمَمُ عِنْدَهُمْ وَلَمْ يَفْتَضِحُوا.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ أُوتُوا الإِسْنَادَ، وَهُوَ خَصِيصَةٌ فَاضِلَةٌ مِنْ خَصَائِصِ هٰذِهِ الأُمَّةِ، وَسُنَّةٌ بَالِغَةٌ مِنَ السُّنَنِ الْمُؤَكَّدَةِ. قَالَ مُحَمَّدُ بْنُ حَاتِمِ بْنِ الْمُظَفَّرِ: إِنَّ اللّٰهَ قَدْ أَكْرَمَ هٰذِهِ الأُمَّةَ وَشَرَّفَهَا وَفَضَّلَهَا بِالإِسْنَادِ، وَلَيْسَ لأَحَدٍ مِنَ الأُمَمِ كُلِّهَا قَدِيمِهَا وَحَدِيثِهَا إِسْنَادٌ، إِنَّمَا هُوَ صُحُفٌ فِي أَيْدِيهِمْ، وَقَدْ خَلَطُوا بِكُتُبِهِمْ أَخْبَارَهُمْ، فَلَيْسَ عِنْدَهُمْ تَمْيِيزٌ بَيْنَ مَا نَزَلَ مِنَ التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَبَيْنَ مَا

---

(١) سورة الحج، الآية: ٧٨.

(٢) كالطبراني في الكبير.

أَلْحَقُوهُ بِكُتُبِهِمْ مِنَ الأَخْبَارِ الَّتِي أَخَذُوهَا عَنْ غَيْرِ الثِّقَاتِ، وَهٰذِهِ الأُمَّةُ الشَّرِيفَةُ زَادَهَا اللّٰهُ شَرَفاً بِنَبِيِّهَا إِنَّمَا تَنُصُّ الْحَدِيثَ[1] عَنِ الثِّقَةِ الْمَعْرُوفِ فِي زَمَانِهِ بِالصِّدْقِ وَالأَمَانَةِ عَنْ مِثْلِهِ حَتَّى تَتَنَاهَى أَخْبَارُهُمْ، ثُمَّ يَبْحَثُونَ أَشَدَّ الْبَحْثِ حَتَّى يَعْرِفُوا الأَحْفَظَ فَالأَحْفَظَ، وَالأَضْبَطَ فَالأَضْبَطَ، وَالأَطْوَلَ مُجَالَسَةً بِمَنْ فَوْقَهُ مِمَّنْ كَانَ أَقْصَرَ مُجَالَسَةً، ثُمَّ يَكْتُبُونَ الْحَدِيثَ مِنْ عِشْرِينَ وَجْهاً وَأَكْثَرَ، حَتَّى يُهَذِّبُوهُ مِنَ الْغَلَطِ وَالزَّلَلِ، وَيَضْبِطُوا حُرُوفَهُ وَيَعُدُّوهُ عَدًّا، فَهٰذَا مِنْ فَضْلِ اللّٰهِ عَلَى هٰذِهِ الأُمَّةِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّىٰ يَأْتِيَ أَمْرُ اللّٰهِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ اخْتَصُّوا فِي الآخِرَةِ بِأَنَّهُمْ أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُمُ الأَرْضُ مِنَ الأُمَمِ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ مَرْفُوعاً بِلَفْظِ: «**وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الأَرْضُ عَنِّي وَعَنْ أُمَّتِي، وَلاَ فَخْرَ**».

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ يُدْعَوْنَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ[2]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ يَكُونُونَ فِي الْمَوْقِفِ عَلَى مَكَانٍ عَالٍ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ مَرْفُوعاً بِلَفْظِ: «**أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى كَوْمٍ مُشْرِفِينَ عَلَى الْخَلاَئِقِ، مَا مِنَ النَّاسِ أَحَدٌ إِلاَّ وَدَّ أَنَّهُ مِنَّا، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ كَذَّبَهُ قَوْمُهُ إِلاَّ وَنَحْنُ نَشْهَدُ لَهُ أَنَّهُ بَلَّغَ رِسَالَةَ رَبِّهِ**» وَفِي رِوَايَةٍ[3]: «**فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي عَلَى تَلٍّ**».

---

(١) تَرفع وتُسنِد.

(٢) أي: بِيض مواضع الوضوء، أو استعار أثر الوضوء (وهو النور يوم القيامة) في الوجه واليدين والرِّجلين للإنسان، من البياض الذي يكون في وجه الفَرَس ويديه ورِجليه.

(٣) لابن مردويه.

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ قَبْلَ سَائِرِ الأُمَمِ، رَوَى الطَّبَرَانِيُّ[1] عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**حُرِّمَتِ الْجَنَّةُ عَلَى الأَنْبِيَاءِ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي**».

وَمِنْهَا: أَنَّهُمْ يُؤْتَوْنَ كُتُبَهُمْ بِأَيْمَانِهِمْ. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالْبَزَّارُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ نُورَهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ. أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ لَهُمْ مَا سَعَوْا وَمَا يُسْعَى لَهُمْ، وَلَيْسَ لِمَنْ قَبْلَهُمْ إِلاَّ مَا سَعَى، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾﴾[2] فَهِيَ مَخْصُوصَةٌ بِالْكَافِرِ، وَأَمَّا الْمُؤْمِنُ فَلَهُ مَا سَعَى غَيْرُهُ، وَذَكَرَ شَمْسُ الدِّينِ بْنُ الْقَطَّانِ الْعَسْقَلاَنِيُّ: أَنَّ وُصُولَ ثَوَابِ الْقِرَاءَةِ إِلَى الْمَيِّتِ مِنْ قَرِيبٍ أَوْ أَجْنَبِيٍّ هُوَ الصَّحِيحُ، كَمَا تَنْفَعُهُ الصَّدَقَةُ وَالدُّعَاءُ وَالاسْتِغْفَارُ بِالإِجْمَاعِ.

وَأَمَّا إِهْدَاءُ الْقِرَاءَةِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: فَحَكَى ابْنُ الْقَيِّمِ[3]: أَنَّ مِنَ الْفُقَهَاءِ الْمُتَأَخِّرِينَ مَنِ اسْتَحَبَّهُ وَإِنْ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ غَنِيًّا عَنْ ذٰلِكَ، فَإِنَّ لَهُ مِثْلَ أَجْرِ كُلِّ مَنْ عَمِلَ خَيْراً مِنْ أُمَّتِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أَجْرِ الْعَامِلِ شَيْءٌ.

قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: مَا مِنْ خَيْرٍ يَعْمَلُهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّةِ النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ وَالنَّبِيُّ ﷺ أَصْلٌ فِيهِ.

قَالَ الْمَرَاغِي فِي (تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ): فَجَمِيعُ حَسَنَاتِ الْمُسْلِمِينَ وَأَعْمَالِهِمُ الصَّالِحَةِ فِي صَحَائِفِ نَبِيِّنَا ﷺ زِيَادَةً عَلَى مَا لَهُ مِنَ الأَجْرِ، مَعَ مُضَاعَفَةٍ لاَ يَحْصُرُهَا إِلاَّ اللَّهُ تَعَالَى، لأَنَّ كُلَّ مُهْتَدٍ وَعَامِلٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ يَحْصُلُ لَهُ أَجْرٌ، وَيَتَجَدَّدُ لِشَيْخِهِ مِثْلُ ذٰلِكَ الأَجْرِ، وَلِشَيْخِ شَيْخِهِ مِثْلاَهُ، وَلِلشَّيْخِ الثَّالِثِ

---

(١) في الأوسط.
(٢) سورة النجم، الآية: ٣٩.
(٣) في كتابه (الروح).

أَرْبَعَةٌ، وَلِلرَّابِعِ ثَمَانِيَةٌ، وَهَكَذَا تُضَعَّفُ كُلُّ مَرْتَبَةٍ بِعَدَدِ الأُجُورِ الْحَاصِلَةِ بَعْدَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَبِهٰذَا تَعْلَمُ تَفْضِيلَ السَّلَفِ عَلَى الْخَلَفِ، فَإِذَا فَرَضْتَ الْمَرَاتِبَ عَشَرَةً بَعْدَ النَّبِيِّ ﷺ، كَانَ لِلنَّبِيِّ ﷺ مِنَ الأَجْرِ أَلْفٌ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ، فَإِذَا اهْتَدَى بِالْعَاشِرِ حَادِي عَشَرَ صَارَ أَجْرُ النَّبِيِّ ﷺ أَلْفَيْنِ وَثَمَانِيَةً وَأَرْبَعِينَ، وَهٰكَذَا كُلَّمَا ازْدَادَ وَاحِدٌ يَتَضَاعَفُ مَا كَانَ قَبْلَهُ أَبَداً كَمَا قَالَ بَعْضُهُمْ. انتهى.

وَبِهٰذَا يُجَابُ عَنِ اسْتِشْكَالِ دُعَاءِ الْقَارِىءِ لَهُ ﷺ بِزِيَادَةِ التَّشْرِيفِ مَعَ الْعِلْمِ بِكَمَالِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي سَائِرِ أَنْوَاعِ الشَّرَفِ، فَكَأَنَّ الدَّاعِيَ لَحَظَ أَنَّ قَبُولَ قِرَاءَتِهِ يَتَضَمَّنُ لِمُعَلِّمِهِ نَظِيرَ أَجْرِهِ، وَهٰكَذَا حَتَّى يَكُونَ لِلْمُعَلِّمِ الأَوَّلِ ـ وَهُوَ الشَّارِعُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ـ نَظِيرُ جَمِيعِ ذٰلِكَ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَقَدْ اخْتَصَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِفَضَائِلَ لاَ تُحْصَى، وَمَنَاقِبَ لاَ تُسْتَقْصَى، وَكَذٰلِكَ أُمَّتُهُ تَكْرِمَةً لَهُ ﷺ، و﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ۝٤﴾[1]. اهـ

(١) سورة الجمعة، الآية: ٤.

المقصِد الخامس

فِي تخْصِيصِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِخَصَائِصِ الْمِعْرَاجِ وَالإِسْرَاءِ، وَتَعْمِيمِهِ بِعُمُومِ لَطَائِفِ التَّكْرِيمِ فِي حَضْرَةِ التَّقْرِيبِ بِالْمُكَالَمَةِ وَالْمُشَاهَدَةِ الْكُبْرَىٰ

اعْلَمْ أَنَّ قِصَّةَ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مِنْ أَشْهَرِ الْمُعْجِزَاتِ، وَأَظْهَرِ الْبَرَاهِينِ الْبَيِّنَاتِ، وَأَقْوَى الْحُجَجِ الْمُحْكَمَاتِ، وَأَصْدَقِ الأَنْبَاءِ وَأَعْظَمِ الآيَاتِ، وَالْحَقُّ أَنَّهُ إِسْرَاءٌ وَاحِدٌ بِرُوحِهِ وَجَسَدِهِ يَقَظَةً فِي الْقِصَّةِ كُلِّهَا[1]، وَإِلَى هٰذَا ذَهَبَ الْجُمْهُورُ مِنْ عُلَمَاءِ الْمُحَدِّثِينَ وَالْفُقَهَاءِ وَالْمُتَكَلِّمِينَ، وَتَوَارَدَتْ عَلَيْهِ ظَوَاهِرُ الأَخْبَارِ الصَّحِيحَةِ، وَلاَ يَنْبَغِي الْعُدُولُ عَنْهُ، وَالإِسْرَاءُ بِالْجِسْمِ إِلَى تِلْكَ الْحَضَرَاتِ الْعَلِيَّةِ لَمْ يَكُنْ لأَحَدٍ سِوَاهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَالْمَعَارِيجُ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ عَشَرَةٌ: سَبْعَةٌ إِلَى السَّمٰوَاتِ، وَالثَّامِنُ إِلَى سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى، وَالتَّاسِعُ إِلَى الْمُسْتَوَى الَّذِي سَمِعَ فِيهِ ﷺ صَرِيفَ الأَقْلاَمِ فِي تَصَارِيفِ الأَقْدَارِ، وَالْعَاشِرُ إِلَى الْعَرْشِ وَالرَّفْرَفِ وَالرُّؤْيَةِ وَسِمَاعِ الْخِطَابِ بِالْمُكَافَحَةِ[2] وَالْكَشْفِ الْحَقِيقِيِّ.

* * *

---

(١) ولو كان مناماً لما كذّبه المشركون، ولو كان بالروح لما احتاج إلىٰ براق.

(٢) دون حجاب.

[الإِسْرَاء]

وَقَدْ وَرَدَ حَدِيثُ الإِسْرَاءِ عَنْ كَثِيرٍ مِنَ الصَّحَابَةِ، عَدَّ مِنْهُمْ فِي الأَصْلِ[1] سِتَّةً وَعِشْرِينَ، ثُمَّ قَالَ: وَبِالْجُمْلَةِ: فَحَدِيثُ الإِسْرَاءِ أَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ، وَأَعْرَضَ عَنْهُ الزَّنَادِقَةُ الْمُلْحِدُونَ، يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ.

وَقَدْ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ بْنِ صَعْصَعَةَ: أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ حَدَّثَهُمْ عَنْ لَيْلَةِ أُسْرِيَ بِهِ فَقَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ فِي الْحَطِيمِ**[2] - وَرُبَّمَا قَالَ فِي الْحِجْرِ - **مُضْطَجِعاً، إِذْ أَتَانِي آتٍ فَشَقَّ مَا بَيْنَ هٰذِهِ إِلَى هٰذِهِ** - أَيْ: مِنْ ثُغْرَةِ نَحْرِهِ إِلَى شِعْرَتِهِ - **فَاسْتَخْرَجَ قَلْبِي، ثُمَّ أُتِيتُ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءَةٍ إِيمَاناً، فَغُسِلَ، ثُمَّ حُشِيَ، ثُمَّ أُعِيدَ**» وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «**فَرَجَ صَدْرِي، ثُمَّ غَسَلَهُ بِمَاءِ زَمْزَمَ، ثُمَّ جَاءَ بِطَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ مُمْتَلِئٍ حِكْمَةً وَإِيمَاناً فَأَفْرَغَهُ فِي صَدْرِي، ثُمَّ أَطْبَقَهُ، ثُمَّ أُتِيتُ بِدَابَّةٍ دُونَ الْبَغْلِ وَفَوْقَ الْحِمَارِ أَبْيَضَ**» قَالَ أَنَسٌ: هُوَ الْبُرَاقُ، «**يَضَعُ خَطْوَهُ عِنْدَ أَقْصَى طَرْفِهِ، فَحُمِلْتُ عَلَيْهِ، فَانْطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّىٰ أَتَىٰ السَّمَاءَ الدُّنْيَا**»، وَسَاقَ الْبُخَارِيُّ الْحَدِيثَ بِطُولِهِ، وَسَيَأْتِي سَرْدُهُ بَعْدَ ذِكْرِ صَلَاةِ النَّبِيِّ ﷺ بِالأَنْبِيَاءِ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَوَصْفِ الْمِعْرَاجِ الَّذِي أُتِيَ بِهِ إِلَيْهِ ﷺ فَصَعِدَ مِنْهُ إِلَى السَّمَاءِ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أُتِيَ بِالْبُرَاقِ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ مُسْرَجاً مُلْجَماً، فَاسْتَصْعَبَ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَا حَمَلَكَ عَلَى هٰذَا؟ وَفِي رِوَايَةٍ: أَمَا تَسْتَحِي؟ مَا رَكِبَكَ خَلْقٌ قَطُّ أَكْرَمُ عَلَى اللَّهِ مِنْهُ، فَارْفَضَّ عَرَقاً.

---

(١) أي: أصل الكتاب وهو المواهب اللدنية للقسطلاني.

(٢) وهو حِجْر الكعبة، سمي بذلك لتحطُّم الناس فيه للدعاء.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ[(١)]: إِذَا أَتَى عَلَى جَبَلٍ ارْتَفَعَتْ رِجْلاهُ، وَإِذَا هَبَطَ ارْتَفَعَتْ يَدَاهُ. وَفِي رِوَايَةٍ لابْنِ سَعْدٍ[(٢)]: لَهُ جَنَاحَانِ. وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ[(٣)] فِي صِفَتِهِ: لَهُ خَدٌّ كَخَدِّ الإِنْسَانِ، وَعُرْفٌ كَعُرْفِ الْفَرَسِ، وَقَوَائِمُ كَالإِبِلِ، وَأَظْلافٌ وَذَنَبٌ كَالْبَقَرِ، وَكَانَ صَدْرُهُ يَاقُوتَةً حَمْرَاءَ.

وَكَانَ الَّذِي أَمْسَكَ بِرِكَابِهِ ﷺ جِبْرِيلُ، وَبِزِمَامِهِ مِيكَائِيل. رَوَاهُ ابْنُ سَعْدٍ[(٤)].

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ: **«أَنَّهُ أَوَّلُ مَا أُسْرِيَ بِهِ ﷺ مَرَّ بِأَرْضٍ ذَاتِ نَخْلٍ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَصَلَّى، فَقَالَ: صَلَّيْتَ بِيَثْرِبَ، ثُمَّ مَرَّ بِأَرْضٍ بَيْضَاءَ فَقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ، فَصَلَّىٰ، فَقَالَ: صَلَّيْتَ بِمَدْيَنَ، ثُمَّ مَرَّ بِبَيْتِ لَحْمٍ فَقَالَ: انْزِلْ فَصَلِّ فَنَزَلَ فَصَلَّى، فَقَالَ: صَلَّيْتَ حَيْثُ وُلِدَ عِيسَى»**.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أَنَسٍ: **«لَمَّا جَاءَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلامُ بِالْبُرَاقِ إِلَيْهِ ﷺ فَكَأَنَّمَا أَصَرَّتْ أُذُنَيْهَا، فَقَالَ لَهَا جِبْرِيلُ: مَهْ يَا بُرَاقُ، فَوَاللَّهِ مَا رَكِبَكِ مِثْلُهُ، فَسَارَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَإِذَا هُوَ بِعَجُوزٍ عَلَى جَنْبِ الطَّرِيقِ فَقَالَ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: سِرْ يَا مُحَمَّدُ، فَسَارَ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَسِيرَ، فَإِذَا هُوَ بِشَيْخٍ يَدْعُوهُ مُتَنَحِّياً عَنِ الطَّرِيقِ يَقُولُ: هَلُمَّ يَا مُحَمَّدُ! فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: سِرْ، وَأَنَّهُ مَرَّ بِجَمَاعَةٍ فَسَلَّمُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا: السَّلامُ عَلَيْكَ يَا أَوَّلُ! السَّلامُ عَلَيْكَ يَا آخِرُ! السَّلامُ عَلَيْكَ يَا حَاشِرُ! فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ارْدُدْ عَلَيْهِمُ السَّلامَ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ لَهُ**

---

(١) عند أبي يعلىٰ والبزار، كما أفاده في فتح الباري.

(٢) عن الواقدي بأسانيده. قال ابن حجر: ولم أرها لغيره.

(٣) عند الثعلبي بسند ضعيف.

(٤) الصواب: أبو سعد، كما أفاده الزرقاني في شرح المواهب، وهو عبدالرحمٰن بن الحسن الأصفهاني الحافظ المشهور الثقة.

جِبْرِيلُ: أَمَّا الْعَجُوزُ الَّتِي رَأَيْتَ جَانِبَ الطَّرِيقِ فَلَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلاَّ مَا بَقِيَ مِنْ عُمْرِ تِلْكَ الْعَجُوزِ، وَالَّذِي دَعَاكَ إِبْلِيسُ، وَالْعَجُوزُ الدُّنْيَا، أَمَا لَوْ أَجَبْتَهَا لاخْتَارَتْ أُمَّتُكَ الدُّنْيَا عَلَى الآخِرَةِ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَلَّمُوا عَلَيْكَ: فَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ[١]».

وَفِي رِوَايَةٍ: «أَنَّهُ مَرَّ بِمُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَهُوَ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ[٢]، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ». وَلاَ مَانِعَ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُصَلُّونَ فِي قُبُورِهِمْ، لأَنَّهُمْ أَحْيَاءٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ وَالْبَزَّارِ[٣]: «أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَزْرَعُونَ وَيَحْصُدُونَ فِي يَوْمٍ، كُلَّمَا حَصَدُوا عَادَ كَمَا كَانَ، فَقَالَ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: مَا هٰذَا؟ قَالَ: هٰؤُلاَءِ الْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، تُضَاعَفُ لَهُمُ الْحَسَنَةُ إِلَى سَبْعِ مِئَةِ ضِعْفٍ، وَمَا أَنْفَقُوا مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ، وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُرْضَخُ رُؤُوسُهُمْ بِالصَّخْرِ، كُلَّمَا رُضِخَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، وَلاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ، فَقَالَ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ تَتَثَاقَلُ رُؤُوسُهُمْ عَنِ الصَّلاَةِ الْمَكْتُوبَةِ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ عَلَى أَقْبَالِهِمْ رِقَاعٌ، وَعَلَى أَدْبَارِهِمْ رِقَاعٌ، يَسْرَحُونَ كَمَا تَسْرَحُ الأَنْعَامُ، يَأْكُلُونَ الضَّرِيعَ[٤] وَالزَّقُّومَ[٥]، وَرَضْفَ جَهَنَّمَ[٦]، فَقَالَ:

---

(١) قال ابن كثير: في ألفاظه نكارة وغرابة.
(٢) الحديث في مسلم.
(٣) والبيهقيّ وابن جرير وأبي يعلىٰ.
(٤) وهو نبت، له شوك كبار.
(٥) وهي شجرة في جهنم.
(٦) حجارة مُحماة في جهنم.

مَا هٰؤُلاَءِ؟ قَالَ: هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ لاَ يُؤَدُّونَ زَكَاةَ أَمْوَالِهِمْ، وَمَا ظَلَمَهُمُ اللّٰهُ، وَمَا رَبُّكَ بِظَلاَّمٍ لِلْعَبِيدِ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ لَحْمٌ نَضِيجٌ فِي قِدْرٍ، وَلَحْمٌ نِيْءٌ فِي قِدْرٍ خَبِيثٍ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنَ النِّيْءِ الْخَبِيثِ، وَيَدَعُونَ النَّضِيجَ، فَقَالَ: مَا هٰؤُلاَءِ يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ جِبْرِيلُ: هٰذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عِنْدَهُ الْمَرْأَةُ الْحَلاَلُ الطَّيِّبُ، فَيَأْتِي امْرَأَةً خَبِيثَةً، فَيَبِيتُ عِنْدَهَا حَتَّى يُصْبِحَ، وَالْمَرْأَةُ تَقُومُ مِنْ عِنْدِ زَوْجِهَا حَلاَلاً طَيِّباً، فَتَأْتِي رَجُلاً خَبِيثاً، فَتَبِيتُ عِنْدَهُ حَتَّى تُصْبِحَ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى رَجُلٍ قَدْ جَمَعَ حُزْمَةَ حَطَبٍ عَظِيمَةً لاَ يَسْتَطِيعُ حَمْلَهَا، وَهُوَ يَزِيدُ عَلَيْهَا، فَقَالَ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ مِنْ أُمَّتِكَ تَكُونُ عَلَيْهِ أَمَانَاتُ النَّاسِ لاَ يَقْدِرُ عَلَى أَدَائِهَا، وَهُوَ يُرِيدُ أَنْ يَحْمِلَ عَلَيْهَا.

ثُمَّ أَتَى عَلَى قَوْمٍ تُقْرَضُ أَلْسِنَتُهُمْ وَشِفَاهُهُمْ بِمَقَارِيضَ مِنْ حَدِيدٍ، كُلَّمَا قُرِضَتْ عَادَتْ كَمَا كَانَتْ، لاَ يُفَتَّرُ عَنْهُمْ مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ، قَالَ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰؤُلاَءِ خُطَبَاءُ الْفِتْنَةِ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى جُحْرٍ صَغِيرٍ يَخْرُجُ مِنْهُ ثَوْرٌ عَظِيمٌ، فَجَعَلَ الثَّوْرُ يُرِيدُ أَنْ يَرْجِعَ مِنْ حَيْثُ خَرَجَ فَلاَ يَسْتَطِيعُ، فَقَالَ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا الرَّجُلُ يَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ الْعَظِيمَةِ، ثُمَّ يَنْدَمُ عَلَيْهَا، فَلاَ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَرُدَّهَا.

ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَوَجَدَ فِيهِ رِيحاً طَيِّبَةً بَارِدَةً، وَرِيحَ مِسْكٍ، وَسَمِعَ صَوْتاً فَقَالَ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا صَوْتُ الْجَنَّةِ، تَقُولُ: رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَتْ غُرَفِي وَإِسْتَبْرَقِي[١] وَحَرِيرِي وَسُنْدُسِي[٢] وَعَبْقَرِيِّي[٣]،

(١) وهو الدِّيباج الغليظ.

(٢) وهو رقيق الديباج.

(٣) العبقريّ: البساط المنقوش.

وَلُؤْلُؤِي وَمَرْجَانِي، وَفِضَّتِي وَذَهَبِي، وَأَكْوَابِي وَصِحَافِي[1] وَأَبَارِيقِي وَمَرَاكِبِي، وَعَسَلِي وَمَائِي وَلَبَنِي وَخَمْرِي، فآتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، قَالَ: لَكِ كُلُّ مُسْلِمٍ وَمُسْلِمَةٍ، وَمُؤْمِنٍ وَمُؤْمِنَةٍ، وَمَنْ آمَنَ بِي وَبِرُسُلِي وَعَمِلَ صَالِحاً وَلَمْ يُشْرِكْ بِي شَيْئاً، وَلَمْ يَتَّخِذْ مِنْ دُونِي أَنْدَاداً، وَمَنْ خَشِيَنِي فَهُوَ آمِنٌ، وَمَنْ سَأَلَنِي فَقَدْ أَعْطَيْتُهُ، وَمَنْ أَقْرَضَنِي جَازَيْتُهُ، وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيَّ كَفَيْتُهُ، إِنَّنِي أَنَا اللَّهُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنَا لاَ أُخْلِفُ الْمِيعَادَ، قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ، وَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ.

ثُمَّ أَتَى عَلَى وَادٍ فَسَمِعَ صَوْتاً مُنْكَراً، وَوَجَدَ رِيحاً مُنْتِنَةً، قَالَ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هَذَا صَوْتُ جَهَنَّمَ تَقُولُ: رَبِّ آتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، فَقَدْ كَثُرَتْ سَلاَسِلِي وَأَغْلاَلِي، وَسَعِيرِي[2] وَحَمِيمِي[3] وَضَرِيعِي[4] وَغَسَّاقِي[5] وَعَذَابِي، وَقَدْ بَعُدَ قَعْرِي، وَاشْتَدَّ حَرِّي، فآتِنِي بِمَا وَعَدْتَنِي، قَالَ: لَكِ كُلُّ مُشْرِكٍ وَمُشْرِكَةٍ، وَكَافِرٍ وَكَافِرَةٍ، وَكُلُّ جَبَّارٍ لاَ يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ، قَالَتْ: قَدْ رَضِيتُ، فَسَارَ حَتَّى أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ». اهـ

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ[6]: «دَعَانِي دَاعٍ عَنْ يَمِينِي: انْظُرْنِي أَسْأَلْكَ، فَلَمْ أُجِبْهُ، ثُمَّ دَعَانِي آخَرُ عَنْ يَسَارِي كَذٰلِكَ، فَلَمْ أُجِبْهُ، وَفِيهِ: إِذَا امْرَأَةٌ حَاسِرَةٌ عَنْ ذِرَاعَيْهَا، وَعَلَيْهَا مِنْ كُلِّ زِينَةٍ خَلَقَهَا اللَّهُ تَعَالَى، فَقَالَتْ: يَا مُحَمَّدُ انْظُرْنِي أَسْأَلْكَ، فَلَمْ أَلْتَفِتْ إِلَيْهَا، وَفِيهِ: أَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ: أَمَّا

---

(١) الصَّحْفة كالقصعة.

(٢) ناري.

(٣) مائي الحار.

(٤) وهو نبت، له شوك كبار.

(٥) مائي البارد المنتن.

(٦) وابن جرير، وابن أبي حاتم، وابن مردويه.

الدَّاعِي الأَوَّلُ فَهُوَ دَاعِي الْيَهُودِ، وَلَوْ أَجَبْتَهُ لَتَهَوَّدَتْ أُمَّتُكَ، وَأَمَّا الثَّانِي فَدَاعِي النَّصَارَى، وَلَوْ أَجَبْتَهُ لَتَنَصَّرَتْ أُمَّتُكَ، وَأَمَّا الْمَرْأَةُ فَالدُّنْيَا».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ[1]: «أَنَّهُ رَأَى أَخْوِنَةً عَلَيْهَا لَحْمٌ طَيِّبٌ لَيْسَ عَلَيْهَا أَحَدٌ، وَأُخْرَى عَلَيْهَا لَحْمٌ نَتِنٌ عَلَيْهَا نَاسٌ يَأْكُلُونَ، قَالَ جِبْرِيلُ: هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يَتْرُكُونَ الحَلاَلَ وَيَأْكُلُونَ الْحَرَامَ».

وَفِيهِ: «أَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ بُطُونُهُمْ أَمْثَالُ الْبُيُوتِ، كُلَّمَا نَهَضَ أَحَدُهُمْ خَرَّ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ لَهُ: هُمْ أَكَلَةُ الرِّبَا».

«وَأَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ مَشَافِرُهُمْ كَالإِبِلِ[2] يَلْتَقِمُونَ جَمْراً فَيَخْرُجُ مِنْ أَسَافِلِهِمْ، وَأَنَّ جِبْرِيلَ قَالَ: هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً».

«وَأَنَّهُ مَرَّ بِنِسَاءٍ تَعَلَّقْنَ بِثُدِيِّهِنَّ وَأَنَّهُنَّ الزَّوَانِي».

«وَأَنَّهُ مَرَّ بِقَوْمٍ يُقْطَعُ مِنْ جُنُوبِهِمُ اللَّحْمُ فَيُطْعَمُونَ، وَأَنَّهُمُ الْغَمَّازُونَ اللَّمَّازُونَ»[3].

وَفِيهِ: «حَتَّى أَتَيْتُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، أَوْثَقْتُ دَابَّتِي بِالْحَلْقَةِ الَّتِي كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ تَرْبِطُهَا فِيهَا، فَدَخَلْتُ أَنَا وَجِبْرِيلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَصَلَّى كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا رَكْعَتَيْنِ».

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ فَصَلَّيْتُ فِيهِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجْتُ، فَجَاءَنِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، فَاخْتَرْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: اخْتَرْتَ الفِطْرَةَ، أَيْ: اخْتَرْتَ اللَّبَنَ الَّذِي

(١) السابق.
(٢) أي: شفاههم غليظة كشفة الإبل.
(٣) الغمّازون: المشيرون بأعينهم أو حواجبهم لمعايب الناس، واللمّازون: العيّابون.

عَلَيهِ بُنِيَتِ **الخِلْقَةُ**» وَقَالَ النَّوَوِيُّ: الْمُرَادُ بِالْفِطْرَةِ هُنَا: الإِسْلاَمُ وَالاسْتِقَامَةُ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَسْعُودٍ[1] نَحْوُهُ، وَزَادَ: «**ثُمَّ دَخَلْتُ الْمَسْجِدَ، فَعَرَفْتُ النَّبِيِّينَ مَا بَيْنَ قَائِمٍ وَرَاكِعٍ وَسَاجِدٍ، ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ فَأُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَقُمْنَا صُفُوفاً نَنْتَظِرُ مَنْ يَؤُمُّنَا، فَأَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ فَقَدَّمَنِي، فَصَلَّيْتُ بِهِمْ**».

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي أُمَامَةَ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ: «**ثُمَّ أُقِيمَتِ الصَّلاَةُ، فَتَدَافَعُوا حَتَّى قَدَّمُوا مُحَمَّداً ﷺ**».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ: «**ثُمَّ أَتَى بَيْتَ الْمَقْدِسِ، فَنَزَلَ فَرَبَطَ فَرَسَهُ إِلَى صَخْرَةٍ، ثُمَّ دَخَلَ فَصَلَّى مَعَ الْمَلاَئِكَةِ، فَلَمَّا قُضِيَتِ الصَّلاَةُ قَالُوا: يَا جِبْرِيلُ مَنْ هٰذَا مَعَكَ؟ قَالَ: هٰذَا مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ خَاتَمُ النَّبِيِّينَ، قَالُوا: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالُوا: حَيَّاهُ اللّهُ مِنْ أَخٍ وَخَلِيفَةٍ، فَنِعْمَ الأَخُ وَنِعْمَ الْخَلِيفَةُ، ثُمَّ لَقُوا أَرْوَاحَ الأَنْبِيَاءِ، فَأَثْنَوْا عَلَى رَبِّهِمْ، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي اتَّخَذَنِي خَلِيلاً، وَأَعْطَانِي مُلْكاً عَظِيماً، وَجَعَلَنِي أُمَّةً قَانِتاً يُؤْتَمُّ بِي، وَأَنْقَذَنِي مِنَ النَّارِ، وَجَعَلَهَا عَلَيَّ بَرْداً وَسَلاَماً**».

ثُمَّ إِنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي كَلَّمَنِي تَكْلِيماً، وَاصْطَفَانِي، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ التَّوْرَاةَ، وَجَعَلَ هَلاَكَ فِرْعَوْنَ وَنَجَاةَ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى يَدِي، وَجَعَلَ مِنْ أُمَّتِي قَوْماً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ**».

ثُمَّ إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي جَعَلَ لِي مُلْكاً عَظِيماً، وَعَلَّمَنِي الزَّبُورَ، وَأَلاَنَ لِيَ الْحَدِيدَ، وَسَخَّرَ لِي الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ مَعِي وَالطَّيْرَ، وَآتَانِي الْحِكْمَةَ وَفَصْلَ الْخِطَابِ**».

---

(١) عند الحسن بن عرفة، وأبي نُعيم.

ثُمَّ إِنَّ سُلَيْمَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي سَخَّرَ لِي الرِّيَاحَ، وَسَخَّرَ لِي الشَّيَاطِينَ يَعْمَلُونَ مَا شِئْتُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ، وَعَلَّمَنِي مَنطِقَ الطَّيْرِ، وَآتَانِي مِنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَسَخَّرَ لِي جُنُودَ الشَّيَاطِينِ وَالإِنسِ وَالْجِنِّ وَالطَّيْرِ، وَآتَانِي مُلْكاً لاَ يَنْبَغِي لأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي، وَجَعَلَ مُلْكِي مُلْكاً طَيِّباً لَيْسَ فِيهِ حِسَابٌ**».

ثُمَّ إِنَّ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي جَعَلَنِي كَلِمَتَهُ، وَجَعَلَنِي مِثْلَ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ، وَعَلَّمَنِي الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ، وَجَعَلَنِي أَخْلُقُ** ـ أَيْ: أُصَوِّرُ ـ **مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْراً بِإِذْنِ اللَّهِ، وَجَعَلَنِي أُبْرِىءُ الأَكْمَهَ**[1] **وَالأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ، وَرَفَعَنِي وَطَهَّرَنِي، وَأَعَاذَنِي وَأُمِّي مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّيْطَانِ عَلَيْنَا سَبِيلٌ**».

ثُمَّ إِنَّ مُحَمَّداً عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ فَقَالَ: «**كُلُّكُمْ أَثْنَى عَلَى رَبِّهِ، وَأَنَا أُثْنِي عَلَى رَبِّي: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَرْسَلَنِي رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ وَكَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً وَنَذِيراً، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ الْفُرْقَانَ فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ، وَجَعَلَ أُمَّتِي خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ، وَجَعَلَ أُمَّتِي أُمَّةً وَسَطاً، وَجَعَلَ أُمَّتِي هُمُ الأَوَّلُونَ**[2] **وَهُمُ الآخِرُونَ**[3]**، وَشَرَحَ لِي صَدْرِي، وَوَضَعَ عَنِّي وِزْرِي، وَرَفَعَ لِي ذِكْرِي، وَجَعَلَنِي فَاتِحاً وَخَاتِماً، فَقَالَ إِبْرَاهِيمُ: بِهٰذَا فَضَلَكُمْ مُحَمَّدٌ**».

ثُمَّ ذَكَرَ «**أَنَّهُ عُرِجَ بِهِ ﷺ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا، وَمِنْ سَمَاءٍ إِلَى سَمَاءٍ**» وَذَكَرَهُ فِي الشِّفَاءِ مُخْتَصَراً[4].

---

(١) الأعمىٰ.

(٢) في الذِّكر.

(٣) في الإيجاد.

(٤) وهذا لفظ البيهقي.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ فِي تَفْسِيرِهِ عَنْ أَنَسٍ: «**فَلَمَّا بَلَغَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ فَبَلَغَ الْمَكَانَ الَّذِي يُقَالُ لَهُ بَابُ مُحَمَّدٍ أَتَى إِلَى الْحَجَرِ الَّذِي بِهِ، فَغَمَزَهُ جِبْرِيلُ بِإِصْبَعِهِ فَثَقَبَهُ، ثُمَّ رَبَطَهَا، ثُمَّ صَعِدَا**[1]**، فَلَمَّا اسْتَوَيَا فِي سَرْحَةِ الْمَسْجِدِ** - أَيْ فِنَائِهِ - **قَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ! هَلْ سَأَلْتَ رَبَّكَ أَنْ يُرِيَكَ الْحُورَ الْعِينَ؟ قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: فَانْطَلِقْ إِلَى أُولَئِكَ النِّسْوَةِ فَسَلِّمْ عَلَيْهِنَّ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِنَّ، فَرَدَدْنَ عَلَيَّ السَّلَامَ، فَقُلْتُ: لِمَنْ أَنْتُنَّ؟ فَقُلْنَ: خَيْرَاتٌ حِسَانٌ، نِسَاءُ قَوْمٍ أَبْرَارٍ، نَقُوا فَلَمْ يَدْرَنُوا**[2]**، وَأَقَامُوا فَلَمْ يَظْعَنُوا، وَخُلِّدُوا فَلَمْ يَمُوتُوا، قَالَ: ثُمَّ انْصَرَفْتُ فَلَمْ أَلْبَثْ إِلاَّ يَسِيراً حَتَّى اجْتَمَعَ نَاسٌ كَثِيرٌ، ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ وَأُقِيمَتِ الصَّلَاةُ، قَالَ: فَقُمْنَا صُفُوفاً نَنْتَظِرُ مَنْ يَؤُمُّنَا، فَأَخَذَ بِيَدِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَقَدَّمَنِي، فَصَلَّيْتُ بِهِمْ، فَلَمَّا انْصَرَفْتُ قَالَ لِي جِبْرِيلُ: أَتَدْرِي مَنْ صَلَّى خَلْفَكَ؟ قُلْتُ: لاَ، قَالَ: صَلَّى خَلْفَكَ كُلُّ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ**».

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَالأَظْهَرُ أَنَّ صَلَاتَهُ بِهِمْ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ كَانَتْ قَبْلَ الْعُرُوجِ.

وَقَالَ ابْنُ كَثِيرٍ: صَلَّى بِهِمْ بِبَيْتِ الْمَقْدِسِ قَبْلَ الْعُرُوجِ وَبَعْدَهُ، فَإِنَّ فِي الْحَدِيثِ مَا يَدُلُّ عَلَى ذَلِكَ، وَلاَ مَانِعَ مِنْهُ.

وَوَقَعَ فِي بَعْضِ طُرُقِ الْحَدِيثِ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِالأَنْبِيَاءِ فِي السَّمَاوَاتِ[3]. اهـ

❋ ❋ ❋

---

(١) قال الزرقاني شارح المواهب: أي: مَرّا، فلا معنىٰ للصعود هنا، وأكثر النُّسَخ بإسقاطها.

(٢) لم يُصِبْهم دَرَن (وهو الوسَخ).

(٣) قال ابن حَجَر في فتح الباري ٢٠٩/١ ـ ٢١٠: الأظهر أن النبي ﷺ صلّى بالأنبياء جميعاً في بيت المقدس، ثم صعد منهم إلىٰ السماوات مَن ذُكر أنه ﷺ رآه، ويحتمل أن تكون صلاته بهم بعد أن هبط من السماء فهبطوا أيضاً. وصلاتهم معه يحتمل بأرواحهم، ويحتمل بأجسادهم مع أرواحهم.

[المعراج]

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: «لَمَّا فَرَغْتُ مِمَّا كَانَ فِي بَيْتِ الْمَقْدِسِ أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ، وَلَمْ أَرَ قَطُّ شَيْئاً أَحْسَنَ مِنْهُ، وَهُوَ الَّذِي يَمُدُّ إِلَيْهِ الْمَيِّتُ عَيْنَيْهِ إِذَا احْتُضِرَ[1]، فَأَصْعَدَنِي صَاحِبِي فِيهِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ السَّمَاءِ».

وَفِي رِوَايَةِ كَعْبٍ: «فَوُضِعَتْ لَهُ مِرْقَاةٌ مِنْ فِضَّةٍ، وَمِرْقَاةٌ مِنْ ذَهَبٍ، حَتَّى عَرَجَ هُوَ وَجِبْرِيلُ».

وَفِي كِتَابِ شَرَفِ الْمُصْطَفَى[2]: «أَنَّهُ أُتِيَ بِالْمِعْرَاجِ مِنْ جَنَّةِ الْفِرْدَوْسِ، وَأَنَّهُ مُنَضَّدٌ بِاللُّؤْلُؤِ، عَنْ يَمِينِهِ مَلاَئِكَةٌ، وَعَنْ يَسَارِهِ مَلاَئِكَةٌ».

وَفِي حَدِيثِ الْبُخَارِيِّ الَّذِي تَقَدَّمَ صَدْرُهُ، عَنْ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ: «فَانطَلَقَ بِي جِبْرِيلُ حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الدُّنْيَا، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ[3]: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ: قَالَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ فَإِذَا فِيهَا آدَمُ، قَالَ: هٰذَا أَبُوكَ آدَمُ فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّانِيَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يَحْيَى وَعِيسَى

---

(١) عجباً منه، فتعرج عليه روحه إلى السماء.

(٢) لابن الجوزي.

(٣) القائل هو بوّاب السماء، واسمه إسماعيل، كما في سيرة ابن هشام.

ـ وَهُمَا ابْنَا الْخَالَةِ ـ قَالَ: هٰذَا يَحْيَى وَعِيسَى فَسَلِّمْ عَلَيهِمَا، فَسَلَّمْتُ، فَرَدَّا، ثُمَّ قَالاَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الثَّالِثَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا يُوسُفُ، قَالَ: هٰذَا يُوسُفُ فَسَلِّمْ عَلَيهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الرَّابِعَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِدْرِيسُ، قَالَ: هٰذَا إِدْرِيسُ فَسَلِّمْ عَلَيهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ الخَامِسَةَ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا هَارُونُ، قَالَ: هٰذَا هَارُونُ فَسَلِّمْ عَلَيهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّادِسَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَباً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا مُوسَى، قَالَ: هٰذَا مُوسَى فَسَلِّمْ عَلَيهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيهِ، فَرَدَّ، ثُمَّ قَالَ: مَرْحَباً بِالأَخِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، فَلَمَّا تَجَاوَزْتُ بَكَى، قِيلَ لَهُ: وَمَا يُبْكِيكَ؟ قَالَ:

أَبْكِي لأَنَّ غُلاَمَاً بُعِثَ بَعْدِي، يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِهِ أَكْثَرُ مِمَّنْ يَدْخُلُهَا مِنْ أُمَّتِي.

ثُمَّ صَعِدَ بِي حَتَّى أَتَى السَّمَاءَ السَّابِعَةِ، فَاسْتَفْتَحَ، قِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: جِبْرِيلُ، قِيلَ: وَمَنْ مَعَكَ؟ قَالَ: مُحَمَّدٌ، قِيلَ: وَقَدْ أُرْسِلَ إِلَيْهِ؟ قَالَ: نَعَمْ، قِيلَ: مَرْحَبَاً بِهِ، فَنِعْمَ الْمَجِيءُ جَاءَ، فَفَتَحَ، فَلَمَّا خَلَصْتُ إِذَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: هٰذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، فَسَلِّمْ عَلَيْهِ، قَالَ: فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَرَدَّ السَّلاَمَ، فَقَالَ: مَرْحَبَاً بِالابْنِ الصَّالِحِ، وَالنَّبِيِّ الصَّالِحِ(١).

ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى سِدْرَةِ(٢) الْمُنْتَهَى(٣)، فَإِذَا نَبْقُهَا(٤) مِثْلُ قِلاَلِ هَجَرَ(٥)، وَإِذَا وَرَقُهَا مِثْلُ آذَانِ الْفِيَلَةِ، قَالَ: هٰذِهِ سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، وَإِذَا أَرْبَعَةُ أَنْهَارٍ: نَهْرَانِ بَاطِنَانِ، وَنَهْرَانِ ظَاهِرَانِ، فَقُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: أَمَّا الْبَاطِنَانِ: فَنَهْرَانِ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَّا الظَّاهِرَانِ: فَالنِّيلُ وَالْفُرَاتُ.

ثُمَّ رُفِعَ لِي الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ، يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلِكٍ.

ثُمَّ أُتِيتُ بِإِنَاءٍ مِنْ خَمْرٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ لَبَنٍ، وَإِنَاءٍ مِنْ عَسَلٍ، فَأَخَذْتُ اللَّبَنَ، فَقَالَ: هِيَ الْفِطْرَةُ الَّتِي أَنْتَ عَلَيْهَا وَأُمَّتُكَ.

---

(١) وقد استُشكل رؤية الأنبياء في السماوات مع أن أجسادهم مستقرةٌ في قبورهم بالأرض، وأجيب: بأن أرواحهم تشكّلت بصور أجسادهم إلا عيسى عليه الصلاة والسلام، لِما ثبت أنه رُفع بجسده، وقد قيل في إدريس أيضاً ذلك، أو أُحضرت أجسادهم لملاقاة النبي ﷺ تلك الليلة تشريفاً له وتكريماً. اهـ فتح الباري بتصرف.

(٢) شجرة.

(٣) وفيها رأىٰ جبريل عليه الصلاة والسلام علىٰ صورته. وهذه هي الرؤية الثانية، والأولىٰ في حراء.

(٤) النّبق: ثمر شجر السّدر.

(٥) القلال: جمع قُلّة (وهي الجرّة العظيمة)، سميت بذلك لأن الرَّجُل العظيم يُقِلُّها بيديه (أي: يرفعها).

ثُمَّ فُرِضَتْ عَلَيَّ الصَّلاةُ خَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ، فَرَجَعْتُ فَمَرَرْتُ عَلَى مُوسَى، فَقَالَ: بِمَ أُمِرْتَ؟ قُلْتُ: أُمِرْتُ بِخَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسِينَ صَلاةً كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَوَضَعَ عَنِّي عَشْراً، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِعَشْرِ صَلَوَاتٍ، فَرَجَعْتُ إِلَى مُوسَى، فَقَالَ مِثْلَهُ، فَرَجَعْتُ، فَأُمِرْتُ بِخَمْسِ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، قَالَ: إِنَّ أُمَّتَكَ لاَ تَسْتَطِيعُ خَمْسَ صَلَوَاتٍ كُلَّ يَوْمٍ، وَإِنِّي وَاللَّهِ قَدْ جَرَّبْتُ النَّاسَ قَبْلَكَ، وَعَالَجْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَشَدَّ الْمُعَالَجَةِ، فَارْجِعْ إِلَى رَبِّكَ، فَاسْأَلْهُ التَّخْفِيفَ لأُمَّتِكَ، قَالَ: سَأَلْتُ رَبِّي حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ، وَلٰكِنْ أَرْضَى وَأُسَلِّمُ، قَالَ: فَلَمَّا جَاوَزْتُ نَادَانِي مُنَادٍ: أَمْضَيْتُ فَرِيضَتِي، وَخَفَّفْتُ عَنْ عِبَادِي».

وَفِي الْبُخَارِيِّ فِي الصَّلاةِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ حِينَ خَلَصَ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا: «فَإِذَا رَجُلٌ قَاعِدٌ عَلَى يَمِينِهِ أَسْوِدَةٌ، وَعَلَى يَسَارِهِ أَسْوِدَةٌ، إِذَا نَظَرَ قِبَلَ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ قِبَلَ شِمَالِهِ بَكَى، فَقَالَ: مَرْحَباً بِالنَّبِيِّ الصَّالِحِ، وَالابْنِ الصَّالِحِ، قُلْتُ لِجِبْرِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: هٰذَا آدَمُ، وَهٰذِهِ الأَسْوِدَةُ عَنْ يَمِينِهِ وَشِمَالِهِ نَسَمُ بَنِيهِ، فَأَهْلُ الْيَمِينِ مِنْهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، وَالأَسْوِدَةُ الَّتِي عَنْ شِمَالِهِ أَهْلُ النَّارِ، فَإِذَا نَظَرَ عَنْ يَمِينِهِ ضَحِكَ، وَإِذَا نَظَرَ عَنْ شِمَالِهِ بَكَى». (وَالأَسْوِدَةُ: جَمْعُ سَوَادٍ، هِيَ الأَشْخَاصُ. وَالنَّسَمُ: جَمْعُ نَسَمَةٍ، وَهِيَ الرُّوحُ).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: «ثُمَّ عُرِجَ بِنَا إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَإِذَا أَنَا بِإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ، مُسْنِداً ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ، وَإِذَا هُوَ يَدْخُلُهُ كُلَّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، ثُمَّ لاَ يَعُودُونَ إِلَيْهِ».

وَفِيهِ فِي السَّمَاءِ الثَّالِثَةِ: «**فَإِذَا أَنَا بِيُوسُفَ، وَإِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطْرَ الْحُسْنِ**»[1].

وَفِي حَدِيثِ الْبَيْهَقِيِّ وَغَيْرِهِ: «**فَإِذَا أَنَا بِرَجُلٍ أَحْسَنَ مَا خَلَقَ اللَّهُ، قَدْ فَضَلَ النَّاسَ بِالْحُسْنِ، كَالْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ عَلَى سَائِرِ الْكَوَاكِبِ**» وَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى غَيْرِ نَبِيِّنَا ﷺ، فَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: «مَا بَعَثَ اللَّهُ نَبِيًّا إِلاَّ حَسَنَ الْوَجْهِ، حَسَنَ الصَّوْتِ، وَكَانَ نَبِيُّكُمْ أَحْسَنَهُمْ وَجْهاً، وَأَحْسَنَهُمْ صَوْتاً».

وَوَقَعَ فِي غَيْرِ رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ هُنَا زِيَادَةٌ، فَمِنْهَا: مَا وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ فِي دَلاَئِلِهِ: «**ثُمَّ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، فَإِذَا إِبْرَاهِيمُ الْخَلِيلُ سَانِدٌ ظَهْرَهُ إِلَى الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ كَأَحْسَنِ الرِّجَالِ، وَمَعَهُ نَفَرٌ مِنْ قَوْمِهِ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، وَسَلَّمَ عَلَيَّ، وَإِذَا بِأُمَّتِي شَطْرَيْنِ: شَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ بِيضٌ كَأَنَّهُمُ الْقَرَاطِيسُ**[2]**، وَشَطْرٌ عَلَيْهِمْ ثِيَابٌ رُمْدَةٌ، قَالَ: فَدَخَلْتُ الْبَيْتَ الْمَعْمُورَ، وَدَخَلَ مَعِي الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الْبِيضُ، وَحُجِبَ الآخَرُونَ الَّذِينَ عَلَيْهِمُ الثِّيَابُ الرُّمْدَةُ، فَصَلَّيْتُ أَنَا وَمَنْ مَعِي فِي الْبَيْتِ الْمَعْمُورِ**».

وَفِي رِوَايَةِ الطَّبَرَانِيِّ: «**فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ أَشْمَطَ**[3] **جَالِساً عَلَى بَابِ الْجَنَّةِ عَلَى كُرْسِيٍّ، وَعِنْدَهُ قَوْمٌ جُلُوسٌ بِيضُ الْوُجُوهِ أَمْثَالُ الْقَرَاطِيسِ، وَقَوْمٌ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، فَدَخَلُوا نَهراً فَاغْتَسَلُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، ثُمَّ دَخَلُوا نَهراً آخَرَ فَاغْتَسَلُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَ مِنْ أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ، ثُمَّ دَخَلُوا نَهراً آخَرَ فَاغْتَسَلُوا فِيهِ، فَخَرَجُوا وَقَدْ خَلَصَتْ أَلْوَانُهُمْ، وَصَارَتْ مِثْلَ أَلْوَانِ الْبِيضِ الْوُجُوهِ، فَقَالَ: مَنْ هٰذَا؟ وَمَنْ هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ فِي**

---

(١) نصفه.

(٢) الورَق.

(٣) أبيض شعر الرأس يخالطه سواد.

أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ؟ وَمَا هٰذِهِ الأَنْهَارُ الَّتِي دَخَلُوا فِيهَا وَقَدْ صَفَتْ أَلْوَانُهُمْ؟ قَالَ: هٰذَا أَبُوكَ إِبْرَاهِيمُ، أَوَّلُ مَنْ شَمِطَ عَلَى الأَرْضِ، وَأَمَّا هٰؤُلاَءِ الْبِيضُ الْوُجُوهُ: فَقَوْمٌ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ، وَأَمَّا هٰؤُلاَءِ النَّفَرُ الَّذِينَ فِي أَلْوَانِهِمْ شَيْءٌ: فَقَوْمٌ خَلَطُوا عَمَلاً صَالِحاً وَآخَرَ سَيِّئاً فَتَابُوا فَتَابَ اللّٰهُ عَلَيْهِمْ، وَأَمَّا الأَنْهَارُ فَأَوَّلُهَا: رَحْمَةُ اللّٰهِ، وَالثَّانِي: نِعْمَةُ اللّٰهِ، وَالثَّالِثُ: وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً».

وَعَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «أَنَّ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: يَا بُنَيَّ! إِنَّكَ لاَقٍ رَبَّكَ اللَّيْلَةَ، وَإِنَّ أُمَّتَكَ آخِرُ الأُمَمِ وَأَضْعَفُهَا، فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ حَاجَتُكَ فِي أُمَّتِكَ فَافْعَلْ»(١).

وَرَوَى ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ أَنَسٍ: «أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعْدَ أَنْ رَأَى إِبْرَاهِيمَ قَالَ: ثُمَّ انْطَلَقَ بِي عَلَى ظَهْرِ السَّمَاءِ السَّابِعَةِ، حَتَّى انْتَهَى إِلَى نَهْرٍ عَلَيْهِ خِيَامُ الْيَاقُوتِ وَاللُّؤْلُؤِ وَالزَّبَرْجَدِ، وَعَلَيْهِ طَيْرٌ أَخْضَرُ(٢)، أَنْعَمُ طَيْرٍ رَأَيْتُ، قَالَ جِبْرِيلُ: هٰذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا فِيهِ آنِيَةُ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ، يَجْرِي عَلَى رَضْرَاضٍ(٣) مِنَ الْيَاقُوتِ وَالزُّمُرُّدِ، مَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، قَالَ: فَأَخَذْتُ مِنْ آنِيَتِهِ، فَاغْتَرَفْتُ مِنْ ذٰلِكَ الْمَاءِ، فَشَرِبْتُ، فَإِذَا هُوَ أَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، وَأَشَدُّ رَائِحَةً مِنَ الْمِسْكِ».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ: «بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، وَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ(٤)، فَقَالَ جِبْرِيلُ: هٰذَا الْكَوْثَرُ».

---

(١) هذا الحديث ساقه الشامي في قصة الإسراء، وفيه: أن لقاءه بإبراهيم كان في بيت المقدس، لا كما أوهمه المصنف.

(٢) الصواب: خُضر، كما في المواهب.

(٣) وهي الحصىٰ الصِّغار في مجاري المياه.

(٤) اشتدّت رائحته الطيّبة.

وَقَدْ وَقَعَ فِي رِوَايَةِ أَبِي ذَرٍّ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ: **«ثُمَّ أُدْخِلْتُ الْجَنَّةَ، فَإِذَا فِيهَا جَنَابِذُ اللُّؤْلُؤِ، وَإِذَا تُرَابُهَا الْمِسْكُ»** (وَالْجَنَابِذُ: الْقِبَابُ). اهـ

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ عِنْدَ الْبَيْهَقِيِّ: **«ثُمَّ صَعِدَ بِي إِلَى السَّمَاءِ السَّابِعَةِ،** قَالَ: **ثُمَّ رُفِعَتْ لِي سِدْرَةُ الْمُنْتَهَى، فَإِذَا كُلُّ وَرَقَةٍ مِنْهَا تُغَطِّي هٰذِهِ الأُمَّةَ، وَإِذَا فِيهَا عَيْنٌ تَجْرِي يُقَالُ لَهَا السَّلْسَبِيلُ، فَيَنْشَقُّ مِنْهَا نَهْرَانِ: أَحَدُهُمَا الْكَوْثَرُ، وَالآخَرُ يُقَالُ لَهُ الرَّحْمَةُ، فَاغْتَسَلْتُ فِيهِ، فَغُفِرَ لِي مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِي وَمَا تَأَخَّرَ، ثُمَّ رُفِعْتُ إِلَى الْجَنَّةِ، فَاسْتَقْبَلَتْنِي جَارِيَةٌ، فَقُلْتُ لَهَا: لِمَنْ أَنْتِ يَا جَارِيَةُ؟ قَالَتْ: لِزَيْدِ بْنِ حَارِثَةَ.** وَفِيهِ: **وَإِذَا رُمَّانُهَا كَأَنَّهُ الدِّلَاءُ عِظَماً، وَإِذَا طَيْرُهَا كَأَنَّهُ الْبُخْتُ**[1]**، ثُمَّ عُرِضَتْ عَلَيَّ النَّارُ، فَإِذَا فِيهَا غَضَبُ اللّٰهِ وَرِجْزُهُ وَنِقْمَتُهُ، لَوْ طُرِحَتْ فِيهَا الْحِجَارَةُ وَالْحَدِيدُ لأَكَلَتْهَا، ثُمَّ أُغْلِقَتْ دُونِي».**

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ فِي الصَّلَاةِ[2]: **«ثُمَّ عُرِجَ بِي حَتَّى ظَهَرْتُ لِمُسْتَوًى أَسْمَعُ فِيهِ صَرِيفَ الأَقْلَامِ»** الْحَدِيثَ. (وَالْمُسْتَوَى: الْمَصْعَدُ. وَصَرِيفُ الأَقْلَامِ: تَصْوِيتُهَا حَالَةَ الْكِتَابَةِ، وَالْمُرَادُ: مَا تَكْتُبُهُ الْمَلَائِكَةُ مِنْ أَقْضِيَةِ اللّٰهِ تَعَالَىٰ)[3].

وَذَكَرَ أَبُو الْحَسَنِ بْنُ غَالِبٍ فِيمَا تَكَلَّمَ فِيهِ عَلَى أَحَادِيثِ الْحُجُبِ السَّبْعِينَ وَالسَّبْعِ مِئَةٍ وَالسَّبْعِينَ أَلْفَ حِجَابٍ، وَعَزَاهَا لأَبِي الرَّبِيعِ ابْنِ سَبْعٍ فِي شِفَاءِ الصُّدُورِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ[4]: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ بَعْدَ أَنْ ذَكَرَ مَبْدَأَ حَدِيثِ الإِسْرَاءِ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ، وَكَانَ السَّفِيرَ بِي إِلَى رَبِّي إِلَى أَنِ انْتَهَى إِلَى مَقَامٍ، ثُمَّ وَقَفَ عِنْدَ ذٰلِكَ، فَقُلْتُ: يَا جِبْرِيلُ فِي مِثْلِ هٰذَا الْمَقَامِ يَتْرُكُ**

---

(١) الإبل.

(٢) أي: في كتاب الصلاة.

(٣) المكتوبة في اللوح المحفوظ.

(٤) وهو حديث باطل، كما قال في أسنى المطالب.

الْخَلِيلُ خَلِيلَهُ؟ فَقَالَ: إِنْ تَجَاوَزْتُهُ احتَرَقْتُ بِالنُّورِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: يَا جِبْرِيلُ هَلْ لَكَ مِنْ حَاجَةٍ إِلَى رَبِّكَ؟ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! سَلِ اللَّهَ فِي أَنْ أَبْسُطَ جَنَاحِي عَلَى الصِّرَاطِ لأُمَّتِكَ حَتَّى يَجُوزُوا عَلَيْهِ، قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: ثُمَّ زُجَّ بِي فِي النُّورِ زَجًّا، فَخُرِقَ بِي سَبْعُونَ أَلْفَ حِجَابٍ، لَيْسَ فِيهَا حِجَابٌ يُشْبِهُ حِجَاباً، وَانْقَطَعَ عَنِّي حِسُّ كُلِّ مَلَكٍ وَإِنْسِيٍّ، فَلَحِقَنِي عِنْدَ ذٰلِكَ اسْتِيحَاشٌ، فَعِنْدَ ذٰلِكَ نَادَانِي مُنَادٍ؛ بِلُغَةِ أَبِي بَكْرٍ: قِفْ إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّي، فَبَيْنَمَا أَنَا أَتَفَكَّرُ فِي ذٰلِكَ أَقُولُ هَلْ سَبَقَنِي أَبُو بَكْرٍ؟ فَإِذَا النِّدَاءُ مِنَ الْعَلِيِّ الأَعْلَى: ادْنُ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ! ادْنُ يَا أَحْمَدُ! ادْنُ يَا مُحَمَّدُ! لِيَدْنُ الْحَبِيبُ، فَأَدْنَانِي رَبِّي حَتَّى كُنْتُ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾[1]، قَالَ: وَسَأَلَنِي رَبِّي فَلَمْ أَسْتَطِعْ أَنْ أُجِيبَهُ، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيَّ بِلاَ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَحْدِيدٍ، فَوَجَدْتُ بَرْدَهَا بَيْنَ ثَدْيَيَّ، فَأَوْرَثَنِي عِلْمَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَعَلَّمَنِي عُلُوماً شَتَّى، فَعِلْمٌ أَخَذَ عَلَيَّ كِتْمَانَهُ إِذْ عَلِمَ أَنَّهُ لاَ يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِهِ أَحَدٌ غَيْرِي، وَعِلْمٌ خَيَّرَنِي فِيهِ، وَعَلَّمَنِي الْقُرْآنَ، فَكَانَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُذَكِّرُنِي بِهِ، وَعِلْمٌ أَمَرَنِي بِتَبْلِيغِهِ إِلَى الْعَامِّ وَالْخَاصِّ مِنْ أُمَّتِي، وَلَقَدْ عَاجَلْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي آيَةٍ نَزَلَ عَلَيَّ بِهَا فَعَاتَبَنِي رَبِّي، وَأَنْزَلَ عَلَيَّ ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ ۖ وَقُل رَّبِّ زِدْنِى عِلْمًا﴾[2]، ثُمَّ قُلْتُ: اللَّهُمَّ إِنَّهُ لَمَّا لَحِقَنِي اسْتِيحَاشٌ قَبْلَ قُدُومِي عَلَيْكَ سَمِعْتُ مُنَادِياً يُنَادِي بِلُغَةٍ تُشْبِهُ لُغَةَ أَبِي بَكْرٍ فَقَالَ لِي: قِفْ إِنَّ رَبَّكَ يُصَلِّي، فَعَجِبْتُ مِنْ هَاتَيْنِ، هَلْ سَبَقَنِي أَبُو بَكْرٍ إِلَى هٰذَا الْمَقَامِ؟ وَإِنَّ رَبِّي لَغَنِيٌّ عَنْ أَنْ يُصَلِّيَ؟ قَالَ: فَنَادَانِي: أَنَا الْغَنِيُّ عَنْ أَنْ أُصَلِّيَ لأَحَدٍ، وَإِنَّمَا أَقُولُ: سُبْحَانِي، سُبْحَانِي، سَبَقَتْ رَحْمَتِي غَضَبِي، اقْرَأْ يَا مُحَمَّدُ ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ

(١) سورة النجم، الآية: ٩.

(٢) سورة طه، الآية: ١١٤.

لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾[1]، فَصَلاتِي رَحْمَةٌ لَكَ وَلِأُمَّتِكَ، وَأَمَّا أَمْرُ صَاحِبِكَ يَا مُحَمَّدُ، فَإِنَّ أَخَاكَ مُوسَى كَانَ أُنْسُهُ بِالْعَصَا، فَلَمَّا أَرَدْنَا كَلامَهُ قُلْنَا: وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى؟ قَالَ: هِيَ عَصَايَ، وَشُغِلَ بِذِكْرِ الْعَصَا عَنْ عَظِيمِ الْهَيْبَةِ، وَكَذٰلِكَ أَنْتَ يَا مُحَمَّدُ، لَمَّا كَانَ أُنْسُكَ بِصَاحِبِكَ أَبِي بَكْرٍ، وَإِنَّكَ خُلِقْتَ أَنْتَ وَهُوَ مِنْ طِينَةٍ وَاحِدَةٍ، وَهُوَ أَنِيسُكَ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ؛ خَلَقْنَا مَلَكاً عَلَى صُورَتِهِ يُنَادِيكَ بِلُغَتِهِ، لِيَزُولَ عَنْكَ الاسْتِيحَاشُ، لِئَلاَّ يَلْحَقَكَ مِنْ عَظِيمِ الْهَيْبَةِ مَا يَقْطَعُكَ عَنْ فَهْمِ مَا يُرَادُ مِنْكَ، ثُمَّ قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: وَأَيْنَ حَاجَةُ جِبْرِيلَ؟ فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ أَعْلَمُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قَدْ أَجَبْتُهُ فِيمَا سَأَلَ، وَلٰكِنْ فِي مَنْ أَحَبَّكَ وَصَحِبَكَ».

وَفِي رِوَايَةٍ: «فَتَقَدَّمْتُ وَجِبْرِيلُ عَلَى أَثَرِي، حَتَّى انْتَهَى بِي إِلَى حِجَابِ فِرَاشِ الذَّهَبِ، فَحَرَّكَ الْحِجَابَ فَقِيلَ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: أَنَا جِبْرِيلُ وَمَعِي مُحَمَّدٌ ﷺ، فَقَالَ الْمَلَكُ: اللّٰهُ أَكْبَرُ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْحِجَابِ فَاحْتَمَلَنِي، فَوَضَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ فِي أَسْرَعِ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ، وَغِلَظُ الْحِجَابِ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، فَقَالَ لِي: تَقَدَّمْ يَا مُحَمَّدُ، فَمَضَيْتُ، فَانْطَلَقَ بِي الْمَلَكُ فِي أَسْرَعِ مِنْ طَرْفَةِ عَيْنٍ إِلَى حِجَابِ اللُّؤْلُؤِ، فَحَرَّكَ الْحِجَابَ، فَقَالَ الْمَلَكُ مِنْ وَرَاءِ الْحِجَابِ: مَنْ هٰذَا؟ قَالَ: أَنَا فُلاَنٌ صَاحِبُ حِجَابِ الذَّهَبِ، وَهٰذَا مُحَمَّدٌ ﷺ رَسُولُ رَبِّ الْعِزَّةِ، فَقَالَ الْمَلَكُ: اللّٰهُ أَكْبَرُ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْحِجَابِ، فَاحْتَمَلَنِي حَتَّى وَضَعَنِي بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمْ أَزَلْ كَذٰلِكَ مِنْ حِجَابٍ إِلَى حِجَابٍ، حَتَّى جَاوَزْتُ سَبْعِينَ حِجَاباً، غِلَظُ كُلِّ حِجَابٍ مَسِيرَةُ خَمْسِ مِئَةِ عَامٍ، ثُمَّ دُلِّيَ لِي رَفْرَفٌ أَخْضَرُ تَغْلِبُ خُضْرَتُهُ ضَوْءَ الشَّمْسِ، فَالْتَمَعَ بَصَرِي، وَوُضِعْتُ عَلَى ذٰلِكَ الرَّفْرَفِ، ثُمَّ احْتُمِلْتُ حَتَّى وَصَلْتُ إِلَى الْعَرْشِ، فَأَبْصَرْتُ أَمْراً عَظِيماً لاَ تَنَالُهُ الأَلْسُنُ، ثُمَّ دُلِّيَ لِي قَطْرَةٌ مِنَ الْعَرْشِ،

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

فَوَقَعَتْ عَلَى لِسَانِي، فَمَا ذَاقَ الذَّائِقُونَ شَيْئاً قَطُّ أَحْلَى مِنْهَا، فَأَنْبَأَنِي اللَّهُ بِهَا نَبَأَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَنَوَّرَ قَلْبِي، وَغَشِيَ نُورُ عَرْشِهِ بَصَرِي، فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، فَجَعَلْتُ أَرَى بِقَلْبِي وَلاَ أَرَى بِعَيْنِي، وَرَأَيْتُ مِنْ خَلْفِي وَمِنْ بَيْنِ كَتِفَيَّ، كَمَا رَأَيْتُ أَمَامِي» الْحَدِيثَ، رَوَاهُ وَالَّذِي قَبْلَهُ فِي كِتَابِ شِفَاءِ الصُّدُورِ، كَمَا ذَكَرَهُ ابْنُ غَالِبٍ[1]. (وَالرَّفْرَفُ: الْبِسَاطُ).

وَاعْلَمْ أَنَّ مَا ذُكِرَ فِي هٰذَا الْمَحَلِّ الرَّفِيعِ مِنَ الْحُجُبِ، فَهُوَ فِي حَقِّ الْمَخْلُوقِ لاَ فِي حَقِّ الْخَالِقِ عَزَّ وَجَلَّ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مُنَزَّهٌ عَمَّا يَحْجُبُهُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ، وَعُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ، وَكَعْبِ الأَحْبَارِ، وَغَيْرِهِمْ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ رَأَى رَبَّهُ بِعَيْنِهِ، بِلاَ تَكْيِيفٍ وَلاَ تَشْبِيهٍ.

وَلَمَّا رَجَعَ ﷺ مِنْ سَفَرِ الإِسْرَاءِ مَرَّ فِي بَعْضِ طَرِيقِهِ بِعِيرٍ[2] لِقُرَيْشٍ تَحْمِلُ طَعَاماً فِيهَا جَمَلٌ عَلَيْهِ غِرَارَتَانِ: غِرَارَةٌ سَوْدَاءُ، وَغِرَارَةٌ بَيْضَاءُ، فَلَمَّا حَاذَى الْعِيرَ نَفَرَتْ مِنْهُ وَاسْتَدَارَتْ، وَصُرِعَ ذٰلِكَ الْجَمَلُ. وَفِي رِوَايَةٍ[3]: وَمَرَّ بِعِيرٍ قَدْ أَضَلُّوا بَعِيراً لَهُمْ قَدْ جَمَعَهُ فُلاَنٌ، قَالَ ﷺ: **«فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: هٰذَا صَوْتُ مُحَمَّدٍ»** ثُمَّ أَتَى مَكَّةَ قَبْلَ الصُّبْحِ، وَأَخْبَرَ قَوْمَهُ بِمَا رَأَى، وَقَالَ لَهُمْ: **«إِنَّ مِنْ آيَةِ مَا أَقُولُ لَكُمْ أَنِّي مَرَرْتُ بِعِيرِكُمْ فِي مَكَانِ كَذَا وَكَذَا، وَقَدْ أَضَلُّوا بَعِيراً لَهُمْ، فَجَمَعَهُ فُلاَنٌ، وَإِنَّ مَسِيرَهُمْ يَنْزِلُونَ بِمَكَانِ كَذَا وَكَذَا، وَيَأْتُونَكُمْ يَوْمَ كَذَا وَكَذَا يَقْدُمُهُمْ جَمَلٌ آدَمُ[4] عَلَيْهِ مِسْحٌ[5] أَسْوَدُ وَغِرَارَتَانِ»**

---

(١) والعهدة عليه في ذلك، كما ذكر القسطلاني في المواهب. وقال الشامي: وهو كذب بلا شكّ.

(٢) قافلة من الإبل.

(٣) عن البيهقي بإسناد صحيح.

(٤) أسمر.

(٥) كساء من شعَر.

فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ أَشْرَفَ النَّاسُ يَنْظُرُون، حَتَّى إِذَا كَانَ قَرِيبٌ مِنْ نِصْفِ النَّهَارِ أَقْبَلَتِ الْعِيرُ يَقْدُمُهُمْ ذٰلِكَ الْجَمَلُ الَّذِي وَصَفَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَفِي رِوَايَةٍ[1]: سَأَلُوهُ آيَةً[2]، فَأَخْبَرَهُمْ بِقُدُومِ الْعِيرِ يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ، فَلَمَّا كَانَ ذٰلِكَ الْيَوْمُ لَمْ يَقْدَمُوا حَتَّى كَادَتِ الشَّمْسُ أَنْ تَغْرُبَ، فَدَعَا اللّٰهَ تَعَالَى فَحَبَسَ الشَّمْسَ حَتَّى قَدِمُوا كَمَا وَصَفَ.اهـ

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: أَنَّهُ سَعَى رِجَالٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ فَقَالُوا: هَلْ لَكَ إِلَى صَاحِبِكَ؟ يَزْعُمُ أَنَّهُ أُسْرِيَ بِهِ اللَّيْلَةَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ، قَالَ: وَقَدْ كَانَ ذٰلِكَ؟ قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: لَئِنْ قَالَ ذٰلِكَ لَقَدْ صَدَقَ، قَالُوا: تُصَدِّقُهُ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ إِلَى بَيْتِ الْمَقْدِسِ وَجَاءَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ؟ فَقَالَ: نَعَمْ، إِنِّي لأُصَدِّقُهُ فِيمَا هُوَ أَبْعَدُ مِنْ ذٰلِكَ؛ أُصَدِّقُهُ فِي خَبَرِ السَّمَاءِ فِي غَدْوَةٍ أَوْ رَوْحَةٍ، فَلِذٰلِكَ سُمِّيَ الصِّدِّيقَ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرِكِ، وَابْنُ إِسْحَاقَ، وَزَادَ: ثُمَّ أَقْبَلَ حَتَّى انْتَهَى إِلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللّٰهِ! أَحَدَّثْتَ هٰؤُلاَءِ أَنَّكَ جِئْتَ بَيْتَ الْمَقْدِسِ اللَّيْلَةَ؟ قَالَ: **«نَعَمْ»** فَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللّٰهِ! صِفْهُ لِي فَإِنِّي قَدْ جِئْتُهُ، قَالَ الْحَسَنُ: فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«فَرُفِعَ لِي الْمَسْجِدُ حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ»** فَجَعَلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَصِفُهُ لأَبِي بَكْرٍ، فَيَقُولُ أَبُو بَكْرٍ: صَدَقْتَ، أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللّٰهِ، كُلَّمَا وَصَفَ لَهُ مِنْهُ شَيْئاً. وَقَوْلُ أَبِي بَكْرٍ: صِفْهُ لِي، لَمْ يَكُنْ عَنْ شَكٍّ، فَإِنَّهُ صَدَّقَهُ مِنْ أَوَّلِ وَهْلَةٍ، وَلٰكِنَّهُ أَرَادَ إِظْهَارَ صِدْقِهِ لِقَوْمِهِ.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: **«فَجَلَّى اللّٰهُ لِي بَيْتَ الْمَقْدِسِ»** أَيْ: كَشَفَ الْحُجُبَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ حَتَّى رَأَيْتُهُ.

---

(١) عند البيهقي في الدلائل بسند ضعيف.

(٢) علامة.

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِم: «**فَسَأَلُونِي عَنْ أَشْيَاءَ لَمْ أُثْبِتْهَا، فَكُرِبْتُ كَرْباً شَدِيداً لَمْ أُكْرَبْ مِثْلَهُ قَطُّ، فَرَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيَّ أَنْظُرُ إِلَيْهِ، مَا يَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ إِلاَّ أَنْبَأْتُهُمْ بِهِ**».

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاس: «**فَجِيءَ بِالْمَسْجِدِ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ، حَتَّى وُضِعَ عِنْدَ دَارِ عَقِيلٍ، فَنَعَتُّهُ وَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيْهِ**» وَهٰذَا أَبْلَغُ فِي الْمُعْجِزَةِ، وَلاَ اسْتِحَالَةَ فِيهِ، فَقَدْ أُحْضِرَ عَرْشُ بَلْقِيسَ بِطَرْفَةِ عَيْنٍ.

وَفِي حَدِيثِ أُمِّ هَانِيءٍ: أَنَّهُمْ قَالُوا: كَمْ لِلْمَسْجِدِ مِنْ بَابٍ؟ قَالَ: «**وَلَمْ أَكُنْ عَدَدْتُهَا**» قَالَ: «**فَجَعَلْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَعُدُّهَا بَاباً بَاباً**».

وَفِي كَلاَمِ بَعْضِ أَهْلِ الإِشَارَاتِ(١): «لَمَّا كَانَ ﷺ ثَمَرَةَ شَجَرَةِ الْكَوْنِ، وَدُرَّةَ صَدَفَةِ الْوُجُودِ، وَسِرَّ مَعْنَى كَلِمَةِ كُنْ، وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ عَرْضِ هٰذِهِ الثَّمَرَةِ بَيْنَ يَدَيْ مُثْمِرِهَا، وَرَفْعِهَا إِلَى حَضْرَةِ قُدْسِهِ، وَالطَّوَافِ بِهَا عَلَى نُدْمَانِ حَضْرَتِهِ، أَرْسَلَ إِلَيْهِ أَعَزَّ خُدَّامِ الْمَلِكِ عَلَيْهِ، فَلَمَّا وَرَدَ عَلَيْهِ قَادِماً وَافَاهُ عَلَى فِرَاشِهِ نَائِماً، فَقَالَ لَهُ: قُمْ يَا نَائِمُ! فَقَدْ هُيِّئَتْ لَكَ الْغَنَائِمُ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعِ الأَيْنَ مِنَ الْبَيْنِ(٢)، إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ الْقِدَمِ، أُرْسِلْتُ إِلَيْكَ لأَكُونَ مِنْ جُمْلَةِ الْخَدَمِ، يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ مُرَادُ الإِرَادَةِ، الْكُلُّ مُرَادٌ لأَجْلِكَ، وَأَنْتَ مُرَادٌ لأَجْلِهِ، أَنْتَ صَفْوَةُ كَأْسِ الْمَحَبَّةِ، أَنْتَ دُرَّةُ هٰذِهِ الصَّدَفَةِ، أَنْتَ شَمْسُ الْمَعَارِفِ، أَنْتَ بَدْرُ اللَّطَائِفِ، مَا مُهِّدَتِ الدَّارُ إِلاَّ لأَجْلِكَ، مَا حُمِيَ هٰذَا الْحِمَى إِلاَّ لِوَصْلِكَ، مَا رُوِّقَ كَأْسُ الْمَحَبَّةِ إِلاَّ لِشُرْبِكَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: يَا جِبْرِيلُ! فَالْكَرِيمُ يَدْعُونِي إِلَيْهِ؟ فَمَا الَّذِي يَفْعَلُ بِي؟ قَالَ: لِيَغْفِرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! هٰذَا لِي فَمَا لِعِيَالِي وَأَطْفَالِي؟ قَالَ: وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى،

---

(١) لم أجد هذا في المواهب اللدنية.

(٢) البعد، أو الناحية.

قَالَ: يَا جِبْرِيلُ! الآنَ طَابَ قَلْبِي، هَا أَنَا ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي، ثُمَّ قَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّمَا جِيءَ بِي إِلَيْكَ اللَّيْلَةَ لأَكُونَ خَادِمَ دَوْلَتِكَ، وَحَاجِبَ حَاشِيَتِكَ، وَحَامِلَ غَاشِيَتِكَ(١)، وَجِيءَ بِالْمَرْكُوبِ إِلَيْكَ لإِظْهَارِ كَرَامَتِكَ، لأَنَّ مِنْ عَادَةِ الْمُلُوكِ إِذَا اسْتَزَارُوا حَبِيباً أَوِ اسْتَدْعَوْا قَرِيباً وَأَرَادُوا ظُهُورَ إِكْرَامِهِ وَاحْتِرَامِهِ أَرْسَلُوا أَخَصَّ خُدَّامِهِمْ وَأَعَزَّ نُوَّابِهِمْ لِنَقْلِ أَقْدَامِهِمْ، فَجِئْنَاكَ عَلَى رَسْمِ عَادَةِ الْمُلُوكِ، وَآدَابِ السُّلُوكِ، وَمَنِ اعْتَقَدَ أَنَّهُ يَصِلُ إِلَيْهِ بِالْخُطَا فَقَدْ وَقَعَ فِي الْخَطَا، وَمَنْ ظَنَّ أَنَّهُ مَحْجُوبٌ بِالْغِطَا فَقَدْ حُرِمَ الْعَطَا».

وَلِبَعْضِ أَهْلِ الإِشَارَاتِ أَيْضاً: كَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَالَ لَهُ ﷺ: «يَا مُحَمَّدُ! قَدْ أَعْطَيْتُكَ نُوراً تَنْظُرُ بِهِ جَمَالِي، وَسَمْعاً تَسْمَعُ بِهِ كَلاَمِي، يَا مُحَمَّدُ! إِنِّي أُعَرِّفُكَ بِلِسَانِ الْحَالِ مَعْنَى عُرُوجِكَ إِلَيَّ، يَا مُحَمَّدُ! أَرْسَلْتُكَ إِلَى النَّاسِ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، وَالشَّاهِدُ مُطَالَبٌ بِحَقِيقَةِ مَا يَشْهَدُ بِهِ، فَأُرِيكَ جَنَّتِي لِتُشَاهِدَ مَا أَعْدَدْتُ فِيهَا لأَوْلِيَائِي، وَأُرِيكَ نَارِي لِتُشَاهِدَ مَا أَعْدَدْتُ فِيهَا لأَعْدَائِي، ثُمَّ أُشْهِدُكَ جَلاَلِي وَأَكْشِفُ لَكَ عَنْ جَمَالِي لِتَعْلَمَ أَنِّي مُنَزَّهٌ فِي كَمَالِي عَنِ الشَّبِيهِ وَالنَّظِيرِ وَالْوَزِيرِ وَالْمُشِيرِ، فَرَآهُ ﷺ بِالنُّورِ الَّذِي قَوَّاهُ مِنْ غَيْرِ إِدْرَاكٍ وَلاَ إِحَاطَةٍ، فَرْداً صَمَداً لاَ فِي شَيْءٍ، وَلاَ مِنْ شَيْءٍ، وَلاَ قَائِماً بِشَيْءٍ، وَلاَ عَلَى شَيْءٍ، وَلاَ مُفْتَقِراً إِلَى شَيْءٍ، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ، فَلَمَّا كَلَّمَهُ شِفَاهاً وَشَاهَدَهُ كِفَاحاً(٢) قِيلَ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ؛ لاَ بُدَّ لِهٰذِهِ الْخَلْوَةِ مِنْ سِرٍّ لاَ يُذَاعُ، وَرَمْزٍ لاَ يُشَاعُ، فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى، فَكَانَ سِرًّا مِنْ سِرٍّ لَمْ يَقِفْ عَلَيْهِ مَلَكٌ مُقَرَّبٌ، وَلاَ نَبِيٌّ مُرْسَلٌ، وَلَمَّا انْتَهَى إِلَى الْعَرْشِ تَمَسَّكَ الْعَرْشُ بِأَذْيَالِهِ، وَنَادَاهُ بِلِسَانِ حَالِهِ: يَا مُحَمَّدُ أَنْتَ فِي صَفَاءِ وَقْتِكَ آمِنٌ مِنْ مَقْتِكَ(٣)، أَشْهَدَكَ جَمَالَ أَحَدِيَّتِهِ، وَأَطْلَعَكَ عَلَى جَلاَلِ صَمَدِيَّتِهِ، وَأَنَا الظَّمْآنُ

---

(١) غطائك.

(٢) دون حجاب.

(٣) بُغضِك.

إِلَيْهِ، اللَّهْفَانُ عَلَيْهِ، الْمُتَحَيِّرُ فِيهِ، لاَ أَدْرِي مِنْ أَيِّ وَجْهٍ آتِيهِ، جَعَلَنِي أَعْظَمَ خَلْقِهِ، فَكُنْتُ أَعْظَمَهُمْ مِنْهُ هَيْبَةً، وَأَكْثَرَهُمْ فِيهِ حَيْرَةً، وَأَشَدَّهُمْ مِنْهُ خَوْفاً، يَا مُحَمَّدُ! خَلَقَنِي فَكُنْتُ أَرْعَدُ لِهَيْبَةِ جَلاَلِهِ، فَكَتَبَ عَلَى قَائِمَتِي: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ، فَازْدَدْتُ لِهَيْبَةِ اسْمِهِ ارْتِعَاداً وَارْتِعَاشاً، فَكَتَبَ: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّٰهِ، فَسَكَنَ لِذٰلِكَ قَلَقِي، وَهَدَأَ رُوْعِي[1]، فَكَانَ اسْمُكَ لِقَاحاً لِقَلْبِي، وَطُمَأْنِينَةً لِسِرِّي، فَهٰذِهِ بَرَكَةُ اسْمِكَ عَلَيَّ، فَكَيْفَ إِذَا وَقَعَ جَمِيلُ نَظَرِكَ إِلَيَّ، يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ الْمُرْسَلُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، وَلاَ بُدَّ لِي مِنْ نَصِيبٍ مِنْ هٰذِهِ الرَّحْمَةِ، وَنَصِيبِي يَا حَبِيبِي: أَنْ تَشْهَدَ لِي بِالْبَرَاءَةِ مِمَّا نَسَبَهُ أَهْلُ الزُّورِ إِلَيَّ، وَتَقَوَّلَهُ أَهْلُ الْغُرُورِ عَلَيَّ، زَعَمُوا أَنِّي أَسَعُ مَنْ لاَ مَثِيلَ لَهُ، وَأُحِيطُ بِمَنْ لاَ كَيْفِيَّةَ لَهُ، يَا مُحَمَّدُ! مَنْ لاَ حَدَّ لِذَاتِهِ وَلاَ عَدَّ لِصِفَاتِهِ كَيْفَ يَكُونُ مُفْتَقِراً إِلَيَّ أَوْ مَحْمُولاً عَلَيَّ، إِذَا كَانَ الرَّحْمٰنُ اسْمُهُ، وَالاسْتِوَاءُ صِفَتَهُ، وَصِفَتُهُ مُتَّصِلَةٌ بِذَاتِهِ، فَكَيْفَ يَتَّصِلُ بِي أَوْ يَنْفَصِلُ عَنِّي، يَا مُحَمَّدُ! وَعِزَّتِهِ لَسْتُ بِالْقَرِيبِ مِنْهُ وَصْلاً، وَلاَ بِالْبَعِيدِ مِنْهُ فَصْلاً، وَلاَ بِالْمُطِيقِ لَهُ حَمْلاً، أَوْجَدَنِي مِنْهُ رَحْمَةً وَفَضْلاً، وَلَوْ مَحَقَنِي لَكَانَ حَقًّا مِنْهُ وَعَدْلاً، يَا مُحَمَّدُ! أَنَا مَحْمُولُ قُدْرَتِهِ، وَمَعْمُولُ حِكْمَتِهِ».

فَأَجَابَ لِسَانُ حَالِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ: **«أَيُّهَا الْعَرْشُ إِلَيْكَ عَنِّي، أَنَا مَشْغُولٌ عَنْكَ، فَلاَ تُكَدِّرْ عَلَيَّ صَفْوَتِي، وَلاَ تُشَوِّشْ عَلَيَّ خَلْوَتِي»** فَمَا أَعَارَهُ ﷺ مِنْهُ طَرْفاً، وَلاَ أَقْرَأَهُ مِنْ مَسْطُورِ مَا أُوحِيَ إِلَيْهِ حَرْفاً.

---

(١) قلبي.

المقصِد السادس

فِي بَعْضِ مَا وَرَدَ فِي آيِ الْتَّنْزِيلِ مِنْ عِظَمِ قَدْرِهِ، وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ، وَشَهَادَتِهِ تَعَالَى لَهُ بِصِدْقِ نُبُوَّتِهِ، وَقَسَمِهِ عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ، وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ، وَوُجُوبِ طَاعَتِهِ، وَأَخْذِهِ تَعَالَى لَهُ الْمِيثَاقَ عَلَى سَائِرِ النَّبِيِّينَ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ، وَالتَّنْوِيهِ بِهِ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ (كَالْتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ) وَغَيْرِ ذٰلِكَ. وَفِيهِ عَشَرَةُ أَنْوَاعٍ

النوع الأول

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ عِظَمَ قَدْرِهِ، وَرِفْعَةَ ذِكْرِهِ، وَجَلِيلَ مَرْتَبَتِهِ، وَعُلُوَّ دَرَجَتِهِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ، وَتَشْرِيفَ مَنْزِلَتِهِ ﷺ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ﴾(١) قَالَ الْمُفَسِّرُونَ: يَعْنِي مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ، كَلَّمَهُ بِلاَ وَاسِطَةٍ، وَلَيْسَ نَصًّا فِي اخْتِصَاصِ مُوسَى بِالْكَلاَمِ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ تَعَالَى كَلَّمَ نَبِيَّنَا أَيْضاً.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ﴾(٢) يَعْنِي مُحَمَّداً ﷺ، رَفَعَهُ اللّهُ تَعَالَى مِنْ ثَلاَثَةِ أَوْجُهٍ: بِالذَّاتِ فِي الْمِعْرَاجِ، وَبِالْسِيَادَةِ عَلَى جَمِيعِ الْبَشَرِ، وَبِالْمُعْجِزَاتِ؛ لأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أُوتِيَ مِنَ الْمُعْجِزَاتِ مَا لَمْ يُؤْتَهُ نَبِيٌّ قَبْلَهُ. قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ: وَفِي هٰذَا الإِبْهَامِ مِنْ تَفْخِيمِ فَضْلِهِ وَإِعْلاَءِ قَدْرِهِ مَا لاَ يَخْفَى لِمَا فِيهِ مِنَ الشَّهَادَةِ عَلَى أَنَّهُ الْعَلَمُ الَّذِي لاَ يَشْتَبِهُ، وَالْمُتَمَيِّزُ الَّذِي لاَ يَلْتَبِسُ.

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.
(٢) سورة البقرة، الآية: ٢٥٣.

وَقَدْ بَيَّنَتْ هٰذِهِ الآيَةُ، وَكَذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ عَلَىٰ بَعْضٍۢ﴾[1] أَنَّ مَرَاتِبَ الرُّسُلِ وَالأَنْبِيَاءِ مُتَفَاوِتَةٌ.

قَالَ بَعْضُ أَهْلِ الْعِلْمِ فِيمَا حَكَاهُ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَالتَّفْضِيلُ الْمُرَادُ لَهُمْ هُنَا فِي الدُّنْيَا، وَذٰلِكَ بِثَلاثَةِ أَحْوَالٍ: أَنْ تَكُونَ آيَاتُهُ وَمُعْجِزَاتُهُ أَظْهَرَ وَأَشْهَرَ، أَوْ تَكُونَ أُمَّتُهُ أَزْكَى وَأَكْثَرَ، أَوْ يَكُونَ فِي ذَاتِهِ أَفْضَلَ وَأَظْهَرَ، وَفَضْلُهُ فِي ذَاتِهِ رَاجِعٌ إِلَى مَا خَصَّهُ اللَّهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ كَرَامَتِهِ، وَتَفْضِيلِهِ بِكَلامٍ أَوْ خُلَّةٍ[2] أَوْ رُؤْيَةٍ، أَوْ مَا شَاءَ اللَّهُ مِنْ أَلْطَافِهِ وَتُحَفِ وِلايَتِهِ وَاخْتِصَاصِهِ.

فَلاَ مِرْيَةَ أَنَّ آيَاتِ نَبِيِّنَا ﷺ وَمُعْجِزَاتِهِ أَظْهَرُ وَأَبْهَرُ، وَأَكْثَرُ وَأَبْقَى وَأَقْوَى، وَمَنْصِبُهُ أَعْلَى، وَدَوْلَتُهُ أَعْظَمُ وَأَوْفَرُ، وَذَاتُهُ أَفْضَلُ وَأَطْهَرُ، وَخُصُوصِيَّاتُهُ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ أَشْهَرُ مِنْ أَنْ تُذْكَرَ، فَدَرَجَتُهُ أَرْفَعُ مِنْ دَرَجَاتِ جَمِيعِ الْمُرْسَلِينَ، وَذَاتُهُ أَزْكَى وَأَفْضَلُ مِنْ سَائِرِ الْمَخْلُوقِينَ.

وَتَأَمَّلْ حَدِيثَ الشَّفَاعَةِ فِي الْمَحْشَرِ وَانْتِهَائِهَا إِلَيْهِ، وَانْفِرَادِهِ هُنَاكَ بِالسُّؤْدَدِ، كَمَا قَالَ ﷺ: «**أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَأَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: «**أَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَئِذٍ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ**» قَالَ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ فِي الْمَعَالِمِ[3]: إِنَّهُ تَعَالَى وَصَفَ الأَنْبِيَاءَ بِالأَوْصَافِ الْحَمِيدَةِ، ثُمَّ قَالَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْۗ﴾[4]، وَقَدْ أَتَى بِجَمِيعِ مَا أَتَوْا بِهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ، فَقَدِ اجْتَمَعَ فِيهِ مَا كَانَ

---

(١) سورة الإسراء، الآية: ٥٥.

(٢) محبة.

(٣) وهو كتاب في علم الخلاف والجدل بين الفقهاء، وهو من كتبه الضائعة كما قال القنوجي في أبجد العلوم.

(٤) سورة الأنعام، الآية: ٩٠.

مُفَرَّقاً فِيهِمْ، فَيَكُونُ أَفْضَلَ مِنهُمْ، وَإِنَّ دَعْوَتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَصَلَتْ إِلَى أَكْثَرِ بِلاَدِ الْعَالَمِ، بِخِلاَفِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، فَظَهَرَ أَنَّ انْتِفَاعَ أَهْلِ الدُّنْيَا بِدَعْوَتِهِ ﷺ أَكْمَلُ مِنِ انْتِفَاعِ سَائِرِ الأُمَمِ بِدَعْوَةِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، فَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَفْضَلَ مِنْ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ.

وَقَدْ رَوَى التِّرْمِذِيُّ[١] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي»**.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ مَرْفُوعاً عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: **«أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»** وَهٰذَا يَدُلُّ أَنَّهُ أَفْضَلُ مِنْ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَمِنْ كُلِّ أَوْلاَدِهِ.

وَلَمْ يَقُلْ ﷺ: أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ عُجْباً وَافْتِخَاراً عَلَى مَنْ دُونَهُ، حَاشَاهُ اللّٰهُ مِنْ ذٰلِكَ، وَإِنَّمَا قَالَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِظْهَاراً لِنِعْمَةِ اللّٰهِ تَعَالَى عَلَيْهِ، وَإِعْلاَماً لِلأُمَّةِ بِقَدْرِ إِمَامِهِمْ وَمَتْبُوعِهِمْ عِنْدَ اللّٰهِ تَعَالَى، وَعُلُوِّ مَنْزِلَتِهِ لَدَيْهِ تَعَالَى، لِتَعْرِفَ نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْهِمْ وَعَلَيْهِ، فَذٰلِكَ فَرَحٌ بِفَضْلِ اللّٰهِ وَبِرَحْمَتِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾[٢].

وَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾﴾[٣]. رَوَى ابْنُ خُزَيْمَةَ[٤] مِنْ حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي وَرَبَّكَ يَقُولُ: تَدْرِي كَيْفَ رَفَعْتُ ذِكْرَكَ؟ قُلْتُ: اللّٰهُ أَعْلَمُ، قَالَ: إِذَا ذُكِرْتُ ذُكِرْتَ مَعِي»** وَذَكَرَهُ الطَّبَرَانِيُّ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ حِبَّانَ.

---

(١) بسند حسن صحيح.
(٢) سورة يونس، الآية: ٥٨.
(٣) سورة الشرح، الآية: ٤.
(٤) الصواب: ابن جرير، كما في المواهب وشرحها.

وَعَنِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: أَخْبَرَنَا ابْنُ عُيَيْنَةَ عَنِ ابْنِ أَبِي نَجِيحٍ: مَعْنَاهُ: لاَ أُذْكَرُ إِلاَّ ذُكِرْتَ مَعِي، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ. قَالَ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ: يَعْنِي وَاللَّهُ أَعْلَمُ: ذِكْرَهُ عِنْدَ الإِيمَانِ بِاللَّهِ وَالأَذَانِ. قَالَ: وَيَحْتَمِلُ ذِكْرُهُ عِنْدَ تِلاَوَةِ الْكِتَابِ، وَعِنْدَ الْعَمَلِ بِالطَّاعَةِ، وَالْوُقُوفِ عَنِ الْمَعْصِيَةِ.

وَقَالَ يَحْيَى بْنُ آدَمَ: رَفَعَهُ بِالنُّبُوَّةِ.

وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ: جَعَلْتُكَ ذِكْراً مِنْ ذِكْرِي، فَمَنْ ذَكَرَكَ ذَكَرَنِي. وَعَنْهُ أَيْضاً: جَعَلْتُ تَمَامَ الإِيمَانِ بِذِكْرِكَ مَعِي.

قَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: وَأَيُّ رَفْعٍ مِثْلُ أَنْ قَرَنَ اسْمَهُ بِاسْمِهِ فِي كَلِمَتَيِ الشَّهَادَةِ، وَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَتَهُ، يُشِيرُ إِلَى قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾[1]، ﴿وَٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ﴾[2]، ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[3]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ﴾[4]، ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ﴾[5].

وَقَالَ قَتَادَةُ: وَرَفَعَ اللَّهُ ذِكْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، فَلَيْسَ خَطِيبٌ وَلاَ مُتَشَهِّدٌ وَلاَ صَاحِبُ صَلاَةٍ إِلاَّ يَقُولُ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللَّهِ.

فَهُوَ مَذْكُورٌ مَعَهُ فِي الشَّهَادَةِ وَالتَّشَهُّدِ، وَمَقْرُونٌ ذِكْرُهُ بِذِكْرِهِ فِي الْقُرْآنِ وَالْخُطَبِ وَالأَذَانِ، وَيُؤَذَّنُ بِاسْمِهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٢) سورة التوبة، الآية: ٦٢.
(٣) سورة النساء، الآية: ١٣.
(٤) سورة الأنفال، الآية: ١.
(٥) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم فِي الْحِلْيَةِ[1]، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**لَمَّا نَزَلَ آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالْهِنْدِ اسْتَوْحَشَ، فَنَزَلَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَنَادَى بِالأَذَانِ: أَللّهُ أَكْبَرُ اللّهُ أَكْبَرُ مَرَّتَيْنِ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ مَرَّتَيْنِ، أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ مَرَّتَيْنِ**» الْحَدِيثَ.

وَكَتَبَ اسْمَهُ الشَّرِيفَ عَلَى الْعَرْشِ، وَعَلَى كُلِّ سَمَاءٍ، وَعَلَى الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا. رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ[2].

وَأَخْرَجَ الْبَزَّارُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ مَرْفُوعاً: «**لَمَّا عُرِجَ بِي إِلَى السَّمَاءِ مَا مَرَرْتُ بِسَمَاءٍ إِلاَّ وَجَدْتُ اسْمِي فِيهَا مَكْتُوباً: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ**».

وَفِي الْحِلْيَةِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَا فِي الْجَنَّةِ شَجَرَةٌ عَلَيْهَا وَرَقَةٌ إِلاَّ مَكْتُوبٌ عَلَيْهَا: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللّهُ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ**».

وَشَقَّ اسْمَهُ الْكَرِيمَ مِنِ اسْمِهِ تَعَالَى كَمَا قَالَ حَسَّانُ:

وَشَقَّ لَهُ مِنِ اسْمِهِ لِيُجِلَّهُ ... فَذُو الْعَرْشِ مَحْمُودٌ، وَهٰذَا مُحَمَّدُ

وَسَمَّاهُ مِنْ أَسْمَائِهِ الْحُسْنَى بِنَحْوِ سَبْعِينَ اسْماً، وَصَلَّى عَلَيْهِ فِي مَلاَئِكَتِهِ وَأَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ۝٥٦﴾[3]، فَأَخْبَرَ عِبَادَهُ بِمَنْزِلَةِ نَبِيِّهِ عِنْدَهُ فِي الْمَلأِ الأَعْلَى بِأَنَّهُ يُثْنِي عَلَيْهِ عِنْدَ الْمَلاَئِكَةِ، وَأَنَّ الْمَلاَئِكَةَ تُصَلِّي عَلَيْهِ، ثُمَّ أَمَرَ الْعَالَمَ السُّفْلِيَّ بِالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيم عَلَيْهِ، فَيَجْتَمِعُ الثَّنَاءُ عَلَيْهِ مِنَ اللّهِ، وَأَهْلِ الْعَالَمِينِ الْعُلْوِيِّ وَالسُّفْلِيِّ جَمِيعاً، وَغَيْرُ ذٰلِكَ مِنْ وُجُوهِ رِفْعَةِ ذِكْرِهِ ﷺ. اهـ

(١) والحاكم وابن عساكر.

(٢) بسند ضعيف.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿طه ۝١ مَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لِتَشْقَىٰٓ ۝٢﴾[1]، ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِهَا أَقْوَالاً:

أَحَدُهَا: أَنَّ أَبَا جَهْلٍ وَالْوَلِيدَ بْنَ الْمُغِيرَةِ وَمُطْعِمَ بْنَ عَدِيٍّ قَالُوا لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ: إِنَّكَ تَشْقَى حَيْثُ تَرَكْتَ دِينَ آبَائِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**بَلْ بُعِثْتُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**»، وَأَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هٰذِهِ الآيَةَ رَدًّا عَلَيْهِمْ، وَتَعْرِيفاً لَهُ ﷺ بِأَنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ وَالْقُرْآنَ هُوَ السُّلَّمُ إِلَى نَيْلِ كُلِّ فَوْزٍ، وَالسَّبَبُ فِي إِدْرَاكِ كُلِّ سَعَادَةٍ، وَمَا فِيهِ الْكَفَرَةُ هُوَ الشَّقَاوَةُ بِعَيْنِهَا.

وَثَانِيهَا: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِاللَّيْلِ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: أَبْقِ عَلَى نَفْسِكَ، فَإِنَّ لَهَا عَلَيْكَ حَقًّا، أَيْ: مَا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ لِتُنْهِكَ نَفْسَكَ بِالْعِبَادَةِ وَتُذِيقَهَا الْمَشَقَّةَ الْعَظِيمَةَ، وَمَا بُعِثْتَ إِلاَّ بِالْحَنِيفِيَّةِ السَّمْحَةِ.

وَمَعْنَى طٰه: يَا رَجُلُ. قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ[2].

وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى[3]: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾، قَالَ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ الرَّازِيُّ: فِي هٰذِهِ السُّورَةِ كَثِيرٌ مِنَ الْفَوَائِدِ، مِنْهَا: أَنَّهَا كَالْمُتَمِّمَةِ لِمَا قَبْلَهَا مِنَ السُّوَرِ، وَذٰلِكَ لأَنَّهُ تَعَالَى جَعَلَ سُورَةَ الضُّحَى فِي مَدْحِ نَبِيِّنَا ﷺ وَتَفْصِيلِ أَحْوَالِهِ، فَذَكَرَ فِي أَوَّلِهَا ثَلاَثَةَ أَشْيَاءَ تَتَعَلَّقُ بِنُبُوَّتِهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى[4]: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣ وَلَلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾، ثُمَّ خَتَمَهَا كَذٰلِكَ بِأَحْوَالٍ ثَلاثَةٍ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِالدُّنْيَا، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ ۝٦ وَوَجَدَكَ ضَآلًّا﴾ أَيْ: عَنْ عِلْمِ

---

(١) سورة طه، الآيتان: ١، ٢.

(٢) كالحسن ومجاهد وسعيد بن جبير.

(٣) في سورة الكوثر.

(٤) في سورة الضحىٰ.

الْحِكَمِ وَالأَحْكَامِ ﴿فَهَدَىٰ وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ۝٨﴾، ثُمَّ ذَكَرَ فِي سُورَةِ «أَلَمْ نَشْرَحْ» أَنَّهُ تَعَالَى شَرَّفَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِثَلاَثَةِ أَشْيَاءَ وَهِيَ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝١﴾ أَيْ: أَلَمْ نَفْسَحْهُ حَتَّى وَسِعَ مُنَاجَاةَ الْحَقِّ وَدَعْوَةَ الْخَلْقِ ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢﴾ أَيْ: عَنَاءَكَ الثَّقِيلَ ﴿الَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝٤﴾[1]، وَهٰكَذَا سُورَةً سُورَةً حَتَّى قَالَ: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١﴾ أَيْ: أَعْطَيْنَاكَ هٰذِهِ الْمَنَاقِبَ الْمُتَكَاثِرَةَ الَّتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا أَعْظَمُ مِنْ مُلْكِ الدُّنْيَا بِحَذَافِيرِهَا، وَإِذْ أَنْعَمْنَا عَلَيْكَ بِهٰذِهِ النِّعَمِ فَاشْتَغِلْ بِطَاعَتِنَا وَلاَ تُبَالِ بِقَوْلِهِمْ.

ثُمَّ إِنَّ الاشْتِغَالَ بِالْعِبَادَةِ إِمَّا أَنْ يَكُونَ بِالنَّفْسِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ﴾ وَإِمَّا بِالْمَالِ وَهُوَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱنْحَرْ﴾، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَـٰكَ﴾ كَيْفَ ذَكَرَهُ بِلَفْظِ الْمَاضِي وَلَمْ يَقُلْ سَنُعْطِيكَ لِيَدُلَّ عَلَى أَنَّ هٰذَا الإِعْطَاءَ حَصَلَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**»[2]، وَلاَ شَكَّ أَنَّ مَنْ كَانَ فِي الزَّمَانِ الْمَاضِي عَزِيزاً مَرْعِيَّ الْجَانِبِ أَشْرَفُ مِمَّن سَيَصِيرُ كَذٰلِكَ، كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: يَا مُحَمَّدُ! قَدْ هَيَّأْنَا أَسْبَابَ سَعَادَتِكَ قَبْلَ دُخُولِكَ فِي هٰذَا الْوُجُودِ، فَكَيْفَ أَمْرُكَ بَعْدَ وُجُودِكَ وَاشْتِغَالِكَ بِعُبُودِيَّتِنَا؟ يَا أَيُّهَا الْعَبْدُ الْكَرِيمُ! إِنَّا لَمْ نُعْطِكَ هٰذَا الْفَضْلَ الْعَظِيمَ لأَجْلِ طَاعَتِكَ، وَإِنَّمَا اخْتَرْنَاكَ بِمُجَرَّدِ فَضْلِنَا وَإِحْسَانِنَا مِنْ غَيْرِ مُوجِبٍ.

وَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي تَفْسِيرِ الْكَوْثَرِ عَلَى وُجُوهٍ، مِنْهَا: أَنَّهُ نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ، وَهٰذَا هُوَ الْمَشْهُورُ الْمُسْتَفِيضُ عِنْدَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، رَوَى أَنَسٌ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْجَنَّةِ إِذَا أَنَا بِنَهْرٍ**

---

(١) سورة الشرح.

(٢) رواه الترمذي وقال: حسن صحيح غريب، والحاكم وصححه، وأقرّه الذهبي.

حَافَتَاهُ قِبَابُ الدُّرِّ الْمُجَوَّفِ، **قُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا الْكَوْثَرُ الَّذِي أَعْطَاكَ رَبُّكَ، فَإِذَا طِينُهُ مِسْكٌ أَذْفَرُ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ بَيْنَ أَظْهُرِنَا إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، فَقُلْنَا: مَا يُضْحِكُكَ ـ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ ـ يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: **«أُنْزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ»**، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ ۝٣﴾، ثُمَّ قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا الْكَوْثَرُ؟»** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«فَإِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي، عَلَيْهِ خَيْرٌ كَثِيرٌ، وَهُوَ حَوْضٌ تَرِدُ عَلَيْهِ أُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، آنِيَتُهُ عَدَدُ النُّجُومِ، فَيُخْتَلَجُ الْعَبْدُ مِنْهُمْ فَأَقُولُ: رَبِّ إِنَّهُ مِنْ أُمَّتِي؟ فَيَقُولُ: مَا تَدْرِي مَا أَحْدَثَ بَعْدَكَ»**، وَهُوَ تَفْسِيرٌ صَرِيحٌ مِنْهُ ﷺ: بِأَنَّ الْمُرَادَ بِالْكَوْثَرِ هُنَا الْحَوْضُ، فَالْمَصِيرُ إِلَيْهِ أَوْلَى، وَهُوَ الْمَشْهُورُ، فَسُبْحَانَ مَنْ أَعْطَاهُ هٰذِهِ الْفَضَائِلَ الْعَظِيمَةَ، وَشَرَّفَهُ بِهٰذِهِ الْخِصَالِ الْعَمِيمَةِ، وَحَبَاهُ مَا أَفَاضَهُ عَلَيْهِ مِنْ نِعَمِهِ الْجَسِيمَةِ.

وَقَدْ جَرَتْ عَادَةُ اللَّهِ مَعَ أَنْبِيَائِهِ عَلَيْهِمُ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ أَنْ يُنَادِيَهُمْ بِأَسْمَائِهِمُ الأَعْلَامِ، نَحْوُ: ﴿يَا آدَمُ اسْكُنْ﴾[1]، ﴿يَا نُوحُ اهْبِطْ﴾[2]، ﴿يَا مُوسَىٰ إِنِّي أَنَا اللَّهُ﴾[3]، ﴿يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ﴾[4]، وَأَمَّا نَبِيُّنَا مُحَمَّدٌ ﷺ: فَنَادَاهُ بِالْوَصْفِ الشَّرِيفِ مِنَ الإِنْبَاءِ وَالإِرْسَالِ فَقَالَ: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾[5]، ﴿يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ﴾[6] وَلِلَّهِ دَرُّ الْقَائِلِ:

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٥.
(٢) سورة هود، الآية: ٤٨.
(٣) سورة القصص، الآية: ٣٠.
(٤) سورة المائدة، الآية: ١١٠.
(٥) سورة الأنفال، الآية: ٤٦.
(٦) سورة المائدة، الآية: ٤١.

فَدَعَا جَمِيعَ الرُّسْلِ كُلاً بِاسْمِهِ وَدَعَاكَ وَحْدَكَ بِالرَّسُولِ وَبِالنَّبِي

قَالَ الشَّيْخُ عِزُّ الدِّينِ بْنُ عَبْدِالسَّلاَمِ: وَلاَ يَخْفَى عَلَى أَحَدٍ أَنَّ السَّيِّدَ إِذَا دَعَا عَبِيدَهُ بِأَفْضَلِ مَا أَوْجَدَ لَهُمْ مِنَ الأَوْصَافِ العَلِيَّةِ وَالأَخْلاقِ السَّنِيَّةِ؛ وَدَعَا آخَرِينَ بِأَسْمَائِهِمُ الأَعْلاَمِ الَّتِي لاَ تُشْعِرُ بِوَصْفٍ مِنَ الأَوْصَافِ وَلاَ بِخُلُقٍ مِنَ الأَخْلاَقِ؛ أَنَّ مَنْزِلَةَ مَنْ دَعَاهُ بِأَفْضَلِ الأَسْمَاءِ وَالأَوْصَافِ أَعَزُّ عَلَيْهِ وَأَقْرَبُ إِلَيْهِ مِمَّنْ دَعَاهُ بِاسْمِهِ العَلَم، وَهٰذَا مَعْلُومٌ بِالعُرْفِ أَنَّ مَنْ دُعِيَ بِأَفْضَلِ أَوْصَافِهِ وَأَخْلاَقِهِ كَانَ ذٰلِكَ مُبَالَغَةً فِي تَعْظِيمِهِ وَاحْتِرَامِهِ.

وَانْظُرْ مَا فِي نَحْوِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾[1] مِنْ ذِكْرِ الرَّبِّ وَإِضَافَتِهِ إِلَى كَافِ خِطَابِ النَّبِيِّ ﷺ، وَمَا فِي ذٰلِكَ مِنَ التَّنْبِيهِ عَلَى شَرَفِهِ، وَاخْتِصَاصِهِ بِخِطَابِهِ ﷺ.

وَبِالجُمْلَةِ: فَقَدْ تَضَمَّنَ الكِتَابُ العَزِيزُ مِنَ التَّصْرِيحِ بِجَلِيلِ رُتْبَتِهِ وَعَظِيمِ قَدْرِهِ وَعُلُوِّ مَنْصِبِهِ وَرِفْعَةِ ذِكْرِهِ ﷺ مَا يَقْضِي بِأَنَّهُ اسْتَوْلَىٰ عَلَى أَقْصَى دَرَجَاتِ التَّكْرِيمِ.

وَيَكْفِي إِخْبَارُهُ تَعَالَى بِالعَفْوِ عَنْهُ مُلاَطَفَةً قَبْلَ ذِكْرِ العِتَابِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾[2]، وَتَقْدِيمُ ذِكْرِهِ عَلَى الأَنْبِيَاءِ تَعْظِيماً لَهُ مَعَ تَأَخُّرِهِ عَنْهُمْ فِي الزَّمَانِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾[3]، وَإِخْبَارُهُ تَعَالَى بِتَمَنِّي أَهْلِ النَّارِ طَاعَتَهُ ﷺ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا ۝٦٦﴾[4]، وَهٰذَا بَحْرٌ لاَ يَنْفَدُ وَقَطْرٌ لاَ يُعَدُّ. اهـ

❋ ❋ ❋

(١) سورة البقرة، الآية: ٣٠.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٧.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.

النوع الثاني
فِي أَخْذِ الْمِيثَاقِ لَهُ ﷺ عَلَى النَّبِيِّينَ لَيُؤْمِنُنَّ بِهِ إِنْ أَدْرَكُوهُ وَلَيَنْصُرُنَّهُ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ[1] رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ﴾ الآيَةَ[2].

وَعَنْ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ وَابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ: مَا بَعَثَ اللّهُ نَبِيًّا مِنَ الأَنْبِيَاءِ إِلاَّ أَخَذَ عَلَيْهِ الْمِيثَاقَ: لَئِنْ بُعِثَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَهُوَ حَيٌّ لَيُؤْمِنَنَّ بِهِ وَلَيَنْصُرَنَّهُ[3]، وَقِيلَ: مَعْنَاهُ: أَنَّهُ تَعَالَى أَخَذَ الْمِيثَاقَ مِنَ النَّبِيِّينَ وَأُمَمِهِمْ، وَاسْتَغْنَى بِذِكْرِهِمْ عَنْ ذِكْرِ الأُمَمِ.

قَالَ السُّبْكِيُّ فِي هٰذِهِ الآيَةِ: أَنَّهُ ﷺ عَلَى تَقْدِيرِ مَجِيئِهِمْ فِي زَمَانِهِ يَكُونُ مُرْسَلاً إِلَيْهِمْ، فَتَكُونُ نُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ عَامَّةً لِجَمِيعِ الْخَلْقِ مِنْ زَمَنِ آدَمَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَتَكُونُ الأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهُمْ كُلُّهُمْ مِنْ أُمَّتِهِ، وَيَكُونُ قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**وَبُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**»[4] لاَ يَخْتَصُّ بِهِ النَّاسُ فِي زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، بَلْ يَتَنَاوَلُ مَنْ قَبْلَهُمْ أَيْضاً، وَإِنَّمَا أَخَذَ الْمَوَاثِيقَ عَلَى الأَنْبِيَاءِ لِيَعْلَمُوا أَنَّهُ الْمُقَدَّمُ عَلَيْهِمْ، وَأَنَّهُ نَبِيُّهُمْ وَرَسُولُهُمْ، فَالنَّبِيُّ مُحَمَّدٌ ﷺ نَبِيُّ الأَنْبِيَاءِ، وَلِهٰذَا ظَهَرَ ذٰلِكَ فِي الآخِرَةِ جَمِيعُ الأَنْبِيَاءِ تَحْتَ لِوَائِهِ، وَفِي الدُّنْيَا كَذٰلِكَ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ صَلَّى بِهِمْ، وَلَوِ اتَّفَقَ مَجِيئُهُ فِي زَمَنِ آدَمَ وَنُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَجَبَ عَلَيْهِمْ وَعَلَى أُمَمِهِمْ اتِّبَاعُهُ

---

(١) الخطاب لأهل الكتاب المعاصرين لسيدنا محمد ﷺ.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٨١.

(٣) رواه ابن جرير وابن كثير بإسناد صحيح.

(٤) رواه البخاري.

وَالإِيمَانُ بِهِ وَنُصْرَتُهُ، وَبِذٰلِكَ أَخَذَ اللّٰهُ الْمِيثَاقَ عَلَيْهِمْ، فَنُبُوَّتُهُ عَلَيْهِمْ وَرِسَالَتُهُ إِلَيْهِمْ مَعْنًى حَاصِلٌ لَهُ، وَإِنَّمَا أَمْرُهُ يَتَوَقَّفُ عَلَى اجْتِمَاعِهِمْ مَعَهُ، فَتَأَخُّرُ ذٰلِكَ الأَمْرِ رَاجِعٌ إِلَى وُجُودِهِمْ لاَ إِلَى عَدَمِ اتِّصَافِهِمْ بِمَا يَقْتَضِيهِ، وَفَرْقٌ بَيْنَ تَوَقُّفِ الْفِعْلِ عَلَى قَبُولِ الْمَحَلِّ، وَتَوَقُّفِهِ عَلَى أَهْلِيَّةِ الْفَاعِلِ، فَهٰهُنَا لاَ تَوَقُّفَ مِنْ جِهَةِ الْفَاعِلِ وَلاَ مِنْ جِهَةِ ذَاتِهِ الشَّرِيفَةِ ﷺ، وَإِنَّمَا هُوَ مِنْ جِهَةِ وُجُودِ الْعَصْرِ الْمُشْتَمِلِ عَلَيْهِ، فَلَوْ وُجِدَ فِي عَصْرِهِمْ لَزِمَهُمُ اتِّبَاعُهُ بِلاَ شَكٍّ، وَلِهٰذَا يَأْتِي عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسلاَمُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ عَلَى شَرِيعَتِهِ ﷺ وَهُوَ نَبِيٌّ كَرِيمٌ عَلَى حَالِهِ، لاَ كَمَا يَظُنُّ بَعْضُ النَّاسِ أَنَّهُ يَأْتِي وَاحِداً مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ، نَعَمْ هُوَ وَاحِدٌ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ لِمَا قُلْنَا مِنِ اتِّبَاعِهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ، وَإِنَّمَا يَحْكُمُ بِشَرِيعَةِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْقُرْآنِ وَالسُّنَّةِ، وَكُلُّ مَا فِيهِمَا مِنْ أَمْرٍ وَنَهْيٍ فَهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ كَمَا يَتَعَلَّقُ بِسَائِرِ الأُمَّةِ، وَكَذٰلِكَ لَوْ بُعِثَ النَّبِيُّ ﷺ فِي زَمَانِهِ أَوْ فِي زَمَانِ مُوسَى وَإِبْرَاهِيمَ وَنُوحٍ وَآدَمَ كَانُوا مُسْتَمِرِّينَ عَلَى نُبُوَّتِهِمْ وَرِسَالَتِهِمْ إِلَى أُمَمِهِمْ، وَالنَّبِيُّ ﷺ نَبِيٌّ عَلَيْهِمْ، وَرَسُولٌ إِلَى جَمِيعِهِمْ، فَنُبُوَّتُهُ وَرِسَالَتُهُ أَعَمُّ وَأَشْمَلُ وَأَعْظَمُ، وَتَتَّفِقُ مَعَ شَرَائِعِهِمْ فِي الأُصُولِ لأَنَّهَا لاَ تَخْتَلِفُ، وَتُقَدَّمُ شَرِيعَتُهُ ﷺ فِيمَا عَسَاهُ يَقَعُ الاخْتِلاَفُ فِيهِ مِنَ الْفُرُوعِ، وَبِهٰذَا بَانَ لَنَا مَعْنَى حَدِيثَيْنِ كَانَا خَفِيَا عَنَّا، أَحَدُهُمَا: قَوْلُهُ ﷺ: «**بُعِثْتُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً**» كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ مِنْ زَمَانِهِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَبَانَ أَنَّهُ إِلَى جَمِيعِ النَّاسِ أَوَّلِهِمْ وَآخِرِهِمْ. وَالثَّانِي: قَوْلُهُ ﷺ: «**كُنْتُ نَبِيًّا وَآدَمُ بَيْنَ الرُّوحِ وَالْجَسَدِ**»(١) كُنَّا نَظُنُّ أَنَّهُ بِالْعِلْمِ، فَبَانَ أَنَّهُ زَائِدٌ عَلَى ذٰلِكَ.

❊ ❊ ❊

(١) رواه أحمد، والترمذي وقال: حسن صحيح غريب، والحاكم وصححه، وأقرّه الذهبي.

النوع الثالث
فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِالشَّهَادَةِ وَشَهَادَتِهِ لَهُ بِالرِّسَالَةِ

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى حِكَايَةً عَنْ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ عِنْدَ بِنَاءِ الْبَيْتِ الْحَرَامِ: ﴿رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ رَبَّنَا وَٱجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَآ أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَّكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾[١]؛ فَاسْتَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى دُعَاءَهُمَا، وَبَعَثَ فِي أَهْلِ مَكَّةَ مِنْهُمْ رَسُولاً بِهٰذِهِ الصِّفَةِ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ الَّذِي دَعَا مَعَ أَبِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِمَا الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِهٰذَا الدُّعَاءِ، وَقَدْ أَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّهُ ﷺ هُوَ الْمُرَادُ مِنَ الآيَةِ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ: «**أَنَا دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى**»[٢]، قَالُوا: وَأَرَادَ بِالدَّعْوَةِ هٰذِهِ الآيَةَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى هِيَ: مَا ذُكِرَ فِي سُورَةِ الصَّفِّ[٣] مِنْ قَوْلِهِ: ﴿وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾، وإِنَّمَا دَعَا إِبْرَاهِيمُ بِهٰذَا الدُّعَاءِ بِمَكَّةَ لِذُرِّيَّتِهِ الَّذِينَ كَانُوا بِهَا وَمَا حَوْلَهَا، وَلَمْ يَبْعَثِ اللَّهُ تَعَالَى إِلَى مَنْ بِمَكَّةَ إِلاَّ مُحَمَّداً ﷺ، وَقَدِ امْتَنَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى الْمُؤْمِنِينَ بِبَعْثِ هٰذَا النَّبِيِّ مِنْهُمْ عَلَى هٰذِهِ الصِّفَةِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ﴾

---

(١) سورة البقرة، الآيات: ١٢٧ ـ ١٢٩.

(٢) رواه الطيالسي والديلمي وابن عساكر.

(٣) الآية: ٦.

الآيَةَ[1]، فَلَيْسَ لِلّهِ مِنَّةٌ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعْظَمَ مِنْ إِرْسَالِهِ مُحَمَّداً ﷺ، يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ.

وَإِنَّمَا كَانَتِ النِّعْمَةُ عَلَى هٰذِهِ الأُمَّةِ بِإِرْسَالِهِ أَعْظَمَ النِّعَمِ؛ لأَنَّ النِّعْمَةَ بِهِ ﷺ تَمَّتْ بِهَا مَصَالِحُ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَكَمُلَ بِسَبَبِهَا دِينُ اللّهِ الَّذِي رَضِيَهُ لِعِبَادِهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ يَعْنِي: أَنَّهُ بَشَرٌ مِثْلُهُمْ، وَإِنَّمَا امْتَازَ عَلَيْهِمْ بِالْوَحْيِ، وَقُرِىءَ فِي الشَّوَاذِّ ﴿أَنفَسِهِمْ﴾ يَعْنِي: مِنْ أَشْرَفِهِمْ، لأَنَّهُ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ، وَبَنُو هَاشِمٍ أَفْضَلُ قُرَيْشٍ، وَقُرَيْشٌ أَفْضَلُ الْعَرَبِ، وَالْعَرَبُ أَفْضَلُ مِنْ غَيْرِهِمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝٢﴾[2]، وَالْمُرَادُ بِالأُمِّيِّينَ: الْعَرَبُ، تَنْبِيهاً لَهُمْ عَلَى قَدْرِ هٰذِهِ النِّعْمَةِ وَعِظَمِهَا، حَيْثُ كَانُوا أُمِّيِّينَ لاَ كِتَابَ لَهُمْ، وَلَيْسَ عِنْدَهُمْ شَيْءٌ مِنْ آثَارِ النُّبُوَّةِ كَمَا عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَمَنَّ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِهٰذَا الرَّسُولِ وَبِهٰذَا الْكِتَابِ حَتَّى صَارُوا أَفْضَلَ الأُمَمِ وَأَعْلَمَهُمْ، وَعَرَفُوا ضَلاَلَةَ مَنْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ مِنَ الأُمَمِ.

وَفِي كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ «مِنْهُمْ» فَائِدَتَانِ:

إِحْدَاهُمَا: أَنَّ هٰذَا الرَّسُولَ كَانَ أَيْضاً أُمِّيًا، كَأُمِّيَّةِ الْمَبْعُوثِ إِلَيْهِمْ، لَمْ يَقْرَأْ كِتَاباً قَطُّ، وَلَمْ يَخُطَّهُ بِيَمِينِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾[3]، وَلاَ خَرَجَ عَنْ دِيَارِ قَوْمِهِ فَأَقَامَ عِنْدَ غَيْرِهِمْ

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٤.
(٢) سورة الجمعة، الآية: ٢.
(٣) سورة العنكبوت، الآية: ٤٨.

حَتَّى تَعَلَّمَ مِنهُمْ، بَلْ لَمْ يَزَلْ أُمِّيًا بَيْنَ أُمَّةٍ أُمِّيَّةٍ، لاَ يَكْتُبُ وَلاَ يَقْرَأُ حَتَّى بَلَغَ الأَرْبَعِينَ مِنْ عُمْرِهِ، ثُمَّ جَاءَ بَعْدَ ذٰلِكَ بِهٰذَا الْكِتَابِ الْمُبِينِ، وَهٰذِهِ الشَّرِيعَةِ الْبَاهِرَةِ، وَهٰذَا الدِّينِ الْقَيِّمِ الَّذِي اعْتَرَفَ حُذَّاقُ أَهْلِ الأَرْضِ وَنُظَّارُهَا أَنَّهُ لَمْ يَقْرَعِ الْعَالَمَ نَامُوسٌ[1] أَعْظَمُ مِنْهُ، وَفِي هٰذَا بُرْهَانٌ عَظِيمٌ عَلَى صِدْقِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. ا هـ

الْفَائِدَةُ الثَّانِيَةُ: التَّنْبِيهُ عَلَى أَنَّ الْمَبْعُوثَ مِنْهُمْ (وَهُمُ الأُمِّيُّونَ خُصُوصاً أَهْلَ مَكَّةَ) يَعْرِفُونَ نَسَبَهُ وَشَرَفَهُ وَصِدْقَهُ وَأَمَانَتَهُ وَعِفَّتَهُ، وَأَنَّهُ نَشَأَ بَيْنَهُمْ مَعْرُوفاً بِذٰلِكَ، وَأَنَّهُ لَمْ يَكْذِبْ قَطُّ، فَكَيْفَ كَانَ يَدَعُ الْكَذِبَ عَلَى النَّاسِ ثُمَّ يَفْتَرِي الْكَذِبَ عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، هٰذَا هُوَ الْبَاطِلُ، وَلِهٰذَا سَأَلَ هِرَقْلُ عَنْ هٰذِهِ الأَوْصَافِ، وَاسْتَدَلَّ بِهَا عَلَى صِدْقِهِ فِيمَا ادَّعَاهُ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ، وَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى خِطَاباً لَهُمْ: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ﴾[2]، وَيُرْوَى أَنَّ رَجُلاً قَالَ: وَاللَّهِ يَا مُحَمَّدُ! مَا كَذَبْتَنَا قَطُّ فَنَتَّهِمَكَ الْيَوْمَ، وَلٰكِنْ إِنْ نَتَّبِعْكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَا، فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ: كَانَ الْحَارِثُ بْنُ عَامِرٍ يُكَذِّبُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْعَلاَنِيَةِ، فَإِذَا خَلاَ مَعَ أَهْلِ بَيْتِهِ قَالَ: مَا مُحَمَّدٌ مِنْ أَهْلِ الْكَذِبِ.

وَيُرْوَى أَنَّ الْمُشْرِكِينَ كَانُوا إِذَا رَأَوْهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالُوا: إِنَّهُ لَنَبِيٌّ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ أَبُو جَهْلٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ: إِنَّا لاَ نُكَذِّبُكَ، وَلٰكِنْ نُكَذِّبُ بِمَا جِئْتَ بِهِ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ، وَالْمَعْنَى أَنَّهُمْ يُنْكِرُونَهُ مَعَ الْعِلْمِ بِصِحَّتِهِ.

---

(١) وهو صاحب السرّ.

(٢) سورة الأنعام، الآية: ٣٣.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا جَهْلٍ لَقِيَهُ ﷺ فَصَافَحَهُ، فَقِيلَ لَهُ: أَتُصَافِحُهُ؟ فَقَالَ: وَاللّٰهِ إِنِّي لأَعْلَمُ أَنَّهُ نَبِيٌّ، وَلَكِنْ مَتَى كُنَّا تَبَعاً لِبَنِي عَبْدِ مَنَافٍ؟ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ الآيَةَ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ.

وَالْقُرْآنُ كُلُّهُ مَمْلُوءٌ بِالآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى صِدْقِ هٰذَا الرَّسُولِ الْكَرِيمِ ﷺ وَتَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ، وَكَيْفَ يَلِيقُ بِكَمَالِ اللّٰهِ أَنْ يُقِرَّ مَنْ يَكْذِبُ عَلَيْهِ أَعْظَمَ الْكَذِبِ، وَيُخْبِرُ عَنْهُ بِخِلاَفِ مَا هُوَ الأَمْرُ عَلَيْهِ؛ ثُمَّ يَنْصُرُهُ عَلَى ذٰلِكَ وَيُؤَيِّدُهُ، وَيُعْلِي كَلِمَتَهُ وَيَرْفَعُ شَأْنَهُ، وَيُجِيبُ دَعْوَتَهُ وَيُهْلِكُ عَدُوَّهُ، وَيُظْهِرُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الآيَاتِ وَالْبَرَاهِينِ وَالأَدِلَّةِ مَا يَضْعُفُ عَنْ مِثْلِهِ قُوَى الْبَشَرِ؛ وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ كَاذِبٌ عَلَيْهِ مُفْتَرٍ سَاعٍ فِي الأَرْضِ بِالْفَسَادِ.

وَمَعْلُومٌ أَنَّ شَهَادَتَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَقُدْرَتَهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَحِكْمَتَهُ وَعِزَّتَهُ وَكَمَالَهُ الْمُقَدَّسَ؛ يَأْبَى ذٰلِكَ كُلَّ الإِبَاءِ، وَمَنْ ظَنَّ ذٰلِكَ بِهِ وَجَوَّزَهُ عَلَيْهِ فَهُوَ مِنْ أَبْعَدِ الْخَلْقِ عَنْ مَعْرِفَتِهِ.

وَإِذَا تَدَبَّرْتَ الْقُرْآنَ رَأَيْتَهُ يُنَادِي عَلَى ذٰلِكَ، وَيُبْدِيهِ وَيُعِيدُهُ لِمَنْ لَهُ فَهْمٌ وَقَلْبٌ وَاعٍ عَلَى اللّٰهِ تَعَالَى، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ ﴿٤٧﴾﴾[1].

وَقَالَ تَعَالَى لِمَنْ طَلَبَ آيَةً تَدُلُّ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٥٢﴾﴾[2]،

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٤٧.

(٢) سورة العنكبوت، الآيتان: ٥١، ٥٢.

فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنَّ الْكِتَابَ الَّذِي أَنْزَلَهُ يَكْفِي مِنْ كُلِّ آيَةٍ، فَفِيهِ الْحُجَّةُ وَالدَّلاَلَةُ عَلَى أَنَّهُ مِنَ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَرْسَلَ بِهِ رَسُولَهُ، وَفِيهِ بَيَانُ مَا يُوجِبُ لِمَنِ اتَّبَعَهُ السَّعَادَةَ وَيُنَجِّيهِ مِنَ الْعَذَابِ، ثُمَّ قَالَ: ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ﴾، فَإِذَا كَانَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَالِماً بِجَمِيعِ الأَشْيَاءِ كَانَتْ شَهَادَتُهُ أَصْدَقَ شَهَادَةٍ وَأَعْدَلَهَا، فَإِنَّهَا شَهَادَةٌ بِعِلْمٍ تَامٍّ مُحِيطٍ بِالْمَشْهُودِ بِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ۝٤٦﴾[1]، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى يَقُولُ: يَا أَيُّهَا الْمُشَرَّفُ مِنْ قِبَلِنَا! إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً بِوَحْدَانِيَّتِنَا، وَمُشَاهِداً كَمَالَ فَرْدَانِيَّتِنَا، تُبَشِّرُ عِبَادَنَا عَنَّا، وَتُحَذِّرُهُمْ مُخَالَفَةَ أَمْرِنَا، وَتُعَلِّمُهُمْ مَوَاضِعَ الْخَوْفِ مِنَّا، وَدَاعِياً الْخَلْقَ إِلَيْنَا، وَسِرَاجاً يَسْتَضِيئُونَ بِكَ، وَشَمْساً تَبْسُطُ شُعَاعَكَ عَلَى جَمِيعِ مَنْ صَدَّقَكَ وَآمَنَ بِكَ، وَلاَ يَصِلُ إِلَيْنَا إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ وَخَدَمَكَ وَقَدَّمَكَ، فَبَشِّرْهُ بِفَضْلِنَا وَطَوْلِنَا[2] عَلَيْهِمْ، وَإِحْسَانِنَا إِلَيْهِمْ.

وَلَمَّا كَانَ اللَّهُ قَدْ جَعَلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ شَاهِداً عَلَى الْوَحْدَانِيَّةِ، وَالشَّاهِدُ لاَ يَكُونُ مُدَّعِياً؛ فَاللَّهُ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلِ النَّبِيَّ ﷺ فِي مَسْأَلَةِ الْوَحْدَانِيَّةِ مُدَّعِياً لَهَا، لأَنَّ الْمُدَّعِيَ مَنْ يَقُولُ شَيْئاً عَلَى خِلاَفِ الظَّاهِرِ، وَالْوَحْدَانِيَّةُ أَظْهَرُ مِنَ الشَّمْسِ، وَالنَّبِيُّ ﷺ كَانَ ادَّعَى النُّبُوَّةَ فَجَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى نَفْسَهُ شَاهِداً لَهُ فِي مُجَازَاةِ كَوْنِهِ شَاهِداً لَهُ تَعَالَى، فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾[3]، وَمِنْ هٰذَا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَسْتَ مُرْسَلًا ۚ قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْكِتَٰبِ ۝٤٣﴾[4]، فَاسْتَشْهَدَ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.
(٢) إنعامنا.
(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

عَلَى رِسَالَتِهِ بِشَهَادَةِ اللّهِ لَهُ، وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَٰدَةً قُلِ ٱللَّهُ شَهِيدُۢ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ﴾[1]، وَقَوْلُهُ: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشْهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيْكَ أَنزَلَهُۥ بِعِلْمِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَشْهَدُونَ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٦﴾﴾[2]، وَقَوْلُهُ: ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ﴾[3]، وَقَوْلُهُ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾[4]، فَهٰذَا كُلُّهُ مِنْهُ تَعَالَى شَهَادَةٌ لِرَسُولِهِ قَدْ أَظْهَرَهَا وَبَيَّنَهَا وَبَيَّنَ صِحَّتَهَا غَايَةَ الْبَيَانِ، بِحَيْثُ قَطَعَ الْعُذْرَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عِبَادِهِ، وَأَقَامَ الْحُجَّةَ عَلَيْهِمْ بِكَوْنِهِ سُبْحَانَهُ شَاهِداً لِرَسُولِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾﴾[5]، فَيَظْهَرُ ظُهُورَيْنِ: ظُهُوراً بِالْحُجَّةِ وَالْبَيَانِ، وَظُهُوراً بِالنَّصْرِ وَالْغَلَبَةِ وَالتَّأْيِيدِ، حَتَّى يَظْهَرَ عَلَى مُخَالِفِيهِ، وَيَكُونَ مَنْصُوراً.

وَمِنْ شَهَادَتِهِ تَعَالَى أَيْضاً[6]: مَا أَوْدَعَهُ فِي قُلُوبِ عِبَادِهِ مِنَ التَّصْدِيقِ الْجَازِمِ، وَالْيَقِينِ الثَّابِتِ، وَالطُّمَأْنِينَةِ بِكَلَامِهِ وَوَحْيِهِ، فَإِنَّ اللّهَ تَعَالَى فَطَرَ الْقُلُوبَ عَلَى قَبُولِ الْحَقِّ، وَالانْقِيَادِ لَهُ، وَالطُّمَأْنِينَةِ وَالسُّكُونِ إِلَيْهِ، وَمَحَبَّتِهِ، وَفَطَرَهَا عَلَى بُغْضِ الْكَذِبِ وَالْبَاطِلِ، وَالنُّفُورِ عَنْهُ، وَعَدَمِ السُّكُونِ إِلَيْهِ، وَلَوْ بَقِيَتِ الْفِطْرَةُ عَلَى حَالِهَا لَمَا آثَرَتْ عَلَى الْحَقِّ سِوَاهُ، وَلَمَا سَكَنَتْ إِلاَّ إِلَيْهِ، وَلاَ اطْمَأَنَّتْ إِلاَّ بِهِ، وَلاَ أَحَبَّتْ غَيْرَهُ، وَلِهٰذَا نَدَبَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ إِلَى تَدَبُّرِ الْقُرْآنِ، فَإِنَّ كُلَّ مَنْ تَدَبَّرَهُ أَوْجَبَ لَهُ عِلْماً ضَرُورِيًّا وَيَقِيناً جَازِماً أَنَّهُ حَقٌّ، بَلْ أَحَقُّ كُلِّ حَقٍّ، وَأَصْدَقُ كُلِّ صِدْقٍ، قَالَ تَعَالَى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٩.

(٢) سورة النساء، الآية: ١٦٦.

(٣) سورة المنافقون، الآية: ١.

(٤) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٥) سورة الفتح، الآية: ٢٨.

(٦) لنبيّه ﷺ بالرسالة.

عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾[1] فَلَوْ رُفِعَتِ الأَقْفَالُ عَنِ الْقُلُوبِ لَبَاشَرَتْهَا حَقَائِقُ الْقُرْآنِ، وَاسْتَنَارَتْ فِيهَا مَصَابِيحُ الإِيمَانِ، وَعَلِمَتْ عِلْماً ضَرُورِيًّا كَسَائِرِ الأُمُورِ الْوِجْدَانِيَّةِ ـ كَاللَّذَّةِ وَالأَلَمِ ـ أَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، تَكَلَّمَ بِهِ حَقًّا، وَبَلَّغَهُ رَسُولُهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى رَسُولِهِ مُحَمَّدٍ ﷺ، فَهٰذَا الشَّاهِدُ فِي الْقَلْبِ مِنْ أَعْظَمِ الشَّوَاهِدِ. انْتَهَى مُلَخَّصاً مِنْ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ[2]. اهـ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾[3]، فَفِي هٰذِهِ الآيَةِ دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّهُ ﷺ مَبْعُوثٌ إِلَى كَافَّةِ الثَّقَلَيْنِ[4].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هٰذِهِ الأُمَّةِ وَلاَ يَهُودِيٌّ وَلاَ نَصْرَانِيٌّ وَمَاتَ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. وَفِي هٰذَا الْحَدِيثِ نَسْخُ الْمِلَلِ كُلِّهَا بِرِسَالَةِ نَبِيِّنَا ﷺ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ الآيَة[5]، خَاطَبَ تَعَالَى أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى بِأَنَّهُ قَدْ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ رَسُولَهُ مُحَمَّداً خَاتِمَ النَّبِيِّينَ الَّذِي لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ وَلاَ رَسُولَ، بَلْ هُوَ الْمُعَقِّبُ لِجَمِيعِهِمْ، وَلِهٰذَا قَالَ تَعَالَى: ﴿عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ أَيْ: بَعْدَ مُدَّةٍ مُتَطَاوِلَةٍ مَا بَيْنَ إِرْسَالِهِ ﷺ وَإِرْسَالِ عِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. وَقَدِ اخْتَلَفُوا فِي مِقْدَارِ هٰذِهِ الْفَتْرَةِ، قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: وَالْمَشْهُورُ أَنَّهَا سِتُّ مِئَةِ سَنَةٍ، قَالَ ﷺ: «**أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِابْنِ مَرْيَمَ، لأَنَّهُ لَيْسَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

---

(١) سورة محمد، الآية: ٢٤.

(٢) لابن القيم.

(٣) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

(٤) الإنس والجن.

(٥) سورة المائدة، الآية: ١٩.

وَالْمَقْصُودُ: أَنَّ اللّهَ بَعَثَ مُحَمَّداً عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَطُمُوسٍ مِنَ السُّبُلِ، وَتَغَيُّرِ الأَدْيَانِ، وَكَثْرَةِ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ وَالنِّيرَانِ وَالصُّلْبَانِ، فَكَانَتِ النِّعْمَةُ بِهِ أَتَمَّ، وَالنَّفْعُ بِهِ أَعَمَّ.

وَفِي حَدِيثٍ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ مَرْفُوعاً: «**إِنَّ اللّهَ نَظَرَ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ فَمَقَتَهُمْ عَجَمَهُمْ وَعَرَبَهُمْ إِلاَّ بَقَايَا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**»، وَفِي لَفْظِ مُسْلِمٍ: «**مِنْ أَهْلِ الكِتَابِ**» فَكَانَ الدِّينُ قَدِ التَبَسَ عَلَى أَهْلِ الأَرْضِ كُلِّهِمْ، حَتَّى بَعَثَ اللّهُ مُحَمَّداً ﷺ فَهَدَى بِهِ الخَلاَئِقَ، وَأَخْرَجَهُمُ اللّهُ بِهِ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ، وَتَرَكَهُمْ عَلَى المَحَجَّةِ البَيْضَاءِ، وَالشَّرِيعَةِ الغَرَّاءِ، صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾[١] أَيْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ عَنَتُكُمْ - أَيْ: إِثْمُكُمْ بِالشِّرْكِ وَالمَعَاصِي -. قَالَ الحَسَنُ: عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ تَدْخُلُوا النَّارَ، حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الجَنَّةَ، وَمِنْ حِرْصِهِ ﷺ عَلَيْنَا أَنَّهُ لَمْ يُخَاطِبْنَا بِمَا يُرِيدُ إِبْلاَغَهُ إِلَيْنَا، وَفَهَّمَنَا إِيَّاهُ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِهِ؛ بَلْ عَلَى قَدْرِ مَنْزِلَتِنَا، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾[٢]، وَلاَ رَحْمَةَ مَعَ التَّكْلِيفِ بِمَا لاَ يُفْهَمُ، وَلِذٰلِكَ كَانَ ﷺ كَثِيراً مَا يَضْرِبُ المَثَلَ بِالمَحْسُوسِ لِيَحْصُلَ الفَهْمُ، وَمَنْ تَتَبَّعَ الكِتَابَ وَالسُّنَّةَ رَأَى مِنْ ذٰلِكَ العَجَبَ العُجَابَ، وَلَمَّا سَاوَى سُبْحَانَهُ وتَعَالَى بَيْنَ النَّاسِ فِي حِرْصِ رَسُولِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى إِسْلاَمِهِمْ خَصَّ المُؤْمِنِينَ بِرَأْفَتِهِ وَرَحْمَتِهِ لَهُمْ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾، قَالَ أَبُو بَكْرِ بْنُ

---

(١) سورة التوبة، الآية: ١٢٨.

(٢) سورة الأنبياء، الآية: ١٠٧.

طَاهِر[١]: زَيَّنَ اللّهُ تَعَالَى مُحَمَّداً ﷺ بِزِينَةِ الرَّحْمَةِ، فَكَانَ كَوْنُهُ رَحْمَةً، وَجَمِيعُ شَمَائِلِهِ وَصِفَاتِهِ رَحْمَةً عَلَى الْخَلْقِ، فَمَنْ أَصَابَهُ شَيْءٌ مِنْ رَحْمَتِهِ فَهُوَ النَّاجِي فِي الدَّارَيْنِ مِنْ كُلِّ مَكْرُوهٍ، وَالْوَاصِلُ فِيهِمَا إِلَى كُلِّ مَحْبُوبٍ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: رَحْمَةً لِلْبَرِّ وَالْفَاجِرِ، لأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ إِذَا كُذِّبَ أَهْلَكَ اللّهُ مَنْ كَذَّبَهُ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ أُخِّرَ مَنْ كَذَّبه إِلَى الْمَوْتِ أَوْ إِلَى الْقِيَامَةِ، وَأَمَّا مَنْ صَدَّقَهُ فَلَهُ الرَّحْمَةُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ.

وَقَالَ السَّمَرْقَنْدِيُّ: رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، يَعْنِي: الْجِنَّ وَالإِنْسَ.

وَقِيلَ: لِجَمِيعِ الْخَلْقِ، لِلْمُؤْمِنِ رَحْمَةٌ بِالْهِدَايَةِ، وَرَحْمَةٌ لِلْمُنَافِقِ بِالأَمَانِ مِنَ الْقَتْلِ، وَرَحْمَةٌ لِلْكَافِرِ بِتَأْخِيرِ الْعَذَابِ، فَذَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رَحْمَةٌ تَعُمُّ الْمُؤْمِنَ وَالْكَافِرَ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[٢]، وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهْدَاةٌ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[٣].

وَقَالَ بَعْضُ الْعَارِفِينَ: الأَنْبِيَاءُ خُلِقُوا كُلُّهُمْ مِنَ الرَّحْمَةِ، وَنَبِيُّنَا ﷺ عَيْنُ الرَّحْمَةِ.

وَفِي الشِّفَاءِ لِلْقَاضِي عِيَاضٍ: حُكِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِجِبْرِيلَ: هَلْ أَصَابَكَ مِنْ هٰذِهِ الرَّحْمَةِ شَيْءٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، كُنْتُ أَخْشَى الْعَاقِبَةَ، فَأَمِنْتُ بِثَنَاءِ اللّهِ تَعَالَى عَلَيَّ بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ**: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ﴿٢٠﴾ مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ ﴿٢١﴾﴾[٤].

---

(١) ابن مفوّز بن أحمد المعافري الشاطبي.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٣٣.

(٣) كالدارميّ، والحاكم وصححه، وأقرّه الذهبي.

(٤) سورة التكوير، الآية: ٤٠.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾[1]، هٰذِهِ الآيَةُ نَصٌّ فِي أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ، فَلاَ رَسُولَ بِطَرِيقِ الأَوْلَى، لأَنَّ مَقَامَ الرِّسَالَةِ أَخَصُّ مِنْ مَقَامِ النُّبُوَّةِ، فَإِنَّ كُلَّ رَسُولٍ نَبِيٌّ، وَلاَ يَنْعَكِسُ، وَبِذٰلِكَ وَرَدَتِ الأَحَادِيثُ عَنْهُ ﷺ، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ ﷺ: «**إِنَّ الرِّسَالَةَ وَالنُّبُوَّةَ قَدِ انقَطَعَتْ، فَلاَ رَسُولَ بَعْدِي وَلاَ نَبِيَّ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، قَالَ ﷺ: «**مَثَلِي وَمَثَلُ الأَنْبِيَاءِ كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى دَاراً، فَأَكْمَلَهَا وَأَحْسَنَهَا إِلاَّ مَوْضِعَ لَبِنَةٍ، فَكَانَ مَنْ دَخَلَهَا فَنَظَرَ إِلَيْهَا قَالَ: مَا أَحْسَنَهَا إِلاَّ مَوْضِعَ هٰذِهِ اللَّبِنَةِ، فَأَنَا مَوْضِعُ اللَّبِنَةِ، خُتِمَ بِيَ الأَنْبِيَاءُ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «**وَأُرْسِلْتُ إِلَى الْخَلْقِ كَافَّةً، وَخُتِمَ بِي النَّبِيُّونَ**».

وَقَدْ أَخْبَرَ اللّهُ فِي كِتَابِهِ، وَرَسُولُهُ فِي الْسُنَّةِ الْمُتَوَاتِرَةِ عَنْهُ: أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدَهُ ﷺ، لِيَعْلَمُوا أَنَّ كُلَّ مَنِ ادَّعَى هٰذَا الْمَقَامَ بَعْدَهُ فَهُوَ كَذَّابٌ أَفَّاكٌ دَجَّالٌ ضَالٌّ مُضِلٌّ، وَلَوْ تَحَذْلَقَ وَتَشَعْبَذَ وَأَتَى بِأَنْوَاعِ الْسِّحْرِ وَالطَّلاَسِمِ وَالنَّيْرَنْجِيَّاتِ[2]، فَكُلُّهَا مُحَالٌ وَضَلاَلٌ، وَلاَ يَقْدَحُ فِي هٰذَا نُزُولُ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعْدَهُ، لأَنَّهُ إِذَا نَزَلَ كَانَ عَلَى دِينِ نَبِيِّنَا ﷺ وَمِنْهَاجِهِ، فَنَبِيُّنَا ﷺ هُوَ آخِرُ مَنْ نُبِّىءَ مِنَ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الْصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. اهـ

❋ ❋ ❋

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٠.

(٢) وهي أُخَذٌ كالسِّحر.

النوع الرابع
فِي التَّنْوِيهِ بِرِسَالَتِهِ ﷺ فِي الْكُتُبِ السَّالِفَةِ
(كَالتَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ)

قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِىَّ ٱلْأُمِّىَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾(١)، وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ صِدْقِهِ ﷺ، لأَنَّهُ لَوْ لَمْ يَكُنْ مَكْتُوباً لَكَانَ ذِكْرُ هٰذَا الْكَلاَمِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنَفِّرَاتِ لِلْيَهُودِ وَالنَّصَارَى عَنْ قَبُولِ قَوْلِهِ، لأَنَّ الإِصْرَارَ عَلَى الْكَذِبِ وَالْبُهْتَانِ مِنْ أَعْظَمِ الْمُنَفِّرَاتِ، وَالْعَاقِلُ لاَ يَسْعَى فِيمَا يُوجِبُ نُقْصَانَ حَالِهِ، وَيُنَفِّرُ النَّاسَ عَنْ قَبُولِ مَقَالِهِ، فَلَمَّا قَالَ لَهُمْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هٰذَا دَلَّ عَلَى أَنَّ ذٰلِكَ النَّعْتَ كَانَ مَذْكُوراً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ، وَذٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ الدَّلاَئِلِ عَلَى صِحَّةِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، لٰكِنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾(٢) و﴿يُحَرِّفُونَ ٱلْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِۦ﴾(٣)، وَإِلاَّ فَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ قَدْ عَرَفُوا مُحَمَّداً ﷺ كَمَا عَرَفُوا أَبْنَاءَهُمْ، وَوَجَدُوهُ مَكْتُوباً فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ لٰكِنَّهُمْ حَرَّفُوهُمَا، وَبَدَّلُوهُمَا؛ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ، وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَنْ يُتِمَّ نُورَ وَلَوْ كَرِهِ الْكَافِرُونَ.

فَدَلاَئِلُ نُبُوَّةِ نَبِيِّنَا ﷺ فِي كِتَابَيْهِمَا بَعْدَ تَحْرِيفِهِمَا طَافِحَةٌ، وَأَعْلاَمُ شَرَائِعِهِ وَرِسَالَتِهِ فِيهِمَا لاَئِحَةٌ، وَكَيْفَ يُغْنِي عَنْهُمْ إِنْكَارُهُمْ، وَهٰذَا اسْمُ النَّبِيِّ ﷺ بِالسُّرْيَانِيَّةِ (مُشَفَّحٌ)، فَمُشَفَّحٌ مُحَمَّدٌ بِغَيْرِ شَكٍّ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: شَفْحَا لاَهَا، إِذَا أَرَادُوا أَنْ يَقُولُوا: الْحَمْدُ لِلّهِ، وَإِذَا كَانَ الْحَمْدُ شَفْحَا فَمُشَفَّحٌ مُحَمَّدٌ، وَلأَنَّ الصِّفَاتِ الَّتِي أَقَرُّوا بِهَا هِيَ وِفَاقٌ لأَحْوَالِهِ وَزَمَانِهِ وَمَخْرَجِهِ وَمَبْعَثِهِ وَشَرِيعَتِهِ ﷺ، فَلْيَدُلُّونَا عَلَى مَنْ هٰذِهِ الصِّفَاتُ لَهُ، وَمَنْ خَرَجَتْ لَهُ الأُمَمُ مِنَ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.
(٣) سورة المائدة، الآية: ١٣.

بَيْنِ يَدَيْهِ وَانقَادَتْ لَهُ وَاسْتَجَابَتْ لِدَعْوَتِهِ؟ وَمَنْ صَاحِبُ الْجَمَلِ الَّذِي هَلَكَتْ بَابِلُ وَأَصْنَامُهَا بِهِ؟ عَلَى أَنَّا لَوْ لَمْ نَأْتِ بِهٰذِهِ الأَنْبَاءِ وَالْقِصَصِ مِنْ كُتُبِهِمْ أَلَمْ يَكُنْ فِيمَا أَوْدَعَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْقُرْآنَ دَلِيلٌ عَلَى ذٰلِكَ؟ وَفِي تَرْكِهِمْ جَحْدَ ذٰلِكَ وَإِنْكَارَهُ وَهُوَ يُقَرِّعُهُمْ بِهِ دَلِيلٌ عَلَى اعْتِرَافِهِمْ لَهُ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ﴾[1]، وَيَقُولُ حِكَايَةً عَنِ الْمَسِيحِ: ﴿إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ﴾[2]، وَيَقُولُ: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لِمَ تَلْبِسُونَ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٧١﴾﴾[3]، وَيَقُولُ: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾[4]، وَكَانُوا يَقُولُونَ لِمُخَالِفِيهِمْ عِنْدَ الْقِتَالِ: هٰذَا نَبِيٌّ قَدْ أَظَلَّ مَوْلِدُهُ، وَيَذْكُرُونَ مِنْ صِفَتِهِ مَا يَجِدُونَهُ فِي كِتَابِهِمْ، ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ﴾ حَسَداً وَخَوفاً عَلَى الرِّيَاسَةِ ﴿فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[5].

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَدْعُوهُمْ إِلَى اتِّبَاعِهِ وَتَصْدِيقِهِ، فَكَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَحْتَجَّ بِبَاطِلٍ مِنَ الْحُجَجِ ثُمَّ يُحِيلُ ذٰلِكَ عَلَى مَا عِنْدَهُمْ وَمَا فِي أَيْدِيهِمْ وَيَقُولُ: مِنْ عَلامَةِ نُبُوَّتِي وَصِدْقِي أَنَّكُمْ تَجِدُونَنِي عِنْدَكُمْ مَكْتُوباً وَهُمْ لاَ يَجِدُونَهُ كَمَا ذَكَرَ؟ أَوَلَيْسَ ذٰلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُمْ عَنْهُ بُعْداً؟ وَقَدْ كَانَ غَنِيًّا عَنْ أَنْ يَدْعُوَهُمْ بِمَا يُنَفِّرُهُمْ، وَكَمْ أَسْلَمَ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ عُلَمَائِهِمْ كَعَبْدِاللّٰهِ بْنِ سَلاَمٍ وَتَمِيمٍ الدَّارِيِّ وَكَعْبٍ[6] وَقَدْ وَقَفُوا مِنْهُ عَلَى مِثْلِ هٰذِهِ الدعَاوِي.

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ١٥٧.
(٢) سورة الصف، الآية: ٦.
(٣) سورة آل عمران، الآية: ٧١.
(٤) سورة البقرة، الآية: ١٤٦.
(٥) سورة البقرة، الآية: ٨٩.
(٦) كعب الأحبار.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ[1] عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ: أَنَّهُ لَمَّا سَمِعَ بِمَخْرَجِ النَّبِيِّ ﷺ بِمَكَّةَ خَرَجَ فَلَقِيَهُ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَنْتَ ابْنُ سَلاَمٍ عَالِمُ أَهْلِ يَثْرِبَ**[2]؟» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**نَاشَدْتُكَ بِاللَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى، هَلْ تَجِدُ صِفَتِي فِي كِتَابِ اللَّهِ؟**» قَالَ: انْسُبْ رَبَّكَ[3] يَا مُحَمَّدُ! فَأُرْتِجَ النَّبِيُّ ﷺ[4]، فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤**﴾[5]، فَقَالَ ابْنُ سَلاَمٍ: أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ، وَأَنَّ اللَّهَ مُظْهِرُكَ وَمُظْهِرُ دِينِكَ عَلَى الأَدْيَانِ، وَإِنِّي لأَجِدُ صِفَتَكَ فِي كِتَابِ اللَّهِ: «يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً، أَنْتَ عَبْدِي وَرَسُولِي، سَمَّيْتُكَ الْمُتَوَكِّلَ، لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ وَلاَ سَخَّابٍ فِي الأَسْوَاقِ[6]، وَلاَ يَجْزِي بِالسَّيِّئَةِ مِثْلَهَا، وَلٰكِنْ يَعْفُو وَيَصْفَحُ، وَلَنْ يَقْبِضَهُ اللَّهُ حَتَّى يُقِيمَ بِهِ الْمِلَّةَ الْعَوْجَاءَ حَتَّى يَقُولُوا: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَيَفْتَحَ بِهِ أَعْيُناً عُمْياً، وَآذَاناً صُمّاً، وَقُلُوباً غُلْفاً».

وَقَوْلُهُ: «**لَيْسَ بِفَظٍّ وَلاَ غَلِيظٍ**» مُوَافِقٌ لِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْ ۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ ۖ**﴾[7].

وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[8] عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَسَارٍ عَنْ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ بِزِيَادَةٍ: «وَحِرْزاً لِلأُمِّيِّينَ».

---

(١) والترمذي.
(٢) اسم المدينة قديماً.
(٣) أي: صِفْهُ لنا.
(٤) أي: استَغلق الكلام عليه.
(٥) سورة الإخلاص.
(٦) أي: لا يرفع صوته فيها.
(٧) سورة آل عمران، الآية: ١٥٩.
(٨) ٤٥٥٨.

وَرَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ أُمِّ الدَّرْدَاءِ عَنْ كَعْبٍ بِزِيَادَةٍ: «يُعِينُ الْمَظْلُومَ، وَيَمْنَعُهُ مِنْ أَنْ يُسْتَضْعَفَ».

وَعِنْدَ ابْنِ إِسْحٰقَ: «وَلاَ صَخِبٌ فِي الأَسْوَاقِ، وَلاَ مُتَزَيِّنٌ بِالْفُحْشِ، وَلاَ قَوَّالٌ لِلْخَنَا[1]، أُسَدِّدُهُ بِكُلِّ[2] جَمِيلٍ، وَأَهَبُ لَهُ كُلَّ خُلُقٍ كَرِيمٍ، ثُمَّ أَجْعَلُ السَّكِينَةَ لِبَاسَهُ، وَالبِرَّ شِعَارَهُ[3]، وَالتَّقْوَى ضَمِيرَهُ، وَالْحِكْمَةَ مَعْقُولَهُ، وَالصِّدْقَ وَالْوَفَاءَ طَبِيعَتَهُ، وَالْعَفْوَ وَالْمَعْرُوفَ خُلُقَهُ، وَالْعَدْلَ سِيرَتَهُ، وَالْحَقَّ شَرِيعَتَهُ، وَالْهُدَى إِمَامَهُ، وَالإِسْلاَمَ مِلَّتَهُ، وَأَحْمَدَ اسْمَهُ، أَهْدِي بِهِ بَعْدَ الضَّلاَلَةِ، وَأُعَلِّمُ بِهِ بَعْدَ الْجَهَالَةِ، وَأَرْفَعُ بِهِ بَعْدَ الْخَمَالَةِ[4]، وَأُسَمِّي بِهِ بَعْدَ النَّكِرَةِ[5]، وَأُكْثِرُ بِهِ بَعْدَ الْقِلَّةِ، وَأُغْنِي بِهِ بَعْدَ الْعَيْلَةِ[6]، وَأَجْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْفُرْقَةِ، وَأُؤَلِّفُ بِهِ بَيْنَ قُلُوبٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَأَهْوَاءٍ مُتَشَتِّتَةٍ، وَأُمَمٍ مُتَفَرِّقَةٍ، وَأَجْعَلُ أُمَّتَهُ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ».

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: قَدِمَ الْجَارُودُ فَأَسْلَمَ وَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَقَدْ وَجَدْتُ وَصْفَكَ فِي الإِنْجِيلِ، وَلَقَدْ بَشَّرَ بِكَ ابْنُ الْبَتُولِ[7].

وَأَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ قَالَ: لَمَّا أُمِرَ إِبْرَاهِيمُ بِإِخْرَاجِ هَاجَرَ حُمِلَ عَلَى الْبُرَاقِ، فَكَانَ لاَ يَمُرُّ بِأَرْضٍ عَذْبَةٍ سَهْلَةٍ إِلاَّ قَالَ: أَنْزِلُ هٰهُنَا يَا جِبْرِيلُ؟ فَيَقُولُ: لاَ، حَتَّى أَتَى مَكَّةَ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: انْزِلْ يَا إِبْرَاهِيمُ، قَالَ: حَيْثُ لاَ ضَرْعَ وَلاَ زَرْعَ؟ قَالَ: نَعَمْ، هٰهُنَا يَخْرُجُ النَّبِيُّ الَّذِي مِنْ ذُرِّيَّةِ ابْنِكَ الَّذِي تَتِمُّ بِهِ الْكَلِمَةُ الْعُلْيَا.

---

(١) للقبيح.

(٢) في الشفا للقاضي عياض: (لكل).

(٣) الشّعار: الثوب الذي يلي الجسد، والدِّثار فوقه. ومنه حديث: **«الأنصار شعار، والناس دثار»** رواه الشيخان.

(٤) الخفاء.

(٥) أي: أجعَلُ الناس المجهولين معروفين بسببه.

(٦) بعد الفقر والحاجة.

(٧) والبتول مريم: العذراء المنقطعة عن الزواج إلىٰ الله.

وَفِي التَّوْرَاةِ مِمَّا اخْتَارُوهُ بَعْدَ الْحَذْفِ وَالتَّحْرِيفِ وَالتَّبْدِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ[1] فِي (الْبِشْرِ)[2]، وَابْنُ قُتَيْبَةَ فِي (أَعْلاَمِ النُّبُوَّةِ): تَجَلَّى اللَّهُ مِنْ سِينَا، وَأَشْرَقَ مِنْ سَاعِيرَ، وَاسْتَعْلَنَ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ. فَسِينَا: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي كَلَّمَ اللَّهُ فِيهِ مُوسَى، وَسَاعِيرُ: هُوَ الْجَبَلُ الَّذِي ظَهَرَتْ فِيهِ نُبُوَّةُ عِيسَى، وَجِبَالُ فَارَانَ ـ وَهُوَ اسْمٌ عِبْرَانِيٌّ ـ: جِبَالُ بَنِي هَاشِمٍ الَّتِي كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَحَنَّثُ ـ أَيْ: يَتَعَبَّدُ ـ فِي أَحَدِهَا، وَفِيهِ فَاتِحَةُ الْوَحْيِ، وَهُوَ أَحَدُ ثَلاَثَةِ جِبَالٍ: أَحَدُهَا: أَبُو قُبَيْسٍ، وَالْمُقَابِلُ لَهُ: قُعَيْقِعَانُ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي، وَالثَّالِثُ الشَّرْقِيُّ: فَارَانُ، وَمُنْفَتَحُهُ الَّذِي يَلِي قُعَيْقِعَانَ إِلَى بَطْنِ الْوَادِي هُوَ شِعْبُ بَنِي هَاشِمٍ[3]، وَفِيهِ وُلِدَ ﷺ عَلَى أَحَدِ الأَقْوَالِ.

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ: وَلَيْسَ بِهٰذَا غُمُوضٌ، لأَنَّ تَجَلِّيَ اللَّهِ مِنْ سِينَا: إِنْزَالُهُ التَّوْرَاةَ عَلَى مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِطُورِ سِينَا، وَيَجِبُ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرَ: إِنْزَالُهُ الإِنْجِيلَ عَلَى عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَكَانَ الْمَسِيحُ يَسْكُنُ مِنْ سَاعِيرَ أَرْضَ الْجَلِيلِ بِقَرْيَةٍ تُدْعَى نَاصِرَةَ، بِاسْمِهَا سُمِّيَ مَنِ اتَّبَعَهُ نَصَارَى، فَكَمَا وَجَبَ أَنْ يَكُونَ إِشْرَاقُهُ مِنْ سَاعِيرَ إِنْزَالَهُ عَلَى الْمَسِيحِ الإِنْجِيلَ، فَكَذٰلِكَ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ اسْتِعْلاَنُهُ مِنْ جِبَالِ فَارَانَ إِنْزَالَهُ الْقُرْآنَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَهِيَ جِبَالُ مَكَّةَ، وَلَيْسَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ اخْتِلاَفٌ فِي أَنَّ فَارَانَ هِيَ مَكَّةُ.

وَإِنِ ادُّعِيَ أَنَّهَا غَيْرُ مَكَّةَ قُلْنَا: أَلَيْسَ فِي التَّوْرَاةِ أَنَّ اللَّهَ أَسْكَنَ هَاجَرَ وَإِسْمَاعِيلَ فَارَانَ؟ وَقُلْنَا: دُلُّونَا عَلَى الْمَوْضِعِ الَّذِي اسْتَعْلَنَ اللَّهُ مِنْهُ وَاسْمُهُ فَارَانُ؛ وَالنَّبِيِّ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ بَعْدَ الْمَسِيحِ؛ أَوَلَيْسَ اسْتَعْلَنَ وَعَلَنَ

---

(١) الحموي.

(٢) بخير البَشَر.

(٣) الشِّعب: الطريق بين الجبلين.

بِمَعْنًى وَاحِدٍ، وَهُوَ مَا ظَهَرَ وَانْكَشَفَ، فَهَلْ تَعْلَمُونَ دِيناً ظَهَرَ ظُهُورَ الإِسْلاَمِ، وَفَشَا فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فُشُوَّهُ؟!

وَفِي التَّوْرَاةِ أَيْضاً ـ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ ـ خِطَاباً لِمُوسَى، وَالْمُرَادُ بِهِ الَّذِينَ اخْتَارَهُمْ لِمِيقَاتِ رَبِّهِ الَّذِينَ أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ خُصُوصاً، ثُمَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ عُمُوماً: وَاللَّهُ رَبُّكَ يُقِيمُ نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِكَ، فَاسْتَمِعْ لَهُ كَالَّذِي سَمِعْتَ رَبَّكَ فِي حَوْرِيتَ يَوْمَ الاجْتِمَاعِ، حِينَ قُلْتَ لاَ أَعُودُ أَسْمَعُ صَوْتَ اللَّهِ رَبِّي لِئَلاَّ أَمُوتَ، فَقَالَ اللَّهُ تَعَالَى: نِعْمَ مَا قَالُوا، وَسَأُقِيمُ لَهُمْ نَبِيًّا مِثْلَكَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ، وَأَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَيَقُولُ لَهُمْ كُلَّ شَيْءٍ أَمَرْتُهُ بِهِ، وَأَيُّمَا رَجُلٍ لَمْ يُطِعْ مَنْ تَكَلَّمَ بِاسْمِي، فَإِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْهُ.

قَالَ وَفِي هٰذَا الْكَلاَمِ أَدِلَّةٌ عَلَى نُبُوَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

فَقَوْلُهُ: نَبِيًّا مِنْ إِخْوَتِهِمْ، وَمُوسَى وَقَوْمُهُ مِنْ بَنِي إِسْحَاقَ، وَإِخْوَتُهُمْ مِنْ بَنِي إِسْمَاعِيلَ، وَلَوْ كَانَ هٰذَا النَّبِيُّ الْمَوْعُودُ بِهِ مِنْ بَنِي إِسْحٰقَ لَكَانَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ لاَ مِنْ إِخْوَتِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: نَبِيًّا مِثْلَكَ، فَقَدْ قَالَ فِي التَّوْرَاةِ: مِثْلُ مُوسَى لاَ يَقُومُ فِي بَنِي إِسْرَائِيلَ أَبَداً، فَذَهَبَتِ الْيَهُودُ إِلَى أَنَّ هٰذَا النَّبِيَّ الْمَوْعُودَ بِهِ هُوَ يُوشَعُ بْنُ نُونٍ، وَذٰلِكَ بَاطِلٌ لأَنَّ يُوشَعَ لَمْ يَكُنْ كُفُواً لِمُوسَىٰ عَلَيْهِمَا الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، بَلْ كَانَ خَادِماً لَهُ فِي حَيَاتِهِ، وَمُؤَكِّداً لِدَعْوَتِهِ بَعْدَ مَمَاتِهِ، فَتَعَيَّنَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ بِهِ مُحَمَّداً ﷺ، فَإِنَّهُ كُفُؤُ مُوسَى، لأَنَّهُ مَاثَلَهُ فِي نَصْبِ الدَّعْوَةِ، وَالتَّحَدِّي بِالْمُعْجِزَةِ، وَشَرْعِ الأَحْكَامِ، وَإِجْرَاءِ النَّسْخِ عَلَى الشَّرَائِعِ السَّالِفَةِ.

وَقَوْلُهُ تَعَالَى: أَجْعَلُ كَلاَمِي فِي فَمِهِ، فَإِنَّهُ وَاضِحٌ فِي أَنَّ الْمَقْصُودَ بِهِ مُحَمَّدٌ ﷺ، لأَنَّ مَعْنَاهُ: أُوحِيْ إِلَيْهِ بِكَلاَمِي، فَيَنْطِقُ بِهِ عَلَى نَحْوِ مَا سَمِعَهُ، وَلاَ أُنْزِلُ عَلَيْهِ صُحُفاً وَلاَ أَلْوَاحاً، لأَنَّهُ أُمِّيٌّ لاَ يُحْسِنُ أَنْ يَقْرَأَ الْمَكْتُوبَ.

وَفِي الإِنْجِيلِ مِمَّا ذَكَرَهُ ابْنُ طُغْرُبَكَ فِي الدُّرِّ الْمُنَظَّمِ: قَالَ يُوحَنَّا فِي إِنْجِيلِهِ عَنِ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَالَ: أَنَا أَطْلُبُ لَكُمْ مِنَ الأَبِ أَنْ يُعْطِيَكُمْ فَارِقْلِيط

آخَرَ يَثْبُتُ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحَ الحَقِّ الَّذِي لَنْ يُطِيقَ الْعَالَمُ أَنْ يَقْتُلُوهُ.

وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ ظَفَرٍ بِلَفْظِ: إِنْ أَحْبَبْتُمُونِي فَاحْفَظُوا وَصِيَّتِي، وَأَنَا أَطْلُبُ إِلَى أَبِي فَيُعطِيكُمْ فَارِقْلِيطَ آخَرَ يَكُونُ مَعَكُمْ الدَّهْرَ كُلَّهُ. قَالَ: فَهٰذَا تَصْرِيحٌ بِأَنَّ اللّهَ سَيَبْعَثُ إِلَيْهِمْ مَنْ يَقُومُ مَقَامَهُ، وَيَنُوبُ فِي تَبْلِيغِ رِسَالَةِ رَبِّهِ وَسِيَاسَةِ خَلْقِهِ مَنَابَهُ، وَتَكُونُ شَرِيعَتُهُ بَاقِيَةً مُخَلَّدَةً أَبَداً، فَهَلْ هٰذَا إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ؟

وَقَدِ اخْتَلَفَ النَّصَارَى فِي تَفْسِيرِ (الْفَارِقْلِيطَ): فَقِيلَ: هُوَ الحَامِدُ، وَقِيلَ: الْمُخَلِّصُ، فَإِنْ وَافَقْنَاهُمْ عَلَى أَنَّهُ الْمُخَلِّصُ أَفْضَى بِنَا الأَمْرُ إِلَى أَنَّ الْمُخَلِّصَ رَسُولٌ يَأْتِي بِخَلاَصِ الْعَالَمِ، وَذٰلِكَ مِنْ غَرَضِنَا؛ لأَنَّ كُلَّ نَبِيٍّ مُخَلِّصٌ لأُمَّتِهِ مِنَ الْكُفْرِ، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ الْمَسِيحِ فِي الإِنْجِيلِ: إِنِّي جِئْتُ لِخَلاَصِ الْعَالَمِ. فَإِذَا ثَبَتَ أَنَّ الْمَسِيحَ هُوَ الَّذِي وَصَفَ نَفْسَهُ بِأَنَّهُ مُخَلِّصُ الْعَالَمِ، وَهُوَ الَّذِي سَأَلَ الأَبَ أَنْ يُعْطِيَهُمْ فَارِقْلِيطَ آخَرَ، فَفِي مُقْتَضَى اللَّفْظِ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ قَدْ تَقَدَّمَ فَارِقْلِيطُ أَوَّلُ حَتَّى يَأْتِي فَارِقْلِيطُ آخَرُ، وَإِنْ قُلْنَا مَعَهُمْ: إِنَّ مَعْنَاهُ الْحَامِدُ؛ فَأَيُّ لَفْظٍ أَقْرَبُ إِلَى أَحْمَدَ وَمُحَمَّدٍ مِنْ هٰذَا؟

قَالَ ابْنُ ظَفَرٍ: وَفِي الإِنْجِيلِ مِمَّا تَرْجَمُوهُ مَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَارِقْلِيطَ «الرَّسُولُ» فَإِنَّهُ قَالَ: إِنَّ هٰذَا الْكَلاَمَ الَّذِي تَسْمَعُونَهُ لَيْسَ هُوَ لِي، بَلِ الأَبُ الَّذِي أَرْسَلَنِي بِهٰذَا الْكَلاَمِ لَكُمْ، وَأَمَّا الْفَارِقْلِيطُ رُوحُ الْقُدُسِ الَّذِي يُرْسِلُهُ أَبِي بِاسْمِي فَهُوَ يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ، وَهُوَ يُذَكِّرُكُمْ كُلَّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ. فَهَلْ بَعْدَ هٰذَا بَيَانٌ؟ أَلَيْسَ هٰذَا صَرِيحاً فِي أَنَّ الْفَارِقْلِيطَ رَسُولٌ يُرْسِلُهُ اللّهُ، وَهُوَ رُوحُ الْقُدُسِ، وَهُوَ يُصَدِّقُ بِالْمَسِيحِ، وَيُظْهِرُ اسْمَهُ أَنَّهُ رَسُولٌ حَقٌّ مِنَ اللّهِ وَلَيْسَ بِإِلٰهٍ، وَهُوَ يُعَلِّمُ الْخَلْقَ كُلَّ شَيْءٍ، وَيُذَكِّرُهُمْ كُلَّ مَا قَالَهُ الْمَسِيحُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَهُمْ، وَكُلَّ مَا أَمَرَهُمْ بِهِ مِنْ تَوْحِيدِ اللّهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «أَبِي»، فَهٰذِهِ اللَّفْظَةُ مُبَدَّلَةٌ مُحَرَّفَةٌ، وَلَيْسَتْ مُنْكَرَةَ الاسْتِعْمَالِ عِنْدَ أَهْلِ الْكِتَابَيْنِ إِشَارَةً إِلَى الرَّبِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، لأَنَّهَا عِنْدَهُمْ

لَفظَةُ تَعظِيم يُخاطِبُ بِهَا الْمُتعَلّمُ مُعَلّمَهُ الّذِي يَسْتَمِدُّ مِنهُ الْعِلْمَ، وَمِنَ الْمَشهُورِ مُخَاطَبَةُ النّصَارَى عُظَمَاءَ دِينِهِمْ بِالآبَاءِ الرُّوحَانِيَّةِ، وَلَمْ تَزَلْ بَنو إِسْرَائِيلَ وَبَنُو عِيصُو[1] يَقُولُونَ: نَحنُ أَبنَاءُ اللّهِ بِسُوءِ فَهمِهِمْ عَنِ اللّهِ تَعَالَى.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «يُرْسِلُهُ بِاسْمِي»، فَهُوَ إِشَارَةٌ إِلَى شَهَادَةِ الْمُصْطَفَى ﷺ لَهُ بِالصِّدْقِ وَالرِّسَالَةِ، وَمَا تَضَمَّنَهُ الْقُرْآنُ مِنْ مَدْحِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَمَّا افْتُرِيَ فِي أَمْرِهِ.

وَفِي تَرْجَمَةٍ أُخْرَى لِلإِنْجِيلِ أَنَّهُ قَالَ: الْفَارِقْلِيطُ إِذَا جَاءَ وَبَّخَ الْعَالَمَ عَلَى الْخَطِيئَةِ، وَلاَ يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، مَا يَسْمَعُ يُكَلِّمُهُمْ بِهِ، وَيَسُوسُهُمْ بِالْحَقِّ، وَيُخْبِرُهُمْ بِالْحَوَادِثِ.

وَهُوَ عِنْدَ ابْنِ طُغْرُبِكْ بِلَفْظِ: «فَإِذَا جَاءَ رُوحُ الْحَقِّ لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ مِنَ اللّهِ، وَيُخْبِرُهُمْ بِكُلِّ مَا يَأْتِي، وَهُوَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا هُوَ لِي وَيُخْبِرُكُمْ».

فَقَوْلُهُ: «لَيْسَ يَنْطِقُ مِنْ عِنْدِهِ» وَفِي الرِّوَايَةِ الأُخْرَى: «وَلاَ يَقُولُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِهِ، بَلْ يَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا يَسْمَعُ» أَيْ: مِنَ اللّهِ الّذِي أَرْسَلَهُ، وَهٰذَا كَمَا قَالَ تَعَالَى فِي صِفَتِهِ ﷺ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾[2].

وَقَوْلُهُ: «وَهُوَ يُمَجِّدُنِي»، فَلَمْ يُمَجِّدْهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ حَقَّ تَمْجِيدِهِ إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ، لأَنَّهُ[3] وَصَفَهُ[4] بِأَنَّهُ رَسُولُ اللّهِ، وَبَرَّأَهُ وَبَرَّأَ أُمَّهُ عَلَيْهِمَا السَّلاَمُ مِمَّا نُسِبَ إِلَيْهِمَا، وَأَمَرَ بِذٰلِكَ.

قَالَ ابْنُ ظَفَرٍ: فَمَنْ ذَا الّذِي وَبَّخَ الْعُلَمَاءَ عَلَى كِتْمَانِ الْحَقِّ وَتَحْرِيفِ الْكَلِمِ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَبَيْعِ الدِّينِ بِالثَّمَنِ الْبَخْسِ؛ وَمَنِ الّذِي أَنْذَرَ بِالْحَوَادِثِ وَأَخْبَرَ بِالْغُيُوبِ إِلاَّ مُحَمَّدٌ ﷺ؟

---

(١) بنو عيسىٰ عليه الصلاة والسلام، وهم النصارىٰ.

(٢) سورة النجم، الآية: ٣.

(٣) أي: محمد ﷺ.

(٤) أي: وصف عيسىٰ عليه الصلاة والسلام.

وَفِي الدَّلاَئِلِ لِلْبَيْهَقِيِّ عَنْ هِشَامِ بْنِ الْعَاصِ الأُمَوِيِّ قَالَ: بُعِثْتُ أَنَا وَرَجُلٌ آخَرُ إِلَى هِرَقْلَ صَاحِبِ الرُّومِ نَدْعُوهُ إِلَى الإِسْلاَمِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ، وَأَنَّهُ أَرْسَلَ إِلَيْهِمْ لَيْلاً، قَالَ: فَدَخَلْنَا عَلَيْهِ، فَدَعَا بِشَيْءٍ كَهَيْئَةِ الرَّبْعَةِ الْعَظِيمَةِ مُذْهَبَةً، فِيهَا بُيُوتٌ صِغَارٌ عَلَيْهَا أَبْوَابٌ، فَفَتَحَ وَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ فَنَشَرَهَا، فَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ حَمْرَاءُ، وَإِذَا رَجُلٌ ضَخْمُ الْعَيْنَيْنِ، عَظِيمُ الإِلْيَتَيْنِ، لَمْ أَرَ مِثْلَ طُولِ عُنُقِهِ، وَإِذَا لَهُ ضَفِيرَتَانِ أَحْسَنُ مَا خَلَقَ اللّهُ تَعَالَى، قَالَ: أَتَعْرِفُونَ هٰذَا؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ: هٰذَا آدَمُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ثُمَّ فَتَحَ بَاباً آخَرَ فَاسْتَخْرَجَ حَرِيرَةً سَوْدَاءَ، وَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءُ، فَإِذَا رَجُلٌ أَحْمَرُ الْعَيْنَيْنِ، ضَخْمُ الْهَامَةِ، حَسَنُ اللِّحْيَةِ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هٰذَا؟ قُلْنَا: لاَ، قَالَ: هٰذَا نُوحٌ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، ثُمَّ فَتَحَ بَاباً آخَرَ، وَأَخْرَجَ حَرِيرَةً، فَإِذَا فِيهَا صُورَةٌ بَيْضَاءُ، وَإِذَا فِيهَا ـ وَاللّهِ ـ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: أَتَعْرِفُونَ هٰذَا؟ قُلْنَا: نَعَمْ، مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَنَبِيُّنَا، وَاللّهِ إِنَّهُ ـ أَيْ هِرَقْلَ ـ قَامَ قَائِماً، ثُمَّ جَلَسَ وَقَالَ: إِنَّهُ لَهُوَ؟ فَقُلْنَا: نَعَمْ، إِنَّهُ لَهُوَ، كَأَنَّكَ تَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَأَمْسَكَ سَاعَةً يَنْظُرُ إِلَيْهَا، ثُمَّ قَالَ: أَمَا وَاللّهِ إِنَّهُ لآخِرُ الْبُيُوتِ، وَلٰكِنْ عَجَّلْتُهُ لَكُمْ لأَنْظُرَ مَا عِنْدَكُمْ... الْحَدِيثَ وَفِيهِ: ذِكْرُ صُوَرِ الأَنْبِيَاءِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى وَسُلَيْمَانَ وَغَيْرِهِمْ، قَالَ: فَقُلْنَا لَهُ: مِنْ أَيْنَ لَكَ هٰذِهِ الصُّوَرُ؟ فَقَالَ: إِنَّ آدَمَ سَأَلَ رَبَّهُ أَنْ يُرِيَهُ الأَنْبِيَاءَ مِنْ وَلَدِهِ، فَأَنْزَلَ عَلَيْهِ صُوَرَهُمْ، فَكَانَتْ فِي خِزَانَةِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عِنْدَ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَاسْتَخْرَجَهَا ذُو الْقَرْنَيْنِ مِنْ مَغْرِبِ الشَّمْسِ، فَدَفَعَهَا إِلَى دَانِيَالَ.

وَفِي زَبُورِ دَاوُدَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ مَزْمُورِ أَرْبَعَةٍ وَأَرْبَعِينَ: فَاضَتِ النِّعْمَةُ مِنْ شَفَتَيْكَ، مِنْ أَجْلِ هٰذَا بَارَكَكَ اللّهُ إِلَى الأَبَدِ، تَقَلَّدْ أَيُّهَا الْجَبَّارُ سَيْفَكَ، فَإِنَّ شَرَائِعَكَ وَسُنَّتَكَ مَقْرُونَةٌ بِهَيْبَةِ يَمِينِكَ، وَسِهَامَكَ مَسْنُونَةٌ، وَجَمِيعَ الأُمَمِ يَخِرُّونَ تَحْتَكَ.

فَهٰذَا الْمَزْمُورُ يُنَوِّهُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ، فَالنِّعْمَةُ الَّتِي فَاضَتْ مِنْ شَفَتَيْهِ هُوَ

الْقَوْلُ الَّذِي يَقُولُهُ، وَهُوَ الْكِتَابُ الَّذِي أُنْزِلَ عَلَيْهِ، وَالسُّنَّةُ الَّتِي سَنَّهَا.

وَفِي قَوْلِهِ: تَقَلَّدْ سَيْفَكَ أَيُّهَا الْجَبَّارُ دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّهُ النَّبِيُّ الْعَرَبِيُّ، إِذْ لَيْسَ يَتَقَلَّدُ السُّيُوفَ أُمَّةٌ مِنَ الأُمَمِ إِلاَّ الْعَرَبُ، وَكُلُّهُمْ يَتَقَلَّدُونَهَا عَلَى عَوَاتِقِهِمْ.

وَفِي قَوْلِهِ: فَإِنَّ شَرَائِعَكَ وَسُنَنَكَ نَصٌّ صَرِيحٌ عَلَى أَنَّهُ صَاحِبُ شَرِيعَةٍ وَسُنَّةٍ، وَأَنَّهَا تَقُومُ بِسَيْفِهِ، وَالْجَبَّارُ: الَّذِي يَجْبُرُ الْخَلْقَ بِالسَّيْفِ عَلَى الْحَقِّ، وَيَصْرِفُهُمْ عَنِ الْكُفْرِ جَبْراً.

وَعَنْ وَهْبِ بْنِ مُنَبِّهٍ قَالَ: قَرَأْتُ فِي بَعْضِ الْكُتُبِ الْقَدِيمَةِ قَالَ اللَّهُ: وَعِزَّتِي وَجَلاَلِي لأُنْزِلَنَّ عَلَى جِبَالِ الْعَرَبِ نُوراً يَمْلأُ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، وَلأُخْرِجَنَّ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ نَبِيًّا عَرَبِيًّا أُمِّيًّا، يُؤْمِنُ بِهِ عَدَدُ نُجُومِ السَّمَاءِ وَنَبَاتِ الأَرْضِ، كُلُّهُمْ يُؤْمِنُ بِي رَبًّا وَبِهِ رَسُولاً، وَيَكْفُرُونَ بِمِلَلِ آبَائِهِمْ وَيَفِرُّونَ مِنْهَا، قَالَ مُوسَى: سُبْحَانَكَ وَتَقَدَّسَتْ أَسْمَاؤُكَ، لَقَدْ كَرَّمْتَ هٰذَا النَّبِيَّ وَشَرَّفْتَهُ، قَالَ اللَّهُ: يَا مُوسَى! إِنِّي أَنْتَقِمُ مِنْ عَدُوِّهِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ، وَأُظْهِرُ دَعْوَتَهُ عَلَى كُلِّ دَعْوَةٍ، وَأُذِلُّ مَنْ خَالَفَ شَرِيعَتَهُ، وَبِالْعَدْلِ زَيَّنْتُهُ، وَلِلْقِسْطِ[1] أَخْرَجْتُهُ، وَعِزَّتِي! لأَسْتَنْقِذَنَّ بِهِ أُمَماً مِنَ النَّارِ، فَتَحْتُ الدُّنْيَا بِإِبْرَاهِيمَ، وَخَتَمْتُهَا بِمُحَمَّدٍ، مَثَلُ كِتَابِهِ الَّذِي يَجِيءُ بِهِ ـ فَاعْقِلُوهُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ـ كَمَثَلِ السِّقَاءِ الْمَمْلُوءِ لَبَناً يُمْخَضُ[2]، فَيُخْرِجُ زُبْداً[3]، بِكِتَابِهِ أَخْتِمُ الْكُتُبَ، وَبِشَرِيعَتِهِ أَخْتِمُ الشَّرَائِعَ، فَمَنْ أَدْرَكَهُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِهِ وَلَمْ يَدْخُلْ فِي شَرِيعَتِهِ فَهُوَ مِنَ اللَّهِ بَرِيءٌ، أَجْعَلُ أُمَّتَهُ يَبْنُونَ فِي مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا مَسَاجِدَ، إِذَا ذُكِرَ اسْمِي فِيهَا ذُكِرَ اسْمُ ذٰلِكَ النَّبِيِّ مَعِي، لاَ يَزُولُ ذِكْرُهُ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى تَزُولَ[4]. ذَكَرَهُ ابْنُ ظَفَرٍ ـ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ـ وَغَيْرُهُ.

---

(١) للعدل.

(٢) يحرّك بشدّة.

(٣) «أوتيتُ جوامع الكَلِم...».

(٤) أي: الدنيا.

النوع الخامس

فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ إِقْسَامَهُ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ، وَثُبُوتِ مَا أَوْحَى إِلَيْهِ مِنْ آيَاتِهِ، وَعُلُوِّ رُتْبَتِهِ الرَّفِيعَةِ وَمَكَانَتِهِ. وَفِيهِ خَمْسَةُ فُصُولٍ

الفصلُ الأوَّل

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا خَصَّهُ بِهِ مِنَ الْخُلُقِ الْعَظِيمِ وَالْفَضْلِ الْعَمِيمِ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى[1]: ﴿نٓ وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ[2] ۝٣ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾، قِيلَ: إنَّ نَ لَوْحٌ مِن نُورٍ تَكْتُبُ فِيهِ الْمَلائِكَةُ مَا يَأْمُرُهُمْ بِهِ اللّهُ، وَلَقَدْ سُئِلَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا عَنْ خُلُقِهِ ﷺ فَقَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنُ[3]، فَكَانَ كَلامُهُ مُطَابِقاً لِلْقُرْآنِ تَفْصِيلاً وَتَبْيِيناً، وَعُلُومُهُ عُلومَ الْقُرْآنِ، وَإِرَادَتُهُ وَأَعْمَالُهُ مَا أَوْجَبَهُ وَنَدَبَ إِلَيْهِ الْقُرْآنُ، وَإِعْرَاضُهُ وَتَرْكُهُ لِمَا مَنَعَ مِنْهُ الْقُرْآنُ، وَرَغْبَتُهُ فِيمَا

---

(١) في سورة القلم.
(٢) غير مقطوع.
(٣) رواه مسلم.

رَغَّبَ فِيهِ، وَزُهْدُهُ فِيمَا زَهَّدَ فِيهِ، وَكَرَاهَتُهُ لِمَا كَرِهَهُ، وَمَحَبَّتُهُ لِمَا أَحَبَّهُ، وَسَعْيُهُ فِي تَنْفِيذِ أَوَامِرِهِ. فَتَرْجَمَتْ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا لِكَمَالِ مَعْرِفَتِهَا بِالْقُرْآنِ وَبِالرَّسُولِ وَحُسْنِ تَعْبِيرِهَا عَنْ هٰذَا كُلِّهِ بِقَوْلِهَا: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ».

وَلَمَّا وَصَفَهُ تَعَالَى بِأَنَّهُ عَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ قَالَ: ﴿فَسَتُبْصِرُ وَيُبْصِرُونَ ۝٥ بِأَيِّيكُمُ ٱلْمَفْتُونُ ۝٦﴾ أَيْ: فَسَتَرَى يَا مُحَمَّدُ وَسَيَرَى الْمُشْرِكُونَ عَاقِبَةَ أَمْرِكَ، فَإِنَّكَ تَصِيرُ مُعَظَّماً، وَيَصِيرُونَ أَذِلاَّءَ مَغْلُوبِينَ، وَتَسْتَوْلِي عَلَيْهِمْ.

الفصل الثَّاني

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى مَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْهِ وَأَظْهَرَهُ مِنْ قَدْرِهِ الْعَلِيِّ لَدَيْهِ

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١ وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ۝٣﴾، تَأَمَّلْ مُطَابَقَةَ هٰذَا الْقَسَمِ (وَهُوَ نُورُ الضُّحَى الَّذِي يُوَافِي بَعْدَ ظَلاَمِ اللَّيْلِ) لِلْمُقْسَمِ عَلَيْهِ (وَهُوَ نُورُ الْوَحْيِ الَّذِي وَافَاهُ ﷺ بَعْدَ احْتِبَاسِهِ عَنْهُ) حَتَّى قَالَ أَعْدَاؤُهُ: وَدَّعَ مُحَمَّداً رَبُّهُ، فَنَفَى سُبْحَانَهُ أَنْ يَكُونَ وَدَّعَ نَبِيَّهُ أَوْ قَلاَهُ، فَالتَّوْدِيعُ: التَّرْكُ، وَالْقِلَى: الْبُغْضُ، أَيْ: مَا تَرَكَكَ مُنْذُ اعْتَنَى بِكَ، وَلاَ أَبْغَضَكَ مُنْذُ أَحَبَّكَ، ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾، هٰذَا يَعُمُّ أَحْوَالَهُ ﷺ، وَيَدُلُّ عَلَى أَنَّ كُلَّ حَالَةٍ يُرَقِّيهِ إِلَيْهَا هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا قَبْلَهَا، كَمَا أَنَّ الدَّارَ

الآخِرَةَ هِيَ خَيْرٌ لَهُ مِمَّا قَبْلَهَا، ثُمَّ وَعَدَهُ ﷺ بِمَا تَقَرُّ عَيْنُهُ وَيَنْشَرِحُ بِهِ صَدْرُهُ وَهُوَ أَنْ يُعْطِيَهُ فَيَرْضَى، وَهٰذَا يَعُمُّ مَا يُعْطِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ وَالْهُدَى، وَنَشْرِ دَعْوَتِهِ، وَإِعْلاَءِ كَلِمَتِهِ عَلَى أَعْدَائِهِ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ وَأَيَّامِ خُلَفَائِهِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ، وَمَا يُعْطِيهِ فِي مَوْقِفِ الْقِيَامَةِ مِنَ الشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَمَا يُعْطِيهِ فِي الْجَنَّةِ مِنَ الْوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْكَوْثَرِ.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَقَدْ دَلَّتْ هٰذِهِ الآيَةُ عَلَى أَنَّهُ تَعَالَى يُعْطِيهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كُلَّ مَا يُرْضِيهِ.

ثُمَّ ذَكَّرَهُ سُبْحَانَهُ بِنِعَمِهِ عَلَيْهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يُقَابِلَهَا بِمَا يَلِيقُ بِهَا مِنَ الشُّكْرِ فَقَالَ تَعَالَى: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ﴿٦﴾﴾ إِلَى آخِرِ السُّورَةِ[(١)].

الفصل الثَّالِث

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَصْدِيقِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنِ الْهَوَى فِي نُطْقِهِ

قَالَ تَعَالَى[(٢)]: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ﴿١﴾ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴿٢﴾ وَمَا

(١) سورة الضحى.
(٢) في سورة النجم.

يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣﴾، أَقْسَمَ تَعَالَى بِالنَّجْمِ عَلَى بَرَاءَةِ رَسُولِهِ ﷺ مِمَّا نَسَبَهُ إِلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ مِنَ الضَّلاَلِ وَالْغَيِّ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَقْسَمَ بِالثُّرَيَّا إِذَا سَقَطَتْ وَغَابَتْ[1].

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾، وَلَمْ يَقُلْ مُحَمَّدٌ تَأْكِيداً لإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ بِأَنَّهُ صَاحِبُهُمْ، وَهُمْ أَعْلَمُ الْخَلْقِ بِهِ وَبِحَالِهِ وَأَقْوَالِهِ وَأَعْمَالِهِ، وَأَنَّهُمْ لاَ يَعْرِفُونَهُ بِكَذِبٍ وَلاَ غَيٍّ وَلاَ ضَلاَلٍ، وَلاَ يَنْقِمُونَ عَلَيْهِ أَمْراً وَاحِداً، وَقَدْ نَبَّهَ تَعَالَى عَلَى هٰذَا الْمَعْنَى بِقَوْلِهِ عَزَّ وَجَلَّ: ﴿أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا۟ رَسُولَهُمْ﴾[2]؟ ثُمَّ نَزَّهَ نُطْقَ رَسُولِهِ ﷺ عَنْ أَنْ يَصْدُرَ عَنْ هَوًى فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾، وَذَكَرَ الأَوْزَاعِيُّ عَنْ حَسَّانَ بْنِ عَطِيَّةَ قَالَ: كَانَ جِبْرِيلُ يَنْزِلُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالسُّنَّةِ كَمَا يَنْزِلُ عَلَيْهِ بِالْقُرْآنِ، يُعَلِّمُهُ إِيَّاهَا.

ثُمَّ أَخْبَرَ تَعَالَى عَنْ وَصْفِ مَنْ عَلَّمَهُ ﷺ الْوَحْيَ وَالْقُرْآنَ فَقَالَ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ۝٥﴾ وَهُوَ جِبْرِيلُ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ مَدْحَ الْمُعَلِّمِ مَدْحٌ لِلْمُتَعَلِّمِ، وَهٰذَا نَظِيرُ قَوْلِهِ تَعَالَى[3]: ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ ۝٢٠﴾.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ۝١١﴾، فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ عَنْ تَصْدِيقِ فُؤَادِهِ ﷺ لِمَا رَأَتْهُ عَيْنَاهُ، وَأَنَّ الْقَلْبَ صَدَّقَ الْعَيْنَ، وَلَيْسَ كَمَنْ رَأَى شَيْئاً عَلَى خِلاَفِ مَا هُوَ بِهِ فَكَذَّبَ فُؤَادُهُ بَصَرَهُ، بَلْ مَا رَآهُ بِبَصَرِهِ صَدَّقَهُ الْفُؤَادُ، وَعَلِمَ أَنَّهُ كَذٰلِكَ.

وَقَالَ تَعَالَى[4]: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلْخُنَّسِ ۝١٥ ٱلْجَوَارِ ٱلْكُنَّسِ ۝١٦﴾ إِلَى قَوْلِهِ:

---

(١) والعرب إذا أطلقت النجم تريد به الثريّا.
(٢) سورة المؤمنون، الآية: ٦٩.
(٣) سورة التكوير، الآية: ٢٠.
(٤) في سورة التكوير.

﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾﴾، أَيْ: لاَ أُقْسِمُ إِذِ الأَمْرُ أَوْضَحُ مِنْ أَنْ يَحْتَاجَ إِلَى قَسَم، وَفِيهِ أَقْوَالٌ أُخْرَى: أَنَّهُ ـ أَيْ: الْقُرْآنَ ـ قَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ، وَهُوَ هُنَا جِبْرِيلُ، وَأَمَّا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ فِي سُورَةِ الْحَاقَّةِ فَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَأَضَافَهُ إِلَى الرَّسُولِ الْمَلَكِيِّ تَارَةً وَإِلَى الْبَشَرِيِّ أُخْرَى، وَإِضَافَتُهُ إِلَيْهِمَا إِضَافَةُ تَبْلِيغٍ لاَ إِضَافَةَ إِنْشَاءٍ مِنْ عِنْدِهِمَا، وَلَفْظُ الرَّسُولِ يَدُلُّ عَلَى ذٰلِكَ، فَإِنَّ الرَّسُولَ هُوَ الَّذِي يُبَلِّغُ كَلاَمَ مَنْ أَرْسَلَهُ، فَهٰذَا صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ كَلاَمُ مَنْ أَرْسَلَ جِبْرِيلَ وَمُحَمَّداً ﷺ، فَجِبْرِيلُ تَلَقَّاهُ عَنِ اللّٰهِ، وَمُحَمَّدٌ ﷺ تَلَقَّاهُ عَنْ جِبْرِيلَ.)

وَقَدْ وَصَفَ اللّٰهُ تَعَالَى رَسُولَهُ الْمَلَكِيَّ فِي هٰذِهِ السُّورَةِ بِأَنَّهُ كَرِيمٌ، يُعْطِي أَفْضَلَ الْعَطَايَا ـ وَهِيَ الْعِلْمُ، وَالْمَعْرِفَةُ، وَالْهِدَايَةُ، وَالبِرُّ، وَالإِرْشَادُ ـ، وَهٰذَا غَايَةُ الْكَرَمِ.

وَ﴿ذِى قُوَّةٍ﴾ كَمَا قَالَ فِي النَّجْمِ: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾﴾ فَيَمْنَعُ بِقُوَّتِهِ الشَّيَاطِينَ أَنْ يَدْنُوا مِنْهُ، وَأَنْ يَزِيدُوا فِيهِ أَوْ يَنْقُصُوا مِنْهُ، وَرُوِيَ[1] أَنَّهُ رَفَعَ قَرْيَاتِ قَوْمِ لُوطٍ الأَرْبَعَ عَلَى قَوَادِمِ جَنَاحِهِ حَتَّى سَمِعَ أَهْلُ السَّمَاءِ نُبَاحَ كِلاَبِهَا وَأَصْوَاتَ بَنِيهَا.

﴿عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾، أَيْ: مُتَمَكِّنِ الْمَنْزِلَةِ، وَهٰذِهِ الْعِنْدِيَّةُ عِنْدِيَّةُ الإِكْرَامِ وَالتَّشْرِيفِ وَالتَّعْظِيمِ.

﴿مُّطَاعٍ﴾ فِي مَلاَئِكَةِ اللّٰهِ تَعَالَى الْمُقَرَّبِينَ، يَصْدُرُونَ عَنْ أَمْرِهِ، وَيَرْجِعُونَ إِلَى رَأْيِهِ، ﴿ثَمَّ﴾ هُنَاكَ ﴿أَمِينٍ﴾ عَلَى وَحْيِ اللّٰهِ وَرِسَالَتِهِ، فَقَدْ عَصَمَهُ اللّٰهُ مِنَ الْخِيَانَةِ وَالزَّلَلِ. فَهٰذِهِ خَمْسُ صِفَاتٍ تَتَضَمَّنُ تَزْكِيَةَ سَنَدِ الْقُرْآنِ، وَأَنَّهُ سَمَاعُ مُحَمَّدٍ ﷺ مِنْ جِبْرِيلَ، وَسَمَاعُ جِبْرِيلَ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَنَاهِيكَ بِهٰذَا السَّنَدِ عُلُوًّا وَجَلاَلَةً، فَقَدْ تَوَلَّى اللّٰهُ تَزْكِيَتَهُ بِنَفْسِهِ.

---

(١) من رواية ابن عساكر.

ثُمَّ نَزَّهَ رَسُولَهُ الْبَشَرِيَّ ﷺ وَزَكَّاهُ مِمَّا يَقُولُ فِيهِ أَعْدَاؤُهُ فَقَالَ: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾، وَهٰذَا أَمْرٌ يَعْلَمُونَهُ وَلاَ يَشُكُّونَ فِيهِ، وَإِنْ قَالُوا بِأَلْسِنَتِهِمْ خِلاَفَهُ، فَهُمْ يَعْلَمُونَ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ.

ثُمَّ أَخْبَرَ عَنْ رُؤْيَتِهِ ﷺ لِجِبْرِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ بِٱلْأُفُقِ ٱلْمُبِينِ ۝٢٣﴾، وَهٰذَا يَتَضَمَّنُ أَنَّهُ مَلَكٌ مَوْجُودٌ فِي الْخَارِجِ، يُرَى بِالْعِيَانِ، وَيُدْرَكُ بِالْبَصَرِ.

﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ ۝٢٤﴾، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: لَيْسَ بِبَخِيلٍ بِمَا أَنْزَلَ اللّٰهُ. وَأَجْمَعَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ الْغَيْبَ هٰهُنَا: الْقُرْآنُ وَالْوَحْيُ، وَقُرِىءَ ﴿بِظَنِينٍ﴾ وَمَعْنَاهُ: الْمُتَّهَمُ، وَالْمَعْنَى: وَمَا هٰذَا الرَّسُولُ ـ وَهُوَ مُحَمَّدٌ ﷺ ـ عَلَى الْقُرْآنِ بِمُتَّهَمٍ، بَلْ هُوَ أَمِينٌ فِيهِ، لاَ يَزِيدُ فِيهِ وَلاَ يَنْقُصُ مِنْهُ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ۝٣٨ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ۝٣٩ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝٤٠﴾ الآيَةَ[1]، أَقْسَمَ تَعَالَى بِالأَشْيَاءِ كُلِّهَا: مَا يُبْصَرُ مِنْهَا وَمَا لاَ يُبْصَرُ، وَهٰذَا أَعَمُّ قَسَمٍ وَقَعَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ يَعُمُّ الْعُلْوِيَّاتِ وَالسُّفْلِيَّاتِ، وَالدُّنْيَا وَالآخِرَةَ، وَمَا يُرَى وَمَا لاَ يُرَى، فَذٰلِكَ كُلُّهُ دَلِيلٌ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ ﷺ، وَأَنَّ مَا جَاءَ بِهِ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللّٰهِ تَعَالَى، وَأَنَّهُ حَقٌّ ثَابِتٌ، كَمَا أَنَّ سَائِرَ الْمَوْجُودَاتِ مَا يُرَى مِنْهَا وَمَا لاَ يُرَى حَقٌّ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ۝٢٣﴾[2]، فَكَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ: إِنَّهُ حَقٌّ كَمَا أَنَّ مَا تُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْخَلْقِ وَمَا لاَ تُشَاهِدُونَهُ حَقٌّ مَوْجُودٌ، وَيَكْفِي الإِنْسَانُ مِنْ جَمِيعِ مَا يُبْصِرُهُ وَمَا لاَ يُبْصِرُهُ نَفْسُهُ، وَمَبْدَأُ خَلْقِهِ وَنَشْأَتُهُ، وَمَا يُشَاهِدُهُ مِنْ أَحْوَالِهِ ظَاهِراً وَبَاطِناً، فَفِي ذٰلِكَ أَبْيَنُ دَلاَلَةٍ عَلَى

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٣٨.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٢٣.

وَحْدَانِيَّةِ الرَّبِّ، وَثُبُوتِ صِفَاتِهِ، وَصِدْقِ مَا أَخْبَرَ بِهِ رَسُولُهُ ﷺ، وَمَنْ لَمْ يُبَاشِرْ قَلْبُهُ ذٰلِكَ حَقِيقَةً لَمْ تُخَالِطْ بَشَاشَةُ الإِيمَانِ قَلْبَهُ.

ثُمَّ أَقَامَ سُبْحَانَهُ الْبُرْهَانَ الْقَاطِعَ عَلَى صِدْقِ رَسُولِهِ، وَأَنَّهُ لَمْ يَتَقَوَّلْ عَلَيْهِ فِيمَا قَالَهُ، وَأَنَّهُ لَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى لَمَا أَقَرَّهُ، وَلَعَاجَلَهُ بِالإِهْلاَكِ، فَإِنَّ كَمَالَ عِلْمِهِ وَقُدْرَتِهِ وَحِكْمَتِهِ يَأْبَى أَنْ يُقِرَّ مَنْ تَقَوَّلَ عَلَيْهِ وَافْتَرَى عَلَيْهِ، وَأَضَلَّ عِبَادَهُ وَاسْتَبَاحَ دِمَاءَ مَنْ كَذَّبَهُ وَحَرِيمَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ، فَكَيْفَ يَلِيقُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ وَأَقْدَرِ الْقَادِرِينَ أَنْ يُقِرَّ عَلَى ذٰلِكَ؟ بَلْ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُؤَيِّدَهُ وَيَنْصُرَهُ وَيُعْلِيَهُ وَيُظْهِرَهُ وَيُظَفِّرَهُ بِهِمْ؛ فَيَسْفِكَ دِمَاءَهُمْ وَيَسْتَبِيحَ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلاَدَهُمْ وَبِلاَدَهُمْ وَنِسَاءَهُمْ قَائِلاً إِنَّ اللّٰهَ أَمَرَنِي بِذٰلِكَ وَأَبَاحَهُ لِي؟ بَلْ كَيْفَ يَلِيقُ بِهِ أَنْ يُصَدِّقَهُ بِأَنْوَاعِ التَّصْدِيقِ كُلِّهَا، فَيُصَدِّقُهُ بِإِقْرَارِهِ وَبِالآيَاتِ الْمُسْتَلْزِمَةِ لِصِدْقِهِ، ثُمَّ يُصَدِّقُهُ بِأَنْوَاعِهَا كُلِّهَا عَلَى اخْتِلاَفِهَا، فَكُلُّ آيَةٍ عَلَى انْفِرَادِهَا مُصَدِّقَةٌ لَهُ، ثُمَّ يُقِيمُ الدَّلاَئِلَ الْقَاطِعَةَ عَلَى أَنَّ هٰذَا قَوْلُهُ وَكَلاَمُهُ، فَيَشْهَدُ لَهُ بِإِقْرَارِهِ وَفِعْلِهِ وَقَوْلِهِ، فَمِنْ أَعْظَمِ الْمُحَالِ وَأَبْطَلِ الْبَاطِلِ وَأَبْيَنِ الْبُهْتَانِ أَنْ يَجُوزَ عَلَى أَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ أَنْ يَفْعَلَ ذٰلِكَ، وَالْمُرَادُ بِالرَّسُولِ الْكَرِيمِ هُنَا: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَمِنْ ذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى[1]: ﴿۞ فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِي كِتَٰبٍ مَّكۡنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ[2] ﴿٧٩﴾﴾، قِيلَ: هُوَ اللَّوْحُ الْمَحْفُوظُ. وَقِيلَ: الْكِتَابُ الَّذِي بِأَيْدِي الْمَلاَئِكَةِ. وَقِيلَ: الْمُصْحَفُ، وَرَجَّحَهُ ابْنُ الرِّفْعَةِ.

---

(١) سورة الواقعة، الآيات: ٧٥ ـ ٧٧.

(٢) من بني آدم، ولا يمكن أن يكون المراد الملائكة، لأنه ليس في السماء غير مطهّر. والمفهوم من الخبر النهي على جميع المذاهب، قال ﷺ: **«لا تمسّ القرآن إلا وأنت على طُهر»** رواه أبو داود والنسائي.

الفصل الرابع

فِي قَسَمِهِ تَعَالَى عَلَى تَحْقِيقِ رِسَالَتِهِ ﷺ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٤﴾ الآيَةَ[1]، قَالَ ابْنُ الْحَنَفِيَّةِ: يَا مُحَمَّدُ[2]!

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ قَسَمٌ أَقْسَمَ اللّهُ تَعَالَى بِهِ، وَهُوَ مِنْ أَسْمَائِهِ[3].

ثُمَّ قَالَ: ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾، وَهُوَ رَدٌّ عَلَى الكُفَّارِ حَيْثُ قَالُوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[4]، فَأَقْسَمَ اللّهُ بِاسْمِهِ وَكِتَابِهِ: إِنَّهُ ﷺ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ بِوَحْيِهِ إِلَى عِبَادِهِ، وَعَلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ مِنْ إِيمَانِهِ ـ أَيْ: طَرِيقٍ لاَ اعْوِجَاجَ فِيهِ، وَلاَ عُدُولَ عَنِ الْحَقِّ ـ.

قَالَ النَّقَّاشُ: لَمْ يُقْسِمِ اللّهُ تَعَالَى لأَحَدٍ مِنْ أَنْبِيَائِهِ بِالرِّسَالَةِ فِي كِتَابِهِ إِلاَّ لَهُ ﷺ.

---

(١) سورة يٓس، الآيات: ١ ـ ٤.

(٢) أي معنىٰ يٓس: يا محمد. وابن الحنفية هو محمد بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما، والحنفية أمه، واشتهر بنسبته إليها تمييزاً عن السبطين (الحسن والحسين) رضي الله عنهما.

(٣) أي: من أسماء الله تعالىٰ، كما في الشفا ١/٨٨.

(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣.

الفصل الخامس

فِي قَسَمِهِ بِحَيَاتِهِ ﷺ، وَعَصْرِهِ، وَبَلَدِهِ

[القَسَمُ بِحَيَاتِهِ ﷺ]

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾[١]، الْعَمْرُ: هُوَ الْعُمُرُ، وَيُفْتَحُ فِي الْقَسَمِ، وَيَعْمَهُونَ: يَتَحَيَّرُونَ، وَفِي الْمُخَاطَبِ قَوْلاَنِ: أَحَدُهُمَا: أَنَّ الْمَلائِكَةَ قَالَتْهُ لِلُوطٍ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَالثَّانِي: أَنَّ الْخِطَابَ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَأَنَّهُ تَعَالَى أَقْسَمَ بِحَيَاتِهِ، وَفِي هٰذَا تَشْرِيفٌ عَظِيمٌ وَمَقَامٌ رَفِيعٌ وَجَاهٌ عَرِيضٌ.

قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: مَا خَلَقَ اللّهُ وَمَا ذَرَأَ وَمَا بَرَأَ[٢] نَفساً أَكْرَمَ عَلَيْهِ مِنْ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَمَا سَمِعْتُ اللّهَ أَقْسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ[٣]. قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾﴾، يَقُولُ: وَحَيَاتِكَ وَعُمْرِكَ وَبَقَائِكَ فِي الدُّنْيَا إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ. رَوَاهُ ابن جَرير.

---

(١) سورة الحجر، الآية: ٧٢.

(٢) ذرأ وبرأ: خلق.

(٣) رواه البيهقي في دلائله، وأبو نُعيم، وأبو يعلىٰ.

وَرَوَاهُ البغوي فِي تَفْسِيرِهِ بِلَفظ: وَمَا أَقْسَمَ اللَّهُ بِحَيَاةِ أَحَدٍ إلاَّ بِحَيَاتِهِ ﷺ، وَمَا أَقسَمَ بِحَيَاةِ أَحَدٍ غَيْرِهِ، وَذٰلِكَ يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ أَكْرَمُ خَلْقِ اللهِ عَلَى اللهِ.

***

[القَسَمُ بِبَلَدِهِ ﷺ]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١ وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ الآيَةَ[١]، أَقْسَمَ تَعَالَى بِالْبَلَدِ الأَمِينِ، وَهُوَ مَكَّةُ أُمُّ الْقُرَى، وَهُوَ بَلَدُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَقَيَّدَهُ بِحُلُولِهِ فِيهِ إِظْهَاراً لِمَزِيدِ فَضْلِهِ، وَإِشْعَاراً بِأَنَّ شَرَفَ الْمَكَانِ بِشَرَفِ أَهْلِهِ. قَالَهُ الْبَيْضَاوِيُّ.

ثُمَّ أَقْسَمَ بِالْوَالِدِ وَمَا وَلَدَ، وَهُوَ فِيمَا قِيلَ: إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ، وَمَا وَلَدَ: مُحَمَّدٌ ﷺ.

وَقَوْلُهُ: ﴿وَأَنتَ حِلُّۢ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝٢﴾ هُوَ مِنَ الْحُلُولِ، فَيَتَضَمَّنُ إِقْسَامَهُ تَعَالَى بِبَلَدِهِ الْمُشْتَمِلِ عَلَى عَبْدِهِ وَرَسُولِهِ، فَهُوَ خَيْرُ الْبِقَاعِ، وَاشْتَمَلَ عَلَى خَيْرِ الْعِبَادِ، فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ تَعَالَى بَيْتَهُ[٢] هُدًى لِلنَّاسِ، وَنَبِيَّهُ إِمَاماً وَهَادِياً لَهُمْ، وَذٰلِكَ مِنْ أَعْظَمِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ إِلَى خَلْقِهِ، وَلاَ يَخْفَى مَا فِي قَسَمِهِ تَعَالَى بِبَلَدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ مِنْ زِيَادَةِ التَّعْظِيمِ.

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ لِلْنَبِيِّ ﷺ: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللهِ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ اللهِ أَنْ أَقْسَمَ بِحَيَاتِكَ دُونَ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، وَلَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَهُ أَنْ أَقْسَمَ بِبَلَدِكَ فَقَالَ: ﴿لَآ أُقۡسِمُ بِهَٰذَا ٱلۡبَلَدِ ۝١﴾ قِيلَ: مَكَّةُ، وَقِيلَ: الْمَدِينَةُ.

---

(١) سورة البلد، الآيتان: ١، ٢.

(٢) كعبته.

[القَسَمُ بعَصْرِهِ ﷺ]

وَقَالَ تَعَالَى[1]: ﴿وَالْعَصْرِ ۝١ إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ ۝٢﴾، وَفِي تَفْسِيرِ الْفَخْرِ الرَّازِيِّ وَالْبَيْضَاوِيِّ وَغَيْرِهِمَا: أَنَّهُ أَقْسَمَ بِزَمَانِ الرَّسُولِ ﷺ، قَالَ الإِمَامُ الرَّازِيُّ: وَاحْتَجُّوا لَهُ بِقَوْلِهِ ﷺ: «**إِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مَثَلُ رَجُلٍ اسْتَأْجَرَ أُجَرَاءَ فَقَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْفَجْرِ إِلَى الظُّهْرِ بِقِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ الْيَهُودُ، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الظُّهْرِ إِلَى الْعَصْرِ بِقِيرَاطٍ؟ فَعَمِلَتِ النَّصَارَى، ثُمَّ قَالَ: مَنْ يَعْمَلُ مِنَ الْعَصْرِ إِلَى الْمَغْرِبِ بِقِيرَاطَيْنِ؟ فَعَمِلْتُمْ، فَغَضِبَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، وَقَالُوا: نَحْنُ أَكْثَرُ عَمَلاً، وَأَقَلُّ أَجْراً، فَقَالَ اللّهُ تَعَالَى: وَهَلْ نَقَصْتُكُمْ مِنْ أَجْرِكُمْ شَيْئاً؟ قَالُوا: لاَ، قَالَ: فَذٰلِكَ فَضْلِي أُوتِيهِ مَنْ أَشَاءُ، فَكُنْتُمْ أَقَلَّ عَمَلاً، وَأَكْثَرَ أَجْراً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[2].

قَالُوا: فَهٰذَا الْحَدِيثُ دَلَّ عَلَى أَنَّ الْعَصْرَ هُوَ عَصْرُهُ ﷺ، الَّذِي هُوَ فِيهِ، فَيَكُونُ عَلَى هٰذَا أَقْسَمَ تَعَالَى بِزَمَانِهِ فِي هٰذِهِ الآيَةِ، وَبِمَكَانِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَأَنتَ حِلٌّ بِهَٰذَا الْبَلَدِ ۝٢﴾، وَبِعَمْرِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿لَعَمْرُكَ﴾، وَذٰلِكَ كُلُّهُ كَالظَّرْفِ، فَكَيْفَ حَالُ الْمَظْرُوفِ، قَالَ: وَوَجْهُ الْقَسَمِ وَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: مَا أَعْظَمَ خُسْرَانَهُمْ إِذْ أَعْرَضُوا عَنْكَ، فَانْظُرْ شِدَّةَ اعْتِنَاءِ الْحَقِّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي شَأْنِ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ تَعْلَمْ أَنَّهُ أَحَبُّ خَلْقِ اللّهِ إِلَى اللّهِ. اهـ

---

(١) في سورة العصر.

(٢) ومسلم، واللفظ لمسلم.

النوع السادس
فِي وَصْفِهِ تَعَالَى لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بِالنُّورِ وَالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ

اِعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ وَصَفَ رَسُولَهُ ﷺ بِالنُّورِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ﴾[1]، وَقِيلَ: الْمُرَادُ الْقُرْآنُ.

وَوَصَفَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ أَيْضاً بِالسِّرَاجِ الْمُنِيرِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴿٤٦﴾﴾[2]، وَالْمُرَادُ: كَوْنُهُ هَادِياً مُبَيِّناً كَالسِّرَاجِ الَّذِي يُرِي الطَّرِيقَ وَيُبَيِّنُ الْهُدَى وَالرَّشَادَ، فَبَيَانُهُ أَقْوَى وَأَتَمُّ وَأَنْفَعُ مِنْ نُورِ الشَّمْسِ، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ وَجَبَ أَنْ تَكُونَ نَفْسُهُ الْقُدْسِيَّةُ أَعْظَمَ فِي النُّورَانِيَّةِ مِنَ الشَّمْسِ، فَكَمَا أَنَّ الشَّمْسَ فِي عَالَمِ الأَجْسَامِ تُفِيدُ النُّورَ لِغَيْرِهَا وَلاَ تَسْتَفِيدُ مِنْ غَيْرِهَا، فَكَذَا نَفْسُ النَّبِيِّ ﷺ تُفِيدُ الأَنْوَارَ الْعَقْلِيَّةَ لِسَائِرِ الأَنْفُسِ الْبَشَرِيَّةِ، وَكَذَلِكَ وَصَفَ اللَّهُ الشَّمْسَ بِأَنَّهَا سِرَاجٌ حَيْثُ قَالَ: ﴿وَجَعَلَ فِيهَا سِرَٰجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا﴾[3].

وَكَمَا وَصَفَ اللَّهُ رَسُولَهُ بِأَنَّهُ نُورٌ وَصَفَ نَفْسَهُ الْمُقَدَّسَةَ بِذَلِكَ فَقَالَ: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[4]، فَلَيْسَ فِيهِمَا إِلاَّ نُورُ اللَّهِ، وَنُورُهُ الْمُقَدَّسُ هُوَ سِرُّ الْوُجُودِ وَالْحَيَاةِ، وَالْجَمَالِ وَالْكَمَالِ، وَهُوَ الَّذِي أَشْرَقَ عَلَى الْعَالَمِ، فَأَشْرَقَ عَلَى الْعَوَالِمِ الرُّوحَانِيَّةِ ـ وَهُمُ الْمَلائِكَةُ ـ فَصَارَتْ سُرُجاً مُنِيرَةً يَسْتَمِدُّ مِنْهَا مَنْ دُونَهَا بِجُودِ اللَّهِ، ثُمَّ سَرَى النُّورُ إِلَى عَالَمِ النُّفُوسِ الإِنْسَانِيَّةِ، ثُمَّ

---

(١) سورة المائدة، الآية: ١٥.

(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٤٦.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٦١.

(٤) سورة النور، الآية: ٣٥. أي: مُنَوِّرُهما.

طَرَحَتْهُ النُّفوسُ عَلَى صَفَحَاتِ الْجُسُومِ، فَلَيْسَ فِي الْوُجُودِ إلاَّ نُورُ اللّهِ السَّارِي إِلَى الشَّيْءِ مِنْهُ بِقَدْرِ قَبُولِهِ، وَوُسْعِ اسْتِعْدَادِهِ، وَرَحْبِ تَلَقِّيهِ.

وَقَوْلُهُ: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ﴾ أَيْ: مَثَلُ هُدَاهُ سُبْحَانَهُ وتَعَالَى.

وَعَنْ مُقَاتِلٍ، أَيْ: مَثَلُ الإِيمَانِ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ، كَمِشْكَاةٍ[1] فِيهَا مِصْبَاحٌ، فَالْمِشْكَاةُ: نَظِيرُ صُلْبِ عَبْدِاللّهِ، وَالزُّجَاجَةُ: نَظِيرُ جَسَدِ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالْمِصْبَاحُ: نَظِيرُ الإِيمَانِ وَالنُّبُوَّةِ فِي قَلْبِ مُحَمَّدٍ ﷺ.

وَعَنْ غَيْرِهِ: الْمِشْكَاةُ: نَظِيرُ إِبْرَاهِيمَ، وَالزُّجَاجَةُ: نَظِيرُ إِسْمَاعِيلَ، وَالْمِصْبَاحُ: جَسَدُ مُحَمَّدٍ ﷺ، وَالشَّجَرَةُ: النُّبُوَّةُ وَالرِّسَالَةُ.

---

(١) كُوَّة.

النوع السابع
فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ وُجُوبَ طَاعَتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ ﷺ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[(١)]، وَقَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ لَعَلَّكُمۡ تُرۡحَمُونَ ﴿١٣٢﴾﴾[(٢)]، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلۡ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَۖ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾[(٣)]، قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: فَجَعَلَ طَاعَتَهُ طَاعَةَ رَسُولِهِ، وَقَرَنَ طَاعَتَهُ بِطَاعَتِهِ، وَوَعَدَ عَلَى ذٰلِكَ بِجَزِيلِ الثَّوَابِ، وَأَوْعَدَ عَلَى مُخَالَفَتِهِ بِسُوءِ الْعِقَابِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدۡ أَطَاعَ ٱللَّهَۖ﴾، يَعْنِي: مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ لِكَوْنِهِ رَسُولاً مُبَلِّغاً إِلَى الْخَلْقِ أَحْكَامَ اللّٰهِ فَهُوَ فِي الْحَقِيقَةِ مَا أَطَاعَ إِلاَّ اللّٰهَ، وَذٰلِكَ فِي الْحَقِيقَةِ لاَ يَكُونُ إِلاَّ بِتَوْفِيقِ اللّٰهِ، ﴿وَمَن تَوَلَّىٰ فَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ عَلَيۡهِمۡ حَفِيظٗا﴾[(٤)]، فَإِنَّ مَنْ أَعْمَاهُ اللّٰهُ عَنِ الرُّشْدِ، وَأَضَلَّهُ عَنِ الطَّرِيقِ؛ فَإِنَّ أَحَداً مِنْ خَلْقِ اللّٰهِ لاَ يَقْدِرُ عَلَى إِرْشَادِهِ، وَهَذِهِ الآيَةُ مِنْ أَقْوَى الأَدِلَّةِ عَلَى أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ مَعْصُومٌ فِي جَمِيعِ الأَوَامِرِ وَالنَّوَاهِي، وَفِي كُلِّ مَا يُبَلِّغُهُ عَنِ اللّٰهِ، لأَنَّهُ لَوْ أَخْطَأَ فِي شَيْءٍ مِنْهَا لَمْ تَكُنْ طَاعَتُهُ طَاعَةً لِلّٰهِ تَعَالَى، وَأَيْضاً وَجَبَ أَنْ يَكُونَ مَعْصُوماً فِي جَمِيعِ أَفْعَالِهِ، لأَنَّهُ تَعَالَى أَمَرَ بِمُتَابَعَتِهِ فِي قَوْلِهِ: ﴿وَٱتَّبِعُوهُ﴾[(٥)]، وَالْمُتَابَعَةُ عِبَارَةٌ عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ فِعْلِ الْغَيْرِ، فَثَبَتَ أَنَّ الانْقِيَادَ

---

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢٠.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٣٢.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣٢.

(٤) سورة النساء، الآية: ٨٠.

(٥) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.

لَهُ فِي جَمِيعِ أَقْوَالِهِ وَأَفْعَالِهِ - إِلاَّ مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ بِهِ - طَاعَةٌ لَهُ وَانْقِيَادٌ لِحُكْمِ اللّهِ تَعَالَى.

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ﴾ الآيَة[1]، وَهٰذَا عَامٌّ فِي الْمُطِيعِينَ لِلّهِ مِنْ أَصْحَابِ الرَّسُولِ وَمَنْ بَعْدَهُمْ.

وَقَدْ ذَكَرُوا فِي سَبَبِ نُزُولِ الآيَةِ: أَنَّ ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ كَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَتَاهُ يَوْماً وَقَدْ تَغَيَّرَ وَجْهُهُ، وَنَحِلَ جِسْمُهُ، وَعُرِفَ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ، فَسَأَلَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ حَالِهِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا بِي وَجَعٌ، غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اشْتَقْتُكَ وَاسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً عَظِيمَةً حَتَّى أَلْقَاكَ، فَذَكَرْتُ الآخِرَةَ بِحَيْثُ لاَ أَرَاكَ هُنَاكَ، لأَنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فَأَنْتَ تَكُونُ فِي دَرَجَاتِ النَّبِيِّينَ، وَإِنْ أَنَا لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ فَحِينَئِذٍ لاَ أَرَاكَ أَبداً، فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ.

وَذَكَرَ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مَسْرُوقٍ، قَالَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نُفَارِقَكَ، فَإِنَّكَ لَوْ قَدْ مُتَّ لَرُفِعْتَ فَوْقَنَا وَلَمْ نَرَكَ، فَأَنْزَلَ اللّهُ الآيَةَ.

وَذَكَرَ عَنْ عِكْرِمَةَ مُرْسَلاً قَالَ: أَتَى فَتًى لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ لَنَا مِنكَ نَظْرَةً فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لاَ نَرَاكَ، فَإِنَّكَ فِي الْجَنَّةِ فِي الدَّرَجَاتِ الْعُلَى، فَأَنْزَلَ اللّهِ هٰذِهِ الآيَةَ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**أَنْتَ مَعِي فِي الْجَنَّةِ**».

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

قَالَ الْمُحَقِّقُونَ: لاَ تُنْكَرُ صِحَّةُ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ، إِلاَّ أَنَّ سَبَبَ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ يَجِبُ أَنْ يَكُونَ شَيْئاً أَعْظَمَ مِنْ ذٰلِكَ، وَهُوَ الْحَثُّ عَلَى الطَّاعَةِ، وَالتَّرْغِيبُ فِيهَا، فَإِنَّا نَعْلَمُ أَنَّ خُصُوصَ السَّبَبِ لاَ يَقْدَحُ فِي عُمُومِ اللَّفْظِ، فَهٰذِهِ الآيَةُ عَامَّةٌ فِي حَقِّ جَمِيعِ الْمُكَلَّفِينَ، وَهُوَ أَنَّ كُلَّ مَنْ أَطَاعَ اللّٰهَ وَأَطَاعَ الرَّسُولَ فَقَدْ فَازَ بِالدَّرَجَاتِ الْعَالِيَةِ وَالْمَرَاتِبِ الشَّرِيفَةِ عِنْدَهُ تَعَالَى، وَقَدْ ثَبَتَ وَصَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**الْمَرْءُ مَعَ مَنْ أَحَبَّ**»[1]، وَثَبَتَ عَنْهُ أَيْضاً عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ بِالْمَدِينَةِ أَقْوَاماً مَا سِرْتُمْ مَسِيراً وَلاَ نَزَلْتُمْ مَنْزِلاً إِلاَّ وَهُمْ مَعَكُمْ، حَبَسَهُمُ الْعُذْرُ**»[2].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾[3]، وَهٰذِهِ الآيَةُ الشَّرِيفَةُ تُسَمَّى آيَةَ الْمَحَبَّةِ، قَالَ بَعْضُ السَّلَفِ: ادَّعَى قَوْمٌ مَحَبَّةَ اللّٰهِ فَأَنْزَلَ اللّٰهُ هٰذِهِ الآيَةَ إِشَارَةً إِلَى دَلِيلِ الْمَحَبَّةِ وَثَمَرَتِهَا وَفَائِدَتِهَا، فَدَلِيلُهَا وَعَلاَمَتُهَا: اتِّبَاعُ الرَّسُولِ، وَفَائِدَتُهَا وَثَمَرَتُهَا: مَحَبَّةُ الْمُرْسِلِ لَكُمْ، فَمَا لَمْ تَحْصُلِ الْمُتَابَعَةُ فَلاَ مَحَبَّةَ لَكُمْ حَاصِلَةٌ، وَمَحَبَّتُهُ لَكُمْ مُنْتَفِيَةٌ، وَيَسْتَحِيلُ ثُبُوتُ مَحَبَّتِهِمْ لِلّٰهِ وَثُبُوتُ مُحَبَّةِ اللّٰهِ لَهُمْ بِدُونِ الْمُتَابَعَةِ لِرَسُولِهِ ﷺ، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ مُتَابَعَةَ الرَّسُولِ هِيَ حُبُّ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ، وَطَاعَةُ أَمْرِهِ، وَلاَ يَكْفِي ذٰلِكَ فِي الْعُبُودِيَّةِ حَتَّى يَكُونَ اللّٰهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَمَتَىٰ كَانَ شَيْءٌ عِنْدَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْهُمَا فَهٰذَا هُوَ الشِّرْكُ الَّذِي لاَ يُغْفَرُ لِصَاحِبِهِ أَلْبَتَّةَ، وَلاَ يَهْدِيهِ اللّٰهُ، قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه البخاري. وكان ذلك حين رجوعه ﷺ من غزوة تبوك.

(٣) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٤﴾﴾[١]، فَكُلُّ مَنْ قَدَّمَ طَاعَةَ أَحَدٍ مِنْ هٰؤُلاَءِ عَلَى طَاعَةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ أَوْ قَوْلَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى قَوْلِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ أَوْ مَرْضَاةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مَرْضَاةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ أَوْ خَوْفَ أَحَدٍ مِنْهُمْ أَوْ رَجَاءَهُ أَوِ التَّوَكُّلَ عَلَيْهِ عَلَى خَوْفِ اللّهِ وَرَجَائِهِ وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ؛ أَوْ مُعَامَلَةَ أَحَدٍ مِنْهُمْ عَلَى مُعَامَلَةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ؛ فَهُوَ مِمَّنْ لَيْسَ اللّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَإِنْ قَالَ بِلِسَانِهِ فَهُوَ كَذِبٌ مِنْهُ وَإِخْبَارٌ بِمَا لَيْسَ هُوَ عَلَيْهِ. انْتَهَى مُلَخَّصاً مِنْ كِتَابِ مَدَارِجِ السَّالِكِينَ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ ٱلَّذِي يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾[٢] أَيْ: إِلَى الصِّرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ، فَجَعَلَ رَجَاءَ الاهْتِدَاءِ أَثَرَ الأَمْرَيْنِ (الإِيمَانِ بِالرَّسُولِ، وَاتِّبَاعِهِ)، تَنْبِيهاً عَلَى أَنَّ مَنْ صَدَّقَهُ وَلَمْ يُتَابِعْهُ بِالْتِزَامِ شَرْعِهِ فَهُوَ فِي الضَّلاَلَةِ، فَكُلُّ مَا أَتَى بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَجِبُ عَلَيْنَا اتِّبَاعُهُ، إِلاَّ مَا خَصَّهُ الدَّلِيلُ بِهِ.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَـَٔامِنُوا بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلْنَا﴾[٣] يَعْنِي: الْقُرْآنَ، فَالإِيمَانُ بِهِ ﷺ وَاجِبٌ مُتَعَيِّنٌ عَلَى كُلِّ أَحَدٍ، لاَ يَتِمُّ إِيمَانٌ إِلاَّ بِهِ، وَلاَ يَصِحُّ إِسْلاَمٌ إِلاَّ مَعَهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا[٤] لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا﴾[٥] أَيْ: وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللّهِ وَرَسُولِهِ فَهُوَ مِنَ الْكَافِرِينَ، وَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيراً.

---

(١) سورة التوبة، الآية: ٢٤.
(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٥٨.
(٣) سورة التغابن، الآية: ٨.
(٤) هيأنا.
(٥) سورة الفتح، الآية: ١٣.

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ الآيَةَ[1]، مَعْنَاهَا: فَوَرَبِّكَ، وَ«لاَ»: مَزِيدَةٌ لِلتَّأْكِيدِ لِمَعْنَى الْقَسَمِ، وَلاَ يُؤْمِنُونَ: جَوَابُ الْقَسَمِ، أَقْسَمَ اللَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُقَدَّسَةِ أَنَّهُ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدٌ حَتَّى يُحَكِّمَ الرَّسُولَ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ، وَيَرْضَى بِجَمِيعِ مَا حَكَمَ بِهِ، وَيَنْقَادُ لَهُ ظَاهِراً وَبَاطِناً، سَوَاءٌ كَانَ الْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا، كَمَا وَرَدَ فِي الْحَدِيثِ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يَكُونَ هَوَاهُ تَبَعاً لِمَا جِئْتُ بِهِ**»[2]. وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِحُكْمِ الرَّسُولِ ﷺ لاَ يَكُونُ مُؤْمِناً، وَعَلَى أَنَّهُ لاَ بُدَّ مِنْ حُصُولِ الرِّضَا بِحُكْمِهِ فِي الْقَلْبِ، وَذٰلِكَ بِأَنْ يَحْصُلَ الْجَزْمُ وَالتَّيَقُّنُ فِي الْقَلْبِ بِأَنَّ الَّذِي يَحْكُمُ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ هُوَ الْحَقُّ وَالصِّدْقُ، فَلاَ بُدَّ مِنَ الانْقِيَادِ لَهُ ﷺ بَاطِناً وَظَاهِراً.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٥.

(٢) قال النووي في الأربعين النووية الحديث ٤١: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح.

النوع الثامن
فِيمَا يَتَضَمَّنُ الأدَبَ مَعَهُ ﷺ

قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾[1]، قَالَ مُجَاهِدٌ: لاَ تَفْتَاتُوا[2] عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ بِشَيْءٍ حَتَّى يَقْضِيَهُ اللّٰهُ تَعَالَى عَلَى لِسَانِهِ، وَانْظُرْ أَدَبَ الْصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ مَعَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الْصَّلاَةِ أَنْ[3] تَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ[4] كَيْفَ تَأَخَّرَ فَقَالَ[5]: مَا كَانَ لابْنِ أَبِي قُحَافَةَ أَنْ يَتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، وَكَيْفَ أَوْرَثَهُ اللّٰهُ مَقَامَهُ وَالإِمَامَةَ بَعْدَهُ.

وَقَالَ الْضَّحَّاكُ: لاَ تَقْضُوا أَمْراً دُونَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ.

وَقَالَ غَيْرُهُ: لاَ تَأْمُرُوا حَتَّى يَأْمُرَ، وَلاَ تَنْهَوا حَتَّى يَنْهَى.

فَمِنَ الأَدَبِ: أَنْ لاَ يُتَقَدَّمَ بَيْنَ يَدَيْهِ بِأَمْرٍ وَلاَ نَهْيٍ وَلاَ إِذْنٍ وَلاَ تَصَرُّفٍ حَتَّى يَأْمُرَ هُوَ وَيَنْهَى وَيَأْذَنَ، كَمَا أَمَرَ اللّٰهُ تَعَالَى بِذٰلِكَ فِي هٰذِهِ الآيَةِ، وَهٰذَا بَاقٍ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَمْ يُنْسَخْ، فَالتَّقَدُّمُ بَيْنَ يَدَيْ سُنَّتِهِ بَعْدَ وَفَاتِهِ كَالتَّقَدُّمِ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، لاَ فَرْقَ بَيْنَهُمَا عِنْدَ ذِي عَقْلٍ سَلِيمٍ.

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: أَنْ لاَ تُرْفَعَ الأَصْوَاتُ فَوْقَ صَوْتِهِ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِىِّ وَلَا تَجْهَرُوا۟ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ﴾[6]، قَالَ الْرَّازِيُّ: أَفَادَ أَنَّهُ يَنْبَغِي أَنْ لاَ يَتَكَلَّمَ

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ١.
(٢) لا تنفردوا.
(٣) في المواهب: إذ.
(٤) ليصلي إماماً بالناس في مرضه ﷺ، فلما خرج ﷺ من بيته تأخر أبو بكر رضي الله عنه.
(٥) في المواهب: وقال.
(٦) سورة الحجرات، الآية: ٢.

الْمُؤْمِنُ عِنْدَهُ ﷺ كَمَا يَتَكَلَّمُ الْعَبْدُ عِنْدَ سَيِّدِهِ، أَيْ: بَلْ يَكُونُ صَوْتُهُ دُونَ صَوْتِهِ مَعَ سَيِّدِهِ.

وَإِذَا كَانَ رَفْعُ الأَصْوَاتِ فَوْقَ صَوْتِهِ ﷺ مُوجِباً لِحُبُوطِ الأَعْمَالِ؛ فَمَا الظَّنُّ بِرَفْعِ الآرَاءِ وَنَتَائِجِ الأَفْكَارِ عَلَى سُنَّتِهِ وَمَا جَاءَ بِهِ ﷺ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا بَكْرٍ لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ قَالَ: وَاللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ! لاَ أُكَلِّمُكَ إِلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ ـ أَيْ: الْكَلاَمِ الْخَفِيِّ الَّذِي يُرَادُ كَتْمُهُ ـ، وَأَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ، مَا كَانَ يَسْمَعُ النَّبِيُّ ﷺ حَدِيثَهُ بَعْدَ هٰذِهِ الآيَةِ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.

وَرُوِيَ أَنَّ أَبَا جَعْفَرٍ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نَاظَرَ مَالِكاً فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ! لاَ تَرْفَعْ صَوْتَكَ فِي هٰذَا الْمَسْجِدِ، فَإِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَدَّبَ قَوْماً فَقَالَ: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾، وَمَدَحَ قَوْماً فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ الآيَةَ[١]، وَذَمَّ قَوْماً[٢] فَقَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ الآيَةَ[٣]، وَإِنَّ حُرْمَتَهُ مَيْتاً كَحُرْمَتِهِ حَيّاً، فَاسْتَكَانَ لَهَا أَبُو جَعْفَرٍ.

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: أَنْ لاَ يُجْعَلَ دُعَاؤُهُ كَدُعَاءِ بَعْضِنَا بَعْضاً، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجْعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًاۚ﴾[٤]، وَفِيهِ قَوْلاَنِ لِلْمُفَسِّرِينَ:

أَحَدُهُمَا: لاَ تَدْعُوهُ بِاسْمِهِ كَمَا يَدْعُو بَعْضُكُمْ بَعْضاً، بَلْ قُولُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! يَا نَبِيَّ اللّهِ! مَعَ التَّوْقِيرِ وَالتَّوَاضُعِ.

---

(١) سورة الحجرات، الآية: ٣.

(٢) وهم وفد بني تميم الذين أتوا رسول الله ﷺ وقت الظهيرة وهو راقد، ونادوا النبي ﷺ: أُخرج إلينا يا محمد، فإن مَدْحَنا زَيْن، وذمَّنا شَيْن.

(٣) سورة الحجرات، الآية: ٤.

(٤) سورة النور، الآية: ٦٣.

الثَّانِي: أَنَّ الْمَعْنَى: لاَ تَجْعَلُوا دُعَاءَهُ لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ دُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً، إِنْ شَاءَ الْمَدْعُوُّ أَجَابَ وَإِنْ شَاءَ تَرَكَ، بَلْ إِذَا دَعَاكُمْ لَمْ يَكُنْ لَكُمْ بُدٌّ مِنْ إِجَابَتِهِ، وَلَمْ يَسَعْكُمُ التَّخَلُّفُ عَنْهَا أَلْبَتَّةَ، فَإِنَّ الْمُبَادَرَةَ إِلَى إِجَابَتِهِ وَاجِبَةٌ، وَالْمُرَاجَعَةَ[1] بِغَيْرِ إِذْنِهِ مُحَرَّمَةٌ.

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: أَنَّهُمْ إِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ مِنْ خُطْبَةٍ أَوْ جِهَادٍ أَوْ رِبَاطٍ لَمْ يَذْهَبْ أَحَدٌ مَذْهَباً فِي حَاجَةٍ لَهُ حَتَّى يَسْتَأْذِنَهُ، كَمَا قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَإِذَا كَانُوا۟ مَعَهُۥ عَلَىٰٓ أَمْرٍ جَامِعٍ لَّمْ يَذْهَبُوا۟ حَتَّىٰ يَسْتَـْٔذِنُوهُ﴾[2].

وَمِنَ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: أَنَّهُ لاَ يُسْتَشْكَلُ قَوْلُهُ، بَلْ تُسْتَشْكَلُ الآرَاءُ بِقَوْلِهِ، وَلاَ يُعَارَضُ نَصُّهُ بِقِيَاسٍ، بَلْ تُهْدَرُ الأَقْيِسَةُ وَتُلْقَى لِنُصُوصِهِ، وَلاَ يُحَرَّفُ كَلاَمُهُ عَنْ حَقِيقَتِهِ لِخَيَالٍ مُخَالِفٍ تُسَمِّيهِ[3] أَصْحَابُهُ مَعْقُولاً، نَعَمْ، هُوَ مَجْهُولٌ وَعَنِ الصَّوَابِ مَعْزُولٌ، وَلاَ يَتَوَقَّفُ قَبُولُ مَا جَاءَ بِهِ عَلَى مُوَافَقَةِ أَحَدٍ، فَكُلُّ هٰذَا مِنْ قِلَّةِ الأَدَبِ مَعَهُ، وَهُوَ عَيْنُ الْجُرْأَةِ عَلَيْهِ ﷺ.

وَرَأْسُ الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ: كَمَالُ التَّسْلِيمِ لَهُ وَالانْقِيَادِ لأَمْرِهِ، وَتَلَقِّي خَبَرِهِ بِالْقَبُولِ وَالتَّصْدِيقِ، دُونَ أَنْ يَحْمِلَهُ مُعَارَضَةُ خَيَالٍ بَاطِلٍ عَلَى أَنْ يُقَدِّمَ عَلَيْهِ آرَاءَ الرِّجَالِ، فَيُوَحِّدُ التَّحْكِيمَ وَالتَّسْلِيمَ وَالانْقِيَادَ لِلرَّسُولِ، كَمَا وَحَّدَ الْمُرْسِلَ بِالْعِبَادَةِ، فَهُمَا تَوْحِيدَانِ لاَ نَجَاةَ إِلاَّ بِهِمَا.

وَالْقُرْآنُ مَمْلُوءٌ بِالآيَاتِ الْمُرْشِدَةِ إِلَى الأَدَبِ مَعَهُ ﷺ.

---

(١) وهي ترك إجابته.

(٢) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٣) في المواهب: يسمّيه.

النوع التاسع
فِي آيَاتٍ تَتَضَمَّنُ رَدَّهُ تَعَالَى بِنَفْسِهِ الْمُقَدَّسَةِ عَلَى عَدُوِّهِ ﷺ تَرْفِيعاً لِشَأْنِهِ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ۝١ مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾[1] لَمَّا قَالَ الْمُشْرِكُونَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ﴾[2]، أَجَابَ تَعَالَى عَنْهُ عَدُوَّهُ بِنَفْسِهِ مِنْ غَيْرِ وَاسِطَةٍ، وَهٰكَذَا سُنَّةُ الأَحْبَابِ، فَإِنَّ الْحَبِيبَ إِذَا سَمِعَ مَنْ يَسُبُّ حَبِيبَهُ تَوَلَّى بِنَفْسِهِ جَوَابَهُ، فَهٰهُنَا تَوَلَّى الْحَقُّ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى جَوَابَهُمْ بِنَفْسِهِ مُنْتَصِراً لَهُ، لأَنَّ نُصْرَتَهُ تَعَالَى لَهُ أَتَمُّ مِنْ نُصْرَتِهِ، وَأَرْفَعُ لِمَنْزِلَتِهِ، فَأَقْسَمَ تَعَالَى بِمَا أَقْسَمَ بِهِ مِنْ عَظِيمِ آيَاتِهِ عَلَى تَنْزِيهِ رَسُولِهِ مِمَّا افْتَرَتْ بِهِ عَلَيْهِ أَعْدَاؤُهُ الْكَفَرَةُ وَتَكْذِيبِهِمْ لَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿مَآ أَنتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ۝٢﴾، وَسَيَعْلَمُ أَعْدَاؤُهُ الْمُكَذِّبُونَ لَهُ أَيُّهُمُ الْمَفْتُونُ[3]، هُوَ أَوْ هُمْ فِي الدُّنْيَا؟ وَيَزْدَادُ عِلْمُهُمْ بِهِ فِي الْبَرْزَخِ، وَيَنْكَشِفُ وَيَظْهَرُ كُلَّ الظُّهُورِ فِي الآخِرَةِ، بِحَيْثُ يَتَسَاوَى الْخَلْقُ كُلُّهُمْ فِي الْعِلْمِ بِهِ ﷺ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا صَاحِبُكُم بِمَجْنُونٍ ۝٢٢﴾[4].

ولَمَّا رَأَى الْعَاصِي بْنُ وَائِلٍ السَّهْمِيُّ النَّبِيَّ ﷺ يَخْرُجُ مِنَ الْمَسْجِدِ وَهُوَ يَدْخُلُ، فَالْتَقَيَا عِنْدَ بَابِ بَنِي سَهْمٍ، وَتَحَدَّثَا وَأُنَاسٌ مِنْ صَنَادِيدِ قُرَيْشٍ جُلوسٌ فِي الْمَسْجِدِ، فَلَمَّا دَخَلَ الْعَاصِي قَالُوا: مَنْ ذَا الَّذِي كُنْتَ تَحَدَّثُ مَعَهُ؟ قَالَ: ذٰلِكَ الأَبْتَرُ ـ يَعْنِي: النَّبِيَّ ﷺ ـ، وَكَانَ قَدْ تُوُفِّيَ ابْنٌ

---

(١) سورة القلم، الآيتان: ١، ٢.
(٢) سورة الحِجْر، الآية: ٦.
(٣) المجنون.
(٤) سورة التكوير، الآية: ٢٢.

لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ مِنْ خَدِيجَةَ، فَرَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِ وَتَوَلَّى جَوَابَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ۝٣﴾[1]، أَيْ: عَدُوَّكَ وَمُبْغِضَكَ هُوَ الذَّلِيلُ الْحَقِيرُ.

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾[2] قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْآخِرَةِ فِي ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾[3].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿لَسْتَ مُرْسَلًا﴾[4] أَجَابَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَقَالَ: ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣﴾[5].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ۝٣٦﴾ رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ فَقَالَ: ﴿بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣٧﴾ فَصَدَّقَهُ، ثُمَّ ذَكَرَ وَعِيدَ خُصَمَائِهِ فَقَالَ: ﴿إِنَّكُمْ لَذَآئِقُواْ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَلِيمِ ۝٣٨﴾[6].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ۝٣٠﴾[7] رَدَّ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِي لَهُۥٓ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ۝٦٩﴾[8].

وَلَمَّا حَكَى اللَّهُ عَنْهُمْ قَوْلَهُمْ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ إِفْكٌ ٱفْتَرَىٰهُ وَأَعَانَهُۥ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخَرُونَ﴾ كَذَّبَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِقَوْلِهِ: ﴿فَقَدْ جَآءُو ظُلْمًا وَزُورًا﴾[9].

---

(١) سورة الكوثر، الآية: ٣.
(٢) سورة سبأ، الآية: ٨.
(٣) سورة سبأ، الآية: ٨.
(٤) سورة الرعد، الآية: ٤٣.
(٥) سورة يٰس، الآيات: ١ ـ ٣.
(٦) سورة الصافات، الآيات: ٣٦ ـ ٣٨.
(٧) أي: حوادث الدهر حتىٰ يهلك. سورة الطور، الآية: ٣٠.
(٨) سورة يٰس، الآية: ٦٩.
(٩) سورة الفرقان، الآية: ٤.

وَقَالَ رَدًّا لِقَوْلِهِمْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ: ﴿قُلْ أَنزَلَهُ ٱلَّذِى يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[1].

وَلَمَّا قَالُوا: يُلْقِيهِ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ﴿٢١٠﴾﴾ الآيَةَ[2].

وَلَمَّا تَلاَ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الأَوَّلِينَ قَالَ النَّضْرُ بْنُ الْحَارِثِ: ﴿لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[3]، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى تَكْذِيباً لَهُمْ: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[4].

وَلَمَّا قَالَ الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغِيرَةِ: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا قَوْلُ ٱلْبَشَرِ ﴿٢٥﴾﴾[5] قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾﴾[6] تَسْلِيَةً لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَلَمَّا قَالُوا: مُحَمَّدٌ قَلاَهُ[7] رَبُّهُ رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾﴾[8].

وَلَمَّا قَالُوا: ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ﴾[9]

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٦.

(٢) سورة الشعراء، الآية: ٢١٠.

(٣) سورة الأنفال، الآية: ٣١.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٨٨.

(٥) سورة المدّثر، الآية: ٢٤.

(٦) سورة الذاريات، الآية: ٥٢.

(٧) أبغضه.

(٨) سورة الضحىٰ، الآية: ٣.

(٩) سورة الفرقان، الآية: ٧.

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ إِلَّآ إِنَّهُمْ لَيَأْكُلُونَ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي ٱلْأَسْوَاقِۗ﴾[1].

وَلَمَّا حَسَدَتْهُ أَعْدَاءُ اللّهِ الْيَهُودُ عَلَى كَثْرَةِ النِّكَاحِ وَالزَّوْجَاتِ وَقَالُوا: مَا هِمَّتُهُ إِلاَّ النِّكَاحُ رَدَّ اللّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ عَنْ رَسُولِهِ ﷺ فَقَالَ: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ ٱلنَّاسَ عَلَىٰ مَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦۖ فَقَدْ ءَاتَيْنَآ ءَالَ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَءَاتَيْنَٰهُم مُّلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾﴾[2].

وَلَمَّا اسْتَبْعَدُوا أَنْ يَبْعَثَ اللّهُ رَسُولاً مِنَ الْبَشَرِ بِقَوْلِهِمُ الَّذِي حَكَاهُ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾﴾[3] وَجَهِلُوا أَنَّ التَّجَانُسَ يُورِثُ التَّأَنُّسَ، وَأَنَّ التَّخَالُفَ يُورِثُ التَّبَايُنَ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿قُل لَّوْ كَانَ فِي ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾[4]، أَيْ: لَوْ كَانُوا مَلائِكَةً لَوَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْمَلائِكَةِ، لٰكِنْ لَمَّا كَانَ أَهْلُ الأَرْضِ مِنَ الْبَشَرِ وَجَبَ أَنْ يَكُونَ رَسُولُهُمْ مِنَ الْبَشَرِ.

وَقَدْ كَانَتِ الأَنْبِيَاءُ إِنَّمَا يُدَافِعُونَ عَنْ أَنْفُسِهِمْ وَيَرُدُّونَ عَلَى أَعْدَائِهِمْ، كَقَوْلِ نُوحٍ: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَٰلَةٌ﴾[5]، وَقَوْلِ هُودٍ: ﴿يَٰقَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ﴾[6].

---

(١) سورة الفرقان، الآية: ٢٠.
(٢) سورة النساء، الآية: ٥٤.
(٣) سورة الإسراء، الآية: ٩٤.
(٤) سورة الإسراء، الآية: ٩٥.
(٥) سورة الأعراف، الآية: ٦١.
(٦) سورة الأعراف، الآية: ٦٧.

النوع العاشر
فِي إِزَالَةِ الْشُّبُهَاتِ عَنْ آيَاتٍ وَرَدَتْ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُتَشَابِهَاتٍ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ۝٧﴾[1]، اعْلَمْ أَنَّهُ قَدِ اتَّفَقَ الْعُلَمَاءُ عَلَى أَنَّهُ ﷺ مَا ضَلَّ لَحْظَةً وَاحِدَةً قَطُّ، قَالَ فِي الْشِّفَاءِ: وَالصَّوَابُ أَنَّ الأَنْبِيَاءَ مَعْصُومُونَ قَبْلَ النُّبُوَّةِ مِنَ الْجَهْلِ بِاللّهِ وَصِفَاتِهِ، وَالتَّشْكِيكِ[2] فِي شَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ، وَقَدْ تَعَاضَدَتِ الأَخْبَارُ وَالآثَارُ عَنِ الأَنْبِيَاءِ بِتَنْزِيهِهِمْ عَنْ هٰذِهِ النَّقِيصَةِ مُنْذُ وُلِدُوا، وَنَشْأَتِهِمْ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالإِيمَانِ، بَلْ عَلَى إِشْرَاقِ أَنْوَارِ الْمَعَارِفِ وَنَفَحَاتِ أَلْطَافِ السَّعَادَةِ، وَلَمْ يَنْقُلْ أَحَدٌ مِنْ أَهْلِ الأَخْبَارِ أَنَّ أَحَداً نُبِّىءَ وَاصْطُفِيَ مِمَّنْ عُرِفَ بِكُفْرٍ وَإِشْرَاكٍ قَبْلَ ذٰلِكَ، وَمُسْتَنَدُ هٰذَا الْبَابِ النَّقْلُ.

وَاخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ هٰذِهِ الآيَةِ: قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ وَجَمَاعَةٌ: وَجَدَكَ ضَالاًّ عَنْ مَعَالِمِ النُّبُوَّةِ، وَيُؤَيِّدُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾[3]، أَيْ: مَا كُنْتَ تَدْرِي قَبْلَ الْوَحْيِ أَنْ تَقْرَأَ الْقُرْآنَ، وَلاَ كَيْفَ تَدْعُو الْخَلْقَ إِلَى الإِيمانِ. قَالَهُ السَّمَرْقَنْدِيُّ.

قَالَ بَكْرٌ الْقَاضِي: ﴿وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾ الَّذِي هُوَ الْفَرَائِضُ وَالأَحْكَامُ، وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَبْلُ مُؤْمِناً بِتَوْحِيدِهِ، ثُمَّ نَزَلَتِ الْفَرَائِضُ الَّتِي لَمْ يَكُنْ يَدْرِيهَا قَبْلُ، فَازْدَادَ بِالتَّكْلِيفِ إِيمَاناً.

---

(١) سورة الضحىٰ، الآية: ٧.

(٢) في المواهب: والتشكك.

(٣) سورة الشورىٰ، الآية: ٥٢.

وَذَكَرَ الإِمَامُ فَخْرُ الدِّينِ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**ضَلَلْتُ عَنْ جَدِّي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَأَنَا صَبِيٌّ حَتَّى كَادَ الْجُوعُ يَقْتُلُنِي، فَهَدَانِي اللَّهُ**».

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا هَمَمْتُ بِشَيْءٍ مِمَّا كَانَ أَهْلُ الْجَاهِلِيَّةِ يَعْمَلُونَ بِهِ غَيْرَ مَرَّتَيْنِ، كُلُّ ذٰلِكَ يَحُولُ اللَّهُ بَيْنِي وَبَيْنَ مَا أُرِيدُ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِشَيْءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ، قُلْتُ لَيْلَةً لِغُلَامٍ مِنْ قُرَيْشٍ كَانَ يَرْعَى غَنَماً بِأَعْلَى مَكَّةَ: لَوْ حَفِظْتَ لِي غَنَمِي حَتَّى أَدْخُلَ مَكَّةَ فَأَسْمُرَ بِهَا كَمَا يَسْمُرُ الشَّبَابُ، فَخَرَجْتُ حَتَّى أَتَيْتُ أَوَّلَ دَارٍ مِنْ دُورِ أَهْلِ مَكَّةَ سَمِعْتُ عَزْفاً بِالدُّفُوفِ وَالْمَزَامِيرِ، فَجَلَسْتُ أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ، وَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنَيَّ فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلاَّ مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ قُلْتُ لَيْلَةً أُخْرَى مِثْلَ ذٰلِكَ، فَضَرَبَ اللَّهُ عَلَى أُذُنَيَّ فَنِمْتُ، فَمَا أَيْقَظَنِي إِلاَّ مَسُّ الشَّمْسِ، ثُمَّ مَا هَمَمْتُ بَعْدَهُمَا بِسُوءٍ حَتَّى أَكْرَمَنِي اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ**».

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝٢ ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ ۝٣﴾[1] فَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِهِ، فَقِيلَ: الْمُرَادُ مِنْهُ تَخْفِيفُ أَعْبَاءِ النُّبُوَّةِ الَّتِي يُثْقِلُ الظَّهْرَ الْقِيَامُ بِأَمْرِهَا وَحِفْظُ مُوجِبَاتِهَا وَالْمُحَافَظَةُ عَلَى حُقُوقِهَا، فَسَهَّلَ اللَّهُ ذٰلِكَ عَلَيْهِ وَحَطَّ عَنْهُ ثِقَلَهَا بِأَنْ يَسَّرَهَا عَلَيْهِ حَتَّى تَيَسَّرَتْ لَهُ[2].

وَقِيلَ: الْوِزْرُ مَا كَانَ يَكْرَهُهُ مِنْ تَغْيِيرِهِمْ لِسُنَّةِ الْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَكَانَ لاَ يَقْدِرُ عَلَى مَنْعِهِمْ إِلَى أَنْ قَوَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَالَ لَهُ: ﴿ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾[3]، وَمَعْنَى أَنْقَضَ: أَعْيَىٰ وَأَثْقَلَ.

---

(١) سورة الشرح، الآيتان: ٢، ٣.

(٢) أو معنى ﴿وِزْرَكَ﴾ ما تراه ذنباً، كأخذ الفداء من أسرىٰ بدر، وعبسك في وجه الأعمىٰ.

(٣) سورة النحل، الآية: ١٢٣.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾[1]: فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: أَيْ إِنَّكَ مَغْفُورٌ لَكَ، غَيْرُ مُؤَاخَذٍ بِذَنْبٍ أَنْ لَوْ كَانَ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ أُمَّتُهُ ﷺ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالذَّنْبِ: تَرْكُ الأَوْلَى، كَمَا قِيلَ: حَسَنَاتُ الأَبْرَارِ سَيِّئَاتُ الْمُقَرَّبِينَ.

وَقَالَ السُّبكِيُّ: قَدْ تَأَمَّلْتُهَا - يَعْنِي الآيَةَ - مَعَ مَا قَبْلَهَا وَمَا بَعْدَهَا، فَوَجَدْتُهَا لاَ تَحْتَمِلُ إِلاَّ وَجْهاً وَاحِداً وَهُوَ تَشْرِيفُ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونَ هُنَاكَ ذَنْبٌ.

وَقَدْ سَبَقَهُ ابْنُ عَطِيَّةَ فَقَالَ: وَإِنَّمَا الْمَعْنَى التَّشْرِيفُ بِهٰذَا الْحُكْمِ وَلَمْ تَكُنْ ذُنُوبٌ أَلْبَتَّةَ، وَكَيْفَ يُتَخَيَّلُ خِلاَفُ ذٰلِكَ وَأَحْوَالُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُنْقَسِمَةٌ إِلَى قَوْلٍ وَفِعْلٍ، أَمَّا الْقَوْلُ: فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[2]، وَأَمَّا الْفِعْلُ: فَإِجْمَاعُ الصَّحَابَةِ عَلَى اتِّبَاعِهِ وَالتَّأَسِّي بِهِ فِي كُلِّ مَا يَفْعَلُهُ مِنْ قَلِيلٍ أَوْ كَثِيرٍ أَوْ صَغِيرٍ أَوْ كَبِيرٍ، لَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ فِي ذٰلِكَ تَوَقُّفٌ وَلاَ بَحْثٌ، حَتَّى أَعْمَالُهُ ﷺ فِي السِّرِّ وَالْخَلْوَةِ يَحْرِصُونَ عَلَى الْعِلْمِ بِهَا وَعَلَى اتِّبَاعِهَا، عَلِمَ بِهِمْ ﷺ أَوْ لَمْ يَعْلَمْ، وَمَنْ تَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ مَعَهُ ﷺ اسْتَحْيَى مِنَ اللّهِ أَنْ يُخْطِرَ بِبَالِهِ خِلاَفَ ذٰلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَـٰفِرِينَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ﴾[3]: فَإِنَّمَا أَمَرَهُ اللّهُ تَعَالَى بِتَقْوَى تُوجِبُ اسْتِدَامَةَ الْحُضُورِ، وَقِيلَ: الْمُرَادُ دُمْ عَلَى التَّقْوَى. وَقِيلَ: الْخِطَابُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَالْمُرَادُ أُمَّتُهُ، وَيَدُلُّ عَلَيْهِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾[4]، وَلَمْ يَقُلْ بِمَا تَعْمَلُ.

---

(١) سورة الفتح، الآية: ٢.

(٢) سورة النجم، الآية: ٤.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ١.

(٤) سورة الأحزاب، الآية: ٢.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٨﴾[1]: فَاعْلَمْ أَنَّهُ تَعَالَى لَمَّا ذَكَرَ مَا عَلَيْهِ الْكُفَّارُ فِي أَمْرِهِ ﷺ وَنِسْبَتِهِ إِلَى مَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ (مَعَ مَا أَنْعَمَ اللّٰهُ بِهِ عَلَيْهِ مِنَ الْكَمَالِ فِي أَمْرِ الدِّينِ وَالْخُلُقِ الْعَظِيمِ) أَتْبَعَهُ بِمَا يُقَوِّي قَلْبَهُ وَيَدْعُوهُ إِلَى التَّشْدِيدِ مَعَ قَوْمِهِ، وَقَوَّى قَلْبَهُ بِذٰلِكَ مَعَ قِلَّةِ الْعَدَدِ وَكَثْرَةِ الْكُفَّارِ ـ فَإِنَّ هٰذِهِ السُّورَةَ مِنْ أَوَائِلِ مَا نَزَلَ ـ فَقَالَ: ﴿فَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾، وَالْمُرَادُ رُؤَسَاءُ الْكُفَّارِ مِنْ أَهْلِ مَكَّةَ، وَذٰلِكَ أَنَّهُمْ دَعَوْهُ إِلَى دِينِهِمْ فَنَهَاهُ اللّٰهُ أَنْ يُعْطِيَهُمْ، وَهٰذَا مِنَ اللّٰهِ تَهْيِيجٌ لِلتَّشْدِيدِ فِي مُخَالَفَتِهِمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ الآيَةَ[2]، فَقَالَ قَوْمٌ: الْمُخَاطَبُ بِهِ غَيْرُ النَّبِيِّ ﷺ، وَقَالَ آخَرُونَ: الْمُخَاطَبُ بِهِ النَّبِيُّ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الظَّاهِرِ وَالْمُرَادُ غَيْرُهُ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ﴾[3]، وَأَمْثَالُهُ كَثِيرَةٌ، أَوْ يَكُونُ عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالتَّقْدِيرِ لاَ إِمْكَانِ وُقُوعِ الشَّكِّ لَهُ، وَلِذٰلِكَ قَالَ ﷺ: «**وَاللّٰهِ لاَ أَشُكُّ وَلاَ أَسْأَلُ**»[4].

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى[5]: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ[6]﴾ أَيْ: فِي أَنَّهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ ذٰلِكَ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ

---

(١) سورة القلم، الآية: ٨.

(٢) سورة يونس، الآية: ٩٤.

(٣) سورة الطلاق، الآية: ١.

(٤) رواه ابن جرير عن قتادة مرسلاً، لكن بدون قَسَم.

(٥) سورة الأنعام، الآية: ١١٤.

(٦) الشاكّين.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾[1]: فَقَدْ أَمَرَهُ اللَّهُ بِالْتِزَامِ الصَّبْرِ عَلَى إِعْرَاضِ قَوْمِهِ، وَأَنْ لاَ يَضِيقَ صَدْرُهُ عِنْدَ ذٰلِكَ فَيُقَارِبَ حَالَ الْجَاهِلِ بِشِدَّةِ التَّحَسُّرِ، وَقِيلَ: الْخِطَابُ لأُمَّتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، أَيْ: «**فَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْجَاهِلِينَ**»[2]، وَمِثْلُهُ فِي الْقُرْآنِ كَثِيرٌ.

وَكَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾[3]، فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ كَمَا قَالَ: ﴿إِن تُطِيعُوا۟ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[4]، وَقَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ﴾[5]، ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾[6]، وَمَا أَشْبَهَ ذٰلِكَ؛ فَالْمُرَادُ غَيْرُهُ ﷺ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِۦ لَمِنَ ٱلْغَٰفِلِينَ﴾[7]: فَلَيْسَ بِمَعْنَى قَوْلِهِ: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ﴾[8]، وَإِنَّمَا الْمَعْنَى لَمِنَ الْغَافِلِينَ عَنْ قِصَّةِ يُوسُفَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، إِذْ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِكَ، وَلَمْ تَقْرَعْ سَمْعَكَ قَطُّ، فَلَمْ تَعْلَمْهَا إِلاَّ بِوَحْيِنَا.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ[9] مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ[10] فَٱسْتَعِذْ

---

(١) سورة الأنعام، الآية: ٣٥.

(٢) أو: فلا تكوننّ من الجاهلين حكمةَ الله تعالىٰ.

(٣) سورة الأنعام، الآية: ١١٦.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٤٩.

(٥) سورة الشورىٰ، الآية: ٢٤، أو معناها: لو كذبتَ كما يزعم هؤلاء لختم علىٰ قلبك فأنساك القرآن.

(٦) سورة الزمر، الآية: ٦٥.

(٧) سورة يوسف، الآية: ٣.

(٨) سورة يونس، الآية: ٧.

(٩) يصيبنّك.

(١٠) وسوسة.

﴿بِٱللَّهِۚ﴾ الآيَةَ[1]: فَمَعْنَاهُ: يَسْتَخِفَّنَّكَ بِغَضَبٍ يَحْمِلُكَ عَلَى تَرْكِ الإِعْرَاضِ عَنهُمْ، وَالنَّزْغُ: أَدْنَى حَرَكَةٍ تَكُونُ، كَمَا قَالَهُ الزَّجَّاجُ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ الآيَةَ[2]: فَأَحْسَنُ مَا قِيلَ فِيهَا مَا عَلَيْهِ جُمْهُورُ الْمُفَسِّرِينَ: أَنَّ التَّمَنِّيَ الْمُرَادُ بِهِ هُنَا: التِّلاَوَةُ، وَإِلْقَاءُ الشَّيْطَانِ فِيهَا: إِشْغَالُهُ بِخَوَاطِرَ وَأَذْكَارٍ مِنْ أُمُورِ الدُّنْيَا لِلتَّالِي حَتَّى يُدْخِلَ عَلَيْهِ الْوَهْمَ وَالنِّسْيَانَ فِيمَا تَلاَهُ، أَوْ يُدْخِلَ غَيْرَ ذٰلِكَ عَلَى أَفْهَامِ السَّامِعِينَ مِنَ التَّحْرِيفِ وَسُوءِ التَّأْوِيلِ مَا يُزِيلُهُ اللّٰهُ وَيَنْسَخُهُ وَيَكْشِفُ لَبْسَهُ وَيُحْكِمُ آيَاتِهِ[3].

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝٢﴾ الآيَاتِ[4]: فَلَيْسَ فِيهَا إِثْبَاتُ ذَنْبٍ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَفِعْلُ النَّبِيِّ ﷺ لِمَا فَعَلَ وَتَصَدِّيهِ لِذٰلِكَ الْكَافِرِ كَانَ طَاعَةً لِلّٰهِ، وَتَبْلِيغاً عَنْهُ، وَاسْتِئْلاَفاً لَهُ كَمَا شَرَعَهُ اللّٰهُ لَهُ، لاَ مَعْصِيَةً وَلاَ مُخَالَفَةً لَهُ تَعَالَى، وَمَا قَصَّهُ اللّٰهُ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ إِعْلاَمٌ بِحَالِ الرَّجُلَيْنِ وَتَوْهِينِ أَمْرِ الْكَافِرِ عِنْدَهُ، وَالإِشَارَةُ إِلَى الإِعْرَاضِ عَنْهُ بِقَوْلِهِ: ﴿وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝٧﴾[5] أَيْ: لَيْسَ عَلَيْكَ بَأْسٌ فِي أَنْ لاَ يَتَزَكَّى بِالإِسْلاَمِ، أَيْ: لاَ يَبْلُغَنَّ بِكَ الْحِرْصُ عَلَى إِسْلاَمِهِمْ أَنْ تُعْرِضَ عَمَّنْ أَسْلَمَ بِالاشْتِغَالِ بِدَعْوَتِهِمْ، إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ. ا هـ

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ الآيَةَ[6]: فَرَوَى ابْنُ

---

(١) سورة الأعراف، الآية: ٢٠٠.

(٢) سورة الحج، الآية: ٥٢.

(٣) بل أحسن ما قيل فيها: وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلا إذا تمنّىٰ الهداية لقومه ألقىٰ الشيطان الوسواس لقومه في أمنيّته، فيُبطل الله ما يُلقي الشيطان، ثم يُحكِم الله آياته.

(٤) سورة عبس، الآيتان: ١، ٢.

(٥) سورة عبس، الآية: ٧.

(٦) سورة التوبة، الآية: ٤٣.

أَبِي حَاتِمٍ عَنْ مِسْعَرٍ عَنْ عَوْنٍ قَالَ: هَلْ سَمِعْتُمْ بِمُعَاتَبَةٍ أَحْسَنَ مِنْ هٰذَا؟ بَدَأَ بِالْعَفْوِ قَبْلَ الْمُعَاتَبَةِ، وَكَذَا قَالَ غَيْرُهُ.

وَقَالَ قَتَادَةُ: عَاتَبَهُ اللّٰهُ كَمَا تَسْمَعُونَ، ثُمَّ أَنْزَلَ الَّتِي فِي سُورَةِ النُّورِ فَرَخَّصَ لَهُ فِي أَنْ يَأْذَنَ لَهُمْ إِنْ شَاءَ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَإِذَا اسْتَـْٔذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ﴾[1]، فَفَوَّضَ الأَمْرَ إِلَى رَأْيِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَقَالَ عَمْرُو بْنُ مَيْمُونٍ: اثْنَتَانِ فَعَلَهُمَا الرَّسُولُ ﷺ لَمْ يُؤْمَرْ فِيهِمَا بِشَيْءٍ: إِذْنُهُ لِلْمُنَافِقِينَ، وَأَخْذُهُ الْفِدَاءَ مِنَ الأَسْرَى، فَعَاتَبَهُ اللّٰهُ كَمَا تَسْمَعُونَ، وَذٰلِكَ يَدُلُّ عَلَى مُبَالَغَةِ اللّٰهِ تَعَالَى فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ، كَمَا يَقُولُ الرَّجُلُ لِغَيْرِهِ إِذَا كَانَ عَظِيماً عِنْدَهُ: عَفَا اللّٰهُ عَنْكَ مَا جَوَابُكَ عَنْ كَلاَمِي؟ وَعَافَاكَ اللّٰهُ أَلاَ عَرَفْتَ حَقِّي؟ فَلاَ يَكُونُ غَرَضُهُ مِنْ هٰذَا الْكَلامِ إِلاَّ زِيَادَةُ التَّبْجِيلِ وَالتَّعْظِيمِ.

وَأَمَّا الْجَوَابُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾: فَذَهَبَ نَاسٌ إِلَى أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ مُعَاتَبٌ بِهٰذِهِ الآيَةِ، وَحَاشَاهُ مِنْ ذٰلِكَ، بَلْ كَانَ ﷺ مُخَيَّراً، فَلَمَّا أَذِنَ لَهُمْ أَعْلَمَهُ اللّٰهُ أَنَّهُ لَوْ لَمْ يَأْذَنْ لَهُمْ لَقَعَدُوا لِنِفَاقِهِمْ، وَأَنَّهُ لاَ حَرَجَ عَلَيْهِ فِي الإِذْنِ لَهُمْ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى فِي أَسَارَى بَدْرٍ: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْأٓخِرَةَ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾[2]: فَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا هَزَمَ اللّٰهُ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ وَقُتِلَ مِنْهُمْ سَبْعُونَ وَأُسِرَ سَبْعُونَ اسْتَشَارَ

---

(١) سورة النور، الآية: ٦٢.

(٢) سورة الأنفال، الآيتان: ٦٧، ٦٨.

النَّبِيُّ ﷺ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعَلِيًّا، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا نَبِيَّ اللّهِ! هٰؤُلاَءِ بَنُو الْعَمِّ وَالْعَشِيرَةِ وَالإِخْوَانُ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَأْخُذَ مِنهُمُ الْفِدْيَةَ، فَيَكُونُ مَا أَخَذْنَاهُ مِنهُمْ قُوَّةً لَنَا عَلَى الْكُفَّارِ، وَعَسَى أَنْ يَهْدِيَهُمُ اللّهُ فَيَكُونُوا لَنَا عَضُداً، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَا تَرَى يَا ابْنَ الْخَطَّابِ؟**» قَالَ: قُلْتُ: وَاللّهِ مَا أَرَى مَا رَأَى أَبُو بَكْرٍ، وَلٰكِنِّي أَرَى أَنْ تُمَكِّنَنِي مِنْ فُلاَنٍ - قَرِيبٍ لِعُمَرَ - فَأَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ عَلِيًّا مِنْ عَقِيلٍ فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، وَتُمَكِّنَ حَمْزَةَ مِنْ فُلاَنٍ أَخِيهِ - يَعْنِي: الْعَبَّاسَ - فَيَضْرِبَ عُنُقَهُ، حَتَّى يَعْلَمَ اللّهُ أَنَّهُ لَيْسَ فِي قُلُوبِنَا هَوَادَةٌ - أَيْ: مَيْلٌ - لِلْمُشْرِكِينَ، فَهَوِيَ ﷺ مَا هَوِيَ أَبُو بَكْرٍ وَلَمْ يَهْوَ مَا قُلْتُ، فَأَخَذَ مِنهُمُ الْفِدَاءَ، فَلَمَّا كَانَ مِنَ الْغَدِ غَدَوْتُ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَإِذَا هُوَ قَاعِدٌ وَأَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ وَهُمَا يَبْكِيَانِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَخْبِرْنِي مَا يُبْكِيكَ أَنْتَ وَصَاحِبَكَ؟ فَإِنْ وَجَدْتُ بُكَاءً بَكَيْتُ، وَإِنْ لَمْ أَجِدْ تَبَاكَيْتُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَبْكِي لِلَّذِي عَرَضَ عَلَيَّ أَصْحَابُكَ مِنَ الْفِدَاءِ، لَقَدْ عُرِضَ عَلَيَّ عَذَابُكُمْ أَدْنَى مِنْ هٰذِهِ الشَّجَرَةِ**» - لِشَجَرَةٍ قَرِيبَةٍ مِنْهُ -، فَأَنْزَلَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿عَظِيمٌ﴾.

وَقَوْلُهُ: ﴿حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي ٱلْأَرْضِۚ﴾ أَيْ: يُكْثِرَ الْقَتْلَ وَيُبَالِغَ فِيهِ حَتَّى يَذِلَّ الْكُفْرُ وَيَقِلَّ حِزْبُهُ، وَيَعِزَّ الإِسْلاَمُ وَيَسْتَوْلِيَ أَهْلُهُ.

وَلَيْسَ فِي هٰذَا إِلْزَامُ ذَنْبٍ لِلنَّبِيِّ ﷺ، بَلْ فِيهِ بَيَانُ مَا خُصَّ بِهِ وَفُضِّلَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَكَأَنَّهُ تَعَالَى قَالَ: مَا كَانَ هٰذَا لِنَبِيٍّ غَيْرِكَ، كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**أُحِلَّتْ لِيَ الْغَنَائِمُ، وَلَمْ تَحِلَّ لِنَبِيٍّ قَبْلِي**».

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا﴾: فَقِيلَ: الْمُرَادُ بِالْخِطَابِ مَنْ أَرَادَ ذٰلِكَ مِنهُمْ وَتَجَرَّدَ غَرَضُهُ لِعَرَضِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ وَالاسْتِكْثَارِ مِنْهَا، وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِهٰذَا النَّبِيَّ ﷺ وَلاَ عِلْيَةَ أَصْحَابِهِ، بَلْ قَدْ رُوِيَ عَنِ الضَّحَّاكِ: أَنَّهَا

نَزَلَتْ حِينَ انْهَزَمَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ بَدْرٍ، وَاشْتَغَلَ النَّاسُ بِالسَّلَبِ[1] وَجَمْعِ الْغَنَائِمِ عَنِ الْقِتَالِ، حَتَّى خَشِيَ عُمَرُ أَنْ يَعْطِفَ عَلَيْهِمُ الْعَدُوُّ.

ثُمَّ قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّوْلَا كِتَٰبٌ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ﴾، فَاخْتَلَفَ الْمُفَسِّرُونَ فِي مَعْنَى هٰذِهِ الآيَةِ، فَقِيلَ: مَعْنَاهَا: لَوْلاَ أَنَّهُ سَبَقَ مِنِّي أَنْ لاَ أُعَذِّبَ أَحَداً إِلاَّ بَعْدَ النَّهْيِ لَعَذَّبْتُكُمْ، فَهٰذَا يَنْفِي أَنْ يَكُونَ أَمْرُ الأَسْرَى مَعْصِيَةً. وَقِيلَ: لَوْلاَ إِيمَانُكُمْ بِالْقُرْآنِ ـ وَهُوَ الْكِتَابُ السَّابِقُ، فَاسْتَوْجَبْتُمْ بِهِ الصَّفْحَ ـ لَعُوقِبْتُمْ عَلَى الْغَنَائِمِ. وَقِيلَ: لَوْلاَ أَنَّهُ سَبَقَ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ أَنَّهَا حَلاَلٌ لَكُمْ لَعُوقِبْتُمْ. وَهٰذَا كُلُّهُ يَنْفِي الذَّنْبَ وَالْمَعْصِيَةَ، لأَنَّ مَنْ فَعَلَ مَا أُحِلَّ لَهُ لَمْ يَعْصِ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿فَكُلُوا۟ مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا﴾، قَالَ الْقَاضِي بَكْرُ بْنُ الْعَلاَءِ: أَخْبَرَ اللّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ ﷺ فِي هٰذِهِ الآيَةِ أَنَّ تَأْوِيلَهُ وَافَقَ مَا كُتِبَ لَهُ مِنْ إِحْلاَلِ الْغَنَائِمِ وَالْفِدَاءِ، فَهٰذَا كُلُّهُ يَدُلُّ عَلَى أَنَّ فِعْلَ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَأْنِ الأَسَارَى كَانَ عَلَى تَأْوِيلٍ وَبَصِيرَةٍ، فَلَمْ يُنْكِرْهُ اللّهُ عَلَيْهِ، لَكِنَّ اللّهَ تَعَالَى أَرَادَ لِعِظَمِ أَمْرِ بَدْرٍ وَكَثْرَةِ أَسْرَاهَا إِظْهَارَ نِعْمَتِهِ وَتَأْكِيدَ مِنَّتِهِ بِتَعْرِيفِهِمْ مَا كَتَبَهُ فِي اللَّوْحِ الْمَحْفُوظِ مِنْ حِلِّ ذٰلِكَ، لاَ عَلَى وَجْهِ عِتَابٍ أَوْ إِنْكَارٍ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا ﴿٧٤﴾ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ الآيَةَ[2]: فَالْمَعْنَى: لَوْلاَ أَنْ ثَبَّتْنَاكَ لَقَارَبْتَ أَنْ تَمِيلَ إِلَى اتِّبَاعِ مُرَادِهِمْ، لَكِنْ أَدْرَكَتْكَ عِصْمَتُنَا فَمُنِعْتَ أَنْ تَقْرُبَ فَضْلاً عَنْ أَنْ تَرْكَنَ إِلَيْهِمْ، وَهُوَ صَرِيحٌ فِي أَنَّهُ ﷺ مَا هَمَّ بِإِجَابَتِهِم مَعَ قُوَّةِ الدَّوَاعِي إِلَيْهَا، فَالْعِصْمَةُ بِتَوْفِيقِ اللّهِ وَحِفْظِهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ

---

(١) وهو ما يؤخذ من القتيل من لباسه وما معه. قال ﷺ: **«مَن قتل قتيلاً فله سَلَبُه»** رواه الشيخان.

(٢) سورة الإسراء، الآية: ٧٤.

﴿لَقَطَعۡنَا مِنۡهُ ٱلۡوَتِينَ ۝٤٦﴾[1]: فَالْمَعْنَى: لَوِ افْتَرَى عَلَيْنَا بِشَيْءٍ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ وَقَطَعْنَا نِيَاطَ قَلْبِهِ[2] وَأَهْلَكْنَاهُ، وَقَدْ أَعَاذَهُ اللَّهُ مِنَ التَّقَوُّلِ عَلَيْهِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾[3]: فَقِيلَ: مَعْنَاهُ: مَا كُنْتَ تَدْرِي الإِيمَانَ عَلَى التَّفْصِيلِ الَّذِي شُرِعَ لَكَ فِي الْقُرْآنِ، وَقَدِ اشْتَهَرَ فِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُوَحِّدُ اللَّهَ، وَيُبْغِضُ الأَوْثَانَ، وَيَحُجُّ وَيَعْتَمِرُ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: هَلْ عَبَدْتَ وَثَناً قَطُّ؟ قَالَ: «لاَ»، قِيلَ: فَهَلْ شَرِبْتَ خَمْراً قَطُّ؟ قَالَ: **«لاَ، وَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ أَنَّ الَّذِي هُمْ عَلَيْهِ كُفْرٌ، وَمَا كُنْتُ أَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ»**.

وَقَدْ وَرَدَ أَنَّ الْعَرَبَ لَمْ يَزَالُوا عَلَى بَقَايَا مِنْ دِينِ إِسْمَاعِيلَ - كَحَجِّ الْبَيْتِ، وَالْخِتَانِ، وَالْغُسْلِ مِنَ الْجَنَابَةِ -، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ يَقْرُبُ الأَوْثَانَ، وَيَعِيبُهَا، وَلاَ يَعْرِفُ شَرَائِعَ اللَّهِ الَّتِي شَرَعَهَا لِعِبَادِهِ عَلَى لِسَانِهِ، فَذٰلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿مَا كُنتَ تَدۡرِي مَا ٱلۡكِتَٰبُ وَلَا ٱلۡإِيمَٰنُ﴾.

---

(١) سورة الحاقة، الآية: ٤٦.

(٢) النِّيَاط: عِرق غليظ عُلِّق به القلب إلى الرئتين.

(٣) سورة الشورى، الآية: ٥٢.

المقصد السابع

فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ، وَفَرْضِ مَحَبَّةِ آلِهِ وَأَصْحَابِهِ، وَحُكْمِ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ﷺ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ

الفصل الأَوَّلُ

فِي وُجُوبِ مَحَبَّتِهِ وَاتِّبَاعِ سُنَّتِهِ وَالاهْتِدَاءِ بِهَدْيِهِ

اعْلَمْ أَنَّ مَحَبَّةَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ هِيَ الْمَنْزِلَةُ الَّتِي يَتَنَافَسُ فِيهَا الْمُتَنَافِسُونَ، وَإِلَيْهَا يَشْخَصُ الْعَامِلُونَ، وَعَلَيْهَا يَتَفَانَى الْمُحِبُّونَ، وَبِرُوحِ نَسِيمِهَا يَتَرَوَّحُ الْعَابِدُونَ، فَهِيَ قُوتُ الْقُلُوبِ، وَغِذَاءُ الأَرْوَاحِ، وَقُرَّةُ الْعُيُونِ، وَهِيَ الْحَيَاةُ الَّتِي مَنْ حُرِمَهَا فَهُوَ مِنْ جُمْلَةِ الأَمْوَاتِ، وَالنُّورُ الَّذِي مَنْ فَقَدَهُ فَهُوَ فِي بِحَارِ الظُّلُمَاتِ، وَهِيَ رُوحُ الإِيمَانِ وَالأَعْمَالِ وَالأَحْوَالِ وَالْمَقَامَاتِ.

وَإِذَا كَانَ الإِنْسَانُ يُحِبُّ مَنْ مَنَحَهُ ـ فِي دُنْيَاهُ مَرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ـ مَعْرُوفاً فَانِياً مُنْقَطِعاً؛ أَوْ اسْتَنْقَذَهُ مِنْ مَهْلَكَةٍ أَوْ مَضَرَّةٍ لاَ تَدُومُ؛ فَمَا بَالُكَ بِمَنْ مَنَحَهُ مِنَحاً لاَ تَبِيدُ وَلاَ تَزُولُ، وَوَقَاهُ مِنَ الْعَذَابِ الأَلِيمِ مَا لاَ يَفْنَى وَلاَ يَحُولُ.

وَإِذَا كَانَ الْمَرْءُ يُحِبُّ غَيْرَهُ عَلَى مَا فِيهِ مِنْ صُورَةٍ جَمِيلَةٍ وَسِيرَةٍ حَمِيدَةٍ؛ فَكَيْفَ بِهٰذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ وَالرَّسُولِ الْعَظِيمِ، الْجَامِعِ لِمَحَاسِنِ الأَخْلاَقِ وَالتَّكْرِيمِ، الْمَانِحِ لَنَا جَوَامِعَ الْمَكَارِمِ وَالْفَضْلَ الْعَمِيمَ، فَقَدْ مَنَحَنَا اللَّهُ بِهِ مِنَحَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَسْبَغَ عَلَيْنَا نِعَمَهُ بَاطِنَةً وَظَاهِرَةً، فَاسْتَحَقَّ أَنْ يَكُونَ حَظُّهُ مِنْ مَحَبَّتِنَا لَهُ أَوْفَى وَأَزْكَى مِنْ مَحَبَّتِنَا لأَنْفُسِنَا وَأَوْلاَدِنَا وَأَهْلِينَا وَأَمْوَالِنَا وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، بَلْ لَوْ كَانَ فِي مَنْبَتِ كُلِّ شَعْرَةٍ مِنَّا مَحَبَّةٌ تَامَّةٌ لَهُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ بَعْضَ مَا يَسْتَحِقُّهُ عَلَيْنَا.

وَقَدْ رَوَى أبو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: **«لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَالِدِهِ وَوَلَدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي صَحِيحِ ابْنِ خُزَيْمَةَ: **«مِنْ أَهْلِهِ وَمَالِهِ»**[١].

وَفِي كَلاَمِ الْقَاضِي عِيَاضٍ: أَنَّ ذٰلِكَ شَرْطٌ فِي صِحَّةِ الإِيمَانِ، لأَنَّهُ حَمَلَ الْمَحَبَّةَ عَلَى مَعْنَى التَّعْظِيمِ وَالإِجْلاَلِ. وَقَالَ غَيْرُهُ: اعْتِقَادُ الأَعْظَمِيَّةِ لَيْسَ مُسْتَلْزِماً لِلْمَحَبَّةِ، إِذْ قَدْ يَجِدُ الإِنْسَانُ إِعْظَامَ شَيْءٍ مَعَ خُلُوِّهِ مِنْ مَحَبَّتِهِ، فَعَلَى هٰذَا مَنْ لَمْ يَجِدْ مِنْ نَفْسِهِ ذٰلِكَ الْمَيْلَ لَمْ يَكْمُلْ إِيمَانُهُ، وَإِلَى هٰذَا يُومِىءُ قَوْلُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فِي الْحَدِيثِ الَّذِي رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ فِي الأَيْمَانِ وَالنُّذُورِ، أَنَّهُ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: لأَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلاَّ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»** فَقَالَ عُمَرَ: وَالَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي الَّتِي بَيْنَ جَنْبَيَّ، فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ: **«الآنَ يَا عُمَرُ»**. فَهٰذِهِ الْمَحَبَّةُ لَيْسَتْ بِاعْتِقَادِ الأَعْظَمِيَّةِ فَقَطْ، فَإِنَّهَا كَانَتْ حَاصِلَةً لِعُمَرَ قَبْلَ ذٰلِكَ قَطْعاً.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ الْحُبِّ الْمَذْكُورِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَعْرِضَ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ أَنَّهُ لَوْ خُيِّرَ بَيْنَ فَقْدِ غَرَضٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ وَفَقْدِ رُؤْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ لَوْ كَانَتْ مُمْكِنَةً، فَإِنْ كَانَ فَقْدُهَا أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ فَقْدِ شَيْءٍ مِنْ أَغْرَاضِهِ فَقَدِ اتَّصَفَ بِالأَحَبِّيَّةِ الْمَذْكُورَةِ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَمَنْ لاَ فَلاَ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: كُلُّ مَنْ آمَنَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِيمَاناً صَحِيحاً لاَ يَخْلُو عَنْ وُجْدَانِ شَيْءٍ مِنْ تِلْكَ الْمَحَبَّةِ الرَّاجِحَةِ، غَيْرَ أَنَّهُمْ مُتَفَاوِتُونَ، فَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ مِنْ تِلْكَ الْمَرْتَبَةِ بِالْحَظِّ الأَوْفَى، وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَ بِالْحَظِّ الأَدْنَى، كَمَنْ كَانَ مُسْتَغْرِقاً فِي الشَّهَوَاتِ مَحْجُوباً بِالْغَفَلاَتِ فِي أَكْثَرِ الأَوْقَاتِ، لٰكِنَّ الْكَثِيرَ مِنْهُمْ

---

(١) بَدَل: «مِن والده وولده».

إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ اشْتَاقَ إِلَى رُؤْيَتِهِ، بِحَيْثُ يُؤْثِرُهَا عَلَى أَهْلِهِ وَمَالِهِ وَوَلَدِهِ، وَيَبْذُلُ نَفْسَهُ فِي الأُمُورِ الْخَطِيرَةِ، وَيَجِدُ رُجْحَانَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِهِ وُجْدَاناً لاَ تَرَدُّدَ فِيهِ، وَقَدْ شُوهِدَ مِنْ هٰذَا الْجِنْسِ مَنْ يُؤْثِرُ زِيَارَةَ قَبْرِهِ، وَرُؤْيَةَ مَوَاضِعِ آثَارِهِ عَلَى جَمِيعِ مَا ذُكِرَ لِمَا وَقَرَ فِي قُلُوبِهِمْ مِنْ مَحَبَّتِهِ ﷺ، غَيْرَ أَنَّ ذٰلِكَ سَرِيعُ الزَّوَالِ لِتَوَالِي الْغَفَلاَتِ، انتهى.

فَكُلُّ مُسْلِمٍ فِي قَلْبِهِ مَحَبَّةُ اللّهِ وَرَسُولِهِ، إِذْ لاَ يَدْخُلُ فِي الإِسْلاَمِ إِلاَّ بِهَا، وَالنَّاسُ مُتَفَاوِتُونَ فِي مَحَبَّتِهِ ﷺ بِحَسَبِ اسْتِحْضَارِ مَا وَصَلَ إِلَيْهِمْ مِنْ جِهَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ النَّفْعِ الشَّامِلِ لِخَيْرِ الدَّارَيْنِ وَالْغَفْلَةِ عَنْ ذٰلِكَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ حَظَّ الصَّحَابَةِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُم فِي هٰذَا الْمَعْنَى أَتَمُّ، لأَنَّ هٰذَا ثَمَرَةُ الْمَعْرِفَةِ، وَهُمْ بِهَا أَعْلَمُ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ إِسْحٰقَ: أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الأَنْصَارِ قُتِلَ أَبُوهَا وَأَخُوهَا وَزَوْجُهَا يَوْمَ أُحُدٍ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَتْ: مَا فَعَلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ؟ قَالُوا: خَيْراً، هُوَ بِحَمْدِ اللّهِ كَمَا تُحِبِّينَ، فَقَالَتْ: أَرُونِيهِ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا رَأَتْهُ قَالَتْ: كُلُّ مُصِيبَةٍ بَعْدَكَ جَلَلٌ ـ أَيْ: صَغِيرَةٌ ـ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَحَبَّ إِلَيْنَا مِنْ أَمْوَالِنَا وَأَوْلاَدِنَا، وَآبَاءِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، وَمِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ عَلَى الظَّمَأ.

وَلَمَّا أَخْرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ زَيْدَ بْنَ الدَّثِنَةِ مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ[1] قَالَ لَهُ أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ: أَنْشُدُكَ بِاللّهِ يَا زَيْدُ! أَتُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ عِنْدَنَا نَضْرِبُ عُنُقَهُ وَأَنَّكَ فِي أَهْلِكَ؟ فَقَالَ زَيْدٌ: وَاللّهِ مَا أُحِبُّ أَنَّ مُحَمَّداً الآنَ فِي مَكَانِهِ الَّذِي هُوَ فِيهِ تُصِيبُهُ شَوْكَةٌ وَإِنِّي جَالِسٌ فِي أَهْلِي، فَقَالَ أَبُو سُفْيَانَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً مِنَ النَّاسِ يُحِبُّ أَحَداً كَحُبِّ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ مُحَمَّداً.

---

(١) بعد أن أسروه يوم الرجيع مع خُبيب، وبيعا في مكة.

قَالَ الإِمَامُ الْبَغَوِيُّ فِي تَفْسِيرِهِ: نَزَلَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾(١) فِي ثَوْبَانَ مَوْلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَكَانَ شَدِيدَ الْحُبِّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَلِيلَ الصَّبْرِ عَنْهُ، فَأَتَاهُ ذَاتَ يَوْمٍ وَقَدْ تَغَيَّرَ لَوْنُهُ يُعْرَفُ الْحُزْنُ فِي وَجْهِهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا غَيَّرَ لَوْنَكَ؟»** فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا بِي مَرَضٌ وَلاَ وَجَعٌ، غَيْرَ أَنِّي إِذَا لَمْ أَرَكَ اسْتَوْحَشْتُ وَحْشَةً شَدِيدَةً حَتَّى أَلْقَاكَ، ثُمَّ ذَكَرْتُ الآخِرَةَ فَأَخَافُ أَنْ لاَ أَرَاكَ، لأَنَّكَ تُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ، وَإِنِّي إِنْ دَخَلْتُ الْجَنَّةَ فِي مَنْزِلَةٍ أَدْنَى مِنْ مَنْزِلَتِكَ، وَإِنْ لَمْ أَدْخُلِ الْجَنَّةَ لاَ أَرَاكَ أَبَداً، فَنَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ. وَكَذَا ذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ(٢).

وَعَنْ عَامِرٍ الشَّعْبِيِّ قَالَ: إِنَّ رَجُلاً مِنَ الأَنْصَارِ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! لأَنْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ نَفْسِي وَمَالِي وَوَلَدِي وَأَهْلِي، وَلَوْلاَ أَنِّي آتِيكَ فَأَرَاكَ لَرَأَيْتُ أَنْ أَمُوتَ، وَبَكَى الأَنْصَارِيُّ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا أَبْكَاكَ؟»** قَالَ: بَكَيْتُ أَنْ ذَكَرْتُ أَنَّكَ سَتَمُوتُ وَنَمُوتُ، فَتُرْفَعُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَنَكُونُ نَحْنُ إِنْ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ دُونَكَ، فَلَمْ يُحِرِ النَّبِيُّ ﷺ إِلَيْهِ بِمَعْنًى - أَيْ: لَمْ يَرْجِعْ إِلَيْهِ بِقَوْلٍ - فَأَنْزَلَ اللَّهُ الآيَةَ(٣). وَذَكَرَ مُقَاتِلُ بْنُ سُلَيْمَانَ: أَنَّ هٰذَا الأَنْصَارِيَّ هُوَ عَبْدُاللَّهِ بْنُ زَيْدٍ الَّذِي رَأَى الأَذَانَ، وَذَكَرَ أَيْضاً أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بنَ زَيْدٍ هٰذَا كَانَ يَعْمَلُ فِي جَنَّةٍ(٤) لَهُ، فَأَتَاهُ ابْنُهُ فَأَخْبَرَهُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ تُوُفِّيَ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ أَذْهِبْ بَصَرِي حَتَّى لاَ أَرَى بَعْدَ حَبِيبِي مُحَمَّدٍ أَحَداً، فَكُفَّ بَصَرُهُ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٢) في أسباب النزول.

(٣) رواه الطبراني.

(٤) في بستان.

وَبِالْجُمْلَةِ: فَلاَ حَيَاةَ لِلْقَلْبِ إِلاَّ بِمَحَبَّةِ اللَّهِ تَعَالَى وَمَحَبَّةِ رَسُولِهِ ﷺ، وَلاَ عَيْشَ إِلاَّ عَيْشَ الْمُحِبِّينَ الَّذِينَ قَرَّتْ أَعْيُنُهُمْ بِحَبِيبِهِمْ، وَسَكَنَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهِ، وَاطْمَأَنَّتْ قُلُوبُهُمْ بِهِ، وَاسْتَأْنَسُوا بِقُرْبِهِ وَتَنَعَّمُوا بِمَحَبَّتِهِ، فَفِي الْقَلْبِ طَاقَةٌ لاَ يَسُدُّهَا إِلاَّ مَحَبَّةُ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ لَمْ يَظْفَرْ بِذٰلِكَ فَحَيَاتُهُ كُلُّهَا هُمُومٌ وَغُمُومٌ، وَآلاَمٌ وَحَسَرَاتٌ. اهـ

قَالَ صَاحِبُ الْمَدَارِجِ(١): وَلَنْ يَصِلَ الْعَبْدُ إِلَى هٰذِهِ الْمَنْزِلَةِ الْعَلِيَّةِ وَالْمَرْتَبَةِ السَّنِيَّةِ حَتَّى يَعْرِفَ اللَّهَ وَيَهْتَدِيَ إِلَيْهِ بِطَرِيقٍ تُوَصِّلُهُ إِلَيْهِ، وَيَخْرِقَ ظُلُمَاتِ الطَّبْعِ بِأَشِعَّةِ الْبَصِيرَةِ، فَيَقُومَ بِقَلْبِهِ شَاهِدٌ مِنْ شَوَاهِدِ الآخِرَةِ، فَيَنْجَذِبَ إِلَيْهَا بِكُلِّيَّتِهِ، وَيَزْهَدَ فِي التَّعَلُّقَاتِ الْفَانِيَةِ، وَيَدْأَبَ فِي تَصْحِيحِ التَّوْبَةِ، وَالْقِيَامِ بِالْمَأْمُورَاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، وَتَرْكِ الْمَنْهِيَّاتِ الظَّاهِرَةِ وَالْبَاطِنَةِ، ثُمَّ يَقُومَ حَارِساً عَلَى قَلْبِهِ، فَلاَ يُسَامِحُهُ بِخَطْرَةٍ يَكْرَهُهَا اللَّهُ تَعَالَى، وَلاَ بِخَطْرَةِ فُضُولٍ لاَ تَنْفَعُهُ، فَيَصْفُو لِذٰلِكَ قَلْبُهُ بِذِكْرِ رَبِّهِ وَمَحَبَّتِهِ وَالإِنَابَةِ إِلَيْهِ، فَحِينَئِذٍ يَجْتَمِعُ قَلْبُهُ وَخَوَاطِرُهُ وَحَدِيثُ نَفْسِهِ عَلَى إِرَادَةِ رَبِّهِ وَطَلَبِهِ وَالشَّوْقِ إِلَيْهِ، فَإِذَا صَدَقَ فِي ذٰلِكَ رُزِقَ مَحَبَّةَ الرَّسُولِ ﷺ، وَاسْتَوْلَتْ رُوحَانِيَّتُهُ عَلَى قَلْبِهِ، فَجَعَلَهُ إِمَامَهُ وَأُسْتَاذَهُ وَمُعَلِّمَهُ وَشَيْخَهُ وَقُدْوَتَهُ، كَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ نَبِيَّهُ وَرَسُولَهُ وَهَادِيَهُ، فَيُطَالِعُ سِيرَتَهُ ﷺ وَمَبَادِىءَ أُمُورِهِ وَكَيْفِيَّةَ نُزُولِ الْوَحْيِ عَلَيْهِ، وَيَعْرِفُ صِفَاتِهِ وأَخْلاَقَهُ وَآدَابَهُ، وَحَرَكَاتِهِ وسُكُونَهُ وَيَقْظَتَهُ وَمَنَامَهُ، وَعِبَادَتَهُ وَمُعَاشَرَتَهُ لأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ، إِلَى غَيْرِ ذلك مِمَّا مَنَحَهُ اللَّهُ تَعَالَى، حَتَّى يَصِيرَ كَأَنَّهُ مَعَهِ مِنْ بَعْضِ أَصْحَابِهِ.

وَلِمَحَبَّةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَلاَمَاتٌ: أَعْظَمُهَا الاقْتِدَاءُ بِهِ، وَاسْتِعْمَالُ سُنَّتِهِ، وَسُلُوكُ طَرِيقَتِهِ، وَالاهْتِدَاءُ بِهَدْيِهِ وَسِيرَتِهِ، وَالْوُقُوفُ عَلَى مَا حَدَّهُ لَنَا مِنْ شَرِيعَتِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾(٢)،

---

(١) مدارج السالكين لابن القيّم.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ٣١.

فَجعَلَ تَعالَى مُتابَعَةَ الرَّسولِ ﷺ آيَةَ مَحبَّةِ العَبْدِ رَبَّهُ، وَجعَلَ جَزاءَ العَبْدِ عَلى حُسْنِ مُتابَعَةِ الرَّسولِ مَحبَّةَ اللّهِ تَعالَى إِيَّاهُ، وَبِحَسَبِ هٰذا الاتِّباعِ تَحصُلُ المَحبَّةُ وَالمَحبُوبِيَّةُ مَعاً، وَلاَ يَتِمُّ الأَمْرُ إِلاَّ بِهِمَا، فَلَيسَ الشَّأْنُ أَنْ تُحِبَّ اللّهَ فَقَطْ، بَلِ الشَّأْنُ أَنْ يُحِبَّكَ اللّهُ، وَلاَ يُحِبُّكَ إِلاَّ إِذا اتَّبعْتَ حَبيبَهُ ﷺ ظَاهِراً وَباطِناً، وَصَدَّقْتَهُ خَبَراً، وَأَطَعْتَهُ أَمراً، وَأَجبْتَهُ دَعْوَةً، وَآثَرْتَهُ طَوْعاً، وَفَنيْتَ عَنْ حُكْمِ غَيْرِهِ بِحُكْمِهِ، وَعَنْ مَحبَّةِ غَيْرِهِ مِنَ الخَلْقِ بِمَحبَّتِهِ، وَعَنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ بِطاعَتِهِ، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ كَذٰلِكَ فَلاَ تَتعَنَّ[1] فَلَسْتَ عَلى شَيْءٍ، وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ تَعالَى: ﴿فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ﴾ أَيْ: الشَّأْنُ فِي أَنَّ اللّهَ يُحِبُّكُمْ لاَ فِي أَنَّكُمْ تُحِبُّونَهُ، وَهٰذا لاَ يَنالُونَهُ إِلاَّ بِاتِّباعِ الحَبيبِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَقَالَ المُحَاسِبِيُّ: عَلاَمَةُ حُبِّ العَبْدِ لِلّهِ عَزَّ وَجَلَّ اتِّبَاعُ مَرْضَاةِ اللّهِ، وَالتَّمَسُّكُ بِسُنَنِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَإِذَا ذَاقَ العَبْدُ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ وَوَجَدَ طَعْمَهُ ظَهَرَتْ ثَمَرَةُ ذٰلِكَ عَلَى جَوارِحِهِ وَلِسَانِهِ، فَاسْتَحْلَى اللِّسَانُ ذِكْرَ اللّهِ تَعالَى وَمَا وَالاَهُ، وَأَسْرَعَتِ الجَوارِحُ إِلَى طَاعَةِ اللّهِ، فَحِينَئِذٍ يَدْخُلُ حُبُّ الإِيمَانِ بِالقَلْبِ، كَمَا يَدْخُلُ حُبُّ المَاءِ البَارِدِ الشَّدِيدِ بَرْدُهُ فِي اليَوْمِ الشَّدِيدِ الحَرِّ لِلظَّمْآنِ الشَّدِيدِ العَطَشِ، فَيَرْتَفِعُ عَنْهُ تَعَبُ الطَّاعَةِ لاسْتِلْذَاذِهِ بِهَا، بَلْ تَبْقَى الطَّاعَاتُ غِذَاءً لِقَلْبِهِ، وَسُرُوراً لَهُ، وَقُرَّةَ عَيْنٍ فِي حَقِّهِ، وَنَعِيماً لِرُوحِهِ، يَلْتَذُّ بِهَا أَعْظَمَ مِنَ اللَّذَّاتِ الجِسْمَانِيَّةِ، فَلاَ يَجِدُ فِي أَوْرَادِ العِبَادَةِ كُلْفَةً.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**وَمَنْ أَحْيَى سُنَّتِي فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَحَبَّنِي كَانَ مَعِي فِي الجَنَّةِ**».

وَعَنِ ابْنِ عَطَاءٍ: مَنْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ آدَابَ السُّنَّةِ نَوَّرَ اللّهُ قَلْبَهُ بِنُورِ المَعْرِفَةِ، وَلاَ مَقَامَ أَشْرَفُ مِنْ مَقَامِ مُتابَعَةِ الحَبِيبِ فِي أَوَامِرِهِ وَنَوَاهِيهِ، وَأَفْعَالِهِ وَأَخْلاَقِهِ.

---

(١) فلا تتعب.

وَقَالَ أَبُو إِسْحٰقَ الرَّقِّيُّ ـ مِنْ أَقْرَانِ الْجُنَيْدِ ـ: عَلاَمَةُ مَحَبَّةِ اللّهِ إِيثَارُ طَاعَتِهِ، وَمُتَابَعَةُ نَبِيِّهِ ﷺ.

وَعَنْ غَيْرِهِ: لاَ يَظْهَرُ عَلَى أَحَدٍ شَيْءٌ مِنْ نُورِ الإِيمَانِ إِلاَّ بِاتِّبَاعِ السُّنَّةِ، وَمُجَانَبَةِ الْبِدْعَةِ، فَأَمَّا مَنْ أَعْرَضَ عَنِ الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ؛ وَلَمْ يَتَلَقَّ الْعِلْمَ مِنْ مِشْكَاةِ الرَّسُولِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِدَعْوَاهُ عِلْماً لَدُنِّيًّا أُوتِيَهُ؛ فَهُوَ مِنْ لَدُنِ النَّفْسِ وَالشَّيْطَانِ، وَإِنَّمَا يُعْرَفُ كَوْنُ الْعِلْمِ لَدُنِّيًّا رَحْمَانِيًّا بِمُوَافَقَتِهِ لِمَا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَنْ رَبِّهِ تَعَالَى، وَالْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الرَّحْمَانِيُّ هُوَ ثَمَرَةُ الْعُبُودِيَّةِ وَالْمُتَابَعَةِ لِهٰذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ عَلَيْهِ أَزْكَى الصَّلاَةِ وَأَتَمُّ التَّسْلِيمِ، وَبِهِ يَحْصُلُ الْفَهْمُ فِي الْكِتَابِ وَالسُّنَّةِ بِأَمْرٍ يَخْتَصُّ بِهِ صَاحِبُهُ، كَمَا قَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ وَقَدْ سُئِلَ: هَلْ خَصَّكُمْ رَسُولُ اللّهِ ﷺ بِشَيْءٍ دُونَ النَّاسِ؟ فَقَالَ: لاَ، إِلاَّ فَهْماً يُؤْتِيهِ اللّهُ عَبْداً فِي كِتَابِهِ، فَهٰذَا هُوَ الْعِلْمُ اللَّدُنِّيُّ الْحَقِيقِيُّ، فَاتِّبَاعُ هٰذَا النَّبِيِّ الْكَرِيمِ حَيَاةُ الْقُلُوبِ، وَنُورُ الْبَصَائِرِ، وَشِفَاءُ الصُّدُورِ، وَرِيَاضُ النُّفُوسِ، وَلَذَّةُ الأَرْوَاحِ، وَأُنْسُ الْمُسْتَوْحِشِينَ، وَدَلِيلُ الْمُتَحَيِّرِينَ.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: أَنْ يَرْضَى مُدَّعِيهَا بِمَا شَرَعَهُ، حَتَّى لاَ يَجِدَ فِي نَفْسِهِ حَرَجاً مِمَّا قَضَىٰ، قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ(١) ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾(٢)، فَسَلَبَ اسْمَ الإِيمَانِ عَمَّنْ وَجَدَ فِي صَدْرِهِ حَرَجاً مِنْ قَضَائِهِ، وَلَمْ يُسَلِّمْ لَهُ.

قَالَ تَاجُ الدِّينِ بْنُ عَطَاءِ اللّهِ ـ أَذَاقَنَا اللّهُ حَلاَوَةَ مَشْرَبِهِ ـ: فِي هٰذِهِ الآيَةِ دَلاَلَةٌ عَلَى أَنَّ الإِيمَانَ الْحَقِيقِيَّ لاَ يَحْصُلُ إِلاَّ لِمَنْ حَكَّمَ اللّهَ وَرَسُولَهُ ﷺ عَلَى نَفْسِهِ قَوْلاً وَفِعْلاً، وَأَخْذاً وَتَرْكاً، وَحُبًّا وَبُغْضاً.

---

(١) فيما اختلفوا فيه.

(٢) سورة النساء، الآية: ٦٥.

ثُمَّ إِنَّهُ سُبْحَانَهُ لَمْ يَكْتَفِ بِنَفْيِ الإِيمَانِ عَمَّنْ لَمْ يُحَكِّمْ؛ أَوْ حَكَّمَ وَوَجَدَ الْحَرَجَ فِي نَفْسِهِ؛ حَتَّى أَقْسَمَ عَلَى ذٰلِكَ بِالرُّبُوبِيَّةِ الْخَاصَّةِ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ رَأْفَةً وَعِنَايَةً، وَتَخْصِيصاً وَرِعَايَةً، لأَنَّهُ لَمْ يَقُلْ فَلاَ وَالرَّبِّ، إِنَّمَا قَالَ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾، فَفِي ذٰلِكَ تَأْكِيدٌ بِالْقَسَمِ وَتَأْكِيدٌ فِي الْقَسَمِ عِلْماً مِنْهُ سُبْحَانَهُ بِمَا النُّفُوسُ مُنْطَوِيَةٌ عَلَيْهِ مِنْ حُبِّ الْغَلَبَةِ، وَوُجُودِ النُّصْرَةِ، سَوَاءٌ كَانَ الْحَقُّ عَلَيْهَا أَوْ لَهَا، وَفِي ذٰلِكَ إِظْهَارٌ لِعِنَايَتِهِ بِرَسُولِهِ ﷺ، إِذْ جَعَلَ حُكْمَهُ حُكْمَهُ، وَقَضَاءَهُ قَضَاءَهُ، فَأَوْجَبَ عَلَى الْعِبَادِ الاسْتِسْلاَمَ لِحُكْمِهِ، وَالانْقِيَادَ لأَمْرِهِ، وَلَمْ يَقْبَلْ مِنْهُمُ الإِيمَانَ بِإِلٰهِيَّتِهِ حَتَّى يُذْعِنُوا لأَحْكَامِ رَسُولِهِ ﷺ، لأَنَّهُ كَمَا وَصَفَهُ رَبُّهُ: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤﴾[1]، فَحُكْمُهُ حُكْمُ اللَّهِ، وَقَضَاؤُهُ قَضَاءُ اللَّهِ، كَمَا قَالَ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾[2] وَأَكَّدَ ذٰلِكَ بِقَوْلِهِ: ﴿يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾.

وَفِي الآيَةِ إِشَارَةٌ أُخْرَى إِلَى تَعْظِيمِ قَدْرِهِ وَتَفْخِيمِ أَمْرِهِ ﷺ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَبِّكَ﴾ فَأَضَافَ نَفْسَهُ إِلَيْهِ، كَمَا قَالَ فِي الآيَةِ الأُخْرَى ﴿كٓهيعٓصٓ ۝١ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ۝٢﴾[3] فَأَضَافَ الْحَقُّ سُبْحَانَهُ نَفْسَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَأَضَافَ زَكَرِيَّا إِلَيْهِ لِيُعْلِمَ الْعِبَادَ فَرْقَ مَا بَيْنَ الْمَنْزِلَتَيْنِ، وَتَفَاوُتَ الرُّتْبَتَيْنِ.

ثُمَّ إِنَّهُ تَعَالَى لَمْ يَكْتَفِ بِالتَّحْكِيمِ بِالظَّاهِرِ فَيَكُونُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ، بَلِ اشْتَرَطَ فُقْدَانَ الْحَرَجِ ـ وَهُوَ الضِّيقُ ـ مِنْ نُفُوسِهِمْ فِي أَحْكَامِهِ ﷺ، سَوَاءٌ كَانَ الْحُكْمُ بِمَا يُوَافِقُ أَهْوَاءَهُمْ أَوْ يُخَالِفُهَا، وَإِنَّمَا تَضِيقُ النُّفُوسُ لِفُقْدَانِ الأَنْوَارِ،

---

(١) سورة النجم، الآية: ٣.

(٢) سورة الفتح، الآية: ١٠.

(٣) سورة مريم، الآيتان: ١، ٢.

وَوُجودِ الأَغْيَارِ، فَعَنْهُ يَكُونُ الْحَرَجُ - وَهُوَ الضِّيقُ -، وَالْمُؤْمِنُونَ لَيْسُوا كَذٰلِكَ، إِذْ نُورُ الإِيمَانِ مَلأَ قُلُوبَهُمْ فَاتَّسَعَتْ وَانْشَرَحَتْ، فَكَانَتْ وَاسِعَةً بِنُورِ الْوَاسِعِ الْعَلِيمِ، مَمْدُودَةً بِوُجُودِ فَضْلِهِ الْعَظِيمِ، مُهَيَّأَةً لِوَارِدَاتِ أَحْكَامِهِ، مُفَوَّضَةً لَهُ فِي نَقْضِهِ وَإِبْرَامِهِ(1).

وَقَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِاللّهِ: مَنْ لَمْ يَرَ وِلاَيَةَ الرَّسُولِ ﷺ فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِ؛ وَيَرَى نَفْسَهُ فِي مِلْكِهِ؛ لَمْ يَذُقْ حَلاَوَةَ سُنَّتِهِ، لأَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«لاَ يُؤمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»**.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: نَصْرُ دِينِهِ بِالْقَوْلِ وَالْفِعْلِ، وَالذَّبُّ عَنْ شَرِيعَتِهِ، وَالتَّخَلُّقُ بِأَخْلاَقِهِ فِي الْجُودِ وَالإِيثَارِ وَالْحِلْمِ وَالصَّبْرِ وَالتَّوَاضُعِ وَغَيْرِهَا، فَمَنْ جَاهَدَ نَفْسَهُ عَلَى ذٰلِكَ وَجَدَ حَلاَوَةَ الإِيمَانِ، وَمَنْ وَجَدَهَا اسْتَلَذَّ الطَّاعَاتِ، وَتَحَمَّلَ الْمَشَاقَّ فِي الدِّينِ، وَآثَرَ ذٰلِكَ عَلَى أَعْرَاضِ الدُّنْيَا الْفَانِيَةِ.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: التَّسَلِّي عَنِ الْمَصَائِبِ، فَإِنَّ الْمُحِبَّ يَجِدُ فِي لَذَّةِ الْمَحَبَّةِ مَا يُنْسِيهِ الْمَصَائِبَ، وَلاَ يَجِدُ مِنْ مَسِّهَا مَا يَجِدُ غَيْرُهُ، حَتَّى كَأَنَّهُ قَدِ اكْتَسَى طَبِيعَةً ثَانِيَةً لَيْسَتْ طَبِيعَةَ الْخَلْقِ، بَلْ يَقْوَى سُلْطَانُ الْمَحَبَّةِ حَتَّى يَلْتَذَّ بِكَثِيرٍ مِنَ الْمَصَائِبِ أَعْظَمَ مِنْ الْتِذَاذِ الْخَلِيِّ بِحُظُوظِهِ وَشَهَوَاتِهِ.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: كَثْرَةُ ذِكْرِهِ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ.

وَمِنْ عَلاَمَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: تَعْظِيمُهُ عِنْدَ ذِكْرِهِ، وَإِظْهَارُ الْخُشُوعِ وَالْخُضُوعِ وَالانْكِسَارِ مَعَ سَمَاعِ اسْمِهِ، فَكُلُّ مَنْ أَحَبَّ شَيْئاً خَضَعَ لَهُ، كَمَا كَانَ كَثِيرٌ مِنَ الصَّحَابَةِ بَعْدَهُ إِذَا ذَكَرُوهُ خَشَعُوا وَاقْشَعَرَّتْ جُلُودُهُمْ وَبَكَوْا،

---

(1) انتهى كلام ابن عطاء الله من كتابه (التنوير في إسقاط التدبير).

وَكَذٰلِكَ كَانَ كَثِيرٌ مِنَ التَّابِعِينَ فَمَنْ بَعْدَهُمْ يَفْعَلُونَ ذٰلِكَ مَحَبَّةً لَهُ، وَشَوْقاً إِلَيْهِ، وَتَهَيُّباً وَتَوْقِيراً.

قَالَ أَبُو إِبْرَاهِيمَ التُّجِيبِيُّ[(١)]: وَاجِبٌ عَلَى كُلِّ مُؤْمِنٍ مَتَى ذَكَرَهُ ﷺ أَوْ ذُكِرَ عِنْدَهُ أَنْ يَخْضَعَ وَيَخْشَعَ وَيَتَوَقَّرَ وَيَسْكُنَ مِنْ حَرَكَتِهِ، وَيَأْخُذَ فِي هَيْبَتِهِ وَإِجْلاَلِهِ بِمَا كَانَ يَأْخُذُ بِهِ نَفْسَهُ لَوْ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَيَتَأَدَّبَ بِمَا أَدَّبَنَا اللّٰهُ بِهِ.

وَكَانَ أَيُّوبُ السَّخْتِيَانِيُّ[(٢)] إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهُ بَكَى حَتَّى نَرْحَمَهُ.

وَكَانَ جَعْفَرُ بْنُ مُحَمَّدٍ[(٣)] كَثِيرَ الدُّعَابَةِ وَالتَّبَسُّمِ، فَإِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ اصْفَرَّ لَوْنُهُ.

وَكَانَ عَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنُ الْقَاسِمِ[(٤)] إِذَا ذُكِرَ النَّبِيُّ ﷺ يُنْظَرُ إِلَى لَوْنِهِ كَأَنَّهُ قَدْ نَزَفَ مِنْهُ الدَّمُ، وَقَدْ جَفَّ لِسَانُهُ فِي فَمِهِ هَيْبَةً لِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ.

وَكَانَ عَبْدُاللّٰهِ بْنُ الزُّبَيْرِ[(٥)] إِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَكَى حَتَّى لاَ يَبْقَى فِي عَيْنَيْهِ دُمُوعٌ.

وَكَانَ الزُّهْرِيُّ مِنْ أَهْنَأِ النَّاسِ وَأَقْرَبِهِمْ، فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ ﷺ فَكَأَنَّكَ مَا عَرَفْتَهُ وَلاَ عَرَفَكَ.

وَكَانَ صَفْوَانُ بْنُ سُلَيْمٍ مِنَ الْمُتَعَبِّدِينَ الْمُجْتَهِدِينَ، فَإِذَا ذُكِرَ عِنْدَهُ النَّبِيُّ ﷺ بَكَى، فَلاَ يَزَالُ يَبْكِي حَتَّى يَقُومَ النَّاسُ عَنْهُ وَيَتْرُكُوهُ.

---

(١) نسبة لقبيلة من كِندة تدعىٰ تُجيب.

(٢) نسبة لعمل السَّختيان (وهو الجلد المدبوغ).

(٣) ابن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

(٤) ابن محمد بن أبي بكر الصديق.

(٥) وفي الشفا: عامر بن عبدالله بن الزبير.

وَكَانَ قَتَادَةُ إِذَا سَمِعَ الْحَدِيثَ أَخَذَهُ الْبُكَاءُ وَالْعَوِيلُ[1] وَالزَّوِيلُ - أي: الْقَلَقُ وَالانْزِعَاجُ -. أَشَارَ إِلَى ذٰلِكَ الْقَاضِي عِيَاضٌ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحبَّتِهِ ﷺ: كَثْرَةُ الشَّوْقِ إِلَى لِقَائِهِ، وَقَدْ كَانَتِ الصَّحَابَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ إِذَا اشْتَدَّ بِهِمُ الشَّوْقُ وَأَزْعَجَتْهُمْ لَوَاعِجُ الْمَحَبَّةِ[2] قَصَدُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ، وَاسْتَشْفَوْا[3] بِمُشَاهَدَتِهِ، وَتَلَذَّذُوا بِالْجُلُوسِ مَعَهُ وَالنَّظَرِ إِلَيْهِ وَالتَّبَرُّكِ بِهِ ﷺ.

وعَنْ عَبْدَةَ بِنْتِ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ - وَهُوَ مِنَ التَّابِعِينَ - قَالَتْ: مَا كَانَ خَالِدٌ يَأْوِي إِلَى فِرَاشٍ إِلاَّ وَهُوَ يَذْكُرُ مِنْ شَوْقِهِ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ وَإِلَى أَصْحَابِهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ، يُسَمِّيهِمْ وَيَقُولُ: هُمْ أَصْلِي وَفَصْلِي، وَإِلَيْهِمْ يَحِنُّ قَلْبِي، طَالَ شَوْقِي إِلَيْهِمْ، فَعَجِّلْ رَبِّ قَبْضِي إِلَيْكَ، حَتَّى يَغْلِبَهُ النَّوْمُ.

وَلَمَّا احْتُضِرَ بِلالٌ نَادَتِ امْرَأَتُهُ: وَاحَرَبَاهُ[4]، فَقَالَ: وَاطَرَبَاهُ، غداً أَلْقَى الأَحِبَّةَ، مُحَمَّداً وَصَحْبَهُ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحبَّتِهِ ﷺ: حُبُّ الْقُرْآنِ الَّذِي أَتَى بِهِ وَهَدَى بِهِ وَاهْتَدَى بِهِ وَتَخَلَّقَ بِهِ، وَإِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ مَا عِنْدَكَ وَعِنْدَ غَيْرِكَ مِنْ مَحَبَّةِ اللّهِ وَرَسُولِهِ فَانْظُرْ مَحَبَّةَ الْقُرْآنِ مِنْ قَلْبِكَ، وَالْتِذَاذَكَ بِسَمَاعِهِ، هَلْ هُوَ أَعْظَمُ مِنَ الْتِذَاذِ أَصْحَابِ الْمَلاَهِي وَالْغِنَى الْمُطْرِبِ بِسَمَاعِهِمْ.

وَيُرْوَى أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ قَالَ: لَوْ طَهُرَتْ قُلُوبُنَا لَمَا شَبِعَتْ مِنْ كَلاَمِ اللّهِ.

---

(١) وهو البكاء مع الصوت.

(٢) استحرارها.

(٣) في المواهب: واشتفوا.

(٤) وفي رواية: واحزناه.

وَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِعَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «**اقْرَأْ عَلَيَّ**»، قَالَ: أَقْرَأُ عَلَيْكَ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟! فَقَالَ: «**إِنِّي أُحِبُّ أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي**»، فَاسْتَفْتَحَ، وَقَرَأَ سُورَةَ النِّسَاءِ، حَتَّى إِذَا بَلَغَ ﴿**فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا** ﴿٤١﴾﴾[1] قَالَ: «**حَسْبُكَ**»، فَرَفَعَ رَأْسَهُ فَإِذَا عَيْنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ تَذْرِفَانِ مِنَ الْبُكَاءِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَهَٰذَا يَجِدُهُ مَنْ سَمِعَ الْكِتَابَ الْعَزِيزَ بِأُذُنِ قَلْبِهِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿**وَإِذَا سَمِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا۟ مِنَ ٱلْحَقِّ**﴾[2].

وَقَدْ كَانَ ابْنُ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا رُبَّمَا مَرَّ بِآيَةٍ فِي وِرْدِهِ فَتَخْنُقُهُ الْعَبْرَةُ، وَيَسْقُطُ، وَيَلْزَمُ الْبَيْتَ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ حَتَّى يُعَادَ وَيُحْسَبَ مَرِيضاً.

وَإِذَا رَأَيْتَ الرَّجُلَ ذَوْقَهُ وَوَجْدَهُ وَطَرَبَهُ وَنَشْأَتَهُ[3] فِي سَمَاعِ الأَبْيَاتِ دُونَ سَمَاعِ الآيَاتِ؛ وَفِي سَمَاعِ الأَلْحَانِ دُونَ سَمَاعِ الْقُرْآنِ؛ فَاعْلَمْ أَنَّ هٰذَا مِنْ أَقْوَى الأَدِلَّةِ عَلَى فَرَاغِ قَلْبِهِ مِنْ مَحَبَّةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، رَزَقَنَا اللَّهُ حَلاَوَةَ مَحَبَّتِهِ بِمَنِّهِ وَرَحْمَتِهِ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: مَحَبَّةُ سُنَّتِهِ، وَقِرَاءَةُ حَدِيثِهِ، فَإِنَّ مَنْ دَخَلَتْ حَلاَوَةُ الإِيمَانِ فِي قَلْبِهِ إِذَا سَمِعَ كَلِمَةً مِنْ كَلامِ اللَّهِ تَعَالَى أَوْ مِنْ حَدِيثِ رَسُولِهِ ﷺ تَشَرَّبَتْهَا رُوحُهُ وَقَلْبُهُ وَنَفْسُهُ.

وَمِنْ عَلامَاتِ مَحَبَّتِهِ ﷺ: أَنْ يَلْتَذَّ مُحِبُّهُ بِذِكْرِهِ الشَّرِيفِ، وَيَطْرَبَ عِنْدَ سَمَاعِ اسْمِهِ الْمُنِيفِ[4]، وَقَدْ يُوجِبُ لَهُ ذٰلِكَ سُكْراً يَسْتَغْرِقُ قَلْبَهُ وَرُوحَهُ وَسَمْعَهُ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٤١.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٨٣.

(٣) زيادته في الطّرَب.

(٤) الرفيع.

فَمَنِ اتَّصَفَ بِهٰذِهِ الْعلامَاتِ فَهُوَ كَامِلُ الْمَحَبَّةِ لِلّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَنْ خَالَفَ بَعْضَهَا فَهُوَ نَاقِصُ الْمَحَبَّةِ وَلاَ يَخْرُجُ عَنِ اسْمِهَا، بِدَلِيلِ قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِلَّذِي حَدَّهُ فِي الْخَمْرِ لَمَّا لَعَنَهُ بَعْضُهُمْ وَقَالَ: مَا أَكْثَرَ مَا يُؤْتَى بِهِ؛ فَقَالَ ﷺ: **«لاَ تَلْعَنْهُ، فَإِنَّهُ يُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ»**[1]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُ يُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ مَعَ وُجُودِ مَا صَدَرَ مِنْهُ.

تَنْبِيهٌ: الْمَحَبَّةُ أَرْفَعُ مِنَ الْخُلَّةِ[2]، وَقِيلَ بِالْعَكْسِ، وَقِيلَ: هُمَا سَوَاءٌ. وَنَبِيُّنَا ﷺ هُوَ حَبِيبُ اللّهِ وَخَلِيلُهُ؛ وَإِنِ اشْتَهَرَ هُوَ بِالْحَبِيبِ وَإِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ بِالْخَلِيلِ، وَقَدْ وَقَعَ الإِجْمَاعُ عَلَى فَضْلِهِ ﷺ عَلَى جَمِيعِ الأَنْبِيَاءِ، بَلْ هُوَ أَفْضَلُ خَلْقِ اللّهِ تَعَالَى عَلَى الإِطْلاَقِ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) وهي المودّة التي تتخلّل القلب.

الفصل الثاني

فِي حُكْمِ الصَّلاةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ ﷺ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[1] قِيلَ: نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ فِي شَهْرِ شَعْبَانَ، وَلِذٰلِكَ يُقَالُ لَهُ شَهْرُ الصَّلاَةِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ.

قَالَ أَبُو الْعَالِيَةِ: مَعْنَى صَلاَةِ اللّهِ عَلَى نَبِيِّهِ ﷺ: ثَنَاؤُهُ عَلَيْهِ عِنْدَ مَلائِكَتِهِ، وَمَعْنَى صَلاَةِ الْمَلائِكَةِ عَلَيْهِ: الْدُّعَاءُ، قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي: وَهٰذَا أَوْلَى الأَقْوَالِ، فَيَكُونُ مَعْنَى صَلاَةِ اللّهِ تَعَالَى عَلَيْهِ: ثَنَاءَهُ وَتَعْظِيمَهُ، وَصَلاَةُ الْمَلائِكَةِ وَغَيْرِهِمْ: طَلَبُ ذٰلِكَ لَهُ مِنَ اللّهِ تَعَالَى، وَالْمُرَادُ: طَلَبُ الزِّيَادَةِ لاَ طَلَبُ أَصْلِ الصَّلاَةِ.

وَحَكَى الْقَاضِي عِيَاضٌ عَنْ بَكْرِ الْقُشَيْرِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الصَّلاَةُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ مِنَ اللهِ تَشْرِيفٌ وَزِيَادَةُ تَكْرِمَةٍ، وَعَلَى مَنْ دُونَ النَّبِيِّ رَحْمَةٌ، وَبِهٰذَا يَظْهَرُ الْفَرْقُ بَيْنَ النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ سَائِرِ الْمُؤْمِنِينَ، حَيْثُ قَالَ اللّهُ تَعَالَى فِي سُورَةِ الأَحْزَابِ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ﴾، وَقَالَ قَبْلَ ذٰلِكَ فِي

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

السُّورَةِ الْمَذْكُورَةِ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾[١]، وَمِنَ الْمَعْلُومِ أَنَّ الْقَدْرَ الَّذِي يَلِيقُ بِالنَّبِيِّ ﷺ مِنْ ذٰلِكَ أَرْفَعُ مِمَّا يَلِيقُ بِغَيْرِهِ، وَالإِجْمَاعُ مُنْعَقِدٌ عَلَى أَنَّ فِي هٰذِهِ الآيَةِ مِنْ تَعْظِيمِ النَّبِيِّ ﷺ وَالتَّنْوِيهِ بِهِ مَا لَيْسَ فِي غَيْرِهَا.

وَقَالَ الْحُلَيْمِيُّ: مَعْنَى الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ: تَعْظِيمُهُ، فَمَعْنَى قَوْلِنَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ: عَظِّمْ مُحَمَّداً، وَالْمُرَادُ: تَعْظِيمُهُ فِي الدُّنْيَا بِإِعْلاَءِ ذِكْرِهِ وَإِظْهَارِ دِينِهِ وَإِبْقَاءِ شَرِيعَتِهِ، وَفِي الآخِرَةِ بِإِجْزَالِ مَثُوبَتِهِ وَتَشْفِيعِهِ فِي أُمَّتِهِ وَإِبْدَاءِ فَضِيلَتِهِ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ، وَعَلَى هٰذَا فَالْمُرَادُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾: ادْعُوا رَبَّكُمْ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ، وَالْمَقْصُودُ بِالصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ: التَّقَرُّبُ إِلَى اللّٰهِ تَعَالَى بِامْتِثَالِ أَمْرِهِ تَعَالَى، وَقَضَاءِ بَعْضِ حَقِّ النَّبِيِّ ﷺ عَلَيْنَا.

قَالَ ابْنَ عَبْدِالسَّلاَمِ[٢]: لَيْسَتْ صَلاَتُنَا عَلَى النَّبِيِّ ﷺ شَفَاعَةً لَهُ، فَإِنَّ مِثْلَنَا لاَ يَشْفَعُ لِمِثْلِهِ، وَلٰكِنَّ اللّٰهَ أَمَرَنَا بِمُكَافَأَةِ مَنْ أَحْسَنَ إِلَيْنَا، فَإِنْ عَجَزْنَا عَنْهَا كَافَأْنَاهُ بِالدُّعَاءِ، فَأَرْشَدَنَا اللّٰهُ لَمَّا عَلِمَ عَجزَنَا عَنْ مُكَافَأَةِ نَبِيِّنَا إِلَى الصَّلاَةِ عَلَيْهِ.

وَقَالَ ابْنُ الْعَرَبِيِّ[٣]: فَائِدَةُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ تَرْجِعُ إِلَى الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْهِ، لِدَلاَلَةِ ذٰلِكَ عَلَى نُصُوحِ الْعَقِيدَةِ، وَخُلُوصِ النِّيَّةِ، وَإِظْهَارِ الْمَحَبَّةِ، وَالْمُدَاوَمَةِ عَلَى الطَّاعَةِ، وَاحْتِرَامِ الْوَاسِطَةِ الْكَرِيمَةِ ﷺ.

وَاخْتُلِفَ فِي حُكْمِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَحَدُهَا: تَجِبُ فِي الْقُعودِ آخِرَ الصَّلاَةِ بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَسَلاَمِ التَّحَلُّلِ، قَالَهُ الإِمَامُ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ وَمَنْ تَبِعَهُ.

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٤٣.

(٢) في شجرة المعارف.

(٣) وهو القاضي أبو بكر محمد بن عبدالله المالكي. أما ابن عربي: فهو محيي الدين محمد بن علي الحاتمي الطائي.

الثَّانِي: أَنَّهَا تَجِبُ فِي الْجُمْلَةِ بِغَيْرِ حَصْرٍ، لٰكِنْ أَقَلُّ مَا يَحْصُلُ بِهِ الإِجْزَاءُ مَرَّةٌ.

الثَّالِثُ: يَجِبُ الإِكْثَارُ مِنْهَا مِنْ غَيْرِ تَقْيِيدٍ بِعَدَدٍ، قَالَهُ أَبُو بَكْرِ ابْنُ بُكَيْرٍ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ.

الرَّابِعُ: تَجِبُ كُلَّمَا ذُكِرَ، وَهُوَ قَوْلُ كَثِيرِينَ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ وَالشَّافِعِيَّةِ وَالْمَالِكِيَّةِ، وَاسْتَدَلُّوا بِحَدِيثِ: «**مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللّٰهُ**»(١)، وَحَدِيثِ: «**رَغِمَ أَنْفُ مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»(٢)، وَحَدِيثِ: «**شَقِيَ عَبْدٌ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ**»(٣).

الْخَامِسُ: فِي كُلِّ مَجْلِسٍ مَرَّةً، وَلَوْ تَكَرَّرَ ذِكْرُهُ ﷺ.

السَّادِسُ: فِي كُلِّ دُعَاءٍ، حَكَاهُمَا الزَّمَخْشَرِيُّ.

السَّابِعُ: أَنَّهَا مِنَ الْمُسْتَحَبَّاتِ، وَهُوَ قَوْلُ ابْنِ جَرِيرٍ الطَّبَرِيِّ.

الثَّامِنُ: تَجِبُ فِي الْعُمْرِ مَرَّةً فِي الصَّلاَةِ أَوْ غَيْرِهَا، قَالَهُ أَبُو بَكْرٍ الرَّازِيُّ مِنَ الْحَنَفِيَّةِ.

التَّاسِعُ: تَجِبُ فِي الصَّلاَةِ مِنْ غَيْرِ تَعْيِينِ الْمَحَلِّ، وَنُقِلَ ذٰلِكَ عَنْ أَبِي جَعْفَرٍ الْبَاقِرِ.

الْعَاشِرُ: تَجِبُ فِي التَّشَهُّدِ الأَوَّلِ وَالأَخِيرِ، وَهُوَ قَوْلُ الشَّعْبِيِّ وَإِسْحَاقَ بْنِ رَاهَوَيْهِ.

وَأَمَّا صِفَةُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ: فَعَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: لَقِيَنِي

---

(١) رواه ابن حبان.

(٢) رواه الترمذي، وصححه الحاكم.

(٣) رواه الطبراني.

كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ فَقَالَ: أَلاَ أُهْدِي لَكَ هَدِيَّةً؟ إِنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ عَلَيْنَا فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ.

وَرَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ بِلَفْظِ لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[١] قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَكَيْفَ الصَّلاَةُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»**.

وَعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! كَيْفَ نُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ[٢]، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَأَزْوَاجِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»** رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَعَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ قَالَ: أَتَانَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ فِي مَجْلِسِ سَعْدِ بْنِ عُبَادَةَ، فَقَالَ لَهُ بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ: أَمَرَنَا اللَّهُ أَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْكَ، قَالَ: فَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى تَمَنَّيْنَا أَنَّهُ لَمْ يَسْأَلْهُ، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«قُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،**

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) نصُّ الإمام أحمد في المسند: كما صلّيت على آل إبراهيم.

وَبارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، فِي الْعَالَمِينَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَالسَّلاَمُ كَمَا قَدْ عَلِمْتُمْ»[1] رَوَاهُ مَالِكٌ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا مَوْقِعُ التَّشْبِيهِ فِي قَوْلِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، مَعَ أَنَّ الْمُقَرَّرَ أَنَّ الْمُشَبَّهَ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ، وَالْوَاقِعُ هُنَا عَكْسُهُ؛ لأَنَّ مُحَمَّداً ﷺ وَحْدَهُ أَفْضَلُ مِنْ إِبْرَاهِيمَ وَمِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ، وَلاَ سِيَّمَا وَقَدْ أُضِيفَ إِلَيْهِ آلُ مُحَمَّدٍ، وَقَضِيَّةُ كَوْنِهِ أَفْضَلَ أَنْ تَكُونَ الصَّلاَةُ الْمَطْلُوبَةُ لَهُ أَفْضَلَ مِنْ كُلِّ صَلاَةٍ حَصَلَتْ أَوْ تَحْصُلُ لِغَيْرِهِ.

فَقَدْ أَجَابَ الْعُلَمَاءُ عَنْهُ بِأَجْوِبَةٍ كَثِيرَةٍ.

مِنْهَا: أَنَّ قَوْلَهُ ﷺ: «**اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ مَقْطُوعٌ عَنِ التَّشْبِيهِ**»، فَيَكُونُ التَّشْبِيهُ مُتَعَلِّقاً بِقَوْلِهِ: وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ[2]، وَنُقِلَ هٰذَا عَنِ الإِمَامِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

وَمِنْهَا: أَنَّ كَوْنَ الْمُشَبَّهِ دُونَ الْمُشَبَّهِ بِهِ لَيْسَ مُطَّرِداً، بَلْ قَدْ يَكُونُ التَّشْبِيهُ بِالْمِثْلِ بَلْ بِالدُّونِ كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ﴾[3]، وَأَيْنَ يَقَعُ نُورُ الْمِشْكَاةِ مِنْ نُورِهِ تَعَالَى.

وَقَالَ النَّوَوِيُّ: أَحْسَنُ الأَجْوِبَةِ مَا نُسِبَ إِلَى الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ التَّشْبِيهَ لأَصْلِ الصَّلاَةِ بِأَصْلِ الصَّلاَةِ، أَوْ لِلْمَجْمُوعِ بِالْمَجْمُوعِ.

وَمِمَّا يُعْزَى لِلْعَارِفِ الرَّبَّانِيِّ أَبِي مُحَمَّدٍ الْمَرْجَانِيِّ أَنَّهُ قَالَ: وَسِرُّ قَوْلِهِ ﷺ: «**كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَكَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ**» وَلَمْ يَقُلْ

---

(١) أي: في التشهُّد.
(٢) أي: اللهم صلِّ علىٰ آل محمد كما صلَّيت علىٰ سيدنا إبراهيم.
(٣) سورة النور، الآية: ٣٥.

كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى مُوسَى، لأَنَّ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ التَّجَلِّي لَهُ بِالْجَلاَلِ، فَخَرَّ مُوسَى صَعِقاً، وَالْخَلِيلُ إِبْرَاهِيمُ كَانَ التَّجَلِّي لَهُ بِالْجَمَالِ، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ وَالْخُلَّةَ مِنْ آثَارِ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ، فَلِهٰذَا أَمَرَهُمْ صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ أَنْ يُصَلُّوا عَلَيْهِ كَمَا صَلَّى عَلَى إِبْرَاهِيمَ، لِيَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّيَ بِالْجَمَالِ، وَهٰذَا لاَ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْخَلِيلِ صَلَوَاتُ اللّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِمَا، لأَنَّهُ إِنَّمَا أَمَرَهُمْ أَنْ يَسْأَلُوا لَهُ التَّجَلِّيَ بِالْوَصْفِ الَّذِي تَجَلَّى بِهِ لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَالَّذِي يَقْتَضِيهِ الْحَدِيثُ الْمُشَارَكَةُ فِي الْوَصْفِ الَّذِي هُوَ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ، وَلاَ يَقْتَضِي التَّسْوِيَةَ فِي الْمَقَامَيْنِ وَلاَ فِي الرُّتْبَتَيْنِ، فَإِنَّ الْحَقَّ سُبْحَانَهُ يَتَجَلَّى بِالْجَمَالِ لِشَخْصَيْنِ بِحَسَبِ مَقَامَيْهِمَا وَإِنِ اشْتَرَكَا فِي وَصْفِ التَّجَلِّي بِالْجَمَالِ، فَيَتَجَلَّى لِكُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا بِحَسَبِ مَقَامِهِ عِنْدَهُ وَرُتْبَتِهِ مِنْهُ وَمَكَانَتِهِ، فَيَتَجَلَّى لِلْخَلِيلِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ، وَيَتَجَلَّى لِسَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ بِالْجَمَالِ بِحَسَبِ مَقَامِهِ، فَعَلَى هٰذَا يُفْهَمُ الْحَدِيثُ. انتهى.

وَالْمُرَادُ بِآلِ مُحَمَّدٍ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ: «**مَنْ حَرُمَتْ عَلَيهِمُ الصَّدَقَةُ**» كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الشَّافِعِيُّ وَاخْتَارَهُ الْجُمْهُورُ، وَقِيلَ: أَزْوَاجُهُ ﷺ وَذُرِّيَّتُهُ، وَقِيلَ: جَمِيعُ الأُمَّةِ أُمَّةِ الإِجَابَةِ. وَقِيلَ: الأَتْقِيَاءُ مِنْهُمْ.

وَهٰذِهِ أَفْضَلُ كَيْفِيَّاتِ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ، لأَنَّهُ لاَ يَخْتَارُ لِنَفْسِهِ إِلاَّ الأَشْرَفَ الأَفْضَلَ، وَيَتَرَتَّبُ عَلَى ذٰلِكَ أَنَّهُ لَوْ حَلَفَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلَ الصَّلاَةِ فَطَرِيقُ الْبِرِّ أَنْ يَأْتِيَ بِذٰلِكَ، هٰكَذَا صَوَّبَهُ النَّوَوِيُّ[1]. وَقِيلَ: يَبَرُّ إِذَا قَالَ: كُلَّمَا ذَكَرَهُ الذَّاكِرُونَ، وَكُلَّمَا غَفَلَ عَنْ ذِكْرِهِ الْغَافِلُونَ، لِذِكْرِ الشَّافِعِيِّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةَ فِي خُطْبَةِ الرِّسَالَةِ لَهُ. وَقَالَ الْقَاضِي حُسَيْنٌ فِي

(١) في الروضة.

طَرِيقِ الْبِرِّ[1] أَنْ يَقُولَ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ وَيَسْتَحِقُّهُ، وَلَوْ جَمَعَ بَيْنَهَا فَقَالَ مَا فِي الْحَدِيثِ وَأَضَافَ إِلَيْهِ أَثَرَ الشَّافِعِيِّ وَمَا قَالَهُ الْقَاضِي لَكَانَ أَشْمَلَ، وَلَوْ قِيلَ: إِنَّهُ يَعْمِدُ إِلَى جَمِيعِ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ الرِّوَايَاتُ الثَّابِتَةُ فَيَسْتَعْمِلُ مِنْهَا ذِكْراً يَحْصُلُ بِهِ الْبِرُّ لَكَانَ حَسَناً.

وَعَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ فِي الصَّلاَةِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَارْحَمْ مُحَمَّداً وَآلَ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ وَبَارَكْتَ وَتَرَحَّمْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَعَنْ سَلاَمَةَ الْكِنْدِيِّ: أَنَّ عَلِيّاً رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ يُعَلِّمُ النَّاسَ الصَّلاَةَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ دَاحِيَ الْمَدْحُوَّاتِ وَبَارِىءَ الْمَسْمُوكَاتِ اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوامِيَ بَرَكَاتِكَ وَرَأْفَةَ تَحَنُّنِكَ عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ، الْفَاتِحِ لِمَا أُغْلِقَ، وَالْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ، وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ، وَالدَّامِغِ لِجَيْشَاتِ الأَبَاطِيلِ كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ بِأَمْرِكَ بِطَاعَتِكَ، مُسْتَوْفِزاً فِي مَرْضَاتِكَ، وَاعِياً لِوَحْيِكَ، حَافِظاً لِعَهْدِكَ، مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ، حَتَّى أَوْرَى قَبَساً لِقَابِسِ آلاءِ اللَّهِ تَصِلُ بِأَهْلِهِ أَسْبَابُهُ، بِهِ هُدِيَتِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ وَالإِثْمِ، وَأَبْهَجَ مُوضِحَاتِ الأَعْلاَمِ وَنَائِرَاتِ الأَحْكَامِ وَمُنِيرَاتِ الإِسْلاَمِ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ، وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ، وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً، وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً، اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ فِي عَدْنِكَ[2]، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ، مُهَنَّئَاتٍ لَهُ غَيْرَ مُكَدَّرَاتٍ مِنْ فَوْزِ ثَوَابِكَ الْمَحْلُولِ، وَجَزِيلِ عَطَائِكَ الْمَعْلُولِ، اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ النَّاسِ بِنَاءَهُ، وَأَكْرِمْ مَثْوَاهُ لَدَيْكَ وَنُزُلَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ**

---

(١) بيمينه.

(٢) أي: في جنّة عدنك.

وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ، ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ، وَخُطَّةٍ فَصْلٍ وَبُرْهَانٍ عَظِيمٍ».

وَمَعْنَى دَاحِي: بَاسِطٌ، وَالْمَدْحُوَّاتُ الأَرْضُونَ.

وَبَارِىءِ: خَالِقُ، وَالْمَسْمُوكَاتُ، أَيِ: الْمَرْفُوعَاتُ - يَعْنِي السَّمٰوَاتِ -.

وَنَوَامِي بَرَكَاتِكَ: زَوَائِدُهَا.

وَالْفَاتِحُ لِمَا أُغْلِقَ: أَيْ: مِنَ الشَّرَائِعِ، وَالخَاتِمُ لِمَا سَبَقَ: أَيْ: مِنَ النُّبُوَّةِ وَالرِّسَالَةِ.

وَالدَّامِغُ: الدَّافِعُ وَالْمُزِيلُ، وَجَيْشَاتُ الأَبَاطِيلِ: ارْتِفَاعَاتُهَا، وَاضْطَلَعَ: قَوِيَ، وَالْمُسْتَوْفِزُ: الْمُسْتَعْجِلُ.

وَأَوْرَى: أَنَارَ، وَالْقَبَسُ: أَصْلُهُ الشُّعْلَةُ مِنَ النَّارِ، وَالْقَابِسُ: طَالِبُ الاقْتِبَاسِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: طَالِبُ نُورِ الْحَقِّ وَالْهِدَايَةِ، وَآلاَءُ اللّهِ: نِعَمُهُ.

وَأَبْهَجَ: أَنَارَ، وَالأَعْلاَمُ: الْعَلاَمَاتُ الَّتِي يُهْتَدَى بِهَا، وَالنَّائِرَاتُ: الْمُضِيئَاتُ.

وَالْمَحْلُولُ: الَّذِي يُحَلُّ فِيهِ وَهُوَ الْجَنَّةُ، وَالْمَعْلُولُ: مِنَ الْعَلَلِ، وَهُوَ الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ.

وَمَثْوَاهُ: مُقَامُهُ، وَالنُّزُلُ: مَا يُعَدُّ لِإِكْرَامِ الضَّيْفِ إِذَا نَزَلَ.

وَالْخُطَّةُ: الأَمْرُ وَالشَّأْنُ الْجَزْلُ، وَالْفَصْلُ: الْفَاصِلُ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ.

وَعَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَأَحْسِنُوا الصَّلاَةَ عَلَيْهِ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْرُونَ لَعَلَّ ذٰلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ، فَقَالُوا لَهُ: عَلِّمْنَا؟ قَالَ: «**قُولُوا اللَّهُمَّ اجْعَلْ صَلَوَاتِكَ وَبَرَكَاتِكَ وَرَحْمَتَكَ عَلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ وَإِمَامِ الْمُتَّقِينَ وَخَاتِمِ النَّبِيِّينَ مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ إِمَامِ الْخَيْرِ وَرَسُولِ الرَّحْمَةِ، اللَّهُمَّ ابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى**

إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَآلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ.

وَعَنْ رُوَيْفِعِ بْنِ ثَابِتٍ الأَنْصَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَقَالَ: اللَّهُمَّ أَنْزِلْهُ الْمَقْعَدَ الصِّدْقَ الْمُقَرَّبَ عِنْدَكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[١].

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَكْتَالَ بِالْمِكْيَالِ الأَوْفَى إِذَا صَلَّى عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَأَزْوَاجِهِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ وَذُرِّيَّتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ طَاوُسٍ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ شَفَاعَةَ مُحَمَّدٍ الْكُبْرَى، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ الْعُلْيَا، وَأَعْطِهِ سُؤْلَهُ فِي الآخِرَةِ وَالأُولَى، كَمَا آتَيْتَ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى.

وَأَمَّا الْمَوَاطِنُ الَّتِي تُشْرَعُ فِيهَا الصَّلاَةُ عَلَيْهِ ﷺ:

فَمِنْهَا: التَّشَهُّدُ الأَخِيرُ، وَهِيَ وَاجِبَةٌ فِيهِ.

وَمِنْهَا: التَّشَهُّدُ الأَوَّلُ؛ وَهِيَ سُنَّةٌ فِيهِ، وَأَقَلُّهَا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ.

وَمِنْهَا: خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ وَغَيْرِهَا، فَلاَ تَصِحُّ خُطْبَتَا الْجُمُعَةِ إِلاَّ بِهَا.

وَمِنْهَا: عَقِبَ إِجَابَةِ الْمُؤَذِّنِ؛ لِمَا رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ**

---

(١) وإسناده حسن، كما قال ابن كثير.

عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ» أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[١]. وَقَوْلُهُ: «حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ» أَيْ: وَجَبَتْ، وَقِيلَ: غَشِيَتْهُ وَنَزَلَتْ بِهِ[٢].

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبَّ هٰذِهِ الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ وَالصَّلاَةِ الْقَائِمَةِ آتِ مُحَمَّداً الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً الَّذِي وَعَدْتَهُ؛ حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

وَمِنْهَا: أَوَّلُ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطُهُ وَآخِرُهُ، لِمَا رَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «لاَ تَجْعَلُونِي كَقَدَحِ الرَّاكِبِ[٣] يَمْلأُ قَدَحَهُ ثُمَّ يَضَعُهُ وَيَرْفَعُ مَتَاعَهُ، فَإِنِ احْتَاجَ إِلَى شَرَابٍ شَرِبَهُ أَوِ الْوَضُوءِ تَوَضَّأَ وَإِلاَّ أَهْرَاقَهُ[٤]، وَلٰكِنِ اجْعَلُونِي فِي أَوَّلِ الدُّعَاءِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ».

وَمِنْهَا: ـ وَهُوَ مِنْ آكَدِهَا ـ: عَقِبَ دُعَاءِ الْقُنُوتِ، لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[٥] عَنِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: عَلَّمَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَلِمَاتٍ أَقُولُهُنَّ فِي الْوَتْرِ: «اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ، وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، وَلاَ يَعِزُّ مَنْ عَادَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ».

وَمِنْهَا: أَثْنَاءَ تَكْبِيرَاتِ الْعِيدَيْنِ، رُوِيَ ذٰلِكَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

---

(١) كأصحاب السنن.

(٢) وروىٰ مسلم: «مَن قال حين يسمع المؤذّن: وأنا أشهد ألاّ إله إلا الله وحده لا شريك له، وأنّ محمداً عبده ورسوله، رضيتُ بالله ربًا، وبمحمد رسولاً، وبالإسلام ديناً؛ غُفر له».

(٣) وهو إناؤه الذي يشرب فيه.

(٤) صَبَّه.

(٥) كأهل السنن.

وَمِنْهَا: عِنْدَ دُخُولِ الْمَسْجِدِ وَالْخُرُوجِ مِنْهُ، لِمَا رَوَاهُ أَحْمَدُ[1] عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ رَحْمَتِكَ**»، وَإِذَا خَرَجَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ وَسَلَّمَ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذُنُوبِي، وَافْتَحْ لِي أَبْوَابَ فَضْلِكَ**».

وَمِنْهَا: فِي صَلَاةِ الْجَنَازَةِ، فَإِنَّ السُّنَّةَ أَنْ يَقْرَأَ الْفَاتِحَةَ بَعْدَ إِحْدَى التَّكْبِيرَاتِ، وَبَعْدَ الأُولَى أَوْلَى، وَأَنْ يُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بَعْدَ الثَّانِيَةِ، وَيَدْعُو لِلْمَيِّتِ بَعْدَ الثَّالِثَةِ، وَيَقُولَ بَعْدَ الرَّابِعَةِ: اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ، وَفِي ذٰلِكَ حَدِيثٌ رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

وَمِنْهَا: عِنْدَ التَّلْبِيَةِ، أَيْ: بَعْدَ الْفَرَاغِ مِنْهَا.

وَمِنْهَا: عِنْدَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ.

وَمِنْهَا: عِنْدَ الاجْتِمَاعِ وَالتَّفَرُّقِ، لِمَا رَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِساً لَمْ يَذْكُرُوا اللَّهَ فِيهِ وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً، فَإِنْ شَاءَ عَذَّبَهُمْ، وَإِنْ شَاءَ غَفَرَ لَهُمْ**». (وَالتِّرَةُ: النَّقْصُ أَوِ التَّبِعَةُ أَوِ الْحَسْرَةُ). وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: مَا مِنْ قَوْمٍ يَقْعُدُونَ ثُمَّ يَقُومُونَ وَلاَ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ إِلاَّ كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ، لِمَا يَرَوْنَ مِنَ الثَّوَابِ لِمَنْ يُصَلِّي عَلَيْهِ[2].

وَمِنْهَا: عِنْدَ الصَّبَاحِ وَالْمَسَاءِ، لِمَا رَوَى الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الدَّرْدَاءِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ حِينَ يُصْبِحُ عَشْراً وَحِينَ يُمْسِي عَشْراً أَدْرَكَتْهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**».

---

(١) وأصحاب السنن.

(٢) رواه النسائي.

وَمِنْهَا: عِنْدَ الْوُضُوءِ، لِحَدِيثِ ابْنِ مَاجَهْ[1] عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**لاَ وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ**».

وَمِنْهَا: عِنْدَ نِسْيَانِ الشَّيْءِ، لِحَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا نَسِيتُمْ شَيْئاً فَصَلُّوا عَلَيَّ تَذْكُرُوهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى**» رَوَاهُ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ[2].

وَمِنْهَا: بَعْدَ الْعُطَاسِ. كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ أَبُو مُوسَى الْمَدِينِيُّ وَجَمَاعَةٌ.

وَمِنْهَا: عِنْدَ زِيَارَةِ قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ، لِحَدِيثِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ**». وَرَوَى ابْنُ عَسَاكِرَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ**».

وَوَرَدَ الأَمْرُ بِالإِكْثَارِ مِنْهَا يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتَهَا، فَعَنْ أَوْسِ بْنِ أَوْسٍ الثَّقَفِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خَلَقَ اللَّهُ آدَمَ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثِرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلاَةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلاَتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلاَتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ؟ - أَيْ: بَلِيتَ -، قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ عَلَى الأَرْضِ أَنْ تَأْكُلَ أَجْسَادَ الأَنْبِيَاءِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[3] وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ وَغَيْرُهُ[4].

وَقَدْ رَوَى الْبَيْهَقِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ الأَمْرَ بِالإِكْثَارِ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ لَيْلَةَ الْجُمُعَةِ وَيَوْمَ الْجُمُعَةِ.

فَإِنْ قُلْتَ: مَا الْحِكْمَةُ فِي خُصُوصِيَّةِ الإِكْثَارِ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَتَهَا؟

---

(١) بسند ضعيف، كما في الفتح.

(٢) بسند فيه ضعف.

(٣) كأصحاب السنن.

(٤) كابن حبان والدارقطني.

أَجابَ ابْنُ الْقَيِّم: بِأَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ سَيِّدُ الأَنَام، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ سَيِّدُ الأَيَّام، فَلِلصَّلاَةِ عَلَيْهِ فِيهِ مَزِيَّةٌ لَيْسَتْ لِغَيْرِهِ، مَعَ حِكْمَةٍ أُخْرَى وَهِيَ: أَنَّ كُلَّ خَيْرٍ نَالَتْهُ أُمَّتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ فَإِنَّمَا نَالَتْهُ عَلَى يَدِهِ ﷺ، فَجَمَعَ اللّهُ لأُمَّتِهِ بَيْنَ خَيْرَيِ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَأَعْظَمُ كَرَامَةٍ تَحْصُلُ لَهُمْ إِنَّمَا تَحْصُلُ لَهُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّ فِيهِ بَعْثَهُمْ إِلَى مَنَازِلِهِمْ وَقُصُورِهِمْ فِي الْجَنَّةِ، وَهُوَ يَوْمُ الْمَزِيدِ لَهُمْ إِذَا دَخَلُوا الْجَنَّةَ، وَهُوَ يَوْمُ عِيدِهِمْ فِي الدُّنْيَا، وَيَوْمٌ فِيهِ يُسْعِفُهُمُ اللّهُ تَعَالَى بِطَلِبَاتِهِمْ[1] وَحَوَائِجِهِمْ وَلاَ يَرُدُّ سَائِلَهُمْ، وَهٰذَا كُلُّهُ إِنَّمَا عَرَفُوهُ وَحَصَلَ لَهُمْ بِسَبَبِهِ وَعَلَى يَدِهِ ﷺ، فَمِنْ شُكْرِهِ وَحَمْدِهِ وَأَدَاءِ الْقَلِيلِ مِنْ حَقِّهِ أَنْ يُكْثِرُوا مِنَ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ فِي هٰذَا الْيَوْمِ وَلَيْلَتِهِ ﷺ.

وَأَمَّا فَضِيلَةُ الصَّلاَةِ عَلَيْهِ ﷺ: فَقَدْ وَرَدَ التَّصْرِيحُ بِهَا فِي أَحَادِيثَ قَوِيَّةٍ، أَمْثَلُهَا مَا أَخْرَجَهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً صَلَّىٰ اللّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً**».

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ جِبْرِيلَ أَتَانِي، فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ وَاحِدَةً صَلَّى اللّهُ عَلَيْهِ عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ وَصَحَّحَهُ.

وَعَنْ أَبِي طَلْحَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالسُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّا لَنَرَى السُّرُورَ فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّهُ أَتَانِي الْمَلَكُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّهُ لاَ يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْراً، وَلاَ يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلاَّ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْراً؟**» قَالَ: «**بَلَى**» رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[2].

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً**

---

(١) بحاجاتهم.

(٢) كالنسائي واللفظ له.

لَمْ تَزَلِ الْمَلاَئِكَةُ تُصَلِّي عَلَيْهِ مَا صَلَّى عَلَيَّ، فَلْيُقْلِلْ عَبْدٌ مِنْ ذٰلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ» رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ(١).

وَعَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ عَمْرو بْنِ الْعَاصِ: مَنْ صَلَّى عَلَى رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ صَلاَةً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَمَلاَئِكَتُهُ بِهَا سَبْعِينَ صَلاَةً، فَلْيُقْلِلْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَعَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ قَالَ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! إِنِّي أُكْثِرُ الصَّلاَةَ(٢)، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلاَتِي(٣)؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ**»، قُلْتُ: الرُّبُعَ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: فَالنِّصْفُ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ**»، قُلْتُ: فَالثُّلُثَيْنِ؟ قَالَ: «**مَا شِئْتَ، وَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ**»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلاَتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «**إِذاً تُكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفَرُ ذَنْبُكَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٤).

قَالَ النَّوَوِيُّ: وَيُكْرَهُ إِفْرَادُ الصَّلاَةِ عَنِ السَّلاَمِ، وَاسْتَدَلَّ بِوُرُودِ الأَمْرِ بِهِمَا مَعاً فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ۝٥٦﴾(٥).

وَقَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي: إِنَّهُ يُكْرَهُ أَنْ يُفْرِدَ الصَّلاَةَ وَلاَ يُسَلِّمَ أَصْلاً، أَمَّا لَوْ صَلَّى فِي وَقْتٍ وَسَلَّمَ فِي وَقْتٍ آخَرَ فَإِنَّهُ يَكُونُ مُمْتَثِلاً.

---

(١) كابن ماجه.

(٢) أي: عليك.

(٣) أي: دعائي.

(٤) بسند حسن.

(٥) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

الفصل الثالث

فِي ذِكْرِ مَحَبَّةِ أَصْحَابِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَآلِهِ وَقَرَابَتِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ وَذُرِّيَّتِهِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِينَ

قَالَ الطَّبَرَانِيُّ: اعْلَمْ أَنَّ اللّهَ تَعَالَى لَمَّا اصْطَفَى نَبِيَّهُ مُحَمَّداً ﷺ عَلَى جَمِيعِ مَنْ سِوَاهُ، وَخَصَّهُ بِمَا عَمَّهُ بِهِ مِنْ فَضْلِهِ الْبَاهِرِ وَحَبَاهُ، أَعْلَى بِبَرَكَتِهِ مَنِ انْتَمَى إِلَيْهِ نَسَباً أو نِسْبَةً، وَرَفَعَ مَنِ انْطَوَى عَلَيْهِ نُصْرَةً وَصُحْبَةً، وَأَلْزَمَ مَوَدَّةَ قُرْبَاهُ كَافَّةَ بَرِيَّتِهِ، وَفَرَضَ مَحَبَّةَ جُمْلَةِ أَهْلِ بَيْتِهِ الْمُعَظَّمِ وَذُرِّيَّتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾(١)، وَيُرْوَى أَنَّهَا لَمَّا نَزَلَتْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَنْ قَرَابَتُكَ هٰؤُلاَءِ؟ قَالَ: «**عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَابْنَاهُمَا**»(٢). وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾(٣).

---

(١) سورة الشورىٰ، الآية: ٢٣.

(٢) قال الولي العراقي: في إسناده حسين الأشقر شيعي مختلف فيه.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٣ .قال ابن كثير: هذه الآية نصٌّ في دخول أزواجه ﷺ، لأنهنّ سببُ نزول هذه الآية، ولهذا قال بعدها: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ﴾.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي الْمُرَادِ بِأَهْلِ الْبَيْتِ فِي هٰذِهِ الآيَة: فَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: أَنَّهَا نَزَلَتْ فِي نِسَاءِ النَّبِيِّ ﷺ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمٍ عَنْ عِكْرِمَةَ[(١)].

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ كَانَ فِي بَيْتِهِ[(٢)] إِذْ جَاءَتْ فَاطِمَةُ بِبُرْمَةٍ فِيهَا خَزِيرَةٌ، فَدَخَلَتْ عَلَيْهِ بِهَا فَقَالَ: **«ادْعِي زَوْجَكِ وَابْنَيْكِ»**، قَالَتْ: فَجَاءَ عَلِيٌّ وَحَسَنٌ وَحُسَيْنٌ، فَدَخَلُوا عَلَيْهِ، فَجَعَلُوا يَأْكُلُونَ مِنْ تِلْكَ الْخَزِيرَةِ، وَتَحْتَهُ كِسَاءٌ، قَالَتْ: وَأَنَا فِي الْحُجْرَةِ أُصَلِّي، فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَزَّ وَجَلَّ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾، قَالَتْ: فَأَخَذَ فَضْلَ الْكِسَاءِ[(٣)] وَغَشَّاهُمْ بِهِ[(٤)]، ثُمَّ أَخْرَجَ يَدَهُ فَأَلْوَى بِهَا إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ قَالَ: **«اللّٰهُمَّ هٰؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي وَحَامَّتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمُ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيراً»** قَالَتْ: فَأَدْخَلْتُ رَأْسِي مِنَ الْبَيْتِ فَقُلْتُ: وَأَنَا مَعَكُمْ يَا رَسُولَ اللّٰهِ! فَقَالَ: **«إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ، إِنَّكِ إِلَى خَيْرٍ»** رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

(وَالْخَزِيرَةُ: لَحْمٌ يُقْطَعُ صِغَاراً وَيُصَبُّ عَلَيْهِ مَاءٌ كَثِيرٌ، فَإِذَا نَضَجَ ذُرَّ عَلَيْهِ الدَّقِيقُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لَحْمٌ فَهِيَ عَصِيدَةٌ. وَالْكِسَاءُ: مِرْطٌ مِنْ شَعْرٍ، وَالْمِرْطُ: هُوَ كُلُّ ثَوْبٍ غَيْرِ مَخِيطٍ. وَحَامَّتِي: أَيْ خَاصَّتِي).

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ فِي خَمْسَةٍ: فِيَّ، وَفِي عَلِيٍّ، وَحَسَنٍ، وَحُسَيْنٍ، وَفَاطِمَةَ»**،

---

(١) عن ابن عباس: قال عكرمة: مَن شاء باهلتُه (أي: لاعَنتُه بأن يجعل اللّٰهُ اللعنةَ على الكاذب) أنها نزلت في نساء النبي ﷺ.

(٢) الصواب: في بيتها، كما في المواهب والشفا.

(٣) الزائدَ منه.

(٤) غطّاهم.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[1].

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ خَطِيباً، فَحَمِدَ اللّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ فَأُجِيبَهُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا: كِتَابُ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَتَمَسَّكُوا بِكِتَابِ اللّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخُذُوا بِهِ**»، وَحَثَّ فِيهِ وَرَغَّبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «**وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمُ اللّهَ فِي أَهْلِ بَيْتِي**» (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ) فَقِيلَ لِزَيْدٍ: مَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: بَلَى إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلٰكِنْ أَهْلُ بَيْتِهِ مَنْ حُرِمَ الْصَّدَقَةَ، قِيلَ: مَنْ هُمْ؟ قَالَ: آلُ عَلِيٍّ[2]، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ الْعَبَّاسِ، قِيلَ: كُلُّ هٰؤُلاَءِ حُرِمَ الْصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ. خَرَّجَهُ مُسْلِمٌ. (وَالثَّقَلُ: كُلُّ شَيْءٍ نَفِيسٍ مَصُونٍ).

وَلاَ يَشُكُّ مَنْ تَدَبَّرَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ أَنَّ نِسَاءَ النَّبِيِّ ﷺ دَاخِلاَتٌ فِي الآيَةِ الْكَرِيمَةِ، فَإِنَّ سِيَاقَ الْكَلاَمِ مَعَهُنَّ، وَهٰذَا اخْتِيَارُ ابْنِ عَطِيَّةَ بَعْدَ نَقْلِ أَنَّ الْجُمْهُورَ عَلَى أَنَّهُمْ: عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ.

وَرَوَى أَبُو سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِنِّي أُوشِكُ أَنْ أُدْعَى فَأُجِيبَ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمُ الثَّقَلَيْنِ: كِتَابَ اللّهِ، وَعِتْرَتِي، كِتَابُ اللّهِ حَبْلٌ مَمْدُودٌ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ، وَعِتْرَتِي: أَهْلُ بَيْتِي، وَإِنَّ اللَّطِيفَ الْخَبِيرَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُمَا لَنْ يَفْتَرِقَا حَتَّى يَرِدَا عَلَيَّ الْحَوْضَ، فَانْظُرُوا بِمَاذَا تَخْلُفُونِي فِيهِمَا**»[3]. (وَعِتْرَةُ الرَّجُلِ: أَهْلُهُ وَأَقَارِبُهُ). ا هـ

---

(١) رواه ابن جرير وأحمد والطبراني.

(٢) وهم: الحسن والحسين ومحسن وأم كلثوم، وكلهم من فاطمة رضي الله عنها.

(٣) رواه أحمد والترمذي وحسّنه. وروىٰ الحاكم في المستدرَك: «**تركت فيكم شيئين لن تضِلُّوا بعدهما: كتابَ الله وسنّتي، ولن يتفرّقا حتىٰ يردا عليَّ الحوض**».

وَعَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! ارْقُبُوا مُحَمَّداً فِي أَهْلِ بَيْتِهِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالْمُرَاقَبَةُ لِلشَّيْءِ: الْمُحَافَظَةُ عَلَيْهِ، يَقُولُ: احْفَظُوهُمْ وَلاَ تُؤْذُوهُمْ).

وَقَالَ أَيْضاً: لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللهِ ﷺ أَحبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي[1].

وَقَالَ ﷺ: «**أَحِبُّوا اللهَ لِمَا يَغْذُوكُمْ بِهِ، وَأَحِبُّونِي بِحُبِّ اللهِ، وَأَحِبُّوا أَهْلَ بَيْتِي بِحُبِّي**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَفِي الْمَنَاقِبِ لأَحْمَدَ: مَنْ أَبْغَضَ أَهْلَ الْبَيْتِ فَهُوَ مُنَافِقٌ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ[2] مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ لِعَلِيٍّ: «**أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلاَّ أَنَّهُ لاَ نَبِيَّ بَعْدِي**»، وَفِي لَفْظٍ آخَرَ: «**أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟**». وَلَمَّا كَانَ هَارُونَ إِنَّمَا كَانَ خَلِيفَةً فِي حَيَاةِ مُوسَى[3] دَلَّ ذٰلِكَ عَلَى تَخْصِيصِ خِلاَفَةِ عَلِيٍّ لِلنَّبِيِّ ﷺ بِحَيَاتِهِ، وَأَمَّا حَدِيثُ التِّرْمِذِيِّ وَالنَّسَائِيِّ: «**مَنْ كُنْتُ مَوْلاَهُ فَعَلِيٌّ مَوْلاَهُ**» فَقَدْ قَالَ الشَّافِعِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: يَعْنِي بِذٰلِكَ وَلاَءَ الإِسْلاَمِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَأَنَّ ٱلْكَٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾[4].

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَنْ آذَى عَلِيًّا فَقَدْ آذَانِي**» أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَأَخْرَجَ الْمُخَلِّصُ الذَّهَبِيُّ: «**مَنْ أَحَبَّ عَلِيًّا فَقَدْ أَحَبَّنِي**».

وَقَدْ ذَكَرَ النَّقَّاشُ أَنَّ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ ٱلرَّحْمَٰنُ وُدًّا ﴿٩٦﴾﴾[5] نَزَلَتْ فِي عَلِيٍّ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) ومسلم.

(٣) حتى إنه مات قبله.

(٤) سورة محمد، الآية: ١١.

(٥) سورة مريم، الآية: ٩٦.

وَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنَفِيَّةِ: لاَ تَجِدُ مُؤْمِناً إِلاَّ وَهُوَ يُحِبُّ عَلِيًا وَأَهْلَ بَيْتِهِ.

وَقَالَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَتْ فَاطِمَةُ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَزَوْجُهَا أَحَبَّ الرِّجَالِ إِلَيْهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: «**إِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي**». (وَالْبَضْعَةُ: قِطْعَةُ اللَّحْمِ)، وَاسْتَدَلَّ بِهِ السُّهَيْلِيُّ[1] عَلَى أَنَّ مَنْ سَبَّهَا يَكْفُرُ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ[2] مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي حَسَنٍ وَحُسَيْنٍ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُمَا، فَأَحِبَّهُمَا، وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُمَا**».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْحَافِظِ السِّلَفِيِّ قَالَ: مَا رَأَيْتُ الْحَسَنَ بْنَ عَلِيٍّ قَطُّ إِلاَّ فَاضَتْ عَيْنَايَ دُمُوعاً، وَذٰلِكَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْماً وَأَنَا فِي الْمَسْجِدِ، فَأَخَذَ بِيَدِي، وَاتَّكَأَ عَلَيَّ حَتَّى جِئْنَا سُوقَ قَيْنُقَاعَ، فَنَظَرَ فِيهِ، ثُمَّ رَجَعَ حَتَّى جَلَسَ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ قَالَ: «**ادْعُ ابْنِي**»، قَالَ: فَأَتَى الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَشْتَدُّ حَتَّى وَقَعَ فِي حِجْرِهِ، فَجَعَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَفْتَحُ فَمَهُ ثُمَّ يُدْخِلُ فَمَهُ فِي فَمِهِ وَيَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أُحِبُّهُ فَأَحِبَّهُ وَأَحِبَّ مَنْ يُحِبُّهُ**» (ثَلاَثَ مَرَّاتٍ).

وَقَالَ ﷺ: «**مَنْ أَحَبَّنِي وَأَحَبَّ هٰذَيْنِ وَأَبَاهُمَا وَأُمَّهُمَا كَانَ مَعِي فِي دَرَجَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ. وَلَيْسَ الْمُرَادُ بِالْمَعِيَّةِ هُنَا الْمَعِيَّةَ مِنْ حَيْثُ الْمَقَامِ، بَلْ مِنْ جِهَةِ رَفْعِ الْحِجَابِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ﴾[3].

وَعَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ قَالَ: رَأَيْتُ أَبَا بَكْرٍ حَمَلَ الْحَسَنَ وَهُوَ يَقُولُ: بِأَبِي[4]، شَبِيهٌ بِالنَّبِيِّ لَيْسَ شَبِيهاً بِعَلِيٍّ، وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ[5].

---

(١) صاحب الروض الأُنُف في شرح غريب السِّيَر، وهو شرح لسيرة ابن هشام.

(٢) بسند حسن غريب.

(٣) سورة النساء، الآية: ٦٩.

(٤) أي: أفديك بأبي.

(٥) رواه البخاري.

وَقَالَ ﷺ لِلْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لاَ يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الإِيمَانُ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ آذَى عَمِّي فَقَدْ آذَانِي، فَإِنَّمَا عَمُّ الرَّجُلِ صِنْوُ أَبِيهِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[1] وَقَالَ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

قَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: أَصْلُ الصِّنْوِ أَنْ تَطْلُعَ نَخْلَتَانِ مِنْ عِرْقٍ وَاحِدٍ، يُرِيدُ: أَنَّ أَصْلَ الْعَبَّاسِ وَأَصْلَ أَبِي وَاحِدٌ.

وَجَلَّلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَبَنِيهِ بِكِسَاءٍ ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْعَبَّاسِ وَوَلَدِهِ مَغْفِرَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً، لاَ تُغَادِرُ ذَنْباً إِلاَّ سَتَرَتْهُ**[2]**، اللَّهُمَّ احْفَظْهُ فِي وَلَدِهِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[3]، وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ السَّرِيِّ: غَطَّاهُمْ بِشَمْلَةٍ لَهُ سَوْدَاءَ مُخَطَّطَةٍ بِحُمْرَةٍ[4]، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ هٰؤُلاَءِ أَهْلُ بَيْتِي وَعِتْرَتِي، فَاسْتُرْهُمْ مِنَ النَّارِ كَسَتْرِهِمْ بِهٰذِهِ الشَّمْلَةِ**»، قَالَ: فَلَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ مَدَرَةٌ وَلاَ بَابٌ إِلاَّ أَمَّنَ[5].

(وَالْمَدَرَةُ: التُّرَابُ. وَأَمَّنَ: قَالَ: آمِينَ مُعْجِزَةً لَهُ ﷺ. وَالشَّمْلَةُ: الْكِسَاءُ، سُمِّيَ شَمْلَةً لأَنَّهُ يُشْتَمَلُ بِهِ).

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِعَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ: «**إِنِّي أُحِبُّكَ حُبَّيْنِ: حُبًّا لِقَرَابَتِكَ مِنِّي، وَحُبًّا لِمَا كُنْتُ أَعْلَمُ مِنْ حُبِّ عَمِّي لَكَ**»[6].

وَقَالَ ﷺ يَوْمَ حُنَيْنٍ: «**أَبُو سُفْيَانَ بْنُ الْحَارِثِ مِنْ خَيْرِ أَهْلِي**»[7].

---

(١) وابن ماجه.

(٢) لفظ: «إلا سترته» لا يوجد في الترمذي، ولا في المواهب.

(٣) وقال: حسن غريب.

(٤) وكانوا ستةً: الفضل، وعبدالله، وعبيدالله، وقُثَم، ومَعبَد، وعبدالرحمٰن.

(٥) رواه البيهقي وابن ماجه.

(٦) رواه البغوي.

(٧) رواه الدارقطني.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لاَ يُبْغِضُنَا أَهْلَ الْبَيْتِ أَحَدٌ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ النَّارَ»**.

وَاعْلَمْ أَنَّ الأَلْفَاظَ الأَرْبَعَةَ: آلَهُ، وَأَهْلَ بَيْتِهِ، وَعِتْرَتَهُ، وَذَوِي الْقُرْبَى، مَعَانِيهَا مُتَقَارِبَةٌ. وَقَدْ وَقَعَ الاصْطِلاَحُ عَلَى اخْتِصَاصِهِمْ مِنْ بَيْنِ ذَوِي الشَّرَفِ بِالشَّطْفَةِ الْخَضْرَاءِ[1] أَيَّامَ الْمَأْمُونِ الْعَبَّاسِيِّ، ثُمَّ انْقَطَعَ إِلَى أَوَاخِرِ الْقَرْنِ الثَّامِنِ، فَأَمَرَ السُّلْطَانُ الأَشْرَفُ سَنَةَ ثَلاَثٍ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِ مِئَةٍ أَنْ يَمْتَازُوا عَنِ النَّاسِ بِعَصَائِبَ خُضْرٍ عَلَى الْعَمَائِمِ، فَفُعِلَ ذٰلِكَ بِمِصْرَ وَالشَّامِ وَغَيْرِهِمَا.

وَأَمَّا الصَّحَابَةُ رِضْوَانُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ: فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾[2] إِلَى آخِرِ السُّورَةِ، أَخْبَرَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّداً ﷺ رَسُولُهُ حَقًّا مِنْ غَيْرِ شَكٍّ وَلاَ رَيْبٍ فَقَالَ: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾، ثُمَّ ثَنَّى بِالثَّنَاءِ عَلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ: ﴿وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْۖ﴾ كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[3]، فَوَصَفَهُمْ بِالشِّدَّةِ عَلَى الْكُفَّارِ، وَالرَّحْمَةِ بِالأَخْيَارِ، ثُمَّ أَثْنَى عَلَيْهِمْ بِكَثْرَةِ الأَعْمَالِ مَعَ الإِخْلاَصِ التَّامِّ[4]، فَمَنْ نَظَرَ إِلَيْهِمْ أَعْجَبَهُ سَمْتُهُمْ وَهَدْيُهُمْ لِخُلُوصِ نِيَّاتِهِمْ وَحُسْنِ أَعْمَالِهِمْ، ثُمَّ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾ أَيْ: أَفْرَاخَهُ ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أَيْ: شَدَّهُ وَقَوَّاهُ ﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ شَبَّ فَطَالَ ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ قُوَّتُهُ وَغِلَظُهُ وَحُسْنُ مَنْظَرِهِ، فَكَذٰلِكَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ ﷺ، آزَرُوهُ وَأَيَّدُوهُ وَنَصَرُوهُ، فَهُمْ مَعَهُ كَالشَّطْءِ مَعَ الزَّرْعِ

---

(١) وهي قطعة خضراء توضع على العمامة.

(٢) سورة الفتح، الآية: ٢٩.

(٣) سورة المائدة، الآية: ٥٤.

(٤) بقوله تعالى: ﴿تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًاۖ سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ﴾.

﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ﴾[1]. وَمِنْ هٰذِهِ الآيَةِ انْتَزَعَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللّهُ فِي رِوَايَةٍ عَنْهُ تَكْفِيرَ الرَّوَافِضِ الَّذِينَ يَبْغُضُونَ الصَّحَابَةَ، قَالَ: لأَنَّهُمْ يَغِيظُونَهُمْ، وَمَنْ غَاظَهُ الصَّحَابَةُ فَهُوَ كَافِرٌ، وَقَدْ وَافَقَهُ عَلَى ذٰلِكَ جَمَاعَةٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ.

وَالأَحَادِيثُ فِي فَضْلِ الصَّحَابَةِ كَثِيرَةٌ، وَيَكْفِي ثَنَاءُ اللّهِ عَلَيْهِمْ، وَرِضَاهُ عَنْهُمْ، وَقَدْ وَعَدَهُمْ اللّهُ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً، وَوَعْدُ اللّهِ حَقٌّ وَصِدْقٌ، لاَ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ، وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ.

قَالَ الإِمَامُ مَالِكٌ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: بَلَغَنِي أَنَّ النَّصَارَى كَانُوا إِذَا رَأَوْا الصَحَابَةَ الَّذِينَ فَتَحُوا الشَّامَ يَقُولُونَ: وَاللّهِ لَهٰؤُلاَءِ خَيْرٌ مِنَ الْحَوَارِيِّينَ فِيمَا بَلَغَنَا، وَصَدَقُوا، فَإِنَّ هٰذِهِ الأُمَّةَ الْمُحَمَّدِيَّةَ خُصُوصاً الصَحَابَةَ لَمْ يَزَلْ ذِكْرُهُمْ مُعَظَّماً فِي الْكُتُبِ الإِلٰهِيَّةِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِي ٱلْإِنجِيلِ﴾ الآيَةَ.

وَالْصَحَابِيُّ: مَنْ صَحِبَ النَّبِيَّ ﷺ أَوْ رَآهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَلَوْ سَاعَةً وَمَاتَ عَلَى ذٰلِكَ.

وَقَدْ أَجْمَعَ جُمْهُورُ الْعُلَمَاءِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ عَلَى أَنَّ أَصْحَابَهُ ﷺ خَيْرُ خَلْقِ اللّهِ، وَأَفْضَلُهُمْ بَعْدَ النَّبِيِّينَ وَخَوَاصِّ الْمَلاَئِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ، لِمَا رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي: وَالْقَرْنُ: أَهْلُ زَمَانٍ وَاحِدٍ مُتَقَارِبٍ اشْتَرَكُوا فِي أَمْرٍ مِنَ الأُمُورِ الْمَقْصُودَةِ، وَيُطْلَقُ عَلَى مُدَّةٍ مِنَ الزَّمَانِ اخْتَلَفُوا فِي تَحْدِيدِهَا مِنْ عَشَرَةِ أَعْوَامٍ إِلَى مِئَةٍ وَعِشْرِينَ.

وَالْمُرَادُ بِقَرْنِ النَّبِيِّ ﷺ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ: الْصَحَابَةُ.

---

(١) تمام الآية: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

وَآخِرُ مَنْ مَاتَ مِنهُمْ بِلاَ خِلاَفٍ «أَبُو الطُّفَيْلِ عَامِرُ بْنُ وَاثِلَةَ اللَّيْثِيُّ»، وَكَانَ مَوْتُهُ سَنَةَ مِئَةٍ عَلَى الصَّحِيحِ.

وَأَمَّا عِدَّةُ أَصْحَابِهِ ﷺ فَلاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ اللَّهُ تَعَالَى لِكَثْرَةِ مَنْ أَسْلَمَ مِنْ أَوَّلِ الْبِعْثَةِ إِلَى أَنْ مَاتَ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَ أَنَّهُ ﷺ قُبِضَ عَنْ مِئَةِ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٍ وَعِشْرِينَ أَلْفاً.

وَأَفْضَلُهُمْ عَلَى الإِطْلاَقِ عِنْدَ أَهْلِ السُّنَّةِ إِجْمَاعاً: أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا، وَذَهَبَ بَعْضُ السَّلَفِ إِلَى تَقْدِيمِ عَلِيٍّ عَلَى عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنهُمَا (وَمِمَّنْ قَالَ بِهِ سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ)، وَالْجَمْهُورُ عَلَى تَقْدِيمِ عُثْمَانَ، وَعَنْ مَالِكٍ الْوَقْفُ ـ أَيْ: لاَ يُفَضِّلُ أَحَدُهُمَا عَلَى الآخَرِ ـ.

قَالَ الإِمَامُ أَبُو مَنْصُورٍ الْبَغْدَادِيُّ: أَصْحَابُنَا مُجْمِعُونَ عَلَى أَنَّ أَفْضَلَهُمُ الْخُلَفَاءُ الأَرْبَعَةُ، ثُمَّ السِّتَّةُ تَمَامُ الْعَشَرَةِ (يَعْنِي: طَلْحَةَ، وَالزُّبَيْرَ، وَسَعْداً، وَسَعِيداً، وَعَبْدَالرَّحْمٰنِ بْنَ عَوْفٍ، وَأَبَا عُبَيْدَةَ عَامِرَ بْنَ الْجَرَّاحِ)، وَهُمُ الَّذِينَ بَشَّرَهُمْ النَّبِيُّ ﷺ بِالْجَنَّةِ فِي أَحَادِيثَ.

وَقَدْ رَوَى الطَّبَرِيُّ فِي الرِّيَاضِ(1): عَنْ أَنَسٍ مَرْفُوعاً(2) عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ حُبَّ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، كَمَا افْتَرَضَ الصَّلاَةَ وَالزَّكَاةَ وَالصَّوْمَ وَالْحَجَّ، فَمَنْ أَنْكَرَ فَضْلَهُمْ فَلاَ تُقْبَلُ مِنْهُ الصَّلاَةُ وَالزَّكَاةُ وَلاَ الصَّوْمُ وَلاَ الْحَجُّ**».

وَعَنْ أَنَسٍ أَيْضاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**حُبُّ أَبِي بَكْرٍ وَاجِبٌ عَلَى أُمَّتِي**»(3).

وَأَخْرَجَ الأَنْصَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! لَيْتَ**

(1) الرياض النَّضِرة في مناقب العَشَرة.

(2) وابن عساكر عن ابن عمر.

(3) رواه الحافظ السِّلَفيّ في مشيخته، والحاكم في تاريخه، وأبو نُعيم في فضائل الصحابة، والخطيب، والديلمي، وقال الذهبي في الميزان: منكر جداً.

أَنِّي لَقِيتُ إِخْوَانِي»، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! نَحْنُ إِخْوَانُكَ، قَالَ: **«لاَ، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، إِخْوَانِي الَّذِينَ لَمْ يَرَوْنِي، وَصَدَّقُوا بِي وَأَحَبُّونِي، حَتَّى إِنِّي لأَحَبُّ إِلَى أَحَدِهِمْ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ»**، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! أَمَا نَحْنُ إِخْوَانُكَ؟ قَالَ: **«لاَ، أَنْتُمْ أَصْحَابِي، أَلاَ تُحِبُّ يَا أَبَا بَكْرٍ قَوْماً أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِيَّاكَ؟»** قَالَ: **«فَأَحِبَّهُمْ مَا أَحَبُّوكَ بِحُبِّي إِيَّاكَ»**.

فَمَحَبَّةُ مَنْ أَحَبَّهُ الرَّسُولُ ﷺ كَآلِ بَيْتِهِ وَأَصْحَابِهِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمْ عَلاَمَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، كَمَا أَنَّ مَحَبَّتَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلاَمَةٌ عَلَى مَحَبَّةِ اللّٰهِ تَعَالَى، وَكَذٰلِكَ عَدَاوَةُ مَنْ عَادَاهُمْ وَبُغْضُ مَنْ أَبْغَضَهُمْ وَسَبَّهُمْ، فَمَنْ أَحَبَّ شَيْئاً أَحَبَّ مَنْ يحِبُّهُ وَأَبْغَضَ مَنْ يُبْغِضُهُ، قَالَ تَعَالَى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[1] فَحُبُّ آلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَأَصْحَابِهِ وَأَوْلاَدِهِ وَأَزْوَاجِهِ مِنَ الْوَاجِبَاتِ الْمُتَعَيِّنَاتِ، وَبُغْضُهُمْ مِنَ الْمُوبِقَاتِ الْمُهْلِكَاتِ.

وَمِنْ مَحَبَّتِهِمْ وُجُوبُ تَوْقِيرِهِمْ وَبِرِّهِمْ وَالْقِيَامِ بِحُقُوقِهِمْ وَالاقْتِدَاءِ بِهِمْ (بِأَنْ يَمْشِيَ عَلَى سَنَنِهِمْ وَآدَابِهِمْ وَأَخْلاَقِهِمْ)، وَالْعَمَلِ بِأَقْوَالِهِمْ مِمَّا لَيْسَ لِلْعَقْلِ فِيهِ مَجَالٌ، وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يُذْكَرُوا بِأَوْصَافِهِمُ الْجَمِيلَةِ عَلَى قَصْدِ التَّعْظِيمِ، فَقَدْ أَثْنَى اللّٰهُ عَلَيْهِمْ فِي كِتَابِهِ الْمَجِيدِ، وَمَنْ أَثْنَى اللّٰهُ عَلَيْهِ فَهُوَ وَاجِبُ الثَّنَاءِ.

قَالَ شَيْخُ الإِسْلاَمِ وَلِيُّ الدِّينِ الْعِرَاقِيُّ: مَنِ اعْتَرَفَ بِأَنَّ أَفْضَلَ الأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا ﷺ أَبُو بَكْرٍ ثُمَّ عُمَرُ ثُمَّ عُثْمَانُ ثُمَّ عَلِيٌّ لٰكِنَّهُ أَحَبَّ عَلِيًا أَكْثَرَ مِنْ أَبِي بَكْرٍ مَثَلاً: فَإِنْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دِينِيَّةً فَلاَ مَعْنَى لِذٰلِكَ، إِذِ الْمَحَبَّةُ لاَزِمَةٌ لِلأَفْضَلِيَّةِ، وَهٰذَا لَمْ يَعْتَرِفْ بِأَفْضَلِيَّةِ أَبِي بَكْرٍ إِلاَّ بِلِسَانِهِ، وَأَمَّا بِقَلْبِهِ فَهُوَ

---

(١) سورة المجادلة، الآية: ٢٢.

مُفضَّلٌ لِعَلِيٍّ لِكَوْنِهِ أَحَبَّهُ مَحبَّةً دِينِيَّةً زَائِدَةً عَلَى مَحَبَّةِ أَبِي بَكْرٍ، وَهٰذَا لاَ يَجُوزُ، وَإِنْ كَانَتِ الْمَحَبَّةُ الْمَذْكُورَةُ مَحَبَّةً دُنْيَوِيَّةً لِكَوْنِهِ مِنْ ذُرِّيَّةِ عَلِيٍّ أَوْ لِغَيْرِ ذٰلِكَ مِنَ الْمَعَانِي فَلاَ امْتِنَاعَ فِيهِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قَالَ سَهْلُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ التُّسْتَرِيُّ: لَمْ يُؤْمِنْ بِالرَّسُولِ ﷺ مَنْ لَمْ يُوَقِّرْ أَصْحَابَهُ وَلَمْ يُعِزَّ أَوَامِرَهُ.

وَمِمَّا يَجِبُ أَيْضاً الإِمْسَاكُ عَمَّا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ـ أَيْ: وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الاخْتِلاَفِ ـ وَالإِضْرَابُ عَنْ أَخْبَارِ الْمُؤَرِّخِينَ وَجَهَلَةِ الرُّوَاةِ وَضُلاَّلِ الشِّيعَةِ وَالْمُبْتَدِعِينَ الْقَادِحَةِ فِي أَحَدٍ مِنْهُمْ[1]، قَالَ ﷺ: «**إِذَا ذُكِرَ أَصْحَابِي فَأَمْسِكُوا**»[2].

وَأَنْ يُلْتَمَسَ لَهُمْ فِيمَا نُقِلَ مِنْ ذٰلِكَ فِيمَا كَانَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْفِتَنِ أَحْسَنُ التَّأْوِيلاَتِ، وَيُخْرَجَ لَهُمْ أَصْوَبُ الْمَخَارِجِ، إِذْ هُمْ أَهْلُ ذٰلِكَ، كَمَا هُوَ مَشْهُورٌ فِي مَنَاقِبِهِمْ وَمَعْدُودٌ مِنْ مَآثِرِهِمْ مِمَّا يَطُولُ إِيرَادُ بَعْضِهِ.

وَمَا وَقَعَ بَيْنَهُمْ مِنَ الْمُنَازَعَاتِ وَالْمُحَارَبَاتِ فَلَهُ مَحَامِلُ وَتَأْوِيلاَتٌ،

---

(١) ولمعرفة ذلك عليك بقراءة كتاب (الإنصاف فيما وقع في العصر الراشدي من الخلاف) لمحمد حامد خليفة، فإنه كتاب نفيس.

(٢) رواه الطبراني. وروىٰ مسلم عنه ﷺ: «**لا تسبُّوا أصحابي، فلو أنفق أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهباً ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه**» والمُد: مكيال مكعبٌ طول ضلعه ٩,٢ سانتي متراً.

وروىٰ الديلمي وأبو نُعيم في الحلية: «**مَن سبَّ أصحابي فعليه لعنةُ الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه صرفاً ولا عدلاً**» أي: نفلاً ولا فرضاً.

وروىٰ البزار والديلمي: «**إن الله اختار أصحابي علىٰ جميع العالمين سوىٰ النبيين والمرسلين، واختار لي منهم أربعة: أبا بكر وعمر وعثمان وعلياً، فجعلهم خير أصحابي، وفي أصحابي كلهم خير**».

وروىٰ الطبراني في الأوسط بسند حسن: «**مَن أحبَّ عمر فقد أحبَّني، ومَن أبغض عمر فقد أبغضني**».

فَسَبُّهُمْ وَالطَّعْنُ فِيهِمْ إِذَا كَانَ مِمَّا يُخَالِفُ الأَدِلَّةَ الْقَطْعِيَّةَ كُفْرٌ (كَقَذْفِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا) وَإِلاَّ فَبِدْعَةٌ وَفِسْقٌ، قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! احْفَظُونِي فِي أَخْتَانِي**[1] **وَأَصْهَارِي وَأَصْحَابِي، لاَ يُطَالِبَنَّكُمُ اللَّهُ بِمَظْلَمَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، فَإِنَّهَا لَيْسَتْ مِمَّا يُوهَبُ»** رَوَاهُ الْخِلَعِيُّ[2].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«اللَّهَ اللَّهَ فِي أَصْحَابِي، لاَ تَتَّخِذُوهُمْ غَرَضاً**[3] **مِنْ بَعْدِي، مَنْ أَحَبَّهُمْ فَقَدْ أَحَبَّنِي، وَمَنْ أَبْغَضَهُمْ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، وَمَنْ آذَاهُمْ فَقَدْ آذَانِي، وَمَنْ آذَانِي فَقَدْ آذَى اللَّهَ، فَيُوشِكُ أَنْ يُؤَاخِذَهُ»**[4] رَوَاهُ الْمُخَلِّصُ الذَّهَبِيُّ[5].

وَهٰذَا الْحَدِيثُ خُرِّجَ مَخْرَجَ الْوَصِيَّةِ بِأَصْحَابِهِ ﷺ عَلَى طَرِيقِ التَّأْكِيدِ وَالتَّرْغِيبِ فِي حُبِّهِمْ، وَالتَّرْهِيبِ عَنْ بُغْضِهِمْ، وَفِيهِ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّ حُبَّهُمْ مِنَ الإِيمَانِ وَبُغْضَهُمْ كُفْرٌ، لأَنَّهُ إِذَا كَانَ بُغْضُهُمْ بُغْضاً لَهُ كَانَ كُفْراً بِلاَ نِزَاعٍ لِلْحَدِيثِ السَّابِقِ: **«لَنْ يُؤْمِنَ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُونَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ نَفْسِهِ»**، وَهٰذَا يَدُلُّ عَلَى كَمَالِ قُرْبِهِمْ مِنْهُ بِتَنْزِيلِهِمْ مَنْزِلَةَ نَفْسِهِ، حَتَّى كَأَنَّ أَذَاهُمْ وَاقِعٌ عَلَيْهِ وَوَاصِلٌ إِلَيْهِ ﷺ.

وَفِي الْحَدِيثِ: **«مَنْ سَبَّ أَحَداً مِنْ أَصْحَابِي فَاجْلِدُوهُ»**[6].

---

(١) وهم أزواج بناته ﷺ.
(٢) والطبراني في الكبير.
(٣) هدفاً يرمىٰ إليه.
(٤) الصواب: **«ومَن آذىٰ الله فيوشك أن يأخذه الله»** كما في المواهب والترمذي.
(٥) والترمذي.
(٦) رواه تمّام في فوائده، والطبراني في معاجمه الثلاثة مرفوعاً.

المقصِد الثامن

فِي طِبِّهِ ﷺ لِذَوِي الأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ، وَتَعْبِيرِهِ الرُّؤْيَا، وَإِنْبَائِهِ بِالأَنْبَاءِ الْمُغَيَّبَاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ لاَ سَبِيلَ لأَحَدٍ إِلَى الإِحَاطَةِ بِنُقْطَةٍ مِنْ بِحَارِ مَعَارِفِهِ أَو قَطْرَةٍ مِمَّا أَفَاضَهُ اللّٰهُ تَعَالَى عَلَيْهِ مِنْ سَحَائِبِ عَوَارِفِهِ ﷺ، وَأَنْتَ إِذَا تَأَمَّلْتَ مَا مَنَحَهُ اللّٰهُ تَعَالَى بِهِ مِنْ جَوَامِعِ الْكَلِمِ، وَخَصَّهُ بِهِ مِنْ بَدَائِعِ الْحِكَمِ، وَحُسْنِ سَيْرِهِ، وَحِكَمِ حَدِيثِهِ، وَإِنْبَائِهِ بِأَنْبَاءِ الْقُرُونِ السَّالِفَةِ وَالأُمَمِ الْبَائِدَةِ وَالشَّرَائِعِ الْدَّائِرَةِ (كَقِصَصِ الأَنْبِيَاءِ مَعَ قَوْمِهِمْ، وَخَبَرِ مُوسَى مَعَ الْخَضِرِ، وَيُوسُفَ مَعَ إِخْوَتِهِ، وَأَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَذِي الْقَرْنَيْنِ، وَبَدْءِ الْخَلْقِ، وَأَخْبَارِ الْدَّارِ الآخِرَةِ، وَمَا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ وَالزَّبُورِ، وَصُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى)، وَإِظْهَارِ أَحْوَالِ الأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ وَأَسْرَارِ عُلُومِهِمْ، وَإِعْلاَمِهِ بِمَكْتُومِ شَرَائِعِهِمْ وَمُضَمَّنَاتِ كُتُبِهِمْ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا صَدَّقَهُ فِيهِ الْعُلَمَاءُ بِهَا، وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى تَكْذِيبِ مَا ذَكَرَ مِنْهَا، فَضْلاً عَمَّا أَفَاضَهُ مِنَ الْعِلْمِ، وَمَحَاسِنِ الأَدَبِ وَالشِّيَمِ، وَالْمَوَاعِظِ وَالْحِكَمِ، وَالتَّنْبِيهِ عَلَى طُرُقِ الْحُجَجِ الْعَقْلِيَّاتِ، وَالرَّدِّ عَلَى فِرَقِ الأُمَمِ بِبَرَاهِينِ الأَدِلَّةِ الْوَاضِحَاتِ، وَالإِشَارَةِ إِلَى فُنُونِ الْعُلُومِ الَّتِي اتَّخَذَ أَهْلُهَا كَلاَمَهُ فِيهَا قُدْوَةً (كَعُلُومِ الْعَرَبِيَّةِ، وَقَوَانِينِ الأَحْكَامِ الْشَّرْعِيَّةِ، وَالسِّيَاسَاتِ الْعَقْلِيَّةِ، وَمَعَارِفِ عَوَارِفِ الْحَقَائِقِ الْقَلْبِيَّةِ) إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ ضُرُوبِ الْعُلُومِ وَفُنُونِ الْمَعَارِفِ الْشَّامِلَةِ لِمَصَالِحِ أُمَّتِهِ (كَالطِّبِّ، وَعَبْرِ الرُّؤْيَا، وَالْحِسَابِ) وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحَدُّ؛ قَضَيْتَ[1] بِأَنَّ مَجَالَ

---

(١) جواب قوله في أول البحث: (وأنت إذا تأملت...).

هٰذَا الْبَابِ فِي حَقِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مُمْتَدٌّ تَنْقَطِعُ دُونَ نَفَاذِهِ الأَدِلاَّءُ[1]، وَأَنَّ بَحْرَ عِلْمِهِ وَمَعَارِفِهِ زَاخِرٌ لاَ تُكَدِّرُهُ الدِّلاَءُ، وَأَنَّ ذٰلِكَ يَسْتَحِيلُ أَنْ يَكُونَ مِنْ بَشَرٍ دُونَ أَنْ يَكُونَ اسْتِمْدَادُهُ مِنْ بِحَارِ الْقُدْرَةِ الإِلٰهِيَّةِ وَمَوَاهِبِهَا اللَّدُنِيَّةِ.

وَهٰذَا الْمَقْصِدُ يَشْتَمِلُ عَلَى ثَلاَثَةِ فُصُولٍ.

---

(١) أي: الأدلة.

الفصل الأول

فِي طِبِّهِ ﷺ لِذَوِي الأَمْرَاضِ وَالْعَاهَاتِ

اعْلَمْ أَنَّهُ قَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَعُودُ مَنْ مَرِضَ مِنْ أَصْحَابِهِ، حَتَّى إِنَّهُ لَقَدْ عَادَ غُلاماً كَانَ يَخْدِمُهُ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ؛ وَعَادَ عَمَّهُ أَبَا طَالِبٍ وَهُوَ مُشْرِكٌ؛ وَعَرَضَ عَلَيْهِمَا الإِسْلاَمَ، فَأَسْلَمَ الأَوَّلُ وَكَانَ يَهُودِيًّا.

وَكَانَ ﷺ يَدْنُو مِنَ الْمَرِيضِ، وَيَجْلِسُ عِنْدَ رَأْسِهِ، وَيَسْأَلُ عَنْ حَالِهِ وَيَقُولُ: «**كَيْفَ تَجِدُكَ؟**».

وَعَنْ جَابِرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: مَرِضْتُ، فَأَتَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَعُودُنِي وَأَبُو بَكْرٍ وَهُمَا مَاشِيَانِ، فَوَجَدَانِي أُغْمِيَ عَلَيَّ، فَتَوَضَّأَ النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ صَبَّ وَضُوءَهُ عَلَيَّ، فَأَفَقْتُ، فَإِذَا النَّبِيُّ ﷺ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[1].

وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَخُصَّ يَوْماً مِنَ الأَيَّامِ بِعِيَادَةِ الْمَرِيْضِ، وَلا وَقْتاً مِنَ الأَوْقَاتِ، فَتَرْكُ الْعِيَادَةِ يَوْمَ السَّبْتِ مُخَالِفٌ لِلسُّنَّةِ ابْتَدَعَهُ يَهُودِيٌّ طَبِيبٌ[2]،

---

(١) مسلم وأبو داود والترمذي.

(٢) لملِك قد مرض وألزمه بملازمته، فأراد يوم الجمعة أن يمضي لسبته فمنعه، فخاف علىٰ استحلال سبته ومِن سفْكِ دمه فقال: إن المريض لا يُدخَل عليه يوم السبت، فتركه الملك، ثم أشيع ذلك، وصار كثير من الناس يعتمده.

وَيَنْبَغِي اجْتِنَابُ التَّطْبِيبِ بِأَعْدَاءِ الدِّينِ مِنْ يَهُودِيٍّ أَوْ نَحْوِهِ، لاَ سِيَّمَا إِنْ كَانَ الْمَرِيضُ كَبِيراً فِي دِينِهِ أَوْ عِلْمِهِ.

وَمِمَّا كَانَ يَفْعَلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَيَأْمُرُ بِهِ: تَطْيِيبُ نُفُوسِ الْمَرْضَى وَتَقْوِيَةُ قُلُوبِهِمْ، فَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«إِذَا دَخَلْتُمْ عَلَى الْمَرِيضِ فَنَفِّسُوا فِي أَجَلِهِ**[1]**، فَإِنَّ ذٰلِكَ يُطَيِّبُ نَفْسَهُ»**[2]، وَفِي هٰذَا الْحَدِيثِ نَوْعٌ شَرِيفٌ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِلاَجِ، وَهُوَ الإِرْشَادُ إِلَى مَا يُطَيِّبُ نَفْسَ الْعَلِيلِ مِنَ الْكَلاَمِ الَّذِي تَقْوَى بِهِ الطَّبِيعَةُ وَتَنْتَعِشُ بِهِ الْقُوَّةُ، وَفِي تَفْرِيحِ نَفْسِ الْمَرِيضِ وَتَطْيِيبِ قَلْبِهِ وَإِدْخَالِ السُّرُورِ عَلَيْهِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي شِفَاءِ عِلَّتِهِ وَخِفَّتِهَا.

قَالَ فِي الْهَدْيِ[3]: وَكَانَ ﷺ يَسْأَلُ الْمَرِيضَ عَنْ شَكْوَاهُ وَكَيْفَ يَجِدُ وَعَمَّا يَشْتَهِيهِ، فَإِنِ اشْتَهَى شَيْئاً وَعَلِمَ أَنَّهُ لاَ يَضُرُّهُ أَمَرَ لَهُ بِهِ، وَيَضَعُ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ، وَرُبَّمَا وَضَعَهَا بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَيَدْعُو لَهُ، وَيَصِفُ لَهُ مَا يَنْفَعُهُ فِي عِلَّتِهِ، وَرُبَّمَا تَوَضَّأَ وَصَبَّ عَلَى الْمَرِيضِ مِنْ وَضُوئِهِ، وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ لِلْمَرِيضِ: **«لاَ بَأْسَ عَلَيْكَ، طَهُورٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»**، وَرُبَّمَا كَانَ يَقُولُ: **«كَفَّارَةٌ وَطَهُورٌ»**.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا عَادَ مَرِيضاً يَضَعُ يَدَهُ عَلَى الْمَكَانِ الَّذِي يَأْلَمُ ثُمَّ يَقُولُ: **«بِسْمِ اللَّهِ»**[4].

وَقَالَ ﷺ: **«تَمَامُ عِيَادَةِ الْمَرِيضِ أَنْ يَضَعَ أَحَدُكُمْ يَدَهُ عَلَى جَبْهَتِهِ فَيَسْأَلُهُ كَيْفَ هُوَ»** أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي رِوَايَةٍ[5]: **«كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟ وَكَيْفَ أَمْسَيْتَ»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«مَا أَنْزَلَ اللَّهُ**

---

(١) أي: وسّعوا له، وأطمِعوه في طول الحياة.

(٢) رواه الترمذي وابن ماجه بسند ضعيف.

(٣) أي: النبوي.

(٤) رواه أبو يعلىٰ بسند حسن.

(٥) لابن السنّي.

دَاءَ إِلاَّ وَأَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَرَوَىٰ أَصْحَابُ السُّنَنِ عَنْ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ: **«تَدَاوُوا يَا عِبَادَ اللّٰهِ! فَإِنَّ اللّٰهَ لَمْ يَضَعْ دَاءً إِلاَّ وَضَعَ لَهُ شِفَاءً إِلاَّ دَاءً وَاحِداً، وَهُوَ الْهَرَمُ»** وَفِي لَفْظٍ: **«إِلاَّ السَّامَ»** وَهُوَ الْمَوْتُ، يَعْنِي: إِلاَّ دَاءَ الْمَوْتِ ـ أَيْ: الْمَرَضَ الَّذِي قُدِّرَ عَلَى صَاحِبِهِ الْمَوْتُ فِيهِ ـ.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَتَدَاوُوا، وَلاَ تَدَاوَوْا بِحَرَامٍ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: **«إِنَّ اللّٰهَ تَعَالَى لَمْ يَجْعَلْ شِفَاءَكُمْ فِيمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ»**. فَلاَ يَجُوزُ التَّدَاوِي بِالْحَرَامِ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ جَابِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءٌ، فَإِذَا أُصِيبَ دَوَاءُ الدَّاءِ بَرَأَ بِإِذْنِ اللّٰهِ تَعَالَى»**.

وَفِي هٰذِهِ الأَحَادِيثِ الإِشَارَةُ إِلَى إِثْبَاتِ الأَسْبَابِ، وَأَنَّ ذٰلِكَ لاَ يُنَافِي التَّوَكُّلَ، كَمَا لاَ يُنَافِيهِ دَفْعُ الْجُوعِ وَالْعَطَشِ بِالأَكْلِ وَالشُّرْبِ، وَكَذٰلِكَ تَجَنُّبُ الْمُهْلِكَاتِ، وَالدُّعَاءُ بِطَلَبِ الشِّفَاءِ وَدَفْعِ الْمَضَارِّ، وَغَيْرُ ذٰلِكَ.

وَوَرَدَ فِي خَبَرٍ إِسْرَائِيلِيٍّ(١): أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: يَا رَبِّ مِمَّنِ الدَّاءُ؟ قَالَ: مِنِّي، قَالَ: فَمِمَّنِ الدَّوَاءُ؟ قَالَ: مِنِّي، قَالَ: فَمَا بَالُ الطَّبِيبِ؟ قَالَ: رَجُلٌ أُرْسِلُ الدَّوَاءَ عَلَى يَدَيْهِ.

وَأَيْنَ يَقَعُ طِبُّ حُذَّاقِ الأَطِبَّاءِ الَّذِي غَايَتُهُ أَنْ يَكُونَ مَأْخُوذاً مِنْ قِيَاسٍ وَحَدْسٍ(٢) وَتَجْرِبَةٍ مِنَ الْوَحْيِ الَّذِي يُوحِيهِ اللّٰهُ تَعَالَى إِلَى رَسُولِهِ ﷺ بِمَا يَنْفَعُ وَيَضُرُّ، فَنِسْبَةُ مَا عِنْدَ حُذَّاقِ الأَطِبَّاءِ مِنَ الطِّبِّ إِلَى هٰذَا الْوَحْيِ كَنِسْبَةِ مَا

---

(١) حكاه ابن القيّم.

(٢) تخمين.

عِنْدَهُمْ مِنَ الْعُلُومِ إِلَى مَا جَاءَ بِهِ ﷺ، بَلْ هٰهُنَا مِنَ الأَدْوِيَةِ الَّتِي تَشْفِي مِنَ الأَمْرَاضِ مَا لَمْ تَهْتَدِ إِلَيْهَا عُقُولُ أَكَابِرِ الأَطِبَّاءِ، وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهَا عُلُومُهُمْ وَتَجْرِبَتُهُمْ وَأَقْيِسَتُهُمْ مِنَ الأَدْوِيَةِ الْقَلْبِيَّةِ وَالرُّوحَانِيَّةِ، وَقُوَّةِ الْقَلْبِ وَاعْتِمَادِهِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى وَالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ وَالانْكِسَارِ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَالصَّدقَةِ وَالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ وَالتَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ، وَالإِحْسَانِ إِلَى الْخَلْقِ، وَالتَّفْرِيجِ عَنِ الْمَكْرُوبِ، فَإِنَّ هٰذِهِ الأَدْوِيَةَ قَدْ جَرَّبَتْهَا الأُمَمُ عَلَى اخْتِلاَفِ أَدْيَانِهَا وَمِلَلِهَا، فَوَجَدُوا لَهَا مِنَ التَّأْثِيرِ فِي الشِّفَاءِ مَا لَمْ يَصِلْ إِلَيْهِ عِلْمُ أَعْلَمِ الأَطِبَّاءِ.

قَالَ فِي الأَصْلِ(١): وَقَدْ جَرَّبْتُ ذٰلِكَ وَاللَّهِ مَرَّاتٍ فَوَجَدْتُهُ يَفْعَلُ مَا لَمْ تَفْعَلْهُ الأَدْوِيَةُ الْحِسِّيَّةُ.

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ طِبَّ النَّبِيِّ ﷺ مُتَيَقَّنُ الْبُرْءِ لِصُدُورِهِ عَنِ الْوَحْيِ وَمِشْكَاةِ النُّبُوَّةِ، وَطِبُّ غَيْرِهِ أَكْثَرُهُ حَدْسٌ وَتَجْرِبَةٌ، وَقَدْ يَتَخَلَّفُ الشِّفَاءُ عَنْ بَعْضِ مَنْ يَسْتَعْمِلُ طِبَّ النُّبُوَّةِ وَذٰلِكَ لِمَانِعٍ قَامَ بِالْمُسْتَعْمِلِ مِنْ ضَعْفِ اعْتِقَادِ الشِّفَاءِ بِهِ وَتَلَقِّيهِ بِالْقَبُولِ، وَأَظْهَرُ الأَمْثِلَةِ فِي ذٰلِكَ الْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ شِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ، وَمَعَ ذٰلِكَ فَقَدْ لاَ يَحْصُلُ لِبَعْضِ النَّاسِ شِفَاءُ صَدْرِهِ بِهِ لِقُصُورِهِ فِي الاعْتِقَادِ وَالتَّلَقِّي بِالْقَبُولِ، بَلْ لا يَزِيدُ الْمُنَافِقَ إِلاَّ رِجْساً إِلَى رِجْسِهِ وَمَرَضاً إِلَى مَرَضِهِ، فَطِبُّ النُّبُوَّةِ لاَ يُنَاسِبُ إِلاَّ الأَبْدَانَ الطَّيِّبَةَ، كَمَا أَنَّ شِفَاءَ الْقُرْآنِ لاَ يُنَاسِبُ إِلاَّ الأَرْوَاحَ الطَّيِّبَةَ وَالْقُلُوبَ الْحَيَّةَ، فَإِعْرَاضُ النَّاسِ عَنْ طِبِّ النُّبُوَّةِ كَإِعْرَاضِهِمْ عَنِ الاسْتِشْفَاءِ بِالْقُرْآنِ الَّذِي هُوَ الشِّفَاءُ النَّافِعُ.

وَكَانَ عِلاَجُهُ ﷺ لِلْمَرْضَى عَلَى ثَلاَثَةِ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: بِالأَدْوِيَةِ الإِلٰهِيَّةِ الرُّوحَانِيَّةِ.

وَالثَّانِي: بِالأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ.

وَالثَّالِثُ: بِالْمُرَكَّبِ مِنَ الأَمْرَيْنِ.

---

(١) وهو المواهب اللدنيّة.

النوع الأول
فِي طِبِّهِ ﷺ بِالأَدْوِيَةِ الإِلٰهِيَّةِ

اعْلَمْ أَنَّ اللّهَ تَعَالَى لَمْ يُنْزِلْ مِنَ السَّمَاءِ شِفَاءً قَطُّ أَعَمَّ وَلاَ أَنفَعَ وَلاَ أَعْظَمَ وَلاَ أَنْجَعَ[١] فِي إِزَالَةِ الدَّاءِ مِنَ الْقُرْآنِ؛ فَهُوَ لِلدَّاءِ شِفَاءٌ، وَلِصَدَا الْقُلُوبِ جِلاَءٌ، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٢]، وَمِنْ: لِلْجِنْسِ لاَ لِلتَّبْعِيضِ، فَالْقُرْآنُ شِفَاءٌ مِنَ الأَمْرَاضِ الرُّوحَانِيَّةِ (كَالاعْتِقَادَاتِ الْبَاطِلَةِ، وَالأَخْلاَقِ الْمَذْمُومَةِ)، وَشِفَاءٌ مِنَ الأَمْرَاضِ الْجِسْمَانِيَّةِ، لأَنَّ التَّبَرُّكَ بِقِرَاءَتِهِ يَنْفَعُ كَثِيراً مِنَ الأَمْرَاضِ، قَالَ ﷺ: **«مَنْ لَمْ يَسْتَشْفِ بِالْقُرْآنِ فَلاَ شَفَاهُ اللّهُ»**[٣].

وَنُقِلَ عَنِ الشَّيْخِ أَبِي الْقَاسِمِ الْقُشَيْرِيِّ رَحِمَهُ اللّهُ: أَنَّ وَلَدَهُ مَرِضَ مَرَضاً شَدِيداً حَتَّى أَشْرَفَ عَلَى الْمَوْتِ، فَاشْتَدَّ عَلَيْهِ الأَمْرُ، قَالَ: فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي الْمَنَام، فَشَكَوْتُ إِلَيْهِ مَا بِوَلَدِي، فَقَالَ: أَيْنَ أَنْتَ مِنْ آيَاتِ الشِّفَاءِ؟ فَانْتَبَهْتُ فَأَفْكَرْتُ فِيهَا[٤]، فَإِذَا هِيَ فِي سِتَّةِ مَوَاضِعَ مِنْ كِتَابِ اللّهِ، وَهِيَ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾[٥]، ﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾[٦]، ﴿يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾[٧]، ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ ٱلْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[٨]، ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ

---

(١) أنفع وأظهر أثراً.
(٢) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.
(٣) رواه الدارقطني.
(٤) أي: فكّرت.
(٥) سورة التوبة، الآية: ١٤.
(٦) سورة يونس، الآية: ٧٧.
(٧) سورة النحل، الآية: ٦٠.
(٨) سورة الإسراء، الآية: ٨٢.

يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾[1]، ﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ﴾[2]. قَالَ: فَكَتَبْتُهَا، ثُمَّ حَلَلْتُهَا بِالْمَاءِ، وَسَقَيْتُهُ إِيَّاهَا، فَكَأَنَّمَا نُشِطَ مِنْ عِقَالٍ. (قَوْلُهُ نُشِطَ: أَيْ حُلَّ، وَالعِقَالُ: الْحَبْلُ الَّذِي يُعْقَلُ بِهِ الْبَعِيرُ).

وَتَأَمَّلْ قَوْلَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي بَعْضِ أَدْعِيَتِهِ: «**وَأَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي، وَشِفَاءَ صَدْرِي**»[3].

وَرَوَى عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**خَيْرُ الدَّوَاءِ الْقُرْآنُ**»[4].

وَهٰهُنَا أَمْرٌ يَنْبَغِي أَنْ يُتَفَطَّنَ لَهُ، نَبَّهَ عَلَيْهِ ابْنُ الْقَيِّمِ، وَهُوَ: أَنَّ الآيَاتِ وَالأَذْكَارَ وَالأَدْعِيَةَ الَّتِي يُسْتَشْفَى بِهَا وَيُرْقَى بِهَا هِيَ فِي نَفْسِهَا نَافِعَةٌ شَافِيَةٌ، وَلَكِنْ تَسْتَدْعِي قَبُولَ الْمَحَلِّ، وَقُوَّةَ هِمَّةِ الْفَاعِلِ وَتَأْثِيرِهِ، فَمَتَى تَخَلَّفَ الشِّفَاءُ كَانَ لِضَعْفِ تَأْثِيرِ الْفَاعِلِ، أَوْ لِعَدَمِ قَبُولِ الْمَحَلِّ الْمُنْفَعِلِ، أَوْ لِمَانِعٍ قَوِيٍّ فِيهِ يَمْنَعُ أَنْ يَنْجَعَ فِيهِ الدَّوَاءُ، كَمَا يَكُونُ ذٰلِكَ فِي الأَدْوِيَةِ وَالأَدْوَاءِ[5] الْحِسِّيَّةِ.

وَمِنْ أَنْفَعِ الأَدْوِيَةِ الدُّعَاءُ، وَهُوَ عَدُوُّ الْبَلاَءِ، يُدَافِعُهُ وَيُعَالِجُهُ وَيَمْنَعُ نُزُولَهُ، وَيَرْفَعُهُ أَوْ يُخَفِّفُهُ إِذَا نَزَلَ، وَهُوَ سِلاَحُ الْمُؤْمِنِ، وَإِذَا جُمِعَ مَعَ الدُّعَاءِ حُضُورُ الْقَلْبِ، وَصَادَفَ وَقْتاً مِنْ أَوْقَاتِ الإِجَابَةِ (كَثُلُثِ اللَّيْلِ الأَخِيرِ)، مَعَ الْخُضُوعِ وَالانْكِسَارِ وَالذُّلِّ، وَاسْتِقْبَالِ الْقِبْلَةِ، وَالطَّهَارَةِ، وَرَفْعِ الْيَدَيْنِ، وَالْبُدَاءَةِ بِالْحَمْدِ وَالثَّنَاءِ عَلَى اللّهِ تَعَالَى وَالصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ﷺ، بَعْدَ التَّوْبَةِ وَالاسْتِغْفَارِ وَالصَّدَقَةِ، وَأَلَحَّ فِي الْمَسْأَلَةِ، وَأَكْثَرَ

---

(١) سورة الشعراء، الآية: ٨٠.

(٢) سورة فصّلت، الآية: ٤٤.

(٣) رواه أحمد.

(٤) رواه ابن ماجه بسند ضعيف.

(٥) جمع داء.

التَّمَلُّقَ[1] وَالدُّعَاءَ وَالتَّوَسُّلَ إِلَيْهِ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَتَوَجُّهَ إِلَيْهِ بِنَبِيِّهِ ﷺ؛ فَإِنَّ هٰذَا الدُّعَاءَ لاَ يَكَادُ يُرَدُّ أَبداً، لاَ سِيَّمَا إِنْ دَعَا بِالأَدْعِيَةِ الَّتِي أَخْبَرَ ﷺ أَنَّهَا مَظِنَّةُ الإِجَابَةِ، أَوْ أَنَّهَا مُتَضَمِّنَةٌ لِلاسْمِ الأَعْظَمِ.

وَأَمَّا الرُّقَى: فَاعْلَمْ أَنَّ الرَّقْيَ بِالْمُعَوِّذَاتِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَسْمَاءِ اللّهِ تَعَالَى هُوَ الطِّبُّ الرُّوحَانِيُّ، فَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَنْفُثُ[2] عَلَى نَفْسِهِ فِي الْمَرَضِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ (وَهِيَ: الْفَلَقُ، وَالنَّاسُ، وَالإِخْلاَصُ).

وَمِنَ الطِّبِّ الرُّوحَانِيِّ: كُلُّ مَا وَرَدَ مِنَ التَّعْوِيذِ فِي الْقُرْآنِ، كَقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾﴾[3].

وَقَدْ أَجْمَعَ الْعُلَمَاءُ عَلَى جَوَازِ الرُّقَى عِنْدَ اجْتِمَاعِ ثَلاَثَةِ شُرُوطٍ: أَنْ تَكُونَ بِكَلاَمِ اللّهِ تَعَالَى أَوْ بِأَسْمَائِهِ وَصِفَاتِهِ، وَبِاللِّسَانِ الْعَرَبِيِّ أَوْ بِمَا يُعْرَفُ مَعْنَاهُ مِنْ غَيْرِهِ، وَأَنْ يَعْتَقِدَ أَنَّ الرُّقْيَةَ لاَ تُؤَثِّرُ بِذَاتِهَا بَلْ بِتَقْدِيرِ اللّهِ تَعَالَى.

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ: كُنَّا نَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللّهِ! كَيْفَ تَرَى فِي ذٰلِكَ؟ فَقَالَ: «**اعْرِضُوا عَلَيَّ رُقَاكُمْ، لاَ بَأْسَ بِالرَّقْيِ إِذَا لَمْ يَكُنْ فِيهِ شِرْكٌ**».

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: نَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنِ الرُّقَى، فَجَاءَ آلُ عَمْرِو بْنِ حَزْمٍ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّهُ كَانَتْ عِنْدَنَا رُقْيَةٌ نَرْقِي بِهَا مِنَ الْعَقْرَبِ، قَالَ: «**اعْرِضُوهَا عَلَيَّ**»، قَالَ: فَعَرَضُوا عَلَيْهِ، قَالَ: «**مَا أَرَى بَأْساً، مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَنْفَعْهُ**».

---

(١) التضرُّع.

(٢) ينفخ.

(٣) سورة المؤمنون، الآية: ٩٧.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: رَخَّصَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ **فِي الرُّقَى مِنَ الْعَيْنِ وَالْحُمَةِ**[١] **وَالنَّمْلَةِ**[٢]، وَفِي حَدِيثٍ آخَرَ: وَالأُذُنِ - أَيْ: وَجَعِهَا -، وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ: وَالدَّمِ.

رُقْيَةُ الَّذِي يُصَابُ بِالْعَيْنِ:

رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْعَيْنُ حَقٌّ، وَلَوْ كَانَ شَيْءٌ سَابَقَ الْقَدَرَ لَسَبَقَتْهُ الْعَيْنُ**»، أَيْ: الإِصَابَةُ بِالْعَيْنِ شَيْءٌ ثَابِتٌ مَوْجُودٌ، وَالتَّأْثِيرُ إِنَّمَا هُوَ بِإِرَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَخَلْقِهِ.

وَالعِلاَجُ النَّبَوِيُّ لِهٰذِهِ الْعِلَّةِ: الإِكْثَارُ مِنْ قِرَاءَةِ الْمُعَوِّذَتَيْنِ وَالْفَاتِحَةِ وَآيَةِ الْكُرْسِيِّ وَالتَّعَوُّذَاتِ النَّبَوِيَّةِ، نَحْو: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ شَرِّ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ**[٣]، **وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**»[٤] أَيْ: مُصِيبَةٍ بِسُوءٍ، وَنَحْوُ: «**أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ الَّتِي لاَ يُجَاوِزُهُنَّ بَرٌّ وَلاَ فَاجِرٌ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ وَذَرَأَ وَبَرَأَ**[٥]، **وَمِنْ شَرِّ مَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَعْرُجُ فِيهَا، وَمِنْ شَرِّ مَا ذَرَأَ فِي الأَرْضِ، وَمِنْ شَرِّ مَا يَخْرُجُ مِنْهَا، وَمِنْ شَرِّ فِتَنِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَمِنْ شَرِّ طَوَارِقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، إِلاَّ طَارِقاً يَطْرُقُ بِخَيْرٍ يَا رَحْمٰنُ**»[٦].

وَإِذَا كَانَ يَخْشَى ضَرَرَ عَيْنِهِ وَإِصَابَتَهَا لِلْمَعِينَ فَلْيَدْفَعْ شَرَّهَا بِقَوْلِهِ: اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَيْهِ. وَمِمَّا يَدْفَعُ بِهِ إِصَابَةَ الْعَيْنِ قَوْلُ: مَا شَاءَ اللَّهُ، لاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ.

وَمِنْهَا: رُقْيَةُ جِبْرِيلَ لِلنَّبِيِّ ﷺ، كَمَا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: «**بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ مِنْ**

---

(١) السّم.

(٢) القروح.

(٣) كل ذات سَمّ يقتل كالحيّة.

(٤) رواه البخاري.

(٥) ذرأ وبرأ معناهما: خلق.

(٦) رواه الطبراني في الصغير.

كُلِّ شَيْءٍ يُؤْذِيكَ، مِنْ شَرِّ كُلِّ ذِي نَفْسٍ أَوْ عَيْنِ حَاسِدٍ اللَّهُ يَشْفِيكَ، بِسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ».

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ أَبَاهُ سَهْلَ بْنَ حُنَيْفٍ حَدَّثَهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ خَرَجَ وَسَارُوا مَعَهُ نَحْوَ مَاءٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ بِشِعْبِ[1] الْخَرَّارِ مِنَ الْجُحْفَةِ اغْتَسَلَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ، وَكَانَ أَبْيَضَ حَسَنَ الْجِسْمِ وَالْجِلْدِ، فَنَظَرَ إِلَيْهِ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ فَقَالَ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ وَلاَ جِلْدَ مُخَبَّأَةٍ[2]، فَلُبِطَ سَهْلٌ - أَيْ: صُرِعَ - وَسَقَطَ إِلَى الأَرْضِ، فَأَتَى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«هَلْ تَتَّهِمُونَ مِنْ أَحَدٍ؟»** قَالُوا: عَامِرَ بْنَ رَبِيعَةَ، فَدَعَا عَامِراً، فَتَغَيَّظَ عَلَيْهِ[3] فَقَالَ: **«عَلاَمَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ؟ هَلاَّ إِذَا رَأَيْتَ مَا يُعْجِبُكَ بَرَّكْتَ[4]»**، ثُمَّ قَالَ: **«اغْتَسِلْ لَهُ»**، فَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ وَمِرْفَقَيْهِ وَرُكْبَتَيْهِ وَأَطْرَافَ رِجْلَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ فِي قَدَحٍ، ثُمَّ صَبَّ ذَلِكَ الْمَاءَ عَلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ عَلَى رَأْسِهِ وَظَهْرِهِ، ثُمَّ كُفِئَ[5] الْقَدَحُ، فَفَعَلَ ذَلِكَ، فَرَاحَ سَهْلٌ مَعَ النَّاسِ لَيْسَ بِهِ بَأْسٌ. (قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَالْمُرَادُ بِدَاخِلَةِ الإِزَارِ: مَا يَلِي جَسَدَهُ مِنَ الإِزَارِ).

ذِكْرُ رُقْيَةِ النَّبِيِّ ﷺ الَّتِي كَانَ يَرْقِي بِهَا لاَ فِي دَاءٍ بِعَيْنِهِ:

عَنْ عَبْدِالْعَزِيزِ قَالَ: دَخَلْتُ أَنَا وَثَابِتٌ عَلَى أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، فَقَالَ ثَابِتٌ: يَا أَبَا حَمْزَةَ! اشْتَكَيْتُ[6]، فَقَالَ أَنَسٌ: أَرْقِيكَ بِرُقْيَةِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: بَلَى! قَالَ: قُلْ: **«اللَّهُمَّ رَبَّ النَّاسِ مُذْهِبَ الْبَأْسِ اشْفِ أَنْتَ الشَّافِي،**

---

(١) الشِّعْب: الطريق بين الجبلين.

(٢) عذراء.

(٣) أظهر غضبه عليه.

(٤) قلتَ: اللهم بارك فيه.

(٥) قُلِب.

(٦) توجّعتُ.

لاَ شَافِيَ إِلاَّ أَنتَ، شِفَاءً لاَ يُغَادِرُ سَقَماً» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَمَعْنَى لاَ يُغَادِرُ: لاَ يَتْرُكُ).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ أَبِي الْعَاصِ: أَنَّهُ شَكَى إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَجَعاً يَجِدُهُ فِي جَسَدِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«ضَعْ يَدَكَ عَلَى الَّذِي تَأَلَّمَ مِنْ جَسَدِكَ وَقُلْ: بِسْمِ اللَّهِ ثَلاَثاً، وَقُلْ سَبْعَ مَرَّاتٍ: أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللَّهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ[1]»**.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْفَزَعِ وَالأَرَقِ الْمَانِعِ مِنَ النَّوْمِ:

عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: شَكَا خَالِدٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا أَنَامُ اللَّيْلَ مِنَ الأَرَقِ، فَقَالَ ﷺ: **«إِذَا أَوَيْتَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ رَبَّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ وَمَا أَظَلَّتْ، وَرَبَّ الأَرَضِينَ السَّبْعِ وَمَا أَقَلَّتْ[2]، وَرَبَّ الشَّيَاطِينِ وَمَا أَضَلَّتْ، كُنْ لِي جَاراً مِنْ شَرِّ خَلْقِكَ كُلِّهِمْ جَمِيعاً أَنْ يَفْرُطَ[3] عَلَيَّ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَوْ يَبْغِيَ عَلَيَّ، عَزَّ جَارُكَ، وَجَلَّ ثَنَاؤُكَ، وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[4].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ حَرِّ الْمُصِيبَةِ بِبَرْدِ الرُّجُوعِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى:

رَوَى مُسْلِمٌ وَمَالِكٌ وَأَحْمَدُ[5] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«مَا مِنْ أَحَدٍ تُصِيبُهُ مُصِيبَةٌ فَيَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، اللَّهُمَّ أْجُرْنِي فِي مُصِيبَتِي، وَأَخْلِفْ لِي خَيْراً مِنْهَا؛ إِلاَّ أَجَرَهُ اللَّهُ فِي مُصِيبَتِهِ، وَأَخْلَفَ لَهُ خَيْراً مِنْهَا»**. اهـ

---

(١) أحترز منه.

(٢) حملت.

(٣) يعتدي.

(٤) وقال: ليس إسناده بالقوي.

(٥) وأصحاب السنن.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ الْهَمِّ وَالْكَرْبِ بِدَوَاءِ التَّوَجُّهِ إِلَى الرَّبِّ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ السَّبْعِ، وَرَبُّ الأَرَضِينَ**(١)**، وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ(٢).

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا أَهَمَّهُ أَمْرٌ رَفَعَ طَرْفَهُ إِلَى السَّمَاءِ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ**»، وَإِذَا اجْتَهَدَ فِي الدُّعَاءِ قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ**».

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ ـ أَيْ: غَلَبَهُ ـ أَمْرٌ قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ! بِكَ أَسْتَغِيثُ**»(٣).

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**دَعَوَاتُ الْمَكْرُوبِ: اللَّهُمَّ رَحْمَتَكَ أَرْجُو فَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي طَرْفَةَ عَيْنٍ، وَأَصْلِحْ لِي شَأْنِي كُلَّهُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ**».

وَفِي مُسْنَدِ الإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَا أَصَابَ عَبْداً هَمٌّ وَلاَ حُزْنٌ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ ابْنُ عَبْدِكَ ابْنُ أَمَتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِيَّ قَضَاؤُكَ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَداً مِنْ خَلْقِكَ، أَوِ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ؛ أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ الْعَظِيمَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلاَءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي؛ إِلاَّ أَذْهَبَ اللَّهُ هَمَّهُ وَحُزْنَهُ، وَأَبْدَلَهُ مَكَانَهُ فَرَحاً**».

---

(١) لفظ البخاري ومسلم: «الأرض» كما أن لفظ «السبع» لا وجود لها في الصحيحين.

(٢) البخاري ٦٣٤٦، ومسلم ٢٧٣٠.

(٣) رواه الترمذي.

وَفِي سُنَنِ أَبِي دَاوُدَ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمِ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أُمَامَةَ، فَقَالَ: «**يَا أَبَا أُمَامَةَ! مَا لِي أَرَاكَ فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلاَةِ؟**» فَقَالَ: هُمُومٌ لَزِمَتْنِي وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «**أَفَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلاَماً إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ، وَقَضَى عَنْكَ دَيْنَكَ؟**» قَالَ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَالَ: «**قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ**»، قَالَ: فَفَعَلْتُ ذٰلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ كَثُرَتْ هُمُومُهُ فَلْيُكْثِرْ مِنْ قَوْلِ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ**»(١)، وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ: «**أَنَّهَا كَنْزٌ مِنْ كُنُوزِ الْجَنَّةِ**»، وَفِي التِّرْمِذِيِّ: «**أَنَّهَا بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ**».

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلاَّ تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ لِي: يَا مُحَمَّدُ! قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً**».

وَفِي كِتَابِ ابْنِ السُّنِّيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ قَرَأَ آيَةَ الْكُرْسِيِّ وَخَوَاتِيمَ سُورَةِ الْبَقَرَةِ عِنْدَ الْكَرْبِ أَغَاثَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ**».

وَفِيهِ: مِنْ حَدِيثِ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ قَالَ: قَالَ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ**

---

(١) رواه الطبراني في الأوسط بلفظ: «**مَن كثرت همومه فليستغفر الله، ومَن أبطأ عليه رزقه فليُكثر من قول: لا حول ولا قوة إلا بالله**».

كَلِمَةَ لاَ يَقُولُهَا مَكْرُوبٌ إلاَّ فَرَّجَ اللَّهُ عَنهُ، كَلِمَةُ أَخِي يُونُسَ: ﴿فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾»[1].

وَرَوَى الدَّيْلَمِيُّ فِي مُسْنَدِ الْفِرْدَوْسِ عَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ - يَعْنِي: الصَّادِقَ - قَالَ: حَدَّثَنِي أَبِي عَنْ جَدِّي: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ[2] دَعَا بِهَذَا الدُّعَاءِ: «اللَّهُمَّ احْرُسْنِي بِعَيْنِكَ الَّتِي لاَ تَنَامُ، وَاكْنُفْنِي[3] بِرُكْنِكَ الَّذِي لاَ يُرَامُ[4]، وَارْحَمْنِي بِقُدْرَتِكَ عَلَيَّ، فَلاَ أَهْلِكُ وَأَنْتَ رَجَائِي، فَكَمْ مِنْ نِعْمَةٍ أَنْعَمْتَ بِهَا عَلَيَّ قَلَّ لَكَ بِهَا شُكْرِي، وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ ابْتَلَيْتَنِي بِهَا قَلَّ لَكَ بِهَا صَبْرِي، فَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ نِعْمَتِهِ شُكْرِي فَلَمْ يَحْرِمْنِي، وَيَا مَنْ قَلَّ عِنْدَ بَلِيَّتِهِ صَبْرِي فَلَمْ يَخْذُلْنِي، وَيَا مَنْ رَآنِي عَلَى الْخَطَايَا فَلَمْ يَفْضَحْنِي، يَا ذَا الْمَعْرُوفِ الَّذِي لاَ يَنْقَضِي أَبَداً، وَيَا ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي لاَ تُحْصَى عَدَداً، أَسْأَلُكَ أَنْ تُصَلِّيَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبِكَ أَدْرَأُ فِي نُحُورِ الأَعْدَاءِ وَالْجَبَّارِينَ، اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى دِينِي بِالدُّنْيَا، وَعَلَى آخِرَتِي بِالتَّقْوَى، وَاحْفَظْنِي فِيمَا غِبْتُ عَنْهُ، وَلاَ تَكِلْنِي إِلَى نَفْسِي فِيمَا حَضَرْتُهُ، يَا مَنْ لاَ تَضُرُّهُ الذُّنُوبُ، وَلاَ يَنْقُصُهُ الْعَفْوُ، هَبْ لِي مَا لاَ يَنْقُصُكَ، وَاغْفِرْ لِي مَا لاَ يَضُرُّكَ، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ، أَسْأَلُكَ فَرَجاً قَرِيباً، وَصَبْراً جَمِيلاً، وَرِزْقاً وَاسِعاً، وَالْعَافِيَةَ مِنَ الْبَلاَيَا، وَأَسْأَلُكَ تَمَامَ الْعَافِيَةِ، وَأَسْأَلُكَ دَوَامَ الْعَافِيَةِ، وَأَسْأَلُكَ الشُّكْرَ عَلَى الْعَافِيَةِ، وَأَسْأَلُكَ الْغِنَى عَنِ النَّاسِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ الْفَقْرِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ الدُّنْيَا

---

(١) سورة الأنبياء، الآية: ٨٧.

(٢) اشتد عليه.

(٣) واحفظني.

(٤) لا يُطلَب بسوء.

أَدْبَرَتْ عَنِّي وَتَوَلَّتْ، قَالَ لَهُ: «**فَأَيْنَ أَنْتَ مِنْ صَلاَةِ الْمَلاَئِكَةِ، وَتَسْبِيحِ الْخَلاَئِقِ، وَبِهِ يُرْزَقُونَ؟ قُلْ عِنْدَ طُلُوعِ الْفَجْرِ: سُبْحَانَ اللّهِ وَبِحَمْدِهِ، سُبْحَانَ اللّهِ الْعَظِيمِ، أَسْتَغْفِرُ اللّهَ، مِئَةَ مَرَّةٍ، تَأْتِيكَ الدُّنْيَا صَاغِرَةً**»، فَوَلَّى الرَّجُلُ، فَمَكَثَ ثُمَّ عَادَ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! لَقَدْ أَقْبَلَتْ عَلَيَّ الدُّنْيَا، فَمَا أَدْرِي أَيْنَ أَضَعُهَا؟ رَوَاهُ الْخَطِيبُ.

[وَعَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَنْ قَالَ: لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ مِئَةَ مَرَّةٍ فِي كُلِّ يَوْمٍ لَمْ يُصِبْهُ فَقْرٌ أَبَداً**» رَوَاهُ ابْنُ أَبِي الدُّنْيَا.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ قَالَ كُلَّ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ: لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ الْمُبِينُ مِئَةَ مَرَّةٍ كَانَ لَهُ أَمَاناً مِنَ الْفَقْرِ، وَأُنْساً مِنْ وَحْشَةِ الْقَبْرِ، وَاسْتَفْتَحَ بِهِ بَابَ الْغِنَى، وَاسْتَقْرَعَ بِهِ بَابَ الْجَنَّةِ**» ذَكَرَهُ عَبْدُالْحَقِّ فِي كِتَابِ الطِّبِّ النَّبَوِيِّ](١).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ الْحَرِيقِ:

عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**إِذَا رَأَيْتُمُ الْحَرِيقَ فَكَبِّرُوا، فَإِنَّ التَّكْبِيرَ يُطْفِئُهُ**»(٢)، قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ: وَقَدْ جَرَّبْنَا نَحْنُ وَغَيْرُنَا هٰذَا فَوَجَدْنَاهُ كَذٰلِكَ. قَالَ فِي الأَصْلِ(٣): وَقَدْ جَرَّبْتُ ذٰلِكَ بِطَيْبَةَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ فَوَجَدْتُ لَهُ أَثَراً عَظِيماً لَمْ أَجِدْهُ لِغَيْرِهِ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ الصَّرْعِ:

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ فِي طِبِّ الْمَصْرُوعِ بِالأَرْوَاحِ الْخَبِيثَةِ مِنَ الْجِنِّ: «**اخْرُجْ عَدُوَّ اللّهِ، أَنَا رَسُولُ اللّهِ**»، يَعْنِي: فَيَخْرُجُ وَيَبْرَأُ الْمَصْرُوعُ.

---

(١) ما بين المعقوفتين زيادة من الشيخ النبهاني لا توجد في المواهب اللدنيّة.
(٢) رواه ابن السنّي، وابن عدي، وابن عساكر، وسنده ضعيف.
(٣) أي: في المواهب اللدنيّة.

قَالَ فِي الأَصْلِ[١]: وَقَدْ جَرَّبْتُ الإِقْسَامَ بِالنَّبِيِّ ﷺ[٢] مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مُحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ إِلَى آخِرِ سُورَةِ الْفَتْحِ فِي ابْنَتَيْنِ صَغِيرَتَيْنِ صُرِعَتَا فَشُفِيَتَا. قَالَ: وَمِنَ الْغَرِيبِ قِصَّةُ غَزَالَ الْحَبَشِيَّةِ خَادِمَتِنَا لَمَّا صُرِعَتْ بِدَرْبِ الْحِجَازِ الشَّرِيفِ بِطَرِيقِ مَكَّةَ بَعْدَ رُجُوعِي مِنَ الزِّيَارَةِ الشَّرِيفَةِ لِقَصْدِ مِصْرَ فِي سَنَةِ خَمْسٍ وَثَمَانِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ، وَاسْتَمَرَّ بِهَا الصَّرْعُ أَيَّاماً، وَاسْتَغَثْتُ بِهِ ﷺ فِي ذٰلِكَ، فَجِيءَ إِلَيَّ بِصَارِعِهَا فِي الْمَنَامِ بِأَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَوَبَّخْتُهُ، وَأَقْسَمَ أَنْ لاَ يَعُودَ إِلَيْهَا، فَاسْتَيْقَظْتُ وَمَا بِهَا قَلَبَةٌ - أَيْ: وَجَعٌ - وَمِنْ ثَمَّ لَمْ يَعُدْ إِلَيْهَا، فَلِلّٰهِ الْحَمْدُ، وَلاَ زَالَتْ فِي عَافِيَةٍ مِنْ ذٰلِكَ حَتَّى فَارَقْتُهَا بِمَكَّةَ فِي سَنَةِ أَرْبَعٍ وَتِسْعِينَ[٣].

ذِكْرُ دَوَائِهِ ﷺ مِنْ دَاءِ السِّحْرِ:

قَدْ ثَبَتَ فِي الْبُخَارِيِّ[٤] مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ سُحِرَ، حَتَّى إِنْ كَانَ لَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَمَا فَعَلَهُ - يَعْنِي مِنْ بَعْضِ أُمُورِ الدُّنْيَا - حَتَّى إِذَا كَانَ ذَاتَ لَيْلَةٍ عِنْدَ عَائِشَةَ دَعَا وَدَعَا - أَيْ: كَرَّرَ الدُّعَاءَ - ثُمَّ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ! أَشَعَرْتِ أَنَّ اللّٰهَ أَفْتَانِي فِيمَا اسْتَفْتَيْتُهُ فِيهِ؛ أَتَانِي رَجُلاَنِ[٥] فَقَعَدَ أَحَدُهُمَا عِنْدَ رَأْسِي وَالآخَرُ عِنْدَ رِجْلَيَّ[٦]، فَقَالَ أَحَدُهُمَا: مَا بَالُ الرَّجُلِ؟ قَالَ: مَطْبُوبٌ** - أَيْ: مَسْحُورٌ -، **قَالَ: مَنْ طَبَّهُ؟ قَالَ: لَبِيدُ بْنُ**

---

(١) أي: في المواهب اللدنيّة.

(٢) لكنّ القَسَم بغير الله مكروه، ولا ينعقد؛ لقوله ﷺ: «**مَن كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت**» رواه الشيخان. أما إذا أقسمَ بغير الله معتقداً أنه يستحق أن يُقسَم به كما يُقسَم بالله فقد كفر، وعليه يحمل قوله ﷺ: «**مَن حلف بغير الله فقد كفر**» وفي رواية: «**فقد أشرك**» رواه أبو داود والترمذي وحسّنه.

(٣) أي: وثمان مئة.

(٤) ومسلم.

(٥) وسمّاهما ابن سعد: جبريل وميكائيل.

(٦) جبريل عند رأسه، وميكائيل عند رجليه، كما في السيرة للدمياطي.

الأَعْصَم الْيَهُودِيُّ، قَالَ: فِي أَيِّ شَيْءٍ؟ قَالَ: فِي مُشْطٍ وَمُشَاطَةٍ[1] وَجُفِّ[2] طَلْعِ نَخْلَةٍ ذَكَرٍ[3]، قَالَ: وَأَيْنَ هُوَ؟ قَالَ: فِي بِئْرِ ذَرْوَانَ»[4]، فَأَتَاهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي نَاسٍ مِنْ أَصْحَابِهِ، فَجَاءَ فَقَالَ: «يَا عَائِشَةُ! كَأَنَّ مَاءَهَا نُقَاعَةُ الْحِنَّاءِ[5]، وَكَأَنَّ رُؤُوسَ نَخْلِهَا رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَفَلاَ اسْتَخْرَجْتَهُ[6]؟ قَالَ: «قَدْ عَافَانِي اللَّهِ فَكَرِهْتُ أَنْ أُثَوِّرَ عَلَى النَّاسِ فِيهِ شَرًّا»[7] فَأَمَرَ بِهَا[8] فَدُفِنَتْ.

وَقَدْ سَلَكَ النَّبِيُّ ﷺ فِي هٰذِهِ الْقِصَّةِ مَسْلَكَي التَّفْوِيضِ وَتَعَاطِي الأَسْبَابِ، فَفِي أَوَّلِ الأَمْرِ فَوَّضَ وَسَلَّمَ لأَمْرِ رَبِّهِ وَاحْتَسَبَ الأَجْرَ فِي صَبْرِهِ، ثُمَّ لَمَّا تَمَادَى ذٰلِكَ وَخَشِيَ مِنْ تَمَادِيهِ أَنْ يُضْعِفَهُ عَنْ عِبَادَتِهِ جَنَحَ إِلَى التَّدَاوِي، فَقَدْ أَخْرَجَ أَبُو عُبَيْدٍ مِنْ مُرْسَلِ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى قَالَ: احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى رَأْسِهِ - يَعْنِي: حِينَ طُبَّ، أَيْ: سُحِرَ - ثُمَّ جَنَحَ إِلَى الدُّعَاءِ، وَكُلٌّ مِنَ الْمَقَامَيْنِ غَايَةٌ فِي الْكَمَالِ.

ذِكْرُ رُقْيَةٍ تَنْفَعُ لِكُلِّ شَكْوَى:

عَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «مَنِ اشْتَكَى مِنْكُمْ

---

(١) وهي الشعر الساقط عند التسريح.
(٢) وعاء.
(٣) ووضع في الطلعة تمثالاً من شمع لرسول الله ﷺ وإبراً مغروزة فيه، وعقد عليه إحدىٰ عشرة عقدة، فلما نزل جبريل عليه الصلاة والسلام بالمعوّذتين كان رسول الله ﷺ كلما قرأ آية انحلّت عقدةٌ، وكلّما نزع إبرة وجد لها ألماً، ثم يجد بعدها راحة.
(٤) تحت راعوفة (وهي حَجَر أسفل البئر، لا يُستطاع قلعه، يقوم عليه المستقي).
(٥) يعني: أحمر.
(٦) تعني: السحر، ووقع في رواية أنه أخرجه، والجمع في ذلك: أن الإخراج الواقع كان لأصل السحر، والاستخراجَ المنفيّ كان لأجزاء السّحر وتفاصيله.
(٧) أحرّكهم علىٰ تعلّم السحر.
(٨) أي: بالبئر.

شَيْئاً فَلْيَقُلْ: رَبُّنَا اللَّهُ الَّذِي فِي السَّمَاءِ، تَقَدَّسَ اسْمُكَ، أَمْرُكَ فِي السَّمَاءِ وَالأَرْضِ، كَمَا رَحْمَتُكَ فِي السَّمَاءِ فَاجْعَلْ رَحْمَتَكَ فِي الأَرْضِ، وَاغْفِرْ لَنَا حُوبَنَا وَخَطَايَانَا، أَنْتَ رَبُّ الطَّيِّبِينَ، أَنْزِلْ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِكَ وَشِفَاءً مِنْ شِفَائِكَ عَلَى هٰذَا الْوَجَعِ، فَيَبْرَأُ بِإِذْنِ اللَّهِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ. (وَالْحُوبُ: الذَّنْبُ الْعَظِيمُ).

وَقَدْ وَصَفَ هٰذِهِ الرُّقْيَةَ أَبُو الدَّرْدَاءِ لِعُسْرِ الْبَوْلِ، كَمَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

رُقْيَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الصُّدَاعِ:

رَوَى الْحُمَيْدِيُّ عَنْ يُونُسَ بْنِ يَعْقُوبَ عَنْ عَبْدِاللَّهِ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنَ الصُّدَاعِ: «**بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، بِسْمِ اللَّهِ الْكَبِيرِ، وَأَعُوذُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْقٍ نَعَّارٍ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النَّارِ**». (وَالنَّعَّارُ: الَّذِي فَارَ مِنْهُ الدَّمُ، أَوْ صَوَّتَ لِخُرُوجِ الدَّمِ).

وَأَصَابَ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وَرَمٌ فِي رَأْسِهَا، فَوَضَعَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَدَهُ عَلَى ذٰلِكَ مِنْ فَوْقِ الثِّيَابِ، فَقَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، أَذْهِبْ عَنْهَا سُوءَهُ وَفُحْشَهُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ الْمُبَارَكِ الْمَكِينِ عِنْدَكَ، بِسْمِ اللَّهِ**»، صَنَعَ ذٰلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، وَأَمَرَهَا أَنْ تَقُولَ ذٰلِكَ، فَقَالَتْ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَذَهَبَ الْوَرَمُ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

رُقْيَتُهُ ﷺ مِنْ وَجَعِ الضِّرْسِ:

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ أَنَّ عَبْدَاللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ شَكَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَجَعَ ضِرْسِهِ، فَوَضَعَ ﷺ يَدَهُ عَلَى خَدِّهِ الَّذِي فِيهِ الْوَجَعُ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ سُوءَ مَا يَجِدُ وَفُحْشَهُ بِدَعْوَةِ نَبِيِّكَ الْمَكِينِ الْمُبَارَكِ عِنْدَكَ، سَبْعَ مَرَّاتٍ**»، فَشَفَاهُ اللَّهُ قَبْلَ أَنْ يَبْرَحَ.

وَرَوَى الْحُمَيْدِيُّ أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ تَشْكُو

مَا تَلْقَى مِنْ ضَرَبَانِ الضِّرْسِ، فَأَدْخَلَ سَبَّابَتَهُ الْيُمْنَى، فَوَضَعَهَا عَلَى السِّنِّ الَّذِي تَأَلَّمَ فَقَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ وَبِاللَّهِ، أَسْأَلُكَ بِعِزَّتِكَ وَجَلاَلِكَ وَقُدْرَتِكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّ مَرْيَمَ لَمْ تَلِدْ غَيْرَ عِيسَى مِنْ رُوحِكَ وَكَلِمَتِكَ**[1]؛ **أَنْ تَكْشِفَ مَا تَلْقَى فَاطِمَةُ بِنْتُ خَدِيجَةَ مِنَ الضُّرِّ كُلِّهِ**»، فَسَكَنَ مَا بِهَا.

رُقْيَةُ الْحُمَّى:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ وَهِيَ مَوْعُوكَةٌ وَهِيَ تَسُبُّ الْحُمَّى، فَقَالَ: «**لاَ تَسُبِّيهَا فَإِنَّهَا مَأْمُورَةٌ، وَلَكِنْ إِنْ شِئْتِ عَلَّمْتُكِ كَلِمَاتٍ إِذَا قُلْتِهِنَّ أَذْهَبَهَا اللَّهُ عَنْكِ**» قَالَتْ: فَعَلِّمْنِي، قَالَ: «**قُولِي: اللَّهُمَّ ارْحَمْ جِلْدِي الرَّقِيقَ وَعَظْمِي الدَّقِيقَ مِنْ شِدَّةِ الْحَرِيقِ، يَا أُمَّ مِلْدَمٍ**[2] **إِنْ كُنْتِ آمَنْتِ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ فَلاَ تُصْدِعِي الرَّأْسَ، وَلاَ تُنْتِنِي الْفَمَ، وَلاَ تَأْكُلِي اللَّحْمَ، وَلاَ تَشْرَبِي الدَّمَ، وَتَحَوَّلِي عَنِّي إِلَى مَنِ اتَّخَذَ مَعَ اللَّهِ إِلٰهاً آخَرَ**»، قَالَ: فَقَالَتْهَا، فَذَهَبَتْ عَنْهَا. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ. وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةٌ: «**فَإِنِّي أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**».

ذِكْرُ مَا يَقِي مِنْ كُلِّ بَلاَءٍ:

عَنْ أَبَانَ بْنِ عُثْمَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَنْ أَبِيهِ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ، ثَلاَثَ مَرَّاتٍ حِينَ يُمْسِي، لَمْ تُصِبْهُ فُجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُصْبِحَ، وَمَنْ قَالَهَا حِينَ يُصْبِحُ لَمْ تُصِبْهُ فُجْأَةُ بَلاَءٍ حَتَّى يُمْسِيَ**»، قَالَ: فَأَصَابَ أَبَانَ بْنَ عُثْمَانَ الْفَالِجُ، فَجَعَلَ الَّذِي يَسْمَعُ مِنْهُ الْحَدِيثَ يَنْظُرُ إِلَيْهِ، فَقَالَ: مَا لَكَ تَنْظُرُ إِلَيَّ؟ فَوَاللَّهِ مَا كَذَبْتُ عَلَى عُثْمَانَ،

---

(١) أي: إنك قادر على كل شيء، ومن ذلك: وجود عيسى عليه الصلاة والسلام من غير أب، وكلمتك: أي قولك: كن.

(٢) وهي كنية الحُمّى. والمِلْدَم: الأحمق الثقيل.

وَلاَ كَذَبَ عُثْمَانُ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَلٰكِنَّ الْيَوْمَ الَّذِي أَصَابَنِي فِيهِ مَا أَصَابَنِي غَضِبْتُ فَنَسِيتُ أَنْ أَقُولَهَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ.

ذِكْرُ مَا يُسْتَجْلَبُ بِهِ الْمُعَافَاةُ مِنْ سَبْعِينَ بَلاَءً:

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ قَالَ: بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، عَشْرَ مَرَّاتٍ، بَرِيءٍ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمَ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ، وَعُوفِيَ مِنْ سَبْعِينَ بَلاَءً مِنْ بَلاَيَا الدُّنْيَا، مِنْهَا الْجُنُونُ وَالْجُذَامُ وَالْبَرَصُ وَالرِّيحُ**»(١).

ذِكْرُ دَوَاءِ دَاءِ الطَّعَامِ:

رَوَى الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: مَنْ قَالَ حِينَ يُوضَعُ الطَّعَامُ: بِسْمِ اللّهِ خَيْرِ الأَسْمَاءِ فِي الأَرْضِ وَفِي السَّمَاءِ، لاَ يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ دَاءٌ، اجْعَلْ فِيهِ رَحْمَةً وَشِفَاءً؛ لَمْ يَضُرَّهُ مَا كَانَ.

ذِكْرُ دَوَاءِ أُمِّ الصِّبْيَانِ:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَنْ وُلِدَ لَهُ مَوْلُودٌ فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى؛ لَمْ تَضُرَّهُ أُمُّ الصِّبْيَانِ**» رَوَاهُ ابْنُ السُّنِّيِّ(٢). (وَأُمُّ الصِّبْيَانِ: هِيَ الرِّيحُ(٣) الَّتِي تَعْرِضُ لَهُمْ، فَرُبَّمَا يُخْشَى عَلَيْهِمْ مِنْهَا، قَالَهُ بَعْضُهُمْ).

---

(١) أي: الجن كما سيأتي. ذكره عبدالله بن محمد المالكي الإفريقي في كتابه (أخبار إفريقية).

(٢) وأبو يعلىٰ، وعبدالحق الإشبيلي في كتاب (الطب النبوي) وسنده ضعيف.
وقد أذّن رسول الله ﷺ في أذن الحسين حين ولدته فاطمة رضي الله عنها. رواه أبو داود والحاكم، وصححه الترمذي.
وأذّن في اليمنىٰ وأقام في اليسرىٰ عمر بن عبدالعزيز في أولاده. رواه ابن المنذر.

(٣) أي: التابعة من الجن.

النوع الثاني
فِي طِبِّهِ ﷺ بِالأَدْوِيَةِ الطَّبِيعِيَّةِ

ذِكْرُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُعَالِجُ بِهِ الصُّدَاعَ وَالشَّقِيقَةَ:

أَخْرَجَ الإِمَامُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ بُرَيْدَةَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ رُبَّمَا أَخَذَتْهُ الشَّقِيقَةُ، فَيَمْكُثُ الْيَوْمَ وَالْيَوْمَيْنِ لاَ يَخْرُجُ. (وَالشَّقِيقَةُ: وَجَعُ أَحَدِ جَانِبَي الرَّأْسِ).

وَفِي الصَّحِيحِ[(١)]: أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِ مَوْتِهِ: «**وَارَأْسَاهُ**».

وَأَنَّهُ خَطَبَ وَقَدْ عَصَبَ رَأْسَهُ[(٢)]. فَعَصْبُ الرَّأْسِ يَنْفَعُ فِي الشَّقِيقَةِ وَغَيْرِهَا مِنْ أَوْجَاعِ الرَّأْسِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: احْتَجَمَ ﷺ وَهُوَ مُحْرِمٌ فِي رَأْسِهِ مِنْ شَقِيقَةٍ كَانَتْ بِهِ. وَفِي رِوَايَةٍ: فِي وَسْطِ رَأْسِهِ. وَقَدْ قَالَ الأَطِبَّاءُ: إِنَّهَا نَافِعَةٌ جِدًّا.

وَوَرَدَ أَنَّهُ ﷺ احْتَجَمَ أَيْضاً فِي الأَخْدَعَيْنِ وَالْكَاهِلِ. أَخْرَجَهُ التِّرْمِذِيُّ[(٣)] وَغَيْرُهُ[(٤)]، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ. (وَالأَخْدَعَانِ: عِرْقَانِ فِي سَالِفَتَي الْعُنُقِ. وَالْكَاهِلُ: مَا بَيْنَ الْكَتِفَيْنِ).

وَقَدْ قَالَ الأَطِبَّاءُ: الْحِجَامَةُ عَلَى الأَخْدَعَيْنِ تَنْفَعُ مِنْ أَمْرَاضِ الرَّأْسِ وَالْوَجْهِ وَالأُذُنَيْنِ وَالْعَيْنَيْنِ وَالأَسْنَانِ وَالأَنْفِ.

---

(١) صحيح البخاري.

(٢) وقد أخذَتْه الشقيقة. رواه البخاري.

(٣) وحسّنه.

(٤) كأبي داود، وابن ماجه.

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ فِي سُنَنِهِ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا صُدِعَ غَلَّفَ رَأْسَهُ بِالْحِنَّاءِ، وَيَقُولُ: «**إِنَّهُ نَافِعٌ بِإِذْنِ اللَّهِ مِنَ الصُّدَاعِ**»(١) ـ أَيْ: إِذَا كَانَ الصُّدَاعُ مِنْ حَرَارَةٍ مُلْتَهِبَةٍ وَلَمْ يَكُنْ عَنْ مَادَّةٍ يَجِبُ اسْتِفْرَاغُهَا، وَإِذَا كَانَ كَذَلِكَ نَفَعَ فِيهِ الْحِنَّاءُ نَفْعاً ظَاهِراً ـ.

وَفِي تَارِيخِ الْبُخَارِيِّ وَسُنَنِ أَبِي دَاوُدَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ مَا شَكَا إِلَيْهِ أَحَدٌ وَجَعاً فِي رَأْسِهِ إِلاَّ قَالَ لَهُ: «**احْتَجِمْ**»، وَلاَ شَكَا وَجَعاً فِي رِجْلَيْهِ إِلاَّ قَالَ لَهُ: «**اخْتَضِبْ بِالْحِنَّاءِ**».

وَفِي التِّرْمِذِيِّ: عَنْ عَلِيِّ بْنِ عَبْدِاللَّهِ عَنْ جَدَّتِهِ سَلْمَى(٢) زَوْجَةِ أَبِي رَافِعٍ مَوْلَى النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: مَا كَانَ يَكُونُ بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ قُرْحَةٌ وَلاَ نُكْتَةٌ(٣) إِلاَّ أَمَرَنِي أَنْ أَضَعَ عَلَيْهَا الْحِنَّاءَ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِلرَّمَدِ:

رُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يُعَالِجُ الرَّمَدَ بِالسُّكُونِ وَالدَّعَةِ(٤) وَتَرْكِ الْحَرَكَةِ.

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ: عَنْ صُهَيْبٍ قَالَ: قَدِمْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَبَيْنَ يَدَيْهِ خُبْزٌ وَتَمْرٌ، فَقَالَ: «**ادْنُ وَكُلْ**»، فَأَخَذْتُ تَمْراً فَأَكَلْتُ، فَقَالَ: «**تَأْكُلُ تَمْراً وَبِكَ رَمَدٌ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ أَمْضَغُ مِنَ النَّاحِيَةِ الأُخْرَى، فَتَبَسَّمَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ ﷺ حَمَى عَلِيّاً مِنَ الرُّطَبِ لَمَّا أَصَابَهُ الرَّمَدُ.

---

(١) قال في الأصل: وفي صحته نظر.
(٢) وكانت تخدم النبي ﷺ.
(٣) أثر يسير.
(٤) الراحة.

وَفِي الْبُخَارِيِّ[١]: مِنْ حَدِيثِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**الْكَمْأَةُ مِنَ الْمَنِّ**[٢]**، وَمَاؤُهَا شِفَاءٌ لِلْعَيْنِ**». (وَالْكَمْأَةُ: نَبَاتٌ لاَ وَرَقَ لَهُ وَلاَ سَاقَ، يُوجَدُ فِي الأَرْضِ مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ بِبِذْرٍ وَلاَ سَقْيٍ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْعُذْرَةِ: (وَهِيَ وَجَعٌ فِي الْحَلْقِ، يَعْتَرِي الصِّبْيَانَ غَالِباً).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللّٰهِ قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا وَعِنْدَهَا صَبِيٌّ يَسِيلُ مَنْخِرَاهُ دَماً، فَقَالَ: «**مَا هٰذَا؟**» فَقَالُوا: بِهِ الْعُذْرَةُ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ، فَقَالَ: «**وَيْلَكُنَّ لاَ تَقْتُلْنَ أَوْلاَدَكُنَّ، أَيُّمَا امْرَأَةٍ أَصَابَ وَلَدَهَا عُذْرَةٌ أَوْ وَجَعٌ فِي رَأْسِهِ، فَلْتَأْخُذْ قُسْطاً**[٣] **هِنْدِيًا، فَلْتَحِلَّهُ بِمَاءٍ، ثُمَّ تُسْعِطُهُ إِيَّاهُ**»[٤] فَأَمَرَتْ عَائِشَةُ، فَصُنِعَ ذٰلِكَ لِلصَّبِيِّ، فَبَرَأَ. أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[٥].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِدَاءِ اسْتِطْلاَقِ الْبَطْنِ:

فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَجُلاً أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: إِنَّ أَخِي يَشْتَكِي بَطْنَهُ، وَفِي رِوَايَةٍ: اسْتَطْلَقَ بَطْنُهُ، فَقَالَ: «**اسْقِهِ عَسَلاً**»، فَسَقَاهُ، فَقَالَ: إِنِّي سَقَيْتُهُ فَلَمْ يَزِدْهُ إِلاَّ اسْتِطْلاَقاً، فَقَالَ: «**صَدَقَ اللّٰهُ، وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ**»، وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ عَنْ يَزِيدَ بْنِ هَارُونَ فَقَالَ فِي الرَّابِعَةِ: «**اسْقِهِ عَسَلاً**»، قَالَ: فَأَظُنُّهُ قَالَ: فَسَقَاهُ فَبَرَأَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**صَدَقَ اللّٰهُ،**

---

(١) ومسلم.

(٢) يَنبت من غير تكلُّف، كالمنّ الذي أنزل الله علىٰ بني إسرائيل، والمَنّ: هو الطلّ الذي يسقط علىٰ الشجر ويجف جفاف الصمغ، فيُجمع ويؤكل حلواً.

(٣) عُوداً.

(٤) أي: تضعه في أنفه.

(٥) كأصحاب السنن.

وَكَذَبَ بَطْنُ أَخِيكَ». قَالَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ: إِنَّ حَمْلَ الآيَةِ[1] عَلَى عُمُومِهَا فِي الشِّفَاءِ أَوْلَى، وَيُؤَيِّدُهُ حَدِيثُ ابْنِ مَسْعُودٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «عَلَيْكُمْ بِالشِّفَاءَيْنِ: الْعَسَلِ، وَالْقُرْآنِ»[2].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ يُبْسِ الطَّبِيعَةِ بِمَا يُمَشِّيهِ وَيُلَيِّنُهُ:

رَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[3] عَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ[4] قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**بِمَاذَا كُنْتِ تَسْتَمْشِينَ؟**» قَالَتْ: بِالشُّبْرُمِ، قَالَ: «**حَارٌّ حَارٌّ**»، ثُمَّ قَالَتْ: اسْتَمْشَيْتُ بِالسَّنَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**لَوْ أَنَّ شَيْئاً كَانَ فِيهِ شِفَاءٌ مِنَ الْمَوْتِ لَكَانَ فِي السَّنَا**».

وَشَرِبَ ﷺ السَّنَا بِالتَّمْرِ، ذَكَرَهُ الْمُحَاسِبِيُّ[5].

وَعَنْهُ ﷺ: «**عَلَيْكُمْ بِالسَّنَا وَالسَّنُّوتِ، فَإِنَّ فِيهِمَا شِفَاءً مِنْ كُلِّ دَاءٍ، إِلاَّ السَّامَ**»، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَا السَّامُ؟ قَالَ: «**الْمَوْتُ**»[6].

قَالُوا: وَالشُّبْرُمُ: قِشْرُ عِرْقِ شَجَرَةٍ. وَأَمَّا السَّنَا: فَهُوَ نَبْتٌ حِجَازِيٌّ أَفْضَلُهُ الْمَكِّيُّ، وَهُوَ دَوَاءٌ شَرِيفٌ مَأْمُونُ الْغَائِلَةِ[7]، وَالشُّرْبَةُ مِنْهُ مِنْ أَرْبَعَةِ دَرَاهِمَ إِلَى سَبْعَةِ دَرَاهِمَ[8]. وَأَمَّا السَّنُّوتُ: فَهُوَ الْعَسَلُ الَّذِي يَكُونُ فِي زِقَاقِ السَّمْنِ، فَيَكُونُ الْمَعْنَى: أَنْ يُخْلَطَ السَّنَا مَدْقُوقاً بِالْعَسَلِ الْمُخَالِطِ لِلسَّمْنِ، ثُمَّ يُلْعَقَ، فَيَكُونُ أَصْلَحَ مِنِ اسْتِعْمَالِهِ مُفْرَداً؛ لِمَا فِي الْعَسَلِ وَالسَّمْنِ مِنْ إِصْلَاحِ السَّنَا وَإِعَانَتِهِ عَلَى الإِسْهَالِ.

---

(١) ﴿فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩].
(٢) رواه ابن ماجه والحاكم مرفوعاً، ورواه ابن أبي شيبة والحاكم موقوفاً.
(٣) كابن ماجه.
(٤) امرأة جعفر بن أبي طالب، وأخت أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث لأمها.
(٥) في كتابه (القصد إلى الله).
(٦) رواه ابن ماجه.
(٧) الفساد والشر.
(٨) والدرهم ٢,٨ غراماً.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِلْمَفْؤُودِ: (وَهُوَ الَّذِي أُصِيبَ فُؤَادُهُ، أَيْ: قَلْبُهُ بِمَرَضٍ)[١].

رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ سَعْدٍ قَالَ: مَرِضْتُ مَرَضاً، فَأَتَانِي رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يَعُودُنِي، فَوَضَعَ يَدَهُ بَيْنَ ثَدْيَيَّ حَتَّى وَجَدْتُ بَرْدَهَا عَلَى فُؤَادِي، وَقَالَ لِي: **«إِنَّكَ رَجُلٌ مَفْؤُودٌ، فَأْتِ الْحَارِثَ بْنَ كَلَدَةَ مِنْ ثَقِيفٍ فَإِنَّهُ رَجُلٌ مُتَطَبِّبٌ[٢]، فَلْيَأْخُذْ سَبْعَ تَمَرَاتٍ مِنْ عَجْوَةِ الْمَدِينَةِ فَلْيَجَأْهُنَّ بِنَوَاهُنَّ، ثُمَّ لِيَلُدَّ بِهِنَّ الْفُؤَادَ»**. (وَمَعْنَى: فَلْيَجَأْهُنَّ، أَيْ: فَلْيَدُقَّهُنَّ. وَاللَّدُودُ: مَا يُسْقَاهُ الإِنْسَانُ مِنْ أَحَدِ جَانِبَيِ الْفَمِ، أَوْ أُدْخِلَ مِنْ هُنَاكَ بِإِصْبَعٍ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِدَاءِ ذَاتِ الْجَنْبِ:

فِي الْبُخَارِيِّ[٣] عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«عَلَيْكُمْ بِهٰذَا الْعُودِ الْهِنْدِيِّ، فَإِنَّ فِيهِ سَبْعَةَ أَشْفِيَةٍ، مِنْهَا ذَاتُ الْجَنْبِ»**.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ قَالَ: قَالَ ﷺ: **«تَدَاوُوا مِنْ ذَاتِ الْجَنْبِ بِالْقُسْطِ الْبَحْرِيِّ وَالزَّيْتِ»**، وَالْمُرَادُ بِذَاتِ الْجَنْبِ هُنَا: مَا يَعْرِضُ فِي نَوَاحِي الْجَنْبِ مِنْ رِيَاحٍ غَلِيظَةٍ تُحْدِثُ وَجَعاً. (وَالْقُسْطُ الْبَحْرِيُّ: هُوَ الْعُودُ الْهِنْدِيُّ، وَذٰلِكَ بِأَنْ يُلَدَّ بِهِ الْمَرِيضُ، أَيْ: يُصَبَّ الدَّوَاءُ فِي أَحَدِ شِقَّيْ فَمِهِ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ لِدَاءِ الاسْتِسْقَاءِ:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَدِمَ رَهْطٌ مِنْ عُرَيْنَةَ وَعُكْلٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَاجْتَوَوُا الْمَدِينَةَ ـ أَيْ: أَصَابَهُمُ الْجَوَى، وَهُوَ دَاءُ الْجَوْفِ ـ، وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ:

---

(١) فهو يشتكيه كالمبطون، لأن الفؤاد كلُّ ما يتعلق بالمريء من كبد ورئة وقلب.
(٢) يتعاطىٰ علم الطِّب.
(٣) ومسلم.

فَعَظُمَتْ بُطُونُهُمْ، فَشَكَوْا ذٰلِكَ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ ﷺ: **«لَوْ خَرَجْتُمْ إِلَى إِبِلِ الصَّدَقَةِ فَشَرِبْتُمْ مِنْ أَلْبَانِهَا وَأَبْوَالِهَا»** رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ دَاءِ عِرْقِ النَّسَا: (وَهٰذَا الْعِرْقُ مُمْتَدٌّ مِنْ مَفْصِلِ الْوَرِكِ وَيَنْتَهِي إِلَى آخِرِ الْقَدَمِ وَرَاءَ الْكَعْبِ).

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«دَوَاءُ عِرْقِ النَّسَا أَلْيَةُ شَاةٍ أَعْرَابِيَّةٍ، تُذَابُ، ثُمَّ تُجَزَّأُ ثَلَاثَةَ أَجْزَاءٍ، ثُمَّ يُشْرَبُ عَلَى الرِّيقِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُزْءٌ»** رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ.

وَهٰذَا الدَّوَاءُ خَاصٌّ بِالْعَرَبِ وَأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَنْ جَاوَرَهُمْ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الأَوْرَامِ:

يُذْكَرُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ: دَخَلْتُ مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ عَلَى رَجُلٍ يَعُودُهُ بِظَهْرِهِ وَرَمٌ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! بِهٰذِهِ مِدَّةٌ، فَقَالَ: **«بُطُّوا عَنْهُ»**، قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا بَرِحْتُ حَتَّى بُطَّتْ[1]، وَالنَّبِيُّ ﷺ شَاهِدٌ[2]. (وَالْمِدَّةُ: قَيْحٌ غَلِيظٌ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ بِقَطْعِ الْعُرُوقِ وَالْكَيِّ:

فِي الصَّحِيحَيْنِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ بَعَثَ إِلَى أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ طَبِيباً، فَقَطَعَ لَهُ عِرْقاً، وَكَوَاهُ عَلَيْهِ ـ أَيْ: فَصَدَهُ وَكَوَاهُ ـ.

وَفِي مُسْلِمٍ: عَنْ جَابِرٍ لَمَّا رُمِيَ سَعْدُ بْنُ مُعَاذٍ فِي أَكْحَلِهِ[3]، حَسَمَهُ النَّبِيُّ ﷺ ـ أَيْ: قَطَعَ دَمَهُ بِالْكَيِّ ـ.

---

(١) شُقَّت.

(٢) رواه أبو يعلىٰ بسند ضعيف.

(٣) الأَكْحَل: وريد في وسْط الذراع.

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: أَنَّهُ ﷺ كَوَى أَسْعَدَ بْنَ زُرَارَةَ مِنَ الشَّوْكَةِ - وَهِيَ: حُمْرَةٌ تَعْلُو الْوَجْهَ -.

وَإِنَّمَا يُسْتَعْمَلُ الْكَيُّ فِي الْخَلْطِ الْبَاغِي[1] الَّذِي لاَ تُحْسَمُ مَادَّتُهُ إلاَّ بِهِ، وَلِهٰذَا وَصَفَهُ ﷺ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ[2]، وَإِنَّمَا كَرِهَهُ لِمَا فِيهِ مِنَ الأَلَمِ الشَّدِيدِ، وَالْخَطَرِ الْعَظِيمِ، فالنَّهْيُ عَنْهُ مَحْمُولٌ عَلَى الْكَرَاهَةِ أَوْ عَلَى خِلاَفِ الأَوْلَى[3]، قَالَ فِي فَتْحِ الْبَارِي: وَلَمْ أَرَ فِي أَثَرٍ صَحِيحٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ اكْتَوَى.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الدُّخُولِ عَلَى الطَّاعُونِ فِي أَرْضِهِ وَالْخُرُوجِ مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ:

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: أَصْلُ الطَّاعُونِ: الْقُرُوحُ الْخَارِجَةُ فِي الْجَسَدِ. وَالْوَبَاءُ: عُمُومُ الأَمْرَاضِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ، قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ يَقُولُ: «**الطَّاعُونُ رِجْزٌ أُرْسِلَ عَلَى طَائِفَةٍ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، فَإِذَا سَمِعْتُمْ بِهِ بِأَرْضٍ فَلاَ تَدْخُلُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا وَقَعَ بِأَرْضٍ وَأَنْتُمْ بِهَا فَلاَ تَخْرُجُوا مِنْهَا فِرَاراً مِنْهُ**».

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ السِّلْعَةِ:

أَخْرَجَ الْبُخَارِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ شُرَحْبِيلَ الْجُعْفِيِّ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَبِكَفِّي سِلْعَةٌ[4]، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّٰهِ! قَدْ آذَتْنِي، تَحُولُ بَيْنِي وَبَيْنَ قَائِمِ

---

(١) الزائد.

(٢) في قوله ﷺ: **«الشفاء في ثلاثة: شربة عسل، وشرطة محجم، وكية نار. وأنهىٰ أمتي عن الكي»** رواه البخاري.

(٣) لما يقتضيه مجموع الأحاديث.

(٤) قطعة لحم متدلّية.

السَّيْفِ أَنْ أَقْبِضَ عَلَيْهِ وَعِنَانِ الدَّابَّةِ، فَنَفَثَ فِي كَفِّي، وَوَضَعَ كَفَّهُ عَلَى السِّلْعَةِ، فَمَا زَالَ يَطْحَنُهَا[1] بِكَفِّهِ حَتَّى رَفَعَهَا عَنْهَا، وَمَا أَرَى أَثَرَهَا.

وَمَسَحَ ﷺ وَجْهَ أَبْيَضَ بْنِ حَمَّالٍ وَكَانَ بِهِ الْقُوبَاءُ[2]، فَلَمْ يُمْسِ مِنْ ذٰلِكَ الْيَوْمِ وَمِنْهَا أَثَرٌ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْحُمَّى:

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**الْحُمَّى مِنْ فَيْحِ جَهَنَّمَ، فَأَطْفِؤُوهَا بِالْمَاءِ**» وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ «**بِالْمَاءِ الْبَارِدِ**»، أَرَادَ ﷺ الاغْتِسَالَ عَلَى كَيْفِيَّةٍ مَخْصُوصَةٍ، وَأَوْلَى مَا يُحْمَلُ عَلَيْهِ كَيْفِيَّةُ تَبْرِيدِ الْحُمَّى بِالْمَاءِ مَا صَنَعَتْهُ أَسْمَاءُ بِنْتُ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ تَرُشُّ عَلَى بَدَنِ الْمَحْمُومِ شَيْئاً مِنَ الْمَاءِ بَيْنَ ثَدْيَيْهِ وَثَوْبِهِ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ مِنْ بَابِ النُّشْرَةِ[3] الْمَأْذُونِ فِيهَا.

وَجَعَلَ ابْنُ الْقَيِّمِ خِطَابَهُ ﷺ فِي هٰذَا الْحَدِيثِ خَاصًّا لأَهْلِ الْحِجَازِ وَمَا وَالاهُ[4].

وَقَدْ تَكَرَّرَ فِي الْحَدِيثِ اسْتِعْمَالُهُ ﷺ الْمَاءَ الْبَارِدَ فِي عِلَّتِهِ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ: «**صُبُّوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ**»[5].

وَكَانَ ﷺ إِذَا حُمَّ دَعَا بِقِرْبَةٍ مِنْ مَاءٍ، فَأَفْرَغَهَا عَلَى رَأْسِهِ فَاغْتَسَلَ.

---

(١) يدلُكها.

(٢) داء يتقشر منه الجلد، وينجرد منه الشعر.

(٣) الرُّقْيَة.

(٤) في الأصل: وما والاهم.

(٥) رواه ابن خزيمة في صحيحه.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ ﷺ: «**إِذَا حُمَّ أَحَدُكُمْ فَلْيَشِنَّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَاءِ الْبَارِدِ مِنَ السَّحَرِ ثَلاَثَ لَيَالٍ**» أَخْرَجَهُ الطَّحَاوِيُّ وَغَيْرُهُ[١]. (وَالأَوْكِيَةُ: جَمْعُ وِكَاءٍ، وَهُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يُرْبَطُ بِهِ فَمُ الْقِرْبَةِ. وَالشَّنُّ: الصَّبُّ الْمُتَقَطِّعُ).

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ عَنْهُ ﷺ: «**الْحُمَّى رَائِدُ الْمَوْتِ، وَهِيَ سِجْنُ اللَّهِ فِي الأَرْضِ، فَبَرِّدُوا لَهَا الْمَاءَ فِي الشِّنَانِ**[٢]**، وَصُبُّوهُ عَلَيْكُمْ فِيمَا بَيْنَ الأَذَانَيْنِ: الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ**» قَالَ: فَفَعَلُوا، فَذَهَبَ عَنْهُمْ.

وَأَخْرَجَ التِّرْمِذِيُّ[٣] مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا أَصَابَ أَحَدَكُمُ الْحُمَّى** - وَهِيَ قِطْعَةٌ مِنَ النَّارِ - **فَلْيُطْفِئْهَا عَنْهُ بِالْمَاءِ، يَسْتَنْقِعُ فِي نَهْرٍ جَارٍ، وَيَسْتَقْبِلُ جِرْيَتَهُ، وَلْيَقُلْ: «بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ، وَصَدِّقْ رَسُولَكَ، بَعْدَ صَلاَةِ الصُّبْحِ وَقَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَلْيَنْغَمِسْ فِيهِ ثَلاَثَ غَمَسَاتٍ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ، فَإِنْ لَمْ يَبْرَأْ فَخَمْسٌ، وَإِلاَّ فَسَبْعٌ، وَإِلاَّ فَتِسْعٌ، فَإِنَّهَا لاَ تَكَادُ تُجَاوِزُ تِسْعاً بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى**».

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْحِكَّةِ وَمَا يُوَلِّدُ الْقَمْلَ:

رَخَّصَ ﷺ لِلزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ وَعَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ فِي لُبْسِ الْحَرِيرِ لِحِكَّةٍ كَانَتْ بِهِمَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ السُّمِّ الَّذِي أَصَابَهُ بِخَيْبَرَ:

قَدِ احْتَجَمَ النَّبِيُّ ﷺ ثَلاَثاً عَلَى كَاهِلِهِ[٤] لَمَّا أَكَلَ مِنَ الشَّاةِ الْمَسْمُومَةِ بِخَيْبَرَ. وَالْقِصَّةُ تَقَدَّمَتْ فِي غَزْوَتِهَا.

* * *

---

(١) كأبي نُعيم.

(٢) جمع شَن، وهو القِربة البالية، إذ يكون الماء فيها أبرد من غيرها.

(٣) بسند غريب.

(٤) ما بين كتفيه.

النوع الثالث
فِي طِبِّهِ ﷺ بالأَدْوِيَةِ المُرَكَّبَةِ مِنَ الإِلٰهِيَّةِ وَالطَّبِيعِيَّةِ

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْقُرْحَةِ وَالْجُرْحِ وَكُلِّ شَكْوَى:

رَوَى الْبُخَارِيُّ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي الرُّقْيَةِ: «**بِسْمِ اللّٰهِ، تُرْبَةُ أَرْضِنَا**[1]، **وَرِيقَةُ بَعْضِنَا، يَشْفِي سَقِيمَنَا**[2]، **بِإِذْنِ رَبِّنَا**»، وَفِي رِوَايَةٍ لِمُسْلِمٍ: كَانَ إِذَا اشْتَكَى الإِنْسَانُ[3] أَوْ كَانَتْ بِهِ قُرْحَةٌ أَوْ جُرْحٌ قَالَ بِإِصْبَعِهِ هَكَذَا، وَوَضَعَ سُفْيَانُ سَبَّابَتَهُ بِالأَرْضِ، الْحَدِيثَ. قَالَ النَّوَوِيُّ: مَعْنَى الْحَدِيثِ: أَنَّهُ أَخَذَ مِنْ رِيقِ نَفْسِهِ عَلَى إِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ، ثُمَّ وَضَعَهَا عَلَى التُّرَابِ، فَعَلِقَ بِهَا شَيْءٌ مِنْهُ، ثُمَّ مَسَحَ بِهِ الْمَوْضِعَ الْعَلِيلَ[4] أَوِ الْجُرْحَ قَائِلاً الْكَلاَمَ الْمَذْكُورَ فِي حَالَةِ الْمَسْحِ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ لَدْغَةِ الْعَقْرَبِ:

عَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يُصَلِّي إِذْ سَجَدَ فَلَدَغَتْهُ عَقْرَبٌ فِي إِصْبَعِهِ، فَانْصَرَفَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ وَقَالَ: «**لَعَنَ اللّٰهُ الْعَقْرَبَ، مَا تَدَعُ نَبِيًّا وَلاَ غَيْرَهُ**»، ثُمَّ دَعَا بِإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ وَمِلْحٌ، فَجَعَلَ يَضَعُ مَوْضِعَ اللَّدْغَةِ فِي الْمَاءِ وَالْمِلْحِ وَيَقْرَأُ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ، حَتَّى سَكَنَتْ. رَوَاهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ.

---

(١) أي: هذه تربة أرضنا.

(٢) أو: يُشفىٰ سقيمُنا.

(٣) أي: توجّع.

(٤) أي: المريض.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ النَّمْلَةِ: (وَهِيَ قُرُوحٌ تَخْرُجُ فِي الْجَنْبِ، يَحُسُّ صَاحِبُهَا كَأَنَّ نَمْلَةً تَدِبُّ عَلَيْهِ وَتَعَضُّهُ).

رَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ أَنَّهُ ﷺ رَخَّصَ فِي الرُّقْيَةِ مِنَ الْحُمَةِ وَالْعَيْنِ وَالنَّمْلَةِ. وَالْحُمَةُ: تَكُونُ لِذَوَاتِ السُّمُومِ.

وَرَوَى الْخَلاَّلُ: أَنَّ الشِّفَاءَ بِنْتَ عَبْدِاللّهِ كَانَتْ تَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ النَّمْلَةِ، فَلَمَّا هَاجَرَتْ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ وَكَانَتْ قَدْ بَايَعَتْهُ بِمَكَّةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنِّي كُنْتُ أَرْقِي فِي الْجَاهِلِيَّةِ مِنَ النَّمْلَةِ، وَأُرِيدُ أَنْ أَعْرِضَهَا عَلَيْكَ، فَعَرَضَتْهَا، فَقَالَتْ: بِسْمِ اللهِ، ضَلَّتْ حَتَّى تَعُودَ مِنْ أَفْوَاهِهَا وَلاَ تَضُرَّ أَحداً، اللَّهُمَّ اكْشِفِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، قَالَ ـ أَيْ: الرَّاوِي ـ: تَرْقِي بِهَا عَلَى عُودٍ سَبْعَ مَرَّاتٍ، وَتَقْصِدُ مَكَاناً نَظِيفاً، وَتَدْلُكُهُ عَلَى حَجَرٍ بِخَلٍّ خَمْرٍ حَاذِقٍ[1]، وَتَطْلِيهِ عَلَى النَّمْلَةِ[2].

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنَ الْبَثْرَةِ[3]:

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ[4] ﷺ أَنَّهُ قَالَ لَهَا: «**عِنْدَكِ ذَرِيرَةٌ؟**» فَقُلْتُ: نَعَمْ، فَدَعَا بِهَا، فَوَضَعَهَا عَلَى بَثْرَةٍ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ رِجْلِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ مُطْفِىءَ الْكَبِيرِ وَمُكَبِّرَ الصَّغِيرِ أَطْفِئْهَا**» فَطُفِئَتْ. (وَالذَّرِيرَةُ: نَوْعٌ مِنَ الطِّيبِ).

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ مِنْ حَرْقِ النَّارِ:

رَوَى النَّسَائِيُّ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ حَاطِبٍ قَالَ: تَنَاوَلْتُ قِدْراً، فَأَصَابَ كَفِّي

---

(١) لاذع شديد الحموضة.

(٢) رواه أبو نُعيم.

(٣) وهي انتفاخ في الجلد مملوءٌ ماء.

(٤) وهي عائشة رضي الله عنها.

مِنْ مَائِهَا، فَاحْتَرَقَ ظَهْرُ كَفِّي، فَانْطَلَقَتْ بِي أُمِّي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ» وَأَحْسِبُهُ قَالَ: «وَاشْفِ أَنْتَ الشَّافِي» وَتَفَلَ.

ذِكْرُ طِبِّهِ ﷺ بِالْحِمْيَةِ:

عَنْ أُمِّ الْمُنْذِرِ بِنْتِ قَيْسٍ الأَنْصَارِيَّةِ قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَمَعَهُ عَلِيٌّ وَهُوَ نَاقِهٌ مِنْ مَرَضٍ[١]، وَلَنَا دَوَالٍ[٢] مُعَلَّقَةٌ، فَقَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَعَلِيٌّ يَأْكُلانِ مِنْهَا، فَطَفِقَ النَّبِيُّ ﷺ يَقُولُ لِعَلِيٍّ: «إِنَّكَ نَاقِهٌ»، حَتَّى كَفَّ، قَالَتْ: وَصَنَعْتُ شَعِيراً وَسِلْقاً، فَجِئْتُ بِهِ، فَقَالَ ﷺ لِعَلِيٍّ: «مِنْ هٰذَا أَصِبْ، فَإِنَّهُ أَنْفَعُ لَكَ» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ[٣].

ذِكْرُ حِمْيَةِ الْمَرِيضِ مِنَ الْمَاءِ:

عَنْ قَتَادَةَ بْنِ النُّعْمَانِ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا أَحَبَّ اللّهُ الْعَبْدَ حَمَاهُ الدُّنْيَا، كَمَا يَظَلُّ أَحَدُكُمْ يَحْمِي سَقِيمَهُ[٤] الْمَاءَ»[٥] رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[٦].

وَرَوَى الْحُمَيْدِيُّ مَرْفُوعاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «لَوْ أَنَّ النَّاسَ أَقَلُّوا مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ لاَسْتَقَامَتْ أَبْدَانُهُمْ».

وَلِلطَّبَرَانِيِّ[٧] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «مَنْ شَرِبَ الْمَاءَ عَلَى الرِّيقِ انْتَقَصَتْ قُوَّتُهُ».

---

(١) أي: برىء من مرضه، ولا يزال به ضعف.
(٢) أشجار عنب.
(٣) وأبو داود والترمذي.
(٤) مريضه.
(٥) إذا كان يضرُّه.
(٦) وقال: حسن غريب.
(٧) في الأوسط بسند ضعيف.

ذِكْرُ أَمْرِهِ ﷺ بِالْحِمْيَةِ مِنَ الْمَاءِ الْمُشَمَّسِ خَوْفَ الْبَرَصِ:

رَوَى الشَّافِعِيُّ وَالدَّارَقُطْنِيُّ[1]: عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لاَ تَغْتَسِلُوا بِالْمَاءِ الْمُشَمَّسِ، فَإِنَّهُ يُورِثُ الْبَرَصَ.

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ هٰذَا الْمَعْنَى مِنْ حَدِيثِ عَامِرٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ[2]، وَأَخْرَجَهُ الْعُقَيْلِيُّ عَنْ أَنَسٍ.

ذِكْرُ الْحِمْيَةِ مِنْ طَعَامِ الْبُخَلاَءِ:

عَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «**طَعَامُ الْبَخِيلِ دَاءٌ، وَطَعَامُ الأَسْخِيَاءِ شِفَاءٌ**» رَوَاهُ التِّنِّيسِيُّ عَنْ مَالِكٍ فِي غَيْرِ الْمُوَطَّأ[3].

ذِكْرُ الْحِمْيَةِ مِنَ النَّوْمِ فِي الشَّمْسِ: (فَإِنَّهُ يُورِثُ دَاءَ الْكَسَلِ، وَيُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينَ).

رَوَى أَبُو دَاوُدَ فِي الْمَرَاسِيلِ عَنْ يُونُسَ عَنْ رَبِيعَةَ بْنِ أَبِي عَبْدِالرَّحْمٰنِ: أَنَّهُ رَآهُ مُضْطَجِعاً فِي الشَّمْسِ، قَالَ يُونُسُ: فَنَهَانِي وَقَالَ: بَلَغَنِي أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهَا تُورِثُ الْكَسَلَ، وَتُثِيرُ الدَّاءَ الدَّفِينَ**».

ذِكْرُ الْحِمْيَةِ مِنَ الْجِمَاعِ مَعَ احْتِبَاسِ الْبَوْلِ، فَإِنَّ مِنْهُ دَاءَ الْبَوَاسِيرِ:

عَنِ الْحَسَنِ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**لاَ يُجَامِعَنَّ أَحَدُكُمْ وَبِهِ حَقْنُ خَلاَءٍ، فَإِنَّهُ يَكُونُ مِنْهُ الْبَوَاسِيرُ**» رَوَاهُ الْحَاكِمُ[4]. (وَحَقْنُ الْخَلاَءِ: احْتِبَاسُ الْبَوْلِ).

---

(١) بسند صحيح.

(٢) وهو ضعيف.

(٣) ورواه الحاكم والديلمي وابن عدي والدارقطني. قال في الميزان ومختصره اللسان: لا يثبت، فيه ضعفاء ومجاهيل.

(٤) وفي سنده سهل الديباجي، وهو كذاب رافضي. انظر كنز العمال **٤٥٨٩٢**.

ذِكْرُ حِمَايَةِ الشَّرَابِ مِنْ سُمِّ أَحَدِ جَنَاحَي الذُّبَابِ بِإِغْمَاسِ الثَّانِي:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«إِذَا وَقَعَ الذُّبَابُ فِي إِنَاءِ أَحَدِكُمْ فَلْيَغْمِسْهُ كُلَّهُ، ثُمَّ لِيَطْرَحْهُ، فَإِنَّ فِي أَحَدِ جَنَاحَيْهِ، شِفَاءً، وَفِي الآخَرِ دَاءً»**[1].

ذِكْرُ أَمْرِهِ ﷺ بِالْحِمْيَةِ مِنَ الْوَبَاءِ النَّازِلِ فِي الإِنَاءِ بِاللَّيْلِ بِتَغْطِيَتِهِ:

عَنْ جَابِرٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: **«غَطُّوا الإِنَاءَ، وَأَوْكُوا السِّقَاءَ، فَإِنَّ فِي السَّنَةِ لَيْلَةً يَنزِلُ فِيهَا وَبَاءٌ، لاَ يَمُرُّ بِإِنَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ غِطَاءٌ أَوْ سِقَاءٍ لَيْسَ عَلَيْهِ وِكَاءٌ إِلاَّ يَنْزِلُ فِيهِ مِنْ ذٰلِكَ الْوَبَاءِ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ فِي صَحِيحِهِ. قِيلَ: وَذٰلِكَ فِي أَوَاخِرِ[2] شُهُورِ السَّنَةِ الرُّومِيَّةِ فِي كَانُونِ الأَوَّلِ. (وَالْوِكَاءُ: هُوَ الْخَيْطُ الَّذِي يُشَدُّ بِهِ فَمُ الْقِرْبَةِ).

ذِكْرُ حِمْيَةِ الْوَلَدِ مِنْ إِرْضَاعِ الْحَمْقَى:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ[3] بِإِسْنَادٍ صَحِيحٍ قَالَ: نَهَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ أَنْ تُسْتَرْضَعَ الْحَمْقَى[4]، فَإِنَّ اللَّبَنَ يُشَبِّهُ ـ أَيْ: يُورِثُ شَبَهاً بَيْنَ الرَّضِيعِ وَالْمُرْضِعَةِ ـ، وَفِي رِوَايَةٍ: «يُعْدِي».

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: **«الرَّضَاعُ يُغَيِّرُ الطِّبَاعَ»**[5].

وَعِنْدَ ابْنِ حَبِيبٍ مَرْفُوعاً: أَنَّهُ ﷺ نَهَى عَنِ اسْتِرْضَاعِ الْفَاجِرَةِ ـ أَيْ: الْفَاسِقَةِ ـ.

---

(١) رواه البخاري.
(٢) في الأصل: آخر.
(٣) في المراسيل.
(٤) في الأصل: أن نسترضع الحمقاء.
(٥) رواه القضاعي بسند ضعيف. انظر كنز العمال **١٥٦٥٣**.

وَأَمَّا الْحِمْيَةُ مِنَ الْبَرْدِ:

فَقَدْ أَوْرَدَ فِيهَا أَبُو نُعَيْمٍ حَدِيثَ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**اسْتَدْفِئُوا مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ**»(١).

وَأَوْرَدَ الْمُسْتَغْفِرِيُّ عَنْ أَنَسٍ قَوْلَهُ ﷺ: «**إِنَّ الْمَلَائِكَةَ لَتَفْرَحُ بِارْتِفَاعِ الْبَرْدِ عَنْ أُمَّتِي**»(٢).

* * *

---

(١) وسنده ضعيف.

(٢) وسنده ضعيف.

الفصل الثاني

فِي تَعْبِيرِهِ ﷺ الرُّؤْيَا

رَوَى الدَّارِمِيُّ(١) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كَانَتْ امْرَأَةٌ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ لَهَا زَوْجٌ تَاجِرٌ يَخْتَلِفُ(٢) فِي التِّجَارَةِ، فَأَتَتْ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَقَالَتْ: إِنَّ زَوْجِي غَائِبٌ وَتَرَكَنِي حَامِلاً، فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنَّ سَارِيَةَ بَيْتِي انْكَسَرَتْ، وَأَنِّي وَلَدْتُ غُلاَماً أَعْوَرَ؟ فَقَالَ: **«خَيْرٌ، يَرْجِعُ زَوْجُكِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى صَالِحاً، وَتَلِدِينَ غُلاَماً بَرّاً»** فَذَكَرَتْ ذٰلِكَ ثَلاَثاً(٣)، فَجَاءَتْ - أَيْ: مَرَّةً أُخْرَى - وَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ غَائِبٌ، فَسَأَلْتُهَا(٤) فَأَخْبَرَتْنِي بِالْمَنَامِ، فَقُلْتُ لَهَا: لَئِنْ صَدَقَتْ رُؤْيَاكِ لَيَمُوتَنَّ زَوْجُكِ، وَتَلِدِينَ غُلاَماً فَاجِراً، فَقَعَدَتْ تَبْكِي، فَجَاءَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَقَالَ: **«مَهْ يَا عَائِشَةُ! إِذَا عَبَّرْتُمْ لِلْمُسْلِمِ الرُّؤْيَا فَاعْبُرُوهَا عَلَى خَيْرٍ، فَإِنَّ الرُّؤْيَا تَكُونُ عَلَى مَا يُعَبِّرُهَا صَاحِبُهَا»**، وَالْمُرَادُ بِصَاحِبِهَا: مَنْ يُعَبِّرُهَا. وَسَارِيَةُ الْبَيْتِ: عَمُودُهُ.

وَعَنْ عَطَاءِ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ قَالَ: جَاءَتِ امْرَأَةٌ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ

---

(١) بسند حسن.

(٢) يتردّد.

(٣) لتتأكّد وتطمئن.

(٤) أي: سألَتْها عائشة عن سبب تعدد مجيئها.

فَقَالَتْ: إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ جَائِزَةَ بَيْتِي (أَيْ: سَارِيَتَهُ) انْكَسَرَتْ (وَكَانَ زَوْجُهَا غَائِباً)، فَقَالَ: **«رَدَّ اللّهُ عَلَيْكِ زَوْجَكِ سَالِماً»**[1].

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ[2] أَنَّ ابْنَ زِمْلٍ لَمَّا قَصَّ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ رُؤْيَاهُ قَالَ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: **«خَيْرٌ نَلْقَاهُ، وَشَرٌّ نَتَوَقَّاهُ، وَخَيْرٌ لَنَا، وَشَرٌّ عَلَى أَعْدَائِنَا، وَالْحَمْدُ لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، اقْصُصْ عَلَيَّ رُؤْيَاكَ»**.

نُبْذَةٌ مِنْ مَرَائِيهِ ﷺ مَعَ تَعْبِيرِهَا:

اعْلَمْ أَنَّ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةَ هِيَ رُؤْيَا الأَنْبِيَاءِ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ، وَقَدْ تَقَعُ لِغَيْرِهِمْ بِنُدُورٍ، وَهِيَ الَّتِي تَقَعُ فِي الْيَقَظَةِ عَلَى وَفْقِ مَا وَقَعَتْ فِي النَّوْمِ، وَقَدْ وَقَعَ لِنَبِيِّنَا ﷺ مِنَ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةِ الَّتِي كَفَلَقِ الصُّبْحِ مَا لاَ يُعَدُّ وَلاَ يُحَدُّ. قَالَتْ عَائِشَةُ: أَوَّلُ مَا بُدِىءَ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مِنَ الْوَحْيِ الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لاَ يَرَى رُؤْيَا إِلاَّ جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرُؤْيَا النَّبِيِّ ﷺ كُلُّهَا صَادِقَةٌ، وَقَدْ تَكُونُ صَالِحَةً ـ وَهُوَ الأَكْثَرُ ـ وَغَيْرُ صَالِحَةٍ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الدُّنْيَا، كَمَا وَقَعَ فِي الرُّؤْيَا يَوْمَ أُحُدٍ، فَإِنَّهُ ﷺ رَأَى نَفْسَهُ فِي دِرْعٍ حَصِينَةٍ، وَرَأَى بَقَراً تُذْبَحُ، وَرَأَى فِي سَيْفِهِ ثَلْماً، فَأَوَّلَ الدِّرْعَ بِالْمَدِينَةِ، وَالْبَقَرَ مَا أَصَابَ أَصْحَابَهُ يَوْمَ أُحُدٍ مِنَ اسْتِشْهَادِ سَبْعِينَ، وَالثَّلْمَ الَّذِي كَانَ فِي سَيْفِهِ بِرَجُلٍ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ يُقْتَلُ، فَكَانَ حَمْزَةَ سَيِّدَ الشُّهَدَاءِ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، ثُمَّ كَانَتِ الْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: **«بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ أُتِيتُ بِقَدَحِ لَبَنٍ، فَشَرِبْتُ مِنْهُ، حَتَّى إِنِّي**

---

(١) في الأصل: فرجع سالماً. رواه سعيد بن منصور.

(٢) بسند ضعيف جداً.

لأرَى الرِّيَّ يَخْرُجُ فِي أَظْفَارِي[1]**، فَأَعْطَيْتُ فضلِي عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ**»، قَالُوا: فَمَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الْعِلْمَ**».

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ النَّاسَ يُعْرَضُونَ عَلَيَّ، وَعَلَيْهِمْ قُمُصٌ، مِنْهَا مَا يَبْلُغُ الثُّدِيَ، وَمِنْهَا مَا يَبْلُغُ دُونَ ذٰلِكَ، وَمَرَّ عَلَيَّ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ وَعَلَيْهِ قَمِيصٌ يَجُرُّهُ**» قَالُوا: مَا أَوَّلْتَهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**الدِّينُ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: ذُكِرَ لِي أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُ أَنَّهُ وُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَطَعْتُهُمَا**[2] **وَكَرِهْتُهُمَا، فَأُذِنَ لِي فَنَفَخْتُهُمَا فَطَارَا، فَأَوَّلْتُهُمَا كَذَّابَيْنِ يَخْرُجَانِ**»، قَالَ عُبَيْدُاللَّهِ الرَّاوِي عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَحَدُهُمَا: الْعَنْسِيُّ الَّذِي قَتَلَهُ فَيْرُوزُ بِالْيَمَنِ، وَالآخَرُ: مُسَيْلِمَةُ. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ أُوتِيتُ خَزَائِنَ الأَرْضِ، فَوُضِعَ فِي يَدَيَّ سِوَارَانِ**» إِلَى آخِرِ الْحَدِيثِ، وَالْمُرَادُ بِخَزَائِنِ الأَرْضِ: مَا فُتِحَ عَلَى أُمَّتِهِ مِنَ الْغَنَائِمِ وَذَخَائِرِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ وَغَيْرِهِمَا.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عُمَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ امْرَأَةً سَوْدَاءَ ثَائِرَةَ الرَّأْسِ خَرَجَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ حَتَّى قَامَتْ بِمَهْيَعَةَ**[3] ـ وَهِيَ الْجُحْفَةُ ـ، **فَأَوَّلْتُ ذٰلِكَ أَنَّ وَبَاءَ الْمَدِينَةِ نُقِلَ إِلَيْهَا**».

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ عَنْ أَبِي مُوسَى، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**رَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أُهَاجِرُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى أَرْضٍ بِهَا نَخْلٌ، فَذَهَبَ وَهَلِي** ـ أَيْ:

---

(١) أي: على أظفاري.
(٢) أي: اشتدّ عليّ أمرهما.
(٣) وهو الطريق الواسع الواضح.

وَهْمِي - **إِلَى أَنَّهَا الْيَمَامَةُ**[1] **أَوْ هَجَرُ**[2]، **فَإِذَا هِيَ الْمَدِينَةُ يَثْرِبُ**».

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِيمَا يَرَى النَّائِمُ كَأَنَّا فِي دَارِ عُقْبَةَ بْنِ رَافِعٍ، فَأُتِينَا بِرُطَبٍ مِنْ رُطَبِ ابْنِ طَابٍ**[3]**، فَأَوَّلْتُهُ أَنَّ الرِّفْعَةَ لَنَا فِي الدُّنْيَا وَالْعَاقِبَةَ فِي الآخِرَةِ، وَأَنَّ دِينَنَا قَدْ طَابَ**».

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**بَيْنَا أَنَا نَائِمٌ رَأَيْتُنِي عَلَى قَلِيبٍ، وَعَلَيْهَا دَلْوٌ، فَنَزَعْتُ مِنْهَا مَا شَاءَ اللّهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ، فَنَزَعَ مِنْهَا ذَنُوباً أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللّهُ يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ اسْتَحَالَتْ غَرْباً، فَأَخَذَهَا عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَنْزِعُ نَزْعَ ابْنِ الْخَطَّابِ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ**»[4]. (الْقَلِيبُ: الْبِئْرُ، وَالذَّنُوبُ: الدَّلْوُ الْمُمْتَلِىءُ، وَالْغَرْبُ: الدَّلْوُ الْعَظِيمَةُ، وَعَبْقَرِيُّ الْقَوْمِ: سَيِّدُهُمْ وَكَبِيرُهُمْ وَقَوِيُّهُمْ، وَالْعَطَنُ لِلإِبِلِ كَالْوَطَنِ لِلنَّاسِ، لٰكِنْ غُلِّبَ عَلَى مَبْرَكِهَا حَوْلَ الْحَوْضِ، وَيُقَالُ: ضَرَبَتِ الإِبِلُ بِعَطَنٍ: إِذَا رَوِيَتْ ثُمَّ بَرَكَتْ حَوْلَ الْمَاءِ).

وَهٰذَا الْمَنَامُ مِثَالٌ لِمَا جَرَى لِلنَّبِيِّ ﷺ وَلِلْخَلِيفَتَيْنِ بَعْدَهُ.

وَقَوْلُهُ: «**وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ**»: فَهُوَ إِخْبَارٌ عَنْ حَالِهِ فِي قِصَرِ مُدَّةِ وِلاَيَتِهِ، وَلَيْسَ فِي قَوْلِهِ: «**وَاللّهُ يَغْفِرُ لَهُ**» نَقْصٌ، وَلاَ إِشَارَةٌ إِلَى أَنَّهُ وَقَعَ مِنْهُ ذَنْبٌ، وَإِنَّمَا هِيَ كَلِمَةٌ كَانُوا يَقُولُونَهَا، وَأَمَّا وِلاَيَةُ عُمَرَ: فَإِنَّهَا لَمَّا طَالَتْ كَثُرَ انْتِفَاعُ النَّاسِ بِهَا، وَاتَّسَعَتْ دَائِرَةُ الإِسْلاَمِ بِكَثْرَةِ الْفُتُوحِ وَتَمْصِيرِ الأَمْصَارِ وَتَدْوِينِ الدَّوَاوِينِ.

---

(١) وهي قاعدة البحرين، أكثر نخلاً من سائر الحجاز.

(٢) بلد باليمن.

(٣) رجل من أهل المدينة.

(٤) أي: رَوِيَتْ إبلُهم.

وَأَخْرَجَ أَحْمَدُ وَأَبو دَاوُدَ عَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْواً دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ، فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيْهَا فَشَرِبَ شُرْباً ضَعِيفاً، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيْهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيْهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَانْتُشِطَتْ، وَانْتُضِحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ. (وَالْعَرَاقِيْ: جَمْعُ عَرْقُوَةٍ، وَهِيَ الْخَشَبَةُ الْمَعْرُوضَةُ عَلَى فَمِ الدَّلْوِ، وَهُمَا عَرْقُوَتَانِ كَالصَّلِيبِ. وَانْتُشِطَتْ: جُذِبَتْ وَرُفِعَتْ).

ذِكْرُ تَعْبِيرِهِ ﷺ لِمَا رَآهُ غَيْرُهُ:

كَانَ ﷺ إِذَا انْفَتَلَ مِنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ فَيَقُولُ: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمُ اللَّيْلَةَ رُؤْيَا فَلْيَقُصَّهَا عَلَيَّ أُعَبِّرْهَا لَهُ**»، فَيَقُصُّ النَّاسُ عَلَيْهِ مَرَائِيَهُمْ، ثُمَّ تَرَكَ السُّؤَالَ إِيثَاراً لِسَتْرِ الْعَوَاقِبِ، فَكَانَ يُعَبِّرُ لِمَنْ قَصَّ مُتَبَرِّعاً.

فَمِنْ غَرِيبِ مَا نُقِلَ عَنْهُ ﷺ مِنَ التَّعْبِيرِ: أَنَّ زُرَارَةَ بْنَ عَمْرٍو النَّخَعِيَّ قَدِمَ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي وَفْدِ النَّخَعِ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنِّي رَأَيْتُ فِي طَرِيقِي هٰذَا رُؤْيَا؛ رَأَيْتُ أَتَاناً تَرَكْتُهَا فِي الْحَيِّ وَلَدَتْ جَدْياً أَسْفَعَ أَحْوَى، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**هَلْ لَكَ مِنِ امْرَأَةٍ تَرَكْتَهَا مُصِرَّةً[1] حَمْلاً؟**» قَالَ: نَعَمْ، تَرَكْتُ أَمَةً أَظُنُّهَا قَدْ حَمَلَتْ، قَالَ: «**فَقَدْ وَلَدَتْ غُلاَماً، وَهُوَ ابْنُكَ**»، قَالَ: فَمَا بَالُهُ أَسْفَعَ أَحْوَى؟ قَالَ: «**ادْنُ مِنِّي**»، فَدَنَا مِنْهُ، قَالَ: «**هَلْ بِكَ بَرَصٌ تَكْتُمُهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا رَآهُ مَخْلُوقٌ وَلاَ عَلِمَ بِهِ أَحَدٌ، قَالَ: «**فَهُوَ ذَاكَ**»، قَالَ: وَرَأَيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ وَعَلَيْهِ قُرْطَانِ وَدُمْلُجَانِ وَمَسَكَتَانِ، قَالَ: «**ذٰلِكَ مُلْكُ الْعَرَبِ، رَجَعَ إِلَى أَحْسَنِ زِيِّهِ وَبَهْجَتِهِ**»، قَالَ: وَرَأَيْتُ عَجُوزاً شَمْطَاءَ تَخْرُجُ مِنَ الأَرْضِ، قَالَ: «**تِلْكَ بَقِيَّةُ**

---

(١) حاملاً.

الدُّنْيا»، قَالَ: وَرَأَيْتُ ناراً خَرَجَتْ مِنَ الأَرْضِ فَحَالَتْ بَيْنِي وَبَيْنَ ابنٍ لِي يُقَالُ لَهُ عَمروٌ، وَرَأَيْتُها تَقُولُ: لَظَى لَظَى، بَصِيرٌ وَأَعْمَى، آكُلُكُمْ آكُلُكُمْ أَهْلَكُمْ وَمَالَكُمْ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«تِلْكَ فِتْنَةٌ تَكُونُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ»**، قَالَ: وَمَا الْفِتْنَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«يَفْتِكُ النَّاسُ بِإِمَامِهِمْ، ثُمَّ يَشْتَجِرُونَ اشْتِجَارَ أَطْبَاقِ الرَّأْسِ»** وَخَالَفَ[1] ﷺ بَيْنَ أَصَابِعِهِ، يَحْسِبُ الْمُسِيءُ أَنَّهُ مُحْسِنٌ، وَدَمُ الْمُؤْمِنِ عِنْدَ الْمُؤْمِنِ أَحْلَى مِنْ شُرْبِ الْمَاءِ الْبَارِدِ.

(الأَتَانُ: أُنْثَى الْحَمِيرِ، وَالْجَدْيُ: الذَّكَرُ مِنْ أَوْلَادِ الْمَعْزِ، وَالأَسْفَعُ: الَّذِي أَصَابَ جَسَدَهُ لَوْنٌ آخَرُ، وَالأَحْوَى: الأَسْوَدُ الَّذِي لَيْسَ بِالشَّدِيدِ، وَالْقُرْطُ: مَا يُعَلَّقُ فِي شَحْمَتَيِ الأُذُنِ، وَالدُّمْلُجُ: شَيْءٌ يُشْبِهُ السِّوَارَ، وَالْمَسْكَتَانِ: السِّوَارَانِ مِنْ ذَهَبٍ، وَالشَّمْطَاءُ: الَّتِي شَعْرُ رَأْسِهَا أَبْيَضُ، وَأَطْبَاقُ الرَّأْسِ: عِظَامُهُ، وَاشْتِجَارُ: الاخْتِلَافُ وَالاشْتِبَاكُ).

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رُوِيَ عَنْ قَيْسِ بْنِ عُبَادٍ قَالَ: كُنْتُ فِي حَلْقَةٍ فِيهَا سَعْدُ بْنُ مَالِكٍ وَابْنُ عُمَرَ، فَمَرَّ عَبْدُاللَّهِ بْنُ سَلَامٍ، فَقَالُوا: هٰذَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّهُمْ قَالُوا كَذَا وَكَذَا، قَالَ: سُبْحَانَ اللَّهِ، مَا كَانَ يَنْبَغِي لَهُمْ أَنْ يَقُولُوا مَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ، إِنَّمَا رَأَيْتُ كَأَنَّمَا عَمُودٌ وُضِعَ فِي رَوْضَةٍ خَضْرَاءَ، فَنُصِبَ فِيهَا، وَفِي رَأْسِهَا عُرْوَةٌ، وَفِي أَسْفَلِهَا مِنْصَفٌ (وَالْمِنْصَفُ: الْوَصِيفُ)[2] فَقَالَ: ارْقَهْ، فَرَقِيتُهُ حَتَّى أَخَذْتُ بِالْعُرْوَةِ، فَقَصَصْتُهَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ: **«يَمُوتُ عَبْدُاللَّهِ وَهُوَ آخِذٌ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى»** رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْهُ: بَيْنَمَا أَنَا نَائِمٌ أَتَانِي رَجُلٌ فَقَالَ لِي: قُمْ، فَأَخَذَ

---

(١) شبّك.

(٢) وهو الخادم.

بِيَدِي، فَانْطَلَقْتُ مَعَهُ، فَإِذَا أَنَا بِجَوَادّ (جَمْعُ: جَادَّةٍ، وَهِيَ الطَّرِيقُ الْمَسْلُوكُ عَنْ شِمَالِي)، قَالَ: فَأَخَذْتُ لآخُذَ فِيهَا - أَيْ: أَسيرَ - فَقَالَ: لاَ تَأْخُذْ فِيهَا، فَإِنَّهَا طَرِيقُ أَصْحَابِ الشِّمَالِ، فَإِذَا مَنْهَجٌ[1] عَنْ يَمِينِي، فَقَالَ لِي: خُذْ هٰهُنَا، فَأَتَى بِي جَبلاً، فَقَالَ لِي: اصْعَدْ، فَجَعَلْتُ إِذَا أَرَدْتُ أَنْ أَصْعَدَ خَرَرْتُ، حَتَّى فَعَلْتُ ذٰلِكَ مِرَاراً. وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ وَابْنِ مَاجَه: قَالَ ﷺ: **«رَأَيْتَ خَيْراً، أَمَّا الْمَنْهَجُ: فَالْمَحْشَرُ، وَأَمَّا الْجَبَلُ: فَهُوَ مَنْزِلُ الشُّهَدَاءِ، وَلَنْ تَنَالَهُ»**. وَهٰذَا عَلَمٌ مِنْ أَعْلاَمِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، فَإِنَّ عَبْدَاللّٰهِ بْنَ سَلاَمٍ لَمْ يَمُتْ شَهِيداً، وَإِنَّمَا مَاتَ عَلَى فِرَاشِهِ فِي أَوَّلِ خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ بِالْمَدِينَةِ.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ أُمِّ الْعَلاَءِ قَالَتْ: بَايَعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ، وَأُرِيتُ لِعُثْمَانَ بْنِ مَظْعُونٍ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي النَّوْمِ عَيْناً تَجْرِي، فَجِئْتُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لَهُ، فَقَالَ: **«ذٰلِكَ عَمَلُهُ يَجْرِي لَهُ»**.

---

(١) طريق واضح.

الفصل الثالث

فِي إِنْبَائِهِ ﷺ بِالأَنْبَاءِ الْمُغَيَّبَاتِ

اعْلَمْ أَنَّ عِلْمَ الْغَيْبِ يَخْتَصُّ بِهِ تَعَالَى، وَمَا وَقَعَ مِنْهُ عَلَى لِسَانِ رَسُولِهِ ﷺ وَغَيْرِهِ، فَمِنَ اللَّهِ تَعَالَى، إِمَّا بِوَحْيٍ أَوْ بِإِلْهَامٍ، لإِثْبَاتِ نُبُوَّتِهِ ﷺ، وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**وَاللَّهِ إِنِّي لاَ أَعْلَمُ إِلاَّ مَا عَلَّمَنِي رَبِّي**»[1]. وَقَدِ اشْتَهَرَ وَانْتَشَرَ أَمْرُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِالاطِّلاَعِ عَلَى الْغُيُوبِ، حَتَّى كَانَ بَعْضُهُمْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ: اسْكُتْ فَوَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَكُنْ عِنْدَنَا مَنْ يُخْبِرُهُ لأَخْبَرَتْهُ حِجَارَةُ الْبَطْحَاءِ[2]، وَيَشْهَدُ لَهُ قَوْلُ عَبْدِاللَّهِ بْنِ رَوَاحَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

وَفِينَا رَسُولُ اللَّهِ يَتْلُو كِتَابَهُ ... إِذَا انْشَقَّ مَعْرُوفٌ مِنَ الصُّبْحِ سَاطِعُ
أَرَانَا الْهُدَى بَعْدَ الْعَمَى فَقُلُوبُنَا ... بِهِ مُوقِنَاتٌ أَنَّ مَا قَالَ وَاقِعُ

وَقَوْلُ حَسَّانَ بْنِ ثَابِتٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ:

نَبِيٌّ يَرَى مَا لاَ يَرَى النَّاسُ حَوْلَهُ ... وَيَتْلُو كِتَابَ اللَّهِ فِي كُلِّ مَشْهَدِ
فَإِنْ قَالَ فِي يَوْمٍ مَقَالَةَ غَائِبٍ ... فَتَصْدِيقُهَا فِي ضَحْوَةِ الْيَوْمِ أَوْ غَدِ

وَهٰذَا الْفَصْلُ يَنْقَسِمُ قِسْمَيْنِ:

---

(١) رواه الطبراني بلفظ: «**إني فيما لم يوح إليّ كأحدكم**».

(٢) مكة.

القسم الأول
فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ مِمَّا نَطَقَ بِهِ الْقُرْآنُ الْعَظِيمُ

فَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ﴾ إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا﴾[1]، فَقَوْلُهُ: ﴿وَلَن تَفْعَلُوا﴾ إِخْبَارٌ عَنْ غَيْبٍ تَقْضِي الْعَادَةُ بِخِلافِهِ، لأَنَّهُمْ كَانُوا غَايَةً فِي الْبَلاغَةِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ الآيَة[2]، وَالطَّائِفَتَانِ: هُمَا الْعِيرُ وَالنَّفِيرُ، فَأَخْبَرَ اللّٰهُ تَعَالَى عَمَّا فِي ضَمَائِرِهِمْ، وَأَنْجَزَ لَهُمْ مَا وَعَدَ، وَلاَ شَكَّ أَنَّ الْوَعْدَ كَانَ قَبْلَ اللِّقَاءِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾﴾[3] يَعْنِي كُفَّارَ قُرَيْشٍ يَوْمَ بَدْرٍ، وَقَدْ كَانَ عَدَدُهُمْ مَا بَيْنَ التِّسْعِ مِئَةٍ إِلَى الأَلْفِ، وَكَانُوا مُسْتَعِدِّينَ بِالْمَالِ وَالسِّلاحِ، وَكَانَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ ثَلاثَ مِئَةٍ وَثَلاثَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَهَزَمَ اللّٰهُ الْمُشْرِكِينَ، وَمَكَّنَ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَتْلِ أَبْطَالِهِمْ، وَاغْتِنَامِ أَمْوَالِهِمْ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى فِي كُفَّارِ قُرَيْشٍ: ﴿سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا﴾[4] يُرِيدُ مَا قَذَفَ اللّٰهُ فِي قُلُوبِهِمْ مِنَ الْخَوْفِ يَوْمَ أُحُدٍ، حَتَّى تَرَكُوا الْقِتَالَ وَرَجَعُوا مِنْ غَيْرِ سَبَبٍ.

---

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٤.

(٢) سورة الأنفال، الآية: ٧.

(٣) سورة القمر، الآية: ٤٥.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ١٥١.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ﴾[1]، سَبَبُ نُزُولِ هٰذِهِ الآيَةِ: أَنَّ كِسْرَى وَقَيْصَرَ تَقَاتَلاَ، فَغَلَبَ كِسْرَى قَيْصَرَ، فَسَاءَ الْمُسْلِمِينَ ذٰلِكَ؛ لأَنَّ الرُّومَ أَهْلُ كِتَابٍ، وَلِتَعْظِيمِ قَيْصَرَ كِتَابَ النَّبِيِّ ﷺ وَتَمْزِيقِ كِسْرَى كِتَابَهُ[2]، وَفَرِحَ الْمُشْرِكُونَ، فَأَخْبَرَ اللّٰهُ تَعَالَى بِأَنَّ الرُّومَ بَعْدَ أَنْ غُلِبُوا سَيَغْلِبُونَ فِي بِضْعِ سِنِينَ. (وَالْبِضْعُ: مَا بَيْنَ الثَّلاثَةِ إِلَى الْعَشَرَةِ)، فَغَلَبَتِ الرُّومُ أَهْلَ فَارِسَ يَوْمَ الْحُدَيْبِيَةِ[3]، وَأَخْرَجُوهُمْ مِنْ بِلادِهِمْ، وَذٰلِكَ بَعْدَ سَبْعِ سِنِينَ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَتَمَنَّوُاْ ٱلۡمَوۡتَ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ وَلَن يَتَمَنَّوۡهُ أَبَدًا﴾[4]، فَأَخْبَرَ أَنَّهُمْ لاَ يَتَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ بِالْقَلْبِ وَلاَ بِالنُّطْقِ بِاللِّسَانِ مَعَ قُدْرَتِهِمْ عَلَيْهِ، فَلَوْ لَمْ يَعْلَمُوا مَا يَلْحَقُهُمْ مِنَ الْمَوْتِ[5] لَسَارَعُوا إِلَى تَكْذِيبِهِ بِالتَّمَنِّي، وَرُوِيَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «**لَوْ تَمَنَّوُا الْمَوْتَ لَغَصَّ كُلُّ إِنْسَانٍ مِنْهُمْ بِرِيقِهِ فَمَاتَ مَكَانَهُ، وَمَا بَقِيَ يَهُودِيٌّ عَلَى وَجْهِ الأَرْضِ**»[6].

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسۡتَخۡلِفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ كَمَا ٱسۡتَخۡلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾ الآيَةَ[7]، هٰذَا وَعْدٌ

---

(١) سورة الروم، الآيات: ١ ـ ٦.

(٢) لكن مكاتبة الملوك كانت في العام السابع من الهجرة وما بعده، وآية الروم مكية، لذا فموقف كسرىٰ وقيصر ليس علّةً في الموضوع، كما ذكر ذلك صالح الشامي في تحقيقه علىٰ المواهب.

(٣) أو يومَ بدر علىٰ خلاف فيه بين المفسّرين.

(٤) سورة البقرة، الآيتان: ٩٤، ٩٥.

(٥) بتكذيبه.

(٦) هذه الرواية من قول ابن عباس، كما في (الدر المنثور) للسيوطي، لكن روىٰ الشيخان والترمذي والنسائي عنه ﷺ: «**لو أن اليهود تمنَّوا الموت لماتوا، ولرأوا مقاعدهم من النار**».

(٧) سورة النور، الآية: ٥٥.

مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِرَسُولِهِ ﷺ بِأَنَّهُ سَيَجْعَلُ أُمَّتَهُ خُلَفَاءَ الأَرْضِ أَئِمَّةَ النَّاسِ وَالْوُلاَةَ عَلَيْهِمْ، وَبِهِمْ تَصْلُحُ الْبِلاَدُ وَتَخْضَعُ لَهُمُ الْعِبَادُ، وَقَدْ فَعَلَ تَعَالَى ذٰلِكَ فِيهِمْ وَلِلَّهِ الْحَمْدُ، فَإِنَّهُ لَمْ يَمُتْ ﷺ حَتَّى فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْهِ مَكَّةَ وَخَيْبَرَ وَالْبَحْرَيْنِ وَسَائِرَ جَزِيرَةِ الْعَرَبِ وَأَرْضَ الْيَمَنِ بِكَمَالِهَا، وَأَخَذَ الْجِزْيَةَ مِنْ مَجُوسِ هَجَرَ وَمِنْ بَعْضِ أَطْرَافِ الشَّامِ، وَهَادَاهُ هِرَقْلُ مَلِكُ الرُّومِ وَصَاحِبُ مِصْرَ وَالإِسْكَنْدَرِيَّةِ ـ وَهُوَ الْمُقَوْقِسُ ـ وَمُلُوكُ عُمَانَ، وَالنَّجَاشِيُّ مَلِكُ الْحَبَشَةِ الَّذِي تَمَلَّكَ بَعْدَ أَصْحَمَةَ رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)].

ثُمَّ لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَامَ بِالأَمْرِ بَعْدَهُ خَلِيفَتُهُ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَلَمَّ شَعَثَ مَا وَهَى، وَمَهَّدَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، وَبَعَثَ الْجُيُوشَ الإِسْلاَمِيَّةَ إِلَى بِلاَدِ فَارِسَ فَفَتَحُوا طَرَفاً مِنْهَا، وَجَيْشاً آخَرَ إِلَى أَرْضِ الشَّامِ، وَجَيْشاً ثَالِثاً إِلَى بَلاَدِ مِصْرَ، فَفَتَحَ اللَّهُ لِلْجَيْشِ الشَّامِيِّ فِي أَيَّامِهِ بُصْرَى وَدِمَشْقَ وَنَوَاحِيَهُمَا مِنْ بِلاَدِ حَوْرَانَ وَمَا وَالاَهَا، وَتَوَفَّاهُ اللَّهُ تَعَالَى وَقَدِ اسْتَخْلَفَ عُمَرَ الْفَارُوقَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَقَامَ فِي الأَمْرِ بَعْدَهُ قِيَاماً تَامًّا، لَمْ يَدُرِ الْفَلَكُ بَعْدَ الأَنْبِيَاءِ عَلَى مِثْلِهِ، وَتَمَّ فِي أَيَّامِهِ فَتْحُ الْبِلاَدِ الشَّامِيَّةِ بِكَمَالِهَا وَدِيَارِ مِصْرَ إِلَى آخِرِهَا وَأَكْثَرِ إِقْلِيمِ فَارِسَ، ثُمَّ فِي أَيَّامِ الْخَلِيفَةِ الثَّالِثِ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ امْتَدَّتِ الْمَمَالِكُ الإِسْلاَمِيَّةُ إِلَى أَقْصَى مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، وَجِيءَ بِالْخَرَاجِ مِنَ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ، ثُمَّ زَادَتِ الْفُتُوحَاتُ، وَاتَّسَعَتِ الْمَمَالِكُ الإِسْلاَمِيَّةُ، وَهَا نَحْنُ نَتَقَلَّبُ فِيمَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ ﷺ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ﴾[(٢)]، فَالْيَهُودُ أَذَلُّ الْكُفَّارِ فِي كُلِّ مَكَانٍ وَزَمَانٍ كَمَا أَخْبَرَ.

---

(١) والصُّحْمَة: سواد إلىٰ صفرة، أو غُبْرة إلىٰ سواد قليل، أو حُمرة في بياض.

(٢) سورة البقرة، الآية: ٦١.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾﴾[1]، وَهٰذَا ظَاهِرٌ فِي الْعِيَانِ بِأَنَّ دِينَ الإِسْلاَمِ كَمَا أَخْبَرَ عَالٍ عَلَى سَائِرِ الأَدْيَانِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ تَعالَى: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴿١﴾﴾ إِلَى آخِرِهَا[2]، فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ، دَخَلَ النَّاسُ فِي الإِسْلاَمِ أَفْوَاجاً، فَمَا مَاتَ ﷺ وَفِي بِلاَدِ الْعَرَبِ كُلِّهَا مَوْضِعٌ لَمْ يَدْخُلْهُ الإِسْلاَمُ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَطُولُ اسْتِقْصَاؤُهُ.

القِسْمُ الثَّاني
فِيمَا أَخْبَرَ بِهِ مِنَ الْغُيُوبِ
سِوَى مَا فِي الْقُرْآنِ الْعَزِيزِ،
فَكَانَ كَما أَخْبَرَ بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَمَاتِهِ ﷺ

أَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ[3] عَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**إِنَّ اللّهَ قَدْ رَفَعَ لِي الدُّنْيَا، فَأَنَا أَنْظُرُ إِلَيهَا وَإِلَى مَا هُوَ كَائِنٌ فِيهَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى كَفِّي هٰذِهِ**».

وَعَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَامَ فِينَا رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَقَاماً، فَمَا تَرَكَ شَيْئاً فِي مَقَامِهِ ذٰلِكَ إِلَى قِيَامِ السَّاعَةِ إِلاَّ حَدَّثَ بِهِ، حَفِظَهُ مَنْ حَفِظَهُ، وَنَسِيَهُ مَنْ نَسِيَهُ، قَدْ عَلِمَهُ أَصْحَابِي هٰؤُلاَءِ، وَإِنَّهُ لَيَكُونُ مِنْهُ الشَّيْءُ قَدْ نَسِيتُهُ فَأَرَاهُ فَأَعْرِفُهُ، فَأَذْكُرُهُ كَمَا يَذْكُرُ الرَّجُلُ وَجْهَ الرَّجُلِ إِذَا غَابَ عَنْهُ ثُمَّ إِذَا رَآهُ عَرَفَهُ،

(١) سورة التوبة، الآية: ٣٣.
(٢) آخر سورة النصر.
(٣) بسند ضعيف، كما في كنز العمال ٣١٨١٠.

ثُمَّ قَالَ حُذَيْفَةُ: مَا أَدْرِي أَنَسِيَ أَصْحَابِي أَمْ تَنَاسَوْهُ؟ وَاللَّهِ مَا تَرَكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ قَائِدِ فِتْنَةٍ إِلَى أَنْ تَنْقَضِي الدُّنْيَا يَبْلُغُ مَنْ مَعَهُ ثَلاَثَ مِئَةٍ فَصَاعِداً إِلاَّ قَدْ سَمَّاهُ لَنَا بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ وَقَبِيلَتِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ فِي الدَّجَّالِ: فَيَبْعَثُونَ عَشَرَةَ فَوَارِسَ طَلِيعَةً[1]، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْرِفُ أَسْمَاءَهُمْ وَأَسْمَاءَ آبَائِهِمْ وَأَلْوَانَ خُيُولِهِمْ، هُمْ خَيْرُ فَوَارِسَ عَلَى ظَهْرِ الأَرْضِ يَوْمَئِذٍ**»، فَوَضَحَ أَنَّهُ ﷺ عَرَّفَهُمْ بِمَا يَقَعُ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ مَوْتِهِ.

وَقَالَ أَبُو ذَرٍّ: لَقَدْ تَرَكَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَمَا يُحَرِّكُ طَائِرٌ جَنَاحَيْهِ فِي السَّمَاءِ إِلاَّ ذَكَّرَنَا مِنْهُ عِلْماً[2].

فَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ نَعَى النَّجَاشِيَّ لِلنَّاسِ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَصَلَّى عَلَيْهِ، وَكَبَّرَ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ.

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالْبُخَارِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَعِدَ أُحُداً وَمَعَهُ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ، فَرَجَفَ بِهِمُ الْجَبَلُ، فَضَرَبَهُ ﷺ بِرِجْلِهِ وَقَالَ لَهُ: «**أُثْبُتْ أُحُدُ، فَإِنَّمَا عَلَيْكَ نَبِيٌّ، وَصِدِّيقٌ، وَشَهِيدَانِ**» فَكَانَ كَمَا أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «**إِذَا هَلَكَ كِسْرَى فَلاَ كِسْرَى بَعْدَهُ، وَإِذَا هَلَكَ قَيْصَرُ فَلاَ قَيْصَرَ بَعْدَهُ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ: لَتُنْفِقُنَّ كُنُوزَهُمَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**». قَالَ النَّوَوِيُّ: قَالَ الشَّافِعِيُّ وَسَائِرُ الْعُلَمَاءِ: مَعْنَاهُ: لاَ يَكُونُ كِسْرَى بِالْعِرَاقِ وَلاَ قَيْصَرُ بِالشَّامِ كَمَا كَانَ

---

(١) أي: يَبعث المسلمون طليعةً للدجّال.

(٢) رواه أحمد والطبراني.

فِي زَمَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَأَعْلَمَنَا ﷺ بِانْقِطَاعِ مُلْكِهِمَا مِنْ هٰذَيْنِ الإِقْلِيمَيْنِ، وَكَانَ كَمَا قَالَ ﷺ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِسُرَاقَةَ: «**كَيفَ بِكَ إِذَا لَبِسْتَ سِوَارَيْ كِسْرَى؟**» فَلَمَّا أُتِيَ بِهِمَا عُمَرُ أَلْبَسَهُمَا إِيَّاهُ وَقَالَ: الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي سَلَبَهُمَا كِسْرَى وَأَلْبَسَهُمَا سُرَاقَةَ. (وَهُوَ أَعْرَابِيٌّ بَدَوِيٌّ مِنْ بَنِي مُدْلِجٍ).

وَمِنْ ذٰلِكَ: إِخْبَارُهُ ﷺ بِالْمَالِ الَّذِي تَرَكَهُ عَمُّهُ الْعَبَّاسُ عِنْدَ أُمِّ الْفَضْلِ بَعْدَ أَنْ كَتَمَهُ[1]، فَقَالَ: مَا عَلِمَهُ غَيْرِي وَغَيْرُهَا، وَأَسْلَمَ.

وَإِخْبَارُهُ بِشَأْنِ كِتَابِ حَاطِبٍ إِلَى أَهْلِ مَكَّةَ.

وَبِمَوْضِعِ نَاقَتِهِ حِينَ ضَلَّتْ، وَكَيْفَ تَعَلَّقَتْ بِخِطَامِهَا فِي الشَّجَرَةِ.

وَلَمَّا رَجَعَ الْمُشْرِكُونَ يَوْمَ الأَحْزَابِ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**الآنَ نَغْزُوهُمْ وَلاَ يَغْزُونَنَا**»، فَلَمْ يُغْزَ ﷺ بَعْدَهَا.

وَبَعَثَ ﷺ جَيْشاً إِلَى مُؤْتَةَ، وَأَمَّرَ عَلَيْهِمْ زَيْدَ بْنَ حَارِثَةَ ثُمَّ قَالَ: «**فَإِنْ أُصِيبَ فَجَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، فَإِنْ أُصِيبَ فَعَبْدُاللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ**»، فَلَمَّا الْتَقَى الْمُسْلِمُونَ بِمُؤْتَةَ جَلَسَ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكُشِفَ لَهُ حَتَّى نَظَرَ إِلَى مُعْتَرَكِهِمْ فَقَالَ: «**أَخَذَ الرَّايَةَ زَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ حَتَّى اسْتُشْهِدَ**»، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لَهُ**»، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ جَعْفَرُ بْنُ أَبِي طَالِبٍ حَتَّى اسْتُشْهِدَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ جَعْفَرٍ**»، ثُمَّ أَخَذَ الرَّايَةَ عَبْدُاللّهِ بْنُ رَوَاحَةَ فَاسْتُشْهِدَ، فَصَلَّى عَلَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اسْتَغْفِرُوا لأَخِيكُمْ**»، فَأَخْبَرَ أَصْحَابَهُ بِقَتْلِهِمْ فِي السَّاعَةِ الَّتِي قُتِلُوا فِيهَا. (وَمُؤْتَةُ دُونَ دِمَشْقَ بِأَرْضِ الْبَلْقَاءِ).

---

(١) وذلك عندما أُخذ أسيراً في بدر، وطُلب منه الفداء، فقال للرسول ﷺ: لقد تركتني فقير قريش ما بقيتُ، فقال له ﷺ: «**كيف وقد تركتَ لأمِّ الفضل أموالاً وقلتَ لها: إن متُّ فقد تركتك غنية؟**».

وَعَنْ أَسْمَاءَ بِنْتِ عُمَيْسٍ قَالَتْ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ صَبِيحَةَ الْيَوْمِ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ جَعْفَرٌ وَأَصْحَابُهُ فَقَالَ: «**يَا أَسْمَاءُ! أَيْنَ بَنُو جَعْفَرٍ؟**» فَجِئْتُ بِهِمْ، فَضَمَّهُمْ وَشَمَّهُمْ، ثُمَّ ذَرَفَتْ عَيْنَاهُ بِالدُّمُوعِ، فَبَكَى، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَبَلَغَكَ عَنْ جَعْفَرٍ شَيْءٌ؟ قَالَ: «**نَعَمْ، قُتِلَ الْيَوْمَ**» رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «**زُوِيَتْ[1] لِيَ الأَرْضُ فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَسَيَبْلُغُ مُلْكُ أُمَّتِي مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا**» فَكَانَ كَذٰلِكَ، امْتَدَّتْ فِي الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ مَا بَيْنَ أَقْصَى الْهِنْدِ إِلَى أَقْصَى الْمَشْرِقِ إِلَى بَحْرِ طَنْجَةَ[2].

وَمِنْ ذٰلِكَ: إِعْلَامُهُ قُرَيْشاً بِأَكْلِ الأَرَضَةِ مَا فِي صَحِيفَتِهِمْ الَّتِي تَظَاهَرُوا بِهَا عَلَى بَنِي هَاشِمٍ وَقَطَعُوا بِهَا رَحِمَهُمْ، وَأَنَّهَا أَبْقَتْ فِيهَا كُلَّ اسْمٍ لِلَّهِ، فَوَجَدُوهَا كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ الْبَزَّارُ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: كُنْتُ جَالِساً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي مَسْجِدِ مِنًى، فَأَتَاهُ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ وَرَجُلٌ مِنْ ثَقِيفٍ، فَسَلَّمَا ثُمَّ قَالَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! جِئْنَا نَسْأَلُكَ، فَقَالَ: «**إِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُخْبِرَكُمَا بِمَا جِئْتُمَا تَسْأَلَانِي عَنْهُ فَعَلْتُ؟ وَإِنْ شِئْتُمَا أَنْ أُمْسِكَ وَتَسْأَلَانِي فَعَلْتُ؟**» فَقَالَا: أَخْبِرْنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ الثَّقَفِيُّ لِلأَنْصَارِيِّ: سَلْ، فَقَالَ: أَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَقَالَ: «**جِئْتَنِي تَسْأَلُنِي عَنْ مَخْرَجِكَ مِنْ بَيْتِكَ تَؤُمُّ الْبَيْتَ الْحَرَامَ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ رَكْعَتَيْكَ بَعْدَ الطَّوَافِ وَمَا لَكَ فِيهِمَا، وَعَنْ سَعْيِكَ بَيْنَ الصَّفَا وَالْمَرْوَةِ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ وُقُوفِكَ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ رَمْيِكَ الْجِمَارَ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ نَحْرِكَ وَمَا لَكَ فِيهِ، وَعَنْ حِلَاقِكَ رَأْسَكَ**

---

(١) جُمعَت وطُويَت.

(٢) في أقصىٰ المغرب.

وَمَا لَكَ فِيهِ مَعَ الإِفَاضَةِ»، فَقَالَ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ لَعَنْ هٰذَا جِئْتُ أَسْأَلُكَ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رُوِيَ عَنْ وَاثِلَةَ بْنِ الأَسْقَعِ قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَهُوَ فِي نَفَرٍ مِنْ أَصْحَابِهِ يُحَدِّثُهُمْ، فَجَلَسْتُ وَسْطَ الْحَلْقَةِ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: يَا وَاثِلَةُ! قُمْ عَنْ هٰذَا الْمَجْلِسِ فَقَدْ نُهِينَا عَنْهُ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**دَعُونِي وَإِيَّاهُ، فَإِنِّي أَعْلَمُ مَا الَّذِي أَخْرَجَهُ مِنْ مَنْزِلِهِ**» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! مَا الَّذِي أَخْرَجَنِي؟ قَالَ: «**أَخْرَجَكَ مِنْ مَنْزِلِكَ لِتَسْأَلَنِي عَنِ الْبِرِّ وَعَنِ الشَّكِّ**»، قَالَ: قُلْتُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا أَخْرَجَنِي غَيْرُهُ، فَقَالَ ﷺ: «**الْبِرُّ مَا اسْتَقَرَّ فِي الصَّدْرِ وَاطْمَأَنَّ إِلَيْهِ الْقَلْبُ، وَالشَّكُّ مَا لَمْ يَسْتَقِرَّ فِي الصَّدْرِ، فَدَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَى مَا لاَ يَرِيبُكَ وَإِنْ أَفْتَاكَ الْمُفْتُونَ**».

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِفَاطِمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا فِي مَرَضِهِ: «**إِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقاً بِي**»(١) فَعَاشَتْ بَعْدَهُ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ، وَقِيلَ: سِتَّةَ أَشْهُرٍ.

وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِنِسَائِهِ: «**أَسْرَعُكُنَّ بِي لُحُوقاً أَطْوَلُكُنَّ يَداً**»(٢)، فَكَانَتْ زَيْنَبَ بِنْتَ جَحْشٍ؛ لأَنَّهَا كَانَتْ تَعْمَلُ بِيَدَيْهَا وَتَتَصَدَّقُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِعَلِيٍّ: «**أَتَدْرِي مَنْ أَشْقَى الآخِرِينَ؟**» قُلْتُ: اللّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**قَاتِلُكَ**» أَخْرَجَهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَقَالَ ﷺ لِمُعَاوِيَةَ: «**أَمَا إِنَّكَ سَتَلِي أَمْرَ أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي، فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ فَاقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ**» رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ(٣).

---

(١) رواه الشيخان.

(٢) رواه مسلم والنسائي.

(٣) بسند ضعيف.

وَرَوَى مُسْلِمٌ عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَشْرَفَ عَلَى أُطُمٍ مِنْ آطَامِ الْمَدِينَةِ - أَيْ: حِصْنٍ مِنْ حُصُونِهَا - ثُمَّ قَالَ: «**هَلْ تَرَوْنَ مَا أَرَى؟ إِنِّي لأَرَى مَوَاقِعَ الْفِتَنِ خِلالَ بُيُوتِكُمْ كَمَوَاقِعِ الْقَطْرِ**»، فَوَقَعَتْ فِتْنَةُ قَتْلِ عُثْمَانَ، وَتَتَابَعَتِ الْفِتَنُ إِلَى فِتْنَةِ الْحَرَّةِ[1].

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لأَبِي مُوسَى وَهُوَ قَاعِدٌ عَلَى قُفِّ بِئْرِ أَرِيسٍ - أَيْ: حَافَتِهِ - لَمَّا طَرَقَ عُثْمَانُ الْبَابَ: «**ائْذَنْ لَهُ، وَبَشِّرْهُ بِالْجَنَّةِ عَلَى بَلْوَى تُصِيبُهُ**»، إِشَارَةً إِلَى اسْتِشْهَادِهِ يَوْمَ الدَّارِ.

وَأَصْرَحُ مِنْهُ: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ عَنِ ابْنِ عُمَرَ، قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِتْنَةً، فَمَرَّ رَجُلٌ فَقَالَ: يُقْتَلُ فِيهَا هٰذَا يَوْمَئِذٍ ظُلْماً، قَالَ: فَنَظَرْتُ فَإِذَا هُوَ عُثْمَانُ. وَإِسْنَادُهُ صَحِيحٌ.

وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِوَقْعَةِ الْجَمَلِ وَصِفِّينَ، وَقِتَالِ عَائِشَةَ وَالزُّبَيْرِ عَلِيًّا. كَمَا أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ. وَقَالَ لِلزُّبَيْرِ: «**تُقَاتِلُهُ** - يَعْنِي: عَلِيًّا - **وَأَنْتَ لَهُ ظَالِمٌ**». رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[2].

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ: «**إِنَّ ابْنِي هٰذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، فَكَانَ كَمَا قَالَ بِصُلْحِهِ لِمُعَاوِيَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا.

وَمِنْ ذٰلِكَ: إِعْلاَمُهُ ﷺ بِقَتْلِ الْحُسَيْنِ بِالطَّفِّ[3]، وَأَخْرَجَ بِيَدِهِ تُرْبَةً[4] وَقَالَ: «**فِيهَا مَضْجَعُهُ**» رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

---

(١) التي استُبيحت بها المدينة ثلاثة أيام على عهد يزيد بن معاوية عندما خلَع أهلُها بيعته، فأرسل لهم مسلم بن عقبة. (والحَرّة: شرقي المدينة).

(٢) فلما خرج يريد عليًا ذُكّر بالحديث فمضىٰ منصرفاً.

(٣) بكربلاء من أرض العراق بناحية الكوفة.

(٤) أتاه بها الملَك.

وَقَالَ ﷺ لِعَمَّارٍ: «**تقتُلُكَ الفِئَةُ البَاغِيَةُ**»[1]، فَكَانَ كَمَا قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ ابْنُ عَبدِالْبَرِّ، أَنَّ عَبْدَاللّٰهِ بْنَ عُمَرَ رَأَىٰ رَجُلاً مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فَلَمْ يَعْرِفْهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**أَرَأَيْتَهُ؟**» قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: «**ذٰلِكَ جِبْرِيلُ، أَمَا إِنَّكَ سَتَفْقِدُ بَصَرَكَ**»، فَعَمِيَ فِي آخِرِ عُمُرِهِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ ﷺ لِثَابِتِ بْنِ قَيْسِ بْنِ شَمَّاسٍ: «**تَعِيشُ حَمِيداً، وَتُقْتَلُ شَهِيداً**»[2]، فَقُتِلَ يَوْمَ مُسَيْلِمَةَ الْكَذَّابِ بِالْيَمَامَةِ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قَوْلُهُ لِعَبْدِاللّٰهِ بْنِ الزُّبَيْرِ: «**وَيْلٌ لَكَ مِنَ النَّاسِ، وَوَيْلٌ لِلنَّاسِ مِنْكَ**»، فَكَانَ مِنْ أَمْرِهِ مَعَ الْحَجَّاجِ مَا كَانَ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: حَدِيثُ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**إِنَّ هٰذَا الدِّينَ بَدَا نُبُوَّةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ خِلاَفَةً وَرَحْمَةً، ثُمَّ يَكُونُ مُلْكاً عَضُوداً، ثُمَّ يَكُونُ سُلْطَاناً وَجَبْرِيَّةً**»[3].

وَقَوْلُهُ: «**مُلْكاً عَضُوداً**» ـ أَيْ: يُصِيبُ الرَّعِيَّةَ فِيهِ عَسْفٌ وَظُلْمٌ، كَأَنَّهُ يَعَضُّهَا عَضًّا ـ.

وَفِي حَدِيثِ سَفِينَةَ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيِّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**الْخِلاَفَةُ بَعْدِي فِي أُمَّتِي ثَلاَثُونَ سَنَةً، ثُمَّ مُلْكٌ بَعْدَ ذٰلِكَ**» فَكَانَ الأَمْرُ كَذٰلِكَ[4]، وَتَتِمَّةُ الثَّلاَثِينَ سَنَةً: السِّتَّةُ أَشْهُرِ الَّتِي وَلِيَهَا الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) رواه الحاكم وصححه، والبيهقي، وأبو نُعيم.

(٣) رواه البزار والبيهقي.

(٤) إذ كانت خلافة أبي بكر سنتين وثلاثة أشهر وعشرَ ليال، وخلافة عمر عشرَ سنين وخمسةَ أشهر وأحداً وعشرين يوماً، وخلافة عثمان إحدىٰ عشر سنة وأحدَ عشر شهراً وثمانيةَ عشر يوماً، وخلافة علي أربعَ سنين وتسعةَ أشهر وأياماً (قد تكون ١١).

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْم عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أُمَّ الْفَضْلِ[1] مَرَّتْ بِهِ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّكِ حَامِلٌ بِغُلاَمٍ، فَإِذَا وَلَدْتِيهِ فَائتيني بِهِ**»، قَالَتْ: فَلَمَّا وَلَدْتُهُ أَتَيْتُهُ بِه، فَأَذَّنَ فِي أُذُنِهِ الْيُمْنَى، وَأَقَامَ فِي الْيُسْرَى، وَأَلْبَأَهُ[2] مِنْ رِيقِهِ، وَسَمَّاهُ عَبْدَاللّٰهِ، وَقَالَ: «**اذهَبِي بِأَبِي الْخُلَفَاءِ**» قَالَتْ: فَأَخْبَرْتُ الْعَبَّاسَ، فَأَتَاهُ فَذَكَرَ لَهُ ذٰلِكَ، فَقَالَ: «**هُوَ مَا أَخْبَرْتُكَ، هُوَ أَبُو الْخُلَفَاءِ حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمُ السَّفَّاحُ**[3]**، حَتَّى يَكُونَ مِنْهُمُ الْمَهْدِيُّ**».

وَمِنْ ذٰلِكَ إِخْبَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِعَالِمِ الْمَدِينَةِ: أَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ[4] عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**يُوشِكُ النَّاسُ أَنْ يَضْرِبُوا أَكْبَادَ الإِبلِ**[5]**، فَلاَ يَجِدُونَ عَالِماً أَعْلَمَ مِنْ عَالِمِ الْمَدِينَةِ**»، قَالَ سُفْيَانُ بْنُ عُيَيْنَةَ وَغَيْرُهُ: نَرَى هٰذَا الْعَالِمَ مَالِكَ بْنَ أَنَسٍ.

وَإِخْبَارُهُ ﷺ بِعَالِمِ قُرَيْشٍ: عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «**لاَ تَسُبُّوا قُرَيْشاً، فَإِنَّ عَالِمَهَا يَمْلأُ طِبَاقَ الأَرْضِ عِلْماً**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ الطَّيَالِسِيُّ وَغَيْرُهُ[6]، قَالَ الإِمَامُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ: هٰذَا الْعَالِمُ هُوَ الشَّافِعِيُّ، **لأَنَّهُ** لَمْ يَنْتَشِرْ فِي طِبَاقِ الأَرْضِ مِنْ عِلْمِ عَالِمٍ قُرَشِيٍّ مِنَ الصَّحَابَةِ وَغَيْرِهِمْ مَا انْتَشَرَ مِنْ عِلْمِ الشَّافِعِيِّ[7].

---

(١) زوجة العباس.

(٢) صبّ في فيه.

(٣) أولُ خلفاء بني العباس، واسمه أبو العباس عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن عباس الملقّب بالسفّاح. روىٰ البيهقي عنه ﷺ: «**يخرج رجل من أهل بيتي عند انقطاعٍ من الزمان وظهورٍ من الفتن يقال له: السفّاح، يعطي المال حثياً**».

(٤) والترمذي وحسّنه، والنسائي.

(٥) أي: يرحلوا في طلب العلم.

(٦) بسند لا يخلو من ضَعف. وقد جمع الحافظ ابن حَجَر طرقه في كتاب سمّاه (لذة العيش في طرق حديث: الأئمة من قريش).

(٧) قال في المواهب: وما كان الإمام أحمد لِيَذكر حديثاً موضوعاً يَحتجّ أو يَستأنس به في أمر شيخه الشافعي.

وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**بِأَنَّ طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِهِ لاَ يَزَالُونَ ظَاهِرِينَ عَلَى الْحَقِّ حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَأَخْبَرَ ﷺ: «**بِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَبْعَثُ إِلَى هٰذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِئَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا**» رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَأَخْبَرَ ﷺ: بِذَهَابِ الأَمْثَلِ فَالأَمْثَلِ، أَي: الأَفْضَلِ فَالأَفْضَلِ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَصَحَّحَهُ بِلَفْظِ: «**تَذْهَبُونَ الْخَيِّرَ فَالْخَيِّرَ**».

وَأَخْبَرَ ﷺ بِالْخَوَارِجِ: رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ بِلَفْظِ: بَيْنَمَا نَحْنُ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ يَقْسِمُ قَسْماً، إِذْ أَتَاهُ ذُو الْخُوَيْصِرَةِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! اعْدِلْ، فَقَالَ: «**وَيْلَكَ، وَمَنْ يَعْدِلُ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ؟ خِبْتَ وَخَسِرْتَ إِنْ لَمْ أَعْدِلْ**»، فَقَالَ عُمَرُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! دَعْنِي أَضْرِبْ عُنُقَهُ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**دَعْهُ، فَإِنَّ لَهُ أَصْحَاباً يَحْقِرُ أَحَدُكُمْ صَلاَتَهُ مَعَ صَلاَتِهِمْ، وَصِيَامَهُ مَعَ صِيَامِهِمْ، يَقْرَؤُونَ الْقُرْآنَ لاَ يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ**(١)**، يَمْرُقُونَ مِنَ الإِسْلاَمِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ**(٢)**، آيَتُهُمْ رَجُلٌ أَسْوَدُ إِحْدَى عَضُدَيْهِ مِثْلُ ثَدْيِ الْمَرْأَةِ، يَخْرُجُونَ عَلَى حِينِ فُرْقَةٍ مِنَ النَّاسِ**»، قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: فَأَشْهَدُ أَنِّي سَمِعْتُ هٰذَا مِنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَأَشْهَدُ أَنَّ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ قَاتَلَهُمْ وَأَنَا مَعَهُ، وَأَمَرَ بِذٰلِكَ الرَّجُلِ فَالْتُمِسَ فَوُجِدَ، فَأُتِيَ بِهِ، حَتَّى نَظَرْتُ إِلَيْهِ عَلَى نَعْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الَّذِي نَعَتَهُ.

وَأَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَيْضاً بِالرَّافِضَةِ: أَخْرَجَهُ الْبَيْهَقِيُّ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**يَكُونُ فِي أُمَّتِي قَوْمٌ يُسَمَّوْنَ الرَّافِضَةَ،**

---

(١) التَّرْقُوَة: عَظْمة مشرِفة بين ثُغرة النحر والعاتق، وهما تَرْقُوَتان، والجمع تَراقٍ.

(٢) أي: يخرجون من الإسلام كما يخرج السهم من الصيد عندما يخترقه.

يَرْفُضُونَ الإِسْلاَمَ»[١].

وَأَخْبَرَ ﷺ بِالْقَدَرِيَّةِ وَالْمُرْجِئَةِ وَقَالَ: «**هُمْ مَجُوسُ هٰذِهِ الأُمَّةِ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَنَسٍ.

(وَالْقَدَرِيَّةُ: سُمُّوا بِذَلِكَ لإِنْكَارِهِمْ الْقَدَرَ، وَإِسْنَادِهِمْ أَفْعَالَ الْعِبَادِ إِلَى قُدْرَتِهِمْ[٢]، وَقَوْلِهِمْ: لَمْ يُقَدِّرِ اللّهُ الشَّرَّ، وَالْمُرْجِئَةُ: هُمُ الْقَائِلُونَ بِالإِرْجَاءِ[٣]، وَهُوَ تَأْخِيرُ الْعَمَلِ عَنِ النِّيَّةِ وَالاعْتِقَادِ، فَإِنَّهُمْ يَقُولُونَ: الإِيمَانُ قَوْلٌ وَلاَ عَمَلَ)[٤].

وَقَدْ أَخْبَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَصْحَابَهُ بِأَشْيَاءَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَحَذَّرَ مِنْ مُفَاجَأَتِهَا، وَأَنَّ السَّاعَةَ لاَ تَقُومُ حَتَّى تَظْهَرَ جُمْلَةٌ مِنَ الأَمَارَاتِ فِي الْعَالَمِ، كَمَا رُوِيَ مِنْ رَفْعِ الأَمَانَةِ وَالْقُرْآنِ، وَاشْتِهَارِ الْخِيَانَةِ وَحَسَدِ الأَقْرَانِ، وَقِلَّةِ الرِّجَالِ وَكَثْرَةِ النِّسْوَانِ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا شَهِدَتْ بِصِحَّتِهِ الأَخْبَارُ.

رَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَقْتَتِلَ فِئَتَانِ عَظِيمَتَانِ تَكُونُ بَيْنَهُمَا مَقْتَلَةٌ عَظِيمَةٌ دَعْوَاهُمَا وَاحِدَةٌ**»[٥]،

---

(١) تتمة الحديث: «**ويلفظونه، فاقتلوهم فإنهم مشركون**» رواه الطبراني والبزار، وإسناده حسن كما قال الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد، والحديث في مسند أحمد، قال علي رضي الله عنه: «سيكون بعدنا أقوام ينتحلون مودّتنا، يكونون علينا مارقة، وآية ذلك أنهم يسبُّون أبا بكر وعمر) كنز العمال **٣١٦٣٦**.

(٢) ونفي علم الله تعالىٰ بالأشياء قبل وقوعها.

(٣) وهو بعث الرجاء.

(٤) قال قائلهم:

كن مؤمناً ومن الذنوب فلا تَخَفْ ... حاشىٰ المهيمن أن يُري تنكيدا

لو رام أن يُصْليك نار جهنم ... ما كان ألهم قلبك التوحيدا

(٥) يريد فتنة معاوية وعلي رضي الله عنهما بصِفِّين.

وَحَتَّى يُبْعَثَ دَجَّالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيباً مِنْ ثَلاثِينَ كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ، وَحَتَّى يُقْبَضَ الْعِلْمُ، وَتَكْثُرَ الزَّلازِلُ، وَيَتَقَارَبَ الزَّمَانُ[1]، وَتَظْهَرَ الْفِتَنُ، وَيَكْثُرَ الْهَرْجُ ـ وَهُوَ الْقَتْلُ ـ، وَحَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ الْمَالُ فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ الرَّجُلَ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ[2] لِي فِيهِ، وَحَتَّى يَتَطَاوَلَ النَّاسُ فِي الْبُنْيَانِ، وَحَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي مَكَانَهُ، وَحَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ مِنْ مَغْرِبِهَا، فَإِذَا طَلَعَتْ وَرَآهَا النَّاسُ آمَنُوا أَجْمَعُونَ، فَذٰلِكَ حِينَ لاَ يَنْفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ نَشَرَ الرَّجُلانِ ثَوْبَهُمَا فَلاَ يَتَبَايَعَانِهِ وَلاَ يَطْوِيَانِهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدِ انْصَرَفَ الرَّجُلُ بِلَبَنِ لِقْحَتِهِ[3] فَلاَ يَطْعَمُهُ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَهُوَ يُلِيطُ حَوْضَهُ ـ أَيْ: يُصْلِحُهُ بِالطِّينِ ـ فَلاَ يَسْقِي فِيهِ، وَلَتَقُومَنَّ السَّاعَةُ وَقَدْ رَفَعَ أُكْلَتَهُ إِلَى فِيهِ فَلاَ يَطْعَمُهَا».

فَهٰذِهِ ثَلاثَ عَشْرَةَ عَلامَةً جَمَعَهَا أَبُو هُرَيْرَةَ فِي حَدِيثٍ وَاحِدٍ[4]، وَقَدْ ظَهَرَ أَكْثَرُ هٰذِهِ الْعَلامَاتِ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى تَخْرُجَ نَارٌ مِنَ الْحِجَازِ تُضِيءُ لَهَا أَعْنَاقُ الإِبِلِ بِبُصْرَى»**، وَقَدْ خَرَجَتْ نَارٌ عَظِيمَةٌ عَلَى قُرْبِ مَرْحَلَةٍ[5] مِنَ الْمَدِينَةِ، وَكَانَ بَدْؤُهَا زَلْزَلَةً عَظِيمَةً فِي لَيْلَةِ الأَرْبِعَاءِ بَعْدَ الْعِشَاءِ ثَالِثَ جُمَادَى الآخِرَةِ سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَسِتِّ مِئَةٍ، وَفِي يَوْمِ الثُّلاثَاءِ اشْتَدَّتْ حَرَكَتُهَا، وَعَظُمَتْ رَجْفَتُهَا، وَتَتَابَعَتْ حِطْمَتُهَا[6]، وَارْتَجَّتِ

---

(١) حتىٰ تكون السَّنة كالشهر.

(٢) لا حاجة.

(٣) ناقتِه.

(٤) قال في المواهب: ولم يبقَ بعد هذا ما يُنظَر من صحيح العلامات والأشراط.

(٥) المرحلة: ٤١ كيلومتراً تقريباً.

(٦) كُسارتها وحُطامها.

الأَرْضُ بِمَنْ عَلَيْهَا، حَتَّى أَيْقَنَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ بِوُقُوعِ الْهَلَكَةِ، وَزُلْزِلُوا زِلْزَالاً شَدِيداً مِنْ وُقُوعِ ثَمَانِيَ عَشْرَةَ حَرَكَةً فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ دُونَ لَيْلَتِهِ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ: وَكَانَ يَأْتِي الْمَدِينَةَ بِبَرَكَتِهِ ﷺ نَسِيمٌ بَارِدٌ، وَشُوهِدَ مِنْ هٰذِهِ النَّارِ غَلَيَانٌ كَغَلَيَانِ الْبَحْرِ، وَانْتَهَتْ إِلَى قَرْيَةٍ مِنْ قُرَى الْيَمَنِ فَأَحْرَقَتْهَا، قَالَ: وَقَالَ لِي بَعْضُ أَصْحَابِنَا: لَقَدْ رَأَيْتُهَا صَاعِدَةً فِي الْهَوَاءِ مِنْ مَسِيرَةِ خَمْسَةِ أَيَّامٍ، قَالَ: وَسَمِعْتُ أَنَّهَا رُؤِيَتْ مِنْ مَكَّةَ وَمِنْ جِبَالِ بُصْرَى.

وَقَالَ الْقُطْبُ الْقَسْطَلاَّنِيُّ: أَقَامَتِ اثْنَيْنِ وَخَمْسِينَ يَوْماً، وَكَانَ انْطِفَاؤُهَا فِي السَّابِعِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ لَيْلَةَ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ بِهِ ﷺ[1].

---

(١) قال في المواهب: وبالجملة: فاستيفاء الكلام علىٰ هذه النار يخرج عن المقصود، وقد نبّه عليه القرطبي في التذكرة، وأفردها بالتأليف قطب الدين القسطلاني في كتاب سمّاه (جُمَل الإيجاز في الإعجاز بنار الحجاز).

المقصِد التاسع

فِي فَوَائِدَ لَطِيفَةٍ مِنْ لَطَائِفِ عِبَادَاتِهِ ﷺ

قَالَ اللّهُ تَعَالَى مُخاطِباً لَهُ ﷺ: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾[1] (وَالْيَقِينُ: الْمَوْتُ).

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَٱصْطَبِرْ لِعِبَٰدَتِهِۦ﴾[2].

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَلِلَّهِ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[3].

وَقدِ اخْتَلَفَ الْعُلَمَاءُ: هَلْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ قَبلَ بِعْثَتِهِ مُتَعبِّداً بِشَرْعِ مَنْ قَبْلَهُ أَمْ لاَ؟ فَقَالَ جَمَاعَةٌ: لَمْ يَكُنْ مُتَعَبِّداً بِشَيْءٍ، وَهُوَ قَوْلُ الْجُمْهُورِ، وَأَمَّا قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾[4] فَإِنَّمَا الْمُرَادُ بِاتِّبَاعِهِ فِي التَّوْحِيدِ.

وَقَالَ شَيْخُ الإسْلاَمِ الْبُلْقِينِيُّ فِي شَرْحِ الْبُخَارِيِّ: لَمْ تَجِىءْ فِي الأَحَادِيثِ الَّتِي وَقَفْنَا عَلَيْهَا كَيْفِيَّةُ تَعَبُّدِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ، لٰكِنْ رَوَى ابْنُ

---

(١) سورة الحجر، الآيات: ٩٧ ـ ٩٩.
(٢) سورة مريم، الآية: ٦٥.
(٣) سورة هود، الآية: ١٢٣.
(٤) سورة النحل، الآية: ١٢٣.

إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَخْرُجُ إِلَى حِرَاءَ فِي كُلِّ عَامٍ شَهْراً مِنَ السَّنَةِ يَتَنَسَّكُ فِيهِ(١)، حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ مِنْ مُجَاوَرَتِهِ لَمْ يَدْخُلْ بَيْتَهُ حَتَّى يَطوفَ بِالْكَعْبَةِ، وَحَمَلَ بَعْضُهُمُ التَّعَبُّدَ(٢) عَلَى التَّفَكُّرِ.

وَهٰذَا الْمَقْصِدُ يَشْتَمِلُ عَلَى سَبْعَةِ أَنْوَاعٍ.

---

(١) أي: يتعبّد.

(٢) في حراء.

النوع الأول
فِي الْطَّهَارَةِ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

الفصل الأوَّل

فِي ذِكْرِ وُضُوئِهِ وَسِوَاكِهِ، وَمِقْدَارِ وَضُوئِهِ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ الْوُضُوءَ بِالضَّمِّ: الْفِعْلُ، وَبِالْفَتْحِ: الْمَاءُ الَّذِي يُتَوَضَّأُ بِهِ. وَنَقَلَ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ اتِّفَاقَ أَهْلِ السِّيَرِ عَلَى أَنَّ غُسْلَ الْجَنَابَةِ فُرِضَ عَلَيْهِ ﷺ وَهُوَ بِمَكَّةَ كَمَا افْتُرِضَتِ الصَّلاَةُ، وَأَنَّهُ لَمْ يُصَلِّ قَطُّ إِلاَّ بِوُضُوءٍ، قَالَ: وَهٰذَا مِمَّا لاَ يَجْهَلُهُ عَالِمٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلاَةٍ، قِيلَ لَهُ: كَيْفَ كُنْتُمْ تَصْنَعُونَ؟ قَالَ: يُجْزِي أَحَدَنَا الْوُضُوءُ مَا لَمْ يُحْدِثْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ.

ورَوَى مُسْلِمٌ عَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَتَوَضَّأُ لِكُلِّ صَلاَةٍ، فَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الْفَتْحِ صَلَّى الصَّلَوَاتِ بِوُضُوءٍ وَاحِدٍ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: فَعَلْتَ شَيْئاً لَمْ تَكُنْ تَفْعَلُهُ، فَقَالَ: «**عَمْداً فَعَلْتُهُ يَا عُمَرُ**»، يَعْنِي: لِبَيَانِ الْجَوَازِ.

وَفِي رِوَايَةِ أَحْمَدَ وَأَبِي دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ الْغَسِيلِ: أَنَّهُ ﷺ أُمِرَ بِالْوُضُوءِ لِكُلِّ صَلاَةٍ طَاهِراً أَوْ غَيْرَ طَاهِرٍ، فَلَمَّا شَقَّ ذٰلِكَ عَلَيْهِ أُمِرَ بِالسِّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلاَةٍ، وَوُضِعَ عَنْهُ الْوُضُوءُ إِلاَّ مِنْ حَدَثٍ، وَعَنْ عَائِشَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**ثَلاَثٌ هُنَّ عَلَيَّ فَرَائِضُ وَهُنَّ لَكُمْ سُنَّةٌ: الْوِتْرُ، وَالسِّوَاكُ، وَقِيَامُ اللَّيْلِ**[1]» أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ[2].

وَأَمَّا مِقْدَارُ مَا كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَتَوَضَّأُ أَوْ يَغْتَسِلُ بِهِ مِنَ الْمَاءِ: فَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ ﷺ يَغْتَسِلُ بِالصَّاعِ[3] إِلَى خَمْسَةِ أَمْدَاد، وَيَتَوَضَّأُ بِالمدّ[4]. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَالْمُدُّ: رُبْعُ صَاعٍ، وَالصَّاعُ: خَمْسَةُ أَرْطَالٍ وَثُلُثٌ بِرِطْلِ بَغْدَادَ، وَهُوَ[5] عَلَى مَا قَالَهُ النَّوَوِيُّ: مِئَةٌ وَثَمَانِيَةٌ وَعِشْرُونَ دِرْهَماً[6].

---

(١) ثم نُسخ وجوب القيام وصار تطوُّعاً.

(٢) والبيهقي.

(٣) وهو مُكعب طول ضلعه ١٤,٦ سانتي متراً، وهو يعادل ٣١١٢ غراماً.

(٤) والمد مكعب طول ضلعه ٩,٢ سم، وهو يعادل ٧٧٨غ.

(٥) أي: رِطل بغداد.

(٦) وأربعةُ أسباع درهم.

الفصل الثاني

فِي وُضُوئِهِ عَلَيْهِ السَّلامُ مَرَّةً مَرَّةً، وَمَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَثَلاثاً ثَلاثاً

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُمَا قَالَ: تَوَضَّأَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَرَّةً مَرَّةً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُمَا.

وَعَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ تَوَضَّأَ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، وَقَالَ: «**هُوَ نُورٌ عَلَى نُورٍ**» ذَكَرَهُ رُزَيْنٌ[1].

وَعَنْ عُثْمَانَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ تَوَضَّأَ ثَلاَثاً ثَلاَثاً. رَوَاهُ أَحْمَدُ وَمُسْلِمٌ.

(١) وأصله في البخاري دون زيادة «نور علىٰ نور».

الفصل الثَّالِث

فِي صِفَةِ وُضُوئِهِ ﷺ

عَنْ عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ دَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَفْرَغَ عَلَى يَدَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ أَدْخَلَ يَمِينَهُ فِي الإِنَاءِ فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، ثُمَّ غَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثاً، وَيَدَيْهِ ثَلاَثاً إِلَى الْمَرْفِقَيْنِ، ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**مَنْ تَوَضَّأَ نَحْوَ وُضُوئِي هٰذَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ لاَ يُحَدِّثُ فِيهِمَا نَفْسَهُ؛ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَاصِمٍ الأَنْصَارِيِّ أَنَّهُ قِيلَ لَهُ: تَوَضَّأْ لَنَا وُضُوءَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَدَعَا بِإِنَاءٍ، فَأَكْفَأَ مِنْهُ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا ثَلاَثاً، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ مِنْ كَفٍّ وَاحِدٍ، فَفَعَلَ ذٰلِكَ ثَلاَثاً، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ وَجْهَهُ ثَلاَثاً، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَغَسَلَ يَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ مَرَّتَيْنِ مَرَّتَيْنِ، ثُمَّ أَدْخَلَ يَدَهُ فَاسْتَخْرَجَهَا فَمَسَحَ بِرَأْسِهِ فَأَقْبَلَ بِيَدَيْهِ وَأَدْبَرَ، ثُمَّ غَسَلَ رِجْلَيْهِ إِلَى الْكَعْبَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: هٰكَذَا كَانَ وُضُوءُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. وَفِي رِوَايَةٍ: فَأَقْبَلَ بِهِمَا وَأَدْبَرَ، بَدَأَ بِمُقَدَّمِ رَأْسِهِ ثُمَّ ذَهَبَ بِهِمَا إِلَى قَفَاهُ، ثُمَّ رَدَّهُمَا حَتَّى رَجَعَ إِلَى الْمَكَانِ الَّذِي بَدَأَ مِنْهُ. رَوَاهُ

الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. وَفِي رِوَايَةٍ لأَبِي دَاوُدَ: ثُمَّ مَسَحَ بِرَأْسِهِ وَأُذُنَيْهِ ظَاهِرِهِمَا وَبَاطِنِهِمَا، وَأَدْخَلَ أَصَابِعَهُ فِي صِمَاخَيْ أُذُنَيْهِ.

وَكَانَ ﷺ يَمْسَحُ الْمَاقَيْنِ[١]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ عُثْمَانَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُخَلِّلُ لِحْيَتَهُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَابْنُ مَاجَهْ، وَعِنْدَهُ[٢] مِنْ حَدِيثِ عُمَرَ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا تَوَضَّأَ عَرَكَ عَارِضَيْهِ[٣] بَعْضَ الْعَرْكِ، ثُمَّ شَبَّكَ لِحْيَتَهُ بِأَصَابِعِهِ مِنْ تَحْتِهَا.

وَعَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ أَخَذَ كَفًّا مِنْ مَاءٍ، وَيُدْخِلُهُ تَحْتَ حَنَكِهِ، وَيُخَلِّلُ بِهِ لِحْيَتَهُ، وَيَقُولُ: «**بِهٰذَا أَمَرَنِي رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ: كَانَ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ حَرَّكَ خَاتَمَهُ. رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ.

وَعَنِ الْمُسْتَوْرِدِ بْنِ شَدَّادٍ: كَانَ ﷺ إِذَا تَوَضَّأَ يَدْلُكُ أَصَابِعَ رِجْلَيْهِ بِخِنْصَرِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[٤].

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَتْ يَدُهُ ﷺ الْيُمْنَى لِطُهُورِهِ وَطَعَامِهِ، وَكَانَتِ الْيُسْرَى لِخَلاَئِهِ وَمَا كَانَ مِنْ أَذًى.

وَعَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّهُ كَانَ مَعَهُ ﷺ فِي سَفَرٍ، وَأَنَّهُ ذَهَبَ لِحَاجَةٍ لَهُ، وَأَنَّ الْمُغِيرَةَ جَعَلَ يَصُبُّ الْمَاءَ عَلَيْهِ وَهُوَ يَتَوَضَّأُ. رَوَاهُ الْبُخَارِي وَمُسْلِمٌ.

---

(١) وهما طرفا العين الذي يلي الأنف، والمراد بهما هنا ما يشمل اللَّحاظ (وهو الطرف الآخر).

(٢) أي: عند ابن ماجه.

(٣) العارض: الشعر الذي بين اللحية والعِذار.

(٤) كأبي داود وابن ماجه.

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَتْ لَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ خِرْقَةٌ يُنَشِّفُ بِهَا بَعْدَ الْوُضُوءِ[1].

وَكَانَ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ النَّوْمِ رُبَّمَا تَوَضَّأَ وَرُبَّمَا لَمْ يَتَوَضَّأْ، لأَنَّ عَيْنَهُ تَنَامُ وَلاَ يَنَامُ قَلْبُهُ. كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ.

وَإِنَّمَا مُنِعَ قَلْبُهُ النَّوْمَ لِيَعِيَ الْوَحْيَ الَّذِي يَأْتِيهِ فِي مَنَامِهِ ﷺ.

(١) قال الترمذي: هذا الحديث ليس بالقائم اهـ. والسنّة ترك التنشيف.

الفصل الرّابع

فِي مَسْحِهِ ﷺ عَلَى الْخُفَّيْنِ

عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ: أَنَّهُ غَزَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ غَزْوَةَ تَبُوكَ، فَتَبَرَّزَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ قِبَلَ الْغَائِطِ[1]، فَحَمَلْتُ مَعَهُ إِدَاوَةً[2] قَبْلَ الْفَجْرِ، فَلَمَّا رَجَعَ أَخَذْتُ أُهْرِيقُ عَلَى يَدَيْهِ مِنَ الإِدَاوَةِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ وَوَجْهَهُ، وَعَلَيْهِ جُبَّةٌ مِنْ صُوفٍ، ذَهَبَ يَحْسُرُ ذِرَاعَيْهِ فَضَاقَ كُمُّ الْجُبَّةِ، فَأَخْرَجَ يَدَهُ مِنْ تَحْتِ الْجُبَّةِ، وَأَلْقَى الْجُبَّةَ عَلَى مَنْكِبَيْهِ، وَغَسَلَ ذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ مَسَحَ بِنَاصِيَتِهِ وَعَلَى الْعِمَامَةِ، ثُمَّ أَهْوَيْتُ لأَنْزِعَ خُفَّيْهِ فَقَالَ: «**دَعْهُمَا، فَإِنِّي أَدْخَلْتُهُمَا طَاهِرَتَيْنِ**»[3]، فَمَسَحَ عَلَيْهِمَا، ثُمَّ رَكِبَ وَرَكِبْتُ. الْحَدِيثَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ: وَجَعَلَ ﷺ الْمَسْحَ عَلَى الْخُفَّيْنِ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ وَلَيَالِيَهُنَّ لِلْمُسَافِرِ، وَيَوْماً وَلَيْلَةً لِلْمُقِيمِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

---

(١) جهة المنخفض من الأرض.

(٢) إناء.

(٣) أي: بعد وضوء.

الفصل الخامس

فِي تَيَمُّمِهِ ﷺ

عَنْ حُذَيْفَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**فَضَلْنَا عَلَى النَّاسِ بِثَلاَثٍ: جُعِلَتْ صُفُوفُنَا كَصُفُوفِ الْمَلاَئِكَةِ، وَجُعِلَتْ لَنَا الأَرْضُ كُلُّهَا مَسْجِداً، وَجُعِلَتْ تُرْبَتُهَا لَنَا طَهُوراً إِذَا لَمْ نَجِدِ الْمَاءَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَمَّارٍ: قَالَ رَجُلٌ لِعُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ: إِنِّي أَجْنَبْتُ فَلَمْ أُصِبِ الْمَاءَ، فَقَالَ عَمَّارٌ لِعُمَرَ: أَمَا تَذْكُرُ أَنَّا كُنَّا فِي سَفَرٍ أَنَا وَأَنْتَ، فَأَمَّا أَنْتَ فَلَمْ تُصَلِّ، وَأَمَّا أَنَا فَتَمَعَّكْتُ فَصَلَّيْتُ، فَذَكَرْتُ ذٰلِكَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: «**إِنَّمَا كَانَ يَكْفِيكَ هٰكَذَا**» وَضَرَبَ النَّبِيُّ ﷺ بِكَفَّيْهِ الأَرْضَ، وَنَفَخَ فِيهِمَا، ثُمَّ مَسَحَ بِهِمَا وَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ(١) إِلَى كُوعَيْهِ(٢). رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي الْجُهَيْمِ قَالَ: مَرَرْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَبُولُ، فَسَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيَّ، حَتَّى قَامَ إِلَى جِدَارٍ، فَحَتَّهُ بِعَصًا كَانَتْ مَعَهُ، ثُمَّ وَضَعَ يَدَيْهِ عَلَى الْجِدَارِ، فَمَسَحَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ رَدَّ عَلَيَّ. رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ(٣).

---

(١) بضربة واحدة، وهو مذهب مالك وأحمد، وقال أبو حنيفة والشافعي: ضربتان، إحداهما للوجه، والثانية لليدين إلىٰ المرفقين.

(٢) وهو دليل مالك وأحمد. والكوع: ما يلي الإبهام، والكُرسوع: ما يلي الخِنصِر، وما بينهما يسمىٰ الرُسُغ.

(٣) في شرح السنة، وقال: حديث حسن.

الفصل السّادس

فِي غُسْلِهِ ﷺ

كَانَ ﷺ يَطُوفُ عَلَى نِسَائِهِ بِغُسْلٍ وَاحِدٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَعَنْ أَبِي رَافِعٍ: طَافَ ﷺ ذَاتَ يَوْم عَلَى نِسَائِهِ يَغْتَسِلُ عِنْدَ هٰذِهِ وَعِنْدَ هٰذِهِ، قَالَ: قُلْتُ لَهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَلاَ تَجْعَلُهُ غُسْلاً وَاحِداً آخِراً؟ قَالَ: «**هٰذَا أَزْكَى وَأَطْيَبُ وَأَطْهَرُ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[١].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا اغْتَسَلَ مِنَ الْجَنَابَةِ بَدَأَ فَغَسَلَ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَتَوَضَّأُ كَمَا يَتَوَضَّأُ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ يُدْخِلُ أَصَابِعَهُ فِي الْمَاءِ فَيُخَلِّلُ بِهَا أُصُولَ الشَّعْرِ، ثُمَّ يَصُبُّ عَلَى رَأْسِهِ ثَلاَثَ غَرَفَاتٍ بِيَدَيْهِ، ثُمَّ يُفِيضُ الْمَاءَ عَلَى جَسَدِهِ كُلِّهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَتْ مَيْمُونَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: وَضَعْتُ لَهُ ﷺ مَاءً لِلْغُسْلِ، فَغَسَلَ يَدَيْهِ مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلاَثاً، ثُمَّ أَفْرَغَ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ مَذَاكِيرَهُ[٢]، ثُمَّ مَسَحَ يَدَهُ بِالأَرْضِ، ثُمَّ مَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ، ثُمَّ أَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ، ثُمَّ تَحَوَّلَ عَنْ مَكَانِهِ فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ[٣].

---

(١) كأبي داود والنسائي.

(٢) فرجه.

(٣) رواه البخاري.

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: وَضَعْتُ لِلنَّبِيِّ ﷺ غُسْلاً (أَيْ: مَاءً) فَسَتَرْتُهُ (أَيْ: الْمَاءَ) بِثَوْبٍ، وَصَبَّ عَلَى يَدَيْهِ فَغَسَلَهُمَا، ثُمَّ صَبَّ بِيَمِينِهِ عَلَى شِمَالِهِ فَغَسَلَ فَرْجَهُ، فَضَرَبَ بِيَدِهِ الأَرْضَ فَمَسَحَهَا ثُمَّ غَسَلَهَا، فَتَمَضْمَضَ وَاسْتَنْشَقَ، وَغَسَلَ وَجْهَهُ وَذِرَاعَيْهِ، ثُمَّ صَبَّ الْمَاءَ عَلَى رَأْسِهِ وَأَفَاضَ عَلَى جَسَدِهِ، ثُمَّ تَنَحَّى فَغَسَلَ قَدَمَيْهِ، فَنَاوَلْتُهُ ثَوْباً فَلَمْ يَأْخُذْهُ، فَانْطَلَقَ وَهُوَ يَنْفُضُ يَدَيْهِ(١).

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَنَامَ وَهُوَ جُنُبٌ غَسَلَ فَرْجَهُ وَتَوَضَّأَ لِلصَّلاَةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ(٢) عَنْهَا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا أَجْنَبَ وَأَرَادَ أَنْ يَنَامَ تَوَضَّأَ أَوْ تَيَمَّمَ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ التَّيَمُّمُ هُنَا عِنْدَ عُسْرِ وُجُودِ الْمَاءِ.

---

(١) أما حديث: **«لا تنفضوا أيديكم في الوضوء فإنها مراوح الشيطان»** فضعيف، وقال ابن الصلاح: لم أجده، وتبعه النووي.

(٢) بإسناد حسن.

النوع الثاني
فِي ذِكْرِ صَلاَتِهِ ﷺ، وَفِيهِ خَمْسَةُ أَقْسَامٍ

القِسْمُ الأَوَّلُ
فِي الْفَرَائِضِ وَمَا يَتَعَلَّقُ بِهَا، وَفِيهِ خَمْسَةُ أَبْوَابٍ

البَابُ الأَوَّلُ
فِي الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ، وَفِيهِ خَمْسَةُ فَصُولٍ

الفصل الأَوَّلُ
فِي فُرُوضِهَا

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: «**فُرِضَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِهِ خَمْسُونَ صَلاَةً، ثُم نُقِصَتْ حَتَّى جُعِلَتْ خَمْساً، ثُمَّ نَادَى: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّهُ لاَ يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ، وَإِنَّ لَكَ بِهَٰذِهِ الْخَمْسِ خَمْسِينَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ هٰكَذَا مُخْتَصَراً، وَرَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثٍ طَوِيلٍ تَقَدَّمَ فِي مَقْصِدِ الإِسْرَاءِ وَالْمِعْرَاجِ مُسْتَوْفًى، فَرَاجِعْهُ هُنَاكَ.

الفصل الثاني

فِي الأَوْقَاتِ الَّتِي صَلَّى فِيهَا الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ ﷺ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: قَالَ ﷺ: «أَمَّنِي جِبْرِيلُ عِنْدَ الْبَيْتِ مَرَّتَيْنِ، فَصَلَّى بِيَ الظُّهْرَ فِي الأُولَى حِينَ كَانَ الْفَيْءُ مِثْلَ الشِّرَاكِ[1]، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ حِينَ وَجَبَتِ الشَّمْسُ[2] وَأَفْطَرَ الصَّائِمُ، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ حِينَ غَابَ الشَّفَقُ، ثُمَّ صَلَّى الْفَجْرَ حِينَ بَرَقَ الْفَجْرُ وَحَرُمَ الطَّعَامُ عَلَى الصَّائِمِ. وَصَلَّى الْمَرَّةَ الثَّانِيَةَ الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ كَوَقْتِ الْعَصْرِ بِالأَمْسِ، ثُمَّ صَلَّى الْعَصْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَيْهِ، ثُمَّ صَلَّى الْمَغْرِبَ كَوَقْتِ الأُولَى، ثُمَّ صَلَّى الْعِشَاءَ الآخِرَةَ حِينَ ذَهَبَ ثُلُثُ اللَّيْلِ، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ حِينَ أَسْفَرَ، ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَيَّ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هٰذَا وَقْتُ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكَ، وَالْوَقْتُ فِيمَا بَيْنَ هٰذَيْنِ الْوَقْتَيْنِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ.

وَقَوْلُهُ: «صَلَّى بِي الظُّهْرَ حِينَ كَانَ ظِلُّ كُلِّ شَيْءٍ مِثْلَهُ» أَيْ: فَرَغَ مِنْهَا حِينَئِذٍ كَمَا شَرَعَ فِي الْعَصْرِ فِي الْيَوْمِ الأَوَّلِ، وَحِينَئِذٍ فَلاَ اشْتِرَاكَ بَيْنَهُمَا فِي

---

(١) وهو أحد سيور النعل التي على وجهها.

(٢) غابت.

وَقْتٍ، وَيَدُلُّ لَهُ حَدِيثُ مُسْلِمٍ: «**وَقْتُ الظُّهرِ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ مَا لَمْ تَحْضُرِ الْعَصْرُ**».

وَقَدْ بَيَّنَ ابْنُ إِسْحٰقَ فِي الْمَغَازِي عَنْ نَافِعِ بْنِ جُبَيْرٍ وَغَيْرِهِ: أَنَّ صَلاَةَ جِبْرِيلَ بِهِ ﷺ كَانَتْ صَبِيحَةَ اللَّيْلَةِ الَّتِي فُرِضَتْ الصَّلاَةُ فِيهَا، وَهِيَ لَيْلَةُ الإِسْرَاءِ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ حَيَّةٌ، فَيَذْهَبُ الذَّاهِبُ إِلَى الْعَوَالِي فَيَأْتِيهِمْ وَالشَّمْسُ مُرْتَفِعَةٌ، وَبَعْضُ الْعَوَالِي مِنَ الْمَدِينَةِ عَلَى أَرْبَعَةِ أَمْيَالٍ[١]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى تَعْجِيلِهِ ﷺ بِصَلاَةِ الْعَصْرِ[٢].

وَعَنْ سَلَمَةَ بْنِ الأَكْوَعِ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّي الْمَغْرِبَ إِذَا غَرَبَتِ الشَّمْسُ وَتَوَارَتْ بِالْحِجَابِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنْ رَافِعِ بْنِ خَدِيجٍ: كُنَّا نُصَلِّي الْمَغْرِبَ مَعَهُ ﷺ فَيَنْصَرِفُ أَحَدُنَا وَإِنَّهُ لَيَرَى مَوَاقِعَ نَبْلِهِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، أَيْ: يُبْصِرُ مَوَاقِعَ سِهَامِهِ إِذَا رَمَى بِهَا[٣].

وَكَانَ ﷺ إِذَا كَانَ الْحَرُّ أَبْرَدَ بِالصَّلاَةِ[٤]، وَإِذَا كَانَ الْبَرْدُ عَجَّلَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَأَعْتَمَ ﷺ بِالْعِشَاءِ لَيْلَةً حَتَّى نَادَاهُ عُمَرُ: الصَّلاَةَ، نَامَ النِّسَاءُ وَالصِّبْيَانُ، فَخَرَجَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: «**مَا يَنْتَظِرُهَا مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ أَحَدٌ غَيْرُكُمْ**» وَفِي رِوَايَةٍ: فَخَرَجَ وَرَأْسُهُ تَقْطُرُ مَاءً يَقُولُ: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي** - أَوْ عَلَى

---

(١) والميل ١٧١٩ متراً.

(٢) ووقت الاختيار في العصر إلىٰ ظل المثلَين، وفي الجواز بلا كراهة إلىٰ الاصفرار، ثم بها إلىٰ غروب الشمس.

(٣) ويدخل وقت الكراهة بعد مضي ٣٥ دقيقة من دخول وقتها.

(٤) أي: صلاة الظهر.

النَّاسِ ـ **لأَمَرْتُهُمْ بِالصَّلاَةِ هٰذِهِ السَّاعَةَ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: «**إِنَّكُمْ لَنْ تَزَالُوا فِي صَلاَةٍ مَا انْتَظَرْتُمُ الصَّلاَةَ، وَلَوْلاَ ضَعْفُ الضَّعِيفِ وَسُقْمُ السَّقِيمِ لأَخَّرْتُ هٰذِهِ الصَّلاَةَ إِلَى شَطْرِ اللَّيْلِ**».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**لَوْلاَ أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي لأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُؤَخِّرُوا الْعِشَاءَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ أَوْ نِصْفِهِ**» صَحَّحَهُ التِّرْمِذِيُّ[1].

---

(١) هذا ووقت الاختيار في العشاء إلىٰ ثلث الليل، وفي الجواز بلا كراهة إلىٰ الفجر الكاذب، ثم بها إلىٰ الفجر الصادق.

الفصل الثالث

فِي كَيْفِيَّةِ صَلاَتِهِ ﷺ، وَفِيهِ خَمْسَةَ عَشَرَ فَرْعاً

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي صِفَةِ افْتِتَاحِهِ ﷺ:

رَوَى أَبُو دَاوُدَ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ سَمِعَ بِلاَلاً يُقِيمُ الصَّلاَةَ، فَلَمَّا قَالَ: قَدْ قَامَتِ الصَّلاَةُ، قَالَ: «**أَقَامَهَا اللَّهُ وَأَدَامَهَا**».

وَكَانَ ﷺ يَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ بِالتَّكْبِيرِ[(١)].

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ قَالَ: «**اللَّهُ أَكْبَرُ**» رَوَاهُ الْبَزَّارُ بِسَنَدٍ صَحِيحٍ.

وَلَمْ يَخْتَلِفْ أَحَدٌ فِي إِيجَابِ النِّيَّةِ فِي الصَّلاَةِ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يَكُونَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ يُكَبِّرُ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ فَعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ، فَإِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فَعَلَ مِثْلَ ذٰلِكَ وَقَالَ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ؛ رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**»، وَلاَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ حِينَ يَسْجُدُ، وَلاَ حِينَ يَرْفَعُ مِنَ السُّجُودِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ[(٢)].

---

(١) رواه عبدالرزاق.

(٢) وعندهما أيضاً: «**وإذا قام من الركعتين رفع يديه**».

وَكَانَ ﷺ يُكَبِّرُ فِي كُلِّ خَفْضٍ وَرَفْعٍ. رَوَاهُ مَالِكٌ.

وَكَانَ ﷺ يَضَعُ يَدَهُ الْيُمْنَى عَلَى الْيُسْرَى. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، فَقَالَ لَهُ أَبُو هُرَيْرَةَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي مَا تَقُولُ فِي سَكْتَتِكَ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ؟ قَالَ: «**أَقُولُ: اللَّهُمَّ بَاعِدْ بَيْنِي وَبَيْنَ خَطَايَايَ كَمَا بَاعَدْتَ بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ، اللَّهُمَّ نَقِّنِي مِنْ خَطَايَايَ كَمَا يُنَقَّى الثَّوْبُ الأَبْيَضُ مِنَ الدَّنَسِ، اللَّهُمَّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرْدِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: كَانَ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ كَبَّرَ، ثُمَّ قَالَ: «**وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ حَنِيفاً**[1] **وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الْمَلِكُ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَنْتَ رَبِّي وَأَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعاً، لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ، وَاهْدِنِي لأَحْسَنِ الأَخْلاَقِ، لاَ يَهْدِي لأَحْسَنِهَا إِلاَّ أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا، لاَ يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلاَّ أَنْتَ، لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ**[2]**، وَالْخَيْرُ كُلُّهُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيْسَ إِلَيْكَ، أَنَا بِكَ وَإِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ**» الْحَدِيثَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ إِذَا افْتَتَحَ الصَّلاَةَ قَالَ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ، وَتَعَالَى جَدُّكَ**[3]**، وَلاَ إِلٰهَ غَيْرُكَ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَأَبُو دَاوُدَ.

---

(١) مستقيماً.

(٢) لبّيك: أقمتُ على إجابتك وطاعتك. وسعدَيْك: مساعدةً لأمرك بعد مساعدة، ومتابعة لدينك بعد متابعة.

(٣) أي: تعالت عظمتُك.

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعم: أَنَّهُ رَأَى رَسُولَ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي صَلاَةً قَالَ: «اللّهُ أَكْبَرُ كَبِيراً، وَالْحَمْدُ لِلّهِ كَثِيراً، وَسُبْحَانَ اللّهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً، أَعُوذُ بِاللّهِ مِنَ الشَّيطَانِ مِنْ نَفخِهِ وَنَفْثِهِ وَهَمْزِهِ»[1].

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ الْبَسْمَلَةَ فِي أَوَّلِ الْفَاتِحَةِ:

اخْتَلَفَتْ رِوَايَاتُ الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ فِي أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ بِبِسْمِ اللّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، أَوْ لاَ يَفْتَتِحُهَا بِهَا، قَالَ الْحَافِظُ شَيْخُ الإِسْلاَمِ ابْنُ حَجَرٍ: وَطَرِيقُ الْجَمْعِ بَيْنَ هٰذِهِ الرِّوَايَاتِ مُمْكِنٌ، بِحَمْلِ نَفْيِ الْقِرَاءَةِ عَلَى نَفْيِ السَّمَاعِ، وَنَفْيِ السَّمَاعِ عَلَى نَفْيِ الْجَهْرِ، وَبِهٰذَا الْجَمْعِ زَالَتْ دَعْوَى الاضْطِرَابِ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ الْفَاتِحَةَ، وَقَوْلِهِ: آمِينَ بَعْدَهَا:

كَانَ ﷺ إِذَا قَرَأَ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ قَالَ: «آمِين» وَمَدَّ بِهَا صَوْتَهُ. وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ: وَخَفَضَ[2]. وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ[3]: وَرَفَعَ بِهَا صَوْتَهُ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ:

رَوَى النَّسَائِيُّ[4] عَنْ أَبِي بَرْزَةَ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي صَلاَةِ الْغَدَاةِ مَا بَيْنَ السِّتِّينَ إِلَى الْمِئَةِ، أَيْ مِنَ الآيَاتِ. وَرَوَى أَيْضاً: أَنَّهُ ﷺ قَرَأَ فِي الْفَجْرِ ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝١﴾.

---

(١) رواه أبو داود. (من نفخه: أي نفْخه الكِبْر. ونفثه: سِحرِه. وهمزِه: وسوسته).
(٢) خطّأ البخاري رواية (خفض بها صوته).
(٣) بإسناد صحيح.
(٤) والشيخان.

وَعَنْ جابِرِ بْنِ سَمُرَةَ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْفَجْرِ بِـ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ وَنَحْوِهَا، وَكَانَتْ قِرَاءَتُه بَعْدُ تَخْفِيفاً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَرَأَ فِي الصُّبْحِ ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ فِي الرَّكْعَتَيْنِ كِلْتَيْهِمَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي صُبْحِ الْجُمُعَةِ: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةَ وَ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَإِنَّمَا كَانَ يَقْرَؤُهُمَا كَامِلَتَيْنِ، وَقِرَاءَةُ بَعْضِهِمَا خِلاَفُ السُّنَّةِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ عِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ(١): أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَجَدَ فِي الصُّبْحِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فِي: ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ فِي صَلاَتَي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ:

عَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ بِأُمِّ الْكِتَابِ وَسُورَتَيْنِ، وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُخْرَيَيْنِ بِأُمِّ الْكِتَابِ، وَيُسْمِعُنَا الآيَةَ أَحْيَاناً(٢)، وَيُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى مَا لاَ يُطَوِّلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ، وَهٰكَذَا فِي الْعَصْرِ، وَهٰكَذَا فِي الصُّبْحِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كُنَّا نَحْزِرُ، أَيْ: نُقَدِّرُ قِيَامَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ مِنَ الظُّهْرِ قَدْرَ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ السَّجْدَةِ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الأُخْرَيَيْنِ قَدْرَ النِّصْفِ مِنْ ذٰلِكَ، وَحَزَرْنَا قِيَامَهُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ الأُولَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى قَدْرِ قِيَامِهِ فِي الأُخْرَيَيْنِ

---

(١) في الأوسط.

(٢) واستُدلّ به علىٰ جواز الجهر في السرّيّة، أو أنه كان يفعل ذلك بغير قصد؛ للاستغراق في التدبُّر.

مِنَ الظُّهْرِ، وَفِي الأُخْرَيَيْنِ مِنَ الْعَصْرِ عَلَى النِّصْفِ مِنْ ذٰلِكَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ، وَرَوَى عَنْ جَابِرٍ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ بـ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ وَفِي رِوَايَةٍ بـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾، وَفِي الْعَصْرِ بِنَحْوِ ذٰلِكَ.

وَعَنْهُ: كَانَ يَقْرَأُ فِي الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ بـ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١﴾ و﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١﴾ رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[1].

وَعَنْ أَنَسٍ: قرَأَ ﷺ فِي الظُّهْرِ بـ﴿سَبِّحِ ٱسۡمَ رَبِّكَ ٱلۡأَعۡلَى ۝١﴾ و﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ ۝١﴾ رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ: فِي ذِكْرِ قِرَاءَتِهِ ﷺ فِي صَلاَةِ الْمَغْرِبِ:

عَنْ أُمِّ الْفَضْلِ بِنْتِ الْحَارِثِ قَالَتْ: سَمِعْتُهُ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْمَغْرِبِ بِالْمُرْسَلاَتِ عُرْفاً، وَإِنَّهَا لآخِرُ مَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللّهِ ﷺ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنِ ابْنِ شِهَابٍ: أَنَّهَا آخِرُ صَلاَتِهِ ﷺ[2].

وَعَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقْرَأُ بِالْمَغْرِبِ بِالطُّورِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَفِي رِوَايَةِ النَّسَائِيِّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى الْمَغْرِبَ بِسُورَةِ الأَعْرَافِ فَرَّقَهَا فِي رَكْعَتَيْنِ، وَرَوَى[3] عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ عُتْبَةَ: قَرَأَ ﷺ فِي صَلاَةِ الْمَغْرِبِ حمۤ الدُّخَانَ.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشْبَهَ صَلاَةً بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ فُلاَنٍ، وَكَانَ ذٰلِكَ الرَّجُلُ يَقْرَأُ فِي الصُّبْحِ بِطِوَالِ الْمُفَصَّلِ، وَفِي الْمَغْرِبِ

---

(١) والترمذي.

(٢) ثم قبضه الله تعالىٰ.

(٣) أي: النسائي.

بِقِصَارِ الْمُفَصَّلِ[١]. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ. (وَالْمُفَصَّلُ: مِنَ الْحُجُرَاتِ إِلَى آخِرِ الْقُرْآنِ).

الْفَرْعُ السَّابِعُ: فِي ذِكْرِ مَا كَانَ ﷺ يَقْرَؤُهُ فِي صَلاةِ الْعِشَاءِ:

وَيَتْبَعُ ذَلِكَ جُمْلَةُ أَحَادِيثَ تَتَعَلَّقُ بِقِرَاءَتِهِ فِي الصَّلاَةِ مُطْلَقاً:

عَنِ الْبَرَاءِ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾، فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ ﷺ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَتَى عَلَى آيَةِ عَذَابٍ وَقَفَ وَتَعَوَّذَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ حُذَيْفَةَ[٢].

وَكَانَ إِذَا قَرَأَ ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ قَالَ: **«سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى»** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَالَ ﷺ: **«مَنْ قَرَأَ مِنْكُمْ ﴿وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝١﴾ فَانْتَهَى إِلَى ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَحْكَمِ ٱلْحَٰكِمِينَ ۝٨﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَأَنَا عَلَى ذٰلِكَ مِنَ الشَّاهِدِينَ[٣]، وَمَنْ قَرَأَ ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۝١﴾ فَانْتَهَى إِلَى قَوْلِهِ: ﴿أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْـِۧىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۝٤٠﴾ فَلْيَقُلْ: بَلَى، وَمَنْ قَرَأَ ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ فَبَلَغَ: ﴿فَبِأَىِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَهُۥ يُؤْمِنُونَ﴾ فَلْيَقُلْ: آمَنَّا بِاللّٰهِ»**.

---

(١) طوال المفصل: من الحُجرات إلىٰ النبأ، وأوساطه: من النبأ إلىٰ الضحىٰ، وقصاره: من الضحىٰ إلىٰ الناس.
وطريق الجمع بين هذه الأحاديث: أنه ﷺ كان أحياناً يطيل القراءة في المغرب إما لبيان الجواز، وإما لعلمه بعدم المشقة علىٰ المأمومين.
قال ابن خزيمة في صحيحه: هذا من الاختلاف المباح، فجائز للمصلّي أن يقرأ في الصلوات كلها بما أحبّ، إلا أنه إذا كان إماماً استُحِبّ له أن يخفف القراءة.

(٢) وهو في مسلم والسنن الأربعة.

(٣) رواه أبو داود والترمذي.

وَكَانَ ﷺ يَسْكُتُ بَيْنَ التَّكْبِيرِ وَالْقِرَاءَةِ إِسْكَاتَةً، وَيَسْكُتُ بَعْدَ الْفَاتِحَةِ، وَيَسْكُتُ ثَالِثَةً بَعْدَ قِرَاءَةِ السُّورَةِ، وَهِيَ سَكْتَةٌ لَطِيفَةٌ جِداً، حَتَّى يَتَرَادَّ إِلَيْهِ النَّفَسُ، وَلَمْ يَكُنْ يَصِلُ الْقِرَاءَةَ بِالرُّكُوعِ.

وَأَمَّا السَّكْتَةُ الأُولَى(١): فَإِنَّهُ كَانَ يَجْعَلُهَا بِقَدْرِ الاسْتِفْتَاحِ، وَأَمَّا الثَّانِيَةُ: فَلأَجْلِ قِرَاءَةِ الْمَأْمُومِ الْفَاتِحَةَ، فَيَنْبَغِي تَطْوِيلُهَا بِقَدْرِهَا.

الْفَرْعُ الثَّامِنُ: فِي ذِكْرِ رُكُوعِهِ ﷺ:

عَنْ أَبِي حَمِيدٍ السَّاعِدِيِّ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلاَةِ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: «**ثُمَّ يُكَبِّرُ وَيَرْفَعُ يَدَيْهِ حَتَّى يُحَاذِيَ بِهِمَا مَنْكِبَيْهِ، ثُمَّ يَرْكَعُ وَيَضَعُ رَاحَتَيْهِ عَلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَعْتَدِلُ**(٢) **فَلاَ يُصَوِّبُ رَأْسَهُ وَلاَ يُقْنِعُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ. (وَقَوْلُهُ: «يُصَوِّبُ» أَيْ: يَخْفِضُ، «وَلاَ يُقْنِعُ» أَيْ: لاَ يَرْفَعُ ﷺ رَأْسَهُ حَتَّى يَكُونَ أَعْلَى مِنْ ظَهْرِهِ).

الْفَرْعُ التَّاسِعُ: فِي ذِكْرِ مِقْدَارِ رُكُوعِهِ ﷺ:

عَنِ ابْنِ جُبَيْرٍ قَالَ: سَمِعْتُ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ يَقُولُ: مَا صَلَّيْتُ وَرَاءَ أَحَدٍ مِنَ التَّابِعِينَ بَعْدَ رَسُولِ اللّهِ أَشْبَهَ صَلاَةً بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ مِنْ هٰذَا الْفَتَى (يَعْنِي: عُمَرَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ)، قَالَ: فَحَزَرْنَا رُكُوعَهُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ، وَسُجُودَهُ عَشْرَ تَسْبِيحَاتٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ: كَانَ رُكُوعُ النَّبِيِّ ﷺ وَسُجُودُهُ بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ وَإِذَا رَفَعَ مِنَ

---

(١) التي بعد تكبيرة الإحرام.

(٢) في ركوعه.

الرُّكُوعِ مَا خَلاَ الْقِيَامَ وَالْقُعُودَ قَرِيباً مِنَ السَّوَاءِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. قَالَ النَّوَوِيُّ: ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ تَطْوِيلُ قِيَامِهِ ﷺ.

الْفَرْعُ الْعَاشِرُ: فِيمَا كَانَ ﷺ يَقُولُهُ فِي الرُّكُوعِ وَالرَّفْعِ مِنْهُ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُكْثِرُ أَنْ يَقُولَ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، اللَّهُمَّ اغْفِرِ لِي**» يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. (وَمَعْنَى يَتَأَوَّلُ الْقُرْآنَ: يَعْمَلُ بِمَا أَمَرَ بِهِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[(١)]: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ۝٣﴾ فَكَانَ ﷺ يَقُولُ هٰذَا الْكَلاَمَ الْبَدِيعَ فِي الْجَزَالَةِ الْمُسْتَوْفِيَ مَا أُمِرَ بِهِ فِي الآيَةِ).

وَعَنْهَا: كَانَ ﷺ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ وَسُجُودِهِ: «**سُبُّوحٌ قُدُّوسٌ، رَبُّ الْمَلاَئِكَةِ وَالرُّوحِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ**»، وَفِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»[(٢)].

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ مِلْءَ السَّمٰوَاتِ، وَمِلْءَ الأَرْضِ، وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ، أَهْلَ الثَّنَاءِ وَالْمَجْدِ، أَحَقُّ مَا قَالَ الْعَبْدُ، وَكُلُّنَا لَكَ عَبْدٌ؛ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنْفَعُ ذَا الْجَدِّ مِنْكَ الْجَدُّ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ. (وَالْجَدُّ: الْحَظُّ[(٣)]).

---

(١) في سورة النصر.

(٢) رواه مسلم.

(٣) والغنى.

وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: كَانَ ﷺ يَقُولُ بَعْدَ قَوْلِهِ: «**مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»: «**اللَّهُمَّ طَهِّرْنِي بِالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ وَالْمَاءِ الْبَارِدِ**»(١).

الْفَرْعُ الْحَادِي عَشَرَ: فِي ذِكْرِ صِفَةِ سُجُودِهِ ﷺ وَمَا يَقُولُ فِيهِ:

كَانَ ﷺ إِذَا انْتَهَى مِنْ ذِكْرِ قِيَامِهِ عَنِ الرُّكُوعِ يُكَبِّرُ وَيَخِرُّ سَاجِداً، وَلاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ(٢). وَقَدْ رُوِيَ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ أَيْضاً. وَصَحَّحَهُ بَعْضُ الْحُفَّاظِ(٣).

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَضَعُ يَدَيْهِ قَبْلَ رُكْبَتَيْهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(٤)، ثُمَّ جَبْهَتَهُ وَأَنْفَهُ، وَقَالَ: «**أُمِرْتُ أَنْ أَسْجُدَ عَلَى سَبْعَةِ أَعْظُمٍ: الْجَبْهَةِ، وَالْيَدَيْنِ، وَالرُّكْبَتَيْنِ، وَأَطْرَافِ الْقَدَمَيْنِ**»(٥) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا سَجَدَ فَرَّجَ بَيْنَ يَدَيْهِ حَتَّى يَبْدُوَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرِ لِي ذَنْبِي كُلَّهُ، دِقَّهُ وَجِلَّهُ،**

---

(١) استعارة للمبالغة في الطهارة. وتمام الحديث: «**اللهم طهِّرني من الذنوب والخطايا كما ينقّىٰ الثوب الأبيض من الوسخ**».

(٢) كما في الصحيحين.

(٣) كابن حزم، والذي غرّه أن الراوي غلط من قوله: (كان يكبّر في كل خفض ورفع) إلىٰ قوله: (كان يرفع يديه في كل خفض ورفع) ولم يفطن لسبب غلطه، ووهِم فصحّحه. نبّه عليه ابن القيم في زاد المعاد.

(٤) وجاء في السنن عن وائل بن حُجْر قال: رأيت النبي ﷺ إذا سجد وضع ركبتيه قبل يديه» ولذا قال النووي: لا يظهر ترجيح أحد المذهبين علىٰ الآخر من حيث السنّة.

(٥) بأن يجعل قدميه قائمتين علىٰ بطون أصابعهما وعَقِباه مرتفعتان، فيستقبل بظهور قدميه القبلة. وقد ورد هذا في حديث أبي حُميد في صفة السجود: «واستقبل بأطراف أصابع رجليه القبلة» رواه البخاري.

أَوَّلَهُ وَآخِرَهُ، عَلاَنِيَتَهُ وَسِرَّهُ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ. (وَقَوْلُهُ: «دِقَّهُ وَجِلَّهُ» أَيْ: قَلِيلَهُ وَكَثِيرَهُ).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ، فَالْتَمَسْتُهُ، فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْسُّجُودِ، وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ، وَهُوَ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ، لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ ﷺ يَرْفَعُ رَأْسَهُ مِنَ الْسُّجُودِ مُكَبِّراً غَيْرَ رَافِعٍ يَدَيْهِ، ثُمَّ يَجْلِسُ عَلَى رِجْلِهِ الْيُسْرَى، وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَجْلِسُ لِلاسْتِرَاحَةِ جَلْسَةً لَطِيفَةً بِحَيْثُ تَسْكُنُ جَوَارِحُهُ سُكُوناً بَيِّناً، ثُمَّ يَقُومُ إِلَى الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ. كَمَا فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ وَغَيْرِهِ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقُولُ بَيْنَ الْسَّجْدَتَيْنِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي، وَارْحَمْنِي، وَاهْدِنِي، وَعَافِنِي، وَارْزُقْنِي**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالدَّارِمِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا.

الْفَرْعُ الثَّانِي عَشَرَ: فِي ذِكْرِ جُلُوسِهِ ﷺ لِلتَّشَهُّدِ:

كَانَ ﷺ إِذَا جَلَسَ لِلتَّشَهُّدِ[1] يَفْرُشُ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَيَنْصِبُ الْيُمْنَى. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ الْسَّاعِدِيُّ فِي عَشَرَةٍ مِنْ أَصْحَابِهِ ﷺ: أَنَا أَعْلَمُكُمْ بِصَلاَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَالُوا: فَاعْرِضْ، فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: حَتَّى

(١) الأول.

إِذَا كَانَتِ السَّجْدَةُ الَّتِي فِيهَا التَّسْلِيمُ أَخْرَجَ رِجْلَهُ الْيُسْرَى، وَقَعَدَ مُتَوَرِّكاً عَلَى شِقِّهِ الأَيْسَرِ، ثُمَّ سَلَّمَ، قَالُوا: صَدَقْتَ، هٰكَذَا كَانَ يُصَلِّي[١].

وَكَانَ ﷺ إِذَا قَعَدَ فِي التَّشَهُّدِ وَضَعَ يَدَهُ[٢] عَلَى رُكْبَتِهِ، وَرَفَعَ إِصْبَعَهُ الَّتِي تَلِي الإِبْهَامَ، وَيَدْعُو بِهَا[٣]، وَيَدُهُ الْيُسْرَى عَلَى رُكْبَتِهِ بَاسِطَهَا عَلَيْهَا[٤].

وَكَانَ ﷺ يَسْتَقْبِلُ بِأَصَابِعِهِ الْقِبْلَةَ فِي رَفْعِ يَدَيْهِ وَرُكُوعِهِ وَفِي سُجُودِهِ وَفِي التَّشَهُّدِ، وَيَسْتَقْبِلُ بِأَصَابِعِ رِجْلَيْهِ الْقِبْلَةَ فِي سُجُودِهِ ﷺ.

الْفَرْعُ الثَّالِثَ عَشَرَ: فِي ذِكْرِ تَشَهُّدِهِ ﷺ:

كَانَ ﷺ يَتَشَهَّدُ دَائِماً فِي هٰذِهِ الْجِلْسَةِ الأَخِيرَةِ، وَيُعَلِّمُ أَصْحَابَهُ أَنْ يَقُولُوا: «**التَّحِيَّاتُ الْمُبَارَكَاتُ الصَّلَوَاتُ الطَّيِّبَاتُ لِلّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلاَمُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللّهِ الصَّالِحِينَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَدْعُو فِي الصَّلاَةِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَفِتْنَةِ الْمَمَاتِ، اللَّهُمَّ وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْثَمِ وَالْمَغْرَمِ**»[٥]، فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيذُ مِنَ الْمَغْرَمْ، فَقَالَ: «**إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ فَكَذَبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ رِوَايَةِ عَائِشَةَ، وَدُعَاؤُهُ ﷺ بِذٰلِكَ لِتَعْلِيمِ أُمَّتِهِ[٦].

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) اليمنىٰ.

(٣) وفي رواية لمسلم: «وكان يشير بها ولا يحركها».

(٤) رواه مسلم.

(٥) المأثم: ارتكاب الإثم، والمغرم: ارتكاب غرامة ماليّة.

(٦) وإلا فهو مغفور له.

وَعَنْ عَلِيٍّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَقُولُ مَا بَيْنَ التَّشَهُّدِ وَالتَّسْلِيمِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

الْفَرْعُ الرَّابِعَ عَشَرَ: فِي ذِكْرِ تَسْلِيمِهِ ﷺ مِنَ الصَّلاَةِ:

وَيَتْبَعُ ذٰلِكَ جُمْلَةُ أَحَادِيثَ تَتَعَلَّقُ بِحَالِ صَلاَتِهِ ﷺ:

عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: «كَانَ ﷺ يُسَلِّمُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ يَسَارِهِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ: حَتَّى يُرَى بَيَاضُ خَدِّهِ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا قَامَ فِي الصَّلاَةِ طَأْطَأَ رَأْسَهُ(١). رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وَكَانَ ﷺ لاَ يُجَاوِزُ بَصَرُهُ إِشَارَتَهُ ـ أَيْ: إِصْبَعَهُ الَّتِي يُشِيرُ بِهَا، وَهِيَ السَّبَّابَةُ(٢) ـ.

وَكَانَ ﷺ قَدْ جَعَلَ اللّهُ قُرَّةَ عَيْنِهِ فِي الصَّلاَةِ كَمَا قَالَ: «**وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلاَةِ**» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَلَمْ يَكُنْ يَشْغَلُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَا هُوَ فِيهِ عَنْ مُرَاعَاةِ أَحْوَالِ الْمَأْمُومِينَ، مَعَ كَمَالِ إِقْبَالِهِ وَقُرْبِهِ مِنْ رَبِّهِ وَحُضُورِ قَلْبِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ.

وَكَانَ ﷺ يَدْخُلُ فِي الصَّلاَةِ فَيُرِيدُ إِطَالَتَهَا، فَيَسْمَعُ بُكَاءَ الصَّبِيِّ فَيَتَجَوَّزُ فِي صَلاَتِهِ مَخَافَةَ أَنْ يَشُقَّ عَلَى أُمِّهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ(٣).

---

(١) أي: خَفَضَه ونظر موضع سجوده.

(٢) وذلك عند قوله في التشهُّد: إلا الله، ويديم نظره إليها إلىٰ القيام أو السلام.

(٣) كأبي داود والنسائي.

وَكَانَ ﷺ يَؤُمُّ النَّاسَ وَهُوَ حَامِلٌ أُمَامَةَ بِنْتَ بِنْتِهِ زَيْنَبَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عَلَى عَاتِقِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ.

وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي فَيَجِيءُ الْحَسَنُ أَوِ الْحُسَيْنُ فَيَرْكَبُ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيُطِيلُ السَّجْدَةَ كَرَاهِيَةَ أَنْ يُلْقِيَهُ عَنْ ظَهْرِهِ.

وَكَانَ ﷺ يَرُدُّ السَّلاَمَ بِالإِشَارَةِ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ عَلَيْهِ وَهُوَ فِي الصَّلاَةِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يُصَلِّي وَعَائِشَةُ مُعْتَرِضَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْقِبْلَةِ، فَإِذَا سَجَدَ غَمَزَهَا بِيَدِهِ فَقَبَضَتْ رِجْلَيْهَا، وَإِذَا قَامَ بَسَطَتْهُمَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى مُطَرِّفُ بْنُ عَبْدِاللَّهِ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَهُوَ يُصَلِّي، وَلِجَوْفِهِ أَزِيزٌ كَأَزِيزِ الْمِرْجَلِ (يَعْنِي: يَبْكِي) رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ. (وَالأَزِيزُ: الصَّوْتُ، وَالْمِرْجَلُ: قِدْرٌ مِنْ نُحَاسٍ).

وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يُغَمِّضُ عَيْنَيْهِ فِي صَلاَتِهِ.

وَقَدْ كَانَتْ صَلاَتُهُ ﷺ مُتَوَسِّطَةً عَارِيَةً عَنِ الْغُلُوِّ، كَالْوَسْوَسَةِ فِي عَقْدِ النِّيَّةِ، وَالْجَهْرِ بِالأَذْكَارِ الَّتِي شُرِعَتْ سِرًّا، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَفْعَلُهُ كَثِيرٌ مِمَّنِ ابْتُلِيَ بِدَاءِ الْوَسْوَسَةِ عَافَانَا اللّٰهُ مِنْهَا، وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الْجُنُونِ، فَمَنْ أَرَادَ التَّخَلُّصَ مِنْ هٰذِهِ الْبَلِيَّةِ فَلْيَتَّبِعْ سُنَّةَ نَبِيِّهِ ﷺ السَّوِيَّةَ.

الْفَرْعُ الْخَامِسَ عَشَرَ: فِي ذِكْرِ قُنُوتِهِ ﷺ ـ أَيْ: دُعَائِهِ فِي الصَّلاَةِ ـ:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ ﷺ سَبْعِينَ رَجُلاً يُقَالُ لَهُمُ الْقُرَاءُ[١]، فَعَرَضَ لَهُمْ حَيَّانِ مِنْ سُلَيْمٍ: رِعْلٌ وَذَكْوَانُ عِنْدَ بِئْرٍ يُقَالُ لَهَا: بِئْرُ مَعُونَةَ، فَقَتَلُوهُمْ، فَدَعَا عَلَيْهِمُ النَّبِيُّ ﷺ شَهْراً فِي صَلاَةِ الْغَدَاةِ ـ أَيْ: الصُّبْحِ ـ

(١) وذلك في السنة الرابعة من الهجرة.

وَذٰلِكَ بَدْءُ الْقُنُوتِ وَمَا كُنَّا نَقْنُتُ، وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهُ قَنَتَ قَبْلَ الرُّكُوعِ. وَفِي أُخْرَى: أَنَّهُ قَنَتَ بَعْدَ الرُّكُوعِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرُّكُوعِ فِي الرَّكْعَةِ الأَخِيرَةِ مِنَ الْفَجْرِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ الْعَنْ فُلاناً وَفُلاناً وَفُلاناً**» بَعْدَمَا يَقُولُ: «**سَمِعَ اللّٰهُ لِمَنْ حَمِدَهُ، رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ**» فَأَنْزَلَ اللّٰهُ عَلَيْهِ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾(١) إِلَى قَوْلِهِ: ﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾(٢) رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: كَانَ ﷺ إِذَا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْجِ الْوَلِيدَ بْنَ الْوَلِيدِ، وَسَلَمَةَ بْنَ هِشَامٍ، وَعَيَّاشَ بْنَ أَبِي رَبِيعَةَ، وَالْمُسْتَضْعَفِينَ بِمَكَّةَ، اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ**(٣)**، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ**» وَفِي رِوَايَةٍ: فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ. وَفِي رِوَايَةٍ: ثُمَّ بَلَغَنَا أَنَّهُ تَرَكَ ذٰلِكَ لَمَّا أَنْزَلَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَعَنِ الْبَرَاءِ: كَانَ ﷺ يَقْنُتُ فِي الصُّبْحِ وَالْمَغْرِبِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ، وَلأَبِي دَاوُدَ: فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَلَمْ يَذْكُرِ الْمَغْرِبَ(٤).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ يَقْنُتُ فِي صَلاَةِ الصُّبْحِ، وَفِي وِتْرِ اللَّيْلِ، بِهٰؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ: «**اللَّهُمَّ اهْدِنِي فِيمَنْ هَدَيْتَ**» أَخْرَجَهُ مُحَمَّدُ بْنُ نَصْرٍ،

---

(١) ﴿أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ﴾.

(٢) سورة آل عمران، الآية: ١٢٨.

(٣) قريش.

(٤) وروىٰ أنس: ما زال رسول الله ﷺ يقنت في الفجر حتىٰ فارق الدنيا. رواه أحمد والحاكم وصححه. قال النووي في الخلاصة: صحيح رواه جماعات من الحفّاظ وصححوه.

وَتَمَامُهَا: «وَعَافِنِي فِيمَنْ عَافَيْتَ، وَتَوَلَّنِي فِيمَنْ تَوَلَّيْتَ، وَبَارِكْ لِي فِيمَا أَعْطَيْتَ، وَقِنِي شَرَّ مَا قَضَيْتَ، فَإِنَّكَ تَقْضِي وَلاَ يُقْضَى عَلَيْكَ، وَإِنَّهُ لاَ يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ[1]، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ»[2] رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[3] مِنْ حَدِيثِ الْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ.

---

(١) زاد البيهقي: «ولا يَعِزّ مَن عاديتَ».

(٢) أما قوله: «فلك الحمد على ما قضيتَ، أستغفرك وأتوب إليك» فرواها البيهقي. ولا يسجد لتركه لسقوطه في أكثر الروايات.
وتُسَن الصلاة على رسول الله ﷺ في آخره لرواية النسائي من حديث الحسن.

(٣) كالترمذي والنسائي، وإسنادهم صحيح.

الفصل الرَّابِعُ

فِي سُجُودِهِ ﷺ لِلسَّهْوِ فِي الصَّلاةِ

عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: صَلَّى بِنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ مِنْ بَعْضِ الصَّلَوَاتِ، ثُمَّ قَامَ فَلَمْ يَجْلِسْ، فَقَامَ النَّاسُ مَعَهُ، فَلَمَّا قَضَى صَلاتَهُ وَنَظَرْنَا ـ أَيْ: انْتَظَرْنَا ـ تَسْلِيمَهُ كَبَّرَ قَبْلَ التَّسْلِيمِ فَسَجَدَ سَجْدَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ سَلَّمَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

الفصل الخامس

فِيمَا كَانَ ﷺ يَقُولُهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنَ الصَّلاَةِ وَجُلُوسِهِ بَعْدَهَا، وَسُرْعَةِ انْفِتَالِهِ بَعْدَهَا

عَنْ ثَوْبَانَ: كَانَ ﷺ إِذَا انْصَرَفَ مِنْ صَلاَتِهِ اسْتَغْفَرَ ثَلاَثاً، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَنْتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَدْ ثَبَتَ(١) أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا صَلَّى أَقْبَلَ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَيُحْمَلُ مَا وَرَدَ مِنَ الدُّعَاءِ بَعْدَ الصَّلاَةِ عَلَى أَنَّهُ كَانَ يَقُولُهُ بَعْدَ أَنْ يُقْبِلَ عَلَى أَصْحَابِهِ بِوَجْهِهِ الشَّرِيفِ، فَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُسْرِعُ الانْفِتَالَ إِلَى الْمَأْمُومِينَ، وَكَانَ يَنْفَتِلُ عَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ، وَالأَكْثَرُ عَنْ يَمِينِهِ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا سَلَّمَ مَكَثَ فِي مَكَانِهِ يَسِيراً، قَالَ الزُّهْرِيُّ: فَنَرَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ؛ لِكَيْ يَنْصَرِفَ النِّسَاءُ قَبْلَ الرِّجَالِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا سَلَّمَ لاَ يَقْعُدُ إِلاَّ مِقْدَارَ مَا

---

(١) عند البخاري ومسلم.

يَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَنتَ السَّلاَمُ، وَمِنْكَ السَّلاَمُ، تَبَارَكْتَ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، اللَّهُمَّ لاَ مَانِعَ لِمَا أَعْطَيْتَ، وَلاَ مُعْطِيَ لِمَا مَنَعْتَ، وَلاَ يَنفَعُ ذَا الْجَدِّ(١) مِنْكَ الْجَدُّ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ الْمُغِيرَةِ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ بِأَعْلَى صَوْتِهِ: «لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَلاَ نَعْبُدُ إِلاَّ إِيَّاهُ، لَهُ النِّعْمَةُ، وَلَهُ الْفَضْلُ، وَلَهُ الثَّنَاءُ الْحَسَنُ الْجَمِيلُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللَّهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ الزُّبَيْرِ.

وَعَنْ سَعْدٍ: أَنَّهُ كَانَ يُعَلِّمُ بَنِيهِ هٰؤُلاَءِ الْكَلِمَاتِ وَيَقُولُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يَتَعَوَّذُ بِهِنَّ دُبُرَ الصَّلَوَاتِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أُرَدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الدُّنْيَا وَعَذَابِ الْقَبْرِ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ أَرْقَمَ: كَانَ ﷺ يَقُولُ دُبُرَ كُلِّ صَلاَةٍ: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّكَ الرَّبُّ وَحْدَكَ لاَ شَرِيكَ لَكَ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُكَ وَرَسُولُكَ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، أَنَا شَهِيدٌ أَنَّ الْعِبَادَ كُلَّهُمْ إِخْوَةٌ، اللَّهُمَّ رَبَّنَا وَرَبَّ كُلِّ شَيْءٍ، اجْعَلْنِي مُخْلِصاً لَكَ وَأَهْلِي فِي كُلِّ سَاعَةٍ مِنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ يَا ذَا الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ، اسْمَعْ وَاسْتَجِبْ، اللَّهُ الأَكْبَرُ، اللَّهُ الأَكْبَرُ، اللَّهُ نُورُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ، اللَّهُ الأَكْبَرُ،

---

(١) صاحب الحظ والغنى.

حَسْبِيَ اللهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلِ، اللهُ الأَكْبَرُ، اللهُ الأَكْبَرُ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَأَحْمَدُ[١].

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الصَّلاَةِ: **«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي»** أَخْرَجَهُ النَّسَائِيُّ عَنْ صُهَيْبٍ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حِينَ تُقَامُ الصَّلاَةُ فِي الْمَسْجِدِ إِذَا رَآهُمْ قَلِيلاً جَلَسَ، وَإِذَا رَآهُمْ جَمَاعَةً صَلَّى. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَقَالَ أَبُو مَسْعُودٍ الْبَدْرِيُّ: كَانَ ﷺ يَمْسَحُ مَنَاكِبَنَا فِي الصَّلاَةِ وَيَقُولُ: **«اسْتَوُوا وَلاَ تَخْتَلِفُوا فَتَخْتَلِفَ قُلُوبُكُمْ، لِيَلِنِي مِنْكُمْ أُولُو الأَحْلاَمِ وَالنُّهَى[٢]، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: قَامَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يُصَلِّي، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِيَدِي مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ يُعْدِلُنِي كَذَلِكَ مِنْ وَرَاءِ ظَهْرِهِ إِلَى الشِّقِّ الأَيْمَنِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

---

(١) واللفظ له.

(٢) الأحلام والنُّهىٰ: العقول.

الباب الثاني

فِي ذِكْرِ صَلاَتِهِ ﷺ الْجُمُعَةَ

كَانَ ﷺ يُصَلِّي الْجُمُعَةَ حِينَ تَمِيلُ الشَّمْسُ[1]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَلَمْ يَكُنْ يُؤَذَّنُ فِي زَمَانِهِ ﷺ عَلَى الْمَنَارِ[2] وَبَيْنَ يَدَيْهِ، وَإِنَّمَا كَانَ بِلاَلٌ يُؤَذِّنُ وَحْدَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ ﷺ إِذَا جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ.

قَالَ ابْنُ إِسْحَاقَ: لَمَّا قَدِمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْمَدِينَةَ أَقَامَ بِقُبَاءَ فِي بَنِي عَمْرِو بْنِ عَوْفٍ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَيَوْمَ الثُّلاَثَاءِ وَيَوْمَ الأَرْبِعَاءِ وَيَوْمَ الْخَمِيسِ، وَأَسَّسَ مَسْجِدَهُمْ، ثُمَّ خَرَجَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَأَدْرَكَتْهُ الْجُمُعَةُ فِي بَنِي سَالِمٍ، فَصَلاَّهَا فِي الْمَسْجِدِ الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي، فَكَانَتْ أَوَّلَ جُمُعَةٍ صَلاَّهَا بِالْمَدِينَةِ، وَذٰلِكَ قَبْلَ تَأْسِيسِ مَسْجِدِهِ، وَخَطَبَ، وَهِيَ أَوَّلُ خُطْبَةٍ خَطَبَهَا بِالْمَدِينَةِ فَقَالَ: «**الْحَمْدُ لِلّٰهِ أَحْمَدُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ وَأَسْتَغْفِرُهُ، وَأَسْتَهْدِيهِ وَأُومِنُ بِهِ وَلاَ أَكْفُرُهُ، وَأُعَادِي مَنْ يَكْفُرُ بِهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ وَالنُّورِ وَالْمَوْعِظَةِ وَالْحِكْمَةِ عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ، وَقِلَّةٍ مِنَ الْعِلْمِ، وَضَلاَلَةٍ مِنَ النَّاسِ، وَانْقِطَاعٍ مِنَ الزَّمَانِ، وَدُنُوٍ مِنَ السَّاعَةِ، وَقُرْبٍ مِنَ الأَجَلِ، مَنْ**

(١) عن وسط السماء.

(٢) المئذنة.

يُطِعِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِ اللّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ غَوَى وَفَرَّطَ وَضَلَّ ضَلاَلاً بَعِيداً، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللّهِ، فَإِنَّ خَيْرَ مَا أَوْصَى بِهِ الْمُسْلِمُ الْمُسْلِمَ أَنْ يَحُضَّهُ عَلَى الآخِرَةِ وَأَنْ يَأْمُرَهُ بِتَقْوَى اللّهِ، وَاحْذَرُوا مَا حَذَّرَكُمُ اللّهُ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّ تَقْوَى اللّهِ لِمَنْ عَمِلَ بِهَا عَلَى وَجَلٍ وَمَخَافَةٍ مِنْ رَبِّهِ عَوْنٌ وَصِدْقٌ عَلَى مَا تَبْتَغُونَ مِنَ الآخِرَةِ، وَمَنْ يَصِلِ الَّذِي بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللّهُ مِنْ أَمْرِهِ فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ لاَ يَنْوِي بِهِ إِلاَّ وَجْهَ اللّهِ يَكُنْ لَهُ ذِكْراً فِي عَاجِلِ أَمْرِهِ، وَذُخْراً فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ حِينَ يَفْتَقِرُ الْمَرْءُ إِلَى مَا قَدَّمَ، وَمَا كَانَ مِمَّا سِوَى ذٰلِكَ يَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ أَمَداً بَعِيداً، وَيُحَذِّرُكُمُ اللّهُ نَفْسَهُ، وَاللّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ، هُوَ الَّذِي صَدَقَ قَوْلَهُ وَأَنْجَزَ وَعْدَهُ، لاَ خُلْفَ لِذٰلِكَ، فَإِنَّهُ يَقُولُ: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾[1]، فَاتَّقُوا اللّهَ فِي عَاجِلِ أَمْرِكُمْ وَآجِلِهِ، فِي السِّرِّ وَالْعَلاَنِيَةِ، فَإِنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللّهَ يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُعْظِمْ لَهُ أَجْراً، وَمَنْ يَتَّقِ اللّهَ فَقَدْ فَازَ فَوْزاً عَظِيماً، وَإِنَّ تَقْوَى اللّهِ تُوَقِّي مَقْتَهُ[2]، وَتُوَقِّي عُقُوبَتَهُ وَسَخَطَهُ، وَإِنَّ تَقْوَى اللّهِ تُبَيِّضُ الْوَجْهَ، وَتُرْضِي الرَّبَّ، وَتَرْفَعُ الدَّرَجَةَ، فَخُذُوا بِحَظِّكُمْ، وَلاَ تُفَرِّطُوا فِي جَنْبِ اللّهِ[3]، فَقَدْ عَلَّمَكُمْ كِتَابَهُ، وَنَهَجَ لَكُمْ سَبِيلَهُ، لِيَعْلَمَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَيَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ، فَأَحْسِنُوا كَمَا أَحْسَنَ اللّهُ إِلَيْكُمْ، وَعَادُوا أَعْدَاءَهُ، وَجَاهِدُوا فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ، هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَسَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ؛ لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ، فَأَكْثِرُوا ذِكْرَ اللّهِ، وَاعْمَلُوا لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، فَإِنَّهُ مَنْ يُصْلِحْ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللّهِ يَكْفِهِ اللّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ، ذٰلِكَ بِأَنَّ اللّهَ يَقْضِي عَلَى النَّاسِ وَلاَ يَقْضُونَ عَلَيْهِ، وَيَمْلِكُ مِنَ النَّاسِ وَلاَ يَمْلِكُونَ مِنْهُ، اللّهُ أَكْبَرُ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِاللّهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ».

---

(١) سورة قٓ، الآية: ٢٩.

(٢) أي: طاعةُ الله تُبعِد عن العبد بغضَ الله له.

(٣) أي: في حقه.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَخْطُبُ خُطْبَتَيْنِ، يَجْلِسُ إِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ، حَتَّى يَفْرُغَ الْمُؤَذِّنُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ، ثُمَّ يَجْلِسُ فَلاَ يَتَكَلَّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيَخْطُبُ[١].

وَكَانَ ﷺ: إِذَا خَطَبَ احْمَرَّتْ عَيْنَاهُ، وَعَلاَ صَوْتُهُ، وَاشْتَدَّ غَضَبُهُ حَتَّى كَأَنَّهُ مُنْذِرُ جَيْشٍ يَقُولُ: «**صَبَّحَكُمْ وَمَسَّاكُمْ**»، وَيَقُولُ: «**بُعِثْتُ أَنَا وَالسَّاعَةَ كَهَاتَيْنِ**» وَيَقْرُنُ بَيْنَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ وَالْوُسْطَى، وَيَقُولُ: «**أَمَّا بَعْدُ، فَإِنَّ خَيْرَ الْحَدِيثِ كِتَابُ اللَّهِ، وَخَيْرَ الْهُدَى هُدَى مُحَمَّدٍ ﷺ، وَشَرَّ الأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلَّ بِدْعَةٍ ضَلاَلَةٌ، وَكُلَّ ضَلاَلَةٍ فِي النَّارِ**» ثُمَّ يَقُولُ: «**أَنَا أَوْلَى بِكُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْ نَفْسِهِ، مَنْ تَرَكَ مَالاً فَلأَهْلِهِ، وَمَنْ تَرَكَ دَيْناً أَوْ ضَيَاعاً فَإِلَيَّ وَعَلَيَّ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ[٢] مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ. (وَمَعْنَى ضَيَاعاً: عِيَالاً عَالَةً وَأَطْفَالاً لاَ قُدْرَةَ لَهُمْ عَلَى الْقِيَامِ بِمَصَالِحِهِمْ).

وَعَنْ أُمِّ هِشَامٍ بِنْتِ حَارِثَةَ بْنِ النُّعْمَانِ قَالَتْ: مَا أَخَذْتُ ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ①﴾ إِلاَّ عَنْ لِسَانِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، يَقْرَؤُهَا كُلَّ جُمُعَةٍ عَلَى الْمِنْبَرِ إِذَا خَطَبَ النَّاسَ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنِ الْحَكَمِ بْنِ حَزْنٍ قَالَ: قَدِمْتُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ سَابِعَ سَبْعَةٍ، أَوْ تَاسِعَ تِسْعَةٍ، فَلَبِثْنَا عِنْدَهُ أَيَّاماً شَهِدْنَا فِيهَا الْجُمُعَةَ، فَقَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَوَكِّئاً عَلَى قَوْسٍ (أَوْ قَالَ: عَلَى عَصاً)، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ، كَلِمَاتٍ خَفِيفَاتٍ طَيِّبَاتٍ مُبَارَكَاتٍ، ثُمَّ قَالَ: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّكُمْ لَنْ تَفْعَلُوا، أَوْ لَنْ تُطِيقُوا كُلَّ مَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ، وَلَكِنْ سَدِّدُوا وَأَبْشِرُوا**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ. (قَوْلُهُ: «سَدِّدُوا» أَيْ: لاَزِمُوا الصَّوَابَ مِنَ الْقَوْلِ وَالْفِعْلِ).

---

(١) رواه أبو داود.

(٢) الحديث ٨٦٧.

وَعَنْ أَبِي الدَّرْدَاءِ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَقَالَ: **«تُوبُوا إِلَى اللَّهِ قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا، وَبَادِرُوا بِالأَعْمَالِ الصَّالِحَةِ قَبْلَ أَنْ تَشْتَغِلُوا، وَصِلُوا الَّذِي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ رَبِّكُمْ تَسْعَدُوا، وَأَكْثِرُوا الصَّدَقَةَ تُرْزَقُوا، وَأْمُرُوا بِالْمَعْرُوفِ تُخْصِبُوا، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ تُنْصَرُوا، أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ أَكْيَسَكُمْ[١] أَكْثَرُكُمْ ذِكْراً لِلْمَوْتِ، وَأَكْرَمَكُمْ أَحْسَنُكُمْ اسْتِعْدَاداً لَهُ، أَلاَ وَإِنَّ مِنْ عَلاَمَاتِ الْعَقْلِ التَّجَافِي عَنْ دَارِ الْغُرُورِ[٢]، وَالإِنَابَةَ إِلَى دَارِ الْخُلُودِ، وَالتَّزَوُّدَ لِسُكْنَى الْقُبُورِ، وَالتَّأَهُّبَ لِيَوْمِ النُّشُورِ»** رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ مِنْ حَدِيثِ جَابِرِ بْنِ عَبْدِاللَّهِ.

وَفِي مَرَاسِيلِ أَبِي دَاوُدَ عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: كَانَ صَدْرُ[٣] خُطْبَةِ النَّبِيِّ ﷺ: **«الْحَمْدُ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلاَ مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلاَ هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ، وَأَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، أَرْسَلَهُ بِالْحَقِّ بَشِيراً وَنَذِيراً بَيْنَ يَدَيِ السَّاعَةِ، مَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ رَشَدَ، وَمَنْ يَعْصِهِمَا فَقَدْ غَوَى[٤]، نَسْأَلُ اللَّهَ رَبَّنَا أَنْ يَجْعَلَنَا مِمَّنْ يُطِيعُهُ وَيُطِيعُ رَسُولَهُ، وَيَتَّبِعُ رِضْوَانَهُ وَيَجْتَنِبُ سَخَطَهُ»**.

وَعِنْدَهُ أَيْضاً: عَنْهُ قَالَ: بَلَغَنَا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ إِذَا خَطَبَ: **«كُلُّ مَا هُوَ آتٍ قَرِيبٌ، لاَ بُعْدَ لِمَا هُوَ آتٍ، يُرِيدُ اللَّهُ أَمْراً وَيُرِيدُ النَّاسُ أَمْراً، مَا شَاءَ اللَّهُ كَانَ وَلَوْ كَرِهَ النَّاسُ، وَلاَ مُبْعِد لِمَا قَرَّبَ اللَّهُ، وَلاَ مُقَرِّبَ لِمَا أَبْعَدَ اللَّهُ، لاَ يَكُونُ شَيْءٌ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ»**.

وَقَالَ جَابِرٌ: كَانَ ﷺ إِذَا خَطَبَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ يَقُولُ بَعْدَ أَنْ يَحْمَدَ اللَّهَ

---

(١) أعقلكم.

(٢) التباعد عن دار الخديعة (وهي الدنيا).

(٣) مقدمة.

(٤) ضلّ.

وَيُصَلِّي عَلَى أَنبِيَائِهِ: «أيُها النَّاسُ! إِنَّ لَكُمْ مَعَالِمَ[1] فَانْتَهُوا إِلَى مَعَالِمِكُمْ، وَإِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ، إِنَّ الْعَبْدَ الْمُؤْمِنَ بَيْنَ مَخَافَتَيْنِ: بَيْنَ أَجَلٍ قَدْ مَضَى لاَ يَدْرِي مَا اللَّهُ قَاضٍ فِيهِ، وَبَيْنَ أَجَلٍ قَدْ بَقِيَ لاَ يَدْرِي مَا اللَّهُ صَانِعٌ فِيهِ، فَلْيَأْخُذِ الْعَبْدُ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ، وَمِنْ دُنْيَاهُ لآخِرَتِهِ، وَمِنَ الشَّبِيبَةِ قَبْلَ الْكِبَرِ، وَمِنَ الْحَيَاةِ قَبْلَ الْمَمَاتِ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، مَا بَعْدَ الْمَوْتِ مِنْ مُسْتَعْتَبٍ[2]، وَمَا بَعْدَ الدُّنيَا مِنْ دَارٍ إِلاَّ الْجَنَّةُ أَوِ النَّارُ، أَقُولُ قَوْلِي هٰذَا وأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ»[3].

وَكَانَتْ صَلاَتُهُ ﷺ الْجُمُعَةَ قَصْداً بَيْنَ الطُّولِ وَالتَّخْفِيفِ، وَخُطْبَتُهُ قَصْداً، رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ، وَزَادَ أَبُو دَاوُدَ: يَقْرَأُ بِآيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيُذَكِّرُ النَّاسَ.

وَعَنْ عَمْرِو بْنِ حُرَيْثٍ: أَنَّهُ ﷺ خَطَبَ وَعَلَيْهِ عِمَامَةٌ سَوْدَاءُ قَدْ أَرْخَى طَرَفَهَا بَيْنَ كَتِفَيْهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

قَالَ ابْنُ الْقَيِّمِ فِي الْهَدْيِ: وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا اجْتَمَعَ النَّاسُ خَرَجَ إِلَيْهِمْ وَحْدَهُ مِنْ غَيْرِ شَاوِيشٍ[4] يَصِيحُ بَيْنَ يَدَيْهِ، وَلاَ لُبْسِ طَيْلَسانٍ، وَلاَ طَرْحَةٍ وَلاَ سَوَادٍ[5]، فَإِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ سَلَّمَ عَلَيْهِمْ، فَإِذَا صَعِدَ الْمِنْبَرَ اسْتَقْبَلَ النَّاسَ بِوَجْهِهِ وَسَلَّمَ عَلَيْهِمْ، ثُمَّ يَجْلِسُ وَيَأْخُذُ بِلاَلٌ فِي الأَذَانِ، فَإِذَا فَرَغَ مِنْهُ قَامَ فَخَطَبَ مِنْ غَيْرِ فَصْلٍ بَيْنَ الأَذَانِ وَالْخُطْبَةِ، لاَ بِإِيرَادِ خَبَرٍ وَلاَ غَيْرِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ﷺ يَأْخُذُ بِيَدِهِ سَيْفاً وَلاَ غَيْرَهُ، وَإِنَّمَا كَانَ يَعْتَمِدُ عَلَى قَوْسٍ

---

(١) علامات تسترشدون بها.

(٢) تسترضيه وتطلب العفو منه، فقد فات الأوان.

(٣) رواه البيهقي في الشُّعَب.

(٤) حارس.

(٥) الطيلَسان: وشاح يُلبَس على الكتف، أو يحيط بالبدن من غير خياطة. والطرحة: غطاء للرأس والكتفين. والسواد: اللباس الرسمي.

أَوْ عَصاً قَبْلَ أَنْ يُتَّخَذَ الْمِنْبَرُ، وَكَانَ يَأْمُرُ النَّاسَ بِالدُّنُوِّ مِنْهُ، وَيَأْمُرُهُمْ بِالإِنْصَاتِ.

وَكَانَ ﷺ يَقْرَأُ بِسُورَةِ الْجُمُعَةِ فِي الرَّكْعَةِ الأُولَى، وَ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ بِالثَّانِيَةِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي حَدِيثِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَفِي الْجُمُعَةِ بـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ: أَنَّهُ ﷺ جَمَّعَ بِالْمَدِينَةِ، وَكَانُوا أَرْبَعِينَ رَجُلاً.

الباب الثالث

فِي تَهَجُّدِهِ ﷺ

التَّهَجُّدُ: الصَّلاَةُ بَعْدَ الرُّقَادِ، ثُمَّ صَلاَةٌ أُخْرَى بَعْدَ رَقْدَةٍ، ثُمَّ صَلاَةٌ أُخْرَى بَعْدَ رَقْدَةٍ.

قَالَتْ عَائِشَةُ: قَامَ ﷺ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، فَقُلْتُ لَهُ: لِمَ تَصْنَعُ هٰذَا يَا رَسُولَ اللّهِ وَقَدْ غَفَرَ اللّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «**أَفَلاَ أَكُونُ عَبْداً شَكُوراً؟**» قَالَتْ: فَلَمَّا بَدَّنَ[1] وَكَثُرَ لَحْمُهُ[2] صَلَّى جَالِساً، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يَرْكَعَ قَامَ فَقَرَأَ ثُمَّ رَكَعَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

ذِكْرُ سِيَاقِ صَلاَتِهِ ﷺ بِاللَّيْلِ:

عَنْ شُرَيْحٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: مَا صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ الْعِشَاءَ قَطُّ فَدَخَلَ بَيْتِي إِلاَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) أي كَبِر، أما بَدُن فمعناها: كثر لحمه.

(٢) كأن الراوي تأوّله علىٰ كثرة اللحم، وقد تعقّبه ابن الجوزي فقال: لم يَصِفْه أحد بالسِّمَن أصلاً. انظر فتح الباري، وتفسير القرطبي ١٢/٦٠. لكن سيأتي في ص٧٠٦ حديث مسلم وفيه: «فلما أسن ﷺ وأخذه اللحم...».

وَكَانَ ﷺ يَقُومُ إِذَا سَمِعَ الْصَّارِخَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. (وَالصَّارِخُ: الدِّيكُ).

وَقَالَتْ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، وَيَقُومُ آخِرَهُ فَيُصَلِّي ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى فِرَاشِهِ، فَإِذَا أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ وَثَبَ، فَإِنْ كَانَتْ بِهِ حَاجَةٌ اغْتَسَلَ، وَإِلاَّ تَوَضَّأَ وَخَرَجَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَالَتْ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ رُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَرُبَّمَا اغْتَسَلَ فِي آخِرِهِ، وَرُبَّمَا أَوْتَرَ فِي أَوَّلِ اللَّيْلِ، وَرُبَّمَا أَوْتَرَ فِي آخِرِهِ، وَرُبَّمَا جَهَرَ بِالْقِرَاءَةِ، وَرُبَّمَا خَفَتَ ـ أَيْ: أَسَرَّ بِهَا ـ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي بِنَا، ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى، ثُمَّ يُصَلِّي قَدْرَ مَا نَامَ، ثُمَّ يَنَامُ قَدْرَ مَا صَلَّى، حَتَّى يُصْبِحَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: مَا كُنَّا نَشَاءُ أَنْ نَرَى رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فِي اللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلاَّ رَأَيْنَاهُ، وَلاَ نَشَاءُ أَنْ نَرَاهُ نَائِماً إِلاَّ رَأَيْنَاهُ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا اسْتَيْقَظَ مِنَ اللَّيْلِ قَالَ: **«لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ، سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَسْتَغْفِرُكَ لِذَنْبِي، وَأَسْأَلُكَ رَحْمَتَكَ، اللَّهُمَّ زِدْنِي عِلْماً، وَلاَ تُزِغْ قَلْبِي بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنِي، وَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً، إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَعَنْهَا: كَانَ إِذَا هَبَّ مِنَ اللَّيْلِ كَبَّرَ اللَّهَ عَشْراً، وَحَمِدَ اللَّهَ عَشْراً، وَقَالَ: **«سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ»** عَشْراً، وَقَالَ: **«سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُوسِ»** عَشْراً، و**«أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ»** عَشْراً، وَهَلَّلَ(٢) عَشْراً، ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ ضِيقِ الدُّنْيَا وَضِيقِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»** عَشْراً، ثُمَّ يَفْتَتِحُ الصَّلاَةَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) والترمذي والنسائي.

(٢) قال: لا إله إلا الله.

وَكَانَ قِيَامُهُ ﷺ عَلَى أَنْوَاعٍ:

فَقَدْ رَوَى الْشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: بِتُّ عِنْدَ خَالَتِي مَيْمُونَةَ لَيْلَةً، وَالنَّبِيُّ ﷺ عِنْدَهَا، فَتَحَدَّثَ النَّبِيُّ ﷺ مَعَ أَهْلِهِ سَاعَةً، ثُمَّ رَقَدَ، فَلَمَّا كَانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ أَوْ نِصْفُهُ قَعَدَ يَنْظُرُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَرَأَ: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ حَتَّى خَتَمَ السُّورَةَ[1]، ثُمَّ قَامَ إِلَى الْقِرْبَةِ فَأَطْلَقَ شِنَاقَهَا[2]، ثُمَّ صَبَّ فِي الْجَفْنَةِ، ثُمَّ تَوَضَّأَ وُضُوءاً حَسَناً بَيْنَ الْوُضُوءَيْنِ لَمْ يُكْثِرْ وَقَدْ أَبْلَغَ، فَقَامَ فَصَلَّى، فَقُمْتُ فَتَوَضَّأْتُ، فَقُمْتُ عَنْ يَسَارِهِ، فَأَخَذَ بِأُذُنِي فَأَدَارَنِي عَنْ يَمِينِهِ، فَتَتَامَّتْ صَلاَتُهُ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً[3]، ثُمَّ اضْطَجَعَ فَنَامَ حَتَّى نَفَخَ، وَكَانَ إِذَا نَامَ نَفَخَ، فَآذَنَهُ بِلاَلٌ بِالصَّلاَةِ، فَصَلَّى وَلَمْ يَتَوَضَّأْ[4]، وَكَانَ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُوراً، وَفِي بَصَرِي نُوراً، وَفِي سَمْعِي نُوراً، وَعَنْ يَمِينِي نُوراً، وَعَنْ يَسَارِي نُوراً، وَفَوْقِي نُوراً، وَتَحْتِي نُوراً، وَأَمَامِي نُوراً، وَخَلْفِي نُوراً، وَاجْعَلْ لِي نُوراً**» وَزَادَ بَعْضُهُمْ: «**وَفِي لِسَانِي نُوراً**» وَذَكَرَ «**عَصَبِي وَلَحْمِي وَدَمِي وَشَعَرِي وَبَشَرِي**».

وَفِي رِوَايَةٍ: فَقَامَ فَصَلَّى ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، مِنْهَا رَكْعَتَا الْفَجْرِ، حَزَرْتُ قِيَامَهُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِقَدْرِ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ۝١﴾.

وَفِي رِوَايَةٍ: فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ حَتَّى صَلَّى ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ، ثُمَّ أَوْتَرَ بِخَمْسٍ لَمْ يَجْلِسْ فِيهِنَّ.

وَعَنْ سَعْدِ بْنِ هِشَامٍ قَالَ: انْطَلَقْتُ إِلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقُلْتُ:

---

(١) سورة آل عمران.

(٢) خَيْط يُربَط به فمها.

(٣) منها ركعتا الفجر، كما سيأتي.

(٤) لأن من خصائصه ﷺ أن نومه مضطجعاً لا ينقض الوضوء، لأن عينيه تنامان ولا ينام قلبه.

يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَنبِئِينِي عَنْ خُلُقِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ؟ قَالَتْ: أَلَسْتَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قُلْتُ: بَلَى، قَالَتْ: كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، قُلْتُ: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ أَنْبِئِينِي عَنْ وِتْرِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَالَتْ: كُنَّا نُعِدُّ لَهُ سِوَاكَهُ وَطَهُورَهُ، فَيَبْعَثُهُ اللّهُ مَا شَاءَ أَنْ يَبْعَثَهُ مِنَ اللَّيْلِ، فَيَتَسَوَّكُ، وَيَتَوَضَّأُ، وَيُصَلِّي تِسْعَ رَكَعَاتٍ، وَلاَ يَجْلِسُ فِيهَا إِلاَّ فِي الثَّامِنَةِ، فَيَذْكُرُ اللّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُوهُ، ثُمَّ يَنْهَضُ وَلاَ يُسَلِّمُ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي التَّاسِعَةَ، ثُمَّ يَقْعُدُ فَيَذْكُرُ اللّهَ وَيَحْمَدُهُ وَيَدْعُو، ثُمَّ يُسَلِّمُ تَسْلِيماً يُسْمِعُنَا، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَمَا يُسَلِّمُ[(١)] وَهُوَ قَاعِدٌ، فَتِلْكَ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً يَا بُنَيَّ، فَلَمَّا أَسَنَّ ﷺ وَأَخَذَهُ اللَّحْمُ أَوْتَرَ بِسَبْعٍ، وَصَنَعَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَنِيعِهِ الأَوَّلِ، فَتِلْكَ تِسْعٌ يَا بُنَيَّ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْهَا لِلنَّسَائِيِّ: فَصَلَّى سِتَّ رَكَعَاتٍ، يُخَيَّلُ إِلَيَّ أَنَّهُ سَوَّى بَيْنَهُنَّ فِي الْقِرَاءَةِ وَالرُّكُوعِ وَالسُّجُودِ، ثُمَّ يوتِرُ بِرَكْعَةٍ، ثُمَّ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ وَهُوَ جَالِسٌ، ثُمَّ يَضَعُ جَنْبَهُ.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ افْتَتَحَ صَلاَتَهُ بِرَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَحْمَدُ.

وَعَنْهَا: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُصَلِّي فِيمَا بَيْنَ أَنْ يَفْرُغَ مِنْ صَلاَةِ الْعِشَاءِ إِلَى الْفَجْرِ إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً، وَيُسَلِّمُ مِنْ كُلِّ رَكْعَتَيْنِ، وَيُوتِرُ بِوَاحِدَةٍ، فَيَسْجُدُ السَّجْدَةَ مِنْ ذٰلِكَ قَدْرَ مَا يَقْرَأُ أَحَدُكُمْ خَمْسِينَ آيَةً قَبْلَ أَنْ يَرْفَعَ رَأْسَهُ، فَإِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنْ صَلاَةِ الْفَجْرِ وَتَبَيَّنَ لَهُ الْفَجْرُ قَامَ فَرَكَعَ رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ حَتَّى يَأْتِيَهُ الْمُؤَذِّنُ لِلإِقَامَةِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) لبيان جواز التنفُّل بعد الوتر، كما سيأتي.

وَعَنْهَا قَالَتْ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً، يُوتِرُ مِنْ ذٰلِكَ بِخَمْسٍ، وَلاَ يَجْلِسُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ فِي آخِرِهَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: عَنْ مَسْرُوقٍ: سَأَلْتُ عَائِشَةَ عَنْ صَلاَةِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فَقَالَتْ: سَبْعاً وَتِسْعاً وَإِحْدَى عَشْرَةَ سِوَى رَكْعَتَي الْفَجْرِ، وَأَشْكَلَت رِوَايَاتُ عَائِشَةَ عَلَى كَثِيرٍ، وَالصَّوَابُ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ ذَكَرَتْهُ مِنْ ذٰلِكَ مَحْمُولٌ عَلَى أَوْقَاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ وَأَحْوَالٍ مُخْتَلِفَةٍ بِحَسَبِ النَّشَاطِ، وَبَيَانِ الْجَوَازِ. قَالَهُ الْقُرْطُبِيُّ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ خَالِدٍ أَنَّهُ قَالَ: لأَرْمُقَنَّ[(١)] صَلاَةَ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ طَوِيلَتَيْنِ، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَهُمَا دُونَ اللَّتَيْنِ قَبْلَهُمَا، ثُمَّ أَوْتَرَ، فَذٰلِكَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ رَكْعَةً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ حُذَيْفَةَ أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ يُصَلِّي مِنَ اللَّيْلِ، فَكَانَ يَقُولُ[(٢)]: «**اللّٰهُ أَكْبَرُ** ـ ثَلاَثاً ـ **ذُو الْمَلَكُوتِ وَالْجَبَرُوتِ وَالْكِبْرِيَاءِ وَالْعَظَمَةِ**»، ثُمَّ اسْتَفْتَحَ فَقَرَأَ الْبَقَرَةَ، ثُمَّ رَكَعَ فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي رُكُوعِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهِ مِنَ الرُّكُوعِ، فَكَانَ قِيَامُهُ نَحْواً مِنْ رُكُوعِهِ، ثُمَّ يَقُولُ: «**لِرَبِّي الْحَمْدُ**»، ثُمَّ سَجَدَ فَكَانَ سُجُودُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، وَكَانَ يَقُولُ فِي سُجُودِهِ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**»، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ، وَكَانَ يَقْعُدُ فِيمَا بَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ نَحْواً مِنْ سُجُودِهِ، وَكَانَ يَقُولُ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي، رَبِّ اغْفِرْ لِي**»، فَصَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ قَرَأَ فِيهِنَّ الْبَقَرَةَ وَآلَ عِمْرَانَ وَالنِّسَاءَ وَالْمَائِدَةَ أَوِ الأَنْعَامَ، شَكَّ شُعْبَةُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) لأنظرنّ بتأمُّل.

(٢) أي: بعد النيّة.

وَرَوَاهُ مُسْلِمٌ بِلَفْظِ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ لَيْلَةٍ فَافْتَتَحَ الْبَقَرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِئَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتَرَسِّلاً، إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ فَجَعَلَ يَقُولُ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الْعَظِيمِ**»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْواً مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «**سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمِدَهُ**» (زَادَ فِي رِوَايَةٍ: «**رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ**»)، ثُمَّ قَامَ قِيَاماً طَوِيلاً قَرِيباً مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ فَقَالَ: «**سُبْحَانَ رَبِّيَ الأَعْلَى**» فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيباً مِنْ قِيَامِهِ. وَزَادَ النَّسَائِيُّ: لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ تَخْوِيفٍ أَوْ تَعْظِيمٍ لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ إِلاَّ ذَكَرَهُ.

وَقَدْ كَانَتْ هَيْئَةُ صَلاَتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ثَلاَثَةَ أَنْوَاعٍ:

أَحَدُهَا: أَنَّهُ كَانَ أَكْثَرُ صَلاَتِهِ قَائِماً. فَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُهُ ﷺ فِي سُبْحَتِهِ قَاعِداً، حَتَّى كَانَ قَبْلَ وَفَاتِهِ بِعَامٍ فَكَانَ يُصَلِّي فِي سُبْحَتِهِ قَاعِداً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[1]. (وَالسُّبْحَةُ: النَّافِلَةُ).

الثَّانِي: كَانَ يُصَلِّي قَاعِداً، وَيَرْكَعُ قَاعِداً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَغَيْرُهُ[2] مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

الثَّالِثُ: كَانَ يَقْرَأُ قَاعِداً، فَإِذَا بَقِيَ يَسِيرٌ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَامَ فَرَكَعَ قَائِماً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ، وَلَفْظُهُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي جَالِساً، وَيَقْرَأُ وَهُوَ جَالِسٌ، فَإِذَا بَقِيَ مِنْ قِرَاءَتِهِ قَدْرَ مَا يَكُونُ ثَلاَثِينَ آيَةً أَوْ أَرْبَعِينَ آيَةً، قَامَ وَقَرَأَ وَهُوَ قَائِمٌ، ثُمَّ رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ يَفْعَلُ فِي الرَّكْعَةِ الثَّانِيَةِ مِثْلَ ذٰلِكَ.

---

(١) النسائي والترمذي.

(٢) كمسلم.

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَ يُصَلِّي مُتَرَبِّعاً. رَوَاهُ الدَّارَقُطْنِيُّ.

وَرُوِيَ[١]: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْوِتْرِ جَالِساً؛ لِبَيَانِ الْجَوَازِ.

وَأَمَّا قِيَامُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ:

فَعَنْ عَائِشَةَ: قَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلَّى، فَأَطَالَ السُّجودَ حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُ قَدْ قُبِضَ، فَلَمَّا رَأَيْتُ ذٰلِكَ قُمْتُ حَتَّى حَرَّكْتُ إِبْهَامَهُ فَتَحَرَّكَ، فَرَجَعْتُ، فَلَمَّا رَفَعَ رَأْسَهُ مِنَ السُّجُودِ وَفَرَغَ مِنْ صَلَاتِهِ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ**» أَوْ «**يَا حُمَيْرَاءُ!**» أَظَنَنْتِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَدْ خَاسَ بِكِ ـ أَيْ: غَدَرَ؟ ـ قُلْتُ: لَا وَاللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلَكِنْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ قَدْ قُبِضْتَ لِطُولِ سُجُودِكَ، فَقَالَ: «**أَتَدْرِينَ أَيُّ لَيْلَةٍ هٰذِهِ؟**» قُلْتُ: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «**هٰذِهِ لَيْلَةُ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَطَّلِعُ عَلَى عِبَادِهِ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ فَيَغْفِرُ لِلْمُسْتَغْفِرِينَ، وَيَرْحَمُ الْمُسْتَرْحِمِينَ، وَيُؤَخِّرُ أَهْلَ الْحِقْدِ كَمَا هُمْ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَعَنْهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: فَقَدْتُ النَّبِيَّ ﷺ فَخَرَجْتُ، فَإِذَا هُوَ بِالْبَقِيعِ رَافِعٌ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ: «**أَكُنْتِ تَخَافِينَ أَنْ يَحِيفَ**[٢] **اللَّهُ عَلَيْكِ وَرَسُولُهُ؟**» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! قَدْ ظَنَنْتُ أَنَّكَ أَتَيْتَ بَعْضَ نِسَائِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْزِلُ لَيْلَةَ النِّصْفِ مِنْ شَعْبَانَ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا فَيَغْفِرُ لِأَكْثَرَ مِنْ عَدَدِ شَعَرِ غَنَمِ كَلْبٍ**»[٣] رَوَاهُ أَحْمَدُ. (وَمَعْنَى «يَنْزِلُ» أَيْ: أَمْرُهُ أَوْ مَلَكُهُ).

وَأَمَّا قِيَامُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ: (وَهُوَ الَّذِي يُسَمَّى بِالتَّرَاوِيحِ).

---

(١) رواه مسلم.

(٢) أي: يجور.

(٣) وكانت قبيلة كلب مشهورة بكثرة مواشيها.

فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأَوَاخِرُ مِنْ رَمَضَانَ أَحْيَا اللَّيْلَ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ، وَجَدَّ وَشَدَّ الْمِئْزَرَ[١]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[٢]. وَلِمُسْلِمٍ قَالَتْ: كَانَ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي رَمَضَانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ، وَفِي الْعَشْرِ الأَخِيرِ مِنْهُ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ.

وَعَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ صَلَّى فِي الْمَسْجِدِ فَصَلَّى بِصَلاَتِهِ نَاسٌ، ثُمَّ صَلَّى مِنَ الْقَابِلَةِ فَكَثُرَ النَّاسُ، ثُمَّ اجْتَمَعُوا مِنَ اللَّيْلَةِ الثَّالِثَةِ فَلَمْ يَخْرُجْ إِلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا أَصْبَحَ قَالَ: **«قَدْ رَأَيْتُ الَّذِي صَنَعْتُمْ، وَلَمْ يَمْنَعْنِي مِنَ الْخُرُوجِ إِلَيْكُمْ، إِلاَّ أَنِّي خَشِيتُ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْكُمْ»** وَذٰلِكَ فِي رَمَضَانَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[٣].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: قُمْنَا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ لَيْلَةَ ثَلاَثٍ وَعِشْرِينَ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ الأَوَّلِ، ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ خَمْسٍ وَعِشْرِينَ إِلَى نِصْفِ اللَّيْلِ، ثُمَّ قُمْنَا مَعَهُ لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنْ لاَ نُدْرِكَ الْفَلاَحَ - أَيْ: السُّحُورَ - رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَأَمَّا عَدَدُ الرَّكَعَاتِ الَّتِي كَانَ ﷺ يُصَلِّيهَا فِي رَمَضَانَ:

فَعَنْ أَبِي سَلَمَةَ أَنَّهُ سَأَلَ عَائِشَةَ: كَيْفَ كَانَتْ صَلاَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ؟ قَالَتْ: مَا كَانَ يَزِيدُ فِي رَمَضَانَ وَلاَ فِي غَيْرِهِ عَلَى إِحْدَى عَشْرَةَ رَكْعَةً[٤]، يُصَلِّي أَرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي أَرْبَعاً فَلاَ تَسْأَلْ عَنْ حُسْنِهِنَّ وَطُولِهِنَّ، ثُمَّ يُصَلِّي ثَلاَثاً. قَالَتْ عَائِشَةُ: فَقُلْتُ: يَا

---

(١) كناية عن اعتزال النسائي، أو الجدّ في العبادة.

(٢) أبو داود والنسائي.

(٣) كأبي داود.

(٤) وقول عائشة ذلك لا ينافي أنه ﷺ صلّى القيام أكثر من هذا ولم تره رضي الله عنها أو إن قولها محمول على صلاة الوتر.

رَسُولَ اللّهِ! أَتَنَامَ قَبْلَ أَنْ تُوتِرَ؟ قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلاَ يَنَامُ قَلْبِي**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي قِيَام رَمَضَانَ بِاللَّيْلِ أَكْثَرَ مِنْ غَيْرِهِ، وَقَدْ صَلَّى مَعَهُ حُذَيْفَةُ لَيْلَةً فِي رَمَضَانَ، قَالَ: فَقَرَأَ بِالْبَقَرَةِ، ثُمَّ النِّسَاءِ، ثُمَّ آلِ عِمْرَانَ، لاَ يَمُرُّ بِآيَةِ تَخْوِيفٍ إِلاَّ وَقَفَ وَسَأَلَ، قَالَ: فَمَا صَلَّى الرَّكْعَتَيْنِ حَتَّى جَاءَهُ بِلاَلٌ فَآذَنَهُ[1] بِالصَّلاَةِ. أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ، وَعِنْدَهُ أَيْضاً: أَنَّهُ ﷺ مَا صَلَّى إِلاَّ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ حَتَّى جَاءَهُ بِلاَلٌ يَدْعُوهُ إِلَى الْغَدَاةِ[2].

---

(١) أعلمه.

(٢) إلىٰ صلاة الفجر.

الباب الرابع

فِي صَلاَتِهِ ﷺ الوِتْرَ

قَدْ صَحَّ عَنْهُ ﷺ أَنَّهُ أَوْتَرَ بِخَمْسٍ وَلَمْ يَجْلِسْ إِلاَّ فِي آخِرِهِنَّ.

وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُوتِرُ بِثَلاَثٍ لاَ يَقْعُدُ إِلاَّ فِي آخِرِهِنَّ.

وَرَوَى الطَّحَاوِيُّ: مِنْ طَرِيقِ سَالِمِ بْنِ عَبْدِاللّهِ بْنِ عُمَرَ عَنْ أَبِيهِ: أَنَّهُ كَانَ يَفْصِلُ بَيْنَ شَفْعِهِ وَوَتْرِهِ بِتَسْلِيمَةٍ، وَأَخْبَرَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَفْعَلُهُ. وَإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ.

وَفِي مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: أَنَّهُ ﷺ كَانَ إِذَا نَامَ مِنَ اللَّيْلِ مِنْ وَجَعٍ أَوْ غَيْرِهِ فَلَمْ يَقُمْ مِنَ اللَّيْلِ صَلَّى مِنَ النَّهَارِ ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً. أَيْ: لَمْ يَقْضِ الْوِتْرَ، إِذْ لَوْ قَضَاهُ لَصَلَّى ثَلاَثَ عَشْرَةَ.

وَقَالَتْ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: أَوْتَرَ ﷺ مِنْ كُلِّ اللَّيْلِ؛ مِنْ أَوَّلِهِ وَأَوْسَطِهِ وَآخِرِهِ، وَانْتَهَى وِتْرُهُ إِلَى السَّحَرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[1]. وَالْمُرَادُ بِأَوَّلِهِ: بَعْدَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ اخْتِلاَفُ وَقْتِ الْوِتْرِ بِاخْتِلاَفِ الأَحْوَالِ، فَحَيْثُ أَوْتَرَ أَوَّلَهُ لَعَلَّهُ كَانَ وَجِعاً، وَحَيْثُ أَوْتَرَ وَسَطَهُ لَعَلَّهُ كَانَ

(١) كأصحاب السنن.

مُسَافِراً، وَأَمَّا وِتْرُهُ فِي آخِرِهِ فَكَانَ غَالِبَ أَحْوَالِهِ، لِمَا عُرِفَ مِنْ مُوَاظَبَتِهِ ﷺ عَلَى الصَّلاَةِ آخِرَ اللَّيْلِ. (وَالسَّحَرُ: قُبَيْلَ الصُّبْحِ).

وَرَوَى أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ مُعَاذٍ، قَالَ ﷺ: «**زَادَنِي رَبِّي صَلاَةً وَهِيَ الْوِتْرُ، وَقْتُهَا مِنَ الْعِشَاءِ**[1] **إِلَى طُلُوعِ الْفَجْرِ**».

وَعَنْ عَلِيٍّ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُوتِرُ بِثَلاَثٍ، يَقْرَأُ فِيهِنَّ بِتِسْعِ سُوَرٍ مِنَ الْمُفَصَّلِ[2]، يَقْرَأُ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِثَلاَثِ سُوَرٍ، آخِرُهُنَّ ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الأُولَى بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ وَفِي الثَّانِيَةِ بِـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ وَفِي الثَّالِثَةِ بِـ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ وَالْمُعَوِّذَتَيْنِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَلأَبِي دَاوُدَ: كَانَ إِذَا سَلَّمَ قَالَ: «**سُبْحَانَ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ**» وَعِنْدَ النَّسَائِيِّ: ثَلاَثاً، يَرْفَعُ صَوْتَهُ بِالثَّالِثَةِ.

وَعَنْ عَلِيٍّ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقُولُ فِي آخِرِ وِتْرِهِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لاَ أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[3].

وَقَدْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقْرَأُ فِي سُنَّةِ الْفَجْرِ وَفِي الْوِتْرِ بِسُورَتَي الإِخْلاَصِ، وَهُمَا: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ و﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾.

---

(١) أي: من صلاتها.

(٢) أي: من قصاره.

(٣) كالترمذي والنسائي.

الباب الخامس

فِي ذِكْرِ صَلاَتِهِ ﷺ الضُّحَى

رَوَى عَبْدُاللّهِ بْنُ أَبِي أَوْفَى أَنَّهُ ﷺ صَلَّى الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ[١].

وَرَوَتْ عَائِشَةُ أَنَّهُ كَانَ يُصَلِّيهَا أَرْبعاً، وَيَزِيدُ مَا شَاءَ اللّهُ[٢].

وَرَوَى جَابِرٌ وَمُطْعِمُ بْنُ عَدِيٍّ أَنَّهُ ﷺ صَلاَّهَا سِتَّ رَكَعَاتٍ[٣].

وَرَوَتْ أُمُّ هَانِيءٍ وَأَنَسٌ أَنَّهُ صَلاَّهَا ثَمَانِيَ رَكَعَاتٍ[٤].

وَرَوَتْ أُمُّ سَلَمَةَ أَنَّهُ ﷺ كَانَ يُصَلِّيهَا ثِنْتَيْ عَشْرَةَ رَكْعَةً[٥].

---

(١) رواه الحاكم.

(٢) رواه مسلم.

(٣) رواه الحاكم.

(٤) رواه الشيخان.

(٥) رواه الحاكم.

القِسْمُ الثَّانِي

فِي صَلاَتِهِ ﷺ النَّوَافِلَ وَأَحْكَامِهَا، وَفِيهِ بَابَانِ

الباب الأول

فِي النَّوَافِلِ الْمَقْرُونَةِ بِالأَوْقَاتِ، وَفِيهِ فَصْلاَنِ

الفصل الأول
فِي رَوَاتِبِ الصَّلَوَاتِ الْخَمْسِ وَالْجُمُعَةِ، وَفِيهِ سَبْعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الأَوَّل: فِي أَحَادِيثَ جَامِعَةٍ لِرَوَاتِبَ مُشْتَرَكَةٍ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُصَلِّي قَبْلَ الظُّهْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، وَبَعْدَ صَلاَةِ الْعِشَاءِ رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ لاَ يُصَلِّي بَعْدَ الْجُمُعَةِ حَتَّى يَنْصَرِفَ، فَيُصَلِّي فِي بَيْتِهِ رَكْعَتَيْنِ. قَالَ: وَأَخْبَرَتْنِي

حَفْصَةُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ مِنَ الأَذَانِ لِصَلاَةِ الصُّبْحِ وَبَدَا لَهُ الصُّبْحُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ خَفِيفَتَيْنِ قَبْلَ أَنْ تُقَامَ الصَّلاَةُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُصَلِّي فِي بَيْتِهِ قَبْلَ الظُّهْرِ أَرْبَعاً، ثُمَّ يَخْرُجُ فَيُصَلِّي بِالنَّاسِ الظُّهْرَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ، وَكَانَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْمَغْرِبَ، ثُمَّ يَدْخُلُ فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. ثُمَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، وَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. الْحَدِيثِ وَفِي آخِرِهِ: وَكَانَ إِذَا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ:

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمْ يَكُنْ ﷺ عَلَى شَيْءٍ مِنَ النَّوَافِلِ أَشَدَّ تَعَاهُداً مِنْهُ عَلَى رَكْعَتَيْ الْفَجْرِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا(١). وَلِمُسْلِمٍ: «**لَهُمَا أَحَبُّ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا جَمِيعاً**»، وَكَانَ يُصَلِّيهِمَا إِذَا سَكَتَ الْمُؤَذِّنُ بَعْدَ أَنْ يَسْتَنِيرَ الْفَجْرَ، وَيُخَفِّفُهُمَا. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، وَهٰذَا لَفْظُ النَّسَائِيِّ.

وَكَانَ ﷺ كَثِيراً مَا يَقْرَأُ فِي الأُولَى مِنْهُمَا: ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا**﴾(٢) الآيَةَ، وَفِي الآخِرَةِ مِنْهُمَا: ﴿**قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ**﴾(٣)، إِلَى قَوْلِهِ: ﴿**ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ**﴾(٤) رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ(٥) عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

---

(١) أبو داود والترمذي.

(٢) ﴿وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِيَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمۡ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّنۡهُمۡ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٦].

(٣) ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ . . .﴾.

(٤) سورة آل عمران، الآية: ٦٤.

(٥) أبو داود والنسائي.

وَقَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: قَرَأَ ﷺ فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ[1] عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**نِعْمَ السُّورَتَانِ يُقْرَأُ بِهِمَا فِي رَكْعَتَي الْفَجْرِ: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾**».

وَكَانَ ﷺ إِذَا صَلَّى رَكْعَتَي الْفَجْرِ اضْطَجَعَ عَلَى شِقِّهِ الأَيْمَنِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: فِي رَاتِبَةِ الظُّهْرِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ بَعْدَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَرَوَى[2] عَنْ عَائِشَةَ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لاَ يَدَعْ أَرْبَعاً قَبْلَ الظُّهْرِ، وَرَكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاَةِ الْغَدَاةِ[3]. قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ الطَّبَرِيُّ: الأَرْبَعُ كَانَتْ فِي كَثِيرٍ مِنْ أَحْوَالِهِ، وَالرَّكْعَتَانِ فِي قَلِيلِهَا.

وَرَوَى الْبَزَّارُ مِنْ حَدِيثِ ثَوْبَانَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَسْتَحِبُّ أَنْ يُصَلِّي بَعْدَ نِصْفِ النَّهَارِ، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَاكَ تَسْتَحِبُّ الصَّلاَةَ هٰذِهِ السَّاعَةَ. قَالَ: «**تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَيَنْظُرُ اللّهُ تَعَالَى إِلَى خَلْقِهِ بِالرَّحْمَةِ، وَهِيَ صَلاَةٌ كَانَ يُحَافِظُ عَلَيْهَا آدَمُ وَنُوحٌ وَإِبْرَاهِيمُ وَمُوسَى وَعِيسَى**».

وَعَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ السَّائِبِ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي أَرْبَعاً بَعْدَ أَنْ تَزُولَ الشَّمْسُ

---

(١) بإسناد قوي.
(٢) أي: البخاري.
(٣) أي: الفجر.

قَبلَ الظُّهرِ، وَقَالَ: «**إِنَّهَا سَاعَةٌ تُفْتَحُ فِيهَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُحِبُّ أَنْ يَصْعَدَ لِي فِيهَا عَمَلٌ صَالِحٌ**».

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: فِي سُنَّةِ الْعَصْرِ:

عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[(١)].

وَعَنْهُ كَرَّمَ اللهِ وَجْهَهُ: كَانَ ﷺ يُصَلِّي قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، يَفْصِلُ بَيْنَهُنَّ بِالتَّسْلِيمِ عَلَى الْمَلائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ وَمَنْ تَبِعَهُمْ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُؤْمِنِينَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[(٢)]، وَرَوَى أَيْضاً[(٣)] أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**رَحِمَ اللَّهُ امْرءاً صَلَّى قَبْلَ الْعَصْرِ أَرْبَعاً**».

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ: مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَنَّهُ كَانَ ﷺ يُصَلِّي بَعْدَ الْعَصْرِ رَكْعَتَيْنِ، وَيَنْهَى عَنْهُمَا[(٤)].

الْفَرْعُ الْخَامِسُ: فِي رَاتِبَةِ الْمَغْرِبِ:

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: مَا أُحْصِي مَا سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ وَفِي الرَّكْعَتَيْنِ قَبْلَ صَلاةِ الْفَجْرِ بـ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ ۝١﴾ و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ يُطِيلُ الْقِرَاءَةَ فِي الرَّكْعَتَيْنِ بَعْدَ الْمَغْرِبِ حَتَّى يَتَفَرَّقَ أَهْلُ الْمَسْجِدِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

---

(١) بإسناد صحيح.

(٢) والنسائي.

(٣) أي: الترمذي وحسّنه، وأحمد وأبو داود، وصححه ابن حبان.

(٤) تمام الحديث: «ويواصل وينهىٰ عن الوصال».

وَأَمَّا الرَّكْعَتَانِ قَبْلَ الْمَغْرِبِ فَلَمْ يُصَلِّهِمَا، وَصَلاَّهُمَا أَصْحَابُهُ، فَأَقَرَّهُمْ عَلَيْهِمَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ[1].

الْفَرْعُ السَّادِسُ: فِي رَاتِبَةِ الْعِشَاءِ:

قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَا صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْعِشَاءَ قَطُّ فَدَخَلَ بَيْتِي إِلاَّ صَلَّى أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ، أَوْ سِتَّ رَكَعَاتٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَفِي مُسْلِمٍ: قَالَتْ عَائِشَةُ: ثُمَّ يُصَلِّي بِالنَّاسِ الْعِشَاءَ، فَيَدْخُلُ بَيْتِي فَيُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ. وَكَذَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ.

الْفَرْعُ السَّابِعُ: فِي رَاتِبَةِ الْجُمُعَةِ:

كَانَ ابْنُ عُمَرَ يُطِيلُ الصَّلاَةَ قَبْلَ الْجُمُعَةِ، وَيُصَلِّي بَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ فِي بَيْتِهِ، وَيُحَدِّثُ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَفْعَلُ ذٰلِكَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ.

وَدَخَلَ سُلَيْكٌ الْغَطَفَانِيُّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَهُوَ ﷺ يَخْطُبُ، فَقَالَ لَهُ: «**صَلَّيْتَ؟**» قَالَ: لاَ، قَالَ: «**قُمْ فَارْكَعْ رَكْعَتَيْنِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

---

(١) ولفظه: «رآنا ﷺ فلم يأمرنا ولم ينهنا».

الفصل الثاني

فِي صَلاَتِهِ ﷺ الْعِيدَيْنِ، وَفِيهِ سَبْعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي عَدَدِ الرَّكَعَاتِ:

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ خَرَجَ يَوْمَ عِيدٍ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ لَمْ يُصَلِّ قَبْلَهُمَا وَلاَ بَعْدَهُمَا، ثُمَّ أَتَى إِلَى النِّسَاءِ - وَبِلاَلٌ مَعَهُ - فَأَمَرَهُنَّ بِالصَّدَقَةِ، فَجَعَلَتِ الْمَرْأَةُ تَتَصَدَّقُ بِخُرْصِهَا وَسِخَابِهَا. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. (وَالْخُرْصُ: حَلْقَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ(١). وَالسِّخَابُ: قِلاَدَةٌ مِنْ عَنْبَرٍ أَوْ قَرَنْفُلٍ أَوْ غَيْرِهِ، وَلاَ يَكُونُ فِيهِ خَرَزٌ).

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي عَدَدِ التَّكْبِيرِ:

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يُكَبِّرُ فِي الْفِطْرِ وَالأَضْحَى فِي الأُولَى: سَبْعَ تَكْبِيرَاتٍ، وَفِي الثَّانِيَةِ: خَمْسَ تَكْبِيرَاتٍ، سِوَى تَكْبِيرَتَي الإِحْرَامِ وَالرُّكُوعِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: فِي الوَقْتِ وَالْمَكَانِ:

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ

---

(١) تُعلَّق في شحمة الأذن.

وَالأَضْحَى إِلَى الْمُصَلَّى، فَأَوَّلُ شَيْءٍ يَبْدَأُ بِهِ الصَّلاَةُ. الْحَدِيثَ رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: فِي الأَذَانِ وَالإِقَامَةِ:

عَنْ جَابِرِ بْنِ سَمُرَةَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعِيدَيْنِ غَيْرَ مَرَّةٍ وَلاَ مَرَّتَيْنِ بِغَيْرِ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الْخَامِسُ: فِي الْقِرَاءَةِ:

عَنْ أَبِي وَاقِدٍ اللَّيْثِيِّ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَقْرَأُ فِي الأَضْحَى وَالْفِطْرِ بِـ﴿قٓ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ۝١﴾ فِي الأُولَى، وَ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ فِي الثَّانِيَةِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ[1].

وَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِيدَيْنِ وَالْجُمُعَةِ بِـ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ۝١﴾ و﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ۝١﴾، وَرُبَّمَا اجْتَمَعَا فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ، فَقَرَأَ بِهِمَا. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ السَّادِسُ: فِي الْخُطْبَةِ:

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَأَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ يُصَلُّونَ الْعِيدَيْنِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا[2].

وَعَنْ جَابِرٍ قَالَ: شَهِدْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ الْعِيدَ، فَبَدَأَ بِالصَّلاَةِ قَبْلَ الْخُطْبَةِ بِلاَ أَذَانٍ وَلاَ إِقَامَةٍ، ثُمَّ قَامَ مُتَوَكِّئاً عَلَى بِلاَلٍ، فَأَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ،

---

(١) أبو داود والترمذي.

(٢) كالترمذي والنسائي.

وَحثَّ عَلَى طَاعَتِهِ، وَوَعَظَ النَّاسَ وَذَكَّرَهُمْ، ثُمَّ مَضَى حَتَّى أَتَى النِّسَاءَ، فَوَعَظَهُنَّ وَذَكَّرَهُنَّ، فَقَالَ: «**تَصَدَّقْنَ، فَإِنَّ أَكْثَرَكُنَّ حَطَبُ جَهَنَّمَ**»، فَقَامَتِ امْرَأَةٌ مِنْ وَسْطِ[1] النِّسَاءِ سَفْعَاءُ الخَدَّيْنِ فَقَالَتْ: لِمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**لأَنَّكُنَّ تُكْثِرْنَ الشَّكَاةَ، وَتَكْفُرْنَ الْعَشِيرَ**»، قَالَ: فَجَعَلْنَ يَتَصَدَّقْنَ مِنْ حُلِيِّهِنَّ، وَيُلْقِينَ فِي ثَوْبِ بِلاَلٍ مِنْ أَقْرَاطِهِنَّ وَخَوَاتِمِهِنَّ[2]. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ، وَلابْنِ خُزَيْمَةَ: خَطَبَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَوْمَ عِيدٍ عَلَى رِجْلَيْهِ. وَهٰذَا يُشْعِرُ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ فِي الْمُصَلَّى فِي زَمَنِهِ ﷺ مِنْبَرٌ. (وَسَفْعَاءُ: أَيْ فِي خَدَّيْهَا سَوَادٌ. وَالْكُفْرُ هُنَا: سَتْرُ الْحَقِّ. وَالْعَشِيرُ: الزَّوْجُ. وَالأَقْرَاطُ: جَمْعُ قُرْطٍ، مَا يُعَلَّقُ فِي شَحْمَةِ الأُذُنِ).

الْفَرْعُ السَّابِعُ: فِي أَكْلِهِ ﷺ يَوْمَ الْفِطْرِ قَبْلَ خُرُوجِهِ إِلَى الصَّلاَةِ:

عَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يَغْدُو يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَأْكُلَ تَمَرَاتٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَعَنْهُ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَأْكُلُهُنَّ وِتْراً. رَوَاهُ الْحَاكِمُ.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يَخْرُجُ يَوْمَ الْفِطْرِ حَتَّى يَطْعَمَ، وَلاَ يَطْعَمُ يَوْمَ الأَضْحَى حَتَّى يُصَلِّيَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ[3].

وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الأُمِّ: بَلَغَنَا عَنِ الزُّهْرِيِّ قَالَ: مَا رَكِبَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي عِيدٍ وَلاَ جَنَازَةٍ قَطُّ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مِنَ السُّنَّةِ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الْعِيدِ مَاشِياً.

---

(١) كل موضع يصلح فيه (بَيْنَ) فهو وسْط، وإن لم يصلح فيه (بَيْنَ) فهو وسَط.

(٢) في البخاري: وخواتيمهن، وهو الصواب.

(٣) كالحاكم والبزار والطبراني والدارقطني.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا خَرَجَ يَوْمَ الْعِيدِ فِي طَرِيقٍ رَجَعَ فِي غَيْرِهِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُخْرِجُ الْعَنَزَةَ يَوْمَ الْفِطْرِ وَالأَضْحَى، يَرْكُزُهَا فَيُصَلِّي إِلَيْهَا. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَغَيْرُهُ. (وَالْعَنَزَةُ: الْعَصَا الصَّغِيرَةُ).

وَقَدْ ضَحَّى ﷺ بِكَبْشَيْنِ أَمْلَحَيْنِ أَقْرَنَيْنِ، ذَبَحَهُمَا بِيَدِهِ، وَسَمَّى وَكَبَّرَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَس قَالَ: وَرَأَيْتُهُ وَاضِعاً قَدَمَهُ عَلَى صِفَاحِهِمَا(١) يَقُولُ: «**بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ**». (وَالأَمْلَحُ: هُوَ الَّذِي يُخَالِطُ سَوَادَهُ بَيَاضٌ، وَالْبَيَاضُ أَكْثَرُ. وَقَالَ الأَصْمَعِيُّ: الأَغْبَرُ. وَقَالَ ابْنُ الأَعْرَابِيِّ: الأَبْيَضُ الْخَالِصُ).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهُ ﷺ أَمَرَ بِكَبْشٍ يَطَأُ فِي سَوَادٍ، وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ، فَأُتِيَ بِهِ لِيُضَحِّيَ بِهِ، قَالَ: «**يَا عَائِشَةُ هَلُمِّي الْمُدْيَةَ**»(٢)، ثُمَّ قَالَ: «**اشْحَذِيهَا بِحَجَرٍ**»، فَفَعَلَتْ، ثُمَّ أَخَذَهَا وَأَخَذَ الْكَبْشَ فَأَضْجَعَهُ، ثُمَّ ذَبَحَهُ، قَالَ: «**بِسْمِ اللَّهِ، اللَّهُمَّ تَقَبَّلْ مِنْ مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَمِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ**»، ثُمَّ ضَحَّى بِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَمَعْنَى «يَطَأُ فِي سَوَادٍ وَيَبْرُكُ فِي سَوَادٍ»: أَنَّ قَوَائِمَهُ سُودٌ، وَمَا يُلاَقِي مَحَلَّ بُرُوكِهِ مِنْ بَدَنِهِ أَسْوَدُ، وَفِي رِوَايَةٍ: وَيَنْظُرُ فِي سَوَادٍ، أَيْ مَحَاجِرُهُ سُودٌ، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هٰذَا هُوَ الْمُرَادُ بِالأَمْلَحِ.

وَعَنْ جَابِرٍ: ذَبَحَ النَّبِيُّ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ كَبْشَيْنِ أَقْرَنَيْنِ(٣) أَمْلَحَيْنِ مَوْجُوءَيْنِ، فَلَمَّا وَجَّهَهُمَا قَالَ: «**إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمٰوَاتِ**

(١) جانب كل منهما.
(٢) أي: أعطني السكّين.
(٣) لهما قرون.

وَالأَرْضَ، عَلَى مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً[1] وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ، إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي[2] وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَبِذٰلِكَ أُمِرْتُ، وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ، اللَّهُمَّ مِنْكَ وَلَكَ، عَنْ مُحَمَّدٍ وَأُمَّتِهِ، بِسْمِ اللّهِ، وَاللّهُ أَكْبَرُ»، ثُمَّ ذَبَحَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[3]. وَفِي رِوَايَةٍ لأَحْمَدَ وَالتِّرْمِذِيِّ: ذَبَحَ بِيَدِهِ وَقَالَ: «بِسْمِ اللّهِ، وَاللّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ هٰذَا عَنِّي وَعَمَّنْ لَمْ يُضَحِّ مِنْ أُمَّتِي». (وَمَوْجُوءَيْنِ: مَخْصِيَّيْنِ).

(١) مستقيماً.

(٢) ذبحي.

(٣) كابن ماجه والدارمي.

البَابُ الثَّانِي

فِي النَّوَافِلِ الْمَقْرُونَةِ بِالأَسْبَابِ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول
فِي صَلاَتِهِ ﷺ الْكُسُوفَ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: انْخَسَفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلاً نَحْواً مِنْ قِرَاءَةِ سُورَةِ الْبَقَرَةِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ قَامَ قِيَاماً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ فَقَامَ قِيَاماً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الْقِيَامِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَكَعَ رُكُوعاً طَوِيلاً وَهُوَ دُونَ الرُّكُوعِ الأَوَّلِ، ثُمَّ رَفَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، ثُمَّ انْصَرَفَ، وَقَدِ انْجَلَتِ الشَّمْسُ، فَقَالَ: «**إِنَّ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ آيَتَانِ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ، لاَ يَخْسِفَانِ لِمَوْتِ أَحَدٍ، وَلاَ لِحَيَاتِهِ، فَإِذَا رَأَيْتُمْ ذٰلِكَ فَاذْكُرُوا اللَّهَ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي حَدِيثِ أَسْمَاءَ بِنْتِ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ وَمَالِكٍ وَالنَّسَائِيِّ قَالَ: «**مَا مِنْ شَيْءٍ كُنتُ لَمْ أَرَهُ إِلاَّ رَأَيْتُهُ فِي مَقَامِي هٰذَا، حَتَّى**

الْجَنَّةَ وَالنَّارَ، وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّكُمْ تُفْتَنُونَ فِي قُبُورِكُمْ، مِثْلَ أَوْ قَرِيباً - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذٰلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - **مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، يُؤْتَى أَحَدُكُمْ فِي قَبْرِهِ فَيُقَالُ لَهُ: مَا عِلْمُكَ بِهٰذَا الرَّجُلِ؟ فَأَمَّا الْمُؤْمِنُ أَوْ الْمُوقِنُ** - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذٰلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - **فَيَقُولُ: هُوَ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللّهِ، جَاءَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى، فَأَجَبْنَا وَاتَّبَعْنَا، هُوَ مُحَمَّدٌ** - ثَلاَثاً - **فَيُقَالُ: نَمْ صَالِحاً، قَدْ عَلِمْنَا أَنْ كُنْتَ لَمُوقِناً. وَأَمَّا الْمُنَافِقُ أَوِ الْمُرْتَابُ** - لاَ أَدْرِي أَيَّ ذٰلِكَ قَالَتْ أَسْمَاءُ - **فَيَقُولُ: لاَ أَدْرِي، سَمِعْتُ النَّاسَ يَقُولُونَ شَيْئاً فَقُلْتُهُ**».

وَعِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ: أَنَّهُ لَمَّا سَلَّمَ مِنْ صَلاَةِ الْكُسُوفِ حَمِدَ اللّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَشَهِدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، وَشَهِدَ أَنَّهُ عَبْدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! أُنْشِدُكُمْ بِاللّهِ، إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنِّي قَصَّرْتُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ تَبْلِيغِ رِسَالاَتِ رَبِّي لَمَا أَخْبَرْتُمُونِي ذٰلِكَ**»، فَقَامَ رَجُلٌ فَقَالَ: «**نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ رِسَالاَتِ رَبِّكَ، وَنَصَحْتَ لأُمَّتِكَ، وَقَضَيْتَ الَّذِي عَلَيْكَ**»، ثُمَّ قَالَ: «**وَايْمُ اللّهِ**(١) **لَقَدْ رَأَيْتُ مُنْذُ قُمْتُ أُصَلِّي مَا أَنْتُمْ لاَقُوهُ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ وَآخِرَتِكُمْ، وَإِنَّهُ وَاللّهِ لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَخْرُجَ ثَلاَثُونَ كَذَّاباً، آخِرُهُمُ الأَعْوَرُ الدَّجَّالُ، مَنْ تَبِعَهُ لَمْ يَنْفَعْهُ صَالِحٌ مِنْ عَمَلِهِ**».

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: لَمَّا كُسِفَتِ الشَّمْسُ عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ بَعَثَ مُنَادِياً فَنَادَى: الصَّلاَةُ جَامِعَةٌ(٢).

وَرَوَى ابْنُ حِبَّانَ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى فِي كُسُوفِ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ رَكْعَتَيْنِ مِثْلَ صَلاَتِكُمْ.

---

(١) كلمة قَسَم، همزتها همزة وصل.

(٢) رواه الشيخان.

الفصل الثاني

فِي صَلاَتِهِ ﷺ صَلاةَ الاسْتِسْقَاءِ، كَانَ اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ أَنْوَاعاً

النَّوْعُ الأَوَّلُ
الاسْتِسْقَاءُ بِصَلاَةِ رَكْعَتَيْنِ وَخُطْبَتَيْنِ

وَيَتَأَهَّبُ قَبْلَهُ بِصَدَقَةٍ وَصِيَامٍ وَتَوْبَةٍ، وَإِقْبَالٍ عَلَى الْخَيْرِ، وَمُجَانَبَةِ الشَّرِّ، وَنَحْوِ ذَٰلِكَ مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ تَعَالَى.

رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَابْنُ حِبَّانَ: عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: شَكَا النَّاسُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَحْطَ الْمَطَرِ، فَأَمَرَ بِمِنْبَرٍ فَوُضِعَ لَهُ فِي الْمُصَلَّى، وَوَعَدَ النَّاسَ يَوْماً يَخْرُجُونَ فِيهِ، فَخَرَجَ حِينَ بَدَا حَاجِبُ الشَّمْسِ، فَقَعَدَ عَلَى الْمِنْبَرِ، فَكَبَّرَ وَحَمِدَ اللَّهَ، ثُمَّ قَالَ: «**إِنَّكُمْ شَكَوْتُمْ جَدْبَ دِيَارِكُمْ، وَاسْتِئْخَارَ الْمَطَرِ عَنْ إِبَّانِ زَمَانِهِ عَنْكُمْ، وَقَدْ أَمَرَكُمُ اللَّهُ أَنْ تَدْعُوهُ، وَوَعَدَكُمْ أَنْ يَسْتَجِيبَ لَكُمْ**»، ثُمَّ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ، مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ، الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ، يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ اللَّهُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ الْغَنِيُّ، وَنَحْنُ الْفُقَرَاءُ إِلَيْكَ، اللَّهُمَّ أَنْزِلْ عَلَيْنَا الْغَيْثَ، وَاجْعَلْ مَا أَنْزَلْتَ لَنَا قُوَّةً وَبَلاَغاً إِلَى حِينٍ**»، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى بَدَا بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ حَوَّلَ إِلَى

النَّاسِ ظَهرَهُ، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَحَوَّلَ رِدَاءَهُ، وَهُوَ رَافِعٌ يَدَيْهِ، ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَى النَّاسِ، وَنَزَلَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، فَأَنْشَأَ اللَّهُ سَحَاباً، فَرَعَدَتْ وَبَرَقَتْ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ بِإِذْنِ اللَّهِ، فَلَمْ يَأْتِ مَسْجِدَهُ حَتَّى سَالَتِ السُّيُولُ، فَلَمَّا رَأَى ذٰلِكَ وَسُرْعَتَهُمْ إِلَى الْكِنِّ[1] ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَقَالَ: «**أَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، وَأَنِّي عَبْدُ اللَّهِ وَرَسُولُهُ**». (وَالنَّوَاجِذُ: الأَنْيَابُ).

وَلِلشَّيْخَيْنِ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ زَيْدٍ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى بِهِمْ رَكْعَتَيْنِ، جَهَرَ فِيهِمَا بِالْقِرَاءَةِ.

وَأَفَادَ ابْنُ حِبَّانَ: أَنَّ خُرُوجَهُ ﷺ إِلَى الْمُصَلَّى لِلاسْتِسْقَاءِ كَانَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ سَنَةَ سِتٍّ مِنَ الْهِجْرَةِ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ عَنْ عَبَّادٍ: اسْتَسْقَى ﷺ وَعَلَيْهِ خَمِيصَةٌ سَوْدَاءُ، فَأَرَادَ أَنْ يَأْخُذَ بِأَسْفَلِهَا فَيَجْعَلَهُ أَعْلاَهَا، فَلَمَّا ثَقُلَتْ عَلَيْهِ قَلَبَهَا عَلَى عَاتِقِهِ. (وَالْخَمِيصَةُ: كِسَاءٌ[2] مِنْ صُوفٍ).

النوع الثاني
اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ

وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي هٰذَا الْمَعْنَى حَدِيثُ أَنَسٍ الصَّحِيحُ فِي الْفَصْلِ الأَوَّلِ مِنَ الْمَقْصِدِ الرَّابِعِ عِنْدَ الْكَلاَمِ عَلَى مُعْجِزَاتِهِ ﷺ.

---

(١) وهو ما وقى الحرّ والبرد من المساكن.

(٢) لباس.

النوع الثالث
اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ عَلَى مِنْبَرِ الْمَدِينَةِ

رَوَى الْبَيْهَقِيُّ فِي الدَّلَائِلِ[1] مِنْ طَرِيقِ يَزِيدَ بْنِ عُبَيْدِ السُّلَمِيِّ قَالَ: لَمَّا قَفَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مِنْ غَزْوَةِ تَبُوكَ أَتَاهُ وَفْدٌ مِنْ بَنِي فَزَارَةَ بِضْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، وَفِيهِمْ خَارِجَةُ بْنُ حِصْنٍ، وَالْحُرُّ بْنُ قَيْسٍ ـ وَهُوَ أَصْغَرُهُمْ ـ فَنَزَلُوا فِي دَارِ رَمْلَةَ بِنْتِ الْحَارِثِ مِنَ الأَنْصَارِ، وَقَدِمُوا عَلَى إِبِلٍ عِجَافٍ[2]، وَهُمْ مُسْنِتُونَ[3]، فَأَتَوْا مُقِرِّينَ بِالإِسْلاَمِ، فَسَأَلَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنْ بِلاَدِهِمْ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَسْنَتَتْ بِلاَدُنَا، وَأَجْدَبَ جَنَابُنَا[4]، وَغَرِثَ عِيَالُنَا[5]، وَهَلَكَتْ مَوَاشِينَا، فَادْعُ رَبَّكَ أَنْ يُغِيثَنَا، وَتَشَفَّعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، وَيَشْفَعُ رَبُّكَ إِلَيْكَ، فَقَالَ ﷺ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ، وَيْلَكَ أَنَا شَفَعْتُ إِلَى رَبِّي، فَمَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ رَبُّنَا إِلَيْهِ؟ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ، وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، وَهُوَ يَئِطُّ مِنْ عَظَمَتِهِ وَجَلاَلِهِ، كَمَا يَئِطُّ الرَّحْلُ الْجَدِيدُ**»[6]، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنَّ اللَّهَ لَيَضْحَكُ مِنْ شَفَقِكُمْ**[7]، **وَقُرْبِ غِيَاثِكُمْ**»، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: أَوَيَضْحَكُ رَبُّنَا يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: «**نَعَمْ**»، فَقَالَ الأَعْرَابِيُّ: لَنْ نَعْدَمَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ رَبٍّ يَضْحَكُ خَيْراً، فَضَحِكَ ﷺ مِنْ قَوْلِهِ، فَقَامَ ﷺ فَصَعِدَ الْمِنْبَرَ، وَتَكَلَّمَ بِكَلِمَاتٍ، وَرَفَعَ يَدَيْهِ، وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّعَاءِ إِلاَّ فِي الاسْتِسْقَاءِ، فَرَفَعَ يَدَهُ حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ

---

(١) ٦/٣١٥.

(٢) هزيلة.

(٣) أصابتهم سَنَة مجدِبة.

(٤) ناحيتنا.

(٥) جاعوا.

(٦) الرَّحْل: ما يوضع علىٰ ظهر البعير للركوب.

(٧) خوفكم. وفي الدلائل: شعَثكم وأذاكم. والشعَث: اتساخ الشعر والبدن.

إِبْطَيْهِ، وَكَانَ مِمَّا حُفِظَ مِنْ دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اسْقِ بَلَدَكَ وَبَهِيمَتَكَ، وَانْشُرْ رَحْمَتَكَ، وَأَحْيِ بَلَدَكَ الْمَيِّتَ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيئاً مَرِيعاً طَبَقاً وَاسِعاً، عَاجِلاً غَيْرَ آجِلٍ، نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ، اللَّهُمَّ سُقْيَا رَحْمَةٍ لاَ سُقْيَا عَذَابٍ وَلاَ هَدْمٍ وَلاَ غَرَقٍ وَلاَ مَحْقٍ، اللَّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ، وَانْصُرْنَا عَلَى الأَعْدَاءِ**»، فَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ بْنُ عَبْدِالْمُنْذِرِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنَّ التمْرَ فِي الْمَرَابِدِ، فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا**»، فَقَالَ أَبُو لُبَابَةَ: إِنَّ التَّمْرَ فِي الْمَرَابِدِ ـ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ ـ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا حَتَّى يَقُومَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَاناً يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ**»، قَالَ: فَوَاللَّهِ مَا فِي السَّمَاءِ مِنْ قَزَعَةٍ[1] وَلاَ سَحَابٍ، وَمَا بَيْنَ الْمَسْجِدِ وَسَلْعٍ[2] مِنْ بِنَاءٍ وَلاَ دَارٍ، فَطَلَعَتْ مِنْ وَرَاءِ سَلْعٍ سَحَابَةٌ مِثْلُ التُّرْسِ، فَلَمَّا تَوَسَّطَت السَّمَاءَ انْتَشَرَتْ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، ثُمَّ أَمْطَرَتْ، فَوَاللَّهِ مَا رَأَوا الشَّمْسَ سَبْتاً ـ أَيْ: أُسْبُوعاً ـ، وَقَامَ أَبُو لُبَابَةَ عُرْيَاناً يَسُدُّ ثَعْلَبَ مِرْبَدِهِ بِإِزَارِهِ، لِئَلاَّ يَخْرُجَ التَّمْرُ مِنْهُ، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! يَعْنِي الَّذِي سَأَلَهُ أَنْ يَسْتَسْقِيَ لَهُمْ: هَلَكَتِ الأَمْوَالُ، وَانْقَطَعَتِ السُّبُلُ[3]، فَصَعِدَ ﷺ الْمِنْبَرَ، فَدَعَا وَرَفَعَ يَدَيْهِ مَدًّا حَتَّى رُؤِيَ بَيَاضُ إِبْطَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا، اللَّهُمَّ عَلَى الإِكَامِ وَالظِّرَابِ وَبُطُونِ الأَوْدِيَةِ وَمَنَابِتِ الشَّجَرِ**»، فَانْجَابَتِ[4] السَّحَابَةُ عَنِ الْمَدِينَةِ كَانْجِيَابِ الثَّوْبِ.

وَقَوْلُهُ: «مَرِيئاً» أَي مَحْمُودَ الْعَاقِبَةِ لاَ ضَرَرَ فِيه، و«مَرِيعاً» مُخْصِباً.

وَالأَطِيطُ: صَوْتُ الأَقْتَابِ[5]، يَعْنِي: أَنَّ الْكُرْسِيَّ لَيَعْجَزُ عَنْ عَظَمَتِهِ

(١) قطعة سحاب.
(٢) اسم جبل.
(٣) الطُرُق.
(٤) انزاحت.
(٥) جمع قَتَب، وهو الرَّحْل الصغير على قدر سنام البعير.

سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، إِذْ كَانَ مَعْلوماً أَنَّ أَطِيطَ الرَّحْلِ إِنَّمَا يَكُونُ لِقُوَّةِ مَا فَوْقَهُ وَعَجْزِهِ عَنِ احْتِمَالِهِ، وَهٰذَا مَثَلٌ لِعَظَمَتِهِ تَعَالَى وَجَلالِهِ، وَلَمْ يَكُنْ جُلُوسٌ وَلاَ أَطِيطٌ، وَإِنَّمَا هُوَ كَلاَمٌ لِبَيَانِ عَظَمَةِ اللّهِ تَعَالَى.

«وَطَبَقاً» أَيْ: مَالِئاً لِلأَرْضِ مُغَطِّياً لَهَا.

وَالْمِرْبَدُ: مَوْضِعٌ يُجَفَّفُ فِيهِ التَّمْرُ. وَثَعْلَبُهُ: ثُقْبُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ مَاءُ الْمَطَرِ.

و«الإِكَامُ» الرَّوَابِي، و«الظِّرَابُ» الْجِبَالُ الصَّغِيرَةُ.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَتَيْنَاكَ وَمَا لَنَا صَبِيٌّ يَغِطُّ، وَلاَ بَعِيرٌ يَئِطُّ[1]، وَأَنْشَدَ شِعْراً وَصَفَ بِهِ ضِيقَ حَالِهِمْ مِنَ الْمَحْلِ، فَقَامَ ﷺ يَجُرُّ رِدَاءَهُ حَتَّى صَعِدَ الْمِنْبَرَ، فَرَفَعَ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اسْقِنَا غَيْثاً مُغِيثاً مَرِيعاً غَدَقاً طَبَقاً، نَافِعاً غَيْرَ ضَارٍّ، عَاجِلاً غَيْرَ رَائِثٍ**[2]، **تَمْلأُ بِهِ الضَّرْعَ، وَتُنْبِتُ بِهِ الزَّرْعَ، وَتُحْيِي بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**»، قَالَ: فَمَا رَدَّ ﷺ يَدَيْهِ إِلَى نَحْرِهِ حَتَّى الْتَقَتِ السَّمَاءُ بِأَبْرَاقِهَا[3]، وَجَاءَ أَهْلُ الْبِطَانَةِ[4] يَضِجُّونَ: الْغَرَقَ الْغَرَقَ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا**»، فَانْجَابَتِ السَّحَابَةُ عَنِ الْمَدِينَةِ حَتَّى أَحْدَقَ حَوْلَهَا كَالإِكْلِيلِ، وَضَحِكَ ﷺ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، ثُمَّ قَالَ: «**لِلّهِ دَرُّ أَبِي طَالِبٍ لَوْ كَانَ حَيّاً لَقَرَّتْ عَيْنَاهُ، مَنْ يُنْشِدُنَا قَوْلَهُ؟**» فَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: يَا رَسُولَ اللّهِ كَأَنَّكَ تُرِيدُ قَوْلَهُ:

---

(١) أي: ما لنا بعير أصلاً، لأن البعير لا بدّ أن يئط (يصوّت).

(٢) غير بطيء.

(٣) جمع برق، وهو ما يلمع من السحاب. وفي الدلائل: ألقت السماء بأبراقها (أي: بمطرها).

(٤) الساكنون خارج المدينة.

وَأَبْيَضَ يُسْتَسْقَى الْغَمَامُ بِوَجْهِهِ ثِمَالُ الْيَتَامَى[1]، عِصْمَةٌ لِلأَرَامِلِ
تُطِيفُ بِهِ الْهُلاَّكُ مِنْ آلِ هَاشِمٍ فَهُمْ عِنْدَهُ فِي نِعْمَةٍ وَفَوَاضِلِ
كَذَبْتُمْ وَبَيْتُ اللَّهِ يُبْزَى مُحَمَّدٌ وَلَمَّا نُطَاعِنْ حَوْلَهُ وَنُنَاضِلِ
وَنُسْلِمُهُ حَتَّى نُصَرَّعَ حَوْلَهُ وَنَذْهَلَ عَنْ أَبْنَائِنَا وَالْحَلاَئِلِ

فَقَالَ ﷺ: «**أَجَلْ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[2].

(وَصَبِيٌّ يَغِطُّ: يُصَوِّتُ. وَيُبْزَى: يُقْهَرُ، أَيْ لاَ يُقْهَرُ مُحَمَّدٌ وَلاَ نُسْلِمُهُ، فَهُمَا عَلَى حَذْفِ حَرْفِ النَّفْيِ).

النوع الرابع
اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ بِالدُّعَاءِ مِنْ غَيْرِ صَلاَةٍ

عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّ قُرَيْشاً أَبْطَؤُوا عَنِ الإِسْلاَمِ، فَدَعَا عَلَيْهِمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَأَخَذَتْهُمْ سَنَةٌ[3] حَتَّى هَلَكُوا فِيهَا، وَأَكَلُوا الْمَيْتَةَ وَالْعِظَامَ، فَجَاءَهُ أَبُو سُفْيَانَ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! جِئْتَ تَأْمُرُ بِصِلَةِ الرَّحِمِ، وَإِنَّ قَوْمَكَ هَلَكُوا، فَادْعُ اللَّهَ، فَدَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسُقُوا الْغَيْثَ، فَأَطْبَقَتْ عَلَيْهِمْ سَبْعاً، وَشَكَا النَّاسُ كَثْرَةَ الْمَطَرِ، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ حَوَالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنَا**»، فَانْحَدَرَتِ السَّحَابَةُ عَنْ رَأْسِهِ، فَسُقُوا النَّاسُ[4] حَوْلَهُمْ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَقَدْ دَعَا النَّبِيُّ ﷺ بِذٰلِكَ بِالْمَدِينَةِ فِي الْقُنُوتِ، كَمَا فِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ.

---

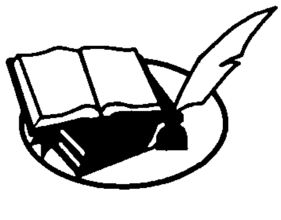
(١) ملجؤهم وغياثهم.
(٢) في دلائل النبوة.
(٣) مجدبة.
(٤) على لغة بني الحارث، كقوله ﷺ: «**يتعاقبون فيكم ملائكة**» وكقوله تعالى: ﴿وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّجْوَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [الأنبياء: ٣].

النوع الخامس
اسْتِسْقَاؤُهُ ﷺ عِنْدَ أَحْجَارِ الزَّيْتِ[1] مِنَ الزَّوْرَاءِ (خَارِجَ بَابِ السَّلَامِ)

عَنْ عُمَيْرٍ مَوْلَى آبِي اللَّحم[2]، أَنَّهُ رَأَى النَّبِيَّ ﷺ اسْتَسْقَى هُنَاكَ رَافِعاً يَدَيْهِ قِبَلَ وَجْهِهِ، لاَ يُجَاوِزُهُمَا رَأْسَهُ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ[3].

النوع السادس
اسْتِسْقَاؤُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فِي بَعْضِ غَزَوَاتِهِ

لَمَّا سَبَقَهُ الْمُشْرِكُونَ إِلَى الْمَاءِ، فَأَصَابَ الْمُسْلِمِينَ الْعَطَشُ، فَشَكَوْا إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَقَالَ بَعْضُ الْمُنَافِقِينَ: لَوْ كَانَ نَبِيًّا لاسْتَسْقَى لِقَوْمِهِ كَمَا اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ، فَبَلَغَ ذٰلِكَ النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: «**أَوَقَدْ قَالُوهَا؟ عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يَسْقِيَكُمْ**»، ثُمَّ بَسَطَ يَدَيْهِ وَدَعَا، فَمَا رَدَّ يَدَيْهِ مِنْ دُعَائِهِ حَتَّى أَظَلَّ السَّحَابُ وَأُمْطِرُوا إِلَى أَنْ سَالَ الْوَادِي، فَشَرِبَ النَّاسُ وَارْتَوَوْا.



---

(١) سمّيت بذلك لسواد أحجارها، كأنها طُليت بالزيت.
(٢) صوابه: عمير مولىٰ آبي اللحم عن آبي اللحم، كما في أبي داود، سمّي بذلك لامتناعه من أكل اللحم، أو لحم ما ذبح علىٰ النُّصب في الجاهلية.
(٣) والترمذي.

الفصل الثالث

فِيهِ دُعَاءٌ لِلاسْتِسْقَاءِ

عَنْ سَالِمِ بْنِ عَبْدِاللّهِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ كَانَ إِذَا اسْتَسْقَى قَالَ: «اللّهُمَّ اسْقِنَا الْغَيْثَ وَلاَ تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، اللّهُمَّ إِنَّ بِالْعِبَادِ وَالْبِلاَدِ وَالْبَهَائِمِ وَالْخَلاَئِقِ مِنَ اللأْوَاءِ وَالْجَهْدِ وَالضَّنْكِ مَا لاَ نَشْكُوهُ إِلاَّ إِلَيْكَ، اللّهُمَّ أَنْبِتْ لَنَا الزَّرْعَ، وَأَدِرَّ لَنَا الضَّرْعَ، وَاسْقِنَا مِنْ بَرَكَاتِ السَّمَاءِ، وَأَنْبِتْ لَنَا مِنْ بَرَكَاتِ الأَرْضِ، اللّهُمَّ ارْفَعْ عَنَّا الْجَهْدَ وَالْجُوعَ وَالْعُرْيَ، وَاكْشِفْ عَنَّا مِنَ الْبَلاَءِ مَا لاَ يَكْشِفُهُ غَيْرُكَ، اللّهُمَّ إِنَّا نَسْتَغْفِرُكَ إِنَّكَ كُنْتَ غَفَّاراً، فَأَرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْنَا مِدْرَاراً» رَوَاهُ الشَّافِعِيُّ. (وَاللأْوَاءُ: الشِّدَّةُ. وَالْجَهْدُ: الْمَشَقَّةُ. وَالضَّنْكُ: الضِّيقُ).

الفصل الرابع

فِي الاسْتِسْقَاءِ بِقَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ

رَوَى أَبُو الْجَوْزَاءِ قَالَ: قَحِطَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ قَحْطاً شَدِيداً، فَشَكَوْا إِلَى عَائِشَةَ، فَقَالَتْ: انْظُرُوا قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فَاجْعَلُوا مِنْهُ كُوَى إِلَى السَّمَاءِ، حَتَّى لاَ يَكُونَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ السَّمَاءِ سَقْفٌ، فَفَعَلُوا، فَمُطِرُوا حَتَّى نَبَتَ الْعُشْبُ، وَسَمِنَتِ الإِبِلُ حَتَّى تَفَتَّقَتْ مِنَ الشَّحْمِ، فَسُمِّيَ عَامَ الْفَتْقِ[1]. (وَالْكُوَى: الثُّقُوبُ فِي الْحَائِطِ)[2].

---

(١) رواه الدارمي.

(٢) وأصاب الناسَ قحطٌ في زمن عمر رضي الله عنه فجاء رجل إلىٰ قبر النبي ﷺ فقال: يا رسول الله! استسقِ الله لأمّتك فإنهم قد هلكوا، فأتاه الرسول ﷺ في المنام فقال: **«ائت عمر فأقرئه مني السلام، وأخبِرهم أنهم مُسقَون»** رواه ابن أبي شيبة بإسناد صحيح كما في فتح الباري ٥٨٢/٣.

القسم الثالث

فِي صَلاَتِهِ ﷺ فِي السَّفَرِ، وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي قَصْرِهِ ﷺ الصَّلاَةَ فِيهِ، وَفِيهِ فَرْعَانِ

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي كَمْ كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ؟

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: صَلَّيْتُ الظُّهْرَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بِالْمَدِينَةِ أَرْبَعاً، وَخَرَجَ يُرِيدُ مَكَّةَ، فَصَلَّى بِذِي الْحُلَيْفَةِ(١) الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَذُو الْحُلَيْفَةِ: بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَدِينَةِ سِتَّةُ أَمْيَالٍ(٢).

وَقَالَ الْجُمْهُورُ: لاَ يَجُوزُ الْقَصْرُ إِلاَّ فِي سَفَرِ مَرْحَلَتَيْنِ(٣). وَأَبُو حَنِيفَةَ: إِلاَّ فِي ثَلاَثِ مَرَاحِلَ(٤).

---

(١) وتسمّىٰ (آبار علي) وهي ميقات أهل المدينة.

(٢) والميل ١٧١٨,٧ متراً، والستّة تساوي ١٠ كيلومتراً تقريباً.

(٣) والمرحلة: سير الإبل المحمّلة ١١ ساعة (وهي أكثر النهار) تقطع في الساعة ٣٧٥٠ متراً، فالمرحلتان ٢٢ ساعة، وهي تعادل ٨٢,٥ كيلومتراً.

(٤) والمرحلة عنده سير ٧ ساعات (وهي من الفجر إلىٰ الزوال في أقصر أيام السنة)، تقطع في الساعة ٤ كيلومترات، فالثلاث ٢١ ساعة، وهي تعادل ٨٤ كيلومتراً.

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي الْقَصْرِ مَعَ الإِقَامَةِ:

عَنْ أَنَسٍ قَالَ: خَرَجْنَا مَعَ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى مَكَّةَ، فَكَانَ يُصَلِّي رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، حَتَّى رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ، قِيلَ لَهُ: أَقَمْتُمْ بِمَكَّةَ شَيْئاً؟ قَالَ: «**أَقَمْنَا بِهَا عَشْراً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: إِنَّهُ ﷺ أَقَامَ تِسْعَةَ عَشَرَ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ عَنْهُ: سَبْعَةَ عَشَرَ بِمَكَّةَ. وَفِي رِوَايَتِهِ عَنْ عِمْرَانَ بْنِ حُصَيْنٍ: ثَمَانِيَ عَشْرَةَ لَيْلَةً[1]. فَالْبَعْضُ عَدَّ يَوْمَي الدُّخُولِ وَالْخُرُوجِ، وَالْبَعْضُ حَذَفَهُمَا.

---

(١) وهي رخصة لمن توقع انقضاء حاجته كل وقت، فيترخّص إلىٰ ثمانية عشر يوماً، فإن أزمع الإقامة في أول الحال علىٰ أربعة أيام أتمّ.

الفصل الثاني

فِي الْجَمْعِ، وَفِيهِ فَرْعَانِ

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي جَمْعِهِ ﷺ بَيْنَ الظُّهْرَيْنِ، وَبَيْنَ الْعِشَاءَيْنِ:

رَوَى التِّرْمِذِيُّ[(١)] مِنْ حَدِيثِ مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ قَالَ: كَانَ ﷺ فِي غَزْوَةِ تَبُوكَ: إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ جَمَعَ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَإِنْ رَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَزِيغَ الشَّمْسُ أَخَّرَ الظُّهْرَ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعَصْرِ. وَفِي الْمَغْرِبِ مِثْلُ ذَلِكَ: إِنْ غَابَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ أَنْ يَرْتَحِلَ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ، وَإِنِ ارْتَحَلَ قَبْلَ أَنْ تَغِيبَ الشَّمْسُ أَخَّرَ الْمَغْرِبَ حَتَّى يَنْزِلَ لِلْعِشَاءِ، ثُمَّ يَجْمَعُ بَيْنَهُمَا.

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي جَمْعِهِ ﷺ بِجَمْعٍ (أَيْ: بِمُزْدَلِفَةَ):

رَوَى مُسْلِمٌ عَنِ ابنِ عُمَرَ: أَنَّهُ ﷺ جَمَعَ بَيْنَ الْمَغْرِبِ وَالْعِشَاءِ بِجَمْعٍ، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ ثَلاَثَ رَكَعَاتٍ، وَصَلَّى الْعِشَاءَ رَكْعَتَيْنِ. وَفِي رِوَايَةِ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ بِعَرَفَةَ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا[(٢)]، وَصَلَّى الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ بِجَمْعٍ بِأَذَانٍ وَاحِدٍ وَإِقَامَتَيْنِ وَلَمْ يُسَبِّحْ بَيْنَهُمَا ﷺ.

---

(١) وأبو داود.

(٢) أي: لم يُصَلِّ نافلة.

الفصل الثالث

فِي صَلاَتِهِ ﷺ النَوَافِلَ فِي السَّفَرِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَافَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ وَأَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يُصَلُّونَ الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ رَكْعَتَيْنِ، وَلاَ يُصَلَّى قَبْلَهُمَا وَلاَ بَعْدَهُمَا. وَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لَوْ كُنْتُ مُصَلِّياً قَبْلَهُمَا أَوْ بَعْدَهُمَا لأَتْمَمْتُهُمَا. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ عَنْهُ أَيْضاً قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ، فَصَلَّيْتُ مَعَهُ فِي الْحَضَرِ الظُّهْرَ أَرْبَعاً، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَصَلَّيْتُ مَعَهُ فِي السَّفَرِ الظُّهْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ، وَالْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، وَلَمْ يُصَلِّ بَعْدَهَا شَيْئاً، وَالْمَغْرِبَ فِي الْحَضَرِ وَالسَّفَرِ سَوَاءً، ثَلاَثَ رَكَعَاتٍ، لاَ تَنْقُصُ فِي حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ، وَهِيَ وِتْرُ النَّهَارِ، وَبَعْدَهَا رَكْعَتَيْنِ.

وَفِي مُسْلِمٍ فِي قِصَّةِ النَّوْمِ عَنْ صَلاَةِ الصُّبْحِ: أَنَّهُ ﷺ صَلَّى رَكْعَتَيْنِ قَبْلَ الصُّبْحِ، ثُمَّ صَلَّى الصُّبْحَ كَمَا كَانَ يُصَلِّي.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ(١) مِنْ حَدِيثِ الْبَرَاءِ قَالَ: سَافَرْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ سَفَراً، فَلَمْ أَرَهُ تَرَكَ رَكْعَتَيْنِ إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ قَبْلَ الظُّهْرِ.

---

(١) وأبو داود.

الفصل الرابع

فِي صَلاَتِهِ ﷺ التَّطَوُّعَ فِي السَّفَرِ عَلَى الدَّابَّةِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُصَلِّي سُبْحَتَهُ[1] حَيْثُمَا تَوَجَّهَتْ بِهِ نَاقَتُهُ. وَفِي رِوَايَةٍ: يُصَلِّي وَهُوَ مُقْبِلٌ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْمَدِينَةِ حَيْثُ كَانَ وَجْهُهُ.

وَعَنْ أَنَسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: أَنَّهُ كَانَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَطَوَّعَ فِي السَّفَرِ اسْتَقْبَلَ بِنَاقَتِهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ صَلَّى حَيْثُ تَوَجَّهَتْ رِكَابُهُ. وَهٰذَا حُجَّةُ مَنْ قَالَ: يَسْتَقْبِلُ بِالتَّكْبِيرِ فِي ابْتِدَاءِ الصَّلاَةِ[2].

---

(١) نافلته.

(٢) إن سَهُل عليه.

القسم الرابع

فِي ذِكْرِ صَلاَتِهِ ﷺ صَلاةَ الْخَوْفِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ يَزِيدَ بْنِ رُومَانَ، عَنْ صَالِحِ بْنِ خَوَّاتٍ، عَمَّن صَلَّى مَعَهُ ﷺ يَوْمَ غَزْوَةِ ذَاتِ الرِّقَاعِ صَلاةَ الْخَوْفِ: أَنَّ طَائِفَةً صَفَّتْ مَعَهُ، وَطَائِفَةٌ وِجَاهَ الْعَدُوِّ، فَصَلَّى بِالَّتِي مَعَهُ رَكْعَةً، ثُمَّ ثَبَتَ قَائِماً[1]، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ انصَرَفُوا، فَصَفُّوا وِجَاهَ الْعَدُوِّ، وَجَاءَتِ الطَّائِفَةُ الأُخْرَى فَصَلَّى بِهِمْ الرَّكْعَةَ الَّتِي بَقِيَتْ مِنْ صَلاَتِهِ، ثُمَّ ثَبَتَ جَالِساً، وَأَتَمُّوا لأَنْفُسِهِمْ، ثُمَّ سَلَّمَ بِهِمْ، قَالَ مَالِكٌ: وَذٰلِكَ أَحْسَنُ مَا سَمِعْتُ فِي صَلاَةِ الْخَوْفِ. وَوَافَقَهُ الشَّافِعِيُّ وَأَحْمَدُ[2]. وَلَهَا كَيْفِيَّاتٌ أُخْرَى.

---

(١) في الركعة الثانية.

(٢) وقال أبو حنيفة: لا تُفعَل في جماعة، وعن أبي يوسف: أنها كانت مختصة برسول الله ﷺ.

القسم الخامس

فِي ذِكْرِ صَلاتِهِ ﷺ عَلَى الْجَنَازَةِ
وَفِيهِ أَرْبَعَةُ فُرُوعٍ

الْفَرْعُ الأَوَّلُ: فِي عَدَدِ الْتَّكْبِيرَاتِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ ﷺ نَعَى الْنَّجَاشِيَّ فِي الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ، وَخَرَجَ بِهِمْ إِلَى الْمُصَلَّى، فَصَفَّ بِهِمْ، وَكَبَّرَ عَلَيْهِ أَرْبَعَ تَكْبِيرَاتٍ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

الْفَرْعُ الثَّانِي: فِي الْقِرَاءَةِ وَالدُّعَاءِ:

رَوَى عَبْدُ الرَّزَّاقِ وَالْنَّسَائِيُّ(١) عَنْ سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ(٢)، قَالَ: السُّنَّةُ فِي الصَّلاَةِ عَلَى الْجَنَازَةِ أَنْ يُكَبِّرَ، ثُمَّ يَقْرَأَ بِأُمِّ الْقُرْآنِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ يُخْلِصَ الْدُّعَاءَ لِلْمَيِّتِ، وَلاَ يَقْرَأُ إِلاَّ فِي الأُولَى(٣).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ. رَوَاهُ الْتِّرْمِذِيُّ.

---

(١) بإسناد صحيح.

(٢) بل عن أبي أمامة بن سهل بن حُنيف، كما في الأصل والنسائي.

(٣) وتصحّ الفاتحة بعد غيرها من التكبيرات.

وَعَنْ عَوْفِ بْنِ مَالِكٍ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى جَنَازَةٍ، فَحَفِظْتُ مِنْ دُعَائِهِ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ وَاعْفُ عَنْهُ، وَأَكْرِمْ نُزُلَهُ، وَوَسِّعْ مُدْخَلَهُ، وَاغْسِلْهُ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّهِ مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ، وَأَبْدِلْهُ دَاراً خَيْراً مِنْ دَارِهِ، وَأَهْلاً خَيْراً مِنْ أَهْلِهِ، وَزَوْجاً خَيْراً مِنْ زَوْجِهِ، وَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وَأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ وَمِنْ عَذَابِ النَّارِ**»، قَالَ عَوْفٌ: حَتَّى تَمَنَّيْتُ أَنْ أَكُونَ ذٰلِكَ الْمَيِّتَ لِدُعَاءِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ ﷺ إِذَا صَلَّى عَلَى الْجَنَازَةِ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِحَيِّنَا وَمَيِّتِنَا، وَشَاهِدِنَا وَغَائِبِنَا، وَصَغِيرِنَا وَكَبِيرِنَا، وَذَكَرِنَا وَأُنْثَانَا، اللَّهُمَّ مَنْ أَحْيَيْتَهُ مِنَّا فَأَحْيِهِ عَلَى الإِسْلامِ، وَمَنْ تَوَفَّيْتَهُ مِنَّا فَتَوَفَّهُ عَلَى الإِيمَانِ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُ، وَلاَ تَفْتِنَّا بَعْدَهُ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[١].

الْفَرْعُ الثَّالِثُ: فِي صَلاَتِهِ ﷺ عَلَى الْقَبْرِ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ امْرَأَةً سَوْدَاءَ كَانَتْ تَقُمُّ[٢] الْمَسْجِدَ، فَفَقَدَهَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَسَأَلَ عَنْهَا، فَقَالُوا: مَاتَتْ، قَالَ: «**أَفَلاَ آذَنْتُمُونِي؟**»[٣] قَالَ: فَكَأَنَّهُمْ صَغَّرُوا أَمْرَهَا، فَقَالَ: «**دُلُّونِي عَلَى قَبْرِهَا**»، فَدَلُّوهُ، فَصَلَّى عَلَيْهَا. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ، زَادَ ابْنُ حِبَّانَ: فَقَالَ ﷺ: «**إِنَّ هٰذِهِ الْقُبُورَ مَمْلُوءَةٌ ظُلْمَةً عَلَى أَهْلِهَا، وَإِنَّ اللَّهَ يُنَوِّرُهَا لَهُمْ بِصَلاَتِي عَلَيْهِمْ**».

---

(١) كأبي داود والترمذي.

(٢) تَكْنُس.

(٣) أعلمتموني.

الْفَرْعُ الرَّابِعُ: فِي صَلاَتِهِ ﷺ عَلَى الْغَائِبِ:

عَنْ جَابِرٍ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «قَدْ تُوُفِّيَ الْيَوْمَ رَجُلٌ صَالِحٌ مِنَ الْحَبَشِ، فَهَلُمَّ فَصَلُّوا عَلَيْهِ»، قَالَ: فَصَفَفْنَا، فَصَلَّى النَّبِيُّ ﷺ وَنَحْنُ وَرَاءَهُ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. (وَهُوَ النَّجَاشِيُّ)[١].

(١) واسمه أصحمة.

النوع الثالث

فِي ذِكْرِ سِيرَتِهِ ﷺ فِي الزَّكَاةِ

كَانَ ﷺ إِذَا أُتِيَ بِطَعَامٍ سَأَلَ عَنْهُ: أَهَدِيَّةٌ أَمْ صَدَقَةٌ؟ فَإِنْ قِيلَ: صَدَقَةٌ، قَالَ لأَصْحَابِهِ: كُلُوا وَلَمْ يَأْكُلْ، وَإِنْ قِيلَ: هَدِيَّةٌ، ضَرَبَ بِيَدِهِ[1] فَأَكَلَ مَعَهُمْ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ ﷺ إِذَا أَتَاهُ قَوْمٌ بِصَدَقَةٍ قَالَ: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ فُلَانٍ»**، فَأَتَاهُ أَبُو أَوْفَى بِصَدَقَتِهِ فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى آلِ أَبِي أَوْفَى»** رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَاخْتُلِفَ فِي أَوَّلِ وَقْتِ فَرْضِ الزَّكَاةِ: فَذَهَبَ الأَكْثَرُونَ إِلَى أَنَّهُ وَقَعَ بَعْدَ الْهِجْرَةِ[2].

وَفَرَضَ ﷺ زَكَاةَ الْفِطْرِ صَاعاً مِنْ تَمْرٍ أَوْ صَاعاً مِنْ شَعِيرٍ عَلَى الْعَبْدِ وَالْحُرِّ وَالذَّكَرِ وَالأُنْثَى وَالصَّغِيرِ وَالْكَبِيرِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَمَرَ بِهَا أَنْ تُؤَدَّى قَبْلَ خُرُوجِ النَّاسِ إِلَى الصَّلَاةِ[3]. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.

---

(١) أي: شرع في الأكل مسرعاً.
(٢) في السنة الثانية.
(٣) صلاة عيد الفطر.

وَأَحْكَامُ زَكَاةِ الْمَالِ مُفَصَّلَةٌ فِي كُتُبِ الْفِقْهِ، وَفِي الأَصْلِ[1] مِنْهَا جُمْلَةٌ وَافِرَةٌ.

(١) وهو المواهب اللدنيّة.

النوع الرابع

فِي ذِكْرِ صِيَامِهِ ﷺ، وَالْكَلامُ فِيهِ عَلَى قِسْمَيْنِ

الْقِسْمُ الأوَّلُ

فِي صِيَامِهِ ﷺ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَفِيهِ عَشَرَةُ فصُولٍ

الفصل الأول

فِيمَا كَانَ يَخُصُّ بِهِ رَمَضَانَ مِنَ الْعِبَادَاتِ، وَتَضَاعُفُ جُودِهِ ﷺ فِيهِ

قَدْ كَانَ فَرْضُ رَمَضَانَ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ، فَتُوُفِّيَ سَيِّدُنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَقَدْ صَامَ تِسْعَ رَمَضَانَاتٍ.

وَقَدْ كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يُكْثِرُ فِيهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ وَأَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ الْجَامِعَةِ لِوُجُوهِ السَّعَادَاتِ، وَيَخُصُّهُ مِنَ الْعِبَادَاتِ بِمَا لاَ يَخُصُّ بِهِ غَيْرَهُ مِنَ الشُّهُورِ،

وَكَانَ جُودُهُ ﷺ يَتَضَاعَفُ فِيهِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الشُّهُورِ، وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَأَجْوَدَ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّهِ ﷺ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ ـ أَيْ: الْمُطْلَقَةِ ـ. وَوَقَعَ عِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ فِي آخِرِ الْحَدِيثِ: وَلاَ يُسْأَلُ شَيْئاً إِلاَّ أَعْطَاهُ.

وَقَدْ كَانَ ابْتِدَاءُ نُزُولِ الْقُرْآنِ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، وَكَذَا نُزُولُهُ إِلَى سَمَاءِ الدُّنْيَا جُمْلَةً وَاحِدَةً، فَكَانَ جِبْرِيلُ يَتَعَاهَدُهُ ﷺ فِي كُلِّ سَنَةٍ، فَيُعَارِضُهُ بِمَا نَزَلَ عَلَيْهِ مِنْ رَمَضَانَ إِلَى رَمَضَانَ، فَلَمَّا كَانَ الْعَامُ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ ﷺ عَارَضَهُ بِهِ مَرَّتَيْنِ، كَمَا ثَبَتَ فِي الصَّحِيحِ عَنْ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ الْمُدَارَسَةَ بَيْنَهُ ﷺ وَبَيْنَ جِبْرِيلَ كَانَتْ لَيْلاً.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُبَشِّرُ أَصْحَابَهُ بِقُدُومِ رَمَضَانَ يَقُولُ: **«قَدْ جَاءَكُمْ شَهْرُ رَمَضَانَ، شَهْرٌ مُبَارَكٌ، كُتِبَ عَلَيْكُمْ صِيَامُهُ، تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوَابُ الْجَحِيمِ، وَتُغَلُّ فِيهِ الشَّيَاطِينُ، فِيهِ لَيْلَةٌ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ، مَنْ حُرِمَ خَيْرَهَا فَقَدْ حُرِمَ الْخَيْرَ الْكَثِيرَ»**.

وَكَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ شَهْرُ رَجَبٍ وَشَعْبَانُ قَالَ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي رَجَبٍ وَشَعْبَانَ، وَبَلِّغْنَا رَمَضَانَ»** رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَغَيْرُهُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا رَأَى هِلاَلَ رَمَضَانَ قَالَ: **«هِلاَلَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ، هِلاَلَ رُشْدٍ وَخَيْرٍ، آمَنْتُ بِالَّذِي خَلَقَكَ»** رَوَاهُ النَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

الفصل الثاني

فِي صِيَامِهِ ﷺ بِرُؤْيَةِ الْهِلاَلِ

عَنْ عَائِشَةَ: كَانَ ﷺ يَتَحَفَّظُ مِنْ شَعْبَانَ[1] مَا لاَ يَتَحَفَّظُ مِنْ غَيْرِهِ ثُمَّ يَصُومُ لِرُؤْيَةِ رَمَضَانَ، فَإِنْ غُمَّ عَلَيْهِ عَدَّ ثَلاَثِينَ يَوْماً، ثُمَّ صَامَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

(١) أي: يجتهد في الوصول إلىٰ العلم بهلاله.

الفصل الثالث

فِي صَوْمِهِ ﷺ بِشَهَادَةِ الْعَدْلِ الْوَاحِدِ

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا قَالَ: تَرَاءَىٰ النَّاسُ الْهِلاَلَ، فَأَخْبَرْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ أَنِّي رَأَيْتُهُ، فَصَامَ وَأَمَرَ النَّاسَ بِصِيَامِهِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ فَقَالَ: إِنِّي رَأَيْتُ هِلاَلَ رَمَضَانَ، فَقَالَ: **«أَتَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ؟»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«أَتَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ؟»** قَالَ: نَعَمْ، قَالَ: **«يَا بِلاَلُ أَذِّنْ فِي النَّاسِ فَلْيَصُومُوا»** رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[١].

(١) كالترمذي والنسائي.

الفصل الرابع

فِيمَا كَانَ يَفْعَلُهُ ﷺ وَهُوَ صَائِمٌ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ احْتَجَمَ وَهُوَ صَائِمٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُقَبِّلُ بَعْضَ أَزْوَاجِهِ وَهُوَ صَائِمٌ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا. قَالَتْ: وَكَانَ أَمْلَكَكُمْ لأَرَبِهِ[1] ـ أَيْ: لِحَاجَتِهِ ـ تَعْنِي: أَنَّهُ كَانَ غَالِباً لِهَوَاهُ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَكْتَحِلُ بِالإِثْمِدِ وَهُوَ صَائِمٌ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ يُصْبِحُ جُنُباً مِنْ جِمَاعٍ لاَ حُلْمٍ، ثُمَّ لاَ يُفْطِرُ وَلاَ يَقْضِي. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

وَقَالَ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ: رَأَيْتُهُ ﷺ يَسْتَاكُ وَهُوَ صَائِمٌ مَا لاَ أَعُدُّ وَلاَ أُحْصِي. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِيُّ.

---

(١) أكثر المحدّثين يروونه بفتح الهمزة والراء، وبعضهم يرويه بكسر الهمزة وسكون الراء.

الفصل الخامس

فِي وَقْتِ إِفْطَارِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ

عَنْ عَبْدِاللّهِ بْنِ أَبِي أَوْفَى قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ فِي سَفَرٍ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ، فَلَمَّا غَابَتِ الشَّمْسُ قَالَ: «**يَا بِلاَلُ انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**»، قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ عَلَيْكَ نَهَاراً، قَالَ: «**انْزِلْ فَاجْدَحْ لَنَا**»، قَالَ: فَنَزَلَ فَجَدَحَ، فَأَتَى بِهِ فَشَرِبَ النَّبِيُّ ﷺ ثُمَّ قَالَ بِيَدِهِ: «**إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ مِنْ هٰهُنَا، وَجَاءَ اللَّيْلُ مِنْ هٰهُنَا، فَقَدْ أَفْطَرَ الصَّائِمُ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَالْجَدْحُ: خَلْطُ الشَّيْءِ بِغَيْرِهِ، وَالْمُرَادُ خَلْطُ السَّوِيقِ بِالْمَاءِ وَتَحْرِيكُهُ حَتَّى يَسْتَوِيَ، وَالسَّوِيقُ: هُوَ الْقَمْحُ أَوِ الشَّعِيرُ الْمَقْلُوُّ[1] الْمَطْحُونُ[2].

---

(١) أو المَقْليّ.

(٢) وسمّي بالسويق لانسياقه في الحلْق.

الفصل السادس

فِيمَا كَانَ ﷺ يُفْطِرُ عَلَيْهِ

عَنْ أَنَسٍ: كَانَ ﷺ يُفطِرُ قَبْلَ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَى رُطَبَاتٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ رُطَبَاتٍ فَتَمَرَاتٍ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ تَمَرَاتٍ حَسَا حَسَوَاتٍ مِنْ مَاءٍ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ(١).

(١) والنسائي والترمذي.

الفصل السابع

فِيمَا كَانَ يَقُولُهُ ﷺ عِنْدَ الإِفْطَارِ

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «**اللَّهُمَّ لَكَ صُمْتُ، وَعَلَى رِزْقِكَ أَفطَرْتُ، فَتَقَبَّلْ مِنِّي، إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ وَابْنُ السُّنِّيِّ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ: كَانَ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «**ذَهَبَ الظَّمَأُ، وَابْتَلَّتِ الْعُرُوقُ، وَثَبَتَ الأَجْرُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ، وَزَادَ رُزَيْنٌ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ**» فِي أَوَّلِ الْحَدِيثِ.

وَفِي كِتَابِ ابْنِ السُّنِّيِّ: عَنْ مُعَاذِ بْنِ زُهْرَةَ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِذَا أَفْطَرَ قَالَ: «**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَعَانَنِي فَصُمْتُ، وَرَزَقَنِي فَأَفْطَرْتُ**».

الفصل الثامن

فِي وِصَالِهِ ﷺ لِلصِّيَامِ

رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ ﷺ وَاصَلَ، فَوَاصَلَ النَّاسُ، فَشَقَّ عَلَيْهِمْ، فَنَهَاهُمْ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يُوَاصِلُوا، قَالُوا: إِنَّكَ تُوَاصِلُ؟ قَالَ: **«لَسْتُ كَهَيْئَتِكُمْ، إِنِّي أَظَلُّ أُطْعَمُ وَأُسْقَى»**.

وَعَنْ أَنَسٍ: وَاصَلَ ﷺ فِي آخِرِ شَهْرِ رَمَضَانَ، فَوَاصَلَ نَاسٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ، فَقَالَ: **«لَوْ مُدَّ لَنَا الشَّهْرُ لَوَاصَلْنَا وِصَالاً يَدَعُ الْمُتَعَمِّقُونَ تَعَمُّقَهُمْ، إِنَّكُمْ لَسْتُمْ مِثْلِي، إِنِّي أَظَلُّ يُطْعِمُنِي رَبِّي وَيَسْقِينِي»** رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

(وَالْمُتَعَمِّقُونَ: الْمُتَشَدِّدُونَ. وَالْوِصَالُ فِي الصَّوْمِ: أَنْ يَصِلَ صَوْمَ النَّهَارِ بِإِمْسَاكِ اللَّيْلِ مَعَ صَوْمِ الَّذِي بَعْدَهُ).

الفصل التاسع

فِي سُحُورِهِ ﷺ

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يَتَسَحَّرُ، فَقَالَ: «**إِنَّهَا بَرَكَةٌ أَعْطَاكُمُ اللّهُ إِيَّاهَا، فَلاَ تَدَعُوهُ**» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَعَنِ الْعِرْبَاضِ بْنِ سَارِيَةَ قَالَ: دَعَانِي رَسُولُ اللّهِ ﷺ إِلَى السَّحُورِ فِي رَمَضَانَ قَالَ: «**هَلُمَّ إِلَى الْغَدَاءِ الْمُبَارَكِ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ وَذٰلِكَ عِنْدَ السُّحُورِ: «**يَا أَنَسُ! إِنِّي أُرِيدُ الصِّيَامَ فَأَطْعِمْنِي شَيْئاً**»، فَأَتَيْتُهُ بِتَمْرٍ وَإِنَاءٍ فِيهِ مَاءٌ، وَذٰلِكَ بَعْدَمَا أَذَّنَ بِلاَلٌ ـ أَيْ: فِي اللَّيْلِ ـ قَالَ: «**يَا أَنَسُ! انْظُرْ رَجُلاً يَأْكُلْ مَعِي**» فَدَعَوْتُ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ، فَجَاءَ فَقَالَ: إِنِّي أُرِيدُ شُرْبَةَ سَوِيقٍ[1] وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ، فَقَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**وَأَنَا أُرِيدُ الصِّيَامَ**»، فَتَسَحَّرَ مَعَهُ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاَةِ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَعَنْ زَيْدِ بْنِ ثَابِتٍ قَالَ: تَسَحَّرْنَا مَعَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، ثُمَّ قُمْنَا إِلَى

(١) السّويق: هو القمح أو الشعير المقليّ المطحون، سمّي بذلك لانسياقه في الحلق.

الصَّلاَةِ، قَالَ أَنَسٌ: قُلْتُ: كَمْ كَانَ قَدْرُ مَا بَيْنَهُمَا؟ قَالَ: قَدْرَ خَمْسِينَ آيَةً.
رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا.

الفصل العاشر

فِي إِفْطَارِهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَصَوْمِهِ

عَنْ جَابِرٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ خَرَجَ عَامَ الْفَتْحِ إِلَى مَكَّةَ فِي رَمَضَان، فَصَامَ حَتَّى بَلَغَ كُرَاعَ الْغَمِيمِ[1]، وَصَامَ النَّاسُ، ثُمَّ دَعَا بِقَدَحٍ مِنْ مَاءٍ، فَرَفَعَهُ حَتَّى نَظَرَ النَّاسُ، ثُمَّ شَرِبَ، فَقِيلَ لَهُ بَعْدَ ذٰلِكَ: إِنَّ بَعْضَ النَّاسِ قَدْ صَامَ، فَقَالَ: «**أُولٰئِكَ الْعُصَاةُ، أُولٰئِكَ الْعُصَاةُ**»، أَيْ: لِمُخَالَفَتِهِمْ[2].

وَكَانَ ابْنُ عَبَّاسٍ يَقُولُ: صَامَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي السَّفَرِ وَأَفْطَرَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَ، وَمَنْ شَاءَ أَفْطَرَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ[3] قَالَ: كُنَّا نَغْزُو مَعَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي رَمَضَانَ، فَمِنَّا الصَّائِمُ، وَمِنَّا الْمُفْطِرُ، وَلاَ يَجِدُ الصَّائِمُ عَلَى الْمُفْطِرِ[4]، وَلاَ الْمُفْطِرُ عَلَى الصَّائِمِ.

(١) على بُعْد ١٤ كَيْلاً جنوب عُسْفان قرب مكة. انظر نور اليقين بتحقيقي وتعليقي.

(٢) رواه مسلم.

(٣) الخُدْري.

(٤) أي: لا يغضب عليه.

القسم الثاني

فِي صَوْمِهِ ﷺ غَيْرَ شَهْرِ رَمَضَانَ، وَفِيهِ سِتَّةُ فُصُولٍ

الفصل الأول

فِي سَرْدِهِ أَيَّاماً مِنَ الشَّهْرِ وَفِطْرِهِ أَيَّاماً

عَنْ أَنَسٍ: كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يُفْطِرُ مِنَ الشَّهْرِ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يَصُومَ مِنْهُ، ثُمَّ يَصُومُ حَتَّى نَظُنَّ أَنْ لاَ يُفْطِرُ مِنْهُ شَيْئاً، وَكَانَ لاَ تَشَاءُ أَنْ تَرَاهُ مِنَ اللَّيْلِ مُصَلِّياً إِلاَّ رَأَيْتَهُ، وَلاَ نَائِماً إِلاَّ رَأَيْتَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: مَا صَامَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ شَهْراً كَامَلاً غَيْرَ رَمَضَانَ، وَكَانَ يَصُومُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: لاَ وَاللّهِ لاَ يُفْطِرُ، وَيُفْطِرُ حَتَّى يَقُولَ الْقَائِلُ: لاَ وَاللّهِ لاَ يَصُومُ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

الفصل الثاني

فِي صَوْمِهِ ﷺ عَاشُورَاءَ

صَامَ ﷺ يَوْمَ عَاشُورَاءَ فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّهُ يَوْمٌ تُعَظِّمُهُ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى، فَقَالَ ﷺ: «**فَإِذَا كَانَ الْعَامُ الْمُقْبِلُ إِنْ شَاءَ اللّهُ صُمْنَا الْيَوْمَ التَّاسِعَ**»، قَالَ: فَلَمْ يَأْتِ الْعَامَ الْمُقْبِلُ حَتَّى تُوُفِّيَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ(١).

وَعَنْ عَائِشَةَ: كَانَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ تَصُومُهُ قُرَيْشٌ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَصُومُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا قَدِمَ الْمَدِينَةَ صَامَهُ وَأَمَرَ بِصِيَامِهِ، فَلَمَّا فُرِضَ رَمَضَانُ تَرَكَ عَاشُورَاءَ، فَمَنْ شَاءَ صَامَهُ وَمَنْ شَاءَ تَرَكَهُ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ وَغَيْرُهُمَا.

وَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي قَتَادَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**أَنَّ صَوْمَ عَاشُورَاءَ يُكَفِّرُ سَنَةً، وَأَنَّ صَوْمَ عَرَفَةَ يُكَفِّرُ سَنَتَيْنِ**».

---

(١) رواه مسلم.

الفصل الثالث

فِي صِيَامِهِ ﷺ شَعْبَانَ [ورجب]

عَنْ عَائِشَةَ: مَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ اسْتَكْمَلَ صِيَامَ شَهْرٍ قَطُّ إِلاَّ شَهْرَ رَمَضَانَ، وَمَا رَأَيْتُهُ فِي شَهْرٍ أَكْثَرَ صِيَاماً مِنْهُ فِي شَعْبَانَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَعَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! لَمْ أَرَكَ تَصُومُ مِنْ شَهْرٍ مِنَ الشُّهُورِ مَا تَصُومُ مِنْ شَعْبَانَ؟ قَالَ: «**ذَاكَ شَهْرٌ يَغْفُلُ النَّاسُ عَنْهُ، بَيْنَ رَجَبٍ وَرَمَضَانَ، وَهُوَ شَهْرٌ تُرْفَعُ فِيهِ الأَعْمَالُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ، فَأُحِبُّ أَنْ يُرْفَعَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ**» أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(١).

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ(٢): كَانَ أَكْثَرُ صِيَامِ النَّبِيِّ ﷺ فِي شَعْبَانَ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! أَرَى أَكْثَرَ صِيَامِكَ فِي شَعْبَانَ؟ قَالَ: «**إِنَّ هٰذَا الشَّهْرَ يُكْتَبُ فِيهِ لِمَلِكِ الْمَوْتِ أَسْمَاءُ مَنْ يُقْبَضُ، فَأُحِبُّ أَنْ لاَ يُنْسَخَ اسْمِي إِلاَّ وَأَنَا صَائِمٌ**».

وَأَمَّا صِيَامُ رَجَبٍ: فَعَنْ عَطَاءٍ: أَنَّ عُرْوَةَ قَالَ لِعَبْدِاللّهِ بْنِ عُمَرَ: هَلْ

---

(١) كالنسائي.

(٢) بإسناد فيه ضَعف.

كَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ يَصُومُ فِي رَجَبٍ؟ قَالَ: نَعَمْ. وَيُشَرِّفُهُ (قَالَهَا ثَلاثاً). أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ.

وَعَنْ أَبِي قِلاَبَةَ قَالَ: إِنَّ فِي الْجَنَّةِ قَصْراً لِصُوَّامِ رَجَبٍ. قَالَ الْبَيْهَقِيُّ: أَبُو قِلاَبَةَ مِنْ كِبَارِ التَّابِعِينَ، فَلاَ يَقُولُهُ إِلاَّ عَنْ بَلاَغٍ.

الفصل الرابع

فِي صَوْمِهِ ﷺ عَشْرَ ذِي الْحِجَّةِ (وَالْمُرَادُ بِهَا الأَيَّامُ التِّسْعَةُ مِنْ أَوَّلِ ذِي الْحِجَّةِ)

عَنْ هُنَيْدَةَ بْنِ خَالِدٍ عَنِ امْرَأَتِهِ عَنْ بَعْضِ أَزْوَاجِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَتْ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَصُومُ تِسْعَ ذِي الْحِجَّةِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَصَوْمُهَا مُسْتَحَبٌّ اسْتِحْبَاباً شَدِيداً، لاَ سِيَّمَا يَوْمُ التَّاسِعِ مِنْهَا (وَهُوَ يَوْمُ عَرَفَةَ).

وَقَدْ ثَبَتَ فِي صَحِيحِ الْبُخَارِيِّ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا مِنْ أَيَّامِ الْعَمَلُ الصَّالِحُ فِيهَا أَفْضَلُ مِنْهُ فِي هٰذِهِ**» يَعْنِي: الْعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَالصَّوْمُ مِنْ جُمْلَةِ الْعَمَلِ.

الفصل الخامس

فِي صَوْمِهِ ﷺ أَيَّامَ الأُسْبُوعِ

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَانَ يَتَحَرَّى صِيَامَ يَوْمِ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ.

وَعَنْ أَبِي قَتَادَةَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ عَنْ صَوْمِ الاثْنَيْنِ فَقَالَ: **«فِيهِ وُلِدتُ، وَفِيهِ أُنزِلَ عَلَيَّ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«تُعْرَضُ الأَعْمَالُ عَلَى اللّهِ تَعَالَى يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ، فَأُحِبُّ أَنْ يُعْرَضَ عَمَلِي وَأَنَا صَائِمٌ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: كَانَ ﷺ يَصُومُ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ، الاثْنَيْنِ وَالْخَمِيسِ مِنْ هٰذِهِ الْجُمُعَةِ، وَالاثْنَيْنِ مِنَ الْمُقْبِلَةِ، وَفِي أَوَّلِ اثْنَيْنِ مِنَ الشَّهْرِ، ثُمَّ الْخَمِيسَ، ثُمَّ الْخَمِيسَ الَّذِي يَلِيهِ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ ـ أَيْ: أَنَّهُ تَارَةً يَفْعَلُ هٰذَا، وَأُخْرَى هٰذَا ـ.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنهَا: كَانَ يَصُومُ مِنَ الشَّهْرِ: السَّبْتَ وَالأَحَدَ وَالاثْنَيْنَ، وَمِنَ الشَّهْرِ الآخَرِ الثُّلاثَاءِ وَالأَرْبِعَاءَ وَالْخَمِيسَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَعَنْ كُرَيْبٍ مَوْلَى ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: أَرْسَلَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ وَنَاسٌ مِنْ

أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ إِلَى أُمِّ سَلَمَةَ أَسْأَلُهَا: أَيُّ الأَيَّامِ كَانَ النَّبِيُّ ﷺ أَكْثَرَهَا صِيَاماً؟ قَالَتْ: السَّبْتُ وَالأَحَدُ، وَيَقُولُ: «**إِنَّهُمَا عِيدَا الْمُشْرِكِينَ، وَأَنَا أُحِبُّ أَنْ أُخَالِفَهُمَا**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالنَّسَائِيُّ[1].

وَقَدْ ثَبَتَ النَّهْيُ عَنْ إِفْرَادِ يَوْمِ الْجُمُعَةِ بِالصَّوْمِ، إِلاَّ أَنْ يَصُومَ يَوْماً قَبْلَهُ أَوْ يَوْماً بَعْدَهُ.

---

(١) والنهي الوارد عن صوم السبت أو الأحد إنما هو في إفراده.

الفصل السادس

فِي صَوْمِهِ ﷺ الأَيَّامَ الْبِيضَ

وَهِيَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا الْقَمَرُ مِنْ أَوَّلِ اللَّيْلِ إِلَى آخِرِهِ (وَهِيَ ثَلاَثَ عَشْرَةَ، وَأَرْبَعَ عَشْرَةَ، وَخَمسَ عَشْرَةَ).

عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ لاَ يُفْطِرُ أَيَّامَ الْبِيضِ فِي حَضَرٍ وَلاَ سَفَرٍ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَرْبَعٌ لَمْ يَكُنِ النَّبِيُّ ﷺ يَدَعُهُنَّ: صِيَامُ عَاشُورَاءَ، وَالْعَشْرِ، وَأَيَّامِ الْبِيضِ مِنْ كُلِّ شَهْرٍ، وَرَكْعَتَا الْفَجْرِ[(١)]. رَوَاهُ أَحْمَدُ، (وَالْمُرَادُ بِالْعَشْرِ: تِسْعُ ذِي الْحِجَّةِ).

وَرَوَى أَصْحَابُ السُّنَنِ، وَصَحَّحَهُ ابْنُ خُزَيْمَةَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَصُومُ ثَلاَثَةَ أَيَّامٍ مِنْ غُرَّةِ كُلِّ شَهْرٍ[(٢)].

---

(١) أي: سُنّته.

(٢) أي: بدايته.

النوع الخامس

فِي ذِكْرِ اعْتِكَافِهِ ﷺ وَاجْتِهَادِهِ فِي الْعَشْرِ الأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ، وَتَحَرِّيهِ لَيْلَةَ الْقَدْرِ

كَانَ ﷺ يَجْتَهِدُ فِي الْعَشْرِ الأَخِيرِ مِنْ رَمَضَانَ مَا لاَ يَجْتَهِدُ فِي غَيْرِهِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ شَدَّ مِئْزَرَهُ[١]، وَأَحْيَا لَيْلَهُ، وَأَيْقَظَ أَهْلَهُ.

وَعَنْهَا: كَانَ ﷺ إِذَا كَانَ رَمَضَانُ قَامَ وَنَامَ، فَإِذَا دَخَلَ الْعَشْرُ الأَخِيرُ مِنْ رَمَضَانَ طَوَى فِرَاشَهُ، وَاعْتَزَلَ النِّسَاءَ، وَاغْتَسَلَ بَيْنَ الأَذَانَيْنِ[٢]، وَجَعَلَ الْعَشَاءَ سَحُوراً[٣]. أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي عَاصِمٍ.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّهُ ﷺ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوَّلَ مِنْ رَمَضَانَ، ثُمَّ اعْتَكَفَ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ فِي قُبَّةٍ تُرْكِيَّةٍ، ثُمَّ أَطْلَعَ رَأْسَهُ فَقَالَ: **«إِنِّي اعْتَكَفْتُ**

---

(١) كناية عن الجدّ في العبادة.

(٢) أي: بين المغرب والعشاء.

(٣) أي: أخّر فطره إلىٰ السُّحور.

الْعَشْرَ الأَوَّلَ أَلْتَمِسُ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ - يَعْنِي: لَيْلَةَ الْقَدْرِ - ثُمَّ اعْتَكَفْتُ الْعَشْرَ الأَوْسَطَ، ثُمَّ أُتِيتُ فَقِيلَ لِي: إِنَّهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، فَمَنِ اعْتَكَفَ مَعِي فَلْيَعْتَكِفِ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ، فَقَدْ أُرِيتُ هٰذِهِ اللَّيْلَةَ ثُمَّ أُنسِيتُهَا، وَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسْجُدُ فِي مَاءٍ وَطِينٍ مِنْ صَبِيحَتِهَا، فَالْتَمِسُوهَا فِي الْعَشْرِ الأَوَاخِرِ، وَالْتَمِسُوهَا فِي كُلِّ وَتْرٍ مِنْهُ»، قَالَ: فَمَطَرَتِ السَّمَاءُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَكَانَ الْمَسْجِدُ عَلَى عَرِيشٍ، فَوَكَفَ الْمَسْجِدُ[1] فَبَصُرَتْ عَيْنَايَ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ وَعَلَى جَبْهَتِهِ أَثَرُ الْمَاءِ وَالطِّينِ مِنْ صَبِيحَةِ إِحْدَى وَعِشْرِينَ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ. (وَالْقُبَّةُ التُّرْكِيَّةُ: خَيْمَةٌ صَغِيرَةٌ مِنْ لُبُودٍ[2]).

وَلِلَيْلَةِ الْقَدْرِ عَلاَمَاتٌ:

مِنْهَا: مَا رَوَاهُ أَحْمَدُ مِنْ حَدِيثِ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهَا صَافِيَةٌ كَأَنَّ فِيهَا قَمَراً سَاطِعاً، سَاكِنَةٌ لاَ حَرَّ فِيهَا وَلاَ بَرْدَ، وَلاَ يَحِلُّ[3] لِكَوْكَبٍ أَنْ يُرْمَى بِهِ فِيهَا.

وَأَنَّ مِنْ أَمَارَاتِهَا: أَنَّ الشَّمْسَ فِي صَبِيحَتِهَا تَخْرُجُ مُسْتَوِيَةً لَيْسَ لَهَا شُعَاعٌ مِثْلَ الْقَمَرِ لَيْلَةَ الْبَدْرِ، لاَ يَحِلُّ لِلشَّيْطَانِ أَنْ يَخْرُجَ مَعَهَا يَوْمَئِذٍ.

وَرَوَى الْبَيْهَقِيُّ: أَنَّ الْمِيَاهَ الْمَالِحَةَ تَعْذُبُ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ.

---

(١) تقاطر سقفه.

(٢) صوف.

(٣) أي: لا يتفق.

النوع السادس

فِي ذِكْرِ حَجِّهِ وَعُمَرِهِ ﷺ

عَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: **«مَنْ مَلَكَ رَاحِلَةً وَزَاداً يُبَلِّغُهُ إِلَى بَيْتِ اللّهِ الْحَرَامِ فَلَمْ يَحُجَّ؛ فَلاَ عَلَيْهِ أَنْ يَمُوتَ يَهُودِيًّا أَوْ نَصْرَانِيًّا»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَقَالَ ابْنُ الأَثِيرِ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَحُجُّ كُلَّ سَنَةٍ، قَبْلَ أَنْ يُهَاجِرَ.

وَفِي حَدِيثِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: مَكَثَ ﷺ تِسْعَ سِنِينَ لَمْ يَحُجَّ، ثُمَّ أُذِّنَ فِي النَّاسِ فِي الْعَاشِرَةِ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ حَاجٌّ، فَقَدِمَ الْمَدِينَةَ بَشَرٌ كَثِيرٌ كُلُّهُمْ يَلْتَمِسُ أَنْ يَأْتَمَّ بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَيَعْمَلَ مِثْلَ عَمَلِهِ، فَخَرَجْنَا مَعَهُ حَتَّى أَتَيْنَا ذَا الْحُلَيْفَةِ[1]، فَوَلَدَتْ أَسْمَاءُ بِنْتُ عُمَيْسٍ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ، فَأَرْسَلَتْ إِلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ: كَيْفَ أَصْنَعُ؟ فَقَالَ: **«اغْتَسِلِي وَاسْتَثْفِرِي»** ـ أَيْ: احْتَجِزِي بِثَوْبٍ ـ وَأَحْرِمِي، فَصَلَّى رَسُولُ اللّهِ ﷺ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ رَكِبَ الْقَصْوَاءَ[2]، حَتَّى إِذَا اسْتَوَتْ بِهِ نَاقَتُهُ عَلَى الْبَيْدَاءِ[3] نَظَرْتُ مَدَّ بَصَرِي بَيْنَ

---

(١) أو (آبار علي) وهي ميقات مَن توجّه من المدينة المنوّرة.

(٢) ناقته.

(٣) الصحراء.

يَدَيْهِ مِنْ رَاكِبٍ وَمَاشٍ، وَعَنْ يَمِينِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَعَنْ يَسَارِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَمِنْ خَلْفِهِ مِثْلَ ذٰلِكَ، وَرَسُولُ اللّهِ ﷺ بَيْنَ أَظْهُرِنَا، وَعَلَيْهِ يُنْزَلُ الْقُرْآنُ، وَهُوَ يَعْرِفُ تَأْوِيلَهُ، وَمَا عَمِلَ مِنْ شَيْءٍ عَمِلْنَا بِهِ.

وَكَانَ خُرُوجُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنَ الْمَدِينَةِ بَيْنَ الظُّهْرِ وَالْعَصْرِ، فَنَزَلَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، فَصَلَّى بِهَا الْعَصْرَ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ بَاتَ بِهَا وَصَلَّى بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالصُّبْحَ وَالظُّهْرَ، وَكَانَ نِسَاؤُهُ كُلُّهُنَّ مَعَهُ، فَطَافَ عَلَيْهِنَّ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، ثُمَّ اغْتَسَلَ غُسْلاً ثَانِياً لإِحْرَامِهِ غَيْرَ غُسْلِ الْجِمَاعِ الأَوَّلِ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: أَنَّ عَائِشَةَ طَيَّبَتْهُ ﷺ بِذَرِيرَةٍ (وَهِيَ نَوْعٌ مِنَ الطِّيبِ يُجْعَلُ فِيهِ الْمِسْكُ)، قَالَتْ: طَيَّبْتُهُ عِنْدَ إِحْرَامِهِ، ثُمَّ طَافَ فِي نِسَائِهِ، ثُمَّ أَصْبَحَ مُحْرِماً.

وَثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَرْكَعُ بِذِي الْحُلَيْفَةِ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ إِذَ اسْتَوَتْ بِهِ النَّاقَةُ قَائِمَةً عِنْدَ مَسْجِدِ ذِي الْحُلَيْفَةِ أَهَلَّ - أَيْ: رَفَعَ صَوْتَهُ بِالتَّلْبِيَةِ -.

وَقَدِ اخْتَلَفَتْ رِوَايَاتُ الصَّحَابَةِ فِي حَجِّهِ ﷺ حِجَّةَ الْوَدَاعِ: هَلْ كَانَ مُفْرِداً أَوْ قَارِناً أَوْ مُتَمَتِّعاً؟

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الظُّهْرَ بِذِي الْحُلَيْفَةِ، ثُمَّ دَعَا بِنَاقَتِهِ فَأَشْعَرَهَا فِي صَفْحَةِ سَنَامِهَا الأَيْمَنِ، وَسَلَتَ الدَّمَ عَنْهَا، وَقَلَّدَهَا نَعْلَيْنِ. رَوَاهُ مُسْلِمٌ. أَيْ: لِيُعْلَمَ أَنَّهَا هَدْيٌ (وَأَشْعَرَهَا: شَقَّهَا).

وَكَانَ حَجُّهُ ﷺ عَلَى رَحْلٍ[1] رَثٍّ يُسَاوِي أَرْبَعَةَ دَرَاهِمَ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[2].

---

(١) وهو ما يوضع على ظهر البعير.

(٢) في الشمائل بلفظ: «رحل رثٌّ، وقطيفة كنا نرىٰ ثمنها أربعة دراهم».

وَلَمَّا مَرَّ ﷺ بِوَادِي عُسْفَانَ[1] قَالَ: «**يَا أَبَا بَكْرٍ! أَيُّ وَادٍ هٰذَا؟**» قَالَ: وَادِي عُسْفَانَ، قَالَ: «**لَقَدْ مَرَّ بِهِ هُودٌ وَصَالِحٌ عَلَى بَكْرَيْنِ[2] أَحْمَرَيْنِ، خِطَامُهُمَا اللِّيفُ[3]، وَأُزُرُهُمَا الْعَبَاءُ، وَأَرْدِيَتُهُمَا النِّمَارُ، يُلَبُّونَ بِالْحَجِّ، يَحُجُّونَ الْبَيْتَ الْعَتِيقَ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ. (وَالنِّمَارُ: جَمْعُ نَمِرَةٍ؛ بُرْدَةٌ مِنْ صُوفٍ تَلْبَسُهَا الأَعْرَابُ).

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: لَمَّا مَرَّ ﷺ بِوَادِي الأَزْرَقِ قَالَ: «**كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مُوسَى هَابِطاً مِنَ الثَّنِيَّةِ[4]، وَاضِعاً إِصْبَعَيْهِ فِي أُذُنَيْهِ، مَارًّا بِهٰذَا الْوَادِي، وَلَهُ جُؤَارٌ[5] إِلَى اللهِ بِالتَّلْبِيَةِ**».

وَلَمَّا بَلَغَ ﷺ ذَا طُوى[6] عِنْدَ آبَارِ الزَّاهِرِ[7] بَاتَ بِهَا بَيْنَ الثَّنِيَّتَيْنِ، فَلَمَّا أَصْبَحَ صَلَّى الْغَدَاةَ[8]، ثُمَّ اغْتَسَلَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ[9]: كَانَ ﷺ يَدْخُلُ مَكَّةَ مِنَ الثَّنِيَّةِ الْعُلْيَا الَّتِي يُنْزَلُ مِنْهَا إِلَى الْمَعْلاَةِ (مَقْبَرَةِ مَكَّةَ، وَيُقَالُ لَهَا: كَدَاءَ، وَالْحَجُونُ).

وَدَخَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مَكَّةَ لأَرْبَعٍ خَلَوْنَ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَدَخَلَ

---

(١) قرب مكة.
(٢) البَكر: الفتيّ من الإبل.
(٣) الخِطام: ما يوضع على خَطْم الجمل (أنفه) ليُقاد به.
(٤) وهي الطريق في الجبل.
(٥) صوت مرتفع.
(٦) بتثليث الطاء.
(٧) موضع معروف بمحلّة جَرْوَل، أمامه بئر تسمىٰ بذي طوىٰ لكونها مطويّة بالحجارة، وهي في أسفل مكة في صوب طريق العمرة المعتادة ومسجد عائشة.
(٨) صلاة الصبح.
(٩) في الصحيح.

الْمَسْجِدَ الْحَرَامُ ضُحًى مِنْ بَابِ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ (وَهُوَ بَابُ بَنِي شَيْبَةَ) لأَنَّ بَابَ الْكَعْبَةِ فِي جِهَةِ ذٰلِكَ الْبَابِ[1].

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ حُذَيْفَةَ بْنِ أَسِيدٍ: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا نَظَرَ الْبَيْتَ قَالَ: **«اللَّهُمَّ زِدْ بَيْتَكَ هٰذَا تَشْرِيفاً وَتَعْظِيماً وَتَكْرِيماً وَبِرًّا وَمَهَابَةً، وَزِدْ مَنْ شَرَّفَهُ وَعَظَّمَهُ مِمَّنْ حَجَّهُ وَاعْتَمَرَهُ تَعْظِيماً وَتَشْرِيفاً وَبِرًّا وَمَهَابَةً»**.

وَلَمْ يَرْكَعْ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ، إِنَّمَا بَدَأَ بِالطَّوَافِ لأَنَّهُ تَحِيَّةُ الْبَيْتِ، ثُمَّ اسْتَلَمَ ﷺ الْحَجَرَ الأَسْوَدَ بِالْمِحْجَنِ[2].

وَرَوَى الشَّافِعِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: اسْتَقْبَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْحَجَرَ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ وَضَعَ شَفَتَيْهِ عَلَيْهِ طَوِيلاً، وَكَانَ إِذَا اسْتَلَمَ الرُّكْنَ[3] قَالَ: **«بِسْمِ اللَّهِ، وَاللَّهُ أَكْبَرُ»**، وَكُلَّمَا أَتَى الْحَجَرَ قَالَ: **«اللَّهُ أَكْبَرُ»** رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ.

وَلَمَّا اسْتَلَمَ ﷺ الْحَجَرَ مَضَى عَلَى يَمِينِهِ[4]، فَرَمَلَ ثَلاَثاً، وَمَشَى أَرْبَعاً.

وَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ طَوَافِهِ أَتَى الْمَقَامَ فَقَرَأَ: ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾[5]، فَصَلَّى رَكْعَتَيْنِ وَالْمَقَامُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْبَيْتِ، فَقَرَأَ فِيهِمَا بِـ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ۝١﴾ وَ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ ثُمَّ رَجَعَ إِلَى الرُّكْنِ الَّذِي فِيهِ الْحَجَرُ فَاسْتَلَمَهُ، ثُمَّ خَرَجَ مِنَ الْبَابِ إِلَى الصَّفَا، فَلَمَّا دَنَا مِنَ الصَّفَا قَرَأَ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾[6]، أَبْدَأُ بِمَا بَدَأَ اللَّهُ بِهِ، فَبَدَأَ بِالصَّفَا،

---

(١) انظر مخطط المسجد الحرام في كتابي (دليل الحاج والمعتمر والزائر).

(٢) وهو عصاً محنيّة الرأس.

(٣) اليمانيّ.

(٤) فيكون البيت عن يساره.

(٥) سورة البقرة، الآية: ١٢٥.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٥٨.

فَرَقِيَ عَلَيْهِ حَتَّى رَأَى الْبَيْتَ وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَوَحَّدَ اللّهَ وَكَبَّرَهُ وَقَالَ: **«لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ، أَنْجَزَ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ»**، ثُمَّ دَعَا بَيْنَ ذٰلِكَ، قَالَ مِثْلَ هٰذَا ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، ثُمَّ نَزَلَ إِلَى الْمَرْوَةِ ـ أَيْ: تَوَجَّهَ إِلَيْهَا ـ، حَتَّى إِذَا انْصَبَّتْ قَدَمَاهُ فِي بَطْنِ الْوَادِي رَمَلَ، حَتَّى إِذَا صَعِدَتَا مَشَى، حَتَّى أَتَى الْمَرْوَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ كَثُرَ عَلَيْهِ النَّاسُ يَقُولُونَ: هٰذَا مُحَمَّدٌ، هٰذَا مُحَمَّدٌ، حَتَّى خَرَجَ الْعَوَاتِقُ[1] مِنَ الْبُيُوتِ، وَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ لاَ يُضْرَبُ النَّاسُ بَيْنَ يَدَيْهِ، فَلَمَّا كَثُرَ عَلَيْهِ رَكِبَ، وَالْمَشْيُ فِي السَّعْيِ أَفْضَلُ. هٰذَا لَفْظُ رِوَايَةِ مُسْلِمٍ.

وَكَانَ ﷺ مُدَّةَ مَقَامِهِ بِمَنْزِلِهِ الَّذِي نَزَلَ فِيهِ بِالْمُسْلِمِينَ بِظَاهِرِ مَكَّةَ يَقْصُرُ الصَّلاَةَ فِيهِ، وَكَانَتْ مُدَّةُ إِقَامَتِهِ بِمَكَّةَ قَبْلَ الْخُرُوجِ إِلَى مِنًى أَرْبَعَةَ أَيَّامٍ.

وَقَدِمَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ مِنَ الْيَمَنِ عَلَى رَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ لَهُ: **«بِمَ أَهْلَلْتَ؟»** فَقَالَ: بِمَا أَهَلَّ بِهِ رَسُولُ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: **«لَوْلاَ أَنَّ مَعِيَ الْهَدْيَ لأَحْلَلْتُ»** رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ جَمَاعَةُ الْهَدْيِ[2] الَّذِي قَدِمَ بِهِ عَلِيٌّ مِنَ الْيَمَنِ وَالَّذِي أَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ مِئَةً.

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ التَّرْوِيَةِ (وَهُوَ الثَّامِنُ مِنْ ذِي الْحِجَّةِ، وَكَانَ يَوْمَ الْخَمِيسِ

---

(١) الأبكار من النساء.

(٢) جملتها.

ضُحى) رَكِبَ ﷺ وَتوَجَّهَ بِالْمُسْلِمِينَ إِلَى مِنًى وَقَدْ أَحْرَمَ بِالْحَجِّ مَنْ كَانَ أَحَلَّ مِنْهُمْ، فَصَلَّى ﷺ بِمِنًى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ وَالْفَجْرَ، ثُمَّ مَكَثَ قَلِيلاً حَتَّى طَلَعَتِ الشَّمْسُ، وَأَمَرَ بِقُبَّةٍ مِنْ شَعْرٍ فَضُرِبَتْ لَهُ بِنَمِرَةَ مِنْ عَرَفَةَ، فَلَمَّا بَلَغَهَا نَزَلَ بِهَا، حَتَّى إِذَا زَاغَتِ الشَّمْسُ[1] أَمَرَ بِالْقَصْوَاءِ[2] فَرُحِلَتْ لَهُ[3]، فَرَكِبَ، فَأَتَى بَطْنَ الْوَادِي[4]، فَخَطَبَ النَّاسَ وَقَالَ: **«إِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ حَرَامٌ عَلَيْكُمْ كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا، أَلاَ إِنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمَيَّ مَوْضُوعٌ»**، وَوَضَعَ: أَيْ: أَسْقَطَ دِمَاءَ الْجَاهِلِيَّةِ وَرِبَاهَا، وَأَوْصَى بِالنِّسَاءِ خَيْراً، وَقَالَ فِي آخِرِ خُطْبَتِهِ ﷺ: **«وَقَدْ تَرَكْتُ فِيكُمْ مَا لَنْ تَضِلُّوا بَعْدَهُ إِنِ اعْتَصَمْتُمْ بِهِ: كِتَابَ اللّهِ، وَأَنْتُمْ تُسْأَلُونَ عَنِّي فَمَا أَنْتُمْ قَائِلُونَ؟»** قَالُوا: نَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ وَأَدَّيْتَ وَنَصَحْتَ، فَقَالَ بِإِصْبَعِهِ السَّبَّابَةِ يَرْفَعُهَا إِلَى السَّمَاءِ وَيَنْكُتُهَا[5] إِلَى النَّاسِ، وَيَقُولُ: **«اللَّهُمَّ اشْهَدْ»** (ثَلاثَ مَرَّاتٍ)، ثُمَّ أَذَّنَ بِلاَلٌ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الظُّهْرَ، ثُمَّ أَقَامَ فَصَلَّى الْعَصْرَ، وَلَمْ يُصَلِّ بَيْنَهُمَا شَيْئاً.

وَلَمَّا فَرَغَ ﷺ مِنْ صَلاَتِهِ رَكِبَ حَتَّى أَتَى الْمَوْقِفَ[6]، فَجَعَلَ بَطْنَ نَاقَتِهِ الْقَصْوَاءِ إِلَى الصَّخَرَاتِ[7]، وَجَعَلَ حَبْلَ الْمُشَاةِ بَيْنَ يَدَيْهِ[8]، وَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ ﷺ يَوْمَ عَرَفَةَ فِي الْمَوْقِفِ: **«اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ كَالَّذِي نَقُولُ وَخَيْراً مِمَّا نَقُولُ، اللَّهُمَّ لَكَ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي، وَإِلَيْكَ مَآبِي،**

---

(١) مالت عن وسْط السماء.
(٢) ناقته.
(٣) وُضع عليها رِحالها (وهو ما يُركَب عيه).
(٤) وادي عُرَنَة.
(٥) يشير بها.
(٦) في عرفات.
(٧) المفترشات أسفل جبل الرحمة.
(٨) طريقهم الذي يسلكونه في الرَّمْل.

وَلَكَ رَبِّ تُرَاثِي[1]، **اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَوَسْوَسَةِ الصَّدْرِ، وَشَتَاتِ الأَمْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيَاحُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا تَجِيءُ بِهِ الرِّيحُ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ.

وَفِي التِّرْمِذِيِّ: «**أَفْضَلُ الدُّعَاءِ يَوْمَ عَرَفَةَ، وَأَفْضَلُ مَا قُلْتُهُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».

وَكَانَ مِنْ دُعَائِهِ ﷺ فِي عَرَفَةَ أَيْضاً كَمَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَسْمَعُ كَلاَمِي، وَتَرَى مَكَانِي، وَتَعْلَمُ سِرِّي وَعَلاَنِيَتِي، لاَ يَخْفَى عَلَيْكَ شَيْءٌ مِنْ أَمْرِي، أَنَا الْبَائِسُ الْفَقِيرُ الْمُسْتَغِيثُ الْمُسْتَجِيرُ الْوَجِلُ**[2] **الْمُشْفِقُ، الْمُقِرُّ الْمُعْتَرِفُ بِذُنُوبِهِ، أَسْأَلُكَ مَسْأَلَةَ الْمِسْكِينِ، وَأَبْتَهِلُ إِلَيْكَ ابْتِهَالَ الْمُذْنِبِ الذَّلِيلِ، وَأَدْعُوكَ دُعَاءَ الْخَائِفِ الضَّرِيرِ**[3]، **مَنْ خَضَعَتْ لَكَ رَقَبَتُهُ، وَفَاضَتْ لَكَ عَبْرَتُهُ**[4]، **وَذَلَّ لَكَ جِسْمُهُ، وَرَغِمَ لَكَ أَنْفُهُ**[5]، **اللَّهُمَّ لاَ تَجْعَلْنِي بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا، وَكُنْ بِي رَؤُوفاً رَحِيماً، يَا خَيْرَ الْمَسْؤُولِينَ، وَيَا خَيْرَ الْمُعْطِينَ**».

وَأَتَاهُ ﷺ نَاسٌ مِنْ أَهْلِ نَجْدٍ وَهُوَ بِعَرَفَةَ فَسَأَلُوهُ كَيْفَ الْحَجُّ؟ فَأَمَرَ مُنَادِياً يُنَادِي: «**الْحَجُّ عَرَفَةُ، مَنْ جَاءَ لَيْلَةَ جَمْعٍ** - أَيْ: قَبْلَ طُلُوعِ الْفَجْرِ - **فَقَدْ أَدْرَكَ الْحَجَّ، أَيَّامُ مِنًى ثَلاَثَةٌ، فَمَنْ تَعَجَّلَ فِي يَوْمَيْنِ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ، وَمَنْ**

---

(١) ما أخلّفه لورثتي.

(٢) الخائف.

(٣) الذي أصابه الضرّ.

(٤) دمعته.

(٥) لصق بالتراب، بمعنى: خضع وذلّ.

تَأَخَّرَ فَلاَ إِثْمَ عَلَيْهِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. (وَجَمْعٌ: هِيَ الْمُزْدَلِفَةُ، وَلَيْلَتُهَا: لَيْلَةُ الْعِيدِ).

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ[١] قَالَ ﷺ بِعَرَفَةَ: **«وَقَفْتُ هٰهُنَا، وَعَرَفَةُ كُلُّهَا مَوْقِفٌ، وَهٰهُنَا أُنْزِلَ عَلَيَّ ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾»** الآيَةَ[٢]، كَمَا فِي الصَّحِيحَيْنِ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ.

وَلَمَّا غَرَبَتِ الشَّمْسُ بِحَيْثُ ذَهَبَتِ الصُّفْرَةُ قَلِيلا حِينَ غَابَ الْقُرْصُ أَفَاضَ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ، وَأَرْدَفَ أُسَامَةَ خَلْفَهُ وَقَدْ شَنَقَ[٣] لِلْقَصْوَاءِ الزِّمَامَ، حَتَّى إِنَّ رَأْسَهَا لَيُصِيبُ مَوْرِكَ رَحْلِهِ[٤] وَيَقُولُ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: **«أَيُّهَا النَّاسُ السَّكِينَةَ السَّكِينَةَ»**، وَكُلَّمَا أَتَى حَبْلاً مِنَ الْحِبَالِ[٥] أَرْخَى لَهَا قَلِيلاً حَتَّى تَصْعَدَ[٦]، وَأَفَاضَ مِنْ طَرِيقِ الْمَأْزِمَيْنِ[٧]. (وَمَعْنَى الْحَبْلِ: التَّلُّ اللَّطِيفُ مِنَ الرَّمْلِ. وَطَرِيقُ الْمَأْزِمَيْنِ: بَيْنَ عَرَفَةَ وَالْمَشْعَرِ الْحَرَامِ[٨]).

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ[٩]: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ سَمِعَ وَرَاءَهُ زَجْراً شَدِيداً وَضَرْباً لِلإِبِلِ، فَأَشَارَ بِسَوْطِهِ وَقَالَ: **«أَيُّهَا النَّاسُ! عَلَيْكُمْ بِالسَّكِينَةِ، فَإِنَّ الْبِرَّ لَيْسَ بِالإِيضَاعِ»** يَعْنِي: بِالإِسْرَاعِ.

---

(١) ومسلم.

(٢) سورة المائدة، الآية: ٣.

(٣) ضمّ وضيّق.

(٤) وهو الموضع الذي يَثني الراكب رِجله عليه قُدّام واسطة الرحل إذا ملّ من الركوب. أو هو قطعة أدَم يتورك عليها الراكب، تُجعل في مقدّم الرَّحْل شبه المِخدّة الصغيرة.

(٥) الحَبْل من الرمْل: ما طال وامتد كالحَبْل.

(٦) رواه مسلم من حديث جابر.

(٧) انظر مخطط مشاعر الحج في كتابي (دليل الحاج والمعتمر والزائر).

(٨) أي: مزدلفة.

(٩) عند البخاري.

وَفِي رِوَايَةِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: كَانَ يَسِيرُ الْعَنَقَ، فَإِذَا وَجَدَ فَجْوَةً نَصَّ. (وَالْعَنَقُ: سَيْرٌ بَيْنَ الإِبْطَاءِ وَالإِسْرَاعِ. وَالنَّصُّ: فَوْقَ الْعَنَقِ. وَالْفَجْوَةُ: الْمَكَانُ الْوَاسِعُ).

وَلَمَّا كَانَ ﷺ فِي أَثْنَاءِ الطَّرِيقِ نَزَلَ فَبَالَ، وَتَوَضَّأَ وُضُوءاً خَفِيفاً، فَقَالَ لَهُ أُسَامَةُ: الصَّلاَةُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «**الصَّلاَةُ أَمَامَكَ**»، فَرَكِبَ حَتَّى أَتَى مُزْدَلِفَةَ، فَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِهَا الْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا بِإِقَامَةٍ، وَتَرَكَ ﷺ قِيَامَ اللَّيْلِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ، وَنَامَ حَتَّى أَصْبَحَ، مَعَ كَوْنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَقُومُ اللَّيْلَ حَتَّى تَوَرَّمَتْ قَدَمَاهُ، وَلٰكِنَّهُ أَرَاحَ نَفْسَهُ الشَّرِيفَةَ لِمَا تَقَدَّمَ[(١)] فِي عَرَفَةَ، وَلِمَا هُوَ بِصَدَدِهِ يَوْمَ النَّحْرِ مِنْ كَوْنِهِ نَحَرَ بِيَدِهِ الْمُبَارَكَةِ ثَلاَثاً وَسِتِّينَ بَدَنَةً، وَذَهَبَ إِلَى مَكَّةَ لِطَوَافِ الإِفَاضَةِ، وَرَجَعَ إِلَى مِنًى. كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي شَرْحِ تَقْرِيبِ الأَسَانِيدِ[(٢)].

وَعَنْ عَبَّاسِ بْنِ مِرْدَاسٍ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ دَعَا لأُمَّتِهِ عَشِيَّةَ عَرَفَةَ بِالْمَغْفِرَةِ، فَأُجِيبَ: «**إِنِّي قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ مَا خَلاَ الظَّالِمَ، فَإِنِّي آخُذُ لِلْمَظْلُومِ مِنْهُ**»، قَالَ: «**أَيْ رَبِّ! إِنْ شِئْتَ أَعْطَيْتَ الْمَظْلُومَ مِنَ الْجَنَّةِ وَغَفَرْتَ لِلظَّالِمِ**»، فَلَمْ يُجَبْ عَشِيَّتَهُ، فَلَمَّا أَصْبَحَ بِالْمُزْدَلِفَةِ أَعَادَ الدُّعَاءَ فَأُجِيبَ إِلَى مَا سَأَلَ، قَالَ: فَضَحِكَ ﷺ، أَوْ قَالَ: تَبَسَّمَ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمَا: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي إِنَّ هٰذِهِ لَسَاعَةٌ مَا كُنْتَ تَضْحَكُ فِيهَا، فَمَا الَّذِي أَضْحَكَكَ؟ أَضْحَكَ اللَّهُ سِنَّكَ، قَالَ: «**إِنَّ عَدُوَّ اللَّهِ إِبْلِيسَ لَمَّا عَلِمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ اسْتَجَابَ دُعَائِي وَغَفَرَ لأُمَّتِي أَخَذَ التُّرَابَ فَجَعَلَ يَحْثُوهُ عَلَى رَأْسِهِ، وَيَدْعُو بِالْوَيْلِ وَالثُّبُورِ، فَأَضْحَكَنِي مَا رَأَيْتُ مِنْ جَزَعِهِ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَأَبُو دَاوُدَ.

---

(١) له من الأعمال.

(٢) تقريب الأسانيد للحافظ العراقي، وشرحه لولده أبي زُرْعة أحمد بن عبدالرحيم.

وَقَدْ جَاءَ فِي بَعْضِ الرِّوَايَاتِ عَنْ غَيْرِ الْعَبَّاسِ مَا يُبَيِّنُ أَنَّ الْمُرَادَ مِنَ الأُمَّةِ مَنْ وَقَفَ بِعَرَفَةَ. وَقَالَ الطَّبَرِيُّ: إِنَّهُ مَحْمُولٌ بِالنِّسْبَةِ إِلَى الْمَظَالِمِ عَلَى مَنْ تَابَ وَعَجَزَ عَنْ وَفَائِهِ.

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ فِي الْحَدِيثِ الصَّحِيحِ: «**مَنْ حَجَّ فَلَمْ يَرْفُثْ وَلَمْ يَفْسُقْ خَرَجَ مِنْ ذُنُوبِهِ كَيَوْمِ وَلَدَتْهُ أُمُّهُ**»(١).

وَهُوَ مَخْصُوصٌ بِالْمَعَاصِي الْمُتَعَلِّقَةِ بِحُقُوقِ اللَّهِ تَعَالَى خَاصَّةً دُونَ الْعِبَادِ(٢).

وَلَمَّا طَلَعَ الْفَجْرُ صَلَّى النَّبِيُّ ﷺ الْفَجْرَ حِينَ تَبَيَّنَ الصُّبْحُ بِأَذَانٍ وَإِقَامَةٍ.

وَفِي سُنَنِ النَّسَائِيِّ: قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِلْفَضْلِ بْنِ الْعَبَّاسِ غَدَاةَ النَّحْرِ(٣) وَهُوَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى رَاحِلَتِهِ: «**هَاتِ الْقُطْ لِي**»، فَلَقَطَ حَصَيَاتٍ مِثْلَ حَصَى الْخَذْفِ ـ أَيْ: الرَّمْيِ، وَالْمُرَادُ: الْحَصَىٰ الصِّغَارُ ـ فَلَمَّا وَضَعَهُنَّ فِي يَدِهِ قَالَ: «**بِأَمْثَالِ هٰؤُلاَءِ، وَإِيَّاكُمْ وَالْغُلُوَّ فِي الدِّينِ، فَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِالْغُلُوِّ فِي الدِّينِ**».

ثُمَّ رَكِبَ النَّبِيُّ ﷺ الْقَصْوَاءَ(٤) حَتَّى أَتَى الْمَشْعَرَ الْحَرَامَ(٥)، فَرَقِيَ عَلَيْهِ، فَاسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَكَبَّرَهُ وَهَلَّلَهُ وَوَحَّدَهُ، فَلَمْ يَزَلْ وَاقِفاً حَتَّى أَسْفَرَ جِدًّا(٦)، فَدَفَعَ قَبْلَ أَنْ تَطْلُعَ الشَّمْسُ.

---

(١) وهو في البخاري ومسلم بلفظ: «**مَن حجّ هذا البيت فلم يرفُث ولم يفسق رجع كما ولدته أمّه**».

(٢) وبالصغائر دون الكبائر علىٰ قول الجمهور. قال ابن تيمية: مَن اعتقد أن الحج يُسقِط ما وجب عليه من الحقوق (كالصلاة) يُستتاب، وإلا قُتِل، ولا يَسقط حق الآدمي بالحج إجماعاً. اهـ من الأصل.

(٣) صبح يوم النحر.

(٤) ناقته.

(٥) وهو جبل صغير آخر المزدلفة يسمىٰ (قُزَح).

(٦) الإسفار: تبيُّن الوجوه.

وَفِي حَدِيثِ عَلِيٍّ عِنْدَ الطَّبرِيِّ: لَمَّا أَصْبَحَ ﷺ بِالْمُزْدَلِفَةِ غَدَا فَوَقَفَ عَلَى قُزَحَ، وَأَرْدَفَ الْفَضْلَ، ثُمَّ قَالَ: **«هٰذَا الْمَوْقِفُ، وَكُلُّ الْمُزْدَلِفَةِ مَوْقِفٌ»** حَتَّى إِذَا أَسْفَرَ دَفَعَ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ أُسَامَةَ قَالَ: كُنْتُ رِدْفَ النَّبِيِّ ﷺ مِنْ عَرَفَةَ إِلَى الْمُزْدَلِفَةِ، ثُمَّ أَرْدَفَ الْفَضْلَ مِنَ الْمُزْدَلِفَةِ إِلَى مِنًى، فَكِلاَهُمَا قَالَ: لَمْ يَزَلِ النَّبِيُّ ﷺ يُلَبِّي حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَغَيْرُهُمَا.

وَفِي رِوَايَةِ جابِرٍ[1]: فَلَمَّا أَتَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَطْنَ مُحَسِّرٍ حَرَّكَ نَاقَتَهُ وَأَسْرَعَ السَّيْرَ قَلِيلاً. (وَمُحَسِّرٌ: مَوْضِعٌ بَيْنَ مُزْدَلِفَةَ وَمِنًى، وَهُوَ مَكَانٌ نَزَلَ فِيهِ الْعَذَابُ عَلَى أَصْحَابِ الْفِيلِ).

ثُمَّ سَلَكَ ﷺ الطَّرِيقَ الْوُسْطَى الَّتِي تَخْرُجُ عَلَى الْجَمْرَةِ الْكُبْرَى حَتَّى أَتَى الْجَمْرَةَ الَّتِي عِنْدَ الشَّجَرَةِ، فَرَمَاهَا بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، رَمَى مِنْ بَطْنِ الْوَادِي، وَجَعَلَ الْبَيْتَ عَنْ يَسَارِهِ، وَمِنًى عَنْ يَمِينِهِ، وَاسْتَقْبَلَ الْجَمْرَةَ، وَكَانَ رَمْيُهُ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ ضُحًى، كَمَا قَالَهُ جَابِرٌ فِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ[2].

وَفِي رِوَايَةِ أُمِّ الْحُصَيْنِ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ: رَأَيْتُ أُسَامَةَ وَبِلاَلاً، أَحَدُهُمَا آخِذٌ بِخِطَامِ[3] نَاقَةِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، وَالآخَرُ رَافِعٌ ثَوْبَهُ يَسْتُرُهُ مِنَ الْحَرِّ، حَتَّى رَمَى جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ.

وَعَنْ أُمِّ جُنْدُب: رَأَيْتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَرْمِي الْجَمْرَةَ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي وَهُوَ رَاكِبٌ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَرَجُلٌ مِنْ خَلْفِهِ يَسْتُرُهُ ـ أَيْ: مِنَ

---

(١) عند مسلم.

(٢) كأصحاب السنن.

(٣) الخِطام: ما يوضع علىٰ خَطم (أنف) الجمل ليقاد به.

الْحَرّ ـ، فَسَأَلْتُ عَنِ الرَّجُلِ فَقَالُوا: الْفَضْلُ بْنُ الْعَبَّاسِ. وَازْدَحَمَ النَّاسُ فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ لاَ يَقْتُلْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً، وَإِذَا رَمَيْتُمُ الْجَمْرَةَ فَارْمُوا بِمِثْلِ حَصَى الْخَذْفِ»**(١).

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ وَأَبِي دَاوُدَ قَالَ: رَأَيْتُهُ ﷺ يَرْمِي عَلَى رَاحِلَتِهِ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ يَقُولُ: **«خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، لاَ أَدْرِي لَعَلِّي لاَ أَحُجُّ بَعْدَ حِجَّتِي هٰذِهِ»**.

وَفِي رِوَايَةِ قُدَامَةَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: رَأَيْتُهُ ﷺ يَرْمِي الْجِمَارَ عَلَى نَاقَةٍ لَهُ صَهْبَاءَ(٢)، لَيْسَ ضَرْبٌ وَلاَ طَرْدٌ، وَلاَ إِلَيْكَ إِلَيْكَ(٣).

ثُمَّ انْصَرَفَ ﷺ إِلَى الْمَنْحَرِ، فَنَحَرَ ثَلاَثاً وَسِتِّينَ بَدَنَةً، ثُمَّ أَعْطَى عَلِيًّا فَنَحَرَ مَا غَبَرَ، وَأَشْرَكَهُ فِي هَدْيِهِ(٤)، ثُمَّ أَمَرَ مِنْ كُلِّ بَدَنَةٍ بِبَضْعَةٍ، فَجُعِلَتْ فِي قِدْرٍ فَطُبِخَتْ، فَأَكَلاَ مِنْ لَحْمِهَا، وَشَرِبَا مِنْ مَرَقِهَا(٥). (قَوْلُهُ «فَنَحَرَ مَا غَبَرَ» أَيْ: مَا بَقِيَ مِنَ الْبُدْنِ، وَكَانَتْ مِئَةً).

وَفِي رِوَايَةِ جَابِرٍ عِنْدَ مُسْلِمٍ: نَحَرَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَنْ نِسَائِهِ بَقَرَةً.

ثُمَّ أَتَى رَسُولُ اللّهِ ﷺ مَنْزِلَهُ بِمِنًى، ثُمَّ قَالَ لِلْحَلاَّقِ: **«خُذْ»**، فَبَدَأَ بِالشِّقِّ الأَيْمَنِ، فَوَزَّعَهُ الشَّعْرَةَ وَالشَّعْرَتَيْنِ بَيْنَ النَّاسِ، ثُمَّ قَالَ: **«بِالأَيْسَرِ»**، فَصَنَعَ مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ قَالَ: **«هٰهُنَا أَبُو طَلْحَةَ؟»** فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ(٦).

---

(١) رواه أبو داود. والخَذْف: جعْل الحصاة بين السبابتين، أو وضع طرف الإبهام علىٰ طرف السبابة ورميها. وقدْر حصى الخذف: دون الأنملة.

(٢) ذات لون أصفر ضارب إلىٰ شيء من الحمرة والبياض.

(٣) أي: ما كان الناس يُضربون أو يُطردون، ولا يقال لهم: إليك إليك (أي: ابتعِد).

(٤) أي: في ذبحها، أو أشرك النبي ﷺ عليًا في ثواب هديه.

(٥) رواه مسلم وأبو داود.

(٦) وقال: اقسمه بين الناس. رواه الشيخان.

وَعِنْدَ الإِمَامِ أَحْمَدَ: وَقَلَّمَ ﷺ أَظْفَارَهُ، وَقَسَمَهَا بَيْنَ النَّاسِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُحَلِّقِينَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَلِلْمُقَصِّرِينَ؟ قَالَ: «**وَلِلْمُقَصِّرِينَ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَفِي رِوَايَةِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرٍو(١): وَقَفَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ بِمِنًى لِلنَّاسِ يَسْأَلُونَهُ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَمْ أَشْعُرْ فَحَلَقْتُ قَبْلَ أَنْ أَنْحَرَ، فَقَالَ: «**اذْبَحْ وَلاَ حَرَجَ**»، ثُمَّ جَاءَ رَجُلٌ آخَرُ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَمْ أَشْعُرْ فَنَحَرْتُ قَبْلَ أَنْ أَرْمِيَ، فَقَالَ: «**ارْمِ وَلاَ حَرَجَ**»، قَالَ: فَمَا سُئِلَ عَنْ شَيْءٍ قُدِّمَ أَوْ أُخِّرَ إِلاَّ قَالَ: «**افْعَلْ وَلاَ حَرَجَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ يَوْمَ النَّحْرِ فَقَالَ: «**إِنَّ الزَّمَانَ قَدِ اسْتَدَارَ كَهَيْئَتِهِ يَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضَ، السَّنَةُ اثْنَا عَشَرَ شَهْراً، مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ، ثَلاَثَةٌ مُتَوَالِيَاتٌ: ذُو الْقَعْدَةِ، وَذُو الْحِجَّةِ، وَالْمُحَرَّمُ، وَرَجَبُ مُضَرَ**(٢)» الَّذِي بَيْنَ جُمَادَى وَشَعْبَانَ، وَقَالَ: «**أَيُّ شَهْرٍ هٰذَا؟**» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «**أَلَيْسَ ذَا الْحِجَّةِ؟**» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**أَيُّ بَلَدٍ هٰذَا؟**» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «**أَلَيْسَ الْبَلَدَ الْحَرَامَ؟**» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ: «**فَأَيُّ يَوْمٍ هٰذَا؟**» قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، فَسَكَتَ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُسَمِّيهِ بِغَيْرِ اسْمِهِ، قَالَ: «**أَلَيْسَ يَوْمَ النَّحْرِ؟**» قُلْنَا: بَلَى، قَالَ:

---

(١) ابن العاصي.

(٢) وهي قريش. وكان بين مضر وربيعة اختلاف في رجب، فكانت مضر تجعل رجَباً بين جمادىٰ وشعبان، وكانت ربيعة تجعله رمضان، فلهذا أضافه ﷺ إلىٰ مضر. وقيل: لأنهم كانوا يعظِّمونه أكثر من غيرهم. انظر شرح مسلم للنووي.

«**فَإِنَّ دِمَاءَكُمْ وَأَمْوَالَكُمْ وَأَعْرَاضَكُمْ عَلَيْكُمْ حَرَامٌ، كَحُرْمَةِ يَوْمِكُمْ هٰذَا، فِي بَلَدِكُمْ هٰذَا، فِي شَهْرِكُمْ هٰذَا، وَسَتَلْقَوْنَ رَبَّكُمْ فَيَسْأَلُكُمْ عَنْ أَعْمَالِكُمْ، أَلاَ لاَ تَرْجِعُوا بَعْدِي كُفَّاراً ضُلاَّلاً يَضْرِبُ بَعْضُكُمْ رِقَابَ بَعْضٍ، أَلاَ هَلْ بَلَّغْتُ؟**» قَالُوا: نَعَمْ، قَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْهَدْ، فَلْيُبَلِّغِ الشَّاهِدُ الْغَائِبَ، فَرُبَّ مُبَلَّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَفِي رِوَايَةٍ لِلْبُخَارِيِّ: فَوَدَّعَ النَّاسَ.

وَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ: عَنْ عَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ مُعَاذٍ التَّيْمِيِّ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَنَحْنُ بِمِنًى، فَفُتِحَتْ أَسْمَاعُنَا حَتَّى كُنَّا نَسْمَعُ مَا يَقُولُ وَنَحْنُ فِي مَنَازِلِنَا، فَطَفِقَ يُعَلِّمُهُمْ مَنَاسِكَهُمْ حَتَّى بَلَغَ الْجِمَارَ، فَوَضَعَ إِصْبَعَيْهِ السَّبَّابَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: «**بِحَصَى الْخَذْفِ**»[1]، ثُمَّ أَمَرَ الْمُهَاجِرِينَ فَنَزَلُوا فِي مُقَدَّمِ الْمَسْجِدِ، وَأَمَرَ الأَنْصَارَ أَنْ يَنْزِلُوا وَرَاءَ الْمَسْجِدِ، قَالَ: ثُمَّ نَزَلَ النَّاسُ بَعْدَ ذٰلِكَ.

ثُمَّ رَكِبَ ﷺ قَبْلَ الظُّهْرِ، فَأَفَاضَ إِلَى الْبَيْتِ، فَطَافَ طَوَافَ الإِفَاضَةِ (وَهُوَ طَوَافُ الزِّيَارَةِ، وَالرُّكْنِ، وَالصَّدَرِ).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ كَانَ يَزُورُ الْبَيْتَ كُلَّ لَيْلَةٍ مَا أَقَامَ بِمِنًى. الْحَدِيثَ.

وَأَتَى ﷺ زَمْزَمَ (وَبَنُو عَبْدِالْمُطَّلِبِ يَسْقُونَ عَلَيْهَا) فَقَالَ: «**انْزِعُوا**[2] **بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَلَوْلاَ أَنْ يَغْلِبَكُمُ النَّاسُ عَلَى سِقَايَتِكُمْ لَنَزَعْتُ مَعَكُمْ**»، فَنَاوَلُوهُ دَلْواً فَشَرِبَ مِنْهُ.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ عَبَّاسٍ[3]: فَشَرِبَ وَهُوَ قَائِمٌ[4].

---

(١) أي: بالحصى الصغار.

(٢) النزع: رفع الماء من البئر.

(٣) عند الشيخين.

(٤) لبيان الجواز، أما النهي عن الشرب قائماً فمحمول على كراهة التنزيه.

وَصَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الظُّهْرَ يَوْمَئِذٍ بِمَكَّةَ. وَقِيلَ بِمِنًى، وَفِي كُلٍّ حَدِيثٌ صَحِيحٌ[١].

ثُمَّ رَجَعَ ﷺ إِلَى مِنًى، فَمَكَثَ بِهَا لَيَالِيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ، يَرْمِي الْجَمْرَةَ إِذَا زَالَتِ الشَّمْسُ[٢] كُلَّ جَمْرَةٍ بِسَبْعِ حَصَيَاتٍ، يُكَبِّرُ مَعَ كُلِّ حَصَاةٍ، وَيَقِفُ عِنْدَ الأُولَى وَالثَّانِيَةِ فَيُطِيلُ الْقِيَامَ فِيهِمَا وَيَتَضَرَّعُ، وَيَرْمِي الثَّالِثَةَ فَلاَ يَقِفُ عِنْدَهَا. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ: كَانَ ﷺ إِذَا رَمَى الْجِمَارَ مَشَى إِلَيْهَا ذَاهِباً وَرَاجِعاً.

وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ[٣]: وَكَانَ يَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ فِي الْجَمْرَتَيْنِ الدُّنْيَا وَالْوُسْطَى، وَيَرْمِي جَمْرَةَ الْعَقَبَةِ مِنْ بَطْنِ الْوَادِي[٤].

ثُمَّ أَفَاضَ ﷺ بَعْدَ الظُّهْرِ يَوْمَ الثَّلاَثَاءِ بَعْدَ أَنْ أَكْمَلَ رَمْيَ أَيَّامِ التَّشْرِيقِ وَلَمْ يَتَعَجَّلْ فِي يَوْمَيْنِ إِلَى الْمُحَصَّبِ (وَهُوَ الأَبْطَحُ[٥]، وَحَدُّهُ مَا بَيْنَ الْجَبَلَيْنِ إِلَى الْمَقْبَرَةِ[٦]، وَهُوَ خَيْفُ بَنِي كِنَانَةَ)[٧] فَوَجَدَ مَوْلاَهُ أَبَا رَافِعٍ[٨] قَدْ ضَرَبَ[٩] قُبَّتَهُ هُنَاكَ، وَكَانَ عَلَى ثَقَلِهِ[١٠].

---

(١) عند مسلم.
(٢) عن وسط السماء عند الظهر.
(٣) وهو في الصحيحين.
(٤) جاعلاً مكة عن يساره، ومنًى عن يمينه، والعقبةَ أمامه.
(٥) الأبطح: المكان المتّسع يمرّ به السيل فيترك فيه الرمل والحصىٰ الصغار.
(٦) مقبرة المعْلاة. انظر مخطط مشاعر الحج في كتابي (دليل الحج والمعتمر والزائر).
(٧) الخَيْف: الناحية. وأصل الخَيْف: ما انحدر عن غِلَظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء.
(٨) عبده وخادمه، واسمه: أسلم.
(٩) نصَب.
(١٠) متاعه.

وَعَنْ أَنَسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ صَلَّى الظُّهْرَ وَالْعَصْرَ وَالْمَغْرِبَ وَالْعِشَاءَ، ثُمَّ رَقَدَ رَقْدَةً بِالْمُحَصَّبِ، ثُمَّ رَكِبَ إِلَى الْبَيْتِ وَطَافَ بِهِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَهٰذَا هُوَ طَوَافُ الْوَدَاعِ.

ثُمَّ ارْتَحَلَ ﷺ رَاجِعاً إِلَى الْمَدِينَةِ، فَخَرَجَ مِنْ كُدَى (وَهِيَ عِنْدَ بَابِ شُبَيْكَةَ).

وَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ وَغَيْرِهِ، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّهُ ﷺ لَقِيَ رَكْباً بِالرَّوْحَاءِ(١)، فَقَالَ: **«مَنِ الْقَوْمُ؟»** فَقَالُوا: الْمُسْلِمُونَ، فَقَالُوا: مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: **«رَسُولُ اللّهِ»**، فَرَفَعَتِ امْرَأَةٌ صَبِيًّا لَهَا فِي مِحَفَّةٍ(٢) فَقَالَتْ: يَا رَسُولَ اللّهِ أَلِهٰذَا حَجٌّ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَلَكِ أَجْرٌ»**.

وَلَمَّا وَصَلَ ﷺ لِذِي الْحُلَيْفَةِ بَاتَ بِهَا لِئَلاَّ يَدْخُلَ الْمَدِينَةَ لَيْلاً، فَلَمَّا رَأَى الْمَدِينَةَ كَبَّرَ ثَلاَثَاً وَقَالَ: **«لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ، وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، آيِبُونَ تَائِبُونَ عَابِدُونَ سَاجِدُونَ، لِرَبِّنَا حَامِدُونَ، صَدَقَ اللّهُ وَعْدَهُ، وَنَصَرَ عَبْدَهُ، وَهَزَمَ الأَحْزَابَ وَحْدَهُ»**.

ثُمَّ دَخَلَ الْمَدِينَةَ نَهَاراً مِنْ طَرِيقِ الْمُعَرَّسِ (مَكَانٌ مَعْرُوفٌ، وَهُوَ وَالشَّجَرَةُ(٣) الَّتِي بَاتَ بِهَا ﷺ فِي ذِهَابِهِ إِلَى مَكَّةَ عَلَى سِتَّةِ أَمْيَالٍ مِنَ الْمَدِينَةِ).

وأَمَّا عُمَرُهُ ﷺ:

فَهِيَ أَرْبَعٌ: فَفِي الصَّحِيحَيْنِ وَسُنَنِ التِّرْمِذِيِّ وَأَبِي دَاوُدَ: عَنْ قَتَادَةَ قَالَ:

---

(١) موضع بين الحرمين على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة. والميل ١٧١٨,٧ متراً.

(٢) المِحَفَّة: الهودج الذي لا قُبّة له، تركب فيه المرأة.

(٣) موضع معروف على طريق مَن أراد الذهاب إلى مكة من المدينة.

سَأَلْتُ أَنَساً كَمْ حَجَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ؟ قَالَ: «**حِجَّةً وَاحِدَةً**»(١)، وَاعْتَمَرَ أَرْبَعَ عُمَرٍ: عُمْرَةً فِي ذِي الْقَعْدَةِ(٢)، وَعُمْرَةَ الْحُدَيْبِيَةِ(٣)، وَعُمْرَةً مَعَ حِجَّتِهِ، وَعُمْرَةَ الْجِعْرَانَةِ(٤)، إِذْ قَسَمَ غَنِيمَةَ حُنَيْنٍ. وَهٰذَا لَفْظُ رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ.

(١) أي: بعد الهجرة، وإلا فقد كان يحج عليه الصلاة والسلام كل سنة قبل أن يهاجر.

(٢) من السنة السادسة في غزوة الحديبية، والتي صدّه المشركون عنها.

(٣) في ذي القعدة من السنة السابعة، وهي عمرة القضاء، وسمّيت بذلك لأن الرسول ﷺ قاضىٰ فيها قريشاً (أي: صالحهم)، وليست قضاءً عن العمرة التي صُدَّ عنها، لأنها لم تلزم في الذمة، فلا يجب قضاؤها، والمحصَر يرجع أمره كما كان قبل الإحرام، فإن أُحصر في نُسُك الفرض بقي في ذمّته، وإن أُحصر في تطوُّع لم يلزمه شيء.

(٤) في ذي القعدة من السنة الثامنة بعد فتح مكة ورجوعه من الطائف.

النوع السابع

فِي ذِكْرِ نُبْذَةٍ مِنْ أَدْعِيَتِهِ، وَاسْتِجَابَةِ دُعَائِهِ، وَاسْتِغْفَارِهِ، وَقِرَاءَتِهِ ﷺ

كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدَعُ مَا سِوَى ذٰلِكَ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ. (وَالْجَوَامِعُ: الَّتِي تَجْمَعُ الأَغْرَاضَ الصَّالِحَةَ وَالْمَقَاصِدَ الصَّحِيحَةَ، أَوْ تَجْمَعُ الثَّنَاءَ عَلَى اللّهِ تَعَالَى وَآدَابَ الْمَسْأَلَةِ).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي دُعَائِهِ: **«اللَّهُمَّ أَصْلِحْ لِي دِينِي الَّذِي هُوَ عِصْمَةُ أَمْرِي، وَأَصْلِحْ لِي دُنْيَايَ الَّتِي فِيهَا مَعَاشِي، وَأَصْلِحْ لِي آخِرَتِي الَّتِي إِلَيْهَا مَعَادِي، وَاجْعَلِ الْحَيَاةَ زِيَادَةً لِي فِي كُلِّ خَيْرٍ، وَاجْعَلِ الْمَوْتَ رَاحَةً لِي مِنْ كُلِّ شَرٍّ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: **«اللَّهُمَّ انْفَعْنِي بِمَا عَلَّمْتَنِي، وَعَلِّمْنِي مَا يَنْفَعُنِي، وَزِدْنِي عِلْماً، الْحَمْدُ لِلّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ، وَأَعُوذُ بِاللّهِ مِنْ حَالِ أَهْلِ النَّارِ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ ﷺ: **«رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً، وَفِي الآخِرَةِ حَسَنَةً، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ»** رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «رَبِّ أَعِنِّي وَلاَ تُعِنْ عَلَيَّ، وَانْصُرْنِي وَلاَ تَنْصُرْ عَلَيَّ، وَامْكُرْ لِي وَلاَ تَمْكُرْ عَلَيَّ، وَاهْدِنِي وَانْصُرْنِي عَلَى مَنْ بَغَى عَلَيَّ، رَبِّ اجْعَلْنِي لَكَ شَاكِراً، لَكَ ذَاكِراً، لَكَ رَاهِباً، مِطْوَاعاً لَكَ، مُخْبِتاً[1] إِلَيْكَ، أَوَّاهاً مُنِيباً، رَبِّ تَقَبَّلْ تَوْبَتِي، وَاغْسِلْ حَوْبَتِي[2]، وَأَجِبْ دَعْوَتِي، وَثَبِّتْ حُجَّتِي، وَسَدِّدْ لِسَانِي، وَاهْدِ قَلْبِي، وَاسْلُلْ سَخِيمَةَ صَدْرِي» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. (وَالسَّخِيمَةُ: الْحِقْدُ).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبِكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلْتُ، وَإِلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبِكَ خَاصَمْتُ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِعِزَّتِكَ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ أَنْ تُضِلَّنِي، أَنْتَ الْحَيُّ لاَ تَمُوتُ، وَالْجِنُّ وَالإِنْسُ يَمُوتُونَ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْهُدَى وَالتُّقَى وَالْعَفَافَ وَالْغِنَى» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ مَسْعُودٍ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي وَجَهْلِي، وَإِسْرَافِي فِي أَمْرِي، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي جِدِّي وَهَزْلِي، وَخَطَئِي وَعَمْدِي، وَكُلُّ ذٰلِكَ عِنْدِي، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ، وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوسَى.

وَكَانَ أَكْثَرَ دُعَائِهِ ﷺ: «يَا مُقَلِّبَ الْقُلُوبِ! ثَبِّتْ قَلْبِي عَلَى دِينِكَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُمِّ سَلَمَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ عَافِنِي فِي جَسَدِي، وَعَافِنِي فِي سَمْعِي

---

(١) خاشعاً.

(٢) ذنبي.

وَبَصَرِي، وَاجْعَلْهُمَا الْوَارِثَ مِنِّي، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللّٰهِ رَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ رَبِّ اغْسِلْ خَطَايَايَ بِمَاءِ الثَّلْجِ وَالْبَرَدِ، وَنَقِّ قَلْبِي مِنَ الْخَطَايَا كَمَا نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ، وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِقَوْمٍ فِتْنَةً فَاقْبِضْنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ» رَوَاهُ مَالِكٌ فِي الْمُوَطَّأ.

وَكَانَ ﷺ يَدْعُو: «اللَّهُمَّ فَالِقَ الإِصْبَاحِ، وَجَاعِلَ اللَّيْلِ سَكَناً، وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَاناً، اقْضِ عَنِّي الدَّيْنَ، وَأَغْنِنِي مِنَ الْفَقْرِ، وَأَمْتِعْنِي بِسَمْعِي وَبَصَرِي وَقُوَّتِي، وَتَوَفَّنِي فِي سَبِيلِكَ» رَوَاهُ فِي الْمُوَطَّأ.

وَكَانَ ﷺ يَتَعَوَّذُ فَيَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ وَالْكَسَلِ، وَالْجُبْنِ وَالْهَرَمِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَفِي رِوَايَةِ أَبِي دَاوُدَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَضَلَعِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الرِّجَالِ». (وَضَلَعُ الدَّيْنِ: ثِقَلُهُ وَشِدَّتُهُ).

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ وَالْجُنُونِ وَسَيِّءِ الأَسْقَامِ» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَمِلْتُ، وَمِنْ شَرِّ مَا لَمْ أَعْمَلْ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ قَلْبٍ لاَ يَخْشَعُ، وَمِنْ دُعَاءٍ لاَ يُسْمَعُ، وَمِنْ نَفْسٍ لاَ تَشْبَعُ، وَمِنْ عِلْمٍ لاَ يَنْفَعُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ هٰؤُلاَءِ الأَرْبَعِ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ زَوَالِ نِعْمَتِكَ، وَتَحَوُّلِ عَافِيَتِكَ، وَفَجْأَةِ**[1] **نِقْمَتِكَ، وَجَمِيعِ سَخَطِكَ**» رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَمْرٍو أَيْضاً.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفَقْرِ وَالْقِلَّةِ وَالذِّلَّةِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ أَظْلِمَ أَوْ أُظْلَمَ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشِّقَاقِ وَالنِّفَاقِ وَسُوءِ الأَخْلاَقِ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُوعِ فَإِنَّهُ بِئْسَ الضَّجِيعُ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخِيَانَةِ فَإِنَّهَا بِئْسَتِ الْبِطَانَةُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَيْضاً.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ، وَغَلَبَةِ الْعَدُوِّ، وَشَمَاتَةِ الأَعْدَاءِ**» رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَدْمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ التَّرَدِّي، وَمِنَ الْغَرَقِ وَالْحَرَقِ**[2] **وَالْهَرَمِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ**[3] **أَنْ يَتَخَبَّطَنِي الشَّيْطَانُ عِنْدَ الْمَوْتِ، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ فِي سَبِيلِكَ مُدْبِراً، وَأَعُوذُ بِكَ أَنْ أَمُوتَ لَدِيغاً**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي الْيَسَرِ.

وَكَانَ ﷺ يَتَعَوَّذُ مِنْ عَيْنِ الْجِنِّ وَالإِنْسِ، فَلَمَّا نَزَلَتِ الْمُعَوِّذَتَانِ أَخَذَ بِهِمَا وَتَرَكَ مَا سِوَى ذٰلِكَ. رَوَاهُ النَّسَائِيُّ.

---

(١) أو: فُجاءة.

(٢) بفتح الراء: النار.

(٣) لا توجد (مِن) عند أبي داود ولا النسائي.

وَكَانَ ﷺ إِذَا خَافَ قَوْماً قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّا نَجْعَلُكَ فِي نُحُورِهِمْ، وَنَعُوذُ بِكَ مِنْ شُرُورِهِمْ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ.

وَكَانَ ﷺ يُعَوِّذُ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ، وَيَقُولُ: «**إِنَّ أَبَاكُمَا**[١] **كَانَ يُعَوِّذُ بِهِمَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ، أُعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ**[٢] **وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّةٍ**» رَوَاهُ الْبُخَارِي وَالتِّرْمِذِيُّ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَدْعُو عِنْدَ الْكَرْبِ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ الْعَظِيمُ الْحَلِيمُ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ، لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ رَبُّ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ**».

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا هَمَّهُ أَمْرٌ رَفَعَ رَأْسَهُ إِلَى السَّمَاءِ وَقَالَ: «**سُبْحَانَ اللهِ الْعَظِيمِ**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِذَا كَرَبَهُ أَمْرٌ قَالَ: «**يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ! بِرَحْمَتِكَ أَسْتَغِيثُ**» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**مَا كَرَبَنِي أَمْرٌ إِلاَّ تَمَثَّلَ لِي جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! قُلْ: تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لاَ يَمُوتُ، وَالْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ، وَكَبِّرْهُ تَكْبِيراً**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ.

وَكَانَ ﷺ يَقُولُ فِي الضَّالَّةِ: «**اللَّهُمَّ رَادَّ الضَّالَّةِ، وَهَادِيَ الضَّالَّةِ، أَنْتَ تَهْدِي مِنَ الضَّلاَلَةِ، ارْدُدْ عَلَيَّ ضَالَّتِي بِعِزَّتِكَ وَسُلْطَانِكَ، فَإِنَّهَا مِنْ عَطَائِكَ وَفَضْلِكَ**» رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الصَّغِيرِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ.

---

(١) إبراهيم عليه الصلاة والسلام.

(٢) وهي: كل ذات سُمّ يقتلُ، والجمع: الهوامّ.

وَكَانَ ﷺ يَدْعو هٰكَذَا: بِبَاطِنِ كَفَّيْهِ[1] وَظَاهِرِهِمَا[2]. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ عَنْ أَنَسٍ، وَقَالَ أَبُو مُوسَى الأَشْعَرِيُّ كَمَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ، ثُمَّ رَفَعَ يَدَيْهِ حَتَّى رَأَيْتُ بَيَاضَ إِبْطَيْهِ.

وَرَوَى الإِمَامُ أَحْمَدُ وَالْحَاكِمُ وَأَبُو دَاوُدَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ يَرْفَعُ يَدَيْهِ إِذَا دَعَا حَذْوَ مَنْكِبَيْهِ. وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ مَاجَهْ: وَيَبْسُطُهُمَا. وَرَوَى ابْنُ عَبَّاسٍ: كَانَ ﷺ إِذَا دَعَا ضَمَّ كَفَّيْهِ وَجَعَلَ بُطُونَهُمَا مِمَّا يَلِي وَجْهَهُ[3]، وَلاَ يَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ فِي الْقُنُوتِ فِي الصَّلاَةِ، أَمَّا خَارِجَهَا فَقَدْ رُوِيَ فِيهِ خَبَرٌ[4].

وَأَمَّا اسْتِجَابَةُ دُعَائِهِ:

فَقَدْ أَخْرَجَ ابْنُ سَعْدٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: دَعَا لِي النَّبِيُّ ﷺ: «**اللَّهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَأَطِلْ عُمْرَهُ، وَاغْفِرْ لَهُ**»، فَقَدْ دَفَنْتُ مِنْ صُلْبِي مِئَةً وَاثْنَيْنِ، وَإِنَّ ثَمَرَتِي لَتَحْمِلُ فِي السَّنَةِ مَرَّتَيْنِ، وَلَقَدْ بَقِيتُ حَتَّى سَئِمْتُ الْحَيَاةَ، وَأَرْجُو الرَّابِعَةَ.

وَدَعَا ﷺ لِمَالِكِ بْنِ رَبِيعَةَ السَّلُولِيِّ: أَنْ يُبَارَكَ لَهُ فِي وَلَدِهِ، فَوُلِدَ لَهُ ثَمَانُونَ ذَكَراً. رَوَاهُ ابْنُ عَسَاكِر.

وَأَرْسَلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى عَلِيٍّ يَوْمَ خَيْبَرَ ـ وَكَانَ أَرْمَدَ ـ فَتَفَلَ فِي عَيْنَيْهِ، وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ أَذْهِبْ عَنْهُ الْحَرَّ وَالْبَرْدَ**»، قَالَ: فَمَا وَجَدْتُ حَرًّا وَلاَ بَرْداً مُنْذُ ذٰلِكَ الْيَوْمِ، وَلاَ رَمِدَتْ عَيْنَايَ[5].

وَبَعَثَ ﷺ عَلِيًّا إِلَى الْيَمَنِ قَاضِياً، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! لاَ عِلْمَ لِي

---

(١) إن دعا بنحو تحصيل شيء.

(٢) إن دعا بدفع بلاء.

(٣) رواه الطبراني في الكبير.

(٤) ضعيف.

(٥) رواه الطبراني.

بِالْقَضَاءِ، فَقَالَ: «**ادْنُ مِنِّي**»، فَدَنَا مِنْهُ، فَضَرَبَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهِ وَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اهْدِ قَلْبَهُ، وَثَبِّتْ لِسَانَهُ**»، قَالَ عَلِيٌّ: فَوَاللَّهِ مَا شَكَكْتُ فِي قَضَاءٍ بَيْنَ اثْنَيْنِ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(١).

وَعَادَ ﷺ عَلِيًّا مِنْ مَرَضٍ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْفِهِ، اللَّهُمَّ عَافِهِ**»، ثُمَّ قَالَ: «**قُمْ**»، قَالَ عَلِيٌّ: فَمَا عَادَ لِي ذٰلِكَ الْوَجَعُ بَعْدُ. رَوَاهُ الْحَاكِمُ وَغَيْرُهُ(٢).

وَمَرِضَ أَبُو طَالِبٍ، فَعَادَهُ النَّبِيُّ ﷺ، فَقَالَ(٣): يَا ابْنَ أَخِي ادْعُ رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُ أَنْ يُعَافِيَنِي، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ اشْفِ عَمِّي**»، فَقَامَ أَبُو طَالِبٍ كَأَنَّمَا أُنْشِطَ - أَيْ: حُلَّ - مِنْ عِقَالٍ، فَقَالَ: يَا ابْنَ أَخِي إِنَّ رَبَّكَ الَّذِي تَعْبُدُ

---

(١) فمن ذلك: أن امرأة جاءت إليه وقالت: توفّي أخي وخلّف ست مئة درهم، فما أعطاني القاضي سوىٰ درهم واحد، فقال لها: مات أخوك وخلّف بنتين فلهما الثلثان أربع مئة درهم، والزوجة لها الثمن خمسة وسبعين، والأم لها السدس مئة درهم، بقي خمسة وعشرون، وله من الإخوة الذكور اثنا عشر، أخذ كل واحد درهمين، فلم يبقَ إلا درهم واحد، فهو لك.
وسئل وهو علىٰ المنبر: رجل مات عن امرأة وأبوين وبنتين فقال علىٰ الفور: صار ثُمن المرأة تُسعاً، ومرّ علىٰ خطبته. وذلك أن للزوجة الثمن، ولكل من الأب والأم السدس، وللبنتين الثلثين، فعالت المسألة من أربع وعشرين إلىٰ سبع وعشرين، فصار نصيب المرأة التُّسع بدل الثُّمن.

		٢٤ ⟵ ٢٧
$\frac{١}{٨}$	زوجة	٣
$\frac{١}{٦}$	أب	٤
$\frac{١}{٦}$	أم	٤
$\frac{٢}{٣}$	بنت ٢	١٦

(٢) البيهقي وأبو نُعيم.
(٣) أبو طالب.

لَيُطِيعُكَ، فَقَالَ: «**وَأَنْتَ يَا عَمَّاهُ لَئِنْ أَطَعْتَ اللّهَ لَيُطِيعَنَّكَ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[1] مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ.

وَدَعَا ﷺ لابْنِ عَبَّاسٍ فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، اللَّهُمَّ أَعْطِ ابْنَ عَبَّاسٍ الْحِكْمَةَ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**» رَوَاهُ الْبَغَوِيُّ. وَفِي الْبُخَارِيِّ: «**اللَّهُمَّ عَلِّمْهُ الْكِتَابَ**»، فَكَانَ حَبْرَ الأُمَّةِ[2]، بَحْرَ الْعِلْمِ، رَئِيسَ الْمُفَسِّرِينَ، تَرْجُمَانَ الْقُرْآنِ.

وَقَالَ ﷺ لِلنَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ لَمَّا أَنْشَدَهُ (وَلاَ خَيْرَ فِي حِلْمٍ) الْبَيْتَيْنِ:

وَلاَ خَيْرَ فِيْ حِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... بَوَادِرُ تَحْمِي صَفْوَهُ إِنْ تَكَدَّرَا
وَلاَ خَيْرَ فِي عِلْمٍ إِذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ ... حَلِيمٌ إِذَا مَا أَوْرَدَ الأَمْرَ أَصْدَرَا

لاَ يَفْضُضِ اللّهُ فَاكَ ـ أَيْ: لاَ يُسْقِطِ اللّهُ أَسْنَانَكَ ـ فَأَتَى عَلَيْهِ أَكْثَرُ مِنْ مِئَةِ سَنَةٍ، وَكَانَ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ ثَغْراً[3]. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَسَقَاهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَمْرُو بْنُ أَخْطَبَ مَاءً فِي قَدَحِ قَوَارِيرَ[4]، فَرَأَى فِيهِ شَعْرَةً بَيْضَاءَ فَأَخَذَهَا[5]، فَقَالَ ﷺ: «**اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ**»، فَبَلَغَ ثَلاَثاً وَتِسْعِينَ سَنَةً وَمَا فِي لِحْيَتِهِ وَرَأْسِهِ[6] شَعْرَةٌ بَيْضَاءُ. رَوَاهُ الإِمَامُ أَحْمَدُ.

وَرَوَى مَعْمَرٌ: أَنَّ يَهُودِيًّا حَلَبَ لِلنَّبِيِّ ﷺ نَاقَةً، فَقَالَ: «**اللَّهُمَّ جَمِّلْهُ**» فَاسْوَدَّ شَعْرُهُ وَعَاشَ تِسْعِينَ سَنَةً فَلَمْ يَشِبْ. أَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي شَيْبَةَ.

---

(١) ابن عدي وأبو نُعيم.
(٢) عالمَها.
(٣) سِنًّا.
(٤) زجاج.
(٥) رواية أحمد: فكانت فيه شعرة فأخذتها.
(٦) لا توجد هذه الكلمة في المسند.

وَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لابْنِ الْحَمِقِ الْخُزَاعِيِّ وَقَدْ سَقَى النَّبِيَّ ﷺ لَبَناً: **«اللَّهُمَّ مَتِّعْهُ بِشَبَابِهِ»**، فَمَرَّتْ عَلَيْهِ ثَمَانُونَ سَنَةً وَلَمْ يَرَ شَعْرَةً بَيْضَاءَ. رَوَاهُ أَبُو نُعَيْمٍ.

وَجَاءَتْهُ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وَقَدْ عَلاَهَا الصُّفْرَةُ مِنَ الْجُوعِ، فَنَظَرَ إِلَيْهَا ﷺ، وَوَضَعَ يَدَهُ عَلَى صَدْرِهَا، ثُمَّ قَالَ: **«اللَّهُمَّ مُشْبِعَ الْجَاعَةِ، لاَ تُجِعْ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ»**، قَالَ عِمْرَانُ بْنُ الْحُصَيْنِ: فَنَظَرْتُ إِلَيْهَا وَقَدْ عَلاَهَا الدَّمُ عَلَى الصُّفْرَةِ فِي وَجْهِهَا، وَلَقِيتُهَا بَعْدُ فَقَالَتْ: مَا جُعْتُ يَا عِمْرَانُ. ذَكَرَهُ يَعْقُوبُ الإِسْفَرَائِينِيُّ.

وَدَعَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لِعُرْوَةَ بْنِ الْجَعْدِ الْبَارِقِيِّ، فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ بَارِكْ لَهُ فِي صَفْقَةِ يَمِينِهِ»**، قَالَ: فَمَا اشْتَرَيْتُ شَيْئاً قَطُّ إِلاَّ رَبِحْتُ فِيهِ(١).

وَقَالَ لِجَرِيرٍ وَكَانَ لاَ يَثْبُتُ عَلَى الْخَيْلِ وَضَرَبَ فِي صَدْرِهِ: **«اللَّهُمَّ ثَبِّتْهُ، وَاجْعَلْهُ هَادِياً مَهْدِيًّا»**، قَالَ: فَمَا وَقَعْتُ عَنْ فَرَسٍ بَعْدُ.

وَقَالَ لِسَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَّاصٍ: **«اللَّهُمَّ أَجِبْ دَعْوَتَهُ»**، فَكَانَ مُجَابَ الدَّعْوَةِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ(٢).

وَدَعَا لِعَبْدِالرَّحْمٰنِ بْنِ عَوْفٍ بِالْبَرَكَةِ، قَالَ: فَلَوْ رَفَعْتُ حَجَراً لَرَجَوْتُ أَنْ أُصِيبَ تَحْتَهُ ذَهَباً أَوْ فِضَّةً. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

---

(١) رواه البخاري.

(٢) كالطبراني. فمن أشهر ذلك ما روي في الصحيحين أن أهل الكوفة شكَوا سعداً إلىٰ عمر بن الخطاب، فبعث مَن يسأل عنه، فأثنوا عليه خيراً، إلا أسامة بن قتادة إذ قال فيه: إنه لا يسير في السريّة، ولا يَقسِم بالسويّة، ولا يعدل في الرعية القضيّة، فبلغ سعداً فقال: اللهم إن كان عبدك هذا قام مقام رياء وسمعة فأطِل عمره، وأدِم فقره، وأغم بصره، وعرِّضه للفتن، فصار شيخاً كبيراً يقف في الطريق فيغمز الجواري، فيقال له فيَقول: شيخ مفتون أصابته دعوة سعد.

وَدَعَا ﷺ عَلَى مُضَرَ[1] فَأَقْحَطُوا، حَتَّى أَكَلُوا الْعِلْهِزَ (وَهُوَ الدَّمُ بِالْوَبَرِ)، حَتَّى اسْتَعْطَفَتْهُ قُرَيْشٌ[2].

وَدَعَا ﷺ عَلَى عُتَيْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ فَقَالَ: **«اللَّهُمَّ سَلِّطْ عَلَيْهِ كَلْباً مِنْ كِلابِكَ»**، فَقَتَلَهُ الأَسَدُ. وَتَقَدَّمَتْ قِصَّتُهُ فِي الْمَقْصَدِ الثَّانِي[3].

وَعَنْ مَازِنٍ الطَّائِيِّ ـ وَكَانَ بِأَرْضِ عُمَانَ ـ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! إِنِّي امْرُؤٌ مُولَعٌ بِالطَّرَبِ وَشُرْبِ الْخَمْرِ وَالنِّسَاءِ، وَأَلَحَّتْ عَلَيْنَا السُّنُونَ فَأَذْهَبْنَ الأَمْوَالَ وَأَهْزَلْنَ الذَّرَارِيَ وَالرِّجَالَ، وَلَيْسَ لِيَ وَلَدٌ فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يُذْهِبَ عَنِّي مَا أَجِدُ، وَيَأْتِيَنِي بِالْحَيَا ـ أَيْ: الْمَطَرِ ـ وَيَهَبَ لِي وَلَداً، فَقَالَ ﷺ: **«اللَّهُمَّ أَبْدِلْهُ بِالطَّرَبِ قِرَاءَةَ الْقُرْآنِ، وَبِالْحَرَامِ الْحَلالَ، وَأْتِهِ بِالْحَيَا، وَهَبْ لَهُ وَلَداً»**، قَالَ مَازِنٌ: فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَنِّي كُلَّ مَا كُنْتُ أَجِدُ، وَأَخْصَبَتْ عُمَانُ، وَتَزَوَّجْتُ أَرْبَعَ حَرَائِرَ، وَوَهَبَ اللَّهُ لِي حَيَّانَ بْنَ مَازِنٍ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَلَمَّا نَزَلَ ﷺ بِتَبُوكَ صَلَّى إِلَى نَخْلَةٍ، فَمَرَّ رَجُلٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا[4]،

---

(١) قريش.

(٢) رواه الحاكم والطبراني.

(٣) في المواهب اللدنيّة. ملخّصها: أنه تزوّج أم كلثوم بنتَ رسول الله ﷺ كما تزوّج أخوه عتبةُ أختَها رقيّةَ، فلما نزلت ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِى لَهَبٍ﴾ قال لهما أبوهما: رأسي من رأسكما حرام إن لم تفارقا ابنتَي محمد، ففارقاهما ولم يكونا دخلا بهما، ويروىٰ أن عُتيبة لما فارق أمَّ كُلثوم جاء إلىٰ النبي ﷺ فقال: كفرتُ بدينك، وفارقت ابنتك، لا تحبّني ولا أحبّك، ثم سطا عليه، وشقّ قميصه وهو خارج نحو الشام تاجراً، فقال ﷺ: **«اللهم سلّط عليه كلباً من كلابك»**، حتىٰ إذا نزلوا مكاناً من الشام يقال له الزرقاء ليلاً، فأطاف بهم الأسد، فجعلت فرائص عتيبة تُرعد وهو يقول: هو والله آكلي كما دعا عليَّ محمد، حتىٰ جاء النوم، فأحاطوا به، وأحاطوا أنفسهم بمتاعهم، ووسّطوه بينهم، وناموا، فجاء الأسد يستنشق رؤوسهم رَجُلاً رَجُلاً، حتىٰ انتهىٰ إليه فأخذ برأسه.

(٤) قاصداً قطع صلاة النبي ﷺ.

فَقَالَ ﷺ: «**قَطَعَ صَلاَتَنَا، قَطَعَ اللَّهُ أَثَرَهُ**»، فَأُقْعِدَ فَلَمْ يَقُمْ. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَأَكَلَ رَجُلٌ عِنْدَهُ بِشِمَالِهِ، فَقَالَ ﷺ: «**كُلْ بِيَمِينِكَ**»، قَالَ: لاَ أَسْتَطِيعُ، قَالَ: «**لاَ اسْتَطَعْتَ**»، فَمَا رَفَعَهَا إِلَى فِيهِ بَعْدُ[1]. وَالرَّجُلُ: بُسْرُ بْنُ رَاعِي الْعَيْرِ[2].

وَكَانَ مُعَاوِيَةُ رَدِيفَهُ يَوْماً، فَقَالَ: «يَا مُعَاوِيَةُ! مَا يَلِينِي مِنْكَ؟» قَالَ: بَطْنِي، قَالَ: «**اللَّهُمَّ امْلأْهُ عِلْماً وَحِلْماً**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[3].

وَقَالَ ﷺ لأَبِي ثَرْوَانَ: «**اللَّهُمَّ أَطِلْ شَقَاءَهُ وَبَقَاءَهُ**»، فَأُدْرِكَ شَيْخاً كَبِيراً شَقِيًّا يَتَمَنَّى الْمَوْتَ. (وَالشَّقَاءُ هُنَا: التَّعَبُ). وَأَبُو ثَرْوَانَ كَانَ رَاعِيَ إِبِلٍ، فَدَخَلَ النَّبِيُّ ﷺ إِبِلَهُ فِي أَوَّلِ الإِسْلاَمِ لَمَّا هَرَبَ مِنْ قُرَيْشٍ، فَأَخْرَجَهُ مِنْهَا، فَدَعَا عَلَيْهِ، ثُمَّ أَسْلَمَ، فَاسْتَغْفَرَ لَهُ.

وَلَمْ يُنْقَلْ أَنَّهُ ﷺ دَعَا بِشَيْءٍ فَلَمْ يُسْتَجَبْ.

وَأَمَّا اسْتِغْفَارُهُ:

فَكَانَ ﷺ يَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَيَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ وَاللَّيْلَةِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «**أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الَّذِي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**» فِي الْمَجْلِسِ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِئَةَ مَرَّةٍ، وَلَهُ عَنْهُ أَيْضاً: إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّ لِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي الْمَجْلِسِ: «**رَبِّ اغْفِرْ لِي وَتُبْ عَلَيَّ إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الْغَفُورُ**» مِئَةَ مَرَّةٍ.

---

(١) رواه مسلم وزاد: «لم يمنعه إلا الكِبْر».

(٢) العَير: الحمار. أما العِير فالقافلة من الإبل والبغال والحمير.

(٣) في تاريخه.

وَأَخْرَجَ أَيْضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ جَمَعَ النَّاسَ فَقَالَ: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ! تُوبُوا إِلَى اللّهِ، فَإِنِّي أَتُوبُ إِلَيْهِ فِي الْيَوْمِ مِئَةَ مَرَّةٍ»**.

وَدُعَاؤُهُ وَاسْتِغْفَارُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ تَشْرِيعٌ لأُمَّتِهِ، وَإِظْهَارٌ لِعُبُودِيَّتِهِ.

وَوَرَدَ فِي حَدِيثِ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ عِنْدَ الْبُخَارِيِّ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: **«سَيِّدُ الاسْتِغْفَارِ أَنْ يَقُولَ الْعَبْدُ: اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّي لاَ إِلٰهَ إِلاَّ أَنْتَ، خَلَقْتَنِي وَأَنَا عَبْدُكَ، وَأَنَا عَلَى عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ مَا اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ[1] بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ، وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ»** قَالَ: **«مَنْ قَالَهَا مِنَ النَّهَارِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ مِنْ يَوْمِهِ قَبْلَ أَنْ يُمْسِيَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَمَنْ قَالَهَا مِنَ اللَّيْلِ مُوقِناً بِهَا فَمَاتَ قَبْلَ أَنْ يُصْبِحَ فَهُوَ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ»** فَتَعَيَّنَ أَنَّ هٰذِهِ الْكَيْفِيَّةَ هِيَ الأَفْضَلُ.

وَأَمَّا قِرَاءَتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَصِفَتُهَا:

فَكَانَتْ مَدًّا، يَمُدُّ بِبِسْمِ اللّهِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمٰنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ عَنْ أَنَسٍ.

وَنَعَتَتْهَا أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا: قِرَاءَةً مُفَسَّرَةً حَرْفاً حَرْفاً. رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ[2].

وَقَالَتْ أَيْضاً: كَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ يَقُولُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ ثُمَّ يَقِفُ، ثُمَّ يَقُولُ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ ثُمَّ يَقِفُ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

---

(١) أعترف.

(٢) النسائي والترمذي.

وَقَالَتْ حَفْصَةُ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ يُرَتِّلُ السُّورَةَ، حَتَّى تَكُونَ أَطْوَلَ مِنْ أَطْوَلَ مِنْهَا[١]. رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَقَالَ الْبَرَاءُ: كَانَ ﷺ يَقْرَأُ فِي الْعِشَاءِ: ﴿وَٱلتِّينِ وَٱلزَّيْتُونِ ۝١﴾، فَمَا سَمِعْتُ أَحَداً أَحْسَنَ صَوْتاً أَوْ قِرَاءَةً مِنْهُ ﷺ. رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَكَانَ ﷺ يَتَغَنَّى بِقِرَاءَتِهِ، وَيُرَجِّعُ صَوْتَهُ أَحْيَاناً[٢] كَمَا رَجَّعَ يَوْمَ الْفَتْحِ فِي قِرَاءَةِ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ۝١﴾[٣].

وَقَدِ اسْتَمَعَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ لَيْلَةً لِقِرَاءَةِ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، فَلَمَّا أَخْبَرَهُ بِذٰلِكَ قَالَ: لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ أَنَّكَ تَسْمَعُهُ لَحَبَّرْتُهُ لَكَ تَحْبِيراً، أَيْ: حَسَّنْتُهُ وَزَيَّنْتُهُ بِصَوْتِي تَزْيِيناً.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**لِكُلِّ شَيْءٍ حِلْيَةٌ، وَحِلْيَةُ الْقُرْآنِ حُسْنُ الصَّوْتِ**»[٤].

---

(١) يعني: أن مدة قراءته لها أطول من قراءة سورة أخرىٰ أطول منها إذا قرئت غير مرتّلة.

(٢) أي: يحسّنه، ويمدّ زائداً علىٰ الترتيل مع تقارُب ضروب الحركات في القراءة.

(٣) سورة الفتح، الآية: ١. ذكر الحديث البخاري.

(٤) ضعّفه ابن حبّان والذهبي.

المقصد العاشر

فِي إتْمَامِ اللّهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ ﷺ، وَزِيَارَةِ قَبْرِهِ الْشَّرِيفِ وَمَسْجِدِهِ الْمُنِيفِ[1]، وَتَفْضِيلِهِ فِي الآخِرَةِ وَتَشْرِيفِهِ بِخَصَائِصِ الزُّلْفَى فِي مَشْهَدِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُرْسَلِينَ، وَتَخْصِيصِهِ بِالشَّفَاعَةِ الْعُظْمَى وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فِي مَجْمَعِ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ، وَتَرَقِّيهِ فِي الْجَنَّاتِ إِلَى أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَفِيهِ ثَلاَثَةُ فُصُولٍ

(١) المرتفع على غيره.

الفصل الأول

فِي إتْمَامِهِ نِعْمَتَهُ عَلَيْهِ بِوَفَاتِهِ وَنُقْلَتِهِ إِلَى حَظِيرَةِ قُدْسِهِ لَدَيْهِ ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ الْمَوْتَ لَمَّا كَانَ مَكْرُوهاً بِالطَّبْعِ لَمْ يَمُتْ نَبِيٌّ مِنَ الأَنْبِيَاءِ حَتَّى يُخَيَّرَ، وَأَوَّلُ مَا أُعْلِمَ بِهِ ﷺ بِاقْتِرَابِ أَجَلِهِ سُورَةُ ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾، وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ هٰذِهِ السُّورَةَ آخِرُ سُورَةٍ نَزَلَتْ يَوْمَ النَّحْرِ وَهُوَ ﷺ بِمِنًى فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ، وَقِيلَ: عَاشَ بَعْدَهَا أَحداً وَثَمَانِينَ يَوْماً.

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ الدَّارِمِيِّ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَاطِمَةَ وَقَالَ: «**نُعِيَتْ إِلَيَّ نَفْسِي**»، فَبَكَتْ، قَالَ: «**لاَ تَبْكِي، فَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِي لُحُوقاً بِي**»، فَضَحِكَتْ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ۝١﴾ نُعِيَتْ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ نَفْسُهُ، فَأَخَذَ بِأَشَدِّ مَا كَانَ قَطُّ اجْتِهَاداً فِي الآخِرَةِ.

وَلِلطَّبَرَانِيِّ مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ: لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ السُّورَةُ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِجِبْرِيلَ: «**نَعَيْتَ إِلَيَّ نَفْسِي؟**» فَقَالَ لَهُ جِبْرِيلُ: ﴿وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ ٱلْأُولَىٰ ۝٤﴾[1].

---

(١) سورة الضحىٰ، الآية: ٤.

وَرُوِيَ فِي حَدِيثٍ ذَكَرَهُ ابْنُ رَجَبٍ فِي اللَّطَائِفِ[١]: أَنَّهُ ﷺ تَعَبَّدَ حَتَّى صَارَ كَالشَّنِّ الْبَالِي[٢].

وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَعْرِضُ الْقُرْآنَ كُلَّ عَامٍ عَلَى جِبْرِيلَ مَرَّةً، فَعَرَضَهُ ذٰلِكَ الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَكَانَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَعْتَكِفُ الْعَشْرَ الأَوَاخِرَ مِنْ رَمَضَانَ كُلَّ عَامٍ، فَاعْتَكَفَ فِي ذٰلِكَ الْعَامِ عِشْرِينَ، وَأَكْثَرَ مِنَ الذِّكْرِ وَالاسْتِغْفَارِ.

وَقَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ ﷺ فِي آخِرِ أَمْرِهِ لاَ يَقُومُ وَلاَ يَقْعُدُ وَلاَ يَذْهَبُ وَلاَ يَجِيءُ إِلاَّ قَالَ: «**سُبْحَانَ اللَّهِ وَبِحَمْدِهِ، أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ**»، فَقُلْتُ لَهُ: إِنَّكَ تَدْعُو بِدُعَاءٍ لَمْ تَكُنْ تَدْعُو بِهِ قَبْلَ الْيَوْمِ؟ فَقَالَ: «**إِنَّ رَبِّي أَخْبَرَنِي أَنِّي سَأَرَى عَلَماً فِي أُمَّتِي**[٣]**، وَأَنِّي إِذَا رَأَيْتُهُ أُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَأَسْتَغْفِرُهُ**»، ثُمَّ تَلاَ هٰذِهِ السُّورَةَ[٤]. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَغَيْرُهُ[٥].

وَرَوَى الشَّيْخَانِ مِنْ حَدِيثِ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ قَالَ: صَلَّى رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَلَى قَتْلَى أُحُدٍ[٦] بَعْدَ ثَمَانِ سِنِينَ كَالْمُوَدِّعِ لِلأَحْيَاءِ وَالأَمْوَاتِ، ثُمَّ طَلَعَ الْمِنْبَرَ فَقَالَ: «**إِنِّي بَيْنَ أَيْدِيكُمْ فَرَطٌ**[٧]**، وَأَنَا عَلَيْكُمْ شَهِيدٌ، وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، وَإِنِّي لأَنْظُرُ إِلَيْهِ وَأَنَا فِي مَقَامِي هٰذَا، وَإِنِّي قَدْ أُعْطِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ، وَإِنِّي لَسْتُ أَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تُشْرِكُوا بَعْدِي، وَلَكِنِّي أَخْشَى عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا أَنْ تَنَافَسُوا فِيهَا**».

---

(١) لطائف المعارف فيما لمواسم العام من الوظائف.
(٢) القِربة الخَلَق. رواه ابن مردويه، والبيهقي في الأسماء والصفات، وابن عساكر، وابن أبي شيبة، وأحمد في الزهد.
(٣) أي: دليلاً، وهو النصر والفتح ودخول الناس في الدين أفواجاً.
(٤) سورة النصر.
(٥) كابن خزيمة.
(٦) أي: دعا لهم.
(٧) سابق إلىٰ الحوض.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ جَلَسَ عَلَى الْمِنْبَرِ فَقَالَ: «**إِنَّ عَبْداً خَيَّرَهُ اللّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ، فَاخْتَارَ مَا عِنْدَهُ**»، فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا، قَالَ: فَعَجِبْنَا لَهُ، وَقَالَ النَّاسُ: انْظُرُوا إِلَى هٰذَا الشَّيْخِ يُخْبِرُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ عَنْ عَبْدٍ خَيَّرَهُ اللّهُ بَيْنَ أَنْ يُؤْتِيَهُ مِنْ زَهْرَةِ الدُّنْيَا مَا شَاءَ وَبَيْنَ مَا عِنْدَهُ وَهُوَ يَقُولُ: فَدَيْنَاكَ بِآبَائِنَا وَأُمَّهَاتِنَا! قَالَ: فَكَانَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ هُوَ الْمُخَيَّرَ، وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا بِهِ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ[1]: «**إِنَّ أَمَنَّ النَّاسِ عَلَيَّ بِصُحْبَتِهِ وَمَالِهِ أَبُو بَكْرٍ، وَلَوْ كُنْتُ مُتَّخِذاً مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ خَلِيلاً لاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلاً، وَلٰكِنْ أُخُوَّةُ الإِسْلَامِ، لاَ يَبْقَى فِي الْمَسْجِدِ خَوْخَةٌ[2] إِلاَّ سُدَّتْ إِلاَّ خَوْخَةُ أَبِي بَكْرٍ**»[3] رَوَاهُ الشَّيْخَانِ.

وَكَانَتْ هٰذِهِ الْخُطْبَةُ فِي ابْتِدَاءِ مَرَضِهِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ ﷺ، فَإِنَّهُ خَرَجَ كَمَا رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ وَهُوَ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ بِخِرْقَةٍ حَتَّى أَهْوَى إِلَى الْمِنْبَرِ، ثُمَّ بَعْدَ الْخُطْبَةِ هَبَطَ عَنْهُ، فَمَا رُؤِيَ عَلَيْهِ حَتَّى السَّاعَةِ.

وَمَا زَالَ ﷺ يُعَرِّضُ بِاقْتِرَابِ أَجَلِهِ فِي آخِرِ عُمُرِهِ، فَإِنَّهُ لَمَّا خَطَبَ فِي حِجَّةِ الْوَدَاعِ قَالَ لِلنَّاسِ: «**خُذُوا عَنِّي مَنَاسِكَكُمْ، فَلَعَلِّي لاَ أَلْقَاكُمْ بَعْدَ عَامِي هٰذَا**»، وَطَفِقَ يُوَدِّعُ النَّاسَ، فَقَالُوا: هٰذِهِ حِجَّةُ الْوَدَاعِ.

فَلَمَّا رَجَعَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ حِجَّةِ الْوَدَاعِ إِلَى الْمَدِينَةِ جَمَعَ

---

(١) مادحاً أبا بكر ليعلم الناس كلهم فضله، فلا يقع عليه اختلاف في خلافته.

(٢) الخوخة: باب صغير وسْط باب كبير.

(٣) إشارة إلىٰ أن أبا بكر هو الإمام بعده، فإن الإمام يحتاج إلىٰ الاستطراق إلىٰ المسجد، ثم أكّد هذا المعنىٰ بأمره صريحاً: مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس، ولذا قال الصحابة عند بيعة أبي بكر: رضيه رسول الله ﷺ لديننا، أفلا نرضاه لدنيانا.

النَّاسَ بِمَاءٍ يُدْعَى خُمًّا فِي طَرِيقِهِ بَيْنَ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةِ[1]، فَخَطَبَهُمْ وَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ، يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي[2] فَأُجِيبَ»، ثُمَّ حَضَّ عَلَى التَّمَسُّكِ بِكِتَابِ اللَّهِ، وَوَصَّى بِأَهْلِ بَيْتِهِ[3].

***

[ابتداء مرضه ﷺ]

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: وَكَانَ ابْتِدَاءُ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ فِي أَوَاخِرِ شَهْرِ صَفَرٍ، وَكَانَتْ مُدَّةُ مَرَضِهِ ثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْماً فِي الْمَشْهُورِ.

وَذَكَرَ الْخَطَّابِيُّ: أَنَّهُ ابْتَدَأَ بِهِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ.

وَاخْتُلِفَ فِي مُدَّةِ مَرَضِهِ: فَالأَكْثَرُ أَنَّهَا ثَلاثَةَ عَشَرَ يَوْماً.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا ثَقُلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَاشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ اسْتَأْذَنَ أَزْوَاجَهُ أَنْ يُمَرَّضَ فِي بَيْتِي، فَأَذِنَّ لَهُ، فَخَرَجَ وَهُوَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ تَخُطُّ رِجْلاهُ فِي الأَرْضِ، بَيْنَ الْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ وَبَيْنَ رَجُلٍ آخَرَ - أَيْ: عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ -.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّ دُخُولَهُ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلامُ بَيْتَهَا كَانَ يَوْمَ الاثْنَيْنِ، وَمَوْتَهُ يَوْمَ الاثْنَيْنِ الَّذِي يَلِيهِ.

---

(١) على ثلاثة أميال من الجُحْفة، والميل ١٧١٨,٧ متراً.

(٢) ملك الموت.

(٣) رواه مسلم في فضائل علي، ولفظه: «**وأنا تارك فيكم ثَقَلين: أولهما كتاب الله فيه الهدىٰ والنور، فخذوا بكتاب الله، واستمسكوا به**» ثم قال: «**وأهلُ بيتي، أذكّركم الله في أهل بيتي**».

وَفِي الْبُخَارِيِّ: قَالَتْ عَائِشَةُ: وَارَأْسَاهُ، فَقَالَ ﷺ: **«ذَاكِ[1] لَوْ كَانَ وَأَنَا حَيٌّ فَأَسْتَغْفِرَ لَكِ وَأَدْعُوَ لَكِ»**[2]، فَقَالَتْ عَائِشَةُ: وَاثُكْلِيَاهْ[3]، إِنِّي لأَظُنُّكَ تُحِبُّ مَوْتِي، فَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَظَلِلْتَ آخِرَ يَوْمِكَ مُعَرِّساً بِبَعْضِ أَزْوَاجِكَ، فَقَالَ ﷺ: **«بَلْ أَنَا وَارَأْسَاهُ[4]، لَقَدْ هَمَمْتُ** ـ أَوْ أَرَدْتُ ـ **أَنْ أُرْسِلَ إِلَى أَبِي بَكْرٍ وَابْنِهِ، فَأَعْهَدَ أَنْ يَقُولَ الْقَائِلُونَ أَوْ يَتَمَنَّى الْمُتَمَنُّونَ، ثُمَّ قُلْتُ: يَأْبَى اللَّهُ وَيَدْفَعُ[5] الْمُؤْمِنُونَ** ـ أَوْ يَدْفَعُ اللَّهُ وَيَأْبَى الْمُؤْمِنُونَ ـ»[6].

وَقَدْ تَبَيَّنَ كَمَا نَبَّهَ عَلَيْهِ فِي اللَّطَائِفِ[7] أَنَّ أَوَّلَ مَرَضِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ كَانَ صُدَاعَ الرَّأْسِ، وَالظَّاهِرُ أَنَّهُ كَانَ مَعَ حُمَّى، فَإِنَّ الْحُمَّى اشْتَدَّتْ بِهِ فِي مَرَضِهِ، فَكَانَ يَجْلِسُ فِي مِخْضَبٍ وَيُصَبُّ عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ يَتَبَرَّدُ بِذٰلِكَ. (وَالْمِخْضَبُ: إِنَاءٌ يُغْتَسَلُ فِيهِ. وَالأَوْكِيَةُ: جَمْعُ وِكَاءٍ، وَهُوَ رِبَاطُ الْقِرْبَةِ).

وَفِي الْبُخَارِيِّ: قَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: لَمَّا دَخَلَ بَيْتِي وَاشْتَدَّ وَجَعُهُ قَالَ: **«أَهْرِيقُوا عَلَيَّ مِنْ سَبْعِ قِرَبٍ لَمْ تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهُنَّ لَعَلِّي أَعْهَدُ إِلَى النَّاسِ»**، فَأَجْلَسْنَاهُ فِي مِخْضَبٍ لِحَفْصَةَ زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ، ثُمَّ طَفِقْنَا نَصُبُّ عَلَيْهِ مِنْ تِلْكَ الْقِرَبِ، حَتَّى طَفِقَ يُشِيرُ إِلَيْنَا بِيَدِهِ أَنْ قَدْ فَعَلْتُنَّ.

وَكَانَتْ عَلَيْهِ ﷺ قَطِيفَةٌ، فَكَانَتِ الْحُمَّى تُصِيبُ مَنْ يَضَعُ يَدَهُ عَلَيْهِ مِنْ

---

(١) بكسر الكاف، أي: ما ضرّكِ لو متِّ.
(٢) يشير ﷺ أنه سيموت قبلها.
(٣) الثُكل: فقد الحبيب.
(٤) أي: دعي ذكر ما تجدينه من وجع رأسك، واشتغلي بي.
(٥) بمعنىٰ: يأبىٰ.
(٦) تتمة الحديث: **«إلا أبا بكر»** وفي رواية للبزّار: **«معاذ الله أن تختلف الناس علىٰ أبي بكر»**.
(٧) لطائف المعارف لابن رجب.

فَوْقِهَا[1]، فَقِيلَ لَهُ فِي ذٰلِكَ، فَقَالَ: «**إِنَّا[2] كَذٰلِكَ يُشَدَّدُ عَلَيْنَا الْبَلاَءُ، وَيُضَاعَفُ لَنَا الأَجْرُ**» رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ وَغَيْرُهُ[3] عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ.

وَعَنْ عَبْدِاللّهِ[4] قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ يُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّكَ تُوعَكُ وَعْكاً شَدِيداً! فَقَالَ: «**أَجَلْ إِنِّي أُوعَكُ كَمَا يُوعَكُ رَجُلاَنِ مِنْكُمْ**»، قُلْتُ: ذٰلِكَ أَنَّ لَكَ لأَجْرَيْنِ؟ قَالَ: «**أَجَلْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ، مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُصِيبُهُ أَذًى شَوْكَةٌ فَمَا فَوْقَهَا إِلاَّ كَفَّرَ اللّهُ بِهَا سَيِّئَاتِهِ كَمَا تَحُطُّ الشَّجَرَةُ وَرَقَهَا**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالْوَعْكُ: الْحُمَّى).

وَأَخْرَجَ النَّسَائِيُّ[5] عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ الْيَمَانِ قَالَتْ: أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي نِسَاءٍ نَعُودُهُ[6]، فَإِذَا سِقَاءٌ يَقْطُرُ عَلَيْهِ مِنْ شِدَّةِ الْحُمَّى، فَقَالَ: «**إِنَّ أَشَدَّ النَّاسِ بَلاَءً الأَنْبِيَاءُ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ**».

وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ: أَنَّهُ ﷺ كَانَ بَيْنَ يَدَيْهِ عُلْبَةٌ أَوْ رَكْوَةٌ فِيهَا مَاءٌ، فَجَعَلَ يُدْخِلُ يَدَيْهِ فِي الْمَاءِ فَيَمْسَحُ بِهِمَا وَجْهَهُ وَيَقُولُ: «**لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ، إِنَّ لِلْمَوْتِ سَكَرَاتٍ**» الْحَدِيثَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى أَيْضاً عَنْ عُرْوَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**مَا أَزَالُ أَجِدُ أَلَمَ الطَّعَامِ الَّذِي أَكَلْتُ بِخَيْبَرَ، فَهٰذَا أَوَانُ وَجَدْتُ انْقِطَاعَ أَبْهَرِي مِنْ ذٰلِكَ السُّمِّ**». (وَالأَبْهَرُ: عِرْقٌ مُسْتَبْطِنٌ بِالصُّلْبِ يَتَّصِلُ بِالْقَلْبِ، فَإِذَا انْقَطَعَ مَاتَ صَاحِبُهُ).

وَقَدْ كَانَ ابْنُ مَسْعُودٍ وَغَيْرُهُ يَرَوْنَ أَنَّهُ ﷺ مَاتَ شَهِيداً مِنَ السُّمِّ.

---

(١) أي: إن حرارة جسمه ﷺ كانت تصل إلىٰ يده لشدّتها.

(٢) أي: معاشر الأنبياء.

(٣) كالحاكم.

(٤) ابن مسعود.

(٥) وأحمد وابن ماجه.

(٦) ولا مانع من ذلك إذا كان مع الحجاب ودون خلوة.

وَعِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ عَائِشَةُ: إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ كَانَ إِذَا اشْتَكَى نَفَثَ عَلَى نَفْسِهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ[١] وَمَسَحَ بِيَدَيْهِ، فَلَمَّا اشْتَكَى وَجَعَهُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ طَفِقْتُ أَنَا أَنْفِثُ عَلَيْهِ بِالْمُعَوِّذَاتِ الَّتِي كَانَ يَنْفُثُ، وَأَمْسَحُ بِيَدِ النَّبِيِّ ﷺ. وَفِي رِوَايَةِ مَالِكٍ[٢]: وَأَمْسَحُ بِيَدِهِ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا.

وَفِي الْبُخَارِيِّ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: مَرَّ عَبْدُالرَّحْمٰنِ وَفِي يَدِهِ جَرِيدَةٌ رَطْبَةٌ[٣]، فَنَظَرَ إِلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فَظَنَنْتُ أَنَّ لَهُ بِهَا حَاجَةً، فَأَخَذْتُهَا فَمَضَغْتُ رَأْسَهَا[٤] وَنَفَضْتُهَا وَدَفَعْتُهَا إِلَيْهِ، فَاسْتَنَّ بِهَا[٥] كَأَحْسَنِ مَا كَانَ مُسْتَنًّا، ثُمَّ نَاوَلَنِيهَا فَسَقَطَتْ يَدُهُ، أَوْ سَقَطَتْ مِنْ يَدِهِ، فَجَمَعَ اللَّهُ بَيْنَ رِيقِي وَرِيقِهِ فِي آخِرِ يَوْمٍ مِنَ الدُّنْيَا وَأَوَّلِ يَوْمٍ مِنَ الآخِرَةِ، وَفِي رِوَايَةٍ[٦] أَنَّهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَبْدُالرَّحْمٰنِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَأَنَا مُسْنِدَتُهُ إِلَى صَدْرِي.

وَفِي الْمُسْنَدِ عَنْهَا: أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**إِنَّهُ لَيُهَوِّنُ عَلَيَّ الْمَوْتَ أَنِّي رَأَيْتُ بَيَاضَ كَفِّ عَائِشَةَ فِي الْجَنَّةِ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**رَأَيْتُهَا فِي الْجَنَّةِ**»[٧].

وَيُرْوَى أَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ ﷺ فِي مَرَضِهِ سَبْعَةُ دَنَانِيرَ، فَكَانَ يَأْمُرُهُمْ بِالصَّدَقَةِ بِهَا، ثُمَّ يُغْمَى عَلَيْهِ، فَيَشْتَغِلُونَ بِوَجَعِهِ، فَدَعَا بِهَا فَوَضَعَهَا فِي كَفِّهِ

---

(١) سورة الصمد والفلق والناس، وأطلقت على السوَر الثلاث مع أن الصمد ليست منها تغليباً.

(٢) وهي عند البخاري.

(٣) أي: سواك.

(٤) أي: قطعته لإزالة المكان الذي تسوَّك به عبدالرحمٰن.

(٥) أي: استاك.

(٦) عند البخاري.

(٧) والعيش إنما يطيب باجتماع الأحبة.

وَقَالَ: «**مَا ظَنُّ مُحَمَّدٍ بِرَبِّهِ لَوْ لَقِيَ اللّٰهَ وَعِنْدَهُ هٰذِهِ؟**» ثُمَّ تَصَدَّقَ بِهَا كُلِّهَا. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ(١) مِنْ طَرِيقِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَعَا النَّبِيُّ ﷺ فَاطِمَةَ فِي شَكْوَاهُ(٢) الَّذِي قُبِضَ فِيهِ، فَسَارَّهَا بِشَيْءٍ فَبَكَتْ، ثُمَّ دَعَاهَا فَسَارَّهَا فَضَحِكَتْ، فَسَأَلْنَاهَا عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَتْ: سَارَّنِي النَّبِيُّ ﷺ أَنَّهُ يُقْبَضُ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ فَبَكَيْتُ، ثُمَّ سَارَّنِي فَأَخْبَرَنِي أَنِّي أَوَّلُ أَهْلِهِ يَتْبَعُهُ فَضَحِكْتُ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَغَيْرُهُ(٣) عَنْ عَائِشَةَ أَيْضاً أَنَّهَا قَالَتْ: مَا رَأَيْتُ أَحَداً أَشْبَهَ سَمْتاً وَهَدْياً وَدَلاً بِرَسُولِ اللّٰهِ ﷺ فِي قِيَامِهَا وَقُعُودِهَا مِنْ فَاطِمَةَ. (وَالدَّلُّ هُنَا: السَّكِينَةُ، وَالْوَقَارُ، وَحُسْنُ السِّيرَةِ وَالطَّرِيقَةِ، وَاسْتِقَامَةُ الْمَنْظَرِ، وَالْهَيْبَةُ)، وَكَانَتْ إِذَا دَخَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ قَامَ إِلَيْهَا وَقَبَّلَهَا وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا فَعَلَتْ ذٰلِكَ، فَلَمَّا مَرِضَ دَخَلَتْ عَلَيْهِ فَأَكَبَّتْ عَلَيْهِ فَقَبَّلَتْهُ.

وَفِي رِوَايَةِ مَسْرُوقٍ: أَنَّ ضِحْكَهَا كَانَ لِإِخْبَارِهِ إِيَّاهَا أَنَّهَا سَيِّدَةُ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ، وَأَنَّهَا أَوَّلُ أَهْلِهِ لُحُوقاً بِهِ.

وَفِي رِوَايَتِهِ عَنْ عَائِشَةَ: فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحاً أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَنْ ذٰلِكَ فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لأُفْشِيَ سِرَّ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، حَتَّى تُوُفِّيَ النَّبِيُّ ﷺ سَأَلْتُهَا(٤) فَقَالَتْ: أَسَرَّ إِلَيَّ: «**أَنَّ جِبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ**

---

(١) ومسلم.

(٢) في مرضه.

(٣) كالترمذي والنسائي.

(٤) في الأصل: فسألتها.

سَنَةٍ مَرَّةً، وَأَنَّهُ عَارَضَنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلاَ أُرَاهُ إِلاَّ حَضَرَ أَجَلِي، وَإِنَّكِ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لَحَاقاً بِي».

وَعِنْدَ الطَّبَرَانِيِّ عَنْ عَائِشَةَ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ لِفَاطِمَةَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ أَخْبَرَنِي أَنَّهُ لَيْسَ امْرَأَةٌ مِنْ نِسَاءِ الْمُسْلِمِينَ أَعْظَمَ رَزِيَّةً[1] مِنْكِ، فَلاَ تَكُونِي أَدْنَى[2] امْرَأَةٍ مِنْهُنَّ صَبْراً».

وَفِي الْحَدِيثِ إِخْبَارُهُ ﷺ بِمَا سَيَقَعُ، وَوَقَعَ[3] كَمَا قَالَ ﷺ، فَإِنَّهُمُ اتَّفَقُوا عَلَى أَنَّ فَاطِمَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا كَانَتْ أَوَّلَ مَنْ مَاتَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَعْدَهُ، حَتَّى مِنْ أَزْوَاجِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَقَدْ كَانَ ﷺ مِنْ شِدَّةِ وَجعِهِ يُغْمَى عَلَيْهِ فِي مَرَضِهِ ثُمَّ يُفِيقُ، وَأُغْمِيَ عَلَيْهِ مَرَّةً فَظَنُّوا أَنَّ وَجَعَهُ ذَاتُ الْجَنْبِ[4] فَلَدُّوهُ، فَجَعَلَ يُشِيرُ إِلَيْهِمْ أَنْ لاَ يَلُدُّوهُ، فَقَالُوا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ: «أَلَمْ أَنْهَكُمْ أَنْ تَلُدُّونِي؟» فَقَالُوا: كَرَاهِيَةُ الْمَرِيضِ لِلدَّوَاءِ، فَقَالَ: «لاَ يَبْقَى أَحَدٌ فِي الْبَيْتِ إِلاَّ لُدَّ وَأَنَا أَنْظُرُ، إِلاَّ الْعَبَّاسَ فَإِنَّهُ لَمْ يَشْهَدْكُمْ» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَاللَّدُودُ: هُوَ مَا يُجْعَلُ فِي جَانِبِ الْفَمِ مِنَ الدَّوَاءِ، فَأَمَّا مَا يُصَبُّ فِي الْحَلْقِ فَيُقَالُ لَهُ: الْوَجُورُ).

* * *

(١) مصيبة.

(٢) أقلّ.

(٣) في الأصل: فوقع.

(٤) وهي ريح محتقنة بين الأضلاع.

[صَلاَةُ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللّهُ عَنهُ بِالنّاسِ]

وَلَمَّا اشْتَدَّ بِهِ وَجَعُهُ ﷺ قَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فَقَالَتْ عَائِشَةَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ أَبَا بَكْرٍ رَجُلٌ رَقِيقٌ، إِذَا قَامَ مَقَامَكَ لاَ يُسْمِعُ النَّاسَ مِنَ الْبُكَاءِ، قَالَ: «**مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**»، فَعَاوَدَتْهُ مِثْلَ مَقَالَتِهَا، فَقَالَ: «**إِنَّكُنَّ صَوَاحِبَاتُ يُوسُفَ**[١]، **مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ**» رَوَاهُ الشَّيْخَانِ وَأَبُو حَاتِمٍ وَاللَّفْظُ لَهُ[٢]، وَنَقَلَ الدِّمْيَاطِيُّ أَنَّ الصِّدِّيقَ صَلَّى بِالنَّاسِ سَبْعَ عَشْرَةَ صَلاَةً.

وَقَدْ ذَكَرَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي الْفَجْرِ الْمُنِيرِ مِمَّا عَزَاهُ لِسَيْفِ الدِّينِ بْنِ عُمَرَ فِي كِتَابِ الْفُتُوحِ: أَنَّ الأَنْصَارَ لَمَّا رَأَوْا رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَزْدَادُ وَجَعاً أَطَافُوا بِالْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ الْعَبَّاسُ فَأَعْلَمَهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِمَكَانِهِمْ وَإِشْفَاقِهِمْ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ الْفَضْلُ فَأَعْلَمَهُ بِمِثْلِ ذٰلِكَ، ثُمَّ دَخَلَ عَلَيْهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ كَذٰلِكَ، فَخَرَجَ ﷺ مُتَوَكِّئاً عَلَى عَلِيٍّ وَالْفَضْلِ، وَالْعَبَّاسُ أَمَامَهُ، وَالنَّبِيُّ ﷺ مَعْصُوبُ الرَّأْسِ يَخُطُّ بِرِجْلَيْهِ، حَتَّى جَلَسَ عَلَى أَسْفَلِ مِرْقَاةٍ مِنَ الْمِنْبَرِ، وَثَارَ النَّاسُ إِلَيْهِ، فَحَمِدَ اللّهَ، وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَقَالَ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَخَافُونَ مِنْ مَوْتِ نَبِيِّكُمْ، هَلْ خَلَدَ نَبِيٌّ قَبْلِي فِيمَنْ بُعِثَ إِلَيْهِ فَأَخْلُدَ فِيكُمْ؟**

---

(١) ووجه المشابهة في ذلك أن زليخا استدعت النسوة، وأظهرت لهنّ الإكرام بالضيافة، ومرادها أن ينظرن إلىٰ حُسن يوسف ويعذرنَها في محبته، وأن عائشة أظهرت أن سبب إرادتها صرف الإمامة عن أبيها لكونه لا يُسمِع المأمومين القراءة لبكائه، ومرادها أنه لن يقوم أحد مقام النبي ﷺ إلا تشاءم الناس به، وقد صرّحت هي بذلك عند البخاري في باب وفاته ﷺ.

(٢) وفي رواية عند البخاري: قالت عائشة: قلت لحفصة: قولي له: إن أبا بكر إذا قام في مقامك لم يُسمِع الناس من البكاء، فمُرْ عمر فليصلِّ بالناس، ففعلت حفصة، فقال رسول الله ﷺ: «**مَهْ، إنكنّ لأنتنّ صواحب يوسف، مروا أبا بكر فليصلِّ بالناس**» فقالت حفصة لعائشة: ما كنتُ لأصيب منك خيراً.

أَلاَ وَإِنِّي لاَحِقٌ بِرَبِّي، أَلاَ وَإِنَّكُمْ لاَحِقُونَ بِهِ، فَأُوصِيكُمْ بِالْمُهَاجِرِينَ الأَوَّلِينَ خَيراً، وَأُوصِي الْمُهَاجِرِينَ فِيمَا بَيْنَهُمْ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَفِى خُسْرٍ ۝٢ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ۝٣﴾[1]، وَإِنَّ الأُمُورَ تَجْرِي بِإِذْنِ اللَّهِ تَعَالَى، فَلاَ يَحْمِلَنَّكُمْ اسْتِبْطَاءُ أَمْرٍ عَلَى اسْتِعْجَالِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ لاَ يَعْجَلُ بِعَجَلَةِ أَحَدٍ، وَمَنْ غَالَبَ اللَّهَ غَلَبَهُ، وَمَنْ خَادَعَ اللَّهَ خَدَعَهُ، ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ۝٢٢﴾[2]، وَأُوصِيكُمْ بِالأَنْصَارِ خَيراً، (فَإِنَّهُمُ الَّذِينَ تَبَوَّؤُوا[3] الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِنْ قَبْلِكُمْ)، أَنْ تُحْسِنُوا إِلَيْهِمْ، أَلَمْ يُشَاطِرُوكُمْ فِي الثِّمَارِ؟ أَلَمْ يُوَسِّعُوا لَكُمْ فِي الدِّيَارِ؟ أَلَمْ يُؤْثِرُوكُمْ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَبِهِمُ الْخَصَاصَةُ[4]؟ أَلاَ فَمَنْ وَلِيَ أَنْ يَحْكُمَ بَيْنَ رَجُلَيْنِ فَلْيَقْبَلْ مِنْ مُحْسِنِهِمْ، وَلْيَتَجَاوَزْ عَنْ مُسِيئِهِمْ، أَلاَ وَلاَ تَسْتَأْثِرُوا عَلَيْهِمْ، أَلاَ وَإِنِّي فَرَطٌ لَكُمْ[5]، وَأَنْتُمْ لاَحِقُونَ بِي، أَلاَ وَإِنَّ مَوْعِدَكُمُ الْحَوْضُ، أَلاَ فَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَرِدَهُ عَلَيَّ غَداً فَلْيَكْفُفْ يَدَهُ وَلِسَانَهُ إِلاَّ فِيمَا يَنْبَغِي، يَا أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ الذُّنُوبَ تُغَيِّرُ النِّعَمَ، وَتُبَدِّلُ الْقِسَمَ، فَإِذَا بَرَّ النَّاسُ بَرَّهُمْ أَئِمَّتُهُمْ، وَإِذَا فَجَرُوا عَقُّوهُمْ».

وَذَكَرَ الْوَاحِدِيُّ بِسَنَدٍ وَصَلَهُ بِعَبْدِاللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ: نَعَى لَنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ نَفْسَهُ قَبْلَ مَوْتِهِ بِشَهْرٍ، فَلَمَّا دَنَا الْفِرَاقُ جَمَعَنَا فِي بَيْتِ عَائِشَةَ فَقَالَ: «حَيَّاكُمُ اللَّهُ بِالسَّلاَمِ، رَحِمَكُمُ اللَّهُ، جَبَرَكُمُ اللَّهُ، رَزَقَكُمُ اللَّهُ، نَصَرَكُمُ اللَّهُ، رَفَعَكُمُ اللَّهُ، آوَاكُمُ اللَّهُ، أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ، وَأَسْتَخْلِفُهُ عَلَيْكُمْ، وَأُحَذِّرُكُمُ اللَّهَ، إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ، أَنْ لاَ تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ فِي بِلاَدِهِ

---

(١) سورة العصر.

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٢.

(٣) سكنوا المدينة المنوّرة، وآمنوا قبل قدوم النبي ﷺ إليهم.

(٤) الحاجة.

(٥) سابق إلىٰ الحوض.

وَعِبَادِهِ، **فَإِنَّهُ قَالَ لِي وَلَكُمْ**: ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٨٣﴾﴾[1] وَقَالَ: ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ﴾[2]، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَتَى أَجَلُكَ؟ قَالَ: «**دَنَا الْفِرَاقُ، وَالْمُنْقَلَبُ إِلَى اللَّهِ، وَإِلَى جَنَّةِ الْمَأْوَى**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ يُغَسِّلُكَ؟ قَالَ: «**رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي الأَدْنَى**[3] **فَالأَدْنَى**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فِيمَ نُكَفِّنُكَ؟ قَالَ: «**فِي ثِيَابِي هٰذِهِ، وَإِنْ شِئْتُمْ فِي ثِيَابِ بَيَاضِ مِصْرَ أَوْ حُلَّةٍ يَمَنِيَّةٍ**»، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ يُصَلِّي عَلَيْكَ؟ قَالَ: «**إِذَا أَنْتُمْ غَسَّلْتُمُونِي وَكَفَّنْتُمُونِي فَضَعُونِي عَلَى سَرِيرِي هٰذَا عَلَى شَفِيرِ**[4] **قَبْرِي، ثُمَّ اخْرُجُوا عَنِّي سَاعَةً، فَإِنَّ أَوَّلَ مَنْ يُصَلِّي عَلَيَّ جِبْرِيلُ، ثُمَّ مِيكَائِيلُ، ثُمَّ إِسْرَافِيلُ، ثُمَّ مَلَكُ الْمَوْتِ وَمَعَهُ جُنُودٌ مِنَ الْمَلائِكَةِ، ثُمَّ ادْخُلُوا عَلَيَّ فَوْجاً فَوْجاً فَصَلُّوا عَلَيَّ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً، وَلْيَبْدَأْ بِالصَّلاةِ عَلَيَّ رِجَالُ أَهْلِ بَيْتِي، ثُمَّ نِسَاؤُهُمْ، ثُمَّ أَنْتُمْ، وَاقْرَؤُوا السَّلامَ عَلَى مَنْ غَابَ مِنْ أَصْحَابِي، وَمَنْ تَبِعَنِي عَلَى دِينِي مِنْ يَوْمِي هٰذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَمَنْ يُدْخِلُكَ قَبْرَكَ؟ قَالَ: «**أَهْلِي مَعَ مَلائِكَةِ رَبِّي**»، وَكَذَا رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[5].

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَهُوَ صَحِيحٌ يَقُولُ: «**إِنَّهُ لَمْ يُقْبَضْ نَبِيٌّ قَطُّ حَتَّى يَرَى مَقْعَدَهُ مِنَ الْجَنَّةِ، ثُمَّ يُخَيَّرُ**»، فَلَمَّا اشْتَكَى وَحَضَرَهُ الْقَبْضُ وَرَأْسُهُ عَلَى فَخِذِي غُشِيَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا أَفَاقَ شَخَصَ بَصَرُهُ نَحْوَ سَقْفِ الْبَيْتِ، ثُمَّ قَالَ: «**اللَّهُمَّ فِي الرَّفِيقِ الأَعْلَى**»، فَقُلْتُ: إِذاً لاَ يَخْتَارُنَا، فَعَرَفْتُ أَنَّهُ حَدِيثُهُ الَّذِي كَانَ يُحَدِّثُنَا وَهُوَ صَحِيحٌ. وَفِي رِوَايَةٍ: أَنَّهَا

---

(١) سورة القصص، الآية: ٨٣.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٦٠.

(٣) الأقرب.

(٤) حافة.

(٥) وهو واهٍ جداً.

أَصْغَتْ إِلَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ وَهُوَ مُسْتَنِدٌ إِلَى ظَهْرِهِ يَقُولُ: «**اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي وَارْحَمْنِي، وَأَلْحِقْنِي بِالرَّفِيقِ الأَعْلَى**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَلأَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي مُوَيْهِبَةَ[1] قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُوتِيتُ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِ الأَرْضِ وَالْخُلْدَ**[2]**، ثُمَّ الْجَنَّةَ، فَخُيِّرْتُ بَيْنَ ذٰلِكَ وَبَيْنَ لِقَاءِ رَبِّي وَالْجَنَّةِ، فَاخْتَرْتُ لِقَاءَ رَبِّي وَالْجَنَّةَ**».

وَعِنْدَ عَبْدِالرَّزَّاقِ مِنْ مُرْسَلِ طَاوُوسٍ رَفَعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «**خُيِّرْتُ بَيْنَ أَنْ أَبْقَى حَتَّى أَرَى مَا يُفْتَحُ عَلَى أُمَّتِي وَبَيْنَ التَّعْجِيلِ، فَاخْتَرْتُ التَّعْجِيلَ**».

وَفِي حَدِيثٍ مُرْسَلٍ ذَكَرَهُ الْحَافِظُ ابْنُ رَجَبٍ: أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَأْخُذُ الرُّوحَ مِنْ بَيْنِ الْعَصَبِ وَالْقَصَبِ**[3] **وَالأَنَامِلِ، فَأَعِنِّي عَلَيْهِ، وَهَوِّنْهُ عَلَيَّ**».

وَلَمَّا تَغَشَّاهُ ﷺ الْكَرْبُ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: وَاكَرْبَ أَبَتَاهُ! فَقَالَ ﷺ لَهَا: «**لاَ كَرْبَ عَلَى أَبِيكِ بَعْدَ الْيَوْمِ**» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. قَالَ الْعُلَمَاءُ: إِنَّ ذٰلِكَ الأَلَمَ وَالأَوْجَاعَ زِيَادَةٌ فِي رِفْعَةِ مَنْزِلَتِهِ ﷺ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّ الْمُسْلِمِينَ بَيْنَمَا هُمْ فِي صَلاَةِ الْفَجْرِ يَوْمَ الاثْنَيْنِ وَأَبُو بَكْرٍ يُصَلِّي بِهِمْ لَمْ يَفْجَأْهُمْ إِلاَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ قَدْ كَشَفَ سِتْرَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَنَظَرَ إِلَيْهِمْ وَهُمْ فِي صُفُوفِ الصَّلاَةِ، ثُمَّ تَبَسَّمَ يَضْحَكُ، فَنَكَصَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى عَقِبَيْهِ لِيَصِلَ الصَّفَّ، وَظَنَّ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يُرِيدُ أَنْ يَخْرُجَ إِلَى الصَّلاَةِ، قَالَ أَنَسٌ: وَهَمَّ الْمُسْلِمُونَ أَنْ يَفْتَتِنُوا فِي صَلاَتِهِمْ فَرَحاً

---

(١) مولىٰ رسول الله ﷺ.

(٢) في الدنيا.

(٣) العظام.

بِرَسُولِ اللّهِ ﷺ، فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ بِيَدِهِ ﷺ أَنْ أَتِمُّوا صَلاَتَكُمْ، ثُمَّ دَخَلَ الْحُجْرَةَ، وَأَرْخَى السِّتْرَ، وَتُوُفِّيَ ﷺ مِنْ يَوْمِهِ ذٰلِكَ.

وَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ مُحَمَّدٍ عَنْ أَبِيهِ قَالَ: لَمَّا بَقِيَ مِنْ أَجَلِ رَسُولِ اللّهِ ﷺ ثَلاَثٌ نَزَلَ عَلَيْهِ جِبْرِيلُ فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّهَ قَدْ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ إِكْرَاماً لَكَ وَتَفْضِيلاً لَكَ وَخَاصَّةً لَكَ لِيَسْأَلَكَ عَمَّا هُوَ أَعْلَمُ بِهِ مِنْكَ، يَقُولُ: كَيْفَ تَجِدُكَ؟ فَقَالَ: «**أَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَغْمُوماً، وَأَجِدُنِي يَا جِبْرِيلُ مَكْرُوباً**»، ثُمَّ أَتَاهُ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ جَاءَهُ فِي الْيَوْمِ الثَّالِثِ فَقَالَ لَهُ مِثْلَ ذٰلِكَ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ فِيهِ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ! هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، وَلَمْ يَسْتَأْذِنْ عَلَى آدَمِيٍّ قَبْلَكَ، وَلاَ يَسْتَأْذِنُ عَلَى آدَمِيٍّ بَعْدَكَ، قَالَ: «**ائْذَنْ لَهُ**»، فَدَخَلَ مَلَكُ الْمَوْتِ، فَوَقَفَ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ! إِنَّ اللّهَ عَزَّ وَجَلَّ أَرْسَلَنِي إِلَيْكَ، وَأَمَرَنِي أَنْ أُطِيعَكَ فِي كُلِّ مَا تَأْمُرُ، إِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَقْبِضَ رُوحَكَ قَبَضْتُهَا، وَإِنْ أَمَرْتَنِي أَنْ أَتْرُكَهَا تَرَكْتُهَا؟ فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا مُحَمَّدُ! إِنَّ اللّهَ قَدِ اشْتَاقَ إِلَى لِقَائِكَ، فَقَالَ ﷺ: «**فَامْضِ يَا مَلَكَ الْمَوْتِ لِمَا أُمِرْتَ بِهِ**»، فَقَالَ جِبْرِيلُ: يَا رَسُولَ اللّهِ! هٰذَا آخِرُ مَوْطِئِي مِنَ الأَرْضِ، إِنَّمَا كُنْتَ حَاجَتِي مِنَ الدُّنْيَا، فَقَبَضَ رُوحَهُ. فَلَمَّا تُوُفِّيَ ﷺ وَجَاءَتِ التَّعْزِيَةُ سَمِعُوا صَوْتاً مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ، كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ، وَإِنَّمَا تُوَفَّوْنَ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنَّ فِي اللّهِ عَزَاءً مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ، وَخَلَفاً مِنْ كُلِّ هَالِكٍ، وَدَرَكاً مِنْ كُلِّ فَائِتٍ، فَبِاللّهِ فَثِقُوا، وَإِيَّاهُ فَارْجُوا، فَإِنَّمَا الْمُصَابُ مَنْ حُرِمَ الثَّوَابَ، وَالسَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ عَلِيٌّ: أَتَدْرُونَ مَنْ هٰذَا؟ هُوَ الْخَضِرُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي كِتَابِ دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ[١].

---

(١) ذكر العراقي في تخريج الإحياء أن النووي أنكر وجود الحديث المذكور، ثم قال العراقي: رواه الحاكم في المستدرك ولم يصححه، ولا يصح.

وَأَخْرَجَ الطَّبَرَانِيُّ: مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فِي مَرَضِهِ وَرَأْسُهُ فِي حِجْرِ عَلِيٍّ، فَاسْتَأْذَنَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، فَقَالَ لَهُ عَلِيٌّ: ارْجِعْ فَإِنَّا مَشَاغِيلُ عَنْكَ، فَقَالَ ﷺ: **«هٰذَا مَلَكُ الْمَوْتِ، ادْخُلْ رَاشِداً»**، فَلَمَّا دَخَلَ قَالَ: إِنَّ رَبَّكَ يُقْرِئُكَ السَّلاَمَ، فَبَلَغَنِي أَنَّ مَلَكَ الْمَوْتِ لَمْ يُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتٍ قَبْلَهُ، وَلاَ يُسَلِّمُ بَعْدَهُ[1].

❊ ❊ ❊

[وَفَاتُهُ ﷺ]

وَقَالَتْ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: تُوُفِّيَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي بَيْتِي، وَفِي يَوْمِي، وَبَيْنَ سَحْرِي وَنَحْرِي. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالسَّحْرُ: الصَّدْرُ، وَالْمُرَادُ أَنَّهُ ﷺ تُوُفِّيَ وَرَأْسُهُ بَيْنَ عُنُقِهَا وَصَدْرِهَا).

قَالَ السُّهَيْلِيُّ: وَجَدْتُ فِي بَعْضِ كُتُبِ الْوَاقِدِيِّ: أَنَّ أَوَّلَ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ مُسْتَرْضَعٌ عِنْدَ حَلِيمَةَ: **«اللَّهُ أَكْبَرُ»**، وَآخِرُ كَلِمَةٍ تَكَلَّمَ بِهَا: **«الرَّفِيقُ الأَعْلَى»**.

وَرَوَى الْحَاكِمُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ قَالَ: آخِرُ مَا تَكَلَّمَ بِهِ ﷺ: جَلاَلُ رَبِّي الرَّفِيعُ.

وَعَنْ سَالِمِ بْنِ عُبَيْدِاللَّهِ الأَشْجَعِيِّ قَالَ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ كَانَ أَجْزَعَ النَّاسِ كُلِّهِمْ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ، فَأَخَذَ بِقَائِمِ سَيْفِهِ

---

(١) وأخرجه الحاكم أيضاً وابن سعد. قال الحافظ في الفتح (كتاب المغازي، باب مرض النبي ﷺ ووفاته): وكل طريق من طرقه لا يخلو من شيعي، فلا يلتفت إليهم، ويعارضه حديث البخاري الآتي، وفيه: أنه ﷺ توفي ورأسه بين سَحر عائشة ونحرها.

وَقَالَ: لاَ أَسْمَعُ أَحداً يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلاَّ ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هٰذَا، قَالَ: فَقَالَتِ النَّاسُ: يَا سَالِمُ اطْلُبْ لَنَا صَاحِبَ رَسُولِ اللّهِ ﷺ، قَالَ: فَخَرَجْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ، فَإِذَا أَنَا بِأَبِي بَكْرٍ، فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَجْهَشْتُ بِالْبُكَاءِ ـ أَيْ: تَهَيَّأْتُ ـ فَقَالَ: يَا سَالِمُ! أَمَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ؟ فَقُلْتُ: إِنَّ هٰذَا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَقُولُ: لاَ أَسْمَعُ أَحداً يَقُولُ مَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ إلاَّ ضَرَبْتُهُ بِسَيْفِي هٰذَا، قَالَ: فَأَقْبَلَ أَبُو بَكْرٍ حَتَّى دَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ وَهُوَ مُسَجًّى، فَرَفَعَ الْبُرْدَ عَنْ وَجْهِهِ، وَوَضَعَ فَاهُ عَلَى فِيهِ، وَاسْتَنْشَى الرِّيحَ، ثُمَّ سَجَّاهُ، وَالْتَفَتَ إِلَيْنَا فَقَالَ: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُۚ﴾ الآيَةَ(١)، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾(٢)، يَا أَيُّهَا النَّاسُ! مَنْ كَانَ يَعْبُدُ مُحَمَّداً فَإِنَّ مُحَمَّداً قَدْ مَاتَ، وَمَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللّهَ فَإِنَّ اللّهَ حَيٌّ لاَ يَمُوتُ، قَالَ عُمَرُ: فَوَاللّهِ لَكَأَنِّي لَمْ أَتْلُ هٰذِهِ الآيَاتِ قَطُّ. رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. (وَاسْتَنْشَى الرِّيحَ: شَمَّهَا)(٣).

وَقَالَ ابْنُ الْمُنَيِّرِ: لَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ طَاشَتِ الْعُقُولُ، فَمِنْهُمْ مَنْ خُبِلَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُقْعِدَ فَلَمْ يُطِقِ الْقِيَامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُخْرِسَ فَلَمْ يُطِقِ الْكَلامَ، وَمِنْهُمْ مَنْ أُضْنِيَ(٤)، وَكَانَ عُمَرُ مِمَّنْ خُبِلَ، وَكَانَ عُثْمَانُ مِمَّنْ أُخْرِسَ، يَذْهَبُ وَيَجِيءُ وَلاَ يَسْتَطِيعُ كَلاَماً، وَكَانَ عَلِيٌّ مِمَّنْ أُقْعِدَ فَلَمْ يَسْتَطِعْ حِرَاكاً، وَأُضْنِيَ عَبْدُاللّهِ بْنُ أُنَيْسَ فَمَاتَ كَمَداً، وَكَانَ أَثْبَتَهُمْ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ وَعَنْهُمْ أَجْمَعِينَ، جَاءَ وَعَيْنَاهُ تَهْمُلاَنِ، وَزَفَرَاتُهُ تَتَرَدَّدُ، وَغُصَصُهُ تَتَصَاعَدُ وَتَرْتَفِعُ، فَدَخَلَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَأَكَبَّ عَلَيْهِ، وَكَشَفَ الثَّوْبَ عَنْ وَجْهِهِ، وَقَالَ: طِبْتَ حَيًّا وَمَيْتاً، وَانْقَطَعَ لِمَوْتِكَ مَا لَمْ يَنْقَطِعْ

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٤٤.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٣٠.

(٣) أي: شم ريح الموت.

(٤) مرض.

لِمَوْتِ أَحَدٍ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، فَعَظُمْتَ عَنِ الصِّفَةِ، وَجَلَلْتَ عَنِ الْبُكَاءِ، وَلَوْ أَنَّ مَوْتَكَ كَانَ اخْتِيَاراً لَجُدْنَا لِمَوْتِكَ بِالنُّفُوسِ، اذْكُرْنَا يَا مُحَمَّدُ عِنْدَ رَبِّكَ، وَلْنَكُنْ مِنْ بَالِكَ.

وَفِي رِوَايَةٍ عَنْ عَائِشَةَ عِنْدَ أَحْمَدَ: أَنَّ أَبَا بَكْرٍ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ، فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَانَبِيَّاهُ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ، ثُمَّ قَالَ: وَاصَفِيَّاهُ! ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ فَحَدَرَ فَاهُ وَقَبَّلَ جَبْهَتَهُ وَقَالَ: وَاخَلِيلاَهُ!

وَلَمَّا تُوُفِّيَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: يَا أَبَتَاهُ أَجَابَ رَبًّا دَعَاهُ! يَا أَبَتَاهُ مَنْ جَنَّةُ الْفِرْدَوْسِ مَأْوَاهُ! يَا أَبَتَاهُ مَنْ إِلَى جِبْرِيلَ نَنْعَاهُ! رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ، وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ: يَا أَبَتَاهُ مِنْ رَبِّهِ مَا أَدْنَاهُ!

وَقَدْ عَاشَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا بَعْدَهُ ﷺ سِتَّةَ أَشْهُرٍ، فَمَا ضَحِكَتْ تِلْكَ الْمُدَّةَ، وَحُقَّ لَهَا ذٰلِكَ.

وَأَخْرَجَ أَبُو نُعَيْمٍ عَنْ عَلِيٍّ قَالَ: لَمَّا قُبِضَ ﷺ صَعِدَ مَلَكُ الْمَوْتِ بَاكِياً إِلَى السَّمَاءِ، وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ نَبِيًّا لَقَدْ سَمِعْتُ صَوْتاً مِنَ السَّمَاءِ يُنَادِي: وَامُحَمَّدَاهُ! كُلُّ الْمَصَائِبِ تَهُونُ عِنْدَ هٰذِهِ الْمُصِيبَةِ.

وَفِي سُنَنِ ابْنِ مَاجَهْ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ فِي مَرَضِهِ: **«أَيُّهَا النَّاسُ! إِنْ أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ** - أَوْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ - **أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَتَعَزَّ بِمُصِيبَتِهِ بِي عَنِ الْمُصِيبَةِ الَّتِي تُصِيبُهُ بِغَيْرِي، فَإِنَّ أَحَداً مِنْ أُمَّتِي لَنْ يُصَابَ بِمُصِيبَةٍ بَعْدِي أَشَدَّ عَلَيْهِ مِنْ مُصِيبَتِي»**.

وَقَالَ أَبُو الْجَوْزَاءِ: كَانَ الرَّجُلُ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ إِذَا أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ جَاءَ أَخُوهُ فَصَافَحَهُ وَيَقُولُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، اتَّقِ اللَّهَ، فَإِنَّ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةً حَسَنَةً.

وَرُوِيَ أَنَّ بِلالاً لَمَّا كَانَ يُؤَذِّنُ بَعْدَ وَفَاتِهِ ﷺ وَقَبْلَ دَفْنِهِ، فَإِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، ارْتَجَّ الْمَسْجِدُ بِالْبُكَاءِ وَالنَّحِيبِ، فَلَمَّا دُفِنَ تَرَكَ بِلاَلٌ الأَذَانَ.

وَقَدْ كَانَتْ وَفَاتُهُ ﷺ يَوْمَ الاثْنَيْنِ بِلاَ خِلاَفٍ، وَقْتَ دُخُولِ الْمَدِينَةِ فِي هِجْرَتِهِ ﷺ حِينَ اشْتَدَّ الضَّحَاءُ، وَدُفِنَ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ، وَقِيلَ: لَيْلَةَ الأَرْبِعَاءِ، وَقِيلَ: يَوْمَ الأَرْبِعَاءِ. وَالسَّبَبُ فِي تَأْخِيرِ دَفْنِهِ ﷺ مَا وَقَعَ مِنَ الاخْتِلاَفِ فِي مَوْتِهِ، وَفِي مَحَلِّ دَفْنِهِ.

وَأَخْرَجَ ابْنُ عَسَاكِرَ عَنْ أَبِي ذُؤَيْبٍ الْهُذَلِيِّ قَالَ: بَلَغَنَا أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ عَلِيلٌ، فَأَوْجَسَ أَهْلُ الْحَيِّ خِيفَةً[1]، وَبِتُّ بِلَيْلَةٍ طَوِيلَةٍ، حَتَّى إِذَا كَانَ قُرْبُ السَّحَرِ نِمْتُ فَهَتَفَ بِي هَاتِفٌ وَهُوَ يَقُولُ:

خَطْبٌ أَجَلُّ أَنَاخَ بِالإِسْلاَمِ ... بَيْنَ النَّخِيلِ وَمَقْعَدِ الآطَامِ[2]
قُبِضَ النَّبِيُّ مُحَمَّدٌ فَعُيُونُنَا ... تُبْدِي الدُّمُوعَ عَلَيْهِ بِالتَّسْجَامِ[3]

فَوَثَبْتُ مِنْ نَوْمِي فَزِعاً، فَنَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ فَلَمْ أَرَ إِلاَّ سَعْدَ الذَّابِحِ، فَعَلِمْتُ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قُبِضَ وَهُوَ مَيِّتٌ، فَقَدِمْتُ الْمَدِينَةَ وَلأَهْلِهَا ضَجِيجٌ بِالْبُكَاءِ كَضَجِيجِ الْحَجِيجِ إِذَا أَهَلُّوا بِالإِحْرَامِ، فَقُلْتُ: مَهْ[4]، فَقِيلَ: قُبِضَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ حَسَّانُ بِقَوْلِهِ يَرْثِيهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ:

كُنْتَ السَّوَادَ لِنَاظِرِي ... فَعَمِي عَلَيْكَ النَّاظِرُ

---

(١) أضمروا الخوف.

(٢) البيوت.

(٣) بالهطول.

(٤) اسم فعل أمر بمعنى: اكفف.

مَــنْ شَــاءَ بَــعْــدَكَ فَــلْــيَــمُــتْ فَــعَــلَــيْــكَ كُــنْــتُ أُحَــاذِرُ

وَفِي الشِّفَاءِ وَغَيْرِهِ: أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ لَمَّا تَحَقَّقَ مَوْتَهُ ﷺ قَالَ وَهُوَ يَبْكِي: بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ كَانَ لَكَ جِذْعٌ تَخْطُبُ النَّاسَ عَلَيْهِ، فَلَمَّا كَثُرُوا اتَّخَذْتَ مِنْبَراً لِتُسْمِعَهُمْ فَحَنَّ الْجِذْعُ لِفِرَاقِكَ، حَتَّى جَعَلْتَ يَدَكَ عَلَيْهِ فَسَكَنَ، فَأُمَّتُكَ أَوْلَى بِالْحَنِينِ عَلَيْكَ حِينَ فَارَقْتَهُمْ، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنْ جَعَلَ طَاعَتَكَ طَاعَتَهُ، فَقَالَ: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾(١)، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنْ بَعَثَكَ آخِرَ الأَنْبِيَاءِ وَذَكَرَكَ فِي أَوَّلِهِمْ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ﴾ الآيَةَ(٢)، بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي يَا رَسُولَ اللَّهِ! لَقَدْ بَلَغَ مِنْ فَضِيلَتِكَ عِنْدَ رَبِّكَ أَنَّ أَهْلَ النَّارِ يَوَدُّونَ أَنْ يَكُونُوا أَطَاعُوكَ وَهُمْ فِي أَطْبَاقِهَا يُعَذَّبُونَ يَقُولُونَ: ﴿يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾(٣).

❋ ❋ ❋

[تَغسِيلُه ﷺ]

وَمِنْ عَجِيبِ مَا اتَّفَقَ: مَا رُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: أَنَّهُمْ لَمَّا أَرَادُوا غَسْلَ النَّبِيِّ ﷺ قَالُوا: لاَ نَدْرِي أَنُجَرِّدُ النَّبِيَّ ﷺ مِنْ ثِيَابِهِ كَمَا نُجَرِّدُ مَوْتَانَا؟ أَمْ نَغسِلُهُ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ؟ فَلَمَّا اخْتَلَفُوا أَلْقَى اللَّهُ عَلَيْهِمُ النَّوْمَ حَتَّى مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلاَّ وَذَقَنُهُ فِي صَدْرِهِ، ثُمَّ كَلَّمَهُمْ مُكَلِّمٌ مِنْ نَاحِيَةِ الْبَيْتِ لاَ يَدْرُون

(١) سورة النساء، الآية: ٨٠.
(٢) سورة الأحزاب، الآية: ٧.
(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٦٦.

مَنْ هُوَ: اغْسِلُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ وَعَلَيْهِ ثِيَابُهُ، فَقَامُوا وَغَسَلُوهُ وَعَلَيْهِ قَمِيصُهُ، يَضَعُونَ الْمَاءَ فَوْقَ الْقَمِيصِ، وَيَدْلُكُونَهُ بِالْقَمِيصِ. رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ فِي دَلاَئِلِ النُّبُوَّةِ.

وَرَوَى ابْنُ مَاجَهْ بِسَنَدٍ جَيِّدٍ عَنْ عَلِيٍّ يَرْفَعُهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «**إِذَا أَنَا مِتُّ فَاغْسِلُونِي بِسَبْعِ قِرَبٍ مِنْ بِئْرِي بِئْرِ غَرْسٍ**»[١].

وَغُسِلَ ﷺ ثَلاَثَ غَسَلاَتٍ: الأُولَى بِالْمَاءِ الْقَرَاحِ[٢]، وَالثَّانِيَةُ بِالْمَاءِ وَالسِّدْرِ، وَالثَّالِثَةُ بِالْمَاءِ وَالْكَافُورِ، وَغَسَّلَهُ عَلِيٌّ، وَالْعَبَّاسُ وَابْنُهُ الْفَضْلُ يُعِينَانِهِ، وَقُثَمُ وَأُسَامَةُ وَشُقْرَانُ مَوْلاَهُ ﷺ يَصُبُّونَ الْمَاءَ وَأَعْيُنُهُمْ مَعْصُوبَةٌ مِنْ وَرَاءِ السِّتْرِ، لِحَدِيثِ عَلِيٍّ: «**لاَ يَغْسِلْنِي إِلاَّ أَنْتَ، فَإِنَّهُ لاَ يَرَى أَحَدٌ عَوْرَتِي إِلاَّ طُمِسَتْ عَيْنَاهُ**» رَوَاهُ الْبَزَّارُ وَالْبَيْهَقِيُّ.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: غَسَلَ عَلِيٌّ النَّبِيَّ ﷺ، فَكَانَ يَقُولُ وَهُوَ يَغْسِلُهُ ﷺ: «**بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي طِبْتَ حَيًّا وَمَيْتاً**».

وَأَخْرَجَ أَبُو دَاوُدَ وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ قَالَ: غَسَلْتُهُ ﷺ، فَذَهَبْتُ أَنْظُرُ مَا يَكُونُ مِنَ الْمَيْتِ فَلَمْ أَرَ شَيْئاً، وَكَانَ طَيِّباً حَيًّا وَمَيْتاً.

وَفِي رِوَايَةِ ابْنِ سَعْدٍ: وَسَطَعَتْ رِيحٌ طَيِّبَةٌ لَمْ يَجِدُوا مِثْلَهَا قَطُّ.

قِيلَ: وَجَعَلَ عَلِيٌّ عَلَى يَدِهِ خِرْقَةً وَأَدْخَلَهَا تَحْتَ الْقَمِيصِ، ثُمَّ اعْتَصَرُوا قَمِيصَهُ، وَحَنَّطُوا مَسَاجِدَهُ[٣] وَمَفَاصِلَهُ، وَوَضَّؤُوا مِنْهُ ذِرَاعَيْهِ وَوَجْهَهُ وَكَفَّيْهِ وَقَدَمَيْهِ، وَجَمَّرُوهُ عُوداً وَنَدًا.

---

(١) وقد ورد أنها من عيون الجنة، وماؤها أطيب المياه لكن نضب ماؤها.
(٢) الخالص.
(٣) أماكن السجود من جسمه ﷺ.

وَذَكَرَ ابْنُ الْجَوْزِيِّ أَنَّهُ رُوِيَ عَنْ جَعْفَرَ بْنِ مُحَمَّدٍ قَالَ: كَانَ الْمَاءُ يَسْتَنْقِعُ فِي جُفُونِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَانَ عَلِيٌّ يَحْسُوهُ ـ أَيْ: يَشْرَبُهُ بِفَمِهِ ـ.

***

[تَكْفِينُهُ ﷺ وَالصَّلاَةُ عَلَيْهِ وَدَفْنُهُ]

وَفِي حَدِيثِ عُرْوَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: كُفِّنَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي ثَلاَثَةِ أَثْوَابٍ بِيضٍ سَحُولِيَّةٍ مِنْ كُرْسُفٍ، لَيْسَ فِيهَا قَمِيصٌ وَلاَ عِمَامَةٌ. أَخْرَجَهُ الأَئِمَّةُ السِّتَّةُ بِزِيَادَةٍ وَنَقْصٍ. (وَالسَّحُولِيَّةُ: مَنْسُوبَةٌ إِلَى سَحُول، قَرْيَةٌ بِالْيَمَنِ. وَالْكُرْسُفُ: الْقُطْنُ).

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ ابْنِ مَاجَهْ: لَمَّا فَرَغُوا مِنْ جَهَازِهِ ﷺ يَوْمَ الثُّلاَثَاءِ وُضِعَ عَلَى سَرِيرِهِ فِي بَيْتِهِ، ثُمَّ دَخَلَ النَّاسُ عَلَيْهِ ﷺ أَرْسَالاً[1] يُصَلُّونَ عَلَيْهِ، حَتَّى إِذَا فَرَغُوا دَخَلَ النِّسَاءُ، حَتَّى إِذَا فَرَغْنَ دَخَلَ الصِّبْيَانُ، وَلَمْ يَؤُمَّ النَّاسَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَحَدٌ.

وَفِي رِوَايَةٍ[2]: أَنَّ مَنْ صَلَّى عَلَيْهِ ﷺ: الْمَلاَئِكَةُ أَفْوَاجاً، ثُمَّ أَهْلُ بَيْتِهِ، ثُمَّ النَّاسُ فَوْجاً فَوْجاً، ثُمَّ نِسَاؤُهُ آخِراً.

ثُمَّ قَالُوا: أَيْنَ تَدْفِنُونَهُ؟ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: **«مَا هَلَكَ»** أَيْ: مَاتَ **«نَبِيٌّ قَطُّ إِلاَّ يُدْفَنَ حَيْثُ تُقْبَضُ رُوحُهُ»**، وَقَالَ عَلِيٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: وَأَنَا أَيْضاً سَمِعْتُهُ[3].

---

(١) جماعات.

(٢) للطبراني وغيره بسندٍ واهٍ.

(٣) رواه ابن ماجه.

وَحفَرَ أَبُو طَلْحَةَ[1] لَحْدَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ فِي مَوْضِعِ فِرَاشِهِ حَيْثُ قُبِضَ.

وَقَدِ اخْتُلِفَ فِيمَنْ أَدْخَلَهُ قَبْرَهُ ﷺ: وَأَصَحُّ مَا رُوِيَ أَنَّهُ نَزَلَ فِي قَبْرِهِ عَلِيٌّ، وَعَمُّهُ الْعَبَّاسُ وَابْنَاهُ الْفَضْلُ وقُثَمُ، وَكَانَ قُثَمُ آخِرَ النَّاسِ عَهْداً بِرَسُولِ اللَّهِ ﷺ.

وَرُوِيَ أَنَّهُ بُنِيَ فِي قَبْرِهِ ﷺ تِسْعُ لَبِنَاتٍ، وَفُرِشَ تَحْتَهُ قَطِيفَةٌ نَجْرَانِيَّةٌ كَانَ يَتَغَطَّى بِهَا، فَرَشَهَا شُقْرَانُ فِي الْقَبْرِ وَقَالَ: وَاللَّهِ لاَ يَلْبَسُهَا أَحَدٌ بَعْدَكَ.

وَفِي كِتَابِ تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ[2]: قَالَ ابْنُ عَبْدِالْبَرِّ: ثُمَّ أُخْرِجَتْ - يَعْنِي الْقَطِيفَةَ - مِنَ الْقَبْرِ، لَمَّا فَرَغُوا مِنْ وَضْعِ اللَّبِنَاتِ التِّسْعِ.

وَلَمَّا دُفِنَ ﷺ جَاءَتْ فَاطِمَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا فَقَالَتْ: كَيْفَ طَابَتْ نُفُوسُكُمْ أَنْ تَحْثُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ التُّرَابَ[3]؟ وَأَخَذَتْ مِنْ تُرَابِ الْقَبْرِ الشَّرِيفِ وَوَضَعَتْهُ عَلَى عَيْنَيْهَا وَأَنْشَأَتْ تَقُولُ:

مَاذَا عَلَى مَنْ شَمَّ تُرْبَةَ أَحْمَدٍ ... أَنْ لاَ يَشَمَّ مَدَى الزَّمَانِ غَوَالِيَا[4]
صُبَّتْ عَلَيَّ مَصَائِبٌ لَوْ أَنَّهَا ... صُبَّتْ عَلَى الأَيَّامِ عُدْنَ لَيَالِيَا

وَفِي رِوَايَةِ الدَّارِمِيِّ: قَالَ أَنَسٌ: مَا رَأَيْتُ يَوْماً كَانَ أَحْسَنَ وَلاَ أَضْوَأَ مِنْ يَوْمٍ دَخَلَ عَلَيْنَا فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ، وَمَا رَأَيْتُ يَوْماً كَانَ أَقْبَحَ وَلاَ أَظْلَمَ مِنْ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ.

وَفِي رِوَايَةِ التِّرْمِذِيِّ عَنْهُ أَيْضاً: لَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي دَخَلَ فِيهِ

---

(١) زيد بن سهل الأنصاري.

(٢) بتلخيص معالم دار الهجرة لزين الدين المراغي المتوفىٰ سنة ٨١٦هـ.

(٣) رواه البخاري.

(٤) الغالية: أخلاط من الطيب.

رَسُولُ اللَّهِ ﷺ الْمَدِينَةَ أَضَاءَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الَّذِي مَاتَ فِيهِ أَظْلَمَ مِنْهَا كُلُّ شَيْءٍ، وَمَا نَفَضْنَا أَيْدِيَنَا مِنَ التُّرَابِ وَإِنَّا لَفِي دَفْنِهِ حَتَّى أَنْكَرْنَا قُلُوبَنَا.

وَمِنْ آيَاتِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بَعْدَ مَوْتِهِ مَا ذُكِرَ مِنْ حُزْنِ حِمَارِهِ عَلَيْهِ حَتَّى تَرَدَّى فِي بِئْرٍ[1]. وَكَذَا نَاقَتُهُ فَإِنَّهَا لَمْ تَأْكُلْ وَلَمْ تَشْرَبْ حَتَّى مَاتَتْ.

قَالَ رُزَيْنٌ: وَرُشَّ قَبْرُهُ الشَّرِيفُ ﷺ، رَشَّهُ بِلاَلُ بْنُ رِبَاحٍ بِقِرْبَةٍ بَدَأَ مِنْ قِبَلِ رَأْسِهِ. حَكَاهُ ابْنُ عَسَاكِرَ، وَجَعَلَ عَلَيْهِ مِنْ حَصْبَاءَ حَمْرَاءَ وَبَيْضَاءَ، وَرُفِعَ قَبْرُهُ عَنِ الأَرْضِ قَدْرَ شِبْرٍ.

وَفِي حَدِيثِ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا عِنْدَ الْبُخَارِيِّ قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ فِي مَرَضِهِ الَّذِي لَمْ يَقُمْ مِنْهُ: «**لَعَنَ اللَّهُ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**»، لَوْلاَ ذٰلِكَ لأُبْرِزَ قَبْرُهُ[2]، غَيْرَ أَنَّهُ خُشِيَ أَنْ يُتَّخَذَ مَسْجِداً[3].

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي بَكْرِ بْنِ عَيَّاشٍ، عَنْ سُفْيَانَ التَّمَّارِ: أَنَّهُ حَدَّثَهُ أَنَّهُ رَأَى قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ مُسَنَّماً ـ أَيْ: مُرْتَفِعاً ـ. زَادَ أَبُو نُعَيْمٍ فِي الْمُسْتَخْرَجِ: وَقَبْرُ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ كَذٰلِكَ.

وَرَوَى أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ مِنْ طَرِيقِ الْقَاسِمِ بْنِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ قَالَ: دَخَلْتُ عَلَى عَائِشَةَ فَقُلْتُ: يَا أُمَّهْ! اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ، فَكَشَفَ لِي

---

(١) ذكره ابن حبان في الضعفاء وقال: لا أصل له.

(٢) أي: كُشِف ولم يُتخذ عليه حائل، والمراد: الدفن خارج بيته.

(٣) ولهذا لمّا وُسّع المسجد جُعلت الحُجْرة الشريفة مثلّثة الشكل حتىٰ لا يتأتىٰ لأحد أن يصلّي إلىٰ جهة القبر الكريم مع استقبال القبلة.

عَنْ ثَلاَثَةِ قُبورٍ، لاَ مُشْرِفَةٍ وَلاَ لاَطِئَةٍ، مَبْطُوحَةٍ بِبَطْحَاءِ الْعَرْصَةِ[1] الْحَمْرَاءِ. زَادَ الْحَاكِمُ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ مُقَدَّماً، وَأَبُو بَكْرٍ رَأْسُهُ بَيْنَ كَتِفَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُمَرُ رَأْسُهُ عِنْدَ رِجْلَيِ النَّبِيِّ ﷺ، وَهٰذَا كَانَ فِي خِلاَفَةِ مُعَاوِيَةَ، فَكَأَنَّهَا كَانَتْ فِي الأَوَّلِ مُسَطَّحَةً، ثُمَّ لَمَّا بُنِيَ جِدَارُ الْقُبُورِ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِالْعَزِيزِ عَلَى الْمَدِينَةِ مِنْ قِبَلِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ صَيَّرُوهَا مُرْتَفِعَةً.

وَقَدْ رَوَى أَبُو بَكْرٍ الآجُرِيُّ فِي صِفَةِ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ غُنَيْمِ بْنِ بِسْطَاسٍ الْمَدَنِيِّ قَالَ: رَأَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ فِي إِمَارَةِ عُمَرَ بْنِ عَبْدِ الْعَزِيزِ، رَأَيْتُهُ مُرْتَفِعاً نَحْواً مِنْ أَرْبَعِ أَصَابِعَ، وَرَأَيْتُ قَبْرَ أَبِي بَكْرٍ وَرَاءَ قَبْرِهِ، وَرَأَيْتُ قَبْرَ عُمَرَ وَرَاءَ قَبْرِ أَبِي بَكْرٍ أَسْفَلَ مِنْهُ.

وَعَنْ هِشَامِ بْنِ عُرْوَةَ عَنْ أَبِيهِ: لَمَّا سَقَطَ عَلَيْهِمُ الْحَائِطُ (يَعْنِي: حَائِطَ حُجْرَةِ النَّبِيِّ ﷺ) فِي زَمَانِ الْوَلِيدِ بْنِ عَبْدِالْمَلِكِ أَخَذُوا فِي بِنَائِهِ، فَبَدَتْ لَهُمْ قَدَمٌ، فَفَزِعُوا وَظَنُّوا أَنَّهَا قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ، فَمَا وَجَدُوا أَحَداً يَعْلَمُ ذٰلِكَ، حَتَّى قَالَ لَهُمْ عُرْوَةُ: وَاللّهِ مَا هِيَ قَدَمُ النَّبِيِّ ﷺ، مَا هِيَ إِلاَّ قَدَمُ عُمَرَ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ.

وَرَوَى الآجُرِيُّ: قَالَ رَجَاءُ بْنُ حَيْوَةَ: قَبْرُ أَبِي بَكْرٍ عِنْدَ وَسْطِ النَّبِيِّ ﷺ، وَعُمَرُ خَلْفَ أَبِي بَكْرٍ رَأْسُهُ عِنْدَ وَسْطِهِ، وَهٰذَا ظَاهِرُهُ يُخَالِفُ حَدِيثَ الْقَاسِمِ، فَإِنْ أَمْكَنَ الْجَمْعُ وَإِلاَّ فَحَدِيثُ الْقَاسِمِ أَصَحُّ.

وَنَقَلَ أَهْلُ السِّيَرِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ قَالَ: بَقِيَ فِي الْبَيْتِ مَوْضِعُ قَبْرٍ فِي السَّهْوَةِ الشَّرْقِيَّةِ، يُدْفَنُ فِيهَا عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَيَكُونُ قَبْرُهُ الرَّابِعَ. (وَالسَّهْوَةُ: بَيْتٌ صَغِيرٌ مُنْحَدِرٌ فِي الأَرْضِ قَلِيلاً، شَبِيهٌ بِالْمَخْدَعِ وَالْخِزَانَةِ).

---

(١) البَطْحة: مسافة بمقدار قامة المنبطِح. والعَرْصة: الساحة.

وَفِي الْمُنْتَظَمِ[1] لابْنِ الْجَوْزِيِّ[2]: عَنِ ابْنِ عُمَرَ، أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «يَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ فِي الأَرْضِ، فَيَتَزَوَّجُ وَيُولَدُ لَهُ، وَيَمْكُثُ خَمْساً وَأَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يَمُوتُ، فَيُدْفَنُ مَعِي فِي قَبْرِي، وَأَقُومُ أَنَا وَعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ مِنْ قَبْرٍ وَاحِدٍ بَيْنَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ».

(١) في تاريخ الأمم.
(٢) عبدالرحمٰن بن علي المتوفىٰ سنة ٥٩٧هـ.

الفصل الثاني

فِي زِيَارَةِ قَبْرِهِ الْشَّرِيفِ، وَمَسْجِدِهِ الْمُنِيفِ[1] ﷺ

اعْلَمْ أَنَّ زِيَارَةَ قَبْرِهِ الْشَّرِيفِ ﷺ مِنْ أَعْظَمِ الْقُرُبَاتِ، وَأَرْجَى الْطَّاعَاتِ، وَالسَّبِيلُ إِلَى أَعْلَى الْدَّرَجَاتِ. وَمَنِ اعْتَقَدَ غَيْرَ هٰذَا فَقَدِ انْخَلَعَ مِنْ رِبْقَةِ الإِسْلاَمِ[2]، وَخَالَفَ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَجَمَاعَةَ الْعُلَمَاءِ الأَعْلاَمِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: إِنَّهَا سُنَّةٌ مِنْ سُنَنِ الْمُسْلِمِينَ مُجْمَعٌ عَلَيْهَا، وَفَضِيلَةٌ مُرَغَّبٌ فِيهَا. فَقَدْ رَوَى الْدَّارَقُطْنِيُّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**مَن زَارَ قَبْرِي وَجَبَتْ لَهُ شَفَاعَتِي**»[3]. وَرَوَى الْطَّبَرَانِيُّ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «**مَنْ جَاءَنِي زَائِراً لاَ تُعْمِلُهُ حَاجَةٌ**[4] **إِلاَّ زِيَارَتِي كَانَ حَقًّا عَلَيَّ أَنْ أَكُونَ شَفِيعاً لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» وَصَحَّحَهُ ابْنُ الْسَّكَنِ.

---

(١) المرتفع على غيره.

(٢) والرِّبْق: حبل فيه عدة عُرَى، وكل عروة رِبقة.

(٣) رواه ابن خزيمة في صحيحه وأشار إلىٰ ضعفه، والبيهقي وضعّفه، والدارقطني والبزار والطبراني، وصححه كثير من الأئمة (كعبدالحق، والتقي السبكي) وقال الذهبي: طرقه كلها ليّنة، لكن يتقوّىٰ بعضها ببعض، ومِن أجودها حديث حاطب الآتي.

(٤) لا تحمله علىٰ العمل حاجة.

وَفِي الإِحْيَاءِ[١]: قَالَ ﷺ: «**مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَلَمْ يَفِدْ إِلَيَّ فَقَدْ جَفَانِي**»[٢].

وَأَخْرَجَ ابْنُ النَّجَّارِ[٣] عَنْ أَنَسٍ: مَا مِنْ أَحَدٍ مِنْ أُمَّتِي لَهُ سَعَةٌ ثُمَّ لَمْ يَزُرْنِي إِلاَّ وَلَيْسَ لَهُ عُذْرٌ.

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ وَغَيْرُهُ[٤]: عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا مَرْفُوعاً إِلَى النَّبِيِّ ﷺ: «**مَنْ حَجَّ وَلَمْ يَزُرْنِي فَقَدْ جَفَانِي**».

وَعَنْ حَاطِبٍ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «**مَنْ زَارَنِي بَعْدَ مَوْتِي فَكَأَنَّمَا زَارَنِي فِي حَيَاتِي، وَمَنْ مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ[٥].

وَعَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ تَعَالَى عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يَقُولُ: «**مَنْ زَارَ قَبْرِي** ـ أَوْ قَالَ: مَنْ زَارَنِي ـ **كُنْتُ شَفِيعاً لَهُ وَشَهِيداً**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ وَغَيْرُهُ[٦].

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «**مَنْ زَارَنِي بِالْمَدِينَةِ مُحتَسِباً كَانَ فِي جِوَارِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» رَوَاهُ الْبَيْهَقِيُّ أَيْضاً.

قَالَ الْعَلاَّمَةُ زَيْنُ الدِّينِ بْنُ الْحُسَيْنِ الْمَرَاغِيُّ: وَيَنْبَغِي لِكُلِّ مُسْلِمٍ اعْتِقَادُ كَوْنِ زِيَارَتِهِ ﷺ قُرْبَةً لِلأَحَادِيثِ الْوَارِدَةِ فِي ذٰلِكَ[٧]، وَلِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ

---

(١) للغزالي.

(٢) رواه ابن عدي والدارقطني في غرائب مالك، وابن حبان في الضعفاء.

(٣) في تاريخ المدينة.

(٤) الخطيب في الرواة عن مالك.

(٥) والطبراني والدارقطني وابن عساكر.

(٦) كالطيالسي.

(٧) قال الشارح: مجموع الأحاديث لا تقصر عن الحسَن، وإن كان في أفرادها مقال.

اللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[١]، وَقَدِ اسْتَغْفَرَ ﷺ لِلْجَمِيعِ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ﴾[٢]، فَإِذَا وُجِدَ مَجِيئُهُمْ وَاسْتِغْفَارُهُمْ تَكَمَّلَتِ الأُمُورُ الثَّلاثَةُ الْمُوجِبَةُ لِتَوْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى وَرَحْمَتِهِ.

وَيَنْبَغِي لِمَنْ نَوَى زِيَارَتَهُ ﷺ أَنْ يَنْوِيَ مَعَ ذٰلِكَ زِيَارَةَ مَسْجِدِهِ الشَّرِيفِ وَالصَّلاةَ فِيهِ، فَإِنَّهُ أَحَدُ الْمَسَاجِدِ الثَّلاثَةِ الَّتِي لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ[٣] إِلاَّ إِلَيْهَا، وَهُوَ أَفْضَلُهَا عِنْدَ مَالِكٍ.

وَقَدْ وَرَدَ[٤] أَنَّ عُمَرَ بْنَ عَبْدِالْعَزِيزِ: كَانَ يُبَرِّدُ الْبَرِيدَ لِلسَّلاَمِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ. (وَمَعْنَى يُبَرِّدُ: يُرْسِلُ. وَالْبَرِيدُ: الرَّسُولُ الْمُسْتَعْجِلُ).

وَيَنْبَغِي لِمَنْ أَرَادَ زِيَارَتَهُ ﷺ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الصَّلاَةِ وَالتَّسْلِيمِ عَلَيْهِ فِي طَرِيقِهِ، فَإِذَا وَقَعَ بَصَرُهُ عَلَى مَعَالِمِ الْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ وَمَا تُعْرَفُ بِهِ فَلْيُرَدِّدِ الصَّلاَةَ عَلَيْهِ وَالتَّسْلِيمَ، وَيَسْأَلِ اللَّهَ أَنْ يَنْفَعَهُ بِزِيَارَتِهِ وَيُسْعِدَهُ بِهَا فِي الدَّارَيْنِ، وَلْيَغْتَسِلْ، وَلْيَلْبَسِ النَّظِيفَ مِنْ ثِيَابِهِ، وَلْيَتَرَجَّلْ مَاشِياً بَاكِياً.

وَلَمَّا رَأَى وَفْدُ عَبْدِالْقَيْسِ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَلْقَوْا أَنْفُسَهُمْ عَنْ رَوَاحِلِهِمْ وَلَمْ يُنِيخُوهَا وَسَارَعُوا إِلَيْهِ، فَلَمْ يُنْكِرْ ذٰلِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ.

وَيُسْتَحَبُّ صَلاَةُ رَكْعَتَيْنِ تَحِيَّةَ الْمَسْجِدِ قَبْلَ الزِّيَارَةِ. قِيلَ: وَهٰذَا إِذَا لَمْ يَكُنْ مُرُورُهُ مِنْ جِهَةِ وَجْهِهِ الشَّرِيفِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَإِنْ كَانَ اسْتُحِبَّتِ الزِّيَارَةُ قَبْلَ التَّحِيَّةِ.

---

(١) سورة النساء، الآية: ٦٤.

(٢) سورة محمد، الآية: ١٩.

(٣) من أجل الصلاة في مسجد.

(٤) عند البيهقي في شُعَب الإيمان.

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَسْتَحْضِرَ مِنَ الْخُشُوعِ مَا أَمْكَنَهُ، وَلْيَكُنْ مُقْتَصِداً فِي كَلاَمِهِ بَيْنَ الْجَهْرِ وَالإِسْرَارِ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ: أَنَّ عُمَرَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ قَالَ لِرَجُلَيْنِ مِنَ الطَّائِفِ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ الْبَلَدِ لأَوْجَعْتُكُمَا ضَرْباً، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ.

وَرُوِيَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا كَانَتْ تَسْمَعُ صَوْتَ الْوَتِدِ يُوتَدُ وَالْمِسْمَارُ يُضْرَبُ فِي بَعْضِ الدُّورِ الْمُطِيفَةِ بِمَسْجِدِ النَّبِيِّ ﷺ، فَتُرْسِلُ إِلَيْهِمْ لاَ تُؤْذُوا رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ.

قَالُوا: وَمَا عَمِلَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُ مِصْرَاعَيْ دَارِهِ إِلاَّ بِالْمَنَاصِعِ ـ اسْمُ مَكَانٍ خَارِجَ الْمَدِينَةِ ـ تَوَقِّياً لِذٰلِكَ، فَيَجِبُ الأَدَبُ مَعَهُ كَمَا فِي حَيَاتِهِ ﷺ.

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَتَقَدَّمَ إِلَى الْقَبْرِ الشَّرِيفِ مِنْ جِهَةِ الْقِبْلَةِ، وَإِنْ جَاءَ مِنْ جِهَةِ رِجْلَيِ الصَّاحِبَيْنِ فَهُوَ أَبْلَغُ فِي الأَدَبِ مِنَ الإِتْيَانِ مِنْ جِهَةِ رَأْسِهِ الْمُكَرَّمِ، وَيَسْتَدْبِرَ الْقِبْلَةَ، وَيَقِفَ قُبَالَةَ وَجْهِهِ ﷺ، وَقَدْ رُوِيَ[1] أَنَّ مَالِكاً سَأَلَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْمَنْصُورُ الْعَبَّاسِيُّ: يَا أَبَا عَبْدِاللّٰهِ! أَسْتَقْبِلُ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ وَأَدْعُو؟ أَمْ أَسْتَقْبِلُ الْقِبْلَةَ وَأَدْعُو؟ فَقَالَ لَهُ مَالِكٌ: وَلِمَ تَصْرِفُ وَجْهَكَ عَنْهُ، وَهُوَ وَسِيلَتُكَ وَوَسِيلَةُ أَبِيكَ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ[2].

وَيَنْبَغِي أَنْ يُلاَزِمَ الأَدَبَ وَالْخُشُوعَ وَالتَّوَاضُعَ، غَاضَّ الْبَصَرِ فِي مَقَامِ

---

(١) في الشفا للقاضي عياض.

(٢) قال ابن فرحون: ولعلّه أمرَ المنصور بذلك لأنه يعلم ما يدعو، ويَعلَم آداب الدعاء بين يديه ﷺ فأُمِن عليه من سوء الأدب، فأفتاه بذلك، وأفتىٰ العامّة أن يسلّموا وينصرفوا لئلا يدْعو تلقاء وجهه الكريم، ويتوسّلوا به في حضرته إلىٰ الله العظيم فيما لا ينبغي الدعاء به أو فيما يكره أو يحرم، فلذلك أمرهم بالسلام والانصراف.

الْهَيْبَةِ، كَمَا كَانَ يَفْعَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ فِي حَيَاتِهِ، وَيَسْتَحْضِرَ عِلْمَهُ بِوُقُوفِهِ بَيْنَ يَدَيْهِ وَسَمَاعَهُ لِسَلاَمِهِ كَمَا هُوَ فِي حَالِ حَيَاتِهِ، إِذْ لاَ فَرْقَ بَيْنَ مَوْتِهِ وَحَيَاتِهِ فِي مُشَاهَدَتِهِ لأُمَّتِهِ، وَمَعْرِفَتِهِ بِأَحْوَالِهِمْ وَنِيَّاتِهِمْ وَعَزَائِمِهِمْ وَخَوَاطِرِهِمْ، وَذٰلِكَ عِنْدَهُ جَلِيٌّ لاَ خَفَاءَ بِهِ(١).

وَقَدْ رَوَى ابْنُ الْمُبَارَكِ عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيِّبِ: لَيْسَ مِنْ يَوْمٍ إِلاَّ وَتُعْرَضُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ أَعْمَالُ أُمَّتِهِ غُدْوَةً وَعَشِيَّةً، فَيَعْرِفُهُمْ بِسِيمَاهُمْ وَأَعْمَالِهِمْ، فَلِذٰلِكَ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ.

وَلْيُمَثِّلِ الزَّائِرُ وَجْهَهُ الْكَرِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فِي ذِهْنِهِ، وَيُحْضِرْ قَلْبَهُ جَلاَلَ رُتْبَتِهِ وَعُلُوَّ مَنْزِلَتِهِ وَعَظِيمَ حُرْمَتِهِ، وَأَنَّ أَكَابِرَ الصَّحْبِ مَا كَانُوا يُخَاطِبُونَهُ إِلاَّ كَأَخِي السِّرَارِ، تَعْظِيماً لِمَا عَظَّمَ اللّٰهُ مِنْ شَأْنِهِ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ: أَنَّ امْرَأَةً سَأَلَتْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهَا: أَنِ اكْشِفِي لِي عَنْ قَبْرِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، فَكَشَفَتْهُ، فَبَكَتْ حَتَّى مَاتَتْ.

وَحُكِيَ عَنْ أَبِي الْفَضَائِلِ الْحَمَوِيِّ أَحَدِ خُدَّامِ الْحُجْرَةِ الْمُقَدَّسَةِ: أَنَّهُ شَاهَدَ شَخْصاً مِنَ الزُّوَّارِ الشُّيُوخِ أَتَى بَابَ مَقْصُورَةِ الْحُجْرَةِ الشَّرِيفَةِ، فَطَأْطَأَ رَأْسَهُ نَحْوَ الْعَتَبَةِ، فَحَرَّكُوهُ فَإِذَا هُوَ مَيِّتٌ، وَكَانَ(٢) مِمَّنْ شَهِدَ جَنَازَتَهُ.

ثُمَّ يَقُولُ الزَّائِرُ بِحُضُورِ قَلْبٍ، وَغَضِّ طَرْفٍ وَصَوْتٍ، وَسُكُونٍ وَإِطْرَاقٍ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّٰهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللّٰهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا حَبِيبَ اللّٰهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا خِيرَةَ خَلْقِ اللّٰهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا صَفْوَةَ اللّٰهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا سَيِّدَ الْمُرْسَلِينَ وَخَاتِمَ النَّبِيِّينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا

(١) بإطلاع الله تعالىٰ له علىٰ ذلك. كما قال الشارح.

(٢) أبو الفضائل.

قَائِدَ الْغُرِّ الْمُحَجَّلِينَ[1]، السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَهْلِ بَيْتِكَ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَزْوَاجِكَ الطَّاهِرَاتِ أُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَى أَصْحَابِكَ أَجْمَعِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ وَعَلَى سَائِرِ الأَنْبِيَاءِ وَسَائِرِ عِبَادِ اللّهِ الصَّالِحِينَ، جَزَاكَ اللّهُ يَا رَسُولَ اللّهِ أَفْضَلَ مَا جَزَى نَبِيًّا وَرَسُولاً عَنْ أُمَّتِهِ، وَصَلَّى اللّهُ عَلَيْكَ كُلَّمَا ذَكَرَكَ الذَّاكِرُونَ وَغَفَلَ عَنْ ذِكْرِكَ الْغَافِلُونَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّهُ وَأَشْهَدُ أَنَّكَ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، وَأَمِينُهُ وَخِيرَتُهُ مِنْ خَلْقِهِ، وَأَشْهَدُ أَنَّكَ قَدْ بَلَّغْتَ الرِّسَالَةَ، وَأَدَّيْتَ الأَمَانَةَ، وَنَصَحْتَ الأُمَّةَ، وَجَاهَدْتَ فِي اللّهِ حَقَّ جِهَادِهِ.

وَمَنْ ضَاقَ وَقْتُهُ عَنْ ذٰلِكَ أَوْ عَنْ حِفْظِهِ فَلْيَقُلْ مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ، أَوْ مهمَّا يَحْصُلُ بِهِ الْغَرَضُ.

وَفِي تُحْفَةِ الزَّائِرِ لابْنِ عَسَاكِرَ: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ وَغَيْرَهُ مِنَ السَّلَفِ كَانُوا يَقْتَصِرُونَ وَيُوجِزُونَ فِي هٰذَا جِدًّا، فَعَنْ مَالِكِ بْنِ أَنَسٍ إِمَامِ دَارِ الْهِجْرَةِ (وَنَاهِيكَ بِهِ خِبْرَةً بِهٰذَا الشَّأْنِ) مِنْ رِوَايَةِ ابْنِ وَهْبٍ عَنْهُ، يَقُولُ الزَّائِرُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللّهِ وَبَرَكَاتُهُ.

وَعَنْ نَافِعٍ عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا: أَنَّهُ كَانَ إِذَا قَدِمَ مِنْ سَفَرٍ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، ثُمَّ أَتَى الْقَبْرَ الْمُقَدَّسَ فَقَالَ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللّهِ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَا بَكْرٍ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَبَتَاهُ.

وَيَنْبَغِي أَنْ يَدْعُوَ وَلاَ يَتَكَلَّفُ السَّجْعَ؛ فَإِنَّهُ يُؤَدِّي إِلَى الإِخْلاَلِ بِالْخُشُوعِ.

---

(١) أي: يا قائد المتوضئين، إذ يأتون يوم القيامة وفي أعضاء وضوئهم نور مثل البياض الذي يكون في وجه الفَرَس ويديه ورجليه.

وَقَدْ حَكَى جَمَاعَةٌ[1] الْحِكَايَةَ الْمَشْهُورَةَ[2] عَنِ الْعُتْبِيِّ (وَاسْمُهُ مُحَمَّدُ بْنُ عُبَيْدِاللّهِ، تُوُفِّيَ فِي سَنَةِ ثَمَانٍ وَعِشْرِينَ وَمِئَتَيْنِ) قَالَ: أَتَيْتُ قَبْرَ النَّبِيِّ ﷺ، فَزُرْتُهُ وَجَلَسْتُ بِحِذَائِهِ، فَجَاءَ أَعْرَابِيٌّ فَزَارَهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا خَيْرَ الرُّسُلِ! إِنَّ اللّهَ أَنْزَلَ عَلَيْكَ كِتَاباً صَادِقاً قَالَ فِيهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[3]، وَقَدْ جِئْتُكَ مُسْتَغْفِراً مِنْ ذَنْبِي، مُسْتَشْفِعاً بِكَ إِلَى رَبِّي. وَأَنْشَأَ يَقُولُ:

يَا خَيْرَ مَنْ دُفِنَتْ بِالْقَاعِ أَعْظُمُهُ ... فَطَابَ مِنْ طِيبِهِنَّ الْقَاعُ وَالأَكَمُ[4]
نَفْسِي الْفِدَاءُ لِقَبْرٍ أَنْتَ سَاكِنُهُ ... فِيهِ الْعَفَافُ وَفِيهِ الْجُودُ وَالْكَرَمُ

ثُمَّ اسْتَغْفَرَ وَانْصَرَفَ، فَرَقَدْتُ، فَرَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ وَهُوَ يَقُولُ: الْحَقِ الأَعْرَابِيَّ وَبَشِّرْهُ بِأَنَّ اللّهَ تَعَالَى قَدْ غَفَرَ لَهُ بِشَفَاعَتِي، فَاسْتَيْقَظْتُ وَخَرَجْتُ بِطَلَبِهِ فَلَمْ أَجِدْهُ.

وَوَقَفَ أَعْرَابِيٌّ عَلَى قَبْرِهِ الشَّرِيفِ ﷺ وَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمَرْتَ بِعِتْقِ الْعَبِيدِ، وَهٰذَا حَبِيبُكَ وَأَنَا عَبْدُكَ، فَأَعْتِقْنِي مِنَ النَّارِ عَلَى قَبْرِ حَبِيبِكَ، فَهَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ: يَا هٰذَا تَسْأَلُ الْعِتْقَ لَكَ وَحْدَكَ؟ هَلاَّ سَأَلْتَ لِجَمِيعِ الْخَلْقِ؟ اذْهَبْ فَقَدْ أَعْتَقْنَاكَ مِنَ النَّارِ[5].

وَعَنِ الْحَسَنِ الْبَصْرِيِّ قَالَ: وَقَفَ حَاتِمٌ الأَصَمُّ عَلَى قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ

---

(١) منهم أبو نصر بن الصباغ في (الشامل).
(٢) التي ذكرها ابن النجار، وابن عساكر، وابن الجوزي في (مثير الغرام الساكن إلىٰ أشرف الأماكن).
(٣) سورة النساء، الآية: ٦٤.
(٤) التلال.
(٥) إن الملوك إذا شابت عبيدهم ... في رقهم أعتقوهم عتق أبرار
وأنت يا سيدي أولى بذا كرما ... قد شبتُ في الرق فأعتقني من النار

فَقَالَ: يَا رَبِّ! إِنَّا زُرْنَا قَبْرَ نَبِيِّكَ فَلاَ تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، فَنُودِيَ: يَا هٰذَا! مَا أَذِنَّا لَكَ فِي زِيَارَةِ قَبْرِ حَبِيبِنَا إِلاَّ وَقَدْ قَبِلْنَاكَ، فَارْجِعْ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ مِنَ الزُّوَّارِ مَغْفُوراً لَكُمْ.

وَقَالَ ابْنُ أَبِي فُدَيْكٍ: سَمِعْتُ بَعْضَ مَنْ أَدْرَكْتُ يَقُولُ: بَلَغَنَا أَنَّ مَنْ وَقَفَ عِنْدَ قَبْرِ النَّبِيِّ ﷺ فَتَلاَ هٰذِهِ الآيَةَ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾﴾[١] وَقَالَ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدُ حَتَّى يَقُولَهَا سَبْعِينَ مَرَّةً نَادَاهُ مَلَكٌ: صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ يَا فُلاَنُ، وَلَمْ تَسْقُطْ لَكَ حَاجَةٌ[٢]. قَالَ الشَّيْخُ زَيْنُ الدِّينِ الْمَرَاغِيُّ وَغَيْرُهُ: وَالأَوْلَى أَنْ يُنَادِيَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَإِنْ كَانَتِ الرِّوَايَةُ يَا مُحَمَّدُ.

فَإِنْ أَوْصَاهُ أَحَدٌ بِإِبْلاَغِ السَّلاَمِ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَلْيَقُلْ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ مِنْ فُلاَنٍ.

ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ (لأَنَّ رَأْسَهُ بِحِذَاءِ مَنْكِبِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ) فَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا خَلِيفَةَ سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَيَّدَ اللَّهُ بِهِ يَوْمَ الرِّدَّةِ الدِّينَ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْراً، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ وَارْضَ عَنَّا بِهِ.

ثُمَّ يَنْتَقِلُ عَنْ يَمِينِهِ قَدْرَ ذِرَاعٍ فَيُسَلِّمُ عَلَى عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ فَيَقُولُ: السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، السَّلاَمُ عَلَيْكَ يَا مَنْ أَيَّدَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ، جَزَاكَ اللَّهُ عَنِ الإِسْلاَمِ وَالْمُسْلِمِينَ خَيْراً، اللَّهُمَّ ارْضَ عَنْهُ وَارْضَ عَنَّا بِهِ.

ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى مَوْقِفِهِ الأَوَّلِ قُبَالَةَ وَجْهِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَيَحْمَدُ اللَّهَ

---

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٥٦.

(٢) رواه البيهقي.

تَعَالَى وَيُمَجِّدُهُ، وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، وَيُكْثِرُ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ، وَيُجَدِّدُ التَّوْبَةَ فِي حَضْرَتِهِ الْكَرِيمَةِ، وَيَسْأَلُ اللَّهَ بِجَاهِهِ ﷺ أَنْ يَجْعَلَهَا تَوْبَةً نَصُوحاً، وَيُكْثِرُ مِنَ الصَّلاَةِ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ بِحَضْرَتِهِ الشَّرِيفَةِ، حَيْثُ يَسْمَعُهُ وَيَرُدُّ عَلَيْهِ.

فَقَدْ رَوَى أَبُو دَاوُدَ[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«مَا مِنْ مُسْلِمٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلاَّ رَدَّ اللَّهُ عَلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلاَمَ»**، وَمَعْنَى رَدِّ رُوحِهِ ﷺ حَتَّى يَرُدَّ عَلَى الْمُسَلِّمِ السَّلاَمَ مَعَ أَنَّهُ حَيٌّ فِي قَبْرِهِ بِلاَ شَكٍّ: إِقْبَالٌ خَاصٌّ، وَالْتِفَاتٌ رُوحَانِيٌّ يَحْصُلُ مِنَ الْحَضْرَةِ النَّبَوِيَّةِ لِذٰلِكَ الْمُسْلِمِ، وَهٰذَا الإِقْبَالُ يَكُونُ عَامًّا شَامِلاً، حَتَّى لَوْ كَانَ الْمُسْلِمُونَ فِي كُلِّ لَمْحَةٍ أَكْثَرَ مِنْ أَلْفِ أَلْفٍ لَوَسِعَهُمْ ذٰلِكَ الإِقْبَالُ النَّبَوِيُّ وَالالْتِفَاتُ الرُّوحَانِيُّ.

قَالَ صَاحِبُ الأَصْلِ الْعَلاَّمَةُ شِهَابُ الدِّينِ أَحْمَدُ الْقَسْطَلاَّنِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: وَلَقَدْ رَأَيْتُ مِنْ ذٰلِكَ مَا لاَ أَسْتَطِيعُ أَنْ أُعَبِّرَ عَنْهُ.

وَلَقَدْ أَحْسَنَ مَنْ سُئِلَ: كَيْفَ يَرُدُّ النَّبِيُّ ﷺ عَلَى مَنْ يُسَلِّمُ مِنْ مَشَارِقِ الأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا فِي آنٍ وَاحِدٍ؟ فَأَنْشَدَ قَوْلَ أَبِي الطَّيِّبِ:

كَالشَّمْسِ فِي وَسَطِ السَّمَاءِ، وَنُورُهَا ... يَغْشَى الْبِلاَدَ مَشَارِقاً وَمَغَارِبَا

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ حَالَهُ ﷺ فِي الْبَرْزَخِ أَفْضَلُ وَأَكْمَلُ مِنْ حَالِ الْمَلاَئِكَةِ، هٰذَا وَسَيِّدُنَا عِزْرَائِيلُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ يَقْبِضُ مِئَةَ أَلْفِ رُوحٍ فِي آنٍ وَاحِدٍ وَلاَ يَشْغَلُهُ قَبْضٌ عَنْ قَبْضٍ، وَهُوَ مَعَ ذٰلِكَ مَشْغُولٌ بِعِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى، مُقْبِلٌ عَلَى التَّسْبِيحِ وَالتَّقْدِيسِ.

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: **«مَنْ صَلَّى عَلَيَّ عِنْدَ قَبْرِي سَمِعْتُهُ، وَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ غَائِباً بُلِّغْتُهُ»**.

---

(١) بإسناد صحيح.

وَعَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ سُحَيْمٍ قَالَ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ فِي النَّوْمِ، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! هٰؤُلاَءِ الَّذِينَ يَأْتُونَكَ فَيُسَلِّمُونَ عَلَيْكَ أَتَفْقَهُ سَلاَمَهُمْ؟ قَالَ: **«نَعَمْ، وَأَرُدُّ عَلَيْهِمْ»**.

وَلاَ شَكَّ أَنَّهُ ﷺ حَيٌّ يُصَلِّي فِي قَبْرِهِ كَسَائِرِ الأَنْبِيَاءِ، كَمَا وَرَدَ ذٰلِكَ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ.

وَقَدْ رَوَى ابْنُ النَّجَّارِ: عَنْ سَعِيدِ بْنِ الْمُسَيَّبِ أَنَّهُ قَالَ: لَمَّا تَغَلَّبَ عَسْكَرُ يَزِيدَ عَلَى الْمَدِينَةِ الْمُنَوَّرَةِ لَمْ يُؤَذَّنْ فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَلَمَّا حَضَرَتِ الظُّهْرُ سَمِعْتُ الأَذَانَ فِي الْقَبْرِ، فَصَلَّيْتُ رَكْعَتَيْنِ، ثُمَّ سَمِعْتُ الإِقَامَةَ فَصَلَّيْتُ الظُّهْرَ، ثُمَّ مَضَى ذٰلِكَ الأَذَانُ وَالإِقَامَةُ فِي الْقَبْرِ الْمُقَدَّسِ لِكُلِّ صَلاَةٍ، حَتَّى مَضَتِ الثَّلاَثُ لَيَالٍ (يَعْنِي: لَيَالِيَ أَيَّامِ الْحَرَّةِ).

وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّ نَبِيَّنَا ﷺ مَاتَ شَهِيداً لأَكْلِهِ يَوْمَ خَيْبَرَ مِنْ شَاةٍ مَسْمُومَةٍ سُمًّا قَاتِلاً مِنْ سَاعَتِهِ؛ حَتَّى مَاتَ مِنْهُ بِشْرُ بْنُ الْبَرَاءِ، وَصَارَ بَقَاؤُهُ ﷺ مُعْجِزَةً، فَكَانَ أَلَمُ السُّمِّ يَتَعَاهَدُهُ إِلَى أَنْ مَاتَ بِهِ.

قَالَ الْعُلَمَاءُ: فَجَمَعَ اللَّهُ لَهُ بِذٰلِكَ النُّبُوَّةَ وَالشَّهَادَةَ.

وَقَدْ ثَبَتَتْ حَيَاةُ الشُّهَدَاءِ بِنَصِّ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًۢا ۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ﴿١٦٩﴾﴾[1]، فَهُوَ ﷺ حَيٌّ مِنْ وَجْهَيْنِ: وَجْهِ النُّبُوَّةِ، وَوَجْهِ الشَّهَادَةِ، بَلْ هُوَ ﷺ أَفْضَلُ الأَنْبِيَاءِ وَأَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ، فَحَيَاتُهُ أَكْمَلُ مِنْ حَيَاتِهِمْ.

وَقَدْ جَاءَ فِي الْحَدِيثِ الشَّرِيفِ: **«أَنَّ الْمُؤْمِنَ يُقْبَرُ فِي التُّرْبَةِ الَّتِي خُلِقَ**

---

(١) سورة آل عمران، الآية: ١٦٩.

مِنْهَا»[1]. فَكَانَتْ بِهٰذَا تُرْبَةُ الْمَدِينَةِ أَفْضَلَ التُّرَبِ، كَمَا أَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ أَفْضَلُ الْبَشَرِ، فَلِهٰذَا وَاللّٰهُ أَعْلَمُ يَتَضَاعَفُ رِيحُ الطِّيبِ فِيهَا عَلَى سَائِرِ الْبُلْدَانِ. قَالَهُ ابْنُ بَطَّالٍ.

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يُكْثِرَ مِنَ الدُّعَاءِ وَالتَّضَرُّعِ وَالاسْتِغَاثَةِ وَالتَّشَفُّعِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّوَجُّهِ بِهِ ﷺ، فَجَدِيرٌ بِمَنِ اسْتَشْفَعَ بِهِ أَنْ يُشَفِّعَهُ اللّٰهُ تَعَالَى فِيهِ، فَإِنَّ كُلاًّ مِنَ الاسْتِغَاثَةِ وَالتَّوَسُّلِ وَالتَّشَفُّعِ وَالتَّوَجُّهِ لِلنَّبِيِّ ﷺ [كَمَا فِي (تَحْقِيقِ النُّصْرَةِ)[2]، وَ(مِصْبَاحِ الظَّلاَمِ)[3]، وَغَيْرِهِمَا] وَاقِعٌ فِي كُلِّ حَالٍ، قَبْلَ خَلْقِهِ وَبَعْدَهُ، فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ فِي الدُّنْيَا، وَبَعْدَ مَوْتِهِ فِي مُدَّةِ الْبَرْزَخِ، وَبَعْدَ الْبَعْثِ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ:

فَأَمَّا الْحَالَةُ الأُولَى: فَحَسْبُكَ مَا تَقَدَّمَ فِي الْمَقْصِدِ الأَوَّلِ[4] مِنِ اسْتِشْفَاعِ آدَمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ بِهِ لَمَّا أُخْرِجَ مِنَ الْجَنَّةِ، وَقَوْلِ اللّٰهِ تَعَالَى: يَا آدَمُ! لَوْ تَشَفَّعْتَ إِلَيْنَا بِمُحَمَّدٍ فِي أَهْلِ السَّمٰوَاتِ وَالأَرْضِ لَشَفَّعْنَاكَ[5]، وَإِذْ سَأَلْتَنِي بِحَقِّهِ فَقَدْ غَفَرْتُ لَكَ[6].

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ بَعْدَ خَلْقِهِ فِي مُدَّةِ حَيَاتِهِ ﷺ:

فَمِنْ ذٰلِكَ: مَا رَوَاهُ النَّسَائِيُّ وَالتِّرْمِذِيُّ عَنْ عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ: أَنَّ رَجُلاً ضَرِيراً أَتَاهُ ﷺ فَقَالَ: ادْعُ اللّٰهَ أَنْ يُعَافِيَنِي، قَالَ: فَأَمَرَهُ أَنْ يَتَوَضَّأَ فَيُحْسِنَ

---

(١) رواه البزار، والطبراني، وعبدالرزاق، والدينَوَري في المجالس. انظر كنز العمال ٤٢٧٦٨، وهو ضعيف.
(٢) بتلخيص معالم دار الهجرة لزين الدين المراغي المتوفىٰ سنة ٨١٦هـ.
(٣) في المستغيثين بخير الأنام في اليقظة والمنام لمحمد بن موسىٰ بن النعمان المتوفىٰ سنة ٦٨٣هـ.
(٤) ص٣٤.
(٥) رواه ابن عساكر، كما ذكره الشارح.
(٦) رواه الحاكم، والبيهقي وقال: غريب مع ضعفِ راويه، كما ذكر ذلك الشارح.

وَضوءَهُ، وَيَدْعُو بِهٰذَا الدُّعَاءِ: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ وَأَتَوَجَّهُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ نَبِيِّ الرَّحْمَةِ، يَا مُحَمَّدُ إِنِّي أَتَوَجَّهُ بِكَ إِلَى رَبِّكَ فِي حَاجَتِي لِتُقْضَى، اللَّهُمَّ شَفِّعْهُ فِيَّ**» وَصَحَّحَهُ الْبَيْهَقِيُّ، وَزَادَ: فَقَامَ وَقَدْ أَبْصَرَ.

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ ﷺ بَعْدَ مَوْتِهِ فِي الْبَرْزَخِ:

فَهُوَ أَكْثَرُ مِنْ أَنْ يُحْصَى، وَفِي كِتَابِ (مِصْبَاحِ الظَّلَامِ فِي الْمُسْتَغِيثِينَ بِخَيْرِ الأَنَامِ) لِلشَّيْخِ أَبِي عَبْدِاللّٰهِ بْنِ النُّعْمَانِ طَرَفٌ مِنْ ذٰلِكَ.

قَالَ صَاحِبُ الأَصْلِ رَحِمَهُ اللّٰهُ: وَلَقَدْ كَانَ حَصَلَ لِي دَاءٌ أَعْيَا دَوَاؤُهُ الأَطِبَّاءَ، وَأَقَمْتُ بِهِ سِنِينَ، فَاسْتَغَثْتُ بِهِ ﷺ لَيْلَةَ الثَّامِنِ وَالْعِشْرِينَ مِنْ جُمَادَى الأُولَى سَنَةَ ثَلاَثٍ وَتِسْعِينَ وَثَمَانِ مِئَةٍ بِمَكَّةَ ـ زَادَهَا اللّٰهُ شَرَفاً ـ فَبَيْنَا أَنَا نَائِمٌ إِذْ جَاءَ رَجُلٌ مَعَهُ قِرْطَاسٌ مَكْتُوبٌ فِيهِ: هٰذَا دَوَاءُ دَاءِ أَحْمَدَ بْنِ الْقَسْطَلاَّنِيِّ مِنَ الْحَضْرَةِ الشَّرِيفَةِ بَعْدَ الإِذْنِ الشَّرِيفِ، ثُمَّ اسْتَيْقَظْتُ فَلَمْ أَجِدْ بِي وَاللّٰهِ شَيْئاً مِمَّا كُنْتُ أَجِدُهُ، وَحَصَلَ الشِّفَاءُ بِبَرَكَةِ النَّبِيِّ ﷺ.

وَأَمَّا التَّوَسُّلُ بِهِ ﷺ فِي عَرَصَاتِ الْقِيَامَةِ(١):

فَمِمَّا قَامَ عَلَيْهِ الإِجْمَاعُ وَتَوَاتَرَتْ بِهِ الأَخْبَارُ فِي حَدِيثِ الشَّفَاعَةِ، فَعَلَيْكَ أَيُّهَا الطَّالِبُ إِدْرَاكَ السَّعَادَةِ، وَالْمُؤَمِّلُ لِحُسْنِ الْحَالِ فِي حَضْرَةِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ بِالتَّعَلُّقِ بِأَذْيَالِ عَطْفِهِ وَكَرَمِهِ، وَالتَّطَفُّلِ عَلَى مَوَائِدِ نِعَمِهِ، وَالتَّوَسُّلِ بِجَاهِهِ الشَّرِيفِ، وَالتَّشَفُّعِ بِقَدْرِهِ الْمُنِيفِ(٢)، فَهُوَ الْوَسِيلَةُ إِلَى نَيْلِ الْمَعَالِي وَاقْتِنَاصِ الْمَرَامِ، وَالْمَفْزَعُ يَوْمَ الْجَزَعِ وَالْهَلَعِ لِكَافَّةِ الرُّسُلِ الْكِرَامِ.

وَاجْعَلْهُ أَمَامَكَ فِيمَا نَزَلَ بِكَ مِنَ النَّوَازِلِ، وَإِمَامَكَ فِيمَا تُحَاوِلُ مِنَ

---

(١) ساحاتها.

(٢) المرتفع على غيره.

الْقُرَبِ وَالْمَنَازِلِ، فَإِنَّكَ تَظْفَرُ مِنَ الْمُرَادِ بِأَقْصَاهُ، وَتُدْرِكُ رِضَا مَنْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْماً وَأَحْصَاهُ.

وَاجْتَهِدْ مَا دُمْتَ بِطَيْبَةَ الطَّيِّبَةَ حَسَبَ طَاقَتِكَ فِي تَحْصِيلِ أَنْوَاعِ الْقُرُبَاتِ، وَلاَزِمْ قَرْعَ أَبْوَابِ السَّعَادَةِ بِأَظَافِيرِ الطَّلَبَاتِ، وَارْقَ فِي مَدَارِجِ الْعِبَادَاتِ، وَلِجْ فِي سُرَادِقِ الْمُرَادَاتِ، وَلاَزِمِ الصَّلَوَاتِ مَكْتُوبَةً وَنَافِلَةً فِي مَسْجِدِهِ الْمُكَرَّمِ ﷺ، خُصُوصاً بِالرَّوْضَةِ الَّتِي ثَبَتَ أَنَّهَا رَوْضَةٌ مِنْ رِيَاضِ الْجَنَّةِ، كَمَا رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ[(١)].

وَحِكْمَةُ ذٰلِكَ: أَنَّ اللّٰهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ فَضَّلَهُ ﷺ عَلَى جَمِيعِ خَلْقِهِ، وَأَنَّ كُلَّ مَا كَانَ مَنْسُوباً إِلَيْهِ بِنِسْبَةٍ مَا مِنْ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ يَكُونُ لَهُ تَفْضِيلٌ عَلَى جِنْسِهِ، كَمَا اسْتُقْرِئَ فِي كُلِّ أُمُورِهِ مِنْ بَدْءِ ظُهُورِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ وَالإِسْلاَمِ.

فَمِنْهَا: مَا كَانَ مِنْ شَأْنِ أُمِّهِ آمِنَةَ، وَمَا نَالَهَا مِنْ بَرَكَتِهِ ﷺ.

وَمِثْلُ ذٰلِكَ مُرْضِعَتُهُ حَلِيمَةُ وَأَتَانُهَا وَالْبُقْعَةُ الَّتِي كَانَتْ تِلْكَ الأَتَانُ تَمْشِي عَلَيْهَا، فَإِنَّهَا كَانَتْ مَتَى جَعَلَتْ يَدَهَا عَلَى بُقْعَةٍ اخْضَرَّتْ مِنْ حِينِهَا.

وَكَانَتْ تَظْهَرُ بَرَكَاتُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ حِسًّا وَمَعْنًى، حَيْثُمَا مَشَى وَحَيْثُمَا وَضَعَ يَدَهُ الْمُبَارَكَةَ كَمَا هُوَ مَنْقُولٌ مَعْرُوفٌ.

وَلَمَّا كَانَ تَرَدُّدُهُ ﷺ بَيْنَ مِنْبَرِهِ وَبَيْتِهِ كَثِيراً، فَكَانَ يَتَرَدَّدُ فِي تِلْكَ الْبُقْعَةِ مِرَاراً فِي الْيَوْمِ الْوَاحِدِ طُولَ عُمُرِهِ مِنْ وَقْتِ هِجْرَتِهِ إِلَى حِينِ وَفَاتِهِ تَضَاعَفَتْ حُرْمَتُهَا عَلَى غَيْرِهَا، وَلَيْسَ لَهَا وَصْفٌ أَعْلَى مِنْ وَصْفِهَا الْمَذْكُورِ، وَهُوَ أَنَّهَا

---

(١) ومسلم بلفظ: «**ما بين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي**» قال ابن أبي جمرة: معناه: تُنقَل تلك البقعة بعينها في الجنة فتكون روضة من رياض الجنة.

كَانَتْ مِنَ الْجَنَّةِ، وَتَعُودُ إِلَيْهَا، وَهيَ الآنَ مِنْهَا، وَلِلْعَامِلِ فِيهَا مِثْلُهَا، لأَنَّ الْعَمَلَ فِيهَا يُوجِبُ لِصَاحِبِهِ رَوْضَةً فِي الْجَنَّةِ.

فَإِنْ قِيلَ: يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ذٰلِكَ لِلْمَدِينَةِ بِكَمَالِهَا، لأَنَّهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ كَانَ يَطُوفُهَا[1] بِقَدَمِهِ مِرَاراً.

فَالْجَوَابُ: أَنَّهُ قَدْ حَصَلَ لِلْمَدِينَةِ تَفْضِيلٌ لَمْ يَحْصُلْ لِغَيْرِهَا.

مِنْ ذٰلِكَ: أَنَّ تُرَابَهَا شِفَاءٌ كَمَا أَخْبَرَ بِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَأَنَّهَا تُمْنَعُ مِنَ الدَّجَّالِ، وَأَنَّهُ ﷺ أَوَّلُ مَا يَشْفَعُ لأَهْلِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَّ مَا كَانَ لَهَا مِنَ الْوَبَاءِ وَالْحُمَّى رُفِعَ عَنْهَا، وَأَنَّهُ بُورِكَ فِي طَعَامِهَا وَشَرَابِهَا، وَأَشْيَاءُ كَثِيرَةٌ، فَكَانَ التَّفْضِيلُ لَهَا بِنِسْبَةِ تَرَدُّدِهِ فِيهَا، وَتَرَدُّدُهُ فِي الْمَسْجِدِ أَكْثَرُ مِنْ تَرَدُّدِهِ فِي الْمَدِينَةِ، وَتَرَدُّدُهُ فِيمَا بَيْنَ الْمِنْبَرِ وَالْبَيْتِ أَكْثَرُ مِمَّا سِوَاهُ مِنْ سَائِرِ الْمَسجِدِ، فَالْمَدِينَةُ أَرْفَعُ الْمُدُنِ، وَالْمَسْجِدُ أَرْفَعُ الْمَسَاجِدِ، وَالْبُقْعَةُ أَرْفَعُ الْبُقَعِ، قَضِيَّةٌ مَعْلُومَةٌ، وَحُجَّةٌ ظَاهِرَةٌ.

وَعَنْ عَبْدِاللّٰهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رَضِيَ اللّٰهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: **«صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي هٰذَا أَفْضَلُ مِنْ أَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ مِنَ الْمَسَاجِدِ إِلاَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ، وَصَلاَةٌ فِي الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ أَفْضَلُ مِنْ مِئَةِ صَلاَةٍ فِي هٰذَا»** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَغَيْرُهُ[2].

وَذَكَرَ ابْنُ حَبِيبٍ فِي الْوَاضِحَةِ[3]: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: **«صَلاَةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ صَلاَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وَجُمُعَةٌ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ جُمُعَةٍ فِيمَا سِوَاهُ، وَرَمَضَانُ فِي مَسْجِدِي كَأَلْفِ رَمَضَانَ فِيمَا سِوَاهُ»**[4].

---

(١) في الأصل: يطؤها.

(٢) كابن خزيمة وابن حبان.

(٣) وهي ثاني الأمهات الأربع في مذهب مالك بعد المدوّنة.

(٤) رواه البيهقي.

وَاخْتُلِفَ هَلِ الأَفْضَلُ مَكَّةَ أَوِ الْمَدِينَةَ؟ فَقَالَ بِكُلِّ جَمَاعَةٌ مِنَ الصَّحَابَةِ وَالأَئِمَّةِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ[1].

وَأَجْمَعُوا عَلَى أَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ ﷺ **أَفْضَلُ** بِقَاعِ الأَرْضِ حَتَّى مَوْضِعَ الْكَعْبَةِ، بَلْ نَقَلَ التَّاجُ السُّبْكِيُّ عَنِ ابْنِ عَقِيلِ الْحَنْبَلِيِّ أَنَّهَا أَفْضَلُ مِنَ الْعَرْشِ، وَصَرَّحَ الْفَاكِهَانِيُّ فِي تَفْضِيلِهَا عَلَى السَّمٰوَاتِ.

قَالَ الْقَاضِي عِيَاضٌ: وَتَفْضِيلُ مَا ضَمَّ أَعْضَاءَهُ الشَّرِيفَةَ ﷺ بِاعْتِبَارَيْنِ:

أَحَدُهُمَا: مَا قِيلَ أَنَّ كُلَّ أَحَدٍ يُدْفَنُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي خُلِقَ مِنْهُ.

وَالثَّانِي: تَنَزُّلُ الْمَلائِكَةِ وَالْبَرَكَاتِ عَلَيْهِ، وَإِقْبَالُ اللَّهِ تَعَالَى.

وَقَدْ رَوَى أَبُو يَعْلَى عَنْ أَبِي بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «**لاَ يُقْبَضُ النَّبِيُّ إِلاَّ فِي أَحَبِّ الأَمْكِنَةِ إِلَيْهِ**»، وَلاَ شَكَّ أَنَّ أَحَبَّهَا إِلَيْهِ أَحَبُّهَا إِلَى رَبِّهِ تَعَالَى، فَإِنَّ حُبَّهُ تَابِعٌ لِحُبِّ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلاَ، وَمَا كَانَ أَحَبَّ إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَكَيْفَ لاَ يَكُونُ أَفْضَلَ، وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ: «**اللَّهُمَّ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ دَعَاكَ لِمَكَّةَ، وَأَنَا أَدْعُوكَ لِلْمَدِينَةِ بِمِثْلِ مَا دَعَاكَ إِبْرَاهِيمُ لِمَكَّةَ، وَمِثْلِهِ مَعَهُ**»[2]، وَلاَ رَيْبَ أَنَّ دُعَاءَ النَّبِيِّ ﷺ أَفْضَلُ مِنْ دُعَاءِ إِبْرَاهِيمَ، لأَنَّ فَضْلَ الدُّعَاءِ عَلَى قَدْرِ فَضْلِ الدَّاعِي، وَقَدْ صَحَّ[3] أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْمَدِينَةَ كَحُبِّنَا مَكَّةَ أَوْ أَشَدَّ**» وَفِي رِوَايَةٍ: «**بَلْ أَشَدَّ**»، وَقَدْ أُجِيبَتْ دَعْوَتُهُ ﷺ، حَتَّى كَانَ يُحَرِّكُ دَابَّتَهُ إِذَا رَآهَا مِنْ حُبِّهَا.

وَرَوَى الْحَاكِمُ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيَّ، فَأَسْكِنِّي فِي أَحَبِّ الْبِقَاعِ إِلَيْكَ**».

---

(١) فقال أبو حنيفة والشافعي وأحمد: مكة أفضل من المدينة، وقال مالك: المدينة أفضل من مكة.

(٢) رواه مسلم.

(٣) عند الشيخين.

وَوَرَدَ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّهُ قَالَ لِعَبْدِاللَّهِ بْنِ عَبَّاسٍ[1] الْمَخْزُومِيِّ: أَنْتَ الْقَائِلُ: لَمَكَّةُ خَيْرٌ مِنَ الْمَدِينَةِ؟ فَقَالَ عَبْدُاللَّهِ: هِيَ حَرَمُ اللَّهِ وَأَمْنُهُ وَفِيهَا بَيْتُهُ، فَقَالَ عُمَرُ: لاَ أَقُولُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئاً، ثُمَّ كَرَّرَ عُمَرُ قَوْلَهُ الأَوَّلَ، فَأَعَادَ عَبْدُاللَّهِ جَوَابَهُ، فَأَعَادَ لَهُ عُمَرُ: لاَ أَقُولُ فِي حَرَمِ اللَّهِ وَبَيْتِهِ شَيْئاً، فَأُشِيرَ إِلَى عَبْدِاللَّهِ فَانْصَرَفَ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ حَدِيثَ: «**الْمَدِينَةُ خَيْرٌ مِنْ مَكَّةَ**»، وَفِيهِ رَاوٍ لَيْسَ بِقَوِيٍّ.

وَفِي الصَّحِيحَيْنِ: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ ﷺ: «**أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ الْقُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ وَهِيَ الْمَدِينَةُ، تَنْفِي النَّاسَ** - أَيْ: الْخَبِيثَ مِنْهُمْ - **كَمَا يَنْفِي الْكِيرُ خَبَثَ الْحَدِيدِ**».

قَالَ الْعَارِفُ ابْنُ أَبِي جَمْرَةَ: فِي قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ الْمَرْوِيِّ فِي الْبُخَارِيِّ: «**لَيْسَ مِنْ بَلَدٍ إِلاَّ سَيَطَؤُهُ الدَّجَّالُ إِلاَّ مَكَّةَ وَالْمَدِينَةَ**» ظَاهِرُ هٰذَا الْحَدِيثِ يُعْطِي التَّسْوِيَةَ بَيْنَهُمَا فِي الْفَضْلِ، قَالَ: وَيُؤَيِّدُ ذٰلِكَ أَنَّهُ إِنْ كَانَتْ خُصَّتِ الْمَدِينَةُ بِمَدْفَنِهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَإِقَامَتِهِ بِهَا وَمَسْجِدِهِ، فَقَدْ خُصَّتْ مَكَّةُ بِمَسْقَطِهِ ﷺ بِهَا وَمَبْعَثِهِ مِنْهَا وَهِيَ قِبْلَتُهُ، فَمَطْلَعُ شَمْسِ ذَاتِهِ الْكَرِيمَةِ الْمُبَارَكَةِ مَكَّةُ، وَمَغْرِبُهَا الْمَدِينَةُ.

وَرَوَى مُسْلِمٌ: مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ: «**يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ يَدْعُو الرَّجُلُ ابْنَ عَمِّهِ وَقَرِيبَهُ هَلُمَّ إِلَى الرَّخَاءِ، وَالْمَدِينَةُ خَيْرٌ لَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لاَ يَخْرُجُ أَحَدٌ رَغْبَةً عَنْهَا إِلاَّ أَخْلَفَ اللَّهُ فِيهَا خَيْراً مِنْهُ**».

وَرَوَى مُسْلِمٌ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**لاَ**

(١) الصواب: عبدالله بن عياش بن أبي ربيعة، كما في المواهب وشرحها.

يَصْبِرُ عَلَى لأْوَاءِ الْمَدِينَةِ وَشِدَّتِهَا أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي إِلاَّ كُنْتُ لَهُ شَفِيعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَوْ شَهِيداً». (وَاللأْوَاء: الشِّدَّةُ وَالْجُوعُ).

وَرَوَى الْبُخَارِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الإِيمَانَ لَيَأْرِزُ إِلَى الْمَدِينَةِ كَمَا تَأْرِزُ الْحَيَّةُ إِلَى جُحْرِهَا»** ـ أَيْ: يَنْقَبِضُ وَيَنْضَمُّ وَيَلْتَجِىءُ ـ لأَنَّهَا أَصْلٌ فِي انْتِشَارِهِ، فَكُلُّ مُؤْمِنٍ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ سَائِقٌ إِلَيْهَا فِي جَمِيعِ الأَزْمَانِ لِحُبِّهِ فِي سَاكِنِهَا عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ.

وَرَوَى التِّرْمِذِيُّ وَغَيْرُهُ(١)، مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمْ أَنْ يَمُوتَ بِالْمَدِينَةِ فَلْيَمُتْ بِهَا، فَإِنِّي أَشْفَعُ لِمَنْ يَمُوتُ بِهَا»**.

وَفِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ الْمَسِيحُ الدَّجَّالُ، وَلاَ الطَّاعُونُ»**.

وَفِيهِ عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«لاَ يَدْخُلُ الْمَدِينَةَ رُعْبُ الْمَسِيحِ الدَّجَّالِ، لَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ بَابٍ مَلَكَانِ»**.

قَالَ النَّوَوِيُّ وَغَيْرُهُ: إِنَّ الطَّاعُونَ لَمْ يَدْخُلِ الْمَدِينَةَ أَصْلاً، قَالَ بَعْضُهُمْ: هٰذَا مِنَ الْمُعْجِزَاتِ الْمُحَمَّدِيَّةِ، لأَنَّ الأَطِبَّاءَ مِنْ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ عَجَزُوا أَنْ يَدْفَعُوا الطَّاعُونَ عَنْ بَلَدٍ، بَلْ عَنْ قَرْيَةٍ، وَقَدِ امْتَنَعَ الطَّاعُونُ مِنَ الْمَدِينَةِ هٰذِهِ الدُّهُورَ الطَّوِيلَةَ.

وَمِنْ خَصَائِصِ الْمَدِينَةِ: أَنَّ غُبَارَهَا شِفَاءٌ مِنَ الْجُذَامِ وَالْبَرَصِ، بَلْ مِنْ

---

(١) كابن ماجه وابن حبان والطبراني.

كُلِّ دَاءٍ، كَمَا رَوَاهُ رُزَيْنٌ مِنْ حَدِيثِ سَعْدٍ. زَادَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: وَعَجْوَتُهَا شِفَاءٌ مِنَ السُّمِّ.

وَنَقَلَ الْبَغَوِيُّ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى[1]: ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً﴾[2] أَنَّهَا الْمَدِينَةُ.

وَذَكَرَ ابْنُ النَّجَّارِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: كُلُّ الْبِلاَدِ افْتُتِحَتْ بِالسَّيْفِ، وَافْتُتِحَتِ الْمَدِينَةُ بِالْقُرْآنِ.

وَرَوَى الطَّبَرَانِيُّ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ ﷺ: «**الْمَدِينَةُ قُبَّةُ الإِسْلاَمِ، وَدَارُ الإِيمَانِ، وَأَرْضُ الْهِجْرَةِ، وَمَثْوَى الْحَلاَلِ وَالْحَرَامِ**».

وَبِالْجُمْلَةِ: فَكُلُّ الْمَدِينَةِ تُرَابُهَا وَطُرُقُهَا وَفِجَاجُهَا[3] وَدُورُهَا وَمَا حَوْلَهَا قَدْ شَمِلَتْهُ بَرَكَتُهُ ﷺ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا يَتَبَرَّكُونَ بِدُخُولِهِ مَنَازِلَهُمْ، وَيَدْعُونَهُ إِلَيْهَا وَإِلَى الصَّلاَةِ فِي بُيُوتِهِمْ، وَلِذَلِكَ امْتَنَعَ مَالِكٌ رَحِمَهُ اللَّهُ مِنْ رُكُوبِ دَابَّةٍ فِي الْمَدِينَةِ وَقَالَ: لاَ أَطَأُ بِحَافِرِ دَابَّةٍ فِي عِرَاصٍ[4] كَانَ ﷺ يَمْشِي فِيهَا بِقَدَمَيْهِ ﷺ.

❋ ❋ ❋

[زِيَارَةُ مَسْجِدِ قُبَاءَ، وَبَقِيَّةِ المزاراتِ]

وَيَنْبَغِي لِلزَّائِرِ أَنْ يَأْتِيَ مَسْجِدَ قُبَاءَ لِلصَّلاَةِ فِيهِ وَالزِّيَارَةِ، فَقَدْ كَانَ ﷺ يَزُورُهُ رَاكِباً وَمَاشِياً. رَوَاهُ مُسْلِمٌ وَفِي رِوَايَةٍ لَهُ: «**يَأْتِي**» بَدَلَ «**يَزُورُ**» فَيُصَلِّي فِيهِ رَكْعَتَيْنِ.

---

(١) ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ ...﴾.
(٢) سورة النحل، الآية: ٤١.
(٣) الفجّ: الطريق الواسع بين جبلين.
(٤) أرض.

وَعِنْدَهُ أَيْضاً: أَنَّ ابْنَ عُمَرَ كَانَ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ وَيَقُولُ: رَأَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَأْتِيهِ كُلَّ سَبْتٍ.

وَعِنْدَ التِّرْمِذِيِّ عَنْ أُسَيْدِ بْنِ ظُهَيْرِ الأَنْصَارِيِّ (وَهُوَ غَيْرُ ابْنِ حُضَيْرٍ) قَالَ ﷺ: **«صَلاةٌ فِي مَسْجِدِ قُبَاءَ كَعُمْرَةٍ»**.

وَيَنْبَغِي لَهُ بَعْدَ زِيَارَتِهِ ﷺ أَنْ يَقْصِدَ الْمَزَارَاتِ الَّتِي بِالْمَدِينَةِ الشَّرِيفَةِ، وَالآثَارَ الْمُبَارَكَةِ، وَالْمَسَاجِدَ الَّتِي صَلَّى فِيهَا الْتِمَاساً لِبَرَكَتِهِ ﷺ.

وَيَخْرُجَ إِلَى الْبَقِيعِ لِزِيَارَةِ مَنْ فِيهِ، فَإِنَّ أَكْثَرَ الصَّحَابَةِ مِمَّنْ تُوُفِّيَ فِي الْمَدِينَةِ فِي حَيَاتِهِ ﷺ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ مَدْفُونٌ بِالْبَقِيعِ، وَكَذٰلِكَ سَادَاتُ أَهْلِ الْبَيْتِ وَالتَّابِعِينَ.

وَرُوِيَ عَنْ مَالِكٍ أَنَّهُ قَالَ: مَاتَ بِالْمَدِينَةِ مِنَ الصَّحَابَةِ عَشَرَةُ آلافٍ، وَكَذٰلِكَ أُمَّهَاتُ الْمُؤْمِنِينَ (سِوَى خَدِيجَةَ فَإِنَّهَا بِمَكَّةَ، وَمَيْمُونَةَ فَإِنَّهَا بِسَرِفٍ)(١).

وَقَدْ كَانَ ﷺ يَخْرُجُ آخِرَ اللَّيْلِ إِلَى الْبَقِيعِ فَيَقُولُ: **«السَّلامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ»** رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَرَوَى ابْنُ النَّجَّارِ مَرْفُوعاً: **«مَقْبَرَتَانِ مُضِيئَتَانِ لأَهْلِ السَّمَاءِ كَمَا تُضِيءُ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لأَهْلِ الدُّنْيَا: بَقِيعُ الْغَرْقَدِ، وَمَقْبَرَةُ عَسْقَلانَ»**(٢).

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ قَالَ: نَجِدُهَا فِي التَّوْرَاةِ ـ يَعْنِي: مَقْبَرَةَ الْمَدِينَةِ ـ

---

(١) موضع قرب التنعيم.

(٢) في فلسطين. وروىٰ الطبراني في الكبير: **«يُبعَث من بقيع الغرقد سبعون ألفاً يوم القيامة علىٰ صورة القمر ليلة البدر، يدخلون الجنة بغير حساب»** وروىٰ الخطيب وأبو يعلىٰ: **«أهل مقبرة شهداء عسقلان يُزَفُّون إلىٰ الجنة كما تُزَفُّ العروس إلىٰ زوجها»** انظر كنز العمال ٣٨٢٥٠، ومجمع الزوائد ١٦٦٦٦.

كَقُبَّةٍ مَخْفُوفَةٍ بِالنَّخِيلِ، مُوَكَّلٌ بِهَا مَلاَئِكَةٌ، كُلَّمَا امْتَلأَتْ أَخَذُوهَا فَكَفَؤُوهَا[1] فِي الْجَنَّةِ.

وَأَخْرَجَ أَبُو حَاتِمٍ[2] مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي الْبَقِيعَ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ»** قَالَ الطِّيبِيُّ: الْحَشْرُ هُنَا: الْجَمْعُ.

---

(١) أي: قلبوها.

(٢) والترمذي بسند حسن صحيح.

الفصل الثالث

فِي تَفْضِيلِهِ فِي الآخِرَةِ بِفَضَائِلِ الأَوَّلِيَّاتِ، وَانْفِرَادِهِ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ بَيْنَ جَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ، وَتَرَقِّيهِ فِي الْجِنَانِ أَعْلَى الدَّرَجَاتِ، وَغَيْرِ ذٰلِكَ مِنْ تَكْرِيمِ اللّهِ لَهُ ﷺ هُنَالِكَ بِشَرَائِفِ الْكَرَامَاتِ

اِعْلَمْ أَنَّ اللّهَ تَعَالَى كَمَا فَضَّلَ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ فِي الْبَدْءِ بِأَنْ جَعَلَهُ أَوَّلَ الأَنْبِيَاءِ فِي الْخَلْقِ[١]، وَأَوَّلَهُمْ فِي الإِجَابَةِ فِي عَالَمِ الذَّرِ يَوْمَ: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾[٢] جَعَلَهُ فِي الْعَوْدِ أَوَّلَ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَأَوَّلَ شَافِعٍ، وَأَوَّلَ مُشَفَّعٍ، وَأَوَّلَ مَنْ يُؤْذَنُ لَهُ بِالسُّجُودِ، وَأَوَّلَ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ وَالْخَلْقُ مَحْجُوبُونَ عَنْ رُؤْيَتِهِ إِذْ ذَاكَ، وَأَوَّلَ الأَنْبِيَاءِ يُقْضَى بَيْنَ أُمَّتِهِ، وَأَوَّلَهُمْ إِجَازَةً عَلَى الصِّرَاطِ بِأُمَّتِهِ، وَأَوَّلَ دَاخِلٍ إِلَى الْجَنَّةِ، وَأُمَّتَهُ أَوَّلَ الأُمَمِ دُخُولاً إِلَيْهَا، وَزَادَهُ مِنْ لَطَائِفِ التُّحَفِ وَنَفَائِسِ الطُّرَفِ مَا لاَ يُحَدُّ وَلاَ يُعَدُّ.

فَمِنْ ذٰلِكَ: أَنَّهُ يُبْعَثُ رَاكِباً، وَتَخْصِيصُهُ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ وَلِوَاءِ الْحَمْدِ

---

(١) لِما روىٰ الترمذي بسند حسن صحيح غريب: «أنه كان نبيًا وآدمُ بين الروح والجسد».

(٢) سورة الأعراف، الآية: ١٧٢ وروىٰ ابن القطان في جزء من أماليه بسند ضعيف: «أنه أولُ مَن أُخِذ عليه الميثاق، وأنّه أوّلُ مَن قال بلىٰ يوم ألستُ بربكم». وقد تقدّم كل ذلك في القسم الرابع من الفصل الثاني من المقصد الرابع ص٤٣٣.

تَحْتَهُ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ مِنَ الأَنْبِيَاءِ، وَاخْتِصَاصُهُ أَيْضاً بِالسُّجُودِ لِلّهِ تَعَالَى أَمَامَ الْعَرْشِ، وَمَا يَفْتَحُهُ اللّهُ عَلَيْهِ فِي سُجُودِهِ مِنَ التَّحْمِيدِ وَالثَّنَاءِ عَلَيْهِ مَا لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلَهُ، وَلاَ يَفْتَحُهُ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَهُ زِيَادَةً فِي كَرَامَتِهِ وَقُرْبِهِ، وَكَلاَمُ اللّهِ لَهُ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ لَكَ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَلاَ كَرَامَةَ فَوْقَ هٰذَا إِلاَّ النَّظَرُ إِلَيْهِ تَعَالَى.

وَمِنْ ذٰلِكَ: تَكْرَارُهُ الشَّفَاعَةَ، وَسُجُودُهُ ثَانِيَةً وَثَالِثَةً، وَتَجْدِيدُ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ سُبْحَانَهُ بِمَا يَفْتَحُ اللّهُ عَلَيْهِ مِنْ ذٰلِكَ، وَكَلاَمُ اللّهِ تَعَالَى لَهُ فِي كُلِّ سَجْدَةٍ: يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَقُلْ يُسْمَعْ، وَسَلْ تُعْطَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ.

وَمِنْ ذٰلِكَ: قِيَامُهُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلاَئِقِ يَقُومُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ غَيْرُهُ، يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ، وَشَهَادَتُهُ بَيْنَ الأَنْبِيَاءِ وَأُمَمِهِمْ بِأَنَّهُمْ بَلَّغُوهُمْ، وَسُؤَالُهُمْ مِنْهُ الشَّفَاعَةَ لِيُرِيحَهُمْ مِنْ غَمِّهِمْ وَعَرَقِهِمْ وَطُولِ وُقُوفِهِمْ، وَشَفَاعَتُهُ فِي أَقْوَامٍ قَدْ أُمِرَ بِهِمْ إِلَى النَّارِ.

وَمِنْهَا: الْحَوْضُ الَّذِي لَيْسَ فِي الْمَوْقِفِ أَكْثَرُ أَوَانٍ مِنْهُ، وَأَنَّ الْمُؤْمِنِينَ كُلَّهُمْ لاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ إِلاَّ بِشَفَاعَتِهِ.

وَمِنْهَا: أَنَّهُ يَشْفَعُ فِي رَفْعِ دَرَجَاتِ أَقْوَامٍ لاَ تَبْلُغُهَا أَعْمَالُهُمْ.

وَهُوَ صَاحِبُ الْوَسِيلَةِ الَّتِي هِيَ أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، إِلَى غَيْرِ ذٰلِكَ مِمَّا يَزِيدُهُ اللّهُ تَعَالَى بِهِ جَلاَلَةً وَتَعْظِيماً وَتَبْجِيلاً وَتَكْرِيماً عَلَى رُؤُوسِ الأَشْهَادِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَالْمَلاَئِكَةِ أَجْمَعِينَ، ﴿ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾﴾[1].

فَأَمَّا تفضِيلُهُ ﷺ بِأَوَّلِيَّةِ انشِقَاقِ الْقَبرِ الْمُقَدَّسِ عَنهُ:

---

(١) سورة الحديد، الآية: ٢١، وسورة الجمعة، الآية: ٤.

فَرَوَى مُسْلِمٌ[1] مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَنْشَقُّ عَنْهُ الْقَبْرُ، وَأَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ»**.

وَفِي حَدِيثِ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ** - آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ - **إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، وَلا فَخْرَ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ[2].

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ، ثُمَّ أَبُو بَكْرٍ، ثُمَّ عُمَرُ، ثُمَّ آتِي أَهْلَ الْبَقِيعِ فَيُحْشَرُونَ مَعِي، ثُمَّ أَنْتَظِرُ أَهْلَ مَكَّةَ حَتَّى نُحْشَرَ بَيْنَ الْحَرَمَيْنِ»** رَوَاهُ أَبُو حَاتِمٍ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ. (وَمَعْنَى نُحْشَرَ: نَجْتَمِعَ).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«يَصْعَقُ النَّاسُ حِينَ يَصْعَقُونَ، فَأَكُونُ أَوَّلَ مَنْ قَامَ، فَإِذَا مُوسَى آخِذٌ بِالْعَرْشِ، فَلاَ أَدْرِي أَكَانَ فِيمَنْ صَعِقَ فَأَفَاقَ قَبْلِي، أَوْ كَانَ مِمَّنِ اسْتَثْنَى اللَّهُ»**[3] رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالْمُرَادُ بِالصَّعْقِ: غَشْيٌ يَلْحَقُ مَنْ سَمِعَ صَوْتاً أَوْ رَأَى شَيْئاً فَزِعَ مِنْهُ).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا قَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَأَنَا شَفِيعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا أَيِسُوا، الْكَرَامَةُ وَالْمَفَاتِيحُ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَلِوَاءُ الْحَمْدِ**

---

(١) وأبو داود.

(٢) وحسّنه.

(٣) في قوله تعالى: ﴿فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [النمل: ٨٧].

يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي، يَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمْ بَيْضٌ مَكْنُونٌ أَوْ لُؤْلُؤٌ مَنْثُورٌ» رَوَاهُ الدَّارِمِيُّ[١].

وَفِي حَدِيثٍ رَوَاهُ صَاحِبُ كِتَابِ حَادِي الأَرْوَاحِ[٢]: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبِلالٌ بَيْنَ يَدَيْهِ يُنَادِي بِالأَذَانِ.

وَأَخْرَجَ الْحَاكِمُ وَالطَّبَرَانِيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«تُبْعَثُ الأَنْبِيَاءُ عَلَى الدَّوَابِّ، وَأُبْعَثُ عَلَى الْبُرَاقِ، وَيُبْعَثُ بِلالٌ عَلَى نَاقَةٍ مِنْ نُوقِ الْجَنَّةِ يُنَادِي بِالأَذَانِ مَحْضاً**[٣]**، وَبِالشَّهَادَةِ حَقًّا، حَتَّى إِذَا قَالَ: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ شَهِدَ لَهُ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ»** وَفِي رِوَايَةٍ: **«فَإِذَا سَمِعَتِ الأَنْبِيَاءُ وَأُمَمُهَا: أَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً رَسُولُ اللّهِ، قَالُوا: وَنَحْنُ نَشْهَدُ عَلَى ذٰلِكَ»** وَفِي رِوَايَةٍ زِيَادَةُ: **«وَيُحْشَرُ صَالِحٌ عَلَى نَاقَتِهِ، وَيُحْشَرُ ابْنَا فَاطِمَةَ عَلَى نَاقَتَيَّ: الْعَضْبَاءِ، وَالْقَصْوَاءِ»**.

وَعَنْ كَعْبِ الأَحْبَارِ: أَنَّهُ دَخَلَ عَلَى عَائِشَةَ رَضِيَ اللّهُ عَنْهَا، فَذَكَرُوا رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ كَعْبٌ: مَا مِنْ فَجْرٍ يَطْلُعُ إِلاَّ نَزَلَ سَبْعُونَ أَلْفاً مِنَ الْمَلائِكَةِ حَتَّى يَحُفُّونَ بِالْقَبْرِ يَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، حَتَّى إِذَا أَمْسَوْا عَرَجُوا، وَهَبَطَ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ يَحُفُّونَ بِالْقَبْرِ، وَيَضْرِبُونَ بِأَجْنِحَتِهِمْ، وَيُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، سَبْعُونَ أَلْفاً بِاللَّيْلِ، وَسَبْعُونَ أَلْفاً بِالنَّهَارِ، حَتَّى إِذَا انْشَقَّتْ عَنْهُ الأَرْضُ خَرَجَ فِي سَبْعِينَ أَلْفاً مِنَ الْمَلائِكَةِ يُوَقِّرُونَهُ ﷺ[٤].

---

(١) وقال الترمذي: حديث غريب.

(٢) وهو ابن القيّم.

(٣) خالصاً لم يختلط بغيره.

(٤) ذكره ابن النجار في تاريخ المدينة، والقرطبي في التذكرة، وابن أبي الدنيا، كلُّهم عن كعب الأحبار.

وَفِي نَوَادِرِ الأُصُولِ لِلْحَكِيمِ التِّرْمِذِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ وَيَمِينُهُ عَلَى أَبِي بَكْرٍ، وَشِمَالُهُ عَلَى عُمَرَ، فَقَالَ: **«هٰكَذَا نُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»**.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ فَأُكْسَى حُلَّةً مِنْ حُلَلِ الْجَنَّةِ، ثُمَّ أَقُومُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ لَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْخَلائِقِ يَقُومُ ذٰلِكَ الْمَقَامَ غَيْرِي»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ، وَفِي رِوَايَةِ كَعْبٍ: **«حُلَّةً خَضْرَاءَ»**.

وَأَخْرَجَ الْبَيْهَقِيُّ: أَوَّلُ مَنْ يُكْسَى مِنَ الْجَنَّةِ إِبْرَاهِيمُ، يُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ، وَيُؤْتَى بِكُرْسِيٍّ فَيُطْرَحُ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يُؤْتَى بِي فَأُكْسَى حُلَّةً مِنَ الْجَنَّةِ لاَ يَقُومُ لَهَا الْبَشَرُ، وَفِيهِ: أَنَّهُ يَجْلِسُ عَلَى الْكُرْسِيِّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ.

وَفِي حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ عِنْدَ الشَّيْخَيْنِ: **«حَوْضِي مَسِيرَةُ شَهْرٍ، مَاؤُهُ أَبْيَضُ مِنَ اللَّبَنِ، وَرَائِحَتُهُ أَطْيَبُ مِنَ الْمِسْكِ، وَكِيزَانُهُ**[(١)] **كَنُجُومِ السَّمَاءِ، مَنْ شَرِبَ مِنْهُ شُرْبَةً لاَ يَظْمَأُ أَبَداً»** وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِمٍ: **«وَزَوَايَاهُ سَوَاءٌ طُولُهُ كَعَرْضِهِ»**، وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَبِي أُمَامَةَ[(٢)]: **«وَلَمْ يَسْوَدَّ وَجْهُهُ أَبَداً»**، وَزَادَ فِي حَدِيثِ أَنَسٍ[(٣)]: **«وَمَنْ لَمْ يَشْرَبْ مِنْهُ لَمْ يَرْوَ أَبَداً»**.

وَفِي حَدِيثِ ثَوْبَانَ عِنْدَ التِّرْمِذِيِّ، وَصَحَّحَهُ الْحَاكِمُ: **«أَكْثَرُ النَّاسِ عَلَيْهِ وُرُوداً فُقَرَاءُ الْمُهَاجِرِينَ»**.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي التَّذْكِرَةِ: ذَهَبَ صَاحِبُ الْقُوتِ[(٤)] وَغَيْرُهُ إِلَى أَنَّ

---

(١) جمع كوز، وهو إناء صغير له عروة.

(٢) عند أحمد وابنِ حبّان.

(٣) عند البزار.

(٤) (قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلىٰ مقام التوحيد) لأبي طالب المكّي المتوفىٰ سنة ٣٨٦هـ.

الْحَوْضَ يَكُونُ بَعْدَ الصِّرَاطِ، وَذَهَبَ آخَرُونَ إِلَى الْعَكْسِ[1].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي ذَرٍّ مِمَّا رَوَاهُ مُسْلِمٌ: **«أَنَّ الْحَوْضَ يَشْخُبُ[2] فِيهِ مِيزَابَانِ مِنَ الْجَنَّةِ»**.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سَأَلْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَشْفَعَ لِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَقَالَ: **«أَنَا فَاعِلٌ إِنْ شَاءَ اللَّهُ»**، قُلْتُ: فَأَيْنَ أَطْلُبُكَ؟ قَالَ: **«أَوَّلَ مَا تَطْلُبُنِي عَلَى الصِّرَاطِ»**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عَلَى الصِّرَاطِ؟ قَالَ: **«فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْمِيزَانِ»**، قُلْتُ: فَإِنْ لَمْ أَلْقَكَ عِنْدَ الْمِيزَانِ؟ قَالَ: **«فَاطْلُبْنِي عِنْدَ الْحَوْضِ، فَإِنِّي لاَ أُخْطِىءُ هٰذِهِ الثَّلاَثَةَ مَوَاطِنَ»** رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَحَسَّنَهُ.

قَالَ الْقُرْطُبِيُّ فِي الْمُفْهِمِ[3]: مِمَّا يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُكَلَّفٍ أَنْ يَعْلَمَهُ وَيُصَدِّقَ بِهِ أَنَّهُ تَعَالَى قَدْ خَصَّ نَبِيَّنَا مُحَمَّداً ﷺ بِالْحَوْضِ الْمُصَرَّحِ بِاسْمِهِ وَصِفَتِهِ وَشَرَابِهِ فِي الأَحَادِيثِ الصَّحِيحَةِ الشَّهِيرَةِ الَّتِي يَحْصُلُ بِمَجْمُوعِهَا الْعِلْمُ الْقَطْعِيُّ، إِذْ رَوَى ذٰلِكَ عَنْهُ ﷺ مِنَ الصَّحَابَةِ نَيِّفٌ[4] عَلَى الثَّلاثِينَ، مِنْهُمْ فِي الصَّحِيحَيْنِ مَا يَزِيدُ عَلَى الْعِشْرِينَ، وَفِي غَيْرِهِمَا بَقِيَّةُ ذٰلِكَ، كَمَا صَحَّ نَقْلُهُ وَاشْتَهَرَتْ رُوَاتُهُ، ثُمَّ رَوَاهُ عَنِ الصَّحَابَةِ الْمَذْكُورِينَ مِنَ التَّابِعِينَ أَمْثَالُهُمْ، وَمِنْ بَعْدِهِمْ أَضْعَافُ أَضْعَافِهِمْ، وَهَلُمَّ جرًّا، وَاجْتَمَعَ عَلَى إِثْبَاتِهِ السَّلَفُ، وَأَهْلُ السُّنَّةِ مِنَ الْخَلَفِ.

وَفِي رِوَايَةِ مُسْلِم: مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: **«تَرِدُ عَلَيَّ أُمَّتِي الْحَوْضَ وَأَنَا أَذُودُ النَّاسَ عَنْهُ كَمَا يَذُودُ الرَّجُلُ عَنْ إِبِلِهِ»**، قَالُوا: يَا

---

(١) ورجّح الحافظ ابن حجر كونه قبل الصراط.

(٢) يسيل.

(٣) شرح صحيح مسلم.

(٤) زيادة.

رَسُولَ اللَّهِ! تَعرِفُنَا؟ قَالَ: «**نَعَمْ، لَكُمْ سِيمَا**[١] **لَيسَتْ لأَحَدٍ غَيرِكُمْ، تَرِدُونَ عَلَيَّ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ آثَارِ الْوُضُوءِ**»[٢].

وَفِي حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّهُ ﷺ قَالَ: «**لِحَوْضِي أَربَعَةُ أَركَانٍ: الأَوَّلُ: بِيَدِ أَبِي بَكْرٍ الصِّدِّيقِ، وَالثَّانِي: بِيَدِ عُمَرَ الفَارُوقِ، وَالثَّالِثُ: بِيَدِ عُثْمَانَ ذِي النُّورَيْنِ، وَالرَّابِعُ: بِيَدِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ، فَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لأَبِي بَكْرٍ مُبْغِضاً لِعُمَرَ لاَ يَسْقِيهِ أَبُو بَكْرٍ، وَمَنْ كَانَ مُحِبًّا لِعَلِيٍّ مُبْغِضاً لِعُثْمَانَ لاَ يَسْقِيهِ عَلِيٌّ**» رَوَاهُ أَبُو سَعْدٍ[٣].

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ بِالشَّفَاعَةِ وَالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ:

فَقَدْ قَالَ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[٤]، وَاتَّفَقَ الْمُفَسِّرُونَ عَلَى أَنَّ كَلِمَةَ «عَسَى» مِنَ اللَّهِ وَاجِبٌ، وَقَدِ اخْتُلِفَ فِي تَفْسِيرِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ عَلَى أَقْوَالٍ:

أَوَّلُهَا: وَرَجَّحَهُ الْفَخْرُ الرَّازِيُّ وَأَجْمَعَ عَلَيْهِ الْمُفَسِّرُونَ كَمَا قَالَهُ الْوَاحِدِيُّ: أَنَّهُ مَقَامُ الشَّفَاعَةِ، وَوَرَدَتِ الأَخْبَارُ الصَّحِيحَةُ فِي تَقْرِيرِ هٰذَا الْمَعْنَى كَمَا فِي الْبُخَارِيِّ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ عَنِ الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ فَقَالَ: «**هُوَ الشَّفَاعَةُ**». وَفِيهِ أَيْضاً عَنْهُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**إِنَّ النَّاسَ يَصِيرُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُثًى** ـ أَيْ: جَمَاعَاتٍ ـ، **كُلُّ أُمَّةٍ تَتْبَعُ نَبِيَّهَا، يَقُولُونَ: يَا فُلاَنُ اشْفَعْ لَنَا، حَتَّى تَنْتَهِيَ الشَّفَاعَةُ إِلَيَّ، فَذٰلِكَ الْمَقَامُ الْمَحْمُودُ**»، وَمِمَّا يُؤَيِّدُ هٰذَا: الدُّعَاءُ الْمَشْهُورُ: «**وَابْعَثْهُ مَقَاماً مَحْمُوداً يَغْبِطُهُ فِيهِ الأَوَّلُونَ وَالآخِرُونَ**».

---

(١) علامة.

(٢) في أعضاء وضوئهم نور مثل البياض الذي يكون في وجه الفَرَس ويديه ورجليه.

(٣) في (شرف النبوة) والغيلاني.

(٤) سورة الإسراء، الآية: ٧٩.

الْقَوْلُ الثَّانِي: قَالَ حُذَيْفَةُ: يَجْمَعُ اللَّهُ النَّاسَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ[1]، فَلاَ تَكَلَّمُ نَفسٌ، فَأَوَّلُ مَدْعُوٍّ مُحَمَّدٌ ﷺ، فَيَقُولُ: «**لَبَّيْكَ وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ فِي يَدَيْكَ، وَالشَّرُّ لَيسَ إِلَيْكَ، وَالْمُهْتَدِي مَنْ هَدَيْتَ، وَعَبْدُكَ بَيْنَ يَدَيْكَ، وَبِكَ وَإِلَيْكَ، وَلاَ مَلْجَأَ مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، تَبَارَكْتَ وَتَعَالَيْتَ، سُبْحَانَكَ رَبَّ الْبَيْتِ**»، قَالَ: فَهٰذَا هُوَ الْمُرَادُ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ رَوَاهُ الطَّبَرَانِيُّ[2]، قَالَ ابْنُ مَنْدَهْ: حَدِيثٌ مُجْمَعٌ عَلَى صِحَّةِ إِسْنَادِهِ وَثِقَةِ رِجَالِهِ.

الْقَوْلُ الثَّالِثُ: مَقَامٌ تُحْمَدُ عَاقِبَتُهُ.

الْقَوْلُ الرَّابِعُ: هُوَ إِجْلاَسُهُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ عَلَى الْعَرْشِ. وَقِيلَ عَلَى الْكُرْسِيِّ. رُوِيَ عَنِ ابْنِ مَسْعُودٍ أَنَّهُ قَالَ: يُقْعِدُ اللَّهُ تَعَالَى مُحَمَّداً ﷺ عَلَى الْكُرْسِيِّ[3].

وَاخْتُلِفَ فِي فَاعِلِ الْحَمْدِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَّحْمُودًا﴾ فَالأَكْثَرُ عَلَى أَنَّ الْمُرَادَ بِهِ أَهْلُ الْمَوْقِفِ، لِمَا ثَبَتَ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عُمَرَ بِلَفْظِ: «**مَقاماً مَحْمُوداً يَحْمَدُهُ أَهْلُ الْجَمْعِ كُلُّهُمْ**».

فَإِنْ قُلْتَ: إِذَا قُلْنَا بِالْمَشْهُورِ: إِنَّ الْمُرَادَ بِالْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الشَّفَاعَةُ، فَأَيُّ شَفَاعَةٍ هِيَ؟

فَالْجَوَابُ: إِنَّ الشَّفَاعَةَ الَّتِي وَرَدَتْ فِي الأَحَادِيثِ فِي الْمَقَامِ الْمَحْمُودِ نَوْعَانِ:

---

(١) يوم المحشر.

(٢) والنسائي بإسناد صحيح.

(٣) قال الواحدي: وهذا قول رَذْل موحش فظيع، ونصّ الكتاب ينادي بفساد هذا التفسير، وقد قال تعالى: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ ولم يقل مَقْعَداً.

النَّوْعُ الأَوَّلُ: الْعَامَّةُ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ.

وَالثَّانِي: فِي الشَّفَاعَةِ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ.

لَكِنِ الَّذِي يَتَّجِهُ رَدُّ هٰذِهِ الأَقْوَالِ كُلِّهَا إِلَى الشَّفَاعَةِ الْعَامَّةِ، فَإِنَّ إِعْطَاءَهُ لِوَاءَ الْحَمْدِ وَثَنَاءَهُ عَلَى رَبِّهِ وَكَلامَهُ بَيْنَ يَدَيْهِ وَجُلُوسَهُ عَلَى كُرْسِيِّهِ هِيَ صِفَاتٌ لِلْمَقَامِ الْمَحْمُودِ الَّذِي يَشْفَعُ فِيهِ لِيُقْضَى بَيْنَ الْخَلْقِ، وَأَمَّا الشَّفَاعَةُ فِي إِخْرَاجِ الْمُذْنِبِينَ مِنَ النَّارِ فَمِنْ تَوَابِعِ ذٰلِكَ.

وَقَدْ جَاءَتِ الأَحَادِيثُ الَّتِي بَلَغَ مَجْمُوعُهَا التَّوَاتُرَ بِصِحَّةِ الشَّفَاعَةِ فِي الآخِرَةِ لِمُذْنِبِي الْمُؤْمِنِينَ، فَعَنْ أُمِّ حَبِيبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أُرِيتُ مَا تَلْقَى أُمَّتِي مِنْ بَعْدِي وَسَفْكَ بَعْضِهِمْ دِمَاءَ بَعْضٍ فَأَحْزَنَنِي، وَسَبَقَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا سَبَقَ لِلأُمَمِ قَبْلَهُمْ، فَسَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ يُؤْتِيَنِي فِيهِمْ شَفَاعَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَفَعَلَ**»[1].

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: «**لِكُلِّ نَبِيٍّ دَعْوَةٌ مُسْتَجَابَةٌ يَدْعُو بِهَا، وَأُرِيدُ أَنْ أَخْتَبِىءَ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي فِي الآخِرَةِ**»[2].

وَفِي رِوَايَةِ أَنَسٍ: «**فَجَعَلْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي**»[3]، وَهٰذَا مِنْ مَزِيدِ شَفَقَتِهِ ﷺ عَلَيْنَا وَحُسْنِ تَصَرُّفِهِ، حَيْثُ جَعَلَ دَعْوَتَهُ الْمُجَابَةَ فِي أَهَمِّ أَوْقَاتِ حَاجَاتِنَا، جَزَاهُ اللَّهُ عَنَّا أَحْسَنَ الْجَزَاءِ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَاذَا وَرَدَ عَلَيْكَ

---

(١) رواه الحاكم والبيهقي وصححه.

(٢) رواه الشيخان.

(٣) رواه مسلم.

مِنَ الْوَحْيِ فِي الشَّفَاعَةِ؟ فَقَالَ: «شَفَاعَتِي لِمَنْ شَهِدَ أَنْ لاَ إِلٰهَ إِلاَّ اللّٰهُ مُخْلِصاً، يُصَدِّقُ بِهَا لِسَانَهُ قَلْبُهُ»(١).

وَعَنْهُ أَيْضاً قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّٰهِ ﷺ: «أَنَا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، هَلْ تَدْرُونَ مِمَّ ذٰلِكَ؟ يَجْمَعُ اللّٰهُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ، فَيُبْصِرُهُمُ النَّاظِرُ، وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي، وَتَدْنُو الشَّمْسُ مِنْ جَمَاجِمِ النَّاسِ، فَيَبْلُغُ النَّاسَ مِنَ الْغَمِّ وَالْكَرْبِ مَا لاَ يُطِيقُونَ وَلاَ يَحْتَمِلُونَ، فَيَقُولُ النَّاسُ: أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا أَنْتُمْ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَوْنَ إِلَى مَا قَدْ بَلَغَكُمْ؟ أَلاَ تَنْظُرُونَ مَنْ يَشْفَعُ لَكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ؟ فَيَقُولُ بَعْضُ النَّاسِ لِبَعْضٍ: أَبُوكُمْ آدَمُ، فَيَأْتُونَهُ فَيَقُولُونَ: يَا آدَمُ! أَنْتَ أَبُو الْبَشَرِ، خَلَقَكَ اللّٰهُ بِيَدِهِ، وَنَفَخَ فِيكَ مِنْ رُوحِهِ، وَأَمَرَ الْمَلاَئِكَةَ فَسَجَدُوا لَكَ، وَأَسْكَنَكَ الْجَنَّةَ، أَلاَ تَشْفَعُ لِنَا إِلَى رَبِّكَ؟ أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ وَمَا بَلَغَنَا؟ فَقَالَ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ نَهَانِي عَنِ الشَّجَرَةِ فَعَصَيْتُ(٢)، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى نُوحٍ، فَيَأْتُونَ نُوحاً عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَيَقُولُونَ: يَا نُوحُ! أَنْتَ أَوَّلُ الرُّسُلِ إِلَى أَهْلِ الأَرْضِ(٣)، وَقَدْ سَمَّاكَ اللّٰهُ عَبْداً شَكُوراً، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ؟ أَلاَ تَرَى إِلى مَا بَلَغَنَا؟ أَلاَ تَشْفَعُ لَنَا إِلَى رَبِّكَ؟ فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلاَ يَغْضَبُ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنَّهُ قَدْ كَانَتْ لِي دَعْوَةٌ دَعَوْتُ بِهَا عَلَى قَوْمِي، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى إِبْرَاهِيمَ، فَيَأْتُونَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، فَيَقُولُونَ: أَنْتَ نَبِيُّ اللّٰهِ وَخَلِيلُهُ مِنْ أَهْلِ الأَرْضِ، اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، أَلاَ تَرَى مَا نَحْنُ

---

(١) رواه البيهقي والحاكم وصححه.

(٢) فالصورة صورة معصية، وإلا فقد نسي، قال تعالىٰ: ﴿فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا﴾ أي: علىٰ المعصية. سورة طه، الآية: ١١٥.

(٣) أي: بعد الطُّوفان، وإلا فقد تقدمه آدم وشيث وإدريس عليهم الصلاة والسلام.

فِيهِ؟ فَيَقُولُ لَهُمْ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي كُنْتُ كَذَبْتُ ثَلاَثَ كَذَبَاتٍ، فَذَكَرَهَا[1]، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُوسَى، فَيَأْتُونَ مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَقُولُونَ: يَا مُوسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، فَضَّلَكَ اللَّهُ بِرِسَالَتِهِ وَبِكَلاَمِهِ عَلَى النَّاسِ، أَلاَ تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَإِنِّي قَتَلْتُ نَفْساً لَمْ أُوْمَرْ بِقَتْلِهَا[2]، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى عِيسَى، فَيَأْتُونَ عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ فَيَقُولُونَ: يَا عِيسَى! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا إِلَى مَرْيَمَ، وَرُوحٌ مِنْهُ، وَكَلَّمْتَ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ، أَلاَ تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: إِنَّ رَبِّي غَضِبَ الْيَوْمَ غَضَباً لَمْ يَغْضَبْ قَبْلَهُ مِثْلَهُ، وَلَنْ يَغْضَبَ بَعْدَهُ مِثْلَهُ، وَلَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً، نَفْسِي نَفْسِي نَفْسِي، اذْهَبُوا إِلَى غَيْرِي، اذْهَبُوا إِلَى مُحَمَّدٍ، فَيَأْتُونَ مُحَمَّداً ﷺ فَيَقُولُونَ: يَا مُحَمَّدُ! أَنْتَ رَسُولُ اللَّهِ، وَخَاتِمُ الأَنْبِيَاءِ، وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، أَلاَ تَرَىٰ مَا نَحْنُ فِيهِ؟ اشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَأَنْطَلِقُ فَآتِي تَحْتَ الْعَرْشِ فَأَقَعُ سَاجِداً لِرَبِّي، ثُمَّ يَفْتَحُ اللَّهُ عَلَيَّ مِنْ مَحَامِدِهِ وَحُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ شَيْئاً لَمْ يَفْتَحْهُ عَلَى أَحَدٍ قَبْلِي، ثُمَّ يُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ! ارْفَعْ رَأْسَكَ، سَلْ تُعْطَهْ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي يَا رَبِّ، أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيُقَالُ: يَا مُحَمَّدُ أَدْخِلْ مِنْ أُمَّتِكَ مَنْ لاَ حِسَابَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ الأَيْمَنِ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ، وَهُمْ شُرَكَاءُ النَّاسِ فِيمَا سِوَى ذٰلِكَ مِنَ الأَبْوَابِ» الْحَدِيثَ،

---

(١) وهي قوله: ﴿إِنِّي سَقِيمٌ﴾ لمّا دُعِيَ إلىٰ الأصنام (أي: سقيم من كُفركم) وقوله لزوجته سارة لما طلبها الملك منه: إنها أختي (أي: في الدين) وقوله في حق الأصنام: ﴿بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَٰذَا﴾ [الأنبياء: ٦٣] (قال ذلك على سبيل الاستهزاء).

(٢) وكان ذلك مصادفة قدر. قال تعالىٰ: ﴿فَوَكَزَهُ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] والوكز: الضرب بجُمْع الكفّ، وهو لا يقتل عادة.

رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ. وَهٰذِهِ الشَّفَاعَةُ بَعْدَ الْعَامَّةِ لِجَمِيعِ الأُمَمِ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ، فَفِي السِّيَاقِ حَذْفٌ. وَفِي مُسْنَدِ الْبَزَّارِ: **«فَأَقُولُ يَا رَبِّ! عَجِّلْ عَلَى الْخَلْقِ الْحِسَابَ»**.

وَوَقَعَ فِي رِوَايَةِ حُذَيْفَةَ: أَنَّ الْخَلِيلَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ قَالَ: لَسْتُ بِصَاحِبِ ذٰلِكَ، إِنَّمَا كُنْتُ خَلِيلاً مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، وَمَعْنَاهُ: لَمْ أَكُنْ فِي التَّقْرِيبِ وَالإِدْلاَلِ بِمَنْزِلَةِ الْحَبِيبِ، وَقَوْلُهُ: مِنْ وَرَاءَ وَرَاءَ، إِشَارَةٌ إِلَى نَبِيِّنَا ﷺ، لأَنَّهُ حَصَلَتْ لَهُ الرُّؤْيَةُ وَالسَّمَاعُ بِلاَ وَاسِطَةٍ، وَأَمَّا مَا ذَكَرَهُ مِنَ الْكَذَبَاتِ الثَّلاَثِ، فَقَالَ الْبَيْضَاوِيُّ: الْحَقُّ أَنَّهَا إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ مَعَارِيضِ الْكَلاَمِ، لٰكِنْ لَمَّا كَانَتْ صُورَتُهَا صُورَةَ الْكَذِبِ أَشْفَقَ مِنْهَا اسْتِقْصَاراً لِنَفْسِهِ عَنِ الشَّفَاعَةِ، لأَنَّ مَنْ كَانَ أَعْرَفَ بِاللّهِ وَأَقْرَبَ إِلَيْهِ مَنْزِلَةً كَانَ أَعْظَمَ خَوْفاً.

وَأَمَّا قَوْلُهُ عَنْ عِيسَى: إِنَّهُ لَمْ يَذْكُرْ ذَنْباً، فَوَقَعَ فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَحْمَدَ وَالنَّسَائِيِّ: إِنِّي اتُّخِذْتُ إِلٰهاً مِنْ دُونِ اللّهِ.

وَفِي حَدِيثِ النَّضْرِ بْنِ أَنَسٍ عَنْ أَبِيهِ، حَدَّثَنِي نَبِيُّ اللّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنِّي لَقَائِمٌ أَنْتَظِرُ أُمَّتِي عِنْدَ الصِّرَاطِ إِذْ جَاءَ عِيسَى فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ! هٰذِهِ الأَنْبِيَاءُ قَدْ جَاءَتْكَ يَسْأَلُونَكَ لِتَدْعُوَ اللّهَ أَنْ يُفَرِّقَ جَمْعَ الأُمَمِ إِلَى حَيْثُ شَاءَ لِعُظْمِ مَا هُمْ فِيهِ»**، فَأَفَادَتْ هٰذِهِ الرِّوَايَةُ تَعْيِينَ مَوْقِفِ النَّبِيِّ ﷺ حِينَئِذٍ، وَأَنَّ هٰذَا الَّذِي وُصِفَ مِنْ كَلاَمِ أَهْلِ الْمَوْقِفِ كُلِّهِ يَقَعُ عِنْدَ نَصْبِ الصِّرَاطِ بَعْدَ تَسَاقُطِ الْكُفَّارِ فِي النَّارِ، وَأَنَّ عِيسَى هُوَ الَّذِي يُخَاطِبُ نَبِيَّنَا ﷺ، وَأَنَّ جَمِيعَ الأَنْبِيَاءِ يَسْأَلُونَهُ فِي ذٰلِكَ.

وَفِي حَدِيثِ سَلْمَانَ عِنْدَ ابْنِ أَبِي شَيْبَةَ: **«يَأْتُونَ مُحَمَّداً فَيَقُولُونَ: يَا نَبِيَّ اللّهِ! أَنْتَ فَتَحَ اللّهُ بِكَ وَخَتَمَ بِكَ، وَغَفَرَ لَكَ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ، وَجِئْتَ فِي هٰذَا الْيَوْمِ وَتَرَى مَا نَحْنُ فِيهِ، فَقُمْ فَاشْفَعْ لَنَا إِلَى رَبِّكَ، فَيَقُولُ: أَنَا صَاحِبُكُمْ، فَيَجُوسُ النَّاسَ** ـ أَيْ: يَتَخَلَّلُهُمْ ـ **حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ»**.

وَفِي حَدِيثِ كَعْبٍ عِنْدَ أَبِي يَعْلَى رَفَعَهُ: **«فَأَسْجُدُ لَهُ سَجْدَةً يَرْضَى بِهَا عَنِّي، ثُمَّ أَمْتَدِحُهُ بِمِدْحَةٍ يَرْضَى بِهَا عَنِّي»**.

وَفِي رِوَايَةِ الْبُخَارِيِّ: مِنْ حَدِيثِ قَتَادَةَ عَنْ أَنَسٍ: **«ثُمَّ أَشْفَعُ فَيَحُدُّ لِي حَدًّا، ثُمَّ أُخْرِجُهُمْ مِنَ النَّارِ، وَأُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ»**.

وَفِي رِوَايَةِ ثَابِتٍ عِنْدَ أَحْمَدَ: **«فَأَقُولُ: أَيْ رَبِّ! أُمَّتِي أُمَّتِي، فَيَقُولُ: أَخْرِجْ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ شَعِيرَةٍ ثُمَّ حَبَّةِ خَرْدَلٍ»** أَيْ: مِنْ إِيمَانٍ.

قَالَ النَّوَوِيُّ: الشَّفَاعَاتُ خَمْسٌ:

الأُولَى: فِي الإِرَاحَةِ مِنْ هَوْلِ الْمَوْقِفِ.

الثَّانِيَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ حِسَابٍ.

الثَّالِثَةُ: فِي إِدْخَالِ قَوْمٍ حُوسِبُوا فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ أَنْ لاَ يُعَذَّبُوا.

الرَّابِعَةُ: فِي إِخْرَاجِ مَنْ أُدْخِلَ النَّارَ مِنَ الْعُصَاةِ.

الخَامِسَةُ: فِي رَفْعِ الدَّرَجَاتِ. انتهى.

وَعَنْ بُرَيْدَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنِّي لأَرْجُو أَنْ أَشْفَعَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَدَدَ مَا عَلَى الأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ وَمَدَرَةٍ»**[1] رَوَاهُ أَحْمَدُ.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: **«نَحْنُ آخِرُ الأُمَمِ وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، يُقَالُ أَيْنَ الأُمَّةُ الأُمِّيَّةُ وَنَبِيُّهَا؟ فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ»** رَوَاهُ ابْنُ مَاجَهْ[2].

وَفِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ عِنْدَ أَبِي دَاوُدَ[3] قَالَ ﷺ: **«فَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ أَنْ**

---

(١) طين متماسك.

(٢) بسند صحيح.

(٣) الطيالسي.

يَقْضِيَ بَيْنَ خَلْقِهِ نَادَى مُنَادٍ: أَيْنَ مُحَمَّدٌ وَأُمَّتُهُ؟ فَأَقُومُ، وَتَتْبَعُنِي أُمَّتِي غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنْ أَثَرِ الطُّهُورِ»[١]، قَالَ ﷺ: «فَنَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ، وَأَوَّلُ مَنْ يُحَاسَبُ، فَتُفْرِجُ لَنَا الأُمَمُ عَنْ طَرِيقِنَا، وَتَقُولُ الأُمَمُ: كَادَتْ هٰذِهِ الأُمَّةُ أَنْ تَكُونَ أَنْبِيَاءَ كُلُّهَا».

وَذَكَرَ الْحَافِظُ أَبُو نُعَيْم عَنِ ابْنِ عُمَرَ: أَنَّ رَسُولَ اللّٰهِ ﷺ قَالَ: «مَنْ قَضَى لأَخِيهِ الْمُؤْمِنِ حَاجَةً كُنْتُ وَاقِفاً عِنْدَ مِيزَانِهِ، فَإِنْ رَجَحَ وَإِلاَّ شَفَعْتُ لَهُ».

وَفِي حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنْهُ ﷺ: «وَيُضْرَبُ الصِّرَاطُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ جَهَنَّمَ، فَأَكُونُ أَنَا وَأُمَّتِي أَوَّلَ مَنْ يَجُوزُ عَلَيْهِ، وَلاَ يَتَكَلَّمُ يَوْمَئِذٍ إِلاَّ الرُّسُلُ، وَدَعْوَى الرُّسُلِ يَوْمَئِذٍ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَفِي جَهَنَّمَ كَلاَلِيبُ مِثْلُ شَوْكِ السَّعْدَانِ، غَيْرَ أَنَّهُ لاَ يَعْلَمُ قَدْرَ عِظَمِهَا إِلاَّ اللّٰهُ تَعَالَى، فَتَخْطَفُ النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ يُوبَقُ بِعَمَلِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُخَرْدَلُ ثُمَّ يَنْجُو» رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَالسَّعْدَانُ: نَبَاتٌ ذُو شَوْكٍ، وَيُوبَقُ: يُهْلَكُ. وَيُخَرْدَلُ: يُصْرَعُ).

وَفِي حَدِيثِ حُذَيْفَةَ عِنْدَ مُسْلِمٍ: «وَنَبِيُّكُمْ قَائِمٌ عَلَى الصِّرَاطِ يَقُولُ: يَا رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ».

وَفِي حَدِيثٍ أَخْرَجَهُ ابْنُ الْجَوْزِيِّ[٢]: «فَإِذَا عَصَفَ الصِّرَاطُ[٣] بِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ ﷺ نَادَوْا: وَامُحَمَّدَاهُ! وَامُحَمَّدَاهُ! فَيُبَادِرُ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ مِنْ شِدَّةِ إِشْفَاقِهِ عَلَيْهِمْ، وَجِبْرِيلُ آخِذٌ بِحُجْزَتِهِ (وَالْحُجْزَةُ: مَعْقِدُ الإِزَارِ) فَيُنَادِي رَافِعاً صَوْتَهُ: رَبِّ أُمَّتِي أُمَّتِي، لاَ أَسْأَلُكَ الْيَوْمَ نَفْسِي وَلاَ فَاطِمَةَ ابْنَتِي، وَالْمَلاَئِكَةُ

---

(١) في أعضاء وضوئهم نور مثل البياض الذي يكون في وجه الفَرَس ويديه ورجليه.
(٢) في كتابه (روضة المشتاق).
(٣) اشتدّ وصَعُب أمره.

قِيَامٌ عَنْ يَمِينِ الصِّرَاطِ وَيَسَارِهِ يُنَادُونَ: رَبِّ سَلِّمْ سَلِّمْ، وَقَدْ عَظُمَتِ الأَهْوَالُ وَاشْتَدَّتْ الأَوْجَالُ[١]، وَالْعُصَاةُ يَتَسَاقَطُونَ عَنِ الْيَمِينِ وَالشِّمَالِ، وَالزَّبَانِيَةُ يَتَلَقَّوْنَهُمْ بِالسَّلاَسِلِ وَالأَغْلاَلِ، وَيُنَادُونَهُمْ: أَمَا نُهِيتُمْ عَنْ كَسْبِ الأَوْزَارِ؟ أَمَا أُنْذِرْتُمْ كُلَّ الإِنْذَارِ؟ أَمَا جَاءَكُمُ النَّبِيُّ الْمُخْتَارُ؟».

وَرَوَى الْقُرْطُبِيُّ عَنْ عَبْدِاللَّهِ بْنِ سَلاَمٍ: إِذَا كَانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ جَمَعَ اللَّهُ الأَنْبِيَاءَ نَبِيًّا نَبِيًّا وَأُمَّةً أُمَّةً، وَيُضْرَبُ الْجِسْرُ عَلَى جَهَنَّمَ وَيُنَادَى: أَيْنَ أَحْمَدُ وَأُمَّتُهُ؟ فَيَقُومُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، وَتَتْبَعُهُ أُمَّتُهُ بَرُّهَا وَفَاجِرُهَا، حَتَّى إِذَا كَانَ عَلَى الصِّرَاطِ طَمَسَ اللَّهُ أَبْصَارَ أَعْدَائِهِ، فَيَتَهَافَتُونَ فِي النَّارِ يَمِيناً وَشِمَالاً، وَيَمْضِي النَّبِيُّ ﷺ وَالصَّالِحُونَ مَعَهُ، فَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلاَئِكَةُ، فَيَدُلُّونَهُمْ عَلَى الطَّرِيقِ: عَلَى يَمِينِكَ، عَلَى شِمَالِكَ، حَتَّى يَنْتَهِيَ إِلَى رَبِّهِ، فَيُوضَعُ لَهُ كُرْسِيٌّ عَنْ يَمِينِ الْعَرْشِ، ثُمَّ يَتْبَعُهُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلاَمُ عَلَى مِثْلِ سَبِيلِهِ[٢]، ثُمَّ الأَنْبِيَاءُ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلاَمُهُ عَلَيْهِ وَعَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ بِأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ وَأَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُهَا:

فَفِي صَحِيحِ مُسْلِمٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا أَكْثَرُ النَّاسِ تَبَعاً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يَقْرَعُ بَابَ الْجَنَّةِ»**، وَفِيهِ أَيْضاً مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: قَالَ ﷺ: **«آتِي بَابَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَسْتَفْتِحُ، فَيَقُولُ الْخَازِنُ: مَنْ أَنْتَ؟ فَأَقُولُ: مُحَمَّدٌ، فَيَقُولُ: بِكَ أُمِرْتُ أَنْ لاَ أَفْتَحَ لأَحَدٍ قَبْلَكَ»** وَزَادَ الطَّبَرَانِيُّ: فَيَقُومُ الْخَازِنُ وَيَقُولُ: لاَ أَقُومُ لأَحَدٍ بَعْدَكَ.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا أَوَّلُ مَنْ يَأْخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ وَلاَ فَخْرَ»**[٣].

---

(١) المخاوف.

(٢) قال الذهبي: غريب موقوف.

(٣) وهو في مسند الفردوس للديلمي، لكن من حديث ابن عباس.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَبِيَدِي لِوَاءُ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ آدَمُ فَمَنْ دُونَهُ إِلاَّ تَحْتَ لِوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الأَرْضُ وَلاَ فَخْرَ»** قَالَ: **«فَيَفْزَعُ النَّاسُ ثَلاَثَ فَزَعَاتٍ، فَيَأْتُونَ آدَمَ»** فَذَكَرَ الْحَدِيثَ إِلَى أَنْ قَالَ: **«فَيَأْتُونِي فَأَنْطَلِقُ مَعَهُمْ»**، قَالَ أَنَسٌ: فَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: **«فَآخُذُ بِحَلْقَةِ بَابِ الْجَنَّةِ فَأُقَعْقِعُهَا[١]، فَيُقَالُ: مَنْ هٰذَا؟ فَيُقَالُ: مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي، وَيُرَحِّبُونَ بِي فَيَقُولُونَ: مَرْحَباً، فَأَخِرُّ سَاجِداً، فَيُلْهِمُنِي اللَّهُ مِنَ الثَّنَاءِ وَالْحَمْدِ، فَيُقَالُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ»** الْحَدِيثَ رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ: حَسَنٌ.

وَفِي حَدِيثِ الصُّورِ[٢]: إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا انْتَهَوْا إِلَى بَابِ الْجَنَّةِ تَشَاوَرُوا فِيمَنْ يَسْتَأْذِنُ لَهُمْ فِي الدُّخُولِ، فَيَقْصِدُونَ آدَمَ، ثُمَّ نُوحاً، ثُمَّ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ مُوسَى، ثُمَّ عِيسَى، ثُمَّ مُحَمَّداً ﷺ، كَمَا فَعَلُوا عِنْدَ الْعَرَصَاتِ[٣] عِنْدَ اسْتِشْفَاعِهِمْ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي فَصْلِ الْقَضَاءِ لِيَظْهَرَ شَرَفُ نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ ﷺ عَلَى سَائِرِ الْبَشَرِ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا.

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: جَلَسَ نَاسٌ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ يَنْتَظِرُونَهُ، فَخَرَجَ حَتَّى إِذَا دَنَا مِنْهُمْ سَمِعَهُمْ وَهُمْ يَتَذَاكَرُونَ، قَالَ: فَسَمِعَ حَدِيثَهُمْ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: عَجَباً أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ مِنْ خَلْقِهِ خَلِيلاً، اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً، وَقَالَ آخَرُ: مَاذَا بِأَعْجَبَ مِنْ كَلاَمِ مُوسَى كَلَّمَهُ تَكْلِيماً، وَقَالَ آخَرُ: فَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ، وَقَالَ آخَرُ: فَآدَمُ اصْطَفَاهُ اللَّهُ، فَخَرَجَ عَلَيْهِمْ فَسَلَّمَ، وَقَالَ: **«قَدْ سَمِعْتُ كَلاَمَكُمْ وَعَجَبَكُمْ أَنَّ اللَّهَ اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلاً وَهُوَ كَذٰلِكَ، وَمُوسَى كَلِيماً وَهُوَ كَذٰلِكَ، وَعِيسَى رُوحُ اللَّهِ وَهُوَ كَذٰلِكَ، وَآدَمُ**

---

(١) أحرّكها لتُصوّت.

(٢) الذي ضعّفه البيهقي، وصوّب تضعيفه ابن حَجَر.

(٣) ساحات يوم القيامة.

اصْطَفَاهُ اللَّهُ وَهُوَ كَذٰلِكَ، أَلاَ وَأَنَا حَبِيبُ اللَّهِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا حَامِلُ لِوَاءِ الْحَمْدِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ وَأَوَّلُ مُشَفَّعٍ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ يُحَرِّكُ حَلَقَ الْجَنَّةِ فَيَفْتَحُ اللَّهُ لِي فَيُدْخِلُنِيهَا وَمَعِي فُقَرَاءُ الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ فَخْرَ، وَأَنَا أَكْرَمُ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ وَلاَ فَخْرَ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(١).

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَنَا أَوَّلُ النَّاسِ خُرُوجاً إِذَا بُعِثُوا، وَأَنَا خَطِيبُهُمْ إِذَا أَنْصَتُوا، وَقَائِدُهُمْ إِذَا وَفَدُوا، وَشَافِعُهُمْ إِذَا حُبِسُوا، وَأَنَا مُبَشِّرُهُمْ إِذَا يَئِسُوا، لِوَاءُ الْحَمْدِ بِيَدِي، وَمَفَاتِيحُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ بِيَدِي، وَأَنَا أَكْرَمُ وَلَدِ آدَمَ عَلَى رَبِّي وَلاَ فَخْرَ، وَيَطُوفُ عَلَيَّ أَلْفُ خَادِمٍ كَأَنَّهُمُ اللُّؤْلُؤُ الْمَكْنُونُ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ(٢)، وَالْبَيْهَقِيُّ وَاللَّفْظُ لَهُ.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَنَحْنُ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ» رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

وَعَنْهُ أَيْضاً عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «نَحْنُ الآخِرُونَ الأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، نَحْنُ أَوَّلُ النَّاسِ دُخُولاً الْجَنَّةَ».

فَهٰذِهِ الأُمَّةُ أَسْبَقُ الأُمَمِ خُرُوجاً مِنَ الأَرْضِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى أَعْلَى مَكَانٍ فِي الْمَوْقِفِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى ظِلِّ الْعَرْشِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى فَصْلِ الْقَضَاءِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى الْجَوَازِ عَلَى الصِّرَاطِ، وَأَسْبَقُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْجَنَّةِ، وَهِيَ أَكْثَرُ أَهْلِ الْجَنَّةِ.

رَوَى عَبْدُاللَّهِ بْنُ الإِمَامِ أَحْمَدَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ: لَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الآيَةُ: ﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾﴾(٣) قَالَ ﷺ: «أَنْتُمْ ثُلُثُ

---

(١) والدارمي.

(٢) بسند غريب.

(٣) سورة الواقعة، الآيتان: ٣٩، ٤٠.

أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ نِصْفُ أَهْلِ الْجَنَّةِ، أَنْتُمْ ثُلُثَا أَهْلِ الْجَنَّةِ».

وَفِي حَدِيثِ بَهْزِ بْنِ حَكِيمٍ قَالَ ﷺ: **«أَهْلُ الْجَنَّةِ عِشْرُونَ وَمِئَةُ صَفٍّ، أَنْتُمْ مِنْهَا ثَمَانُونَ»**(١).

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«إِنَّ الْجَنَّةَ حُرِّمَتْ عَلَى الأَنْبِيَاءِ كُلِّهِمْ حَتَّى أَدْخُلَهَا، وَحُرِّمَتْ عَلَى الأُمَمِ حَتَّى تَدْخُلَهَا أُمَّتِي»**(٢).

وَرَوَى ابْنُ شَيْبَةَ(٣) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **«أَتَانِي جِبْرِيلُ فَأَخَذَ بِيَدِي وَأَرَانِي بَابَ الْجَنَّةِ الَّذِي تَدْخُلُ مِنْهُ أُمَّتِي»**، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ مَعَكَ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ، فَقَالَ ﷺ: **«أَمَا إِنَّكَ يَا أَبَا بَكْرٍ أَوَّلُ مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مِنْ أُمَّتِي»**.

وَذَكَرَ التِّرْمِذِيُّ الْحَكِيمُ أَبْوَابَ الْجَنَّةِ فَذَكَرَ: بَابَ مُحَمَّدٍ ﷺ، قَالَ: وَهُوَ بَابُ الرَّحْمَةِ، وَهُوَ بَابُ التَّوْبَةِ.

وَرَوَى الدَّارَقُطْنِيُّ عَنْ أَبِي أُمَامَةَ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: **«نِعْمَ الرَّجُلُ أَنَا لِشِرَارِ أُمَّتِي»**، فَقَالُوا: فَكَيْفَ أَنْتَ لِخِيَارِهَا؟ فَقَالَ: **«أَمَّا خِيَارُهَا فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِأَعْمَالِهِمْ، وَأَمَّا شِرَارُ أُمَّتِي فَيَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِشَفَاعَتِي»**، فَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَا أَشْفَقَهُ عَلَى أُمَّتِهِ.

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ فِي الْجَنَّةِ بِالْكَوْثَرِ:

فَقَدْ رَوَى مُسْلِمٌ وَغَيْرُهُ(٤) عَنْ أَنَسٍ قَالَ: بَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بَيْنَ

---

(١) رواه أحمد والترمذي وحسّنه.

(٢) قال الدارقطني: غريب.

(٣) وأحمد والحاكم وصححه.

(٤) كأبي داود والنسائي.

أَظْهُرِنَا فِي الْمَسْجِدِ إِذْ أَغْفَى إِغْفَاءَةً، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ مُتَبَسِّماً، قُلْنَا: مَا أَضْحَكَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ: **«أُنزِلَتْ عَلَيَّ آنِفاً سُورَةٌ»**[1]، فَقَرَأَ: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ[2] هُوَ الْأَبْتَرُ[3]﴾ ثُمَّ قَالَ: **«أَتَدْرُونَ مَا هُوَ الْكَوْثَرُ؟»** قُلْنَا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: **«إِنَّهُ نَهْرٌ وَعَدَنِيهِ رَبِّي عَزَّ وَجَلَّ»** الْحَدِيثَ.

وَفِي الْبُخَارِيِّ[4] عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا عُرِجَ بِالنَّبِيِّ ﷺ إِلَى السَّمَاءِ قَالَ: **«أَتَيْتُ عَلَى نَهْرٍ حَافَتَاهُ قِبَابُ اللُّؤْلُؤِ الْمُجَوَّفِ، فَقُلْتُ: مَا هٰذَا يَا جِبْرِيلُ؟ قَالَ: هٰذَا الْكَوْثَرُ»**.

وَرَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ عَنْ أَنَسٍ قَالَ: لَمَّا أُسْرِيَ بِالنَّبِيِّ ﷺ مَضَى بِهِ جِبْرِيلُ، فَإِذَا هُوَ بِنَهْرٍ عَلَيْهِ قَصْرٌ مِنْ لُؤْلُؤٍ وَزَبَرْجَدٍ، فَذَهَبَ يَشَمُّ تُرَابَهُ، فَإِذَا هُوَ مِسْكٌ، قَالَ: **«يَا جِبْرِيلُ! مَا هٰذَا النَّهْرُ؟»** قَالَ: الْكَوْثَرُ الَّذِي خَبَأَ لَكَ رَبُّكَ.

وَرَوَى أَحْمَدُ عَنْ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: **«نَهْرٌ فِي الْجَنَّةِ أَعْطَانِيهِ رَبِّي، لَهُوَ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ»**.

وَعَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَ: سَأَلْتُهَا عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝١﴾، قَالَتْ: نَهْرٌ أُعْطِيَهُ نَبِيُّكُمْ فِي الْجَنَّةِ، شَاطِئَاهُ دُرٌّ مُجَوَّفٌ، آنِيَتُهُ كَعَدَدِ النُّجُومِ. رَوَاهُ الْبُخَارِيُّ. (وَقَوْلُهُ: «شَاطِئَاهُ» أَيْ: حَافَتَاهُ. وَقَوْلُهُ: «دُرٌّ مُجَوَّفٌ» أَيِ: الْقِبَابُ الَّتِي عَلَى جَوَانِبِهِ).

---

(١) هي سورة الكوثر.

(٢) مبغضك.

(٣) المنقطع عن كل خير.

(٤) ومسلم.

وَرَوَاهُ النَّسَائِيُّ بِلَفظِ: قَالَتْ: نَهرٌ فِي بُطْنَانِ[1] الْجَنَّةِ، قُلْتُ: وَمَا بُطْنَانُ الْجَنَّةِ؟ قَالَتْ: وَسَطُهَا[2]، حَافَتَاهُ قُصورُ اللُّؤْلُؤِ وَالْيَاقُوتِ، تُرَابُهُ الْمِسْكُ، وَحَصْبَاؤُهُ اللُّؤْلُؤُ وَالْيَاقُوتِ.

وَعَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**الْكَوْثَرُ نَهرٌ فِي الْجَنَّةِ، حَافَتَاهُ مِنَ الذَّهَبِ، وَالْمَاءُ يَجْرِي عَلَى اللُّؤْلُؤِ، وَمَاؤُهُ أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ**» رَوَاهُ أَحْمَدُ وَابْنُ مَاجَهْ، وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: حَسَنٌ صَحِيحٌ.

وَعَنْ أَنَسٍ قَالَ: سُئِلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا الْكَوْثَرُ؟ قَالَ: «**نَهرٌ أَعْطَانِيهِ اللَّهُ** (يَعْنِي: فِي الْجَنَّةِ)، **أَشَدُّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ، وَأَحْلَى مِنَ الْعَسَلِ، فِيهِ طَيْرٌ أَعْنَاقُهَا كَأَعْنَاقِ الْبُخْتِ** ـ أَوْ أَعْنَاقِ الْجُزُرِ ـ» قَالَ عُمَرُ: إِنَّهَا لَنَاعِمَةٌ؟ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «**أَكَلَتُهَا أَنْعَمُ مِنْهَا**» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ وَقَالَ حَسَنٌ. (وَالْبُخْتُ: نَوْعٌ مِنَ الإِبْلِ. وَالْجُزُرُ: جَمْعُ جَزُورٍ؛ وَهُوَ الْبَعِيرُ).

وَقَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: قَدْ تَوَاتَرَ (يَعْنِي: حَدِيثَ الْكَوْثَرِ) مِنْ طُرُقٍ تُفِيدُ الْقَطْعَ عِنْدَ كَثِيرٍ مِنْ أَئِمَّةِ الْحَدِيثِ، وَكَذٰلِكَ أَحَادِيثُ الْحَوْضِ.

وَأَمَّا تَفْضِيلُهُ ﷺ بِالْوَسِيلَةِ وَالدَّرَجَةِ الرَّفِيعَةِ وَالْفَضِيلَةِ:

فَرَوَى مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَبْدِاللَّهِ بْنِ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ: أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلاَةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْراً، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِيَ الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لاَ تَنْبَغِي إِلاَّ لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ[3]، فَمَنْ سَأَلَ لِيَ الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ عَلَيْهِ الشَّفَاعَةُ**».

---

(١) جمع بَطْن، وهو الجوف.

(٢) والمراد: أعلاها، وأرفعها قدراً، وأعدلُها.

(٣) قال ذلك قبل إخباره بأنها له.

قَالَ الْحَافِظُ ابْنُ كَثِيرٍ: الْوَسِيلَةُ عَلَمٌ[١] عَلَى أَعْلَى مَنْزِلَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ مَنْزِلَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، وَدَارُهُ فِي الْجَنَّةِ، وَهِيَ أَقْرَبُ أَمْكِنَةِ الْجَنَّةِ إِلَى الْعَرْشِ.

وَلَمَّا كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَعْظَمَ الْخَلْقِ عُبُودِيَّةً لِرَبِّهِ؛ وَأَعْلَمَهُمْ بِهِ؛ وَأَشَدَّهُمْ لَهُ خَشْيَةً؛ وَأَعْظَمَهُمْ لَهُ مَحَبَّةً؛ كَانَتْ مَنْزِلَتُهُ أَقْرَبَ الْمَنَازِلِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى، وَهِيَ أَعْلَى دَرَجَةٍ فِي الْجَنَّةِ، وَأَمَرَ ﷺ أُمَّتَهُ أَنْ يَسْأَلُوهَا لَهُ لِيَنَالُوا بِهٰذَا الدُّعَاءِ الزُّلْفَى[٢] وَزِيَادَةَ الإِيمَانِ، وَأَيْضاً فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدَّرَهَا لَهُ بِأَسْبَابٍ، مِنْهَا دُعَاءُ أُمَّتِهِ لَهُ بِهَا بِمَا نَالُوهُ عَلَى يَدِهِ مِنَ الْهُدَى وَالإِيمَانِ.

وَأَمَّا الْفَضِيلَةُ: فَهِيَ الْمَرْتَبَةُ الزَّائِدَةُ عَلَى سَائِرِ الْخَلَائِقِ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ مَنْزِلَةً أُخْرَى[٣].

وَرَوَى ابْنُ مَرْدُوَيْهِ عَنْ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «**إِذَا سَأَلْتُمُ اللَّهَ فَسَلُوا لِيَ الْوَسِيلَةَ**»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَنْ يَسْكُنُ مَعَكَ؟ قَالَ: «**عَلِيٌّ وَفَاطِمَةُ وَالْحَسَنُ وَالْحُسَيْنُ**»[٤].

وَعِنْدَ ابْنِ أَبِي حَاتِمٍ مِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ أَيْضاً: أَنَّهُ قَالَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ: «**أَيُّهَا النَّاسُ! إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لُؤْلُؤَتَيْنِ: إِحْدَاهُمَا بَيْضَاءُ، وَالأُخْرَى صَفْرَاءُ، فَأَمَّا الْبَيْضَاءُ: فَإِنَّهَا إِلَى بُطْنَانِ[٥] الْعَرْشِ، وَالْمَقَامُ الْمَحْمُودُ مِنَ اللُّؤْلُؤَةِ الْبَيْضَاءِ سَبْعُونَ أَلْفَ غُرْفَةٍ، كُلُّ بَيْتٍ مِنْهَا ثَلَاثَةُ أَمْيَالٍ، وَغُرَفُهَا وَأَبْوَابُهَا وَأَسِرَّتُهَا وَسُكَّانُهَا مِنْ عِرْقٍ** - أَيْ: أَصْلٍ وَاحِدٍ - **وَاسْمُهَا الْوَسِيلَةُ، هِيَ لِمُحَمَّدٍ ﷺ**

---

(١) راية.

(٢) القربىٰ والمنزلة.

(٣) أو تفسيراً للوسيلة.

(٤) لكن قال الحافظ عماد الدين بن كثير: إنه حديث غريب منكر من هذا الوجه.

(٥) جمع بَطْن، وهو الجوف.

وَأَهْلِ بَيْتِهِ، وَالصَّفْرَاءُ فيهَا مِثْلُ ذٰلِكَ، هِيَ لإِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ وَأَهْلِ بَيْتِهِ»[1].

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴿٥﴾﴾[2] قَالَ: أَعْطَاهُ اللّٰهُ فِي الْجَنَّةِ أَلْفَ قَصْرٍ، فِي كُلِّ قَصْرٍ مَا يَنْبَغِي لَهُ مِنَ الأَزْوَاجِ وَالْخَدَمِ. رَوَاهُ ابْنُ جَرِيرٍ وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ، وَمِثْلُ هٰذَا لاَ يُقَالُ إِلاَّ عَنْ تَوْقِيفٍ[3].

---

(١) وهذا أثر غريب كما نبّه عليه الحافظ ابن كثير أيضاً.

(٢) سورة الضحىٰ، الآية: ٥.

(٣) فهو في حكم المرفوع.

الخاتمة

قَدْ ثَبَتَ فِي الصَّحِيحَيْنِ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ: أَنَّ رَجُلاً قَالَ: يَا رَسُولَ اللّهِ مَتَى السَّاعَةُ؟ قَالَ: **«مَا أَعْدَدْتَ لَهَا؟»** قَالَ: لاَ شَيْءَ إِلاَّ أَنِّي أُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ، قَالَ: **«أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»**، قَالَ أَنَسٌ: فَمَا فَرِحْنَا بِشَيْءٍ فَرَحَنَا بِقَوْلِ النَّبِيِّ ﷺ: **«أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»**، قَالَ أَنَسٌ: فَأَنَا أُحِبُّ النَّبِيَّ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ مَعَهُمْ بِحُبِّي إِيَّاهُمْ.

رُئِيَتِ امْرَأَةٌ مُسْرِفَةٌ عَلَى نَفْسِهَا بَعْدَ مَوْتِهَا، فَقِيلَ لَهَا: مَا فَعَلَ اللّهُ بِكِ؟ قَالَتْ: غَفَرَ لِي، قِيلَ لَهَا: بِمَاذَا؟ قَالَتْ: بِمَحَبَّتِي لِرَسُولِ اللّهِ ﷺ.

وَانْظُرْ قَوْلَهُ تَعَالَى: ﴿طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ﴾[1] وَطُوبَى: اسْمُ شَجَرَةٍ غَرَسَهَا اللّهُ بِيَدِهِ ـ أَيْ: قُدْرَتِهِ ـ تُنْبِتُ الْحُلِيَّ وَالْحُلَلَ، وَإِنَّ أَغْصَانَهَا لَتُرَى مِنْ وَرَاءِ سُورِ الْجَنَّةِ، وَإِنَّ أَصْلَهَا فِي دَارِ النَّبِيِّ ﷺ، وَفِي دَارِ كُلِّ مُؤْمِنٍ مِنْهَا غُصْنٌ، فَمَا مِنْ جَنَّةٍ مِنَ الْجِنَانِ إِلاَّ وَفِيهَا مِنْ شَجَرَةِ طُوبَى، لِيَكُونَ سِرُّ كُلِّ نَعِيمٍ وَنَصِيبُ كُلِّ وَلِيٍّ مِنْ سِرِّهِ عَلَيْهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ، وَإِنَّهُ ﷺ مَلأَ الْجَنَّةَ، فَلاَ وَلِيَّ يَتَنَعَّمُ فِي جَنَّتِهِ إِلاَّ وَالرَّسُولُ مُتَنَعِّمٌ بِنِعْمَتِهِ، لأَنَّ الْوَلِيَّ مَا وَصَلَ إِلَى مَا وَصَلَ إِلَيْهِ مِنَ النَّعِيمِ إِلاَّ بِاتِّبَاعِهِ لِنَبِيِّهِ ﷺ، فَلِهَذَا كَانَ سِرُّ النُّبُوَّةِ قَائِماً بِهِ

(١) سورة الرعد، الآية: ٢٩.

فِي تَنعُّمِهِ، وَكَذٰلِكَ إِبْلِيسُ مَلأَ النَّارَ، فَلاَ عَذَابَ لأَحَدٍ مِنْ أَهْلِهَا إلاَّ وَإِبْلِيسُ لَعَنَهُ اللّٰهُ سِرُّ تَعْذِيبِهِ، وَمُشَارِكٌ لَهُ فِيهِ.

وَفِي الْبَحْرِ لأَبِي حَيَّانَ: عِنْدَ تَفْسِيرِ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ۝٦﴾[1] قِيلَ: هِيَ عَيْنٌ فِي دَارِ رَسُولِ اللّٰهِ ﷺ، تُفَجَّرُ إِلَى دُورِ الأَنْبِيَاءِ وَالْمُؤْمِنِينَ.

وَإِذَا عَلِمْتَ هٰذَا فَاعْلَمْ أَنَّ أَعْظَمَ نَعِيمِ الْجَنَّةِ وَأَكْمَلَهُ التَّمَتُّعُ بِالنَّظَرِ إِلَى وَجْهِ الرَّبِّ تَبَارَكَ وَتَعَالَى وَرَسُولِهِ ﷺ، وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِالْقُرْبِ مِنَ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ، مَعَ الْفَوْزِ بِكَرَامَةِ الرِّضْوَانِ الَّتِي هِيَ أَكْبَرُ مِنَ الْجِنَانِ وَمَا فِيهَا، كَمَا قَالَ اللّٰهُ تَعَالَى: ﴿وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾[2].

وَلاَ رَيْبَ أَنَّ الأَمْرَ أَجَلُّ مِمَّا يَخْطُرُ بِبَالٍ أَوْ يَدُورُ فِي خَيَالٍ، وَلاَ سِيَّمَا عِنْدَ فَوْزِ الْمُحِبِّينَ فِي رَوْضَةِ الأُنْسِ وَحَظِيرَةِ الْقُدْسِ بِمَعِيَّةِ مَحْبُوبِهِمُ الَّذِي هُوَ غَايَةُ مَطْلُوبِهِمْ، فَأَيُّ نَعِيمٍ وَأَيُّ لَذَّةٍ وَأَيُّ قُرَّةِ عَيْنٍ وَأَيُّ فَوْزٍ يُدَانِي تِلْكَ الْمَعِيَّةَ وَلَذَّتَهَا وَقُرَّةَ الْعَيْنِ بِهَا، وَهَلْ فَوْقَ نَعِيمِ قُرَّةِ الْعَيْنِ بِمَعِيَّةِ اللّٰهِ وَرَسُولِهِ نَعِيمٌ، فَلاَ شَيْءَ وَاللّٰهِ أَجَلُّ وَلاَ أَكْمَلُ وَلاَ أَجْمَلُ وَلاَ أَجْلَى وَلاَ أَحْلَى وَلاَ أَعْلَى وَلاَ أَغْلَى مِنْ حَضْرَةٍ يَجْتَمِعُ فِيهَا الْمُحِبُّ بِأَحْبَابِهِ فِي مَشْهَدِ مَشَاهِدِ الإِكْرَامِ، حَيْثُ يَتَجَلَّى لَهُمْ حَبِيبُهُمْ وَمَعْبُودُهُمُ الإِلٰهُ الْحَقُّ جَلَّ جَلاَلُهُ خَلْفَ حِجَابٍ وَاحِدٍ بِاسْمِهِ الْجَمِيلِ اللَّطِيفِ، فَيَنْفَهِقُ[3] عَلَيْهِمْ نُورٌ يَسْرِي فِي ذَوَاتِهِمْ، فَيَبْهَتُونَ مِنْ جَمَالِ اللّٰهِ تَعَالَى، وَتُشْرِقُ ذَوَاتُهُمْ بِنُورِ ذٰلِكَ الْجَمَالِ الأَقْدَسِ بِحَضْرَةِ الرَّسُولِ ﷺ، ثُمَّ يَرْفَعُ الْحِجَابَ وَيَتَجَلَّى لَهُمْ فَيَخِرُّونَ سُجَّداً، فَيَقُولُ لَهُمْ: ارْفَعُوا رُؤُوسَكُمْ فَلَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ سُجُودٍ، يَا عِبَادِي! مَا دَعَوْتُكُمْ إِلاَّ لِتَتَمَتَّعُوا

---

(١) سورة الإنسان، الآية: ٦.

(٢) سورة التوبة، الآية: ٧٢.

(٣) يفيض.

بِمُشَاهَدَتِي، يَا عِبَادِي! قَدْ رَضِيتُ عَنْكُمْ فَلاَ أَسْخَطُ عَلَيْكُمْ أَبداً، فَمَا أَحْلاَهَا مِنْ كَلِمَةٍ! وَمَا أَلَذَّهَا مِنْ بُشْرَى! فَعِنْدَهَا يَقُولُونَ: الْحَمْدُ لِلّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ، وَأَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِنْ فَضْلِهِ، لاَ يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ، وَلاَ يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ، إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ[1] مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَـٰمِلِينَ﴾[2]، ﴿دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَـٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَـٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ۝١٠﴾[3].

قد تمّ والحمد للّه في شهر ذي القعدة سنة ١٣١٢ طبع كتاب (الأنوار المحمدية من المواهب اللدنية) على يد مختصره يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن إسماعيل بن يوسف بن حسن بن محمد ناصر الدين النبهاني، فجاء كتاباً فريداً بين أترابه[4]، لا نظير له في بابه، جامعاً لجميع مقاصد المواهب اللدنية من أحواله الشريفة ﷺ، وقد تبيّن بعد طبعه أنه يقيناً أقل من ثلث حجمها، وإن ذُكر في خطبته تخميناً أنه أقل من النصف، وأسأل الله تعالى أن ينفعني به والمسلمين، ويكفيني وإياه شرَّ الجاهلين والحاسدين، وأن يجعله ذخيرة لي يوم الدين بجاه سيدنا محمد خاتم النبيين، سبحان ربك رب العزة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد للّه رب العالمين.

وجرى تصحيحه بمراجعة شرح الزرقاني، ونهاية ابن الأثير، وكتب الحديث واللغة، بمعرفة مؤلفه يوسف النبهاني.

---

(١) نَنزل.

(٢) سورة الزمر، الآية: ٧٤.

(٣) سورة يونس، الآية: ١٠.

(٤) أمثاله.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

المقصد الثاني

في أسمائه ﷺ ومَن يلوذ به

وفيه عشرة فصول

المقصد الرابع

في معجزاته وخصائصه ﷺ

وفيه فصلان

فهرس الجزء الثاني

المقصد السابع:

في وجوب محبته واتباع سنّته، وحكم الصلاة والتسليم عليه، ووجوب محبة أصحابه وآله،

وفيه ثلاثة فصول

المقصد الثامن

في طبّه ﷺ، وتعبيره الرؤيا، وإنبائه بالمغيّبات

وفيه ثلاثة فصول

المقصد التاسع

في عباداته ﷺ

وفيه سبعة أنواع

الموضوع	الصفحة
الباب الخامس: في صلاته ﷺ الضحىٰ	٧١٢
القسم الثاني: في نوافله ﷺ، وفيه بابان:	٧١٣
الباب الأول: في رواتب الفرائض، وفيه فصلان:	٧١٣
الفصل الأول: في رواتب الصلوات الخمس والجمعة، وفيه سبعة فروع:	٧١٣
الفرع الأول: أحاديث الرواتب	٧١٣
الفرع الثاني: في ركعتَيْ الفجر	٧١٤
الفرع الثالث: في راتبة الظهر	٧١٥
الفرع الرابع: في راتبة العصر	٧١٦
الفرع الخامس: في راتبة المغرب	٧١٦
الفرع السادس: في راتبة العشاء	٧١٧
الفرع السابع: في راتبة الجمعة	٧١٧
الفصل الثاني: في صلاة العيدين، وفيه سبعة فروع:	٧١٨
الفرع الأول: في عدد الركعات	٧١٨
الفرع الثاني: في التكبير	٧١٨
الفرع الثالث: في الوقت والمكان	٧١٨
الفرع الرابع: في الأذان والإقامة	٧١٩
الفرع الخامس: في القراءة	٧١٩
الفرع السادس: في الخطبة	٧١٩
الفرع السابع: في أكله يوم الفطر	٧٢٠
الباب الثاني: في النوافل المقرونة بالأسباب، وفيه أربعة فصول:	٧٢٣
الفصل الأول: في صلاة الكسوف	٧٢٣
الفصل الثاني: في صلاة الاستسقاء، وهي ستة أنواع:	٧٢٥
النوع الأول: بركعتين وخطبتين	٧٢٥
النوع الثاني: استسقاؤه في خطبة الجمعة	٧٢٦
النوع الثالث: استسقاؤه علىٰ المنبر	٧٢٧
النوع الرابع: استسقاؤه بالدعاء	٧٣٠

الموضوع	الصفحة

الموضوع الصفحة